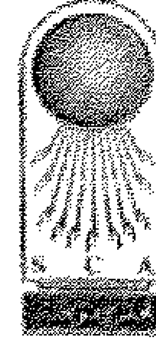


المجلة المصرية للآثار الإسلامية



مشكاة

1



مشكاة

المجلة المصرية للآثار الإسلامية

المجلد الأول

٢٠٠٦

لوحة الغلاف:
مشكاة عليها كتابات عربية تمثل ألقاب السلطان حسن
- العصر المملوكي - متحف مكتبة الإسكندرية.

إهداء إلى
عبد الرؤوف علي يوسف

المجلد الأول من مشكاة -المجلة المصرية للآثار الإسلامية- ٢٠٠٦.

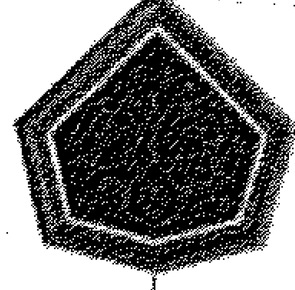
رقم الإيداع بدار الكتب: ١٠٤٨٦/ ٢٠٠٦

رقم الإيداع الدولي للكتاب (I.S.B.N): 977-305-910-3

رقم الإيداع الدولي المسلسل (I.S.S.N): 1687-5613

طبعت بمطابع المجلس الأعلى للآثار.

وزارة الثقافة.





مطابع المجلس الأعلى للآثار ٢٠٠٦



الإرشادات العامة لتقديم المقالات

مقدمة

حوليات المجلس الأعلى للآثار ومجلة المتحف المصرى هى مجلات محكمة تقوم بنشر الأبحاث العلمية فى شتى الموضوعات التى تتعلق بالحضارة المصرية والفن المصرى القديم والمقتنيات الأثرية والترميم والعلوم المتحفية وتتناول مختلف العصور، وتصدر هذه المجلات بعدة لغات: الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والعربية.

التقديم المبدئى للمقالات

تقدم المقالات من ثلاث نسخ ليتم تقييمها ومراجعتها، ويتم فى ذلك اتباع قواعد النشر المنصوص عليها فى *Chicago Manual of Style* مع بعض التعديلات التى ستذكر فيما يلى، ولابد أن تكون المقالات متفقة مع هذا النظام وهذه التعديلات.

التقديم النهائى للمقالات

النص النهائى (بعد إجراء التغييرات التى يراها الناشر أو المراجعون) لابد أن يوضع على ديسك، من الأفضل أن يكون PC، مع استخدام نظام الكتابة MS Word وبنط ١٢ للغات الأجنبية، وبنط ١٤ للعربى وتقديم نسخة مطبوعة على ورق A4 أو ورق Standard American، وتكون الكتابة على أحد الوجهين فقط، وتترك مسافة مزدوجة بين السطور وهوامش كبيرة مع عدم مساواة الكلام جهة الهامش الأيمن وعدم استخدام أنماط كتابة متعددة وأحجام مختلفة للبنط.

الرجاء مراعاة الآتى:

- لا تستخدم ألقاب مثل .Dr أو .Prof سواء فى داخل النص أو الحواشى أو عند كتابة اسم المؤلف.
- الأقواس جميعها تكون دائرية مثل ( ).
- تستخدم علامات التنصيص المفردة دائماً.
- يجب تجنب استخدام العلامات الحركية عند كتابة كلمات عربية باللغة الإنجليزية.
- أرقام الأسرات تكتب بالحروف: الأسرة الثامنة عشرة وليس : الأسرة الـ ١٨.
- تكتب أرقام القرون أيضاً بالحروف، فنقول القرن الخامس.
- تستخدم الشرطة الصغيرة بين التواريخ أو أرقام الصفحات...الخ (١٣٣-٢١٠).

البنط

لابد أن يرى المؤلفون والناشر مقدماً إذا ما كان فى النص أى نوع من الخط غير القياسى أو غير التقليدى (مثل القيم الصوتية للكلمات أو الهيروغليفى أو اليونانى أو القبطى الخ) لتقدم على ديسك مع النص.

الحواشى السفلية

لا يستخدم نظام Harvard فى الإشارة إلى المراجع بل تكتب الحواشى كحواش ختامية فى صفحات مستقلة ملحقة بالنص، وتترك مسافة مزدوجة بين السطور، وأرقام الحواشى تكون مرتفعة عن مستوى السطر ولا توضع بين قوسين، وعنوان المقال لابد ألا يتضمن إشارة إلى الحواشى، وإذا كان هناك احتياج لإدراج حاشية بغرض تقديم الشكر وما إلى ذلك يوضع فى العنوان علامة النجمة* وتكون هذه قبل الحاشية رقم ١.

الملخص

يقدم ملخص باللغة الإنجليزية (بحد أقصى ١٥٠ كلمة) وذلك فى مقدمة المقال، ويستخدم الملخص فى استرجاع المعلومات ويكتب بحيث يمكن فهمه إذا تم قراءته منفصلاً عن نص المقال.

الاختصارات

بالنسبة لاختصارات أسماء الدوريات والحوليات يتبع فى ذلك اختصارات:

Bernard Mathieu, *Abréviations des périodiques et collections en usage à l'IFAO*, 4ème éd. (Cairo, 2003).

ويمكن الحصول عليها من الإنترنت *www. ifao.egnet.net*

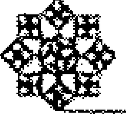
يمكن أن تستخدم الاختصارات الخاصة بعد أن تذكر بالكامل فى العناوين التى يشار إليها كثيراً فى المقالات الفردية، ويمكن أيضا استخدام الصيغ المقبولة (المتعارف عليها). القاموس الطوبوغرافى الـ Moss & Porter يكتب PM (بخط غير مائل).

والإشارة إلى المراجع تكتب كالآتي:

بالنسبة لمقال فى دورية: يكتب المرجع أول مرة:

J. D. Ray, 'The Voice of Authority: Papyrus Leiden I 382', *JEA* 85 (1999), 190.

وإذا تكرر يكتب: Ray, *JEA* 85, 190.



بالنسبة لمقال أو فصل فى كتاب لعدة مؤلفين:
S. Ş. Abd al-Mālik, 'Une inscription du sultan Mamelouk Kituġā découverte à al-Qurrayş (Sinaï central)', in J.- M. Mouton (ed.), *Le Sinaï de la conquête arabe à nos jours*, *CAI* 21 (Cairo, 2001), 51-58.

وإذا تكرر يكتب:
Abd al-Malik, in Mouton (ed.), *Le Sinaī de la conquête arabe à nos jours, CAI* 21, 51-58.

الكتب العلمية Monographs

K . A . C. Creswell, *A short Account of Early Muslim Architecture* (Cairo, 1989), 316 - 320 .

وإذا تكرر يكتب:
Creswell, *A short Account of Early Muslim Architecture*, 316 - 320 .

وبالنسبة للمراجع العربية:

عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة (القاهرة، ١٩٩٨)، ٩٢.

وإذا تكرر يكتب: عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، ٩٤-٩٦.

سلسلة المطبوعات

W. M. F. Petrie, *Hyksos and Israelite Cities*, *BSAE* 12 (London, 1906), 37, pl. 38.A, no. 26.

واذا تكرر يكتب: Petrie, *Hyksos and Israelite Cities*, 37, pl. 38.A, no. 26.

الرسائل العلمية الأخرى

Joseph W. Wegner, *The Mortuary Complex of Senwosret III: A Study of Middle Kingdom State Activity and the Cult of Osiris at Abydos* (Ph. D. diss., University of Pennsylvania, 1996), 45-55.

وإذا تكرر يكتب: Wegner, *The Mortuary Complex of Senwosret III*, 45-55.

الوسائل الإلكترونية

عند الإشارة إلى مادة علمية موجودة فى موقع على الإنترنت يفضل الإشارة إلى النسخة المطبوعة فإذا لم تتوفر هذه، عندئذ لابد من تقديم معلومات كافية عن الموقع تمكن القارئ من الدخول إليه بسهولة. على أية حال فالإشارة إلى www.mfa.org/artemis/fullrecord.asp?oid=36525&did=200 ربما يفضل أن يعبر عنها بطريقة أفضل على سبيل المثال acc.19.162 أشار إليها فى الموقع المثال الموضح فى www.mfa.org/artemis

وبالنسبة لـ http:// يمكن أن تحذف عند الاشارة إلى مراجع فى مواقع الشبكة العالمية فنقول مثلا:

www.mfa.org/giza بدلا من http ://www.mfa.org/giza

إلا أننا لا نحذفها فى بعض الأحيان فنقول مثلا:

http ://aaupnet.org

عند الإشارة إلى دوريات على الإنترنت أو أسطوانات CD وما إلى ذلك: انظر الفصل الخاص بهذا فى كتاب Chicago Manual of Style

إن الحروف الأولى من اسم الكاتب وتفاصيل النشر الأخرى بما فى ذلك عنوان المقال بالكامل واسم السلسلة ورقم الجزء، كل هذا لابد أن يذكر بالكامل عند الإشارة إليه للمرة الأولى، أما بعد ذلك فيذكر فقط اسم العائلة ويذكر العنوان باختصار، ويجب تجنب استخدام مصطلحات مثل ibid, op.cit, loc.cit، كما يجب الإشارة إلى رقم الصفحة بالتحديد وليس فقط إلى المقال ككل.

تعليقات الصور والأشكال

لابد من التأكد من صحة التعليقات وأن تكتب فى ورقة منفصلة وتكون المسافة بين السطور مزدوجة وتقدم على ديسك مع النسخة النهائية للمقال.

الصور والرسومات المقدمة للنشر لابد أن تحمل اسم الكاتب ورقم الصورة أو الشكل مكتوبا بوضوح على الخلفية أو على CD، وجميع الأصول سوف يتم اعادتها إلى الكاتب بمجرد نشر العدد.

يجب أن يكون عدد الصور والأشكال أقل ما يمكن والقرار النهائى لتحديد عددها يترك لرئيس التحرير، وتكون الصور إما أبيض وأسود أو ملونة وعلى مستوى عالٍ من الجودة.

خطوط الرسم

إن حجم الرسومات المقدمة لابد أن يكون على الأقل ضعف الحجم الذى ستظهر به فى النشر وتكون مرسومة بشكل صحيح، وأى تعليقات داخل الشكل نفسه إما أن تكون مطبوعة فى مكانها (ليست بخط اليد) أو تكون مقدمة



على ديسك بشكل منفصل.

إذا كانت الرسومات تحتوى على نسخة مصورة من أشكال نشرت سابقاً (انظر حقوق الطبع أدناه) فيجب أن تكون واضحة جداً.

الصور الرقمية (الديجيتال)

أصبح استخدام الصور الرقمية فى تزايد مستمر، وفيما يلى بعض الإرشادات فى هذا الشأن، فى حالة الرغبة فى الاستفسار عن شئ الرجاء الاتصال بإدارة النشر العلمى قبل عمل مسح ضوئى للصور، كما يجب تقديم جميع الصور الرقمية مطبوعة (من الكمبيوتر) بشكل جيد جداً.

الصور

يتم عمل مسح ضوئى للصور بدرجة وضوح 300 dpi إذا كنا نريدها بنفس الحجم، أما إذا كنا نريد الحصول على حجم أكبر لها فيجب أن تكون درجة الوضوح أعلى. فمثلاً الصورة المطلوب إخراجها بضعف حجمها لابد أن تكون درجة الوضوح فيها 600 dpi، وتحفظ الصور فى ملفات من نوع CMYK TIFF (لأن JPEG نادراً ما يكون مناسباً)، وإذا حفظ الملف تحت اسم TIFF عندئذ يستخدم برنامج ضغط الصور LZW (لأن هذا لا يقلل من جودة الصور) وبذلك يمكن حفظ الملفات فى أقل حجم ممكن. ولابد من تقديم نسخ مطبوعة من الكمبيوتر لهذه الصور الرقمية وتكون واضحة جدا، وجميع ملفات الصور تقدم علىCD، الرجاء عدم إرسال صور على البريد الإلكترونى لإدارة النشر العلمى بالمجلس الأعلى للآثار أو للمحررين إلا باتفاق مسبق.

خطوط الرسم

يتم عمل مسح ضوئى لها كـ'line art' بدرجة وضوح لا تقل عن 600 dpi وتحفظ كملفات تحت اسم TIFF



حقوق الطبع

بالنسبة للحصول على تصريح باستخدام مادة علمية لها حق الطبع فهذه مسئولية الكاتب، وهذا يشمل النسخ المصورة من مواد تم نشرها من قبل.

المقالات التى لا تتفق مع هذه القواعد سوف يتم استبعادها.

تقدم المقالات (نسخة على الورق ونسخة إلكترونية) إلى:

رئيس التحرير
إدارة النشر العلمى
المجلس الأعلى للآثار
٣ ش العادل أبو بكر، الزمالك، القاهرة ص.ب. ١١٥٦١
بريد الكتروني:
inu@liv.ac.uk
publication_department2004zyahoo.co.uk

كما يرجى عند إرسال المقالات تقديم وسيلة الاتصال بالمؤلف ويفضل أن تكون عن طريق البريد الإلكترونى.

المحتويات

صفحة

Page

مقدمة

بصدور هذه المجلة العلمية التي بين يديك عزيزي القارئ، نكون قد رسخنا مرحلة جديدة في تاريخ المجلس الأعلى للآثار، إذ بها وبسلسلة الحوليات العلمية المتخصصة، والتي بدأت بصدور حولية في علم المصريات، يعزز المجلس دوره كمؤسسة علمية تساهم في الارتقاء بعلم الآثار في مصر والوطن العربي.

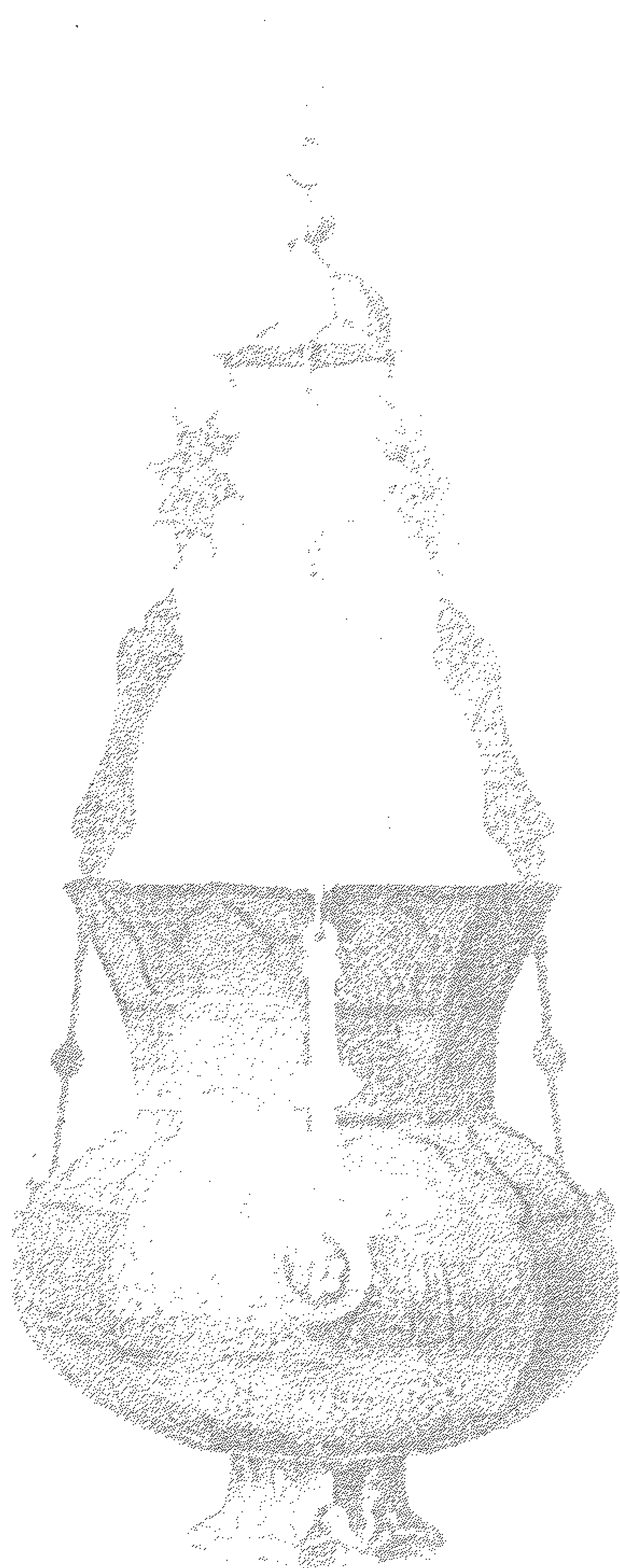
لقد رأينا أن نسمى هذه المجلة 'مشكاة' المجلة المصرية للآثار الإسلامية، وأن نحتفى في هذا العدد بمتحف الفن الإسلامي، الذي يمر على إنشاؤه مائة عام، وقد فتحنا باب النشر فيها للباحثين المصريين والعرب والأجانب، وهى بذلك تعطى مجالا هاما تنقص فيه بشدة الدوريات العلمية، وحرصنا كذلك على نشر التقارير العلمية لحفائر الآثار الإسلامية، وهو تقليد بدأنا نرسخه بعد أن ظلت العديد من تقارير الحفائر الإسلامية لسنوات بلا نشر، وسيشهد العدد التالي من الحوليات العديد من التقارير المفصلة عن الحفائر التي تمت في العديد من المناطق الأثرية خاصة الفسطاط وتنيس والبهنسا وأسوار صلاح الدين الشرقية، وكذلك بدأنا في تلقى العديد من الأبحاث من مختلف الدول العربية ومصر، وهو ما سيعزز نجاح هذه المجلة العلمية.

كما أن فلسفتنا في النشر تقوم على تناول علم الآثار الإسلامية بمفهومه الواسع، حيث سيتناول النشر في مجالات العمارة والفنون والتصوير والكتابات وفلسفة علم الآثار الإسلامية واستخدام التقنيات الحديثة في تسجيل الآثار ودراستها، ومتاحف الآثار الإسلامية وعلم الحفائر في مجال الآثار الإسلامية. كما سنعزز نقل الخبرات المتقدمة في هذا العلم من خلال نشر الجديد فيه.

إننا نهدي هذا العدد لعالمنا الجليل عبد الرؤو ف على يوسف هذا العلامة الفذ، الذي يعد من أبرز خبراء الفنون الإسلامية في العالم، خاصة في مجال الخزف. وقد تقلد العديد من المناصب منها: مدير متحف الفن الإسلامي، كما قام بأعمال رئيس هيئة الآثار المصرية قبل أن تتحول إلى المجلس الأعلى للآثار، وقد كان بدماثة خلقه وعلمه الغزير، وتواضعه مثلاً يحتذى به. كما عد على المستوى الدولي مرجعاً للعديد من المتاحف خاصة تلك التي تضم مجموعات من قطع الفنون الإسلامية.

أ.د. زاهى حواس

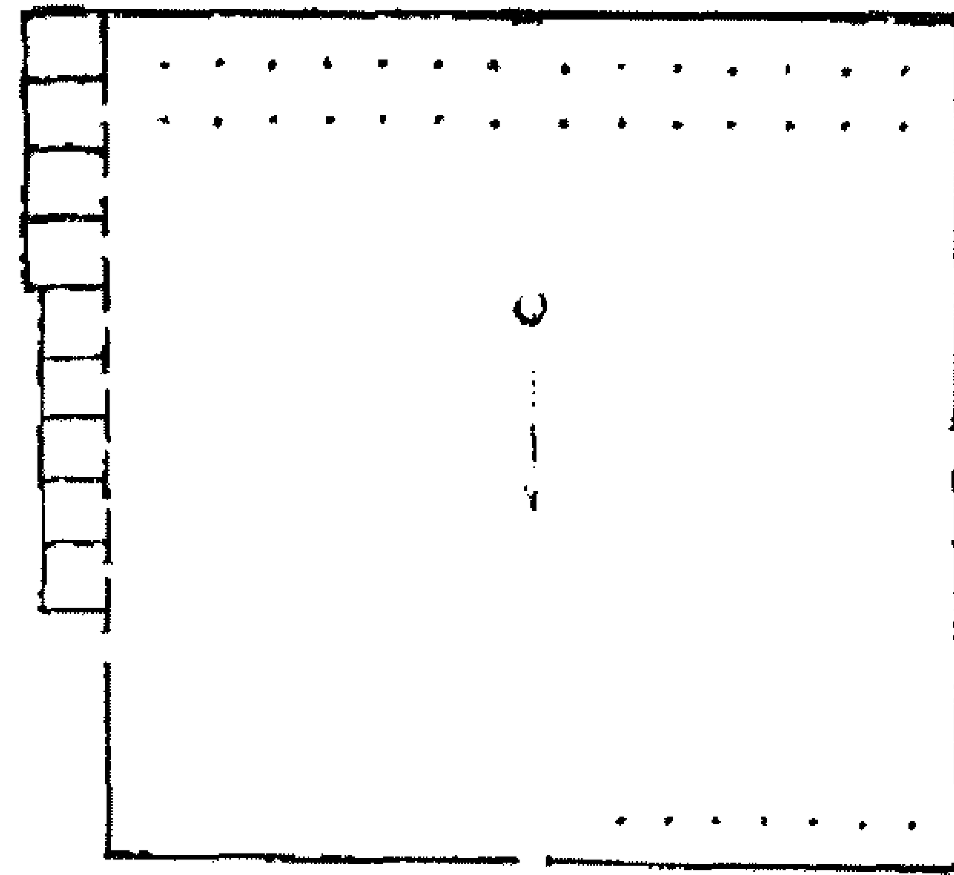
أمين عام المجلس الأعلى للآثار

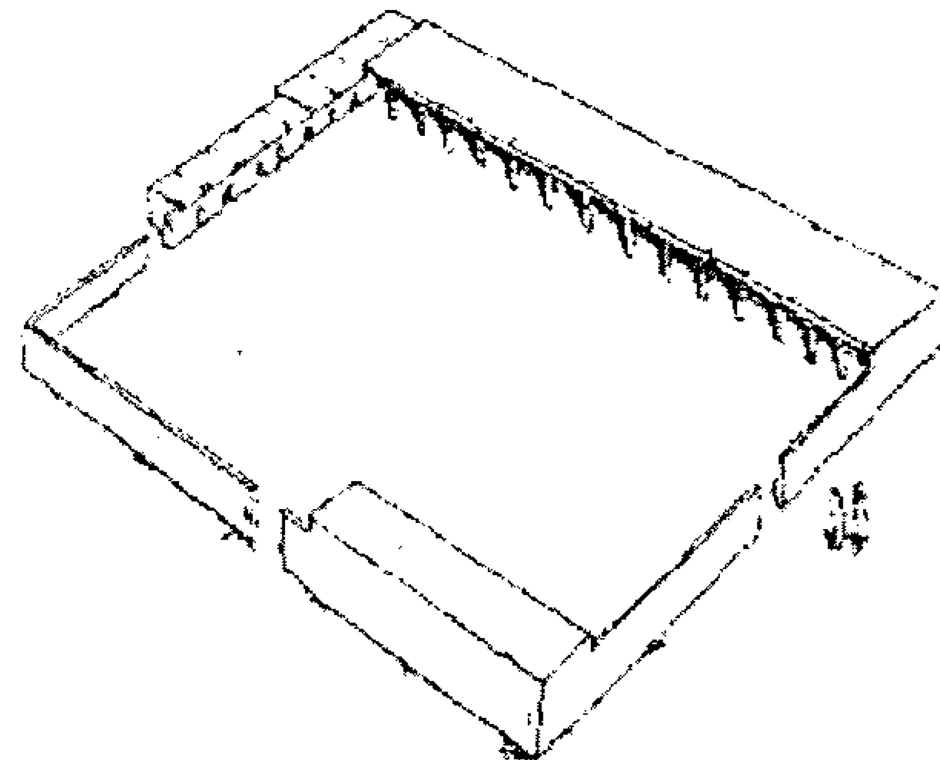


رمزية مقر الحكم والتحول السياسي في العالم الإسلامي

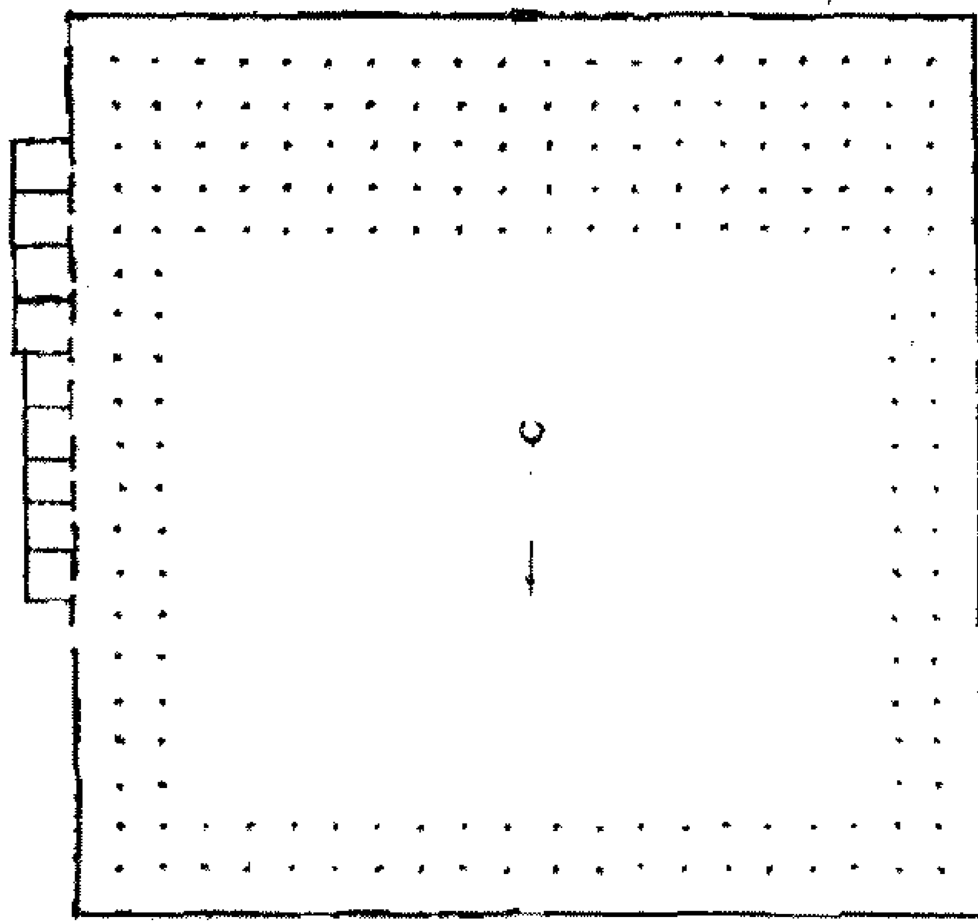
خالد محمد عزب

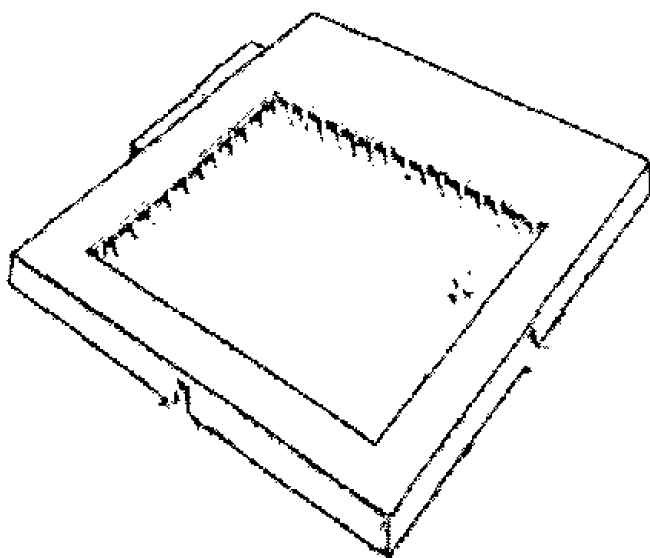
كان مقر الحكم في المدينة المنورة في عصر الرسول بسيطاً، إذ كان الرسول ﷺ يدير أمور دولته من مسجده الجامع بالمدينة (شكل ١، ٢)، والذي كان يجاور منزله[١] ولذا عندما شيدت مدن إسلامية جديدة، مثل البصرة، والكوفة، والفسطاط، إرتبطت دار الإمارة بالمسجد الجامع في المدينة، وصار مركز المدينة والنسيج الحضري الذي لم ينفصل عن المدينة، وأدى صراع السلطة خلال العصر الأموي إلى تحولات في نمط المدينة الأول، فقد كانت كل من البصرة والكوفة والفسطاط، مدناً مفتوحه، ولم ترض بسور حولها سوى ذاك الذي ترفعه سيوف أبنائها. وتبقى فيها مايشبه الشعور بالحرية العربية ذاتها، حرية المقاتلين المتأهبين للهجوم، لاسيما حرية البدو المولعين بروح الصحراء، ولعلهم كانوا يتبرمون من التعايش المدينى ويختنقون فية إختناقاً، ولعلهم كانوا يتصورون أى سور كحائط سجن يحبسهم بصفة لاتطاق.[٢] وهذا يفسر رفض كل من البصرة والكوفة، نظام الرقابة وحظر التجول بالليل، الذي شرع الأمويون في تطبيقه وتمادى فيه الحجاج. وهو الذي جعل الأخير يقدم على الفصل بين مقر الحكم والسكان العرب. إن التمييز بين المجتمع والسلطة هو وحده الذي يفسر تشييد الأسوار في واسط كما في بغداد، وليس الخطر الخارجي[٣] ولذا عدت الأسوار ظاهرة جديدة، خاصة أنه كان يسبقها خندق، وبها أبواب جيدة الحراسة.[٤]





شكل ١. المسجد النبوي في عهد النبي (ص) -مسقط أفقي.



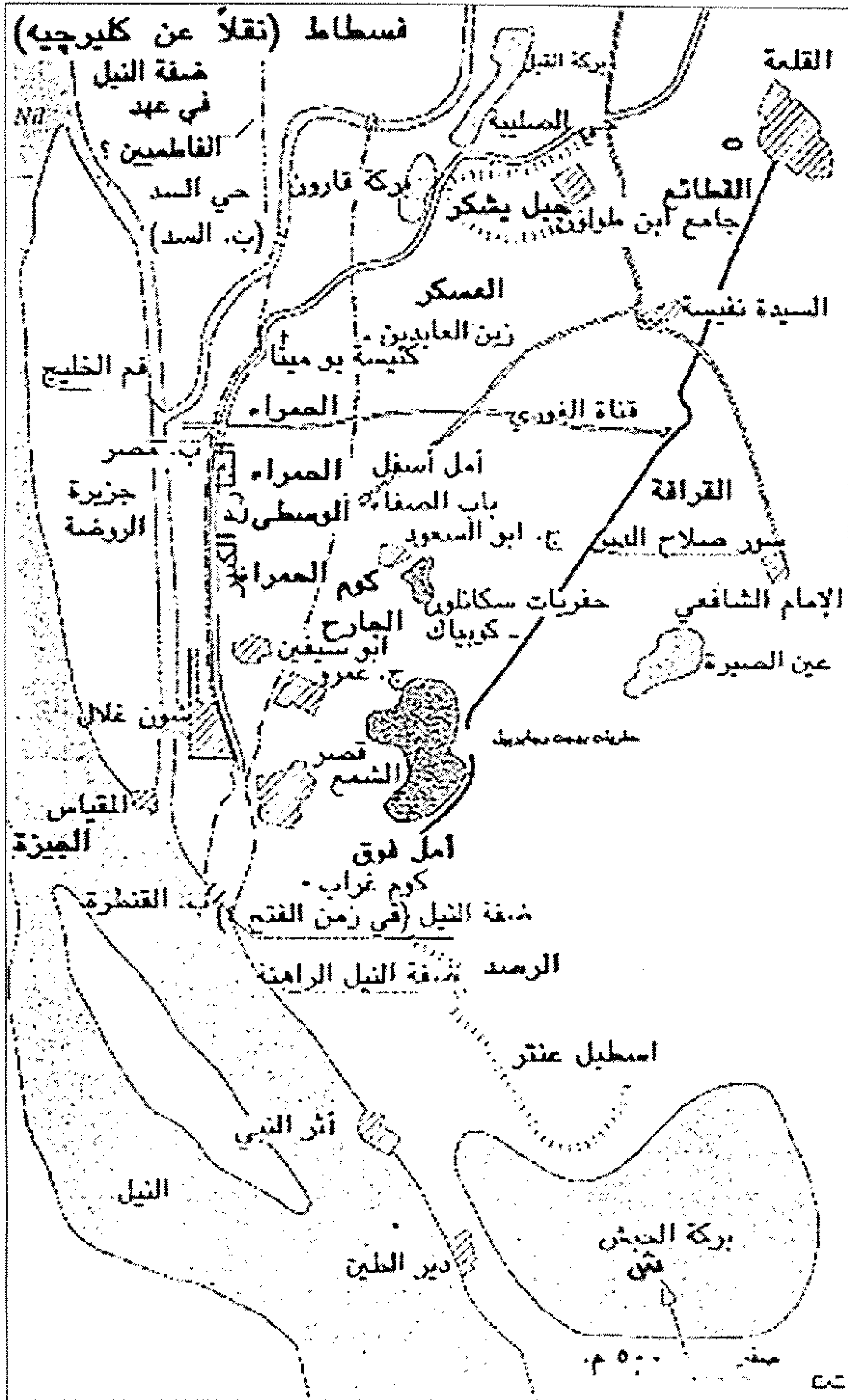


شكل ٢. المسجد النبوي في عهد عثمان بن عفان -مسقط افقي.

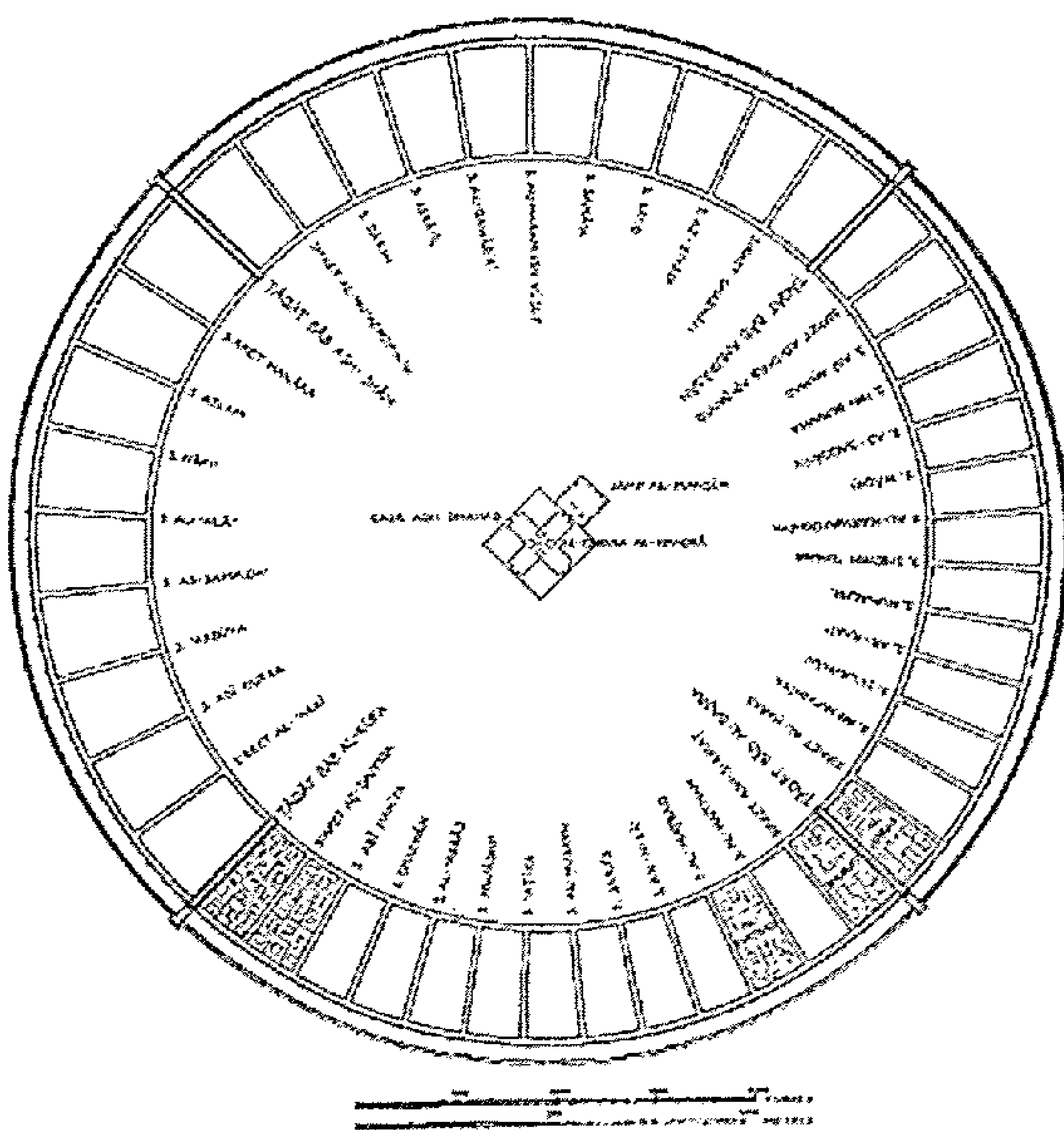
ومن الملاحظ تضاؤل حجم المسجد بالنسبة لقصر الامارة في واسط، فقد كانت مساحة المسجد ٢٠٠ذراع × ٢٠٠ذراع، بينما بلغت مساحة القصر ٤٠٠ذراع × ٤٠٠ذراع[٥] وقد تم إنتقاء سكان واسط من قبل الحجاج ممن لهم ولاء للدولة الأموية[٦] وهكذا نجد في المشروع الحجاجي إرادة واضحة لإقصاء الغير، وهذا ما أضفى على واسط مظهر المدينة المغلقة الخاضعة للرقابة، ومثل هذه النية تبرز في مخطط بغداد، ويجب أن يوضع في الاعتبار أن واسط أسست عقب إحدى الثورات الداخلية، وهي ثورة ابن الأشعث (أي بين سنة ٨٣ ـ ٨٤ هـ/ ٧٠٢ - ٧٠٣م) وهي ثورة لاقت دعماً من أهالى البصرة والكوفة، في نفس الوقت تحولت فية المدينتان من الصفة العسكرية إلى الصفة المدنية، ولذا بات ظهور مركز جديد للحكم أمراً متوقعاً، وبات إنشاء واسط أمراً طبيعياً آنذاك، لكن هذة المدينة وقفت نفسها لخدمة دولة وخصوصية سياسية معينه.[٧] إن التحول من الصفة العسكرية إلى المدنية حدث كذلك في مدينة الفسطاط، والتى كان قسم من أهلها موالين للأمويين، ولذا شيد العباسيون ضاحية العسكر لتكون مقراً لحكمهم، وتلى ذلك تشييد أحمد بن طولون القطائع كضاحية للفسطاط لتكون مقراً لحكمة (شكل ٣).

وإذا كانت الكوفة مدينة إسلامية أخذت طابعاً مدنياً، وواسط مثلت طابع السلطة القوى، فقد جمعت بغداد كعاصمة لدولة الخلافة العباسية بين المدينتين وتجاوزتها في آن واحد. كان تخطيط بغداد وهو محصلة التجربة العمرانية الإسلامية، التى استمرت إلى عصر أبي جعفر المنصور، ومن الخطأ الإغراق في التأصيل الآشوري والفارسي[٨] دون البحث في المدن السابقة على بغداد، فكما وجد في الكوفة وواسط، فقد حدد المركز المدينة حيث القصر والمسجد الجامع، وقد كان القصر أكبر من المسجد، وكما هو الشأن في الكوفة، وجد داخل بغداد حزام سكنى تخترقة السكك المختطة اختطاطاً هندسياً، وهذا يماثل تركيبة الكوفة، ولو أراد المنصور بناء قلعة أو حصن لنفسه فقط، لما أقيم هذا الحزام السكنى الذي بلغ عدد سككه ٤١.[٩]

وهذا الحزام السكنى يؤيد التصور الحضري للمدينة على النمط الكوفي. خاصة مع وجود المسجد الجامع والقصر والرحبة[١٠] (شكل ٤).



شكل ٣. الفسطاط وضاحيتها العسكر والقطائع، نقلاً عن اندريه ريمون.



شكل ٤. تخطيط مدينة بغداد.

قدم لنا اليعقوبي وصفاً لبنية مركز المدينة العمرانية حيث يقول عنه:

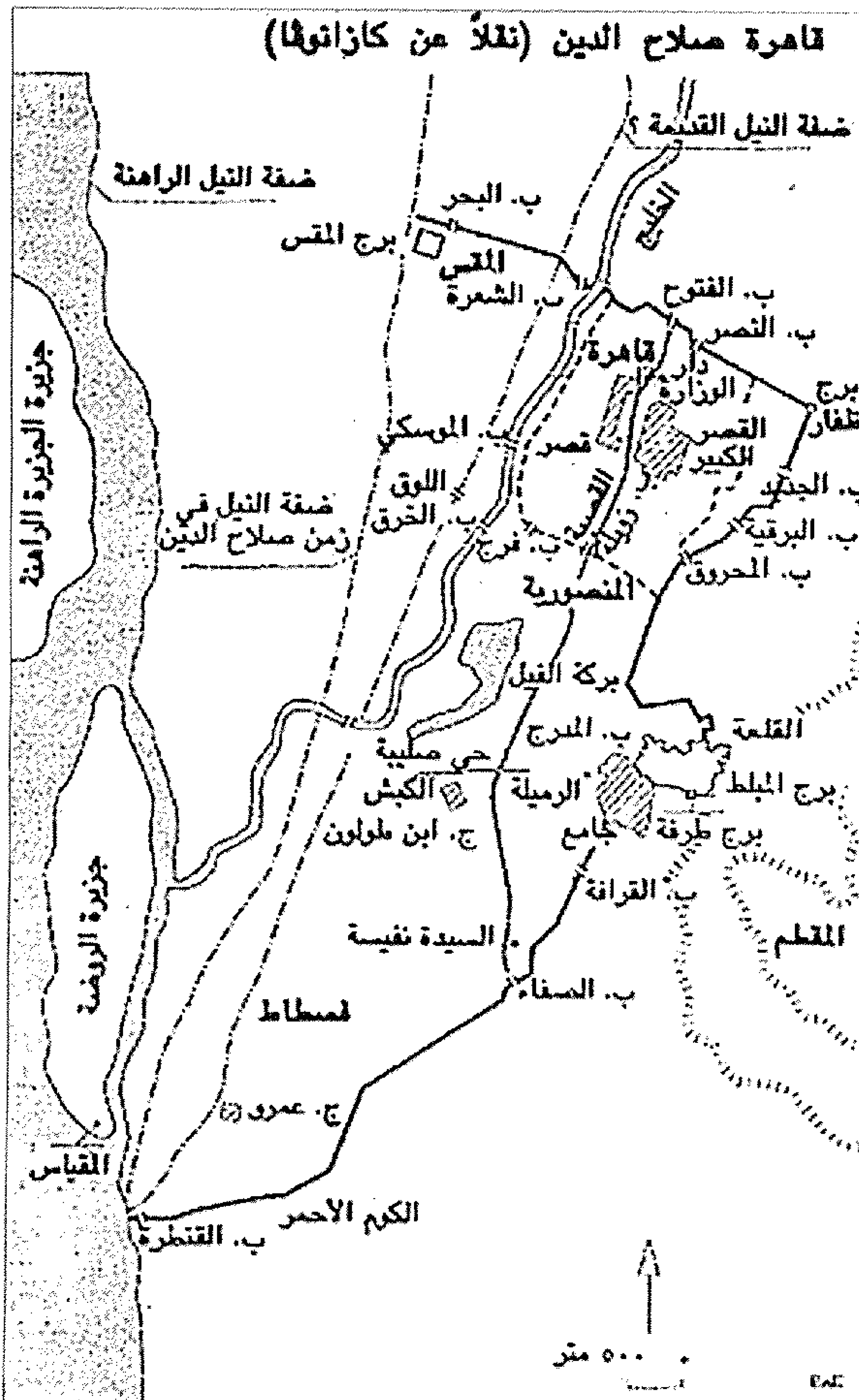
'ليس حول القصر بناء ولادار ولامسكن لأحد إلا دار من ناحية باب الشام للحرس وسقيفة كبيرة، وحول الرحبة تدور منازل أولاد المنصور الأصاغر ومن يقرب من خدمته من عبيده وبيت المال وخزانة السلاح وديوان الرسائل وديوان الخراج وديوان الخاتم وديوان الجند وديوان الحوائج ومطبخ العامة وديوان النفقات'[١١] وكانت أسواق بغداد تقع بعد ذلك المركز أو على حدوده، غير أن قراراً اتخذه المنصور في مرحلة لاحقة بنقل الأسواق خارج المدينة، كشف عن تردده بالنسبة للنموذج المديني الكوفي، فقد كان يريد مدينة 'ملكية' لكنها تامة المكونات، وارتبط نقل الأسواق برواية تاريخية، فيها نصيحة أسداها رسول ملك الروم أو إشارة من أحد رجال الدولة إلى المنصور مؤداها 'أن الغرباء وغيرهم يبيتون فيها ولايؤمن أن يكون فيها جواسيس'.[١٢]

وبانتقال الأسواق إلى ربض الكرخ، برزت ثنائية المدينة والأرباض، وهي ظاهرة سنراها لاحقاً في ثنائية القاهرة وظواهرها وجاء إستلهام نموذج واسط في بغداد في الأسوار، التى كانت جزءاً أساسياً في تشكيلة بغداد، وهي لم تشيد لتميز بين المدينة وأرباضها، لأن الأرباض بنيت في مرحلة لاحقه، فهل شيدت هذه الأسوار لأسباب أمنية؟ وفي هذه الحالة تكون قد بنيت لدرء أخطار الثورة الداخلية أو كانت رمزاً لتعالى السلطة التى رامت الانفصال عن الأهالي؟ يرى البعض أن الأسوار هدفت في بغداد إلى إبعاد وإقصاء العالم الخارجى فقط، ذلك المحيط الزاخر بالعجم. في حين انفصلت الكوفة عنه بواسطة النهر أى بوقوعها على حافة الجزيرة العربية وكلما تقدم العرب صوب الشرق زاد ارتفاع أسوارهم.[١٣] وقد كان انفجار النواة الحضرية في بغداد بعد ذلك تحولاً هاماً في نمط المدن.

إن العلاقة الثنائية بين القاهرة كحصن فاطمي شيد ليكون مقراً لحكم الفاطميين المختلفين مذهبياً عن المصريين، وظواهرها حيث الأسواق، تماثل من حيث التصور المبدئى العلاقة بين بغداد بعد نقل أسواقها إلى أرباضها، لقد أراد الفاطميون الانعزال عن المجتمع المصرى بجيوشهم، وكانت أسوارهم رمزاً لهذا الانفصال.

ولكن سرعان ماتحول الحصن إلى نواة حضرية نتيجة لضعف السلطة الفاطمية، كانت أسوار الفاطميين لحمايتهم من المصريين، بينما جاء صلاح الدين ليشيد سوراً واحداً حول الفسطاط والقاهرة بينهما قلعة (شكل ٥) تكون مقراً لقيادة الجيش والحكم للدفاع عن العاصمة المصرية ضد الغزو الصليبي المحتمل آنذاك.

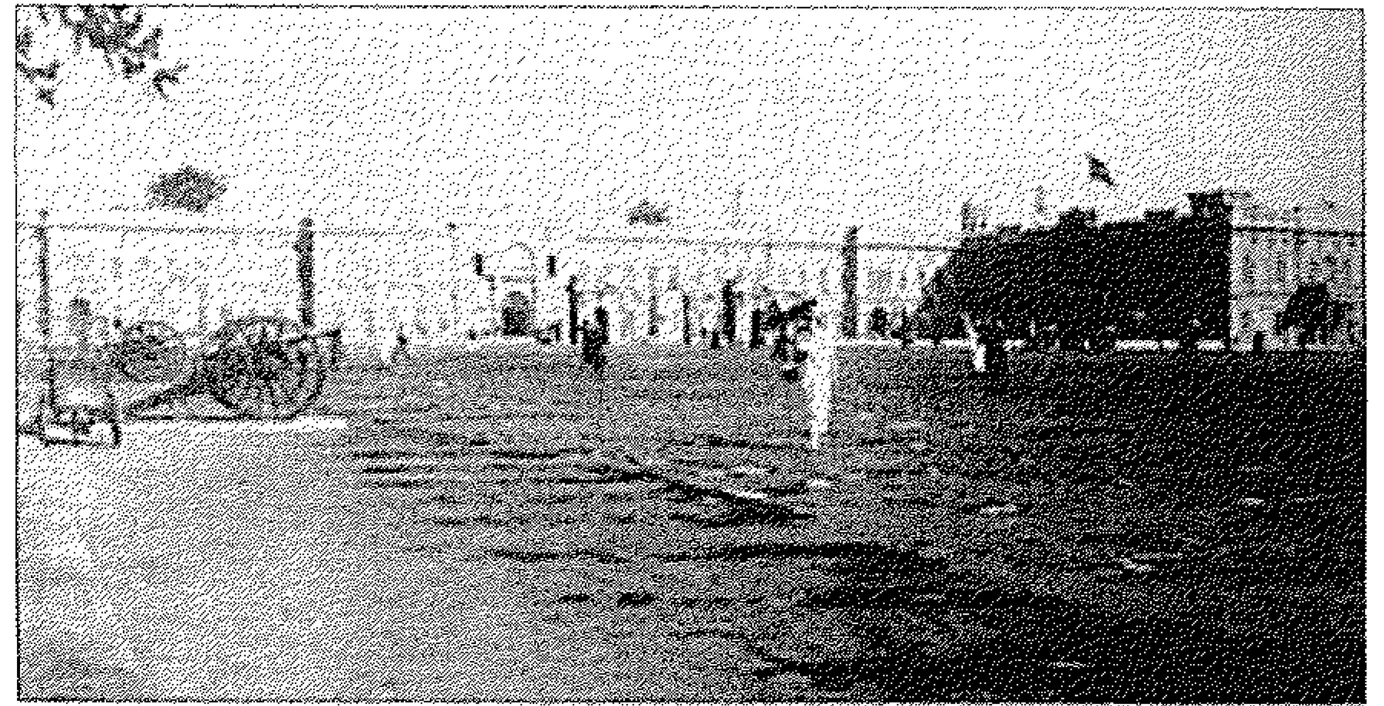
استقر حكم مصر بعد ذلك في قلعة الجبل (لوحة ١) التى شيدها الناصر صلاح الدين لتكون مقراً للحكم، وليمثل الإستيلاء عليها من قبل أى من أمراء المماليك الذين ورثوا حكم مصر بمثابة الاستيلاء على حكم مصر، هذا مازاد في رمزية القلعة السلطوية، وظل هذا الصراع قائماً إلى أن قام محمد على في العام ١٨١١م بمذبحة المماليك منهياً بذلك عصر من العسكرة المملوكية لمصر، وبداية نمط جديد من الجيوش، إنتقل بعدها مقر الحكم إلى القصور، ومنه إلى قصر عابدين (شكل ٢٣) الذي صاحب إنشائه تشييد مقرات للنظارات أو الوزارات المصرية على النمط الأوربى،



شكل ٥. أسوار صلاح الدين الايوبي.



لوحة ١. قلعة الجبل.



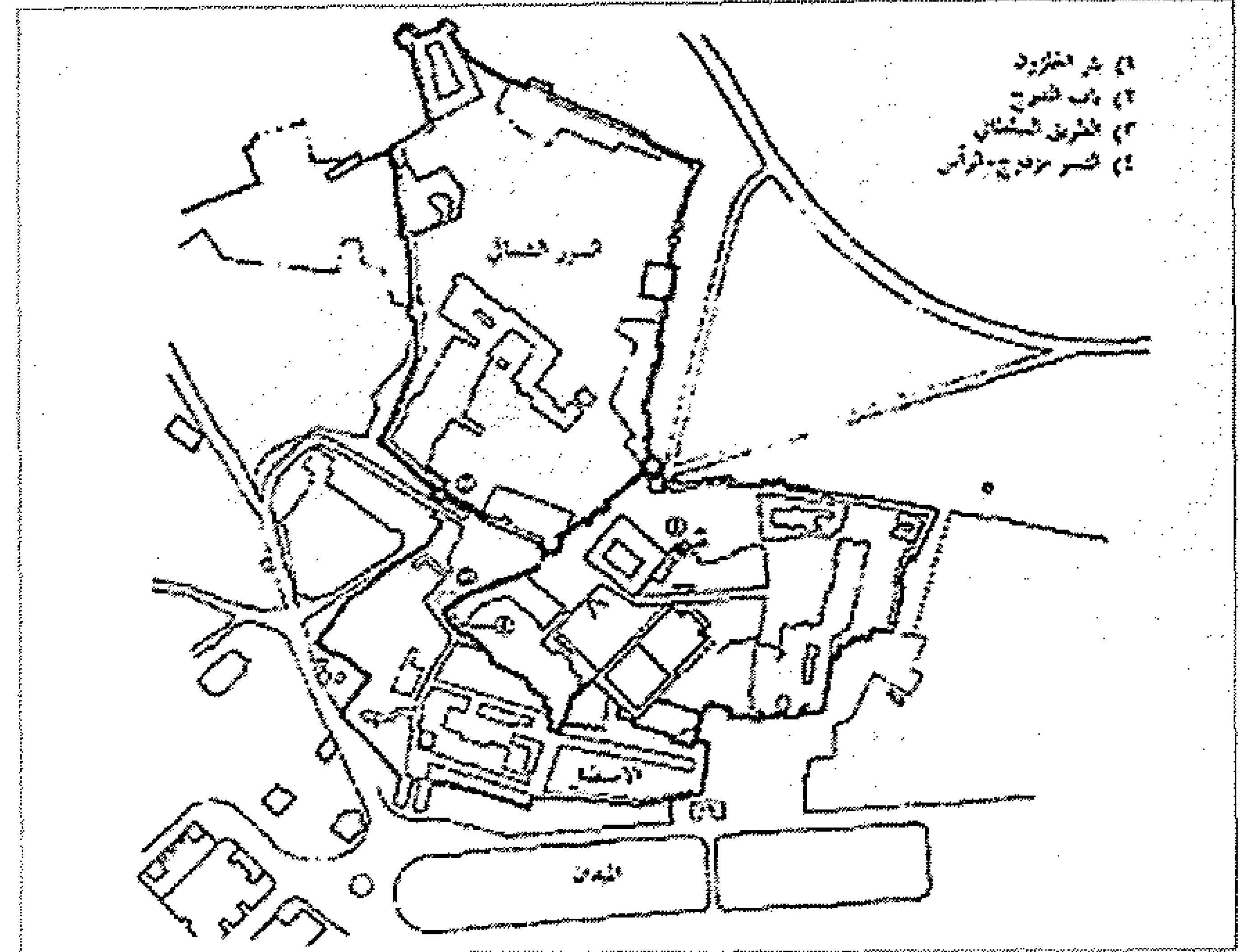
لوحة ٢. قصر عابدين.

كان انتقال مقر الحكم إلى قصر عابدين (لوحة ٢) في قلب المدينة المستحدثة بالعاصمة المصرية، بداية لإعلان سطوة الدولة المعاصرة على المجتمع المدينى، حيث تقوم الدولة بشئون المدينة، ويتوارى دور المجتمع السلطوى إزاء هذا الدور المتعاظم.

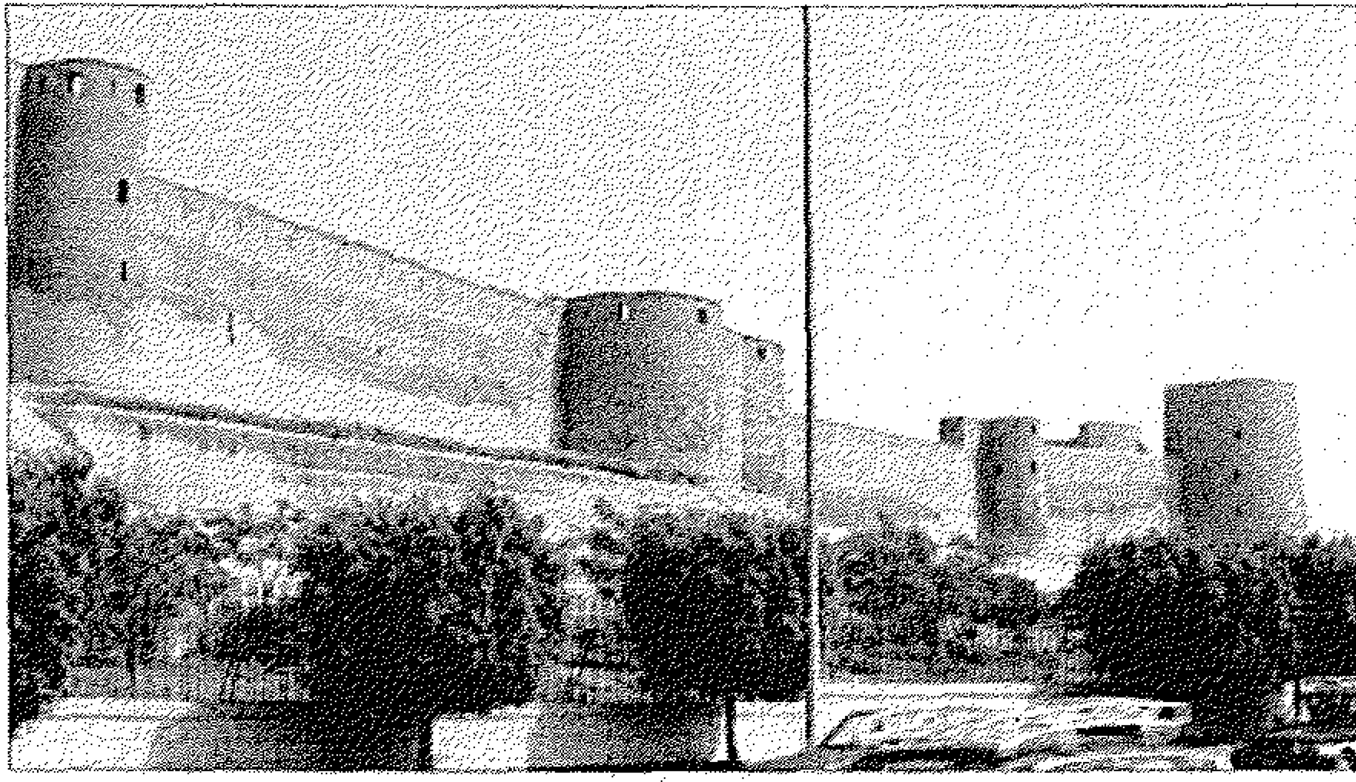
مرت قلعة الجبل (شكل ٦) بمرحلتين أساسيتين، الأولى هي مرحلة التأسيس التى بدأت على يد صلاح الدين وانتهت بانتقال الكامل بن العادل الأيوبى إلى القلعة ليتخذها مقراً لحكمة عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م.[١٤] في هذه المرحلة باتت القلعة تستكمل مقوماتها كحصن حربى ومقر للحكم (لوحة ٣). والمرحلة الثانية تبدأ من عصر الكامل إلى نهاية عصر الناصر محمد بن قلاوون، ونستطيع أن نعتبرها فترة تكوين مقومات القلعة كمقر للحكم، وبعد حكم الناصر لم تضف إلى القلعة منشآت جديدة تدل على تحولات مثيرة، سوى بعض الإضافات والتعديلات والتجديدات خاصة في العصر العثمانى. يبقى عصر محمد على فترة حاسمة في تاريخ القلعة، إذ حدث فيه تغير في التعبير المعمارى كان انعكاساً للوضع السياسي الجديد.

يعد عصر الناصر محمد بن قلاوون عصراً حاسماً في تاريخ القلعة إذ وصلت القلعة في عهده إلى أوج ازدهارها واستكملت مقوماتها كمقر للحكم (شكل ٧). ويعود ذلك لأسباب عديدة على رأسها الإستقرار السياسي الذي شهدتة الفترة الثالثة من حكمه والتى استمرت من ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩ م إلى ٧٤١هـ/ ١٣٤١ م. وهي الفترة التى شهدت العديد من التوسعات والتجديدات لمنشآت القلعة، وكذلك المنشآت الجديدة التى اكتسبت رمزية سلطوية لها مدلولاتها.

تكونت قلعة صلاح الدين من نطاقين رئيسيين هما، النطاق الجنوبى، وهو النطاق السلطانى الذي كان يضم القصور السلطانية ودار العدل والمسجد الجامع. وهذا النطاق كانت أسواره ذات معاملتين، المعاملة الأولى عبارة عن أسوار ذات ممرات تتخللها أبراج، والمعاملة الثانية كانت عبارة عن ستارة حجرية.



شكل ٦. القلعة في العصر الايوبي.

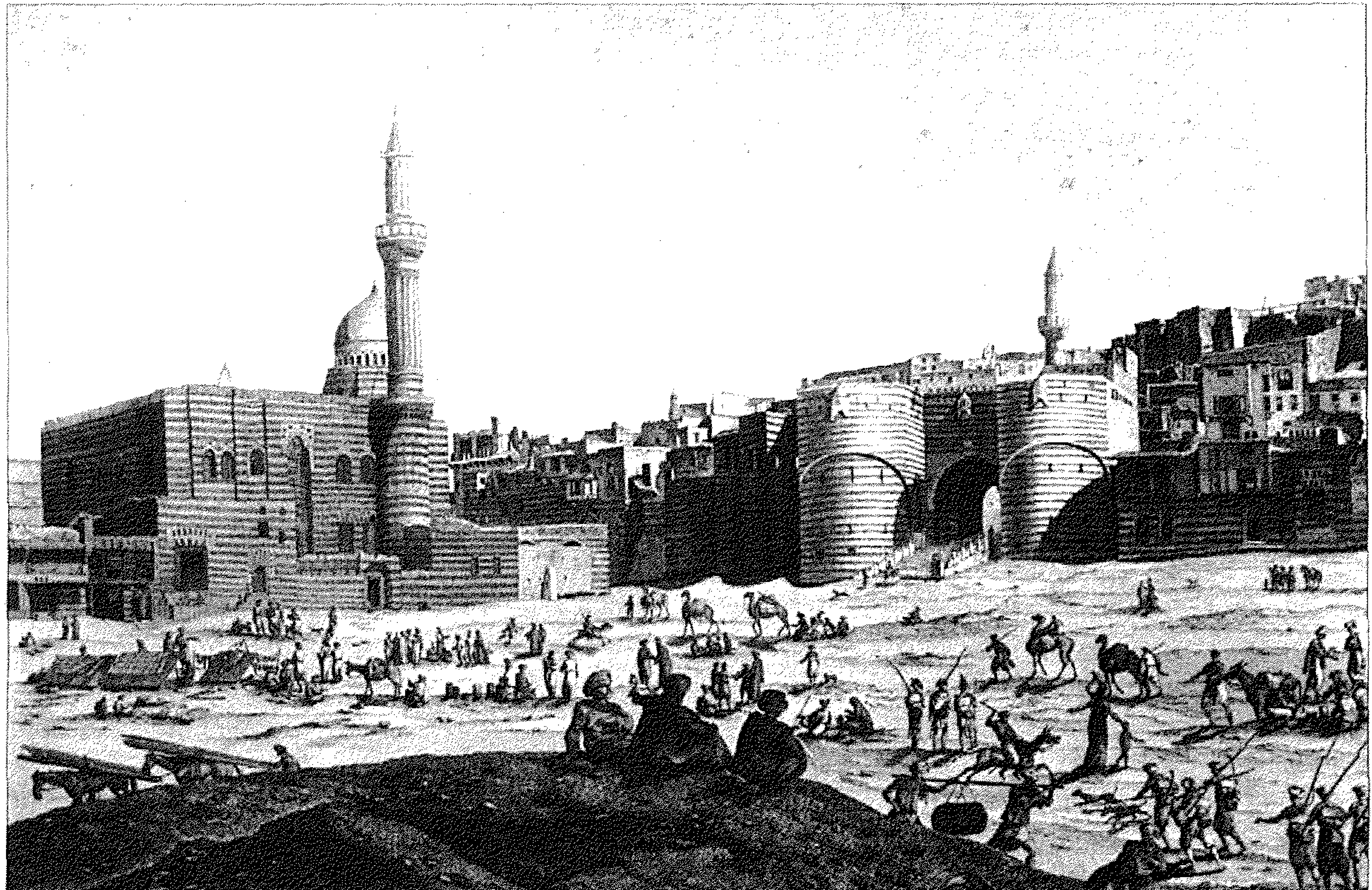


لوحة ٣. أسوار القلعة.

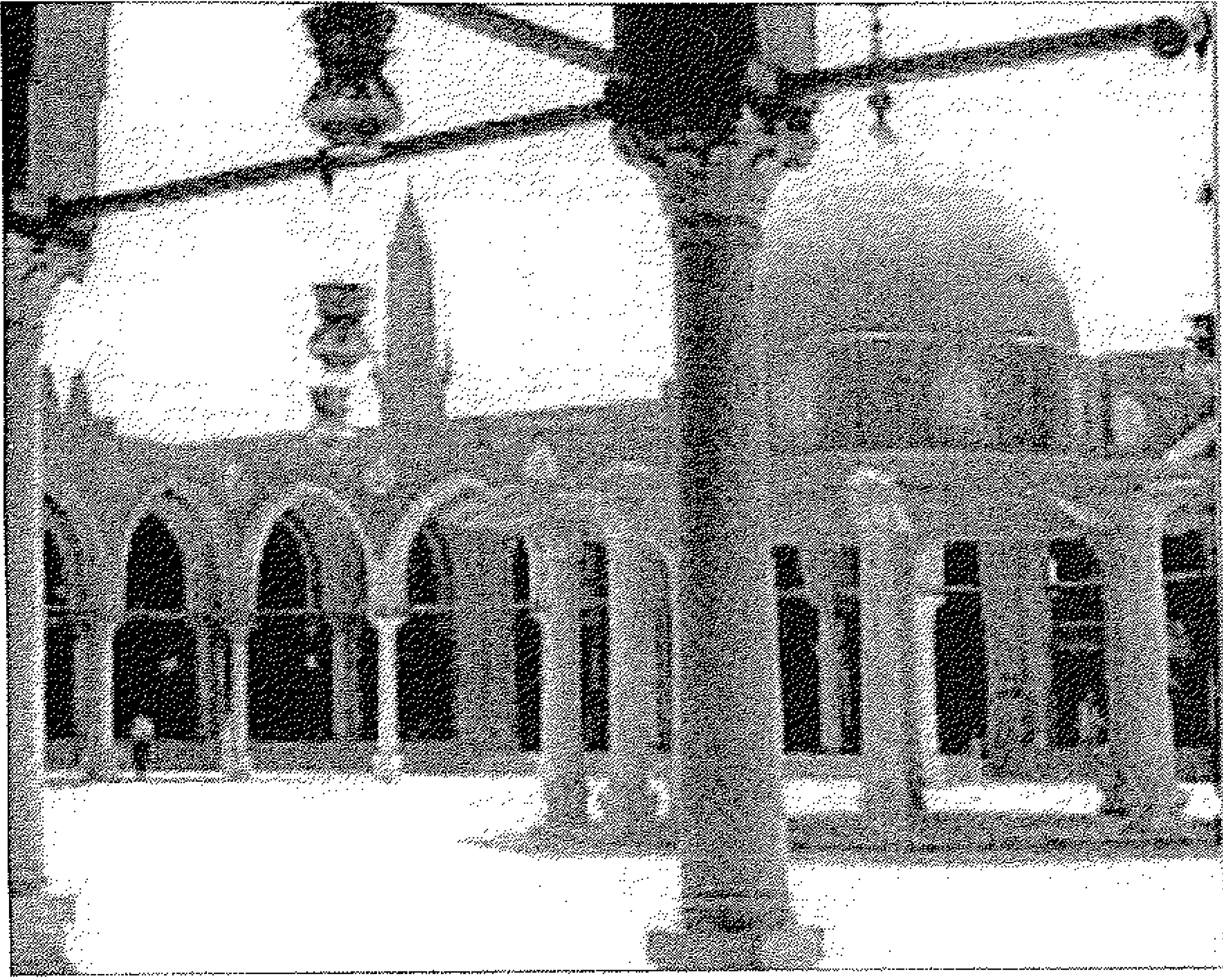


شكل ٧. القلعة في العصر المملوكي البحري.

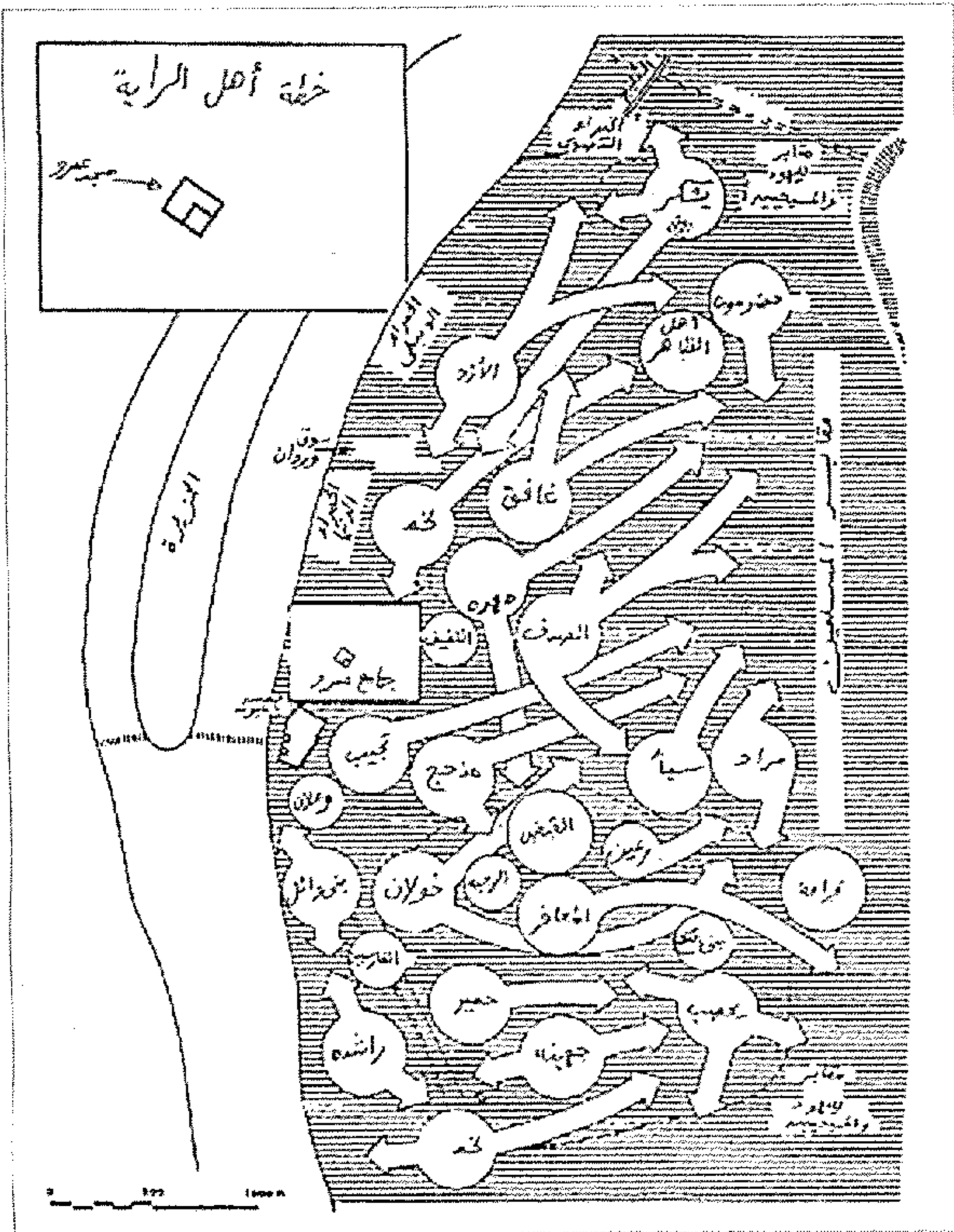
كانت حدود النطاق الجنوبى من القلعة ثابتة منذ العصر الأيوبى، وظلت قصور الإقامة الخاصة بالسلطان وحريمه بلا تغيير منذ عصر الكامل. وزود هذا النطاق في ظل سلطنة بيبرس وقلاوون والأشرف خليل بالعديد من المبانى السلطانية التذكارية. وإن كان هذا النطاق شهد حراكا نحو التوسع في اتجاه الإسطبلات ومن نطاقات القلعة الأخرى الإسطبل والميدان (لوحة ٤). وللقلعة مقومات عدت أساسية بالنسبة لها كمقر للحكم وهي:



لوحة ٤. ميدان الرميلة.



لوحة ٥. مسجد عمرو بن العاص.



شكل ٨. مسجد عمرو بن العاص وخطط الفسطاط.

مساجد القلعة

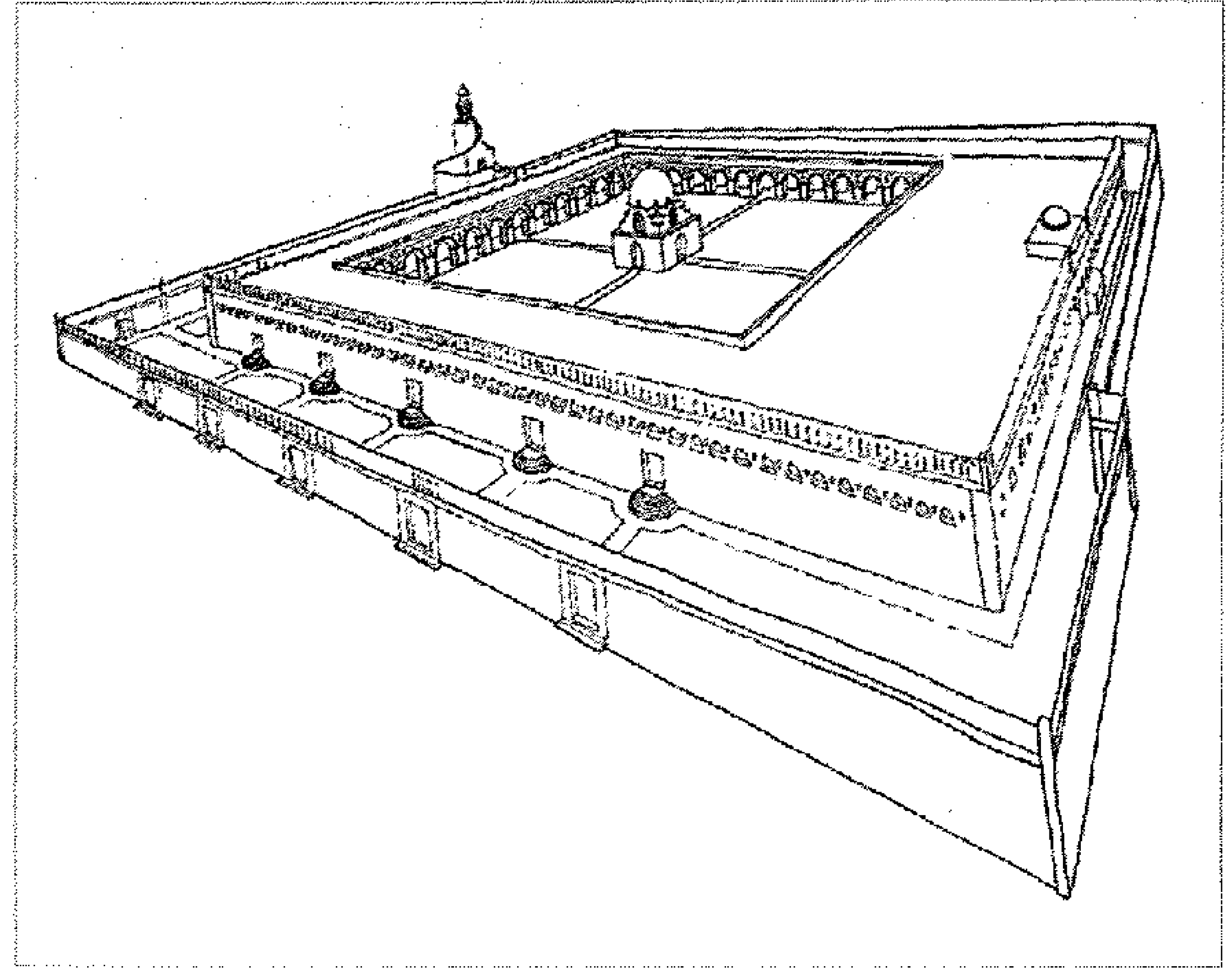
عندما شرع بهاء الدين قراقوش في بناء قلعة صلاح الدين وجد بها عددا من المساجد التى يرجح أنها تعود للعصر الفاطمى، وظلت بعض هذه المساجد قائمة لأداء الصلاة بها، واعتبر مسجد سعد الدولة هو المسجد الجامع بالقلعة. والذي جدده الملك الكامل الأيوبى وخطب فيه الخليفة العباسى بعد توليه الخلافة في عهد الظاهر بيبرس، ولكن هناك جدلية يفرضها وجود المسجد الجامع بالقلعة وكذلك ترك قراقوش المساجد الفاطمية بها، وهي جدلية فقهية ذات طابع سياسي اذ أن المساجد تنقسم إلى عدد من الدرجات، يأتى على رأسها المساجد الجامعة، فمساجد الأحياء أو مساجد الصلوات الخمس، وعد البعض نوعاً آخر من المساجد هو مساجد الطرق أو القوارع. وهي مرتبة من حيث أهميتها في سلسلة هرمية ترتبط بتوزيعها في المدينة ووظيفتها.[١٥]

درجت القواعد على أن يكون بكل مدينة مسجد جامع واحد هو مركز المدينة تأسياً بسنة الرسول ﷺ في مسجده بالمدينة المنورة، وتقام بهذا المسجد صلاة الجمعة التى كان الحاكم يلقى خلالها خطبة جامعة في المسلمين، وحدثت تحولات سياسية منذ العصر الأموي أدت إلى تراجع الحاكم عن إلقاء خطبة الجمعة، وازداد هذا التراجع مع تولى غير العلماء مناصب سلطوية في دول العالم الإسلامي. وبالرغم من وجود مساجد صلوات ومساجد طرق في المدن الإسلامية، الا أن الفقهاء لم يجيزوا صلاة الجمعة إلا في المسجد الجامع للمدينة. كما هو الحال في مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط[١٦] (لوحة ٥).

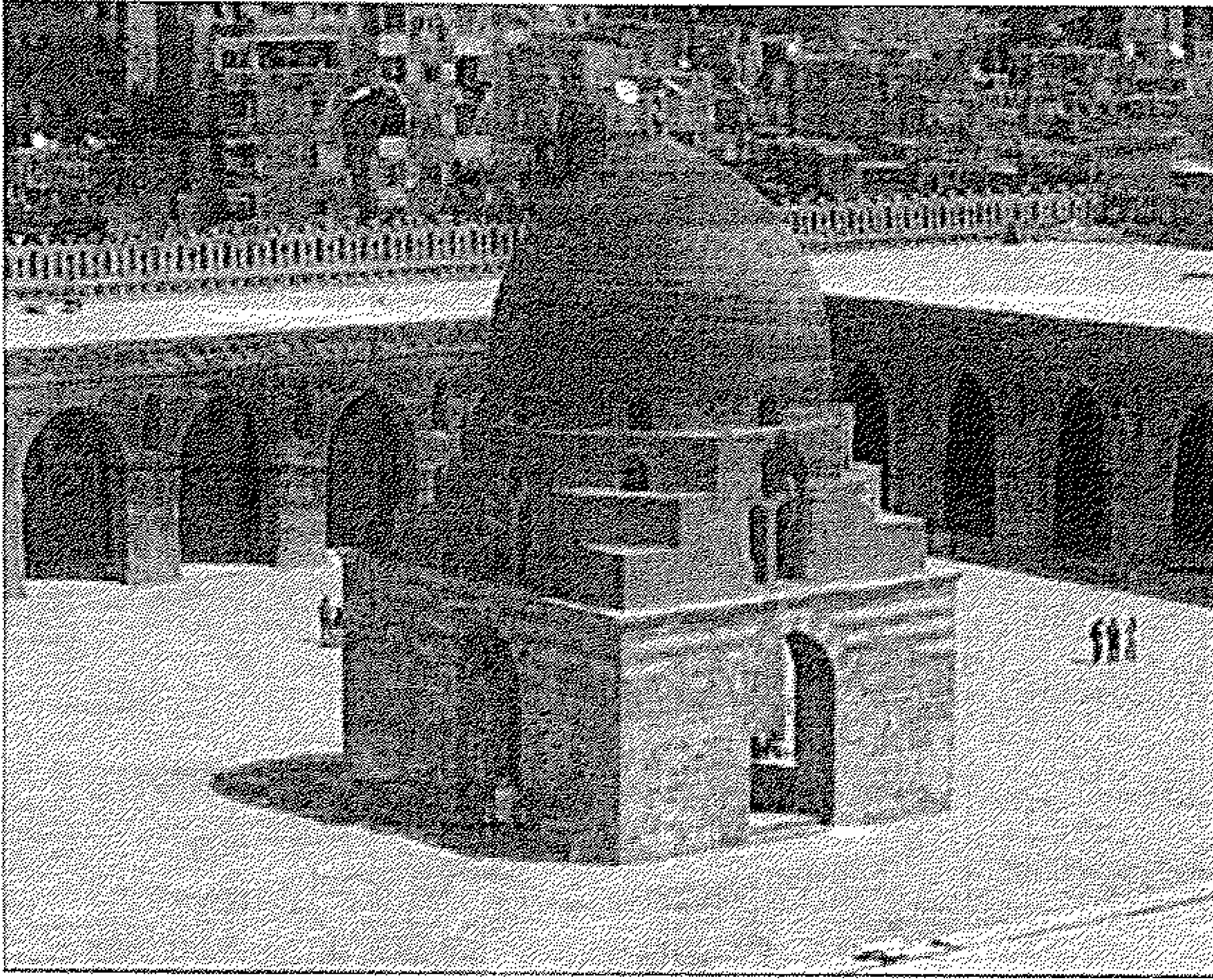
كان المسجد الجامع هو قلب المدينة (شكل ٨)، ولذا حرص أحمد بن طولون عند بنائه مسجده الجامع (شكل ٩) (لوحة ٦) أن يكون على مرتفع منها لكى يكون معلم المدينة الرئيسى، وعلى إتساعه لكى يستطيع أهل المدينة الصلاة فية يوم الجمعة، وعند تأسيس القاهرة احتل مسجدها الجامع الركن الجنوبى الشرقى وهو الجامع الأزهر (شكل ١٠) (لوحة ٧).

وصار المسجد جزءاً من الحصن الفاطمي مقر الحكم الفاطمي في مصر.

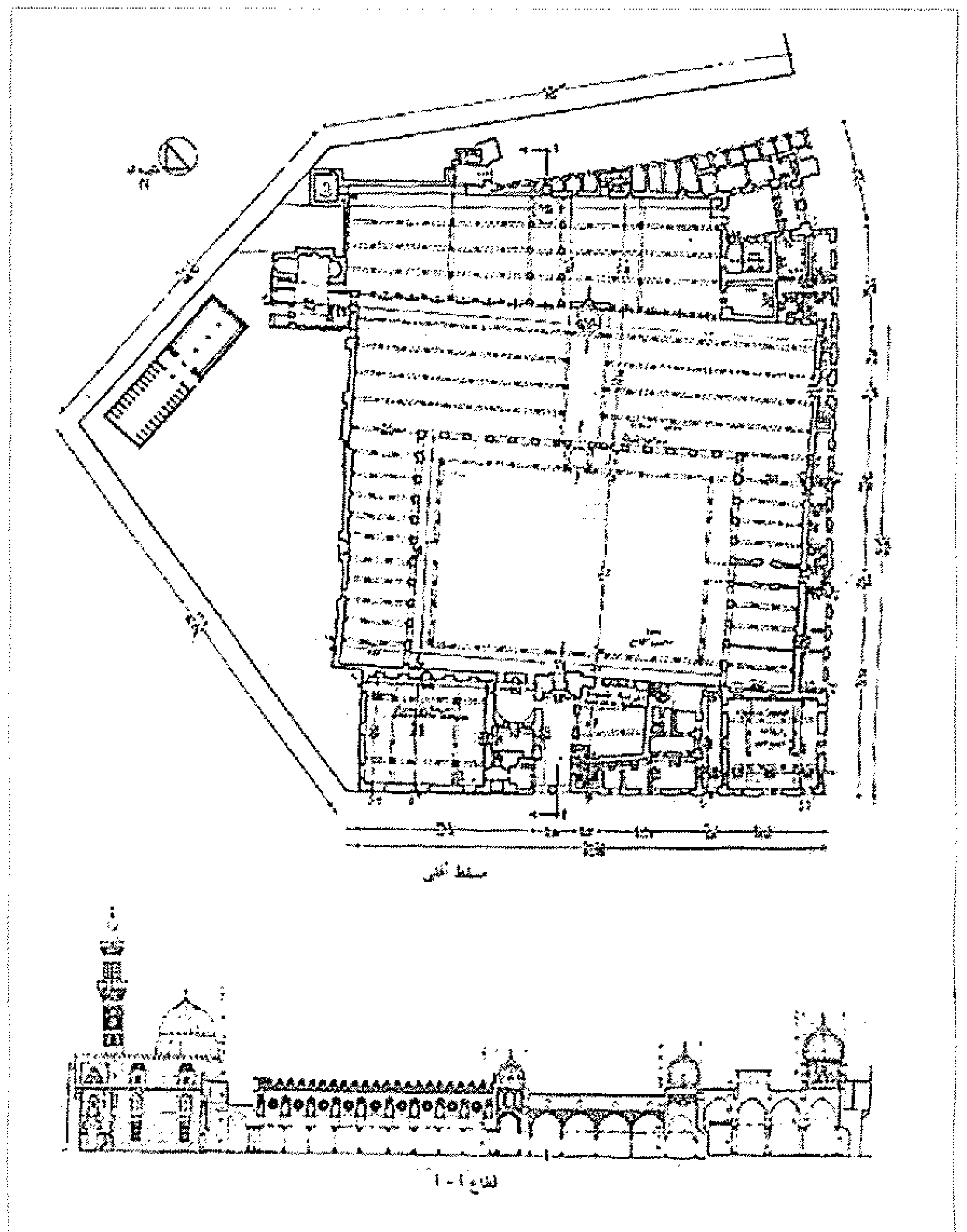
وهو ما يعنى تفكك العلاقة الترابطية بين دار الامارة والمساجد الجامعة. وتحول دار الامارة أو الحصن السلطانى فيما بعد إلى الكل المهيمين على المدينة. وارتبط ذلك أيضاً بتحول في نمطية السلطة إذ أن المساجد الجامعة صارت وظيفتها وظيفة اعلامية، إذ من على المنبر يتم الدعاء لولى الأمر، وكان أول من دعا على المنبر ابن عباس عندما كان والياً على البصرة إذ دعا لعلى بن أبى طالب، وتطور الدعاء من على المنابر بتحول الحياة السياسية من نفوذ الخلفاء والدعاء لهم، إلى الدعاء لهم



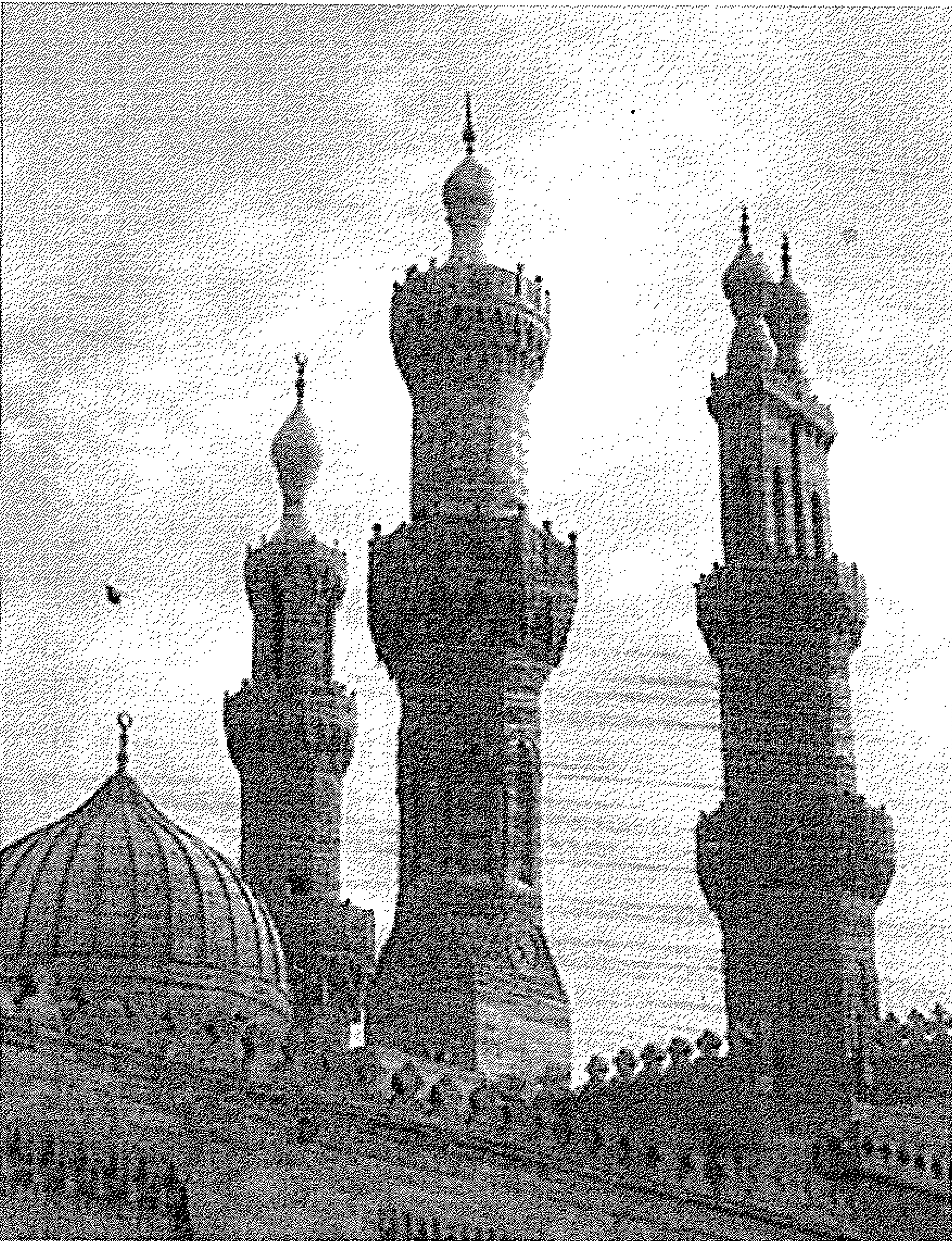
شكل ٩. مسجد أحمد بن طولون.



لوحة ٦. مسجد أحمد بن طولون.



شكل ١٠. الجامع الأزهر.



لوحة ٧. الجامع الأزهر.

وللمتغلبين على السلطة معاً، ثم الدعاء للمتغلبين على السلطة فقط.[١٧] إذ صارت وظيفة الخليفة وظيفة شرفية يكتسب من خلالها المتغلب شرعية الحكم.

وكان عدم الدعاء لسلطان من على المنابر يعنى اسقاطه من العرش بواسطة الخطيب، والدعاء لسلطان يعنى صعوده إلى العرش، وفي العصور الوسطى إكتسب ذلك أهمية متزايدة، نتيجة لأن المساجد الجامعة هي مكان تجمع أهل المدينة في يوم الجمعة، وعد الفقهاء صلاة الجمعة من أركان إقامة الدين.[١٨]

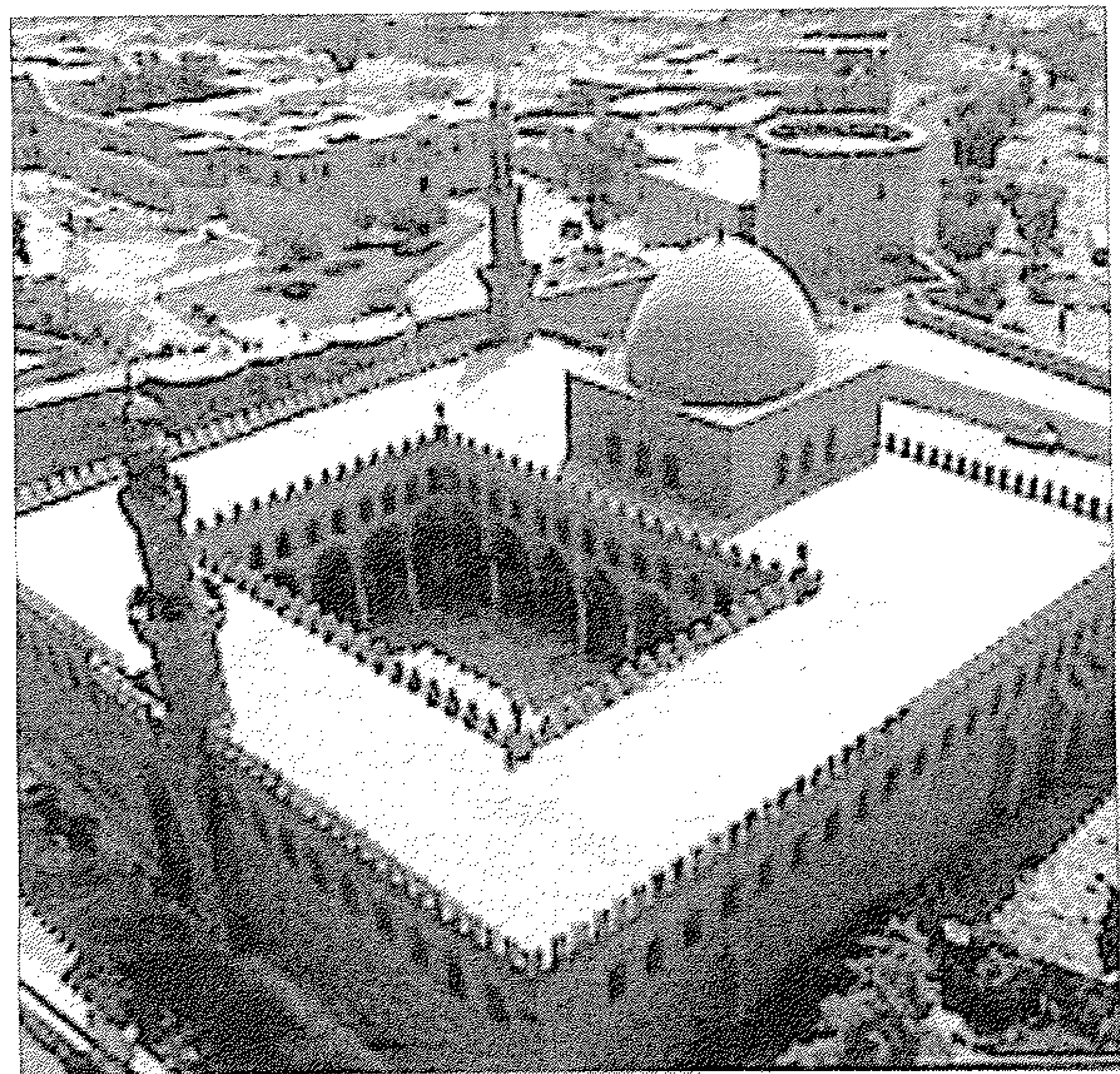
عدت قلعة صلاح الدين مدينة حصناً مستقلة بذاتها تحتاج إلى مسجد جامع، كما كان الحال في كل من الفسطاط التى كان مسجدها الجامع هو مسجد عمرو بن العاص، والقاهرة التى كان مسجدها الجامع هو الجامع الأزهر ثم جامع الحاكم بأمر الله.[١٩]

مسجد الناصر محمد (لوحة ٨)

كان مسجد سعد الدولة هو أكبر مساجد القلعة، ولوقوعه في القسم السلطاني أو في دار السلطنة بالقلعة، فقد تم إختياره كمسجد جامع للقلعة. وقد جدده السلطان الكامل بن العادل. بالإضافة إلى وجود عدد من مساجد الصلوات في أنحاء متفرقة من القلعة.

ومع التوسعات المتلاحقة التي شهدتها القلعة بدءاً من عصر الظاهر بيبرس (لوحة ٩) إلى عصر الناصر محمد بن قلاوون، والتزايد المستمر في أعداد المماليك خاصة المماليك السلطانية، باتت الحاجة ملحة إلى إعادة إنشاء مسجد جامع بالقلعة يكون أكبر حجماً من مسجدها القديم. وهذا ما إتجه إليه الناصر محمد بن قلاوون. حيث قام في عام ٧١٨ هـ/ ١٣١٨ م بهدم الجامع وإعادة إنشائه من جديد، حيث ضم إليه منشآت كانت بجواره، وهي الحوائجخاناة والطشتخاناة والفرشخاناة[٢] وهي منشآت خدمية هدمت لكي يتم زيادة مساحة المسجد، وانتهت عمارة هذا المسجد في أربعة شهور وخمسة وعشرين يوما (شكل ١١، ١٢) (لوحة ١٠).

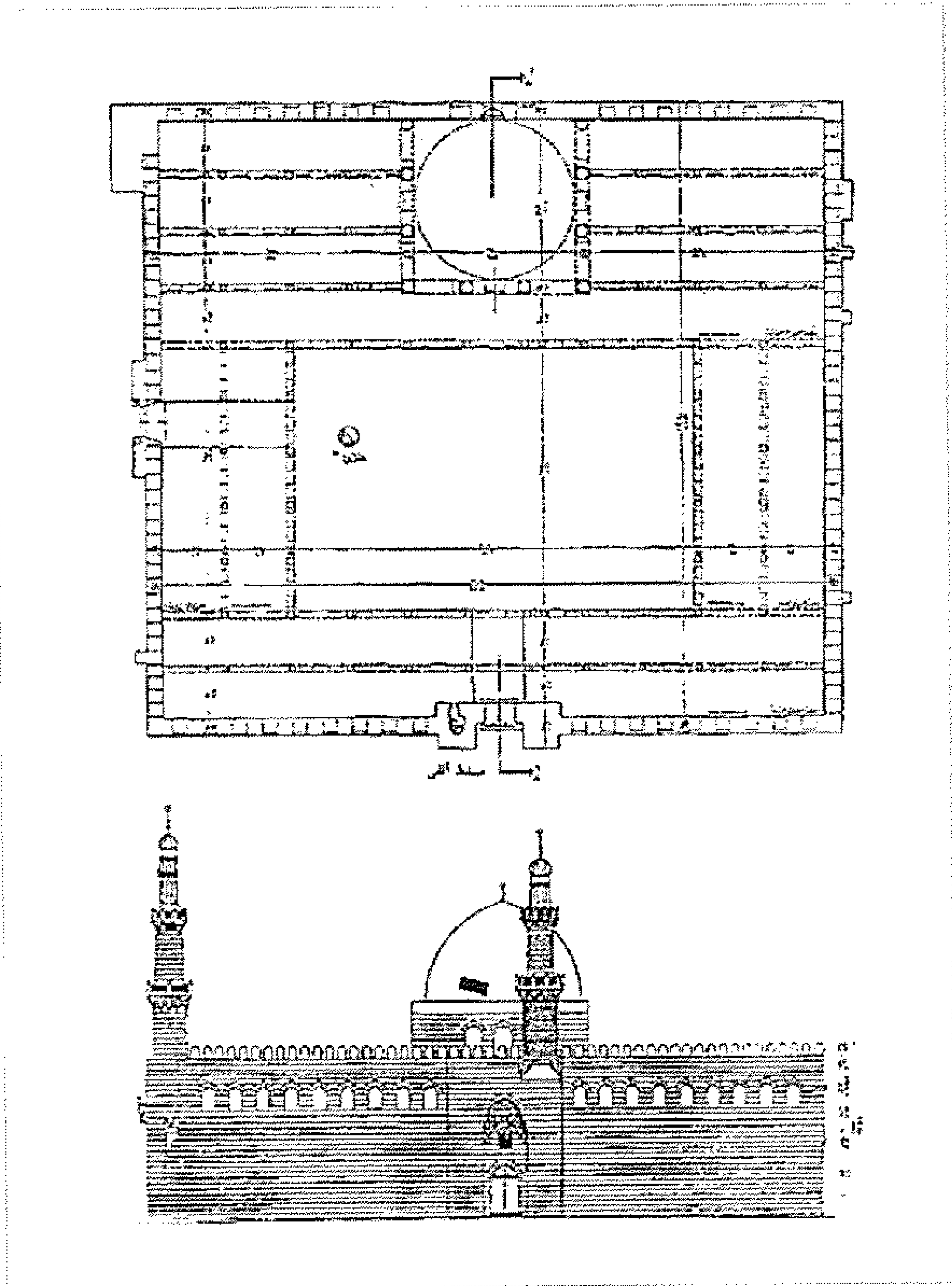
وفي العام ٧٣٥ هـ / ١٣٣٥م شرع الناصر محمد بن قلاوون في تجديد عمارة مسجدة بالقلعة (لوحة ١١)، وجاء هذا القرار في أعقاب الإنتهاء من الإيوان الناصري (شكل ١٣، ١٤) المواجه للمسجد، والذي يبدو من تتبع الربط بين المنشأتين، أن الناصر أراد أن يخلق توازناً معمارياً بينهما، ذلك أن عمارة الإيوان جاءت أكثر إرتفاعاً من المسجد، وتميز عنه بقبته الخضراء العالية.



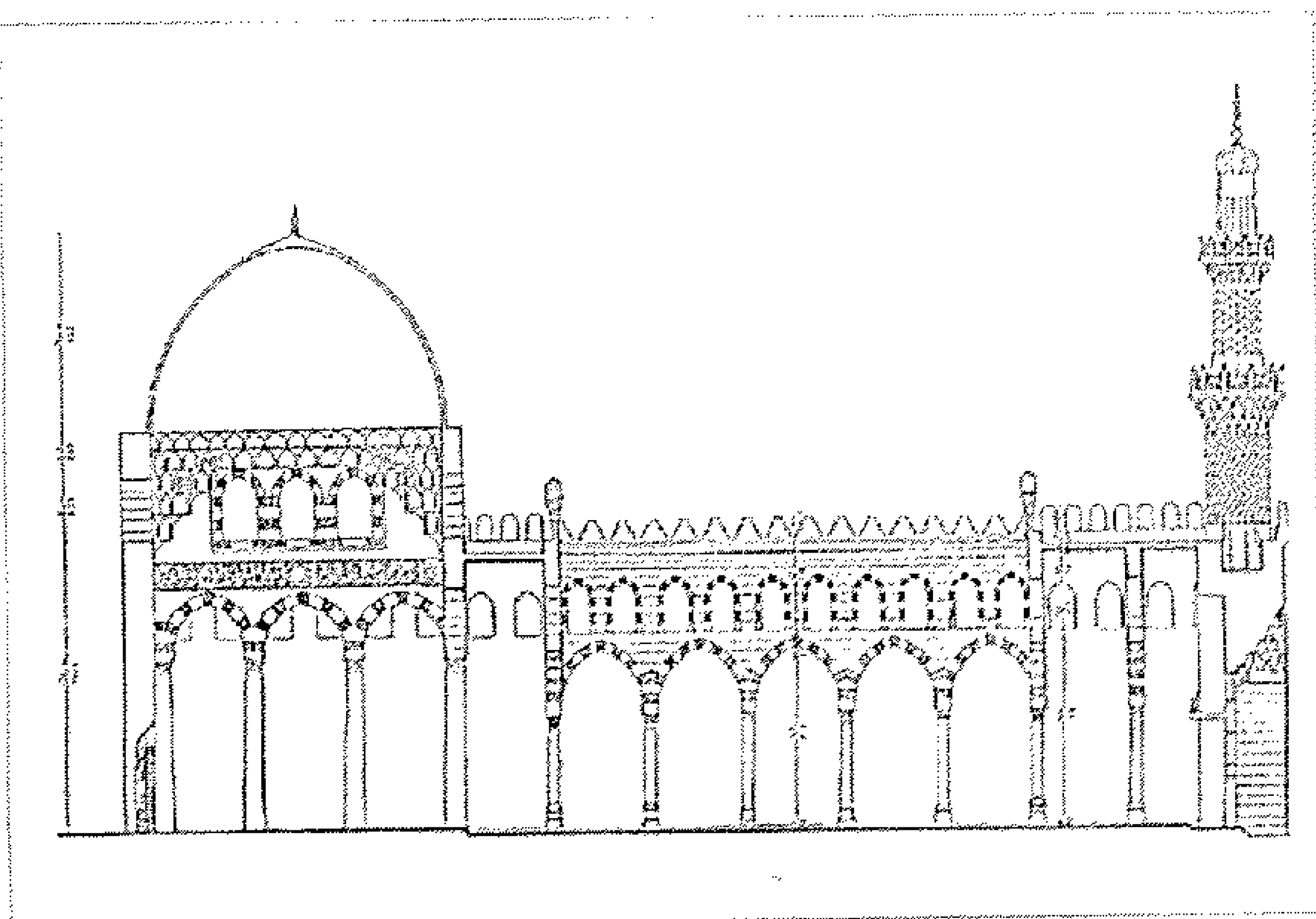
لوحة ٨. مسجد الناصر محمد بن قلاوون.



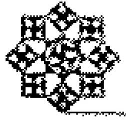
لوحة ٩. الأسد شعار الظاهر بيبرس على منشأت القلعة.

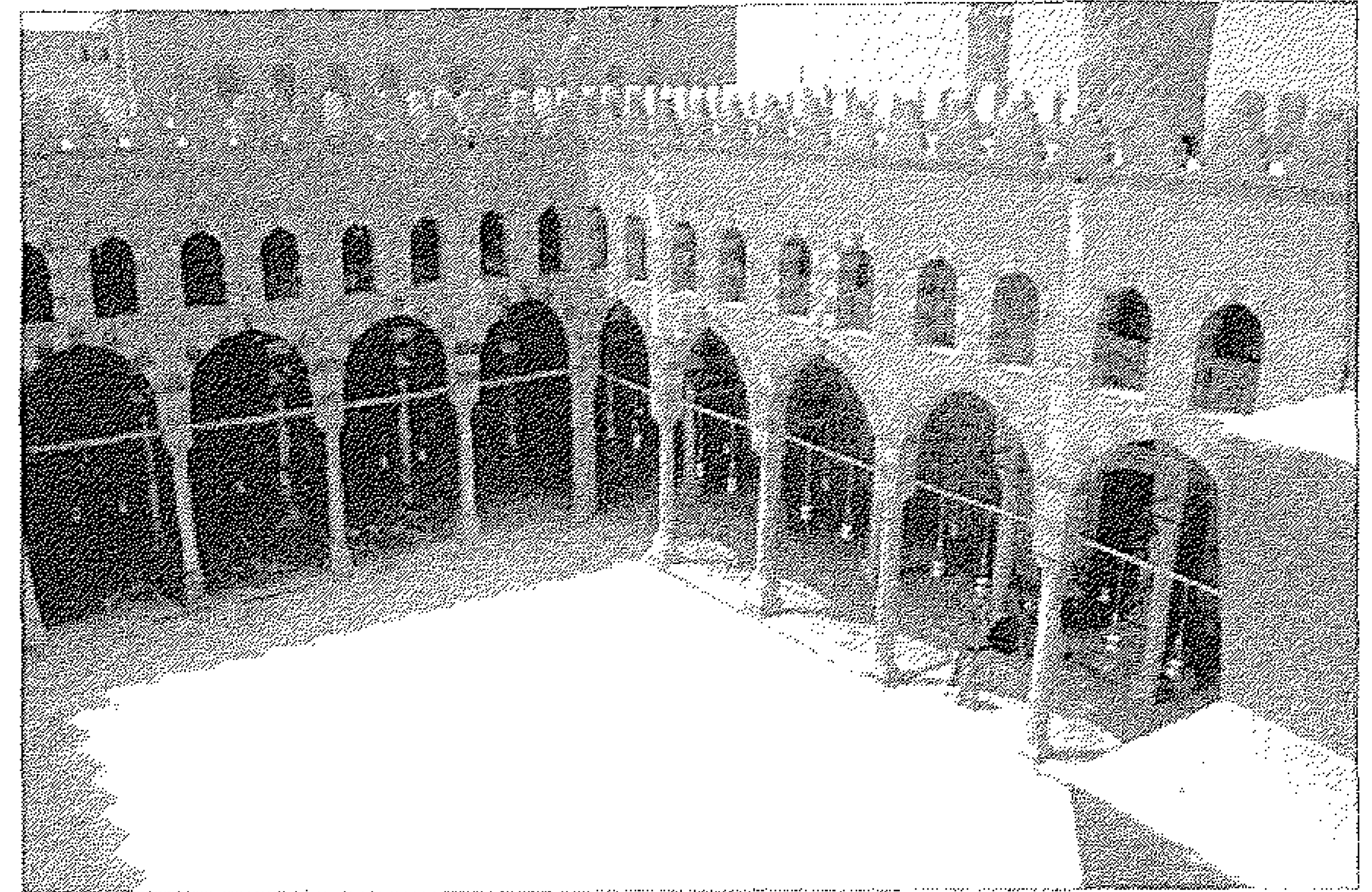


شكل ١١. مسجد الناصر محمد - مسقط أفقي ورأسي.

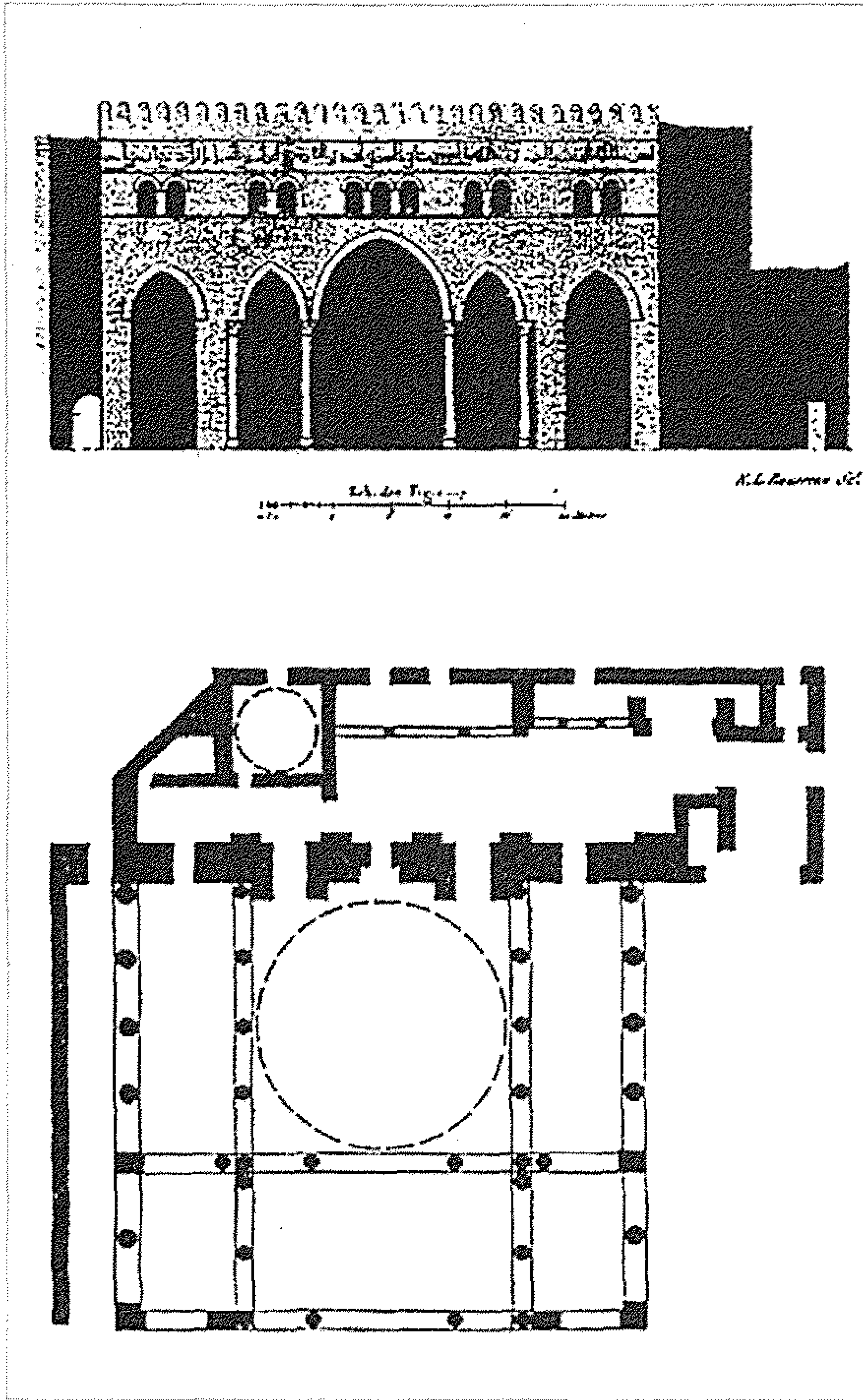


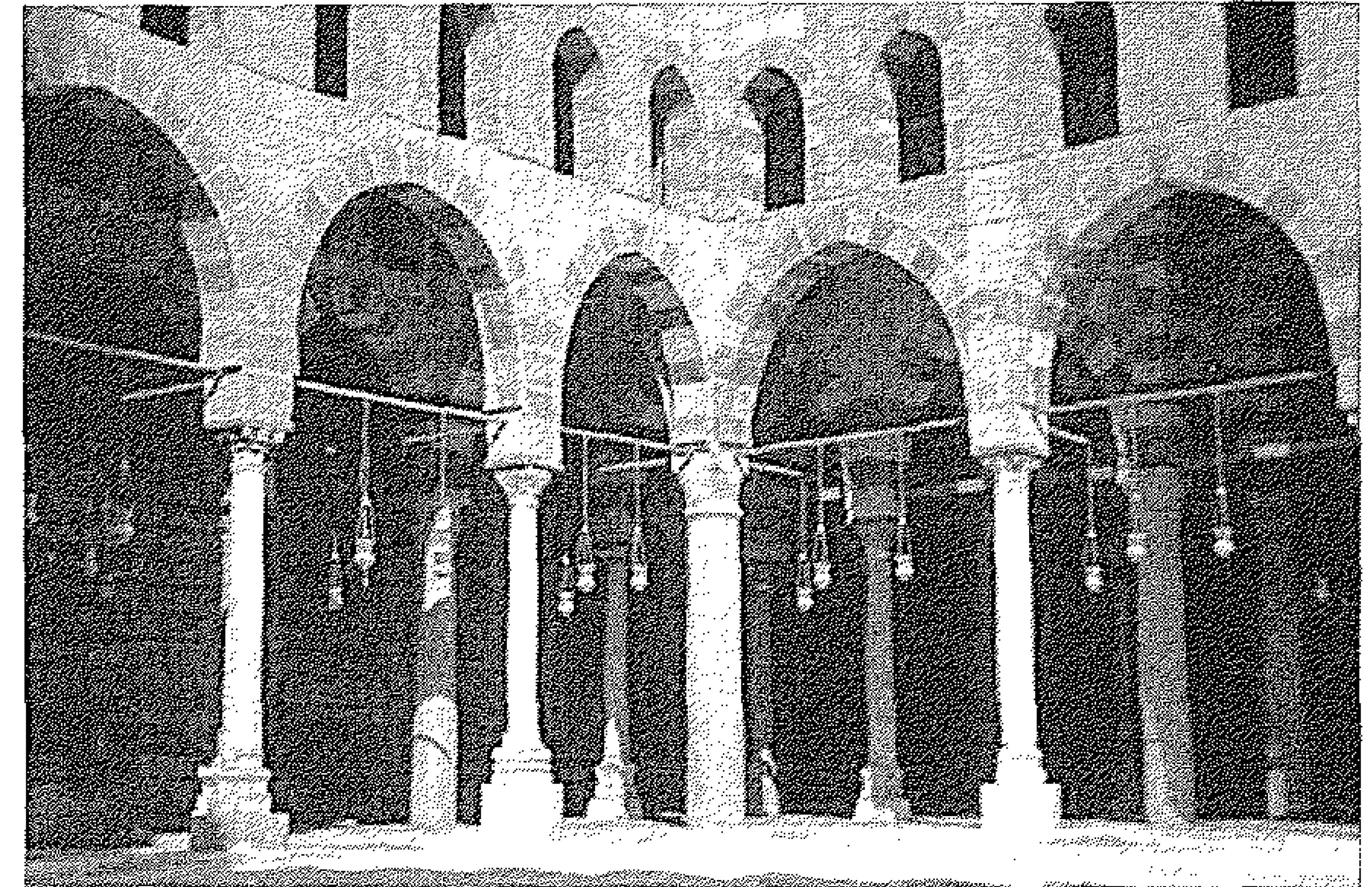
شكل ١٢. مسجد الناصر محمد - قطاع رأسي.





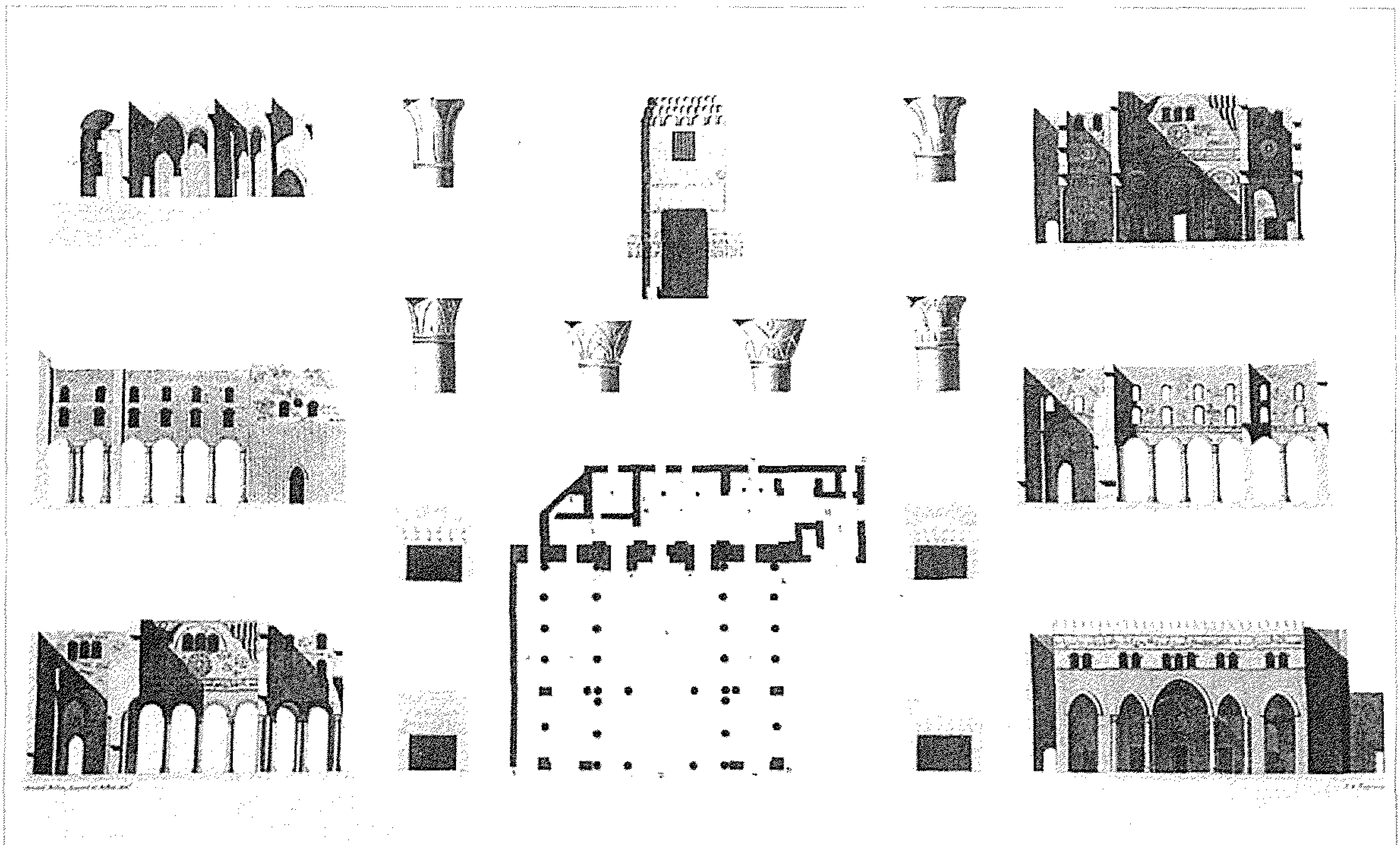
لوحة ١٠. مسجد الناصر محمد من الداخل.





لوحة ١١. مسجد الناصر محمد بن قلاوون- واجهة إيوان القبلة.

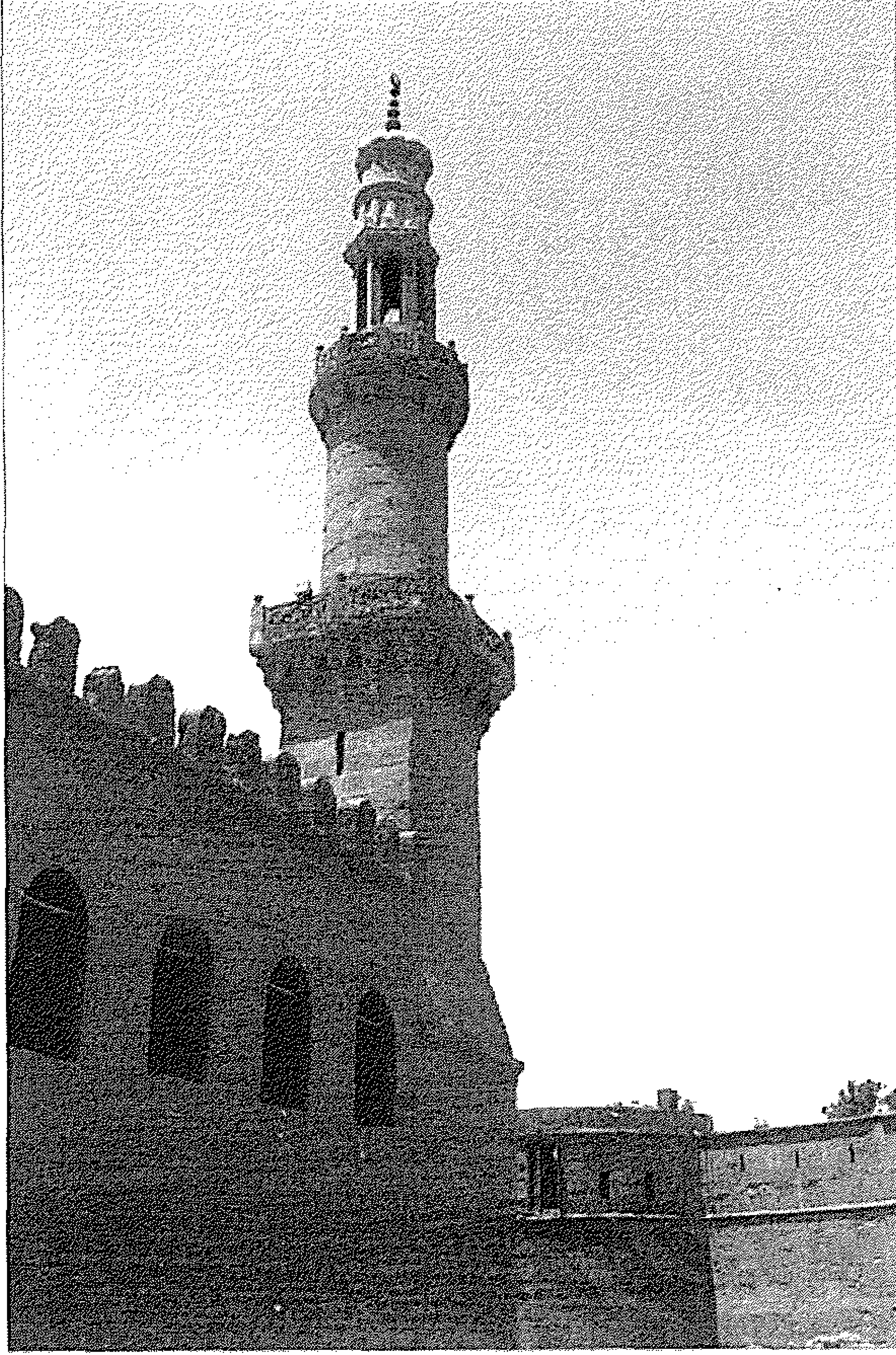
شكل ١٣. تخطيط الإيوان الناصري وواجهته.



شكل ١٤. تفاصيل من الإيوان الناصري.

ويحدد لنا الدوادارى ما أحدثه الناصر في مسجده فيذكر 'أنه برزت المراسم الشرفية بهدم الجامع الذي أنشأه مولانا السلطان عز نصره بالقلعة المحروسة، وأن يجدد بنايته فهدم ما كان من داخله من الرواقات والمقصورة والمحراب، وجدد بنايته ما لم تر العين أحسن منه وأعلى قناطر الرواقات إعلاءاً شاهقاً، وكذلك القبة أعلاها حتى عادت في ارتفاع، وأحضر لهذا الجامع أعمدة عظيمة كانت منسية بمدينة الأشمونين بالوجة القبلى من أعمال الديار المصرية، وكانت هذه الأعمدة في البرايا التى بمدينة الأشمونين'[٢١] هذه الخطة التي ذكرها الدوادارى توضح أن الهدم لم يشمل مداخل المسجد ولا المآذن ولا الجدران الخارجية، ويبدو أنه قد تم هدم السقف وبعض الأروقة. ويظهر رفع الجدران بوضوح في المدخل الشمالى الشرقى الذي يعلوه صف من النوافذ حالياً، بينما كان المدخل قبل إجراء هذة الإضافات يصل إرتفاعه إلى الشرفات المسننة التى تعلوه حالياً (لوحة ١٢) وكذلك في المئذنتين التى يتضح أن جدران المسجد إرتفعت عنهما (لوحة ١٣) وهذا يبين لنا سبب وجود صفوف من العقود الحجرية تعلو البائكات المطلة على صحن المسجد والتى أضيفت في التجديد الأخير للناصر. أما القبة الخضراء (لوحة ١٤) التى تتقدم المحراب فقصد بها أن تعادل قبة الإيوان الناصرى.

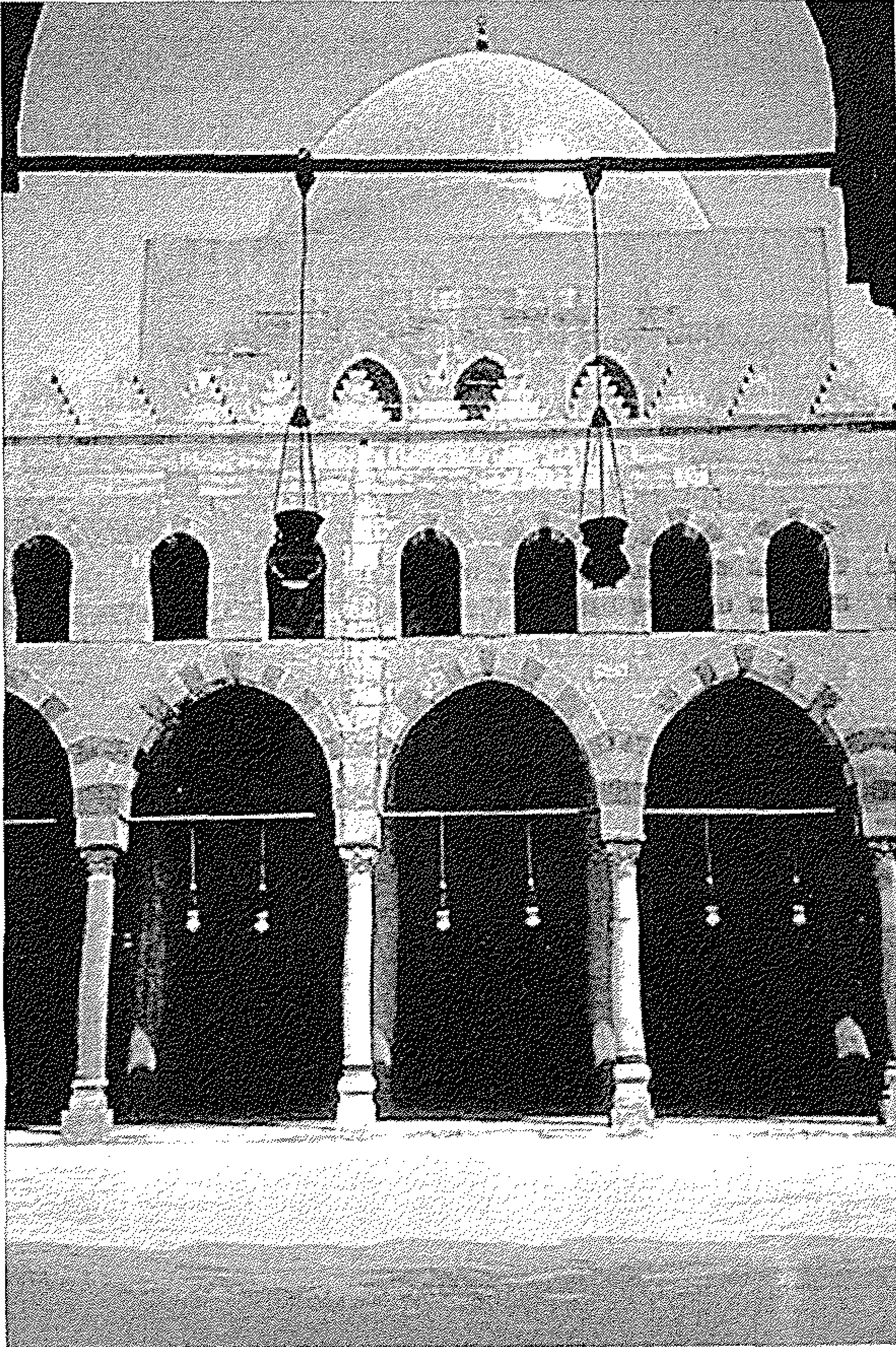
وهناك نقطتان هامتان: الأولى هي موقع المئذنتين ذلك أن مهندس المسجد اختاره بعناية، اذ تواجه إحداهما الإيوان أو قاعة العرش، وهي بذلك توجه نداء الصلاة إلى الموجودين فيه، والأخرى موجهة إلى طباق المماليك في النطاق الشمالى، وبذلك يكون المسجد هو المهيمن على المكان، ومتتبع موقع المآذن وقبة المحراب من جهة القرافة والمقطم سيجد أنهما من المنشأت المهيمنة بصرياً على القلعة.



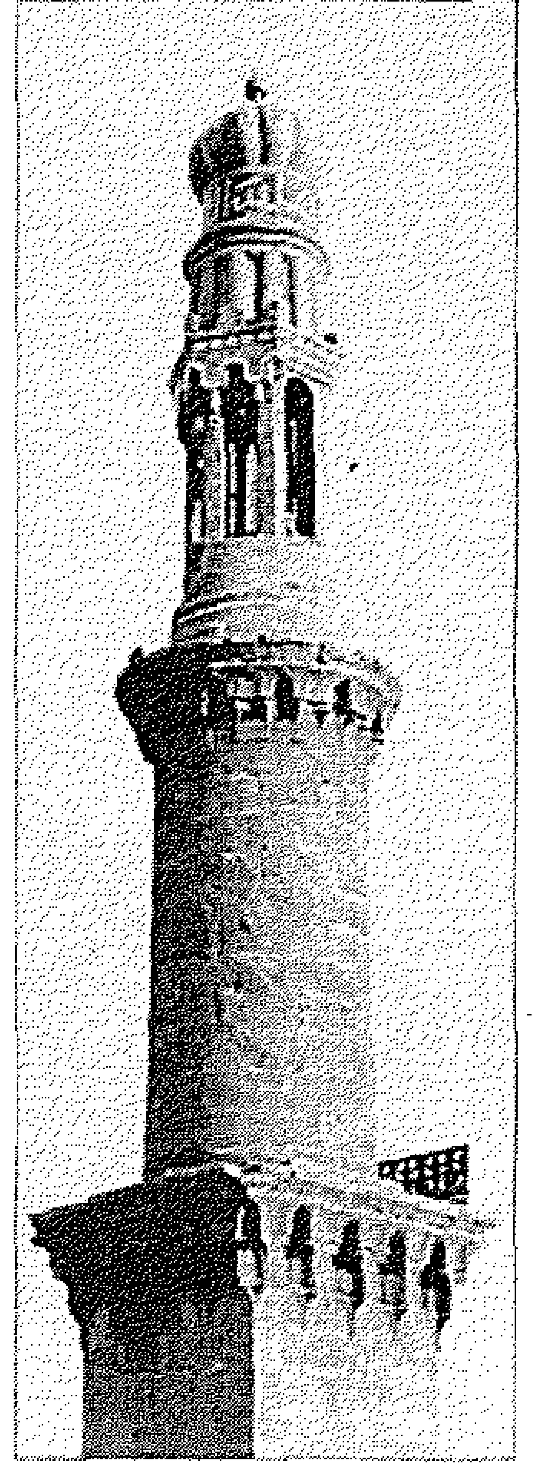
لوحة ١٣. شراريف مسجد الناصر محمد بن قلاوون.



لوحة ١٢. مدخل مسجد الناصر محمد بن قلاوون.

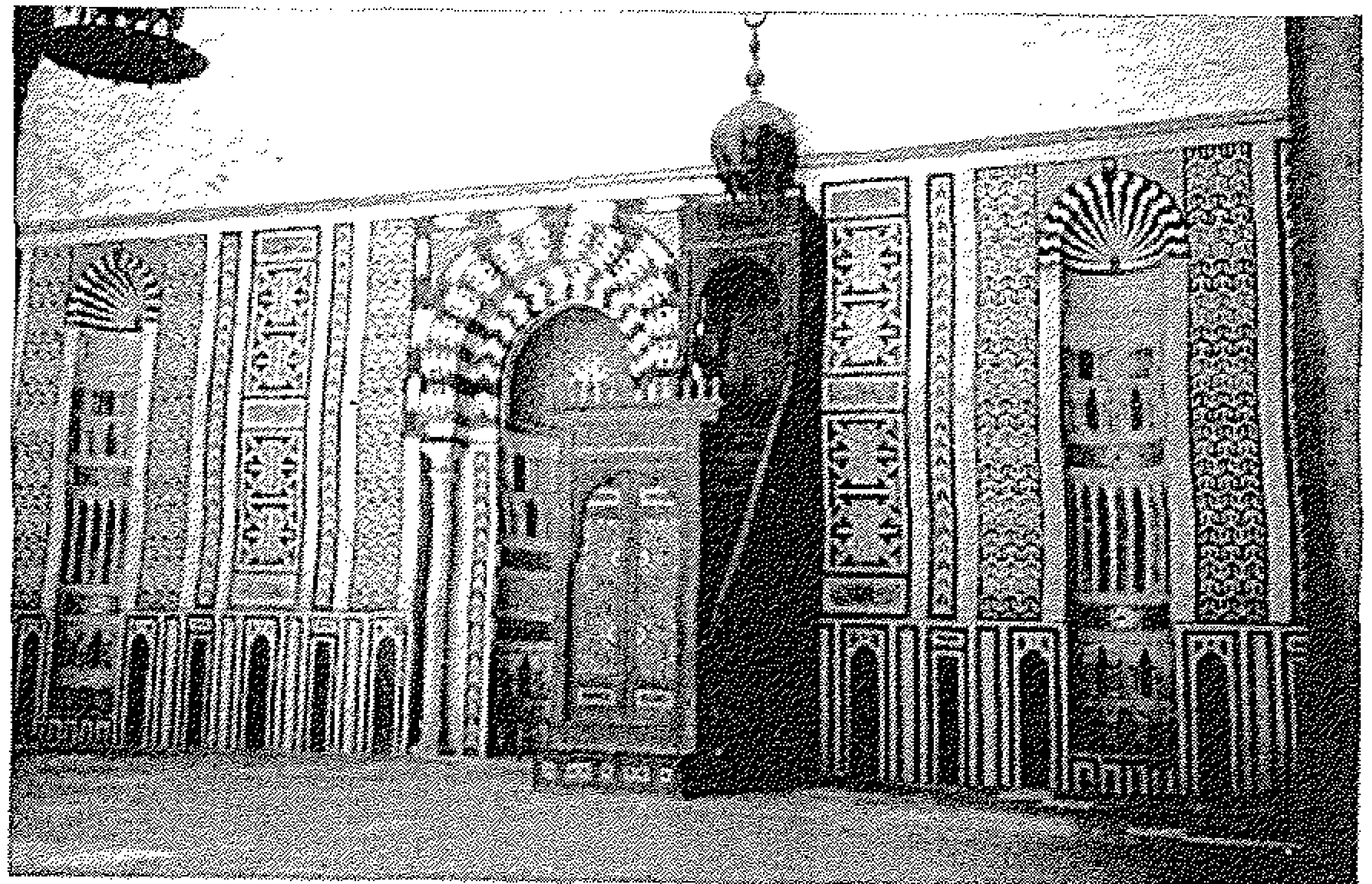


لوحة ١٤. القبة الخضراء لمسجد الناصر محمد بن قلاوون.


لوحة ١٥. إحدي مآذن مسجد الناصر محمد.

والمئذنتان بطرازهما الغريب لفتتا الانتباه إلى كونهما متأثرتين، بطرز مآذن شرق العالم الإسلامي خاصة مآذن تبريز. وتشبهان مئذنة على شاه بتبريز، ويبدو أن مئذنتي مسجد قوصون كلتاهما شيدتا على هذا الطراز[٢٢] وأراد الناصر أن تكون مئذنتا مسجده على هذا الطراز، فكلف المعلم التبريزى الذي شيد مئذنة قوصون بتشييد مئذنتي مسجده، ويذكر أن الأمير أيتمش أرسله الناصر محمد إلى خان الأزبك وأحضر معه معلم تبريزى، شيد مئذنتي قوصون ومئذنة في مسجد بإقطاعية أيتمش. يظهر التأثير التبريزى في مئذنتا الناصر بشكل خاص في الشريط الكتابى من القاشانى وفي قمتى المئذنتين ذواتى بلاطات القاشانى الخضراء (لوحة ١٥).[٢٣]

ـ والنقطة الثانية هي المقصورة التى كانت بالمسجد، والتى أشار اليها المؤرخون، وكانت تقع بجوار المنبر (لوحة ١٦)، ويصلى فيها يوم الجمعة السلطان وخاصتة.[٢٤] كان ظهور المقاصير راجعاً لأسباب أمنية تتعلق بأمن الخليفة أو السلطان، حيث قتل اثنان من خلفاء المسلمين أثناء الصلاة في المسجد وهما عمر بن الخطاب وعلي بن أبى طالب، ومنذ ذلك الحين أصبح هاجس الأمن ملحاً، ولم تعد شخصية الحاكم في صورتها البسيطة المتحدة في شخصية الرسول وخلفائه الأربعة، تتناسب مع طبيعة دولة مركبة الادارة متسعة الأرجاء ومتنوعة السكان والديانات. ولذا اتخذت المقاصير لحماية شخص الحاكم، وكان أول من


لوحة ١٦. محراب ومنبر جامع الناصر محمد.

اتخذها مروان بن الحكم، حين طعنه اليمانى، ومعاوية بن أبى سفيان حين ضربه الخارجى، وهي هنا ضرورة أمنية، غير أن بعض الحكام اتخذها كوسيلة من وسائل الترفع والتباهي، وهو ما دفع الفقهاء خاصة ابن الحاج إلى عقد فصل في مفاسد المقاصير.[٢٥] ورأى الفقهاء أنها بدعة محدثة تقطع صفوف الصلاة وتؤدى إلى تمايز بين المصلين وكرهوا الصلاة فيها.[٢٦] ويرى ابن الأزرق وهو فقيه ومتخصص في السياسة الشرعية أنه يجوز إتخاذها بشرط ألا تقطع الصف الأول إلا لضروره.[٢٧] ورأى ابن الأزرق يمثل استيعاب الفقهاء للضرورات التى تتعلق بالحكم، وما قد يتعرض له في حال تكرار اغتيال الحكام أثناء الصلاة، وكان الناصر محمد بن قلاوون يدخل إلى مقصورة مسجده من باب صغير يقع في آخر الجدار الجنوبى، ويفتح مباشرة على ظلة القبلة، وبالتالى يؤدى إلى المقصورة هناك، وفي سنة ٧٣٤ هـ / ١٣٢٣م وثب شخص أعجمى وفي يده سكين، وقصد المقصورة السلطانية فأمسك في وقته.[٢٨] وتوضح هذه الواقعة – وغيرها كثير – مدى أهمية عنصر المقصورة، الذي أصبح وجوده يرتبط بأمن الحاكم وإن اختلفت أشكاله.[٢٩] ويسترعى الإنتباه في هذا المسجد عدم إلحاق ضريح به، وهذا يعود إلى كونه المسجد الرسمى للدولة، وبالتالى لا يخص السلطان فاتجه الناصر إلى إنشاء ضريح له خارج القلعة، ولعل ذلك من الأسباب التى كفلت استمرار المسجد في أداء وظيفته دون تجديدات واسعة أو هدم حتى عصر محمد على.

كان للمسجد صبغة رسمية، فقد ذكر لنا كل من العمرى والقلقشندى[٣٠] هيئة صلاة الجمعة به فالعمرى يذكر 'أن هذا السلطان – الناصر محمد- يخرج أيام الجمع إلى الجامع المجاور لقصره في القلعة، ومعه خاصة الأمراء، وتجيء بقية الأمراء من باب آخر للجامع. أما السلطان فيصلى على يمين المحراب في مقصورة خاصة، ويجلس عنده أكابر خاصتة، ويصلى معه الأمراء – خاصتهم وعامتهم – خارج المقصورة عن يمنتها ويسرتها على مراتبهم، فاذا سمع الخطبة وصلى صلاة الجمعة دخل إلى قصوره..... وتفرق كل واحد إلى مكانه'.

وكان المسجد يستخدم أيضا في صلاة العيدين في بعض الأحيان نتيجة لإضطراب أحوال الدولة المملوكية، كما حدث حين نقل الظاهر برقوق الصلاة إلى مسجد القلعة.[٣١]

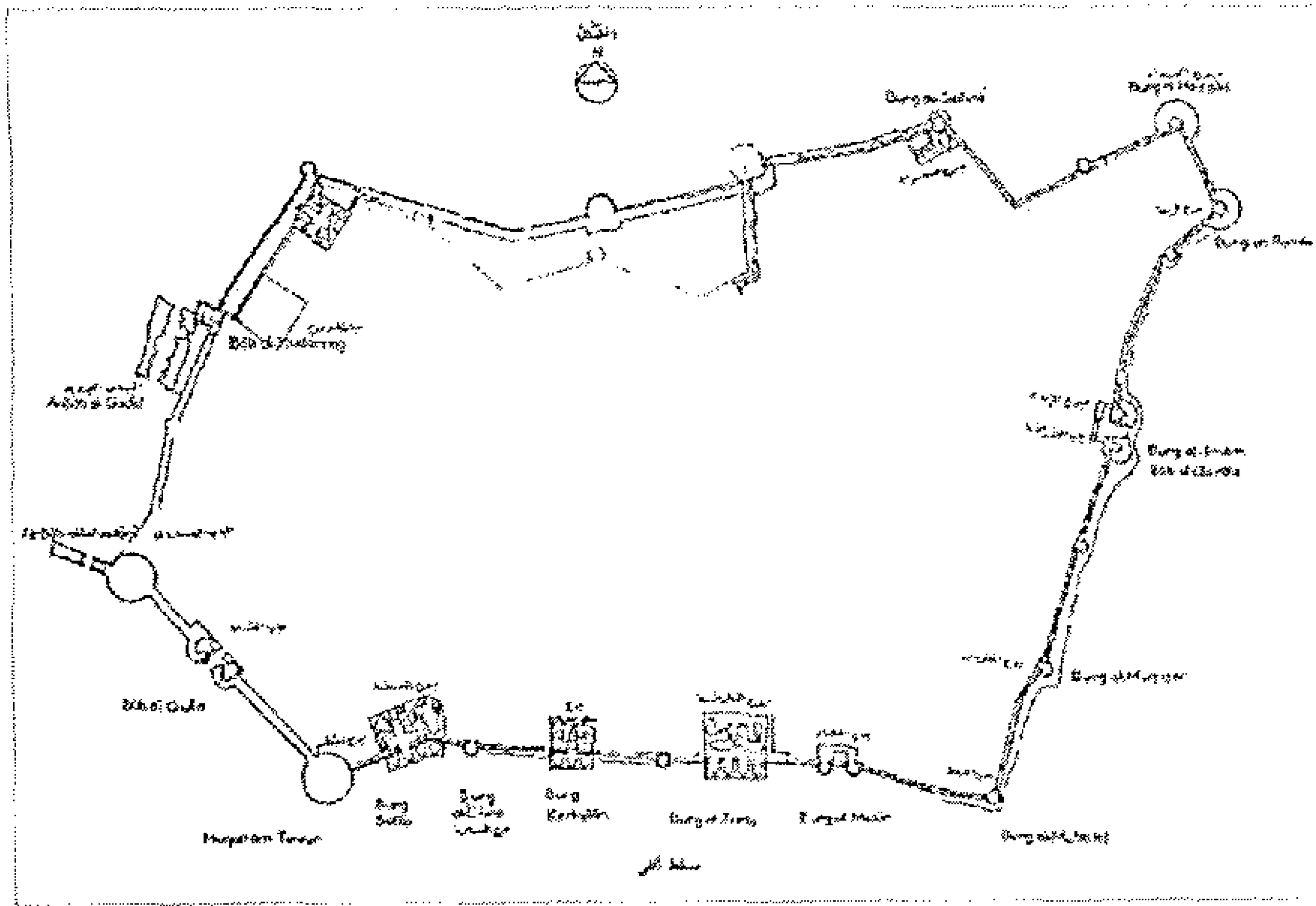
جامع سارية الجبل (لوحة ١٧)

يقع هذا المسجد بالنطاق الشمالى للقلعة (شكل ١٥)، في الجهة الشمالية الشرقية، وهو أحد المساجد الفاطمية التى وجدها قراقوش عند تأسيس القلعة، ولم يهدمه وإنما أدخله ضمن نطاقها، ليكون أحد المساجد التى تؤدى بها الصلوات الخمس، شيد هذا المسجد أبو المنصور قسطه، وينزل إلى مدفن قسطه الذي لم يزل قائماً بعدة درجات، ويوجد فوق مدخله نص تأسيس مؤرخ بسنة ٥٣٥ هـ/ ١١٤٠م.[٣٢]

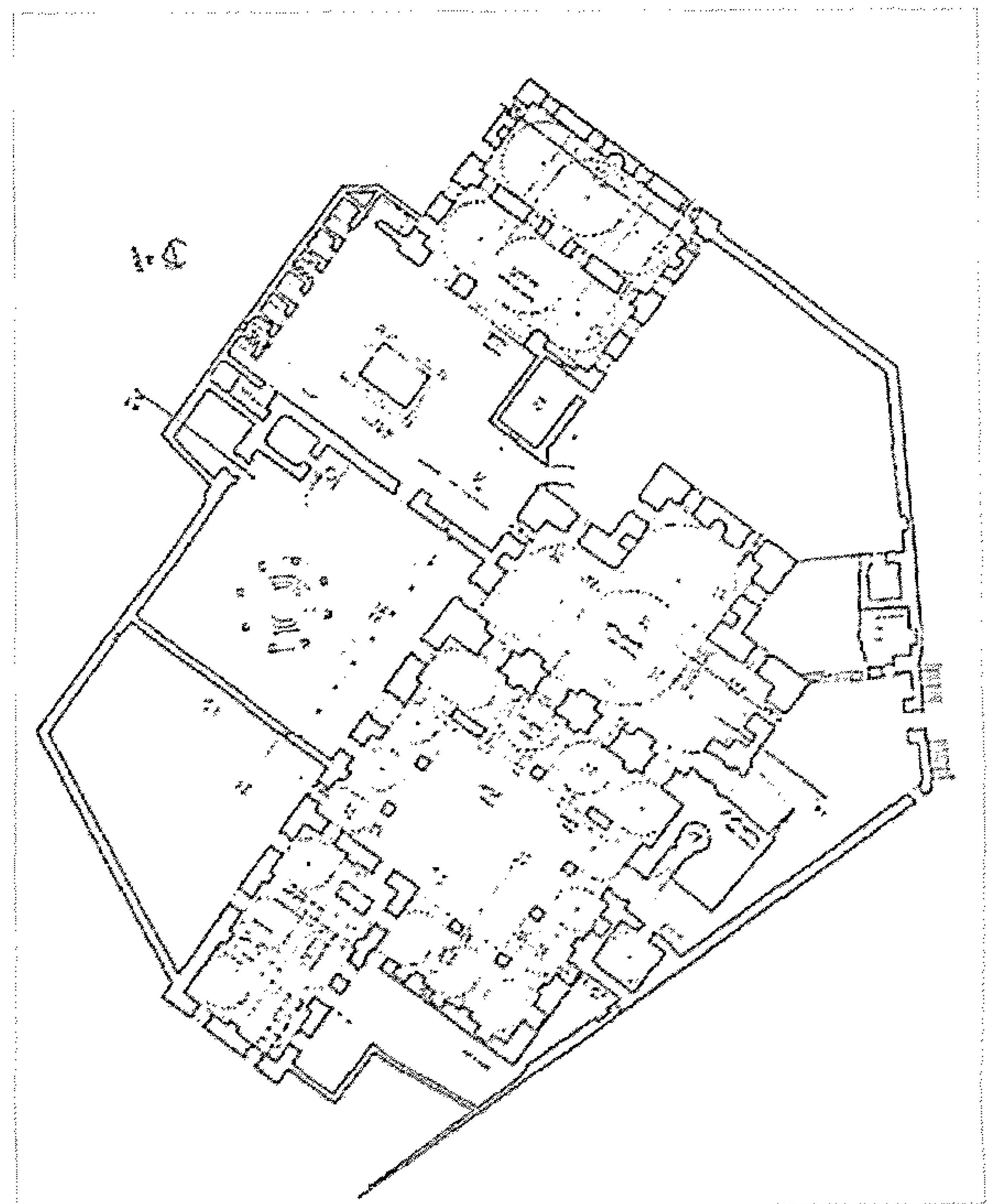
جاءت إعادة بناء هذا المسجد الذي يبدو أنه في أول الأمر كان صغيراً في المساحة ومتواضعا (شكل ١٦، ١٧)، على يد والى مصر العثمانى سليمان باشا، الذي ولى مصر سنة ٩٣١هـ/ ١٥٢٨م، واستمر واليا عليها لمدة تزيد على العشر سنوات، وكانت ولايته بعد فترة عدم الاستقرار في مصر ومحاولات للاستقلال عن الدولة العثمانية من قبل المماليك الجراكسة. وكادت أن تنجح هذه المحاولات.[٣٣] وكان قد ترتب على الفتح العثمانى لمصر أن أسكن خايربك إحدى فرق الجيش العثمانى النطاق الشمالى من القلعة لكى يمنع إحتكاكها بالجند العزبان وهي طائفة من الجيش العثمانى، وسكنت طائفة مستحفظان[٣٤] في النطاق الشمالى، ولذا كان من الطبيعي أن يشيد مسجدهم (لوحة ١٨) على الطراز الذي اعتادوه في الدولة العثمانية.



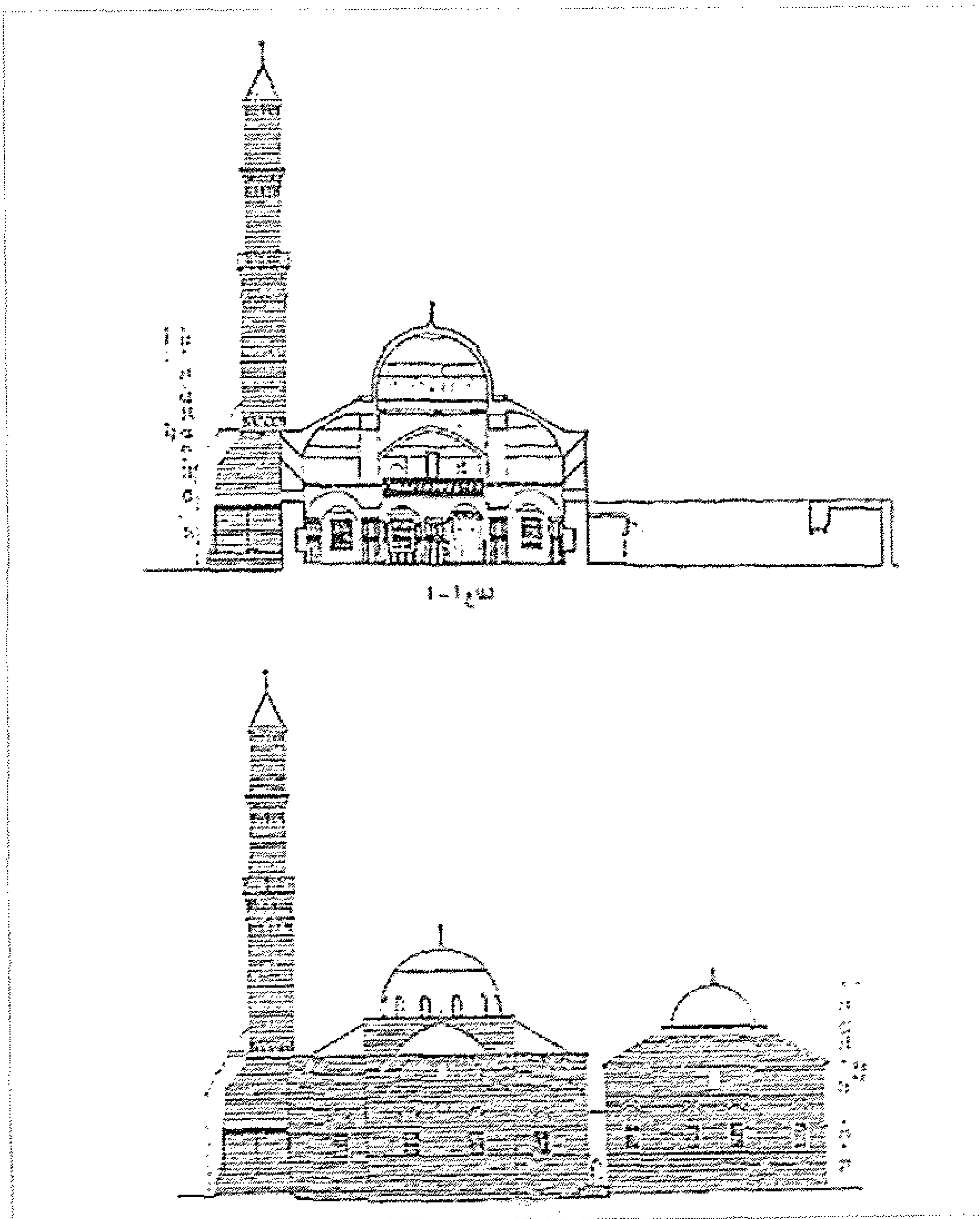
لوحة ١٧. مسجد سارية الجبل (سليمان باشا الخادم).



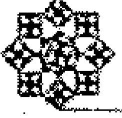
شكل ١٥. القسم الشمالي من قلعة الجبل.

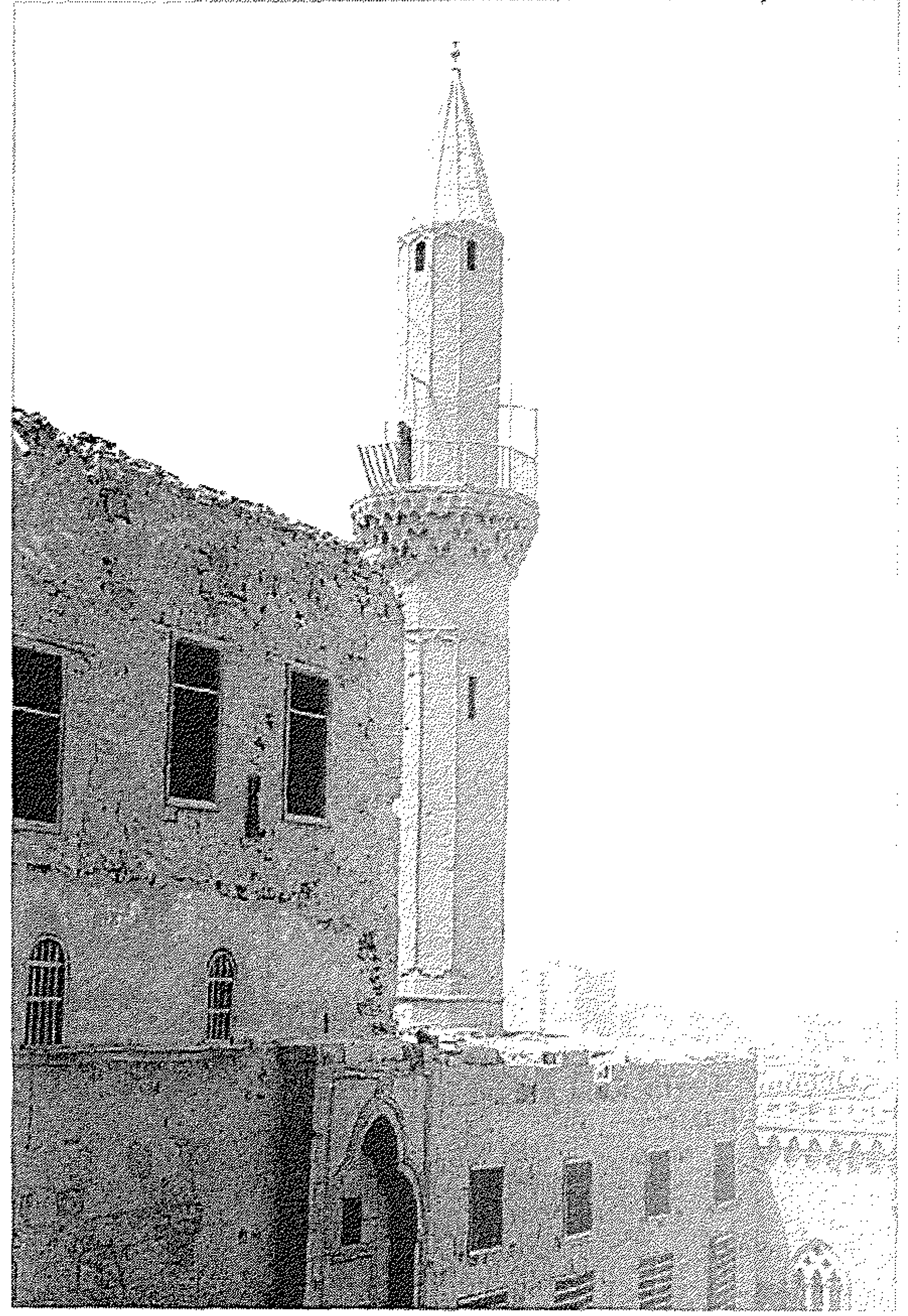


شكل ١٦. مسقط أفقي لجامع سليمان باشا (سارية الجبل).



شكل ١٧. قطاع ومسقط رأسي لجامع سليمان باشا.




لوحة ١٨. مسجد عزبان.

دار العدل

يعد العدل جوهر الشريعة الإسلامية الذي من أجله كان مرجع أمر البشر إلى أحكام الله، لأن احتكام البشر إلى أحكام البشر قد يؤدى إلى ظلم حيث يصوغ الانسان من الأحكام ما يتوافق مع هواه، وكان للظلم مسالكه في المجتمعات الإسلامية، خاصة من الولاة وذوى النفوذ، ولذا نشأ ديوان المظالم أو نظر المظالم في الإسلام. يعرف نظر المظالم بأنه 'قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة'. وهي وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء، وتحتاج إلى علو يد وعظيم رهبة تقمع الظالم من الخصمين، وتزجر المعتدى، وكأنه يمضي ما عجز القضاة وغيرهم عن امضائه.[٣٥]

تختلف المصادر الإسلامية في تحديد أول من جلس جلوساً عاماً مخصصاً للنظر في المظالم من الخلفاء. فالبعض كمالك بن أنس اعتبر أنه كان معاوية بن أبى سفيان، الخليفة الأموي الأول، والبعض الآخر كالماوردى، إعتبر أن عبد الملك بن مروان هو أول من (أفرد للظلامات يوماً يتصفح فيه قصص المتظلمين) أما البعض الآخر فقد نسب الجلوس لعمر بن عبد العزيز. وقد داوم بعض الخلفاء الأمويين والعباسيين بعدهم، وحكامهم في الولايات على الجلوس للنظر في المظالم لكى يصبح واحداً من رموز السلطة السياسة والشرعية الخليفية، خاصة بعد منتصف القرن الثالث الهجرى / الثلث الأخير من القرن التاسع الميلادى، بعد ما فقد الخليفة العباسى قوة السلطنة وشوكتها لحساب المتسلطين البويهيين والسلاجقة. ولاحظ رضوان السيد أن الأقوياء ومتسلطى الإرادة من الخلفاء العباسيين المتأخرين، كالمهتدى ٢٥٥ - ٢٥٦هـ / ٨٦٨ - ٨٦٩م. الذي حاول استعادة السلطة من الأمراء الأتراك ولكنه فشل، والمقتفي ٥٣١ ـ٥٥٥هـ/ ١١٣٦ـ١١٦٠م. والناصر ٥٧٦ ـ٦٢٢هـ/ ١١٨٠ - ١٢٢٥م اللذين استعادا للخلافة بعض هيبتها إثر تراجع السيطرة السلجوقية، قد اهتموا بمجالس المظالم كدليل على مشروعية خلافتهم الدينية والسياسية ولتأكيد فعالية سيطرتهم على شؤون الدنيا والدين معا، وكذلك بالنسبة لبعض الولاة الأقوياء، كأحمد بن طولون ٢٥٥ ـ٢٧١ هـ/ ٨٦٨ ـ ٨٨٤م، وكافور الأخشيد ٣٥٦ ـ٣٥٨هـ/ ٩٦٦ ـ٩٦٨م في مصر، اللذين جلسا بنفسيهما للنظر في المظالم كرمز لاستقلالهما بالسلطة عن الخليفة في بغداد من خلال استئثارهما بوظائفه ومهامه.[٣٦] وشهد القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى تبلور النقاش حول النظر في المظالم وإقامة مجالس العدل كجزء من مهام السلطان السياسية.[٣٧] وبالرغم من ذلك لم يفرد أى من الخلفاء والسلاطين مبنى خاص لجلسات النظر في المظالم، إنما كانوا يجلسون في أماكن مختلفة، تارة في ردهات القصور وتارة في قاعات العرش وتارة في باحات الجوامع أو أواوين المدارس. ثم أتى نور الدين محمود بن زنكى ٥٤١ ـ٥٧٠هـ/ ١١٤٦ ـ ١١٧٤م ليستن سنة جديدة في إقامة مبنى خاص لدار عدله في دمشق. وسار خلفاؤه من الأيوبيين والمماليك في سورية ومصر عليها حتى عهد الناصر محمد بن قلاوون. وبنوا ست دور عدل أخرى على الأقل، ثم عادت الحال إلى سابق عهدها، وعاد سلاطين المماليك لعقد جلسات دار العدل، إن هم فعلوا، في قاعات مختلفة في قصورهم، وكذلك فعل حكامهم في بلاد الشام.[٣٨]

يتفق ظهور وارتقاء دار العدل كمنشأة معمارية مستقلة مع حدثين تاريخيين جليلين في العالم الإسلامي. أولهما هو الرد الإسلامي على الغزوة الصليبية الأولى التى ابتدأت قبل نصف قرن من الزمن ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م.

ذلك الرد الذي بدأه زنكى بن أقسنقر ٥٢١ - ٥٦٠ هـ/ ١١٢٧- ١١٦٤م. ثم نظمه وأججه نور الدين واستلم لواءه منه صلاح الدين، وثانيهما هو النهضة الإسلامية بعد الصدمة المغولية التى قضت على الخلافة العباسية في بغداد عام ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م.

وهددت بقاء الإسلام نفسه، تلك النهضة التى قادها سلاطين المماليك بدءاً بالمظفر قطز٦٥٧- ٦٥٨هـ / ١٢٥٩-١٢٦٠م. فالظاهر بيبرس ٦٥٨-٦٧٦هـ/ ١٢٦٠- ١٢٧٦م. مروراً بقلاوون الألفي ٦٧٨-٦٨٩هـ/ ١٢٨٠-١٢٩٠م. وابنه الأشرف خليل ٦٨٩ - ٦٩٣هـ/ ١٢٩٠ - ١٢٩٤م. وانتهاءً بابنه الثانى الناصر محمد. أما المدن الثلاث التى شهدت إقامة دور العدل، دمشق وحلب والقاهرة، فهي بذاتها عواصم الملوك الذين قادوا الجيوش الإسلامية في مواجهة الصليبين والمغول إبتداءاً من نور الدين محمود، هذه المدن الثلاث أضحت بعد موت نور الدين عواصم أيوبية، بدءاً بصلاح الدين الأيوبى الذي قسم ممتلكاته بين أبنائه وأبناء إخوته، ومرورا بالعادل أبى بكر وأبنائه. وفي القرن الثالث عشر تحولت هذه المدن إلى السلطة المملوكية، وإتخذ سلاطين المماليك قلعة الجبل بالعاصمة المصرية مقراً لحكمهم، ودمشق وحلب عواصم إقليمية. وخلال الفترة كلها ماانفكت حركة الجهاد مستمرة في العواصم الثلاث، ولم تهدأ حتى منتصف القرن الرابع عشر مع تراجع المد المغولى الإيلخانى، وتحول حكام الدولتين المغوليتين، في فارس والقبيلة الذهبية في جنوبى روسيا إلى الإسلام وجنوحهما إلى السلام. ولايمكن التأكيد بأن علاقة مباشرة، أحادية، واضحة ومؤكدة بين ظهور دار العدل وتأجج حركة الجهاد وحروب الاستعادة وإيقاف المد المغولى، ولكن التوافق النظرى بين هاتين الظاهرتين، بالإضافة لعوامل اجتماعية وثقافية أخرى، يدفع للتأمل في الربط بين التطور المعمارى والمؤسساتى لدار العدل وبين الأحداث التاريخية المتقدة حولها، والتى أحاطت بنشوئها، من عسكرية وسياسية وعقائدية وحضارية، واقتراح تفسير لهذا التوافق، ويبدو أن دار العدل قد فقدت مبرر وجودها كمؤسسة مستقلة وكنموذج معمارى من مفردات العمارة الإسلامية.[٣٩] كانت دارا العدل في دمشق وحلب[٤٠] خارج القلعة، وإن كانتا تقعان في محيطها. وهو يعزز العلاقة بين دارى العدل والسلطة العليا في الدولة. أما دار العدل في مصر فكانت دائما منذ عصر الكامل بن العادل جزء من مقومات قلعة الجبل كمقر للحكم.

دار العدل بمصر

كانت قلعة الجبل آخر الحواضر الأيوبية التى حازت على دار عدل خاصة بها، فقد بنى الكامل محمد بن العادل دار عدل داخل النطاق الجنوبى، ثم جاء الظاهر بيبرس ليبنى دار عدل ثانية عام ٦٦٢هـ / ١٢٦٣م في منطقة الاسطبلات السلطانية، وكانت دار العدل الظاهرية فيما يبدو ذات واجهه مفتوحة على الميدان المجاور للقلعة وسوق الخيل. ولم يستعمل الظاهر بيبرس دار عدله لجلسات نظر المظالم فقط، وإنما قعد بها أيضاً أيام العروض العسكرية ليشهد فصائل فرسانه ومماليكه تمر أمامه من الميدان بمحازاة أسوار القلعة.[٤١] ولما تولى قلاوون السلطة عام ٦٧٨هـ / ١٢٨٠م انتقل مركز دار العدل إلى النطاق الجنوبى، حيث بنى دار عدل جديدة، ولكن قلاوون نفسه لم يجلس في دار عدله تلك لأنه كان أغتم، أى لا يتقن العربية، لهذا فقد فوض نظر دار العدل لواحد من كبار أمرائه الذي يتقنون لغة البلاد ويعرفون عاداتها: لاجين، الذي أصبح سلطاناً بدوره، واتخذ نفس لقب أستاذه، المنصور، وبعد قلاوون جاء ابنه الأشرف ليهدم قبة أبيه، أو إيوانه، حيث أن الكلمتين كانتا تستعملان بالتبادل في مصادرنا للدلالة على المبنى نفسه، ويبنى مكانه الإيوان الأشرفي الذي مابرح مستخدماً كدار عدل حتى مجئ الناصر محمد الذي هدم إيوان أخيه بدوره وأعاد بناءه ثانية.[٤٢] هذه السلسلة من الهدم وإعادة البناء لمنشأة واحدة في القلعة خلال نصف قرن فقط إن دلت على شئ، فهي تدل على طموح السلاطين لأن يكونوا أصحاب أكثر الأبنية أبهة وأهمها وظيفيا وأقربها إلى الرعية: دار العدل.[٤٣]

ومن الملفت للنظر استخدام إصطلاحى قبة وإيوان لمنشأة واحدة، وهو ما يثير العديد من التساؤلات حول هذا التبادل الإصطلاحى:

لعل أول هذه التساؤلات هل الإيوان،[٤٤] هو الغالب في عمارة دار العدل الأشرفية والناصرية، وماهي علاقة الإيوان بدار العدل كمنشأة؟ وثالث هذه التساؤلات لماذا استخدمت القبة في تغطية المساحة الرئيسية لدار العدل؟. وهل للقبة قيمة سلطوية رمزية؟.

لعل أول ما يمكن طرحه عند الاجابة على هذه التساؤلات أن كلمة إيوان كلمة فارسية معربة من 'ايفان' وتعني لغوياً قاعة العرش.[٤٥] ولما كانت دار العدل هي مقر العرش المملوكي فمن الممكن أنه أطلق عليها إيوان لهذا السبب خاصة مع قوة التأثيرات اللغوية الفارسية والتركية في ذلك العصر في مصر. ولما كان لفظ الإيوان إصطلاحاً مملوكياً يعني وصفاً معمارياً لمنشأة ذات أوصاف محددة، فذهب ناصر الرباط إلى أن التبادل الإصطلاحي في إطلاق اصطلاحي قبة وإيوان فيما يخص دور العدل بدءاً من الظاهر بيبرس فقلاوون، وبعدهما دار عدل الأشرف خليل لاحتواء كل منها على إيوان وقبة،[٤٦] ربما خلف الإيوان. وهو يرى أن ذلك يعطينا فكرة عن ترتيبها المعماري، ويجعلنا قادرين على الربط تاريخياً ونوعياً بينهما وبين الإيوان الكبير الذي حل محلها. والذي بناه الناصر محمد على مرحلتين.

كان إيوان الناصر (لوحة ١٩) تتوسطه قبة مركزية تتقدمها مساحة ربما كانت مغطاة بقبو أو بسقف مسطح، وتفتح على القبة بثلاثة أبواب وهي ذات واجهة بها ثلاثة عقود أكبرها أوسطها، وهذه الواجهة تذكرنا بواجهة إيوان مدرسة المنصور قلاوون، وهذا يعني أن المساحة التي تتقدم القبة يطلق عليها الإيوان، وغلب اسم الكل على الجزء. وهذا احتمال يمكن أخذه في الاعتبار. وكان الإيوان له مدلول تاريخي على واحد من أكبر منشآت العروش السلطانية، وهو إيوان كسرى الذي يقع في المدائن، شمالي بغداد، وأطلق اصطلاح الإيوان على قصر الحكم الساساني في المدائن، وهو من باب اطلاق اسم الجزء على الكل ويبدو أن هذا طبق أيضاً على دار العدل بالقلعة.

كان للقباب مدلول سلطوي منذ فترة مبكرة في العمارة الإسلامية، وأشهر هذه القباب قبة الصخرة (لوحة ٢٠) التي أقيمت على مرتفع بالمدينة لتبرهن على إسلامية المكان



لوحة ١٩. حفائر الإيوان الناصري.



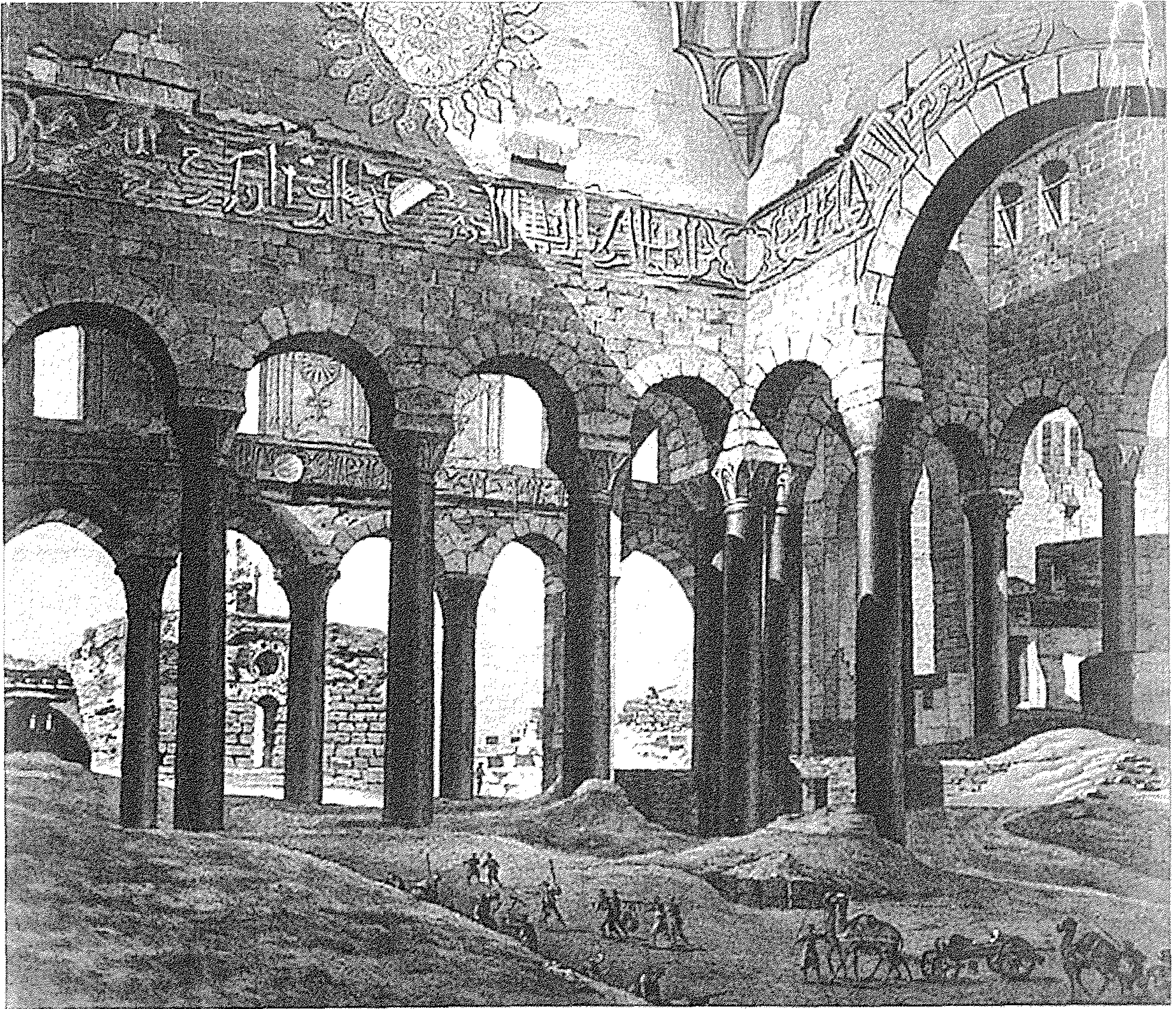
لوحة ٢٠. قبة الصخرة.

والمدينة، ومنذ القبة الخضراء في دمشق التى عمرها معاوية بن أبى سفيان كدار امارة حوالى عام ٣٠هـ/ ٦٥٠م، والتى ربما كان بعض موقعها قصر العظم الحالى.[٤٧] والقباب الخضراء اللاحقة، أموية كانت أم عباسية في الرصافة وواسط وبغداد في قصر أبى جعفر المنصور في وسط المدينة تعد رمزاً لمقر الحكم، ومن هنا اكتسبت قبة الإيوان الناصرى رمزيتها السلطوية ولونها الأخضر. وبذلك كانت القباب في العمارة الإسلامية رمزاً للاستعلاء والسيادة السلطوية، كما كانت في كثير من الأحيان دالة على العمارة الجنائزية لذوى السلطة والنفوذ. وشيئاً فشيئاً صار اصطلاح القبة دالاً على الأضرحة السلطانية ولذا يبدو أنه على الرغم من هيمنة القبة على دار العدل الناصرية معماريا، إلا أن استخدام القباب على العمائر الجنائزية كان أحد الأسباب التى أدت إلى غلبة اصطلاح الإيوان على دار العدل.[٤٨]

الإيوان الكبير

أعاد الناصر محمد بن قلاوون بناء الإيوان مرتين، الأولى سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م، والثانية سنة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م. ولعل ذلك ارتبط بتطور حركة العمران في عصر الناصر، وباستقرار حكمه، وبرغبته في اعادة بناء المجمع الملكى بالقلعة على درجة تليق بسلطنته وسلطنة المماليك.

وهذا الإيوان الكبير الذي أسمته المصادر دار العدل أيضا، ثم حرف اسمه حوالى القرن السابع عشر ليصبح (ديوان يوسف) حفظت مخططاته في كتاب وصف مصر (لوحة ٢١)، الذي أنتجه علماء الحملة الفرنسية، كما ساعدنا تخطيط رسم للإيوان سنة ١٧٩٩م بواسطة الرحالة لكزيس ونشرته دوريس أبو سيف على وضع تصور للإيوان ويبين المسقط الفرنسى أن الإيوان كان مفتوحاً من ثلاث جهات هي الشمالية الشرقية التى شكلت واجهته الرئيسية والجنوبية الشرقية والشمالية الغربية. أما الجهة الرابعة، والتى قامت

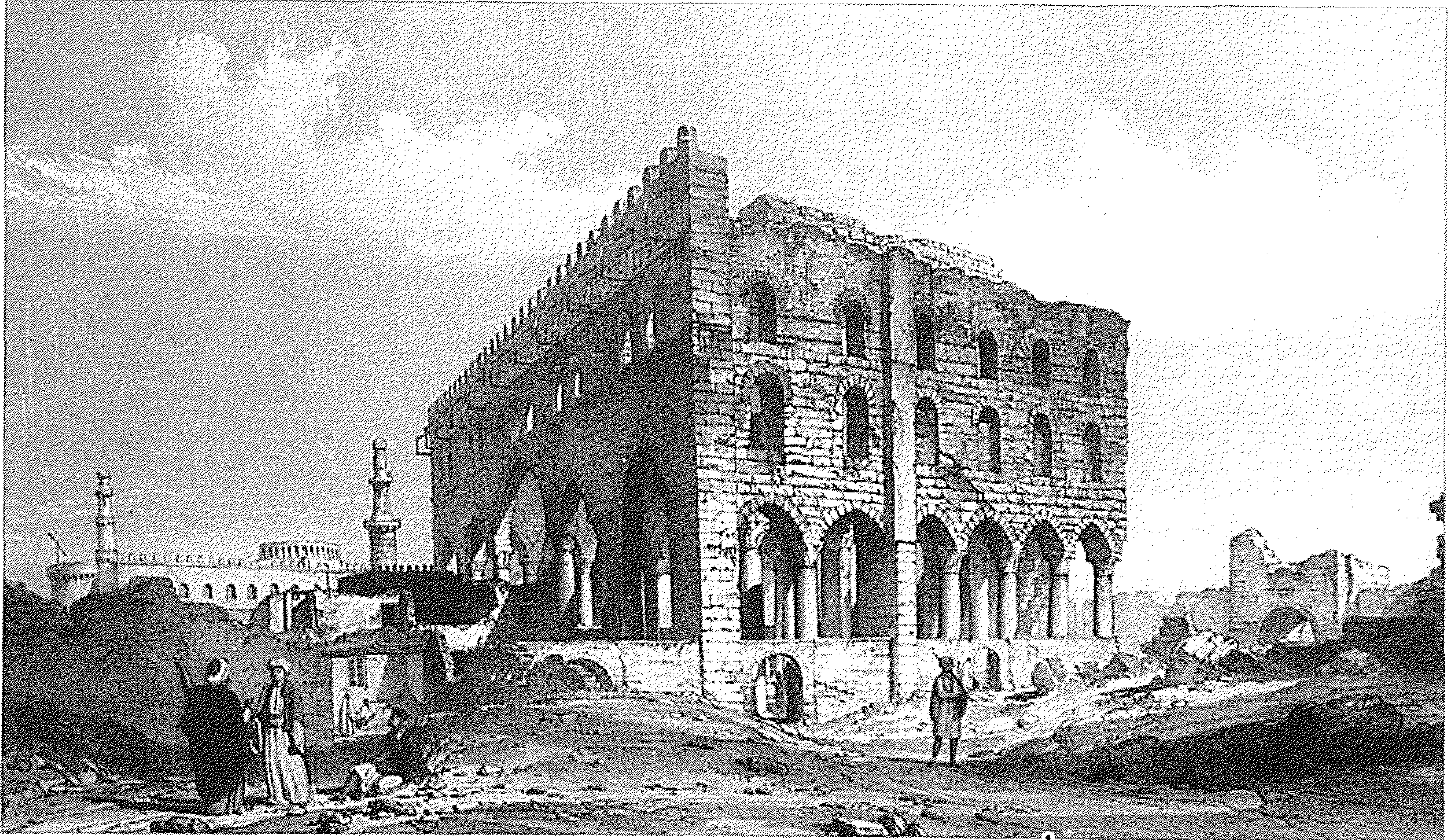


لوحة ٢١. الإيوان الناصري عن وصف مصر.

قبالة القصر الأبلق الذي بناه الناصر محمد أيضاً ليكون صالة عرش خاصة فكانت عبارة عن حائط حجرى سميك به فتحات خمسة مداخل معقوده تؤدى إلى القصر، أكبرها أوسطها وهو معقود بعقد نصف دائرى غائر يشكل نصف قبة مقرنصة وعلى جانبيه مكسلتان وأحجار الواجهات كلها من الحجر المشهر.

تتكون واجهة الإيوان الرئيسية من خمسة عقود أكبرها أوسطها وهي عقود مدببة، تمثل خمسة مداخل إلى الإيوان، وتكون الثلاثة الوسطى عقود المدخل الرئيسى إلى قبة الإيوان، ويسمى المقريزى المساحة التى تليها بالدركاة[٤٩] ويؤدى العقدان الجانبيان إلى جناحين متوازيين مع القبة، ويعلو هذه العقود صف من النوافذ التوأمية المعقودة، فوقها شريط كتابى بطول الواجهة، به الآية ٣٢ من سورة ابراهيم (الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم...) ولاحظ ناصر الرباط وجود تتمة الآية مثبتة على رسم الجدار الداخلى للإيوان في كتاب وصف مصر، وهو أسلوب غير معهود في العصر المملوكى، ولعل الرسام الفرنسى قرأ الكتابة على الواجهة الخارجية فقط، ولم يتمكن من إثباتها كلها على الواجهة التى رسمها فاضطر إلى استكمالها على الواجهة الداخلية مما سبب تساؤلا حول مدى دقة الرسام الفرنسى في لوحاته؟.[٥٠] ويعلو هذه الواجهة صف من الشرافات. وترتفع الواجهة الرئيسية عن باقى واجهات المبنى والواجهات الأخرى للإيوان تتكون حسب رسم أوين كارتر (لوحة ٢٢) لإحداها في لوحته من صف من ستة عقود مدببة محمولة على أعمدة، يعلوها تيجان، يفصل بينها بعد عقدين من نهاية جدار الواجهة دعامة ساندة بارزة بارتفاع المبنى، ويعلو هذه العقود صفان من النوافذ المعقودة.

تتوسط المبنى من الداخل مساحة مربعة يحيط بها من ثلاثة جوانب ثلاث أجنحة، شكلت هذه الأجنحة صفوفاً من الأعمدة الجرانيتية الهائلة نقلت من الآثار الفرعونية بالصعيد[٥١] وحفر على هذه الأعمدة إسم السلطان الناصر محمد كرمز على نسبة البناء إليه، وكان يعلو قاعة العرش قبة خشبية ضخمة غطيت من الخارج ببلاطات القاشانى الخضراء، وتم الانتقال من المساحة المربعة إلى الدائرة التى تحمل القبة عن طريق أربع حنيات مقرنصة خشبية ضخمة ورائعة، قدم كتاب وصف مصر رسماً تفصيلياً لها وكتبت ألقاب السلطان بأحرف هائلة الحجم ولونت بالذهب واللازورد على شريط دائر على كامل محيط القبة،[٥٢] وقد كشفت حفائر القلعة في الثمانينات[٥٣] (لوحة ٢٣) عن بعض هذه الأعمدة. ويذكر المقريزى أن للإيوان باب مسبوك من الحديد بصناعة بديعة تمنع الداخل إليه، ولايُفتح هذا الباب إلابعد جلوس السلطان على عرشه،



لوحة ٢٢. رسم تصوير للإيوان الناصري عمل اوين كارتر.


لوحة ٢٣. حفائر القلعة.

ويُسمح للجنود أن ينظروا من خلال تخاريم الحديد على ما يجرى بداخل الإيوان.[٥٤] وخلف مساحة القبة كان يوجد ممر يصل بين الإيوان والقصر السلطانى ينتهى بباب سر يدخل منه السلطان إلى الإيوان. ومن الواضح من تخطيط وصف مصر أن هذا الممر كان يشتمل على غرف على الجانب المقابل لجدار القبة، ومساحة مربعة صغيرة تعلوها قبة، هذه الغرف من المرجح أنها كانت تستخدم كغرف خدمية للإيوان. قدم ابن فضل الله العمرى الذي شغل وظيفة كاتب سر[٥٥] السلطان الناصر محمد، وصفا مفصلاً لجلوس دار العدل كما كان أيام الناصر، وهو كشاهد عيان تكون مشاهداته ذات قيمة كبيرة، ونقل المؤرخون اللاحقون ومنهم المقريزى والقلقشندى، وصفه وأضافوا إليه ملاحظاتهم التى أثبتوها عن عصرهم. الذي يقارب الفرق الزمنى بينه وبين عصر العمرى.

وظيفة دار العدل

واظب الناصر محمد على الجلوس بدار العدل يومى الاثنين والخميس ما دام مقيماً في القلعة. كان الناصر محمد يخرج في يوم دار العدل مبكراً من قصوره الجوانية والخدم أمامه، ويمر عبر الدهليز الواصل مابين القصر الأبلق والإيوان الكبير، ثم يدخل من تحت الباب الكبير المقرنص، وفي الأيام المخصصة لنظر المظالم يجلس السلطان على كرسى خاص منخفض إلى جانب منبر العرش المنصوب في منتصف الجدار الخلفي للإيوان، والذي لم يكن يستعمل إلا في مناسبات إستقبال السفراء. وبمجلسه هذا يشكل الناصر محمد قمة دائرة تترتب حوله فيقعد قضاة المذاهب الأربعة الشافعى فالحنفي فالمالكى فالحنبلى الذين يمثلون السلطة التشريعية الشرعية يليهم وكيل بيت المال، وناظر الحسبة، ويجلس كاتب السر، أى في عهد الناصر محمد بن فضل الله العمرى ذاته[٥٦] وهو المختص بتلقى القرارات عن السلطان، وقدامه ناظر الجيش، أى المعادل لرئيس الأركان اليوم، وبعده جماعة موقعى الدست، أى كتاب الجلسات، وهم يكملون الحلقة حول السلطان. ومن المرجح أن هذه الدائرة في الجلوس كان موضعها تحت القبة الخضراء كأنها كانت صدى وظيفياً لمهابة القبة أو أن القبة شكلت إنعكاساً لعظمة السلطان في جلوس دار العدل، ويكون السلطان قريبا من مسقط مركز القبة دلالة على كونه مركز الجلسة ومركز السلطة كلها.[٥٧]

ويصطف حول السلطان عن اليمين واليسار فتيان المماليك الخاصكية والجمدارية الذين يشكلون حرسه الخاص، وعلى بعد خمسة عشر ذراعاً عن يمنته ويسرته، يجلس أكابر ذوى السن من أمراء المئين، وهم أمراء المشورة، وهم في المصطلح المملوكى أصحاب أعلى الرتب إذ يملك كل منهم مئة مملوك، وفي الحرب يقود ألفاً، وهم في مصطلحنا المعاصر ألوية الجيش وقد كان ثمة أربعة وعشرين أميراً منهم على عهد الناصر محمد، ولعل جلوسهم كان مرتباً على صفين على اليمين واليسار من السلطان، كل منهما مكون من اثنى عشر كرسياً، ويلى أمراء المشورة من أسفل منهم أكابر الأمراء وأرباب الوظائف وقوفاً، ومن ورائهم باقى الأمراء من أمراء الطبلخانه[٥٨] وأمراء العشرات[٥٩] وقوفاً أيضا. ويقف خلف هذة الحلقة المحيطة بالمكان الحجاب والدوادارية لإحضار قصص أرباب الضرورات الذين قدموا للنظر في مظالمهم وتقرأ القصص على السلطان فما احتاج إلى مراجعة القضاة راجعهم فيه. وماكان متعلقا بالعسكر تحدث مع الحجاب وناظر الجيش فيه ويأمر في البقية بما يراه.

ويمكننا أن نتخيل أن صفوف أكابر الأمراء امتدت أمام صف الأعمدة الداخلى المواجه للقبة في حين وقف باقى الأمراء بين صفين من الأعمدة عن يمين ويسار القبة. أما الفراغ الواسع أمام القبة، التى جلست تحتها حلقة السلطان وقضاته وكتابه، ففيه يقف أرباب القصص والحجاب والدوادارية.

هذا التصور لهيكلية جلوس دار العدل كما نظمها الناصر محمد مهم وضرورى لتبيان وظيفية العمارة كما يمكن أن نستقرئها من خلال تخطيط دار العدل، فإذا ما أمعنا النظر في ترتيب جلوس دار العدل وجدناه ينطبق

تماماً على ترتيب مخطط الإيوان الكبير المعمارى. والإيوان الناصرى الكبير يمثل بعمارته هذه النموذج المعمارى الأخير لدور العدل. والذي طور ليستوعب وظائف الجلوس السلطانى في البلاط المملوكى.

يبرز ظهور دور العدل كمنشأة معمارية ذات وظيفة تتعلق بالرعية، في رقعه محددة وفي زمن مؤطر بفترة حرب الاسترجاع من الغزوة الصليبية ورد الغزوة المغولية بعدها، وهما الغزوتان اللتان هددتا المنطقة وغيرتا منحنى تاريخها، وكادتا أن تزيلا هويتها الحضارية والثقافية والدينية. وليس ذلك فقط، بل إن دور العدل المعروفة قد أنشئت كلها في العواصم الثلاث، دمشق وحلب والقاهرة، التى كانت في الوقت نفسه المراكز الرئيسية للجهاد. وكان مؤسسوا الدول الإسلامية التى أخذت على عاتقها رأب الصدع ولم الشمل وتوحيد الأراضى الإسلامية كلهم أمراء محاربين من أصول تركية أو كردية اعتمدوا بشكل شبه مطلق على الجيوش من الفرسان القادمين أو المجلوبين إلى البلاد من الأصول نفسها. وقد كان بناة دور العدل السبع قوادا فعالين من المحيط نفسه، برزوا في ميدان الجهاد كما برزوا في ميدان الإصلاحات الداخلية. ولعلها ليست مصادفة تاريخية أن أول بان لدار عدل كان السلطان نور الدين محمود بن زنكى، أول موحد للجبهة الإسلامية في وجه الصليبيين. ولعلها ليست مصادفة أن آخر بان لدار عدل كان السلطان الناصر محمد بن قلاوون، الذي تمكن بفضل مزيد من الحنكة من إيقاف المد المغولى الإيلخانى، وساهم في تحول حكام الدولتين المغوليتين، الإيلخانية في إيران والقبيلة الذهبية في جنوبى روسيا إلى الإسلام وجنوحهما إلى السلام.[٦٠] ولذا كانت العلاقة بين قيادة الجهاد، والاهتمام به والاستعداد من أجله وبين بناء دور العدل نابعة من الظروف التاريخية العصيبة والصعبة التى فرضت على حكام المسلمين في خلال ثلاثة قرون، ابتداءاً من نهاية القرن الحادى عشر وحتى منتصف القرن الرابع عشر، مما دفعهم إلى أن يركزوا على إبراز المواصفات المقبوله والمحبذة إسلامياً.

وحاول كل الأمراء الحاكمين من سلاجقة وأراتقة وزنكيين وأيوبيين ومماليك وغيرهم، أن يعززوا صورتهم القائمة على تمثيلهم لأنفسهم كحماة للدين الحنيف من خلال تركيزهم على دورهم العسكرى في الجهاد. ومع حلول القرن الرابع عشر، وخلال فترة الحكم الطويلة للناصر محمد، استقرت الخارطة السياسية للمنطقة وتوطدت سلطة الدولة المملوكية، وزال الخطر الخارجى، واستكان المماليك لدعة العيش ورغده واستمرأوا حياة الرخاء والبذخ وفقدوا اهتمامهم بالجهاد. وبدأ تركيزهم على إبراز المواصفات المرغوبة إسلامياً في حكمهم يذوى ويخف. ومع أن أبناء الناصر محمد الذين حكموا بعده وواظبوا على جلوس دار العدل عملاً بسنة أبيهم، فقد أهملوا القواعد الدقيقة المتعلقة بمراسم الجلوس في الإيوان.[٦١] ومع مجيء العصر البرجى ٧٨٤ - ٩٢٣ هـ / ١٣٨٣ - ١٥١٧ م، بدأ السلطان برقوق يعقد جلسات دار العدل بالإيوان، في محاولة منه للسير على مراسم أسرة قلاوون السلطانية، وسرعان ما نقل جلسات نظر المظالم إلى المقعد السلطاني بالإسطبل.[٦٢] وغير أيام الجلوس للنظر في المظالم من الأثنين والخميس إلى الأحد والأربعاء. وفيما بعد غيرها مرة أخرى إلى السبت والثلاثاء. وكان يفضل عقد الجلسات في الصباح بينما وضع الناصر محمد عادة الجلسات الليلية، وبعد عصر برقوق أهمل الإيوان في العصر الجركسى.[٦٣]

القصر الأبلق[٦٤]

كان بالقصر الأبلق العرش المملوكى الذي يجلس به السلطان بصفة مستمرة عدا يومى الإيوان الناصرى، ومن هنا اكتسب هذا القصر أهميته السياسية، وكانت واجهته تشكل مع الجامع الناصرى، والإيوان أبرز معالم الرحبه بالقلعة، والناظر إلى هذه المعالم الثلاثة يستطيع أن يتبين أبرز معالم القلعة كمقر للحكم في عصر الناصر محمد وخلفائه. وواجهة هذا القصر مكانها اليوم الصحن الذي يتقدم جامع محمد على وامتداده من المسجد.

شيد الناصر محمد هذا القصر متأثراً بالقصر الأبلق بدمشق الذي شيده الظاهر بيبرس عام ٦٦٥هـ / ١٢٦٦- ١٢٦٧م.[٦٥] والذي أقام الناصر فيه حين جرد جيوشه لرد غزوة للمغول، وذلك في سنة ٧١٣ هـ / ١٣١٢ - ١٣١٣ م، وعند وصول الناصر لدمشق انسحب المغول وأقام الناصر شهراً في دمشق، ثم ذهب ليحج وعاد بعدها ليأمر ببناء القصر الأبلق بالقلعة، وذلك سنة ٧١٣هـ / ١٣١٣م. وكان القصر الأبلق بالقلعة يزيد عن قصر دمشق بشاذروان.[٦٦] بأحد إيوانات القصر، والذي أقيم على جدار سميك سمكه ثلاثة أذرع ويتناسب

هذا السمك مع الحاجة إلى وضع أنابيب المياه التى تغذى الشاذروان. وهذا يعنى أن هناك إختلافاً بين القصرين.

قدم لنا ابن فضل الله العمرى وصفاً دقيقاً لهذا القصر اعتمد عليه باقى المؤرخين ونقلوا عنه قوله (ويمشى من باب القصر في دهاليز إلى قصر عظيم البناء شاهق في الهواء بإيوانين أعظمهما الشمالى الغربى يطل منه على الإسطبلات السلطانية، ويمتد النظر منه إلى سوق الخيل والقاهرة وحواضرها إلى بحر النيل وما يليها من بلاد الجيزة وقراها. وفي الإيوان الثانى القبلى باب خاص لخروج السلطان وخواصه منه إلى الإيوان الكبير أيام المواكب. ويدخل من هذا القصر إلى ثلاثة قصور جوانية منها واحد مسامت لأرض هذا القصر الكبير واثنان مرفوعان يصعد إليهما بدرج في جميعها شبابيك حديد تخترق إلى مثل منظر القصر).[٦٧]

هكذا حدد لنا العمرى طبيعة عمارة القصر الأبلق وحدده بقاعتين مرفوعتين عن أرض الإسطبل السلطانى، وهما كذلك فعلاً، فقد كان الناصر محمد أول وآخر سلاطين المماليك الذي فكر في توسعة النطاق السلطانى من القلعة، لكى يستوعب طموحاته المعمارية التى كانت تعكس ماوصلت إليه القلعة كمقر لحكم الدولة المملوكية، فقام برفع أرضية الإسطبل السلطانى. بأقبية أقام فوقها القصر الأبلق. وكذلك القصور الجوانية.[٦٨]

وحدد لنا العمرى أيضاً وظيفة القصر الأبلق، إذ يذكر عن هذة الوظيفة ما يلى: (أما بقية الأيام - وهي عدا الاثنين والخميس اللذين يجلس فيهما السلطان في الإيوان = فإنه - أى السلطان- يخرج من قصوره الجوانية إلى قصره الكبير البرانى - الأبلق - وهو شبابيك مطله على اسطبلاته وفي صدره تخت الملك المختص فيقعد تارة عليه وتارة يقعد دونه على الأرض والأمراء وقوف على ماتقدم، خلا أمراء المشورة والقرباء منه فإنه ليس لهم عادة بحضور هذا المجلس، ولايحضر هذا المجلس من الكبار إلا من دعت الحاجة إلى حضوره، ثم يقوم في الثالثة من النهار يدخل إلى قصوره الجوانية ثم إلى دار حريمه، ثم يخرج في أخريات النهار إلى قصوره الجوانية لمصالح ملكه، ويعبر عليه إليها خاصته من أرباب الوظائف في الأشغال المتعلقة به على ما تدعو الحاجه إليه).[٦٩]

وبعد سقوط الدولة المملوكية استخدم القصر الأبلق كسجن لكبار الشخصيات العثمانية في مصر.

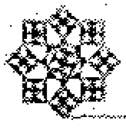
قاعة الأعمدة

يرد ذكر قاعة العواميد في العديد من المصادر التاريخية، وكان أبرز حدث وقع بها في بداية العصر المملوكى هو قتل الفارس أقطاى،[٧٠] وهذه القاعة شيدتها شجر الدر لتكون مقراً لها كملكة على مصر، وكان بها مرتبة أو كرسى عرش تجلس عليه، ومنذ ذلك الحين صارت هذه القاعة جزءاً من الآدر الشريفة، الخاصة بالحريم السلطانى، احتوت هذه الآدر على عدد من القاعات تحيط بها البساتين والأشجار ومختلف الطيور والحيوانات الجميلة[٧١] كانت هذة القاعات مخصصة للحريم وتعرف باسم القياع وهى جانب من الآدر الشريفة.[٧٢] وخصصت لكل واحدة من زوجات السلطان الأربع قاعة خاصة بها، فقاعة العواميد تقيم بها خوند الكبرى ولها المكانة المفضلة، ومن جملة أثاثها أوان من ذهب وفضة وتخوت مفضضة من بينها تخت مرصع بالذهب، ومنارة من ذهب عليها جوهرة تضىء بالليل،[٧٣] وقاعة رمضان بها خوند الثانية، والقاعة المظفرية بها خوند الثالثة، وأخيرا تقيم خوند الرابعة بالقاعة المعلقة، هذا عدا قاعات أخرى برسم السرارى والجوارى.[٧٤] كان يشرف على الآدر الشريفة طواشى بدرجة أمير طبلخاناه يعرف باسم 'زمام' الآدر الشريفة، وتحت يده عدة خدام وعمال من الطواشية بلغ عددهم في وقت ما نحو ٦٠٠ طواشى لكل منهم عمل خاص.[٧٥]

النطاق العسكرى الشمالى

اكتسب هذا النطاق طابعاً عسكرياً أكثر منه سلطوياً (شكل ١٥)، إذ كانت به طباق المماليك واختص قسم منه بالعديد من المنشآت السلطوية، وهو القسم المحصور بين الباب المدرج (لوحة ٢٤، ٢٥) وباب القلة (لوحة ٢٦، ٢٧)، والذي يمتد الآن من قصور الحريم إلى باب القلة حالياً.

كان الباب المدرج يؤدى إلى ساحة مستطيلة ينتهى منها إلى دركاة جليلة يجلس بها الأمراء قبل الإذن لهم بالدخول إلى النطاق السلطانى، وفي جنوب الدركاة كانت تقع دار النيابة، والتى كان يجلس بها نائب السلطنة في العصر المملوكى البحرى، وقاعة الصاحب، وهي التى كان يجلس بها الوزير وكتاب الدولة، وديوان الإنشاء، وهوالذي كان يجلس فيه كاتب السر وكتاب ديوانه، وديوان الجيش وباقى دواوين السلطنة.[٧٦] والحد

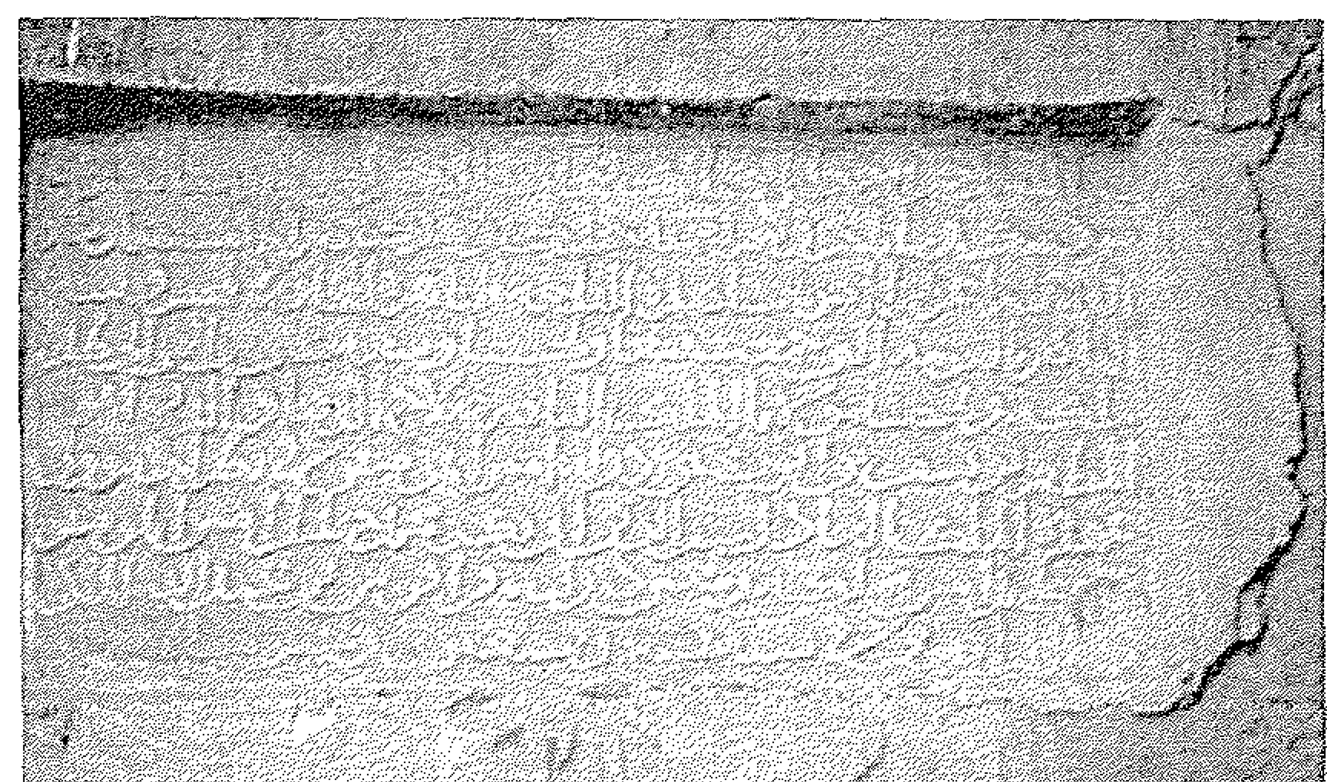




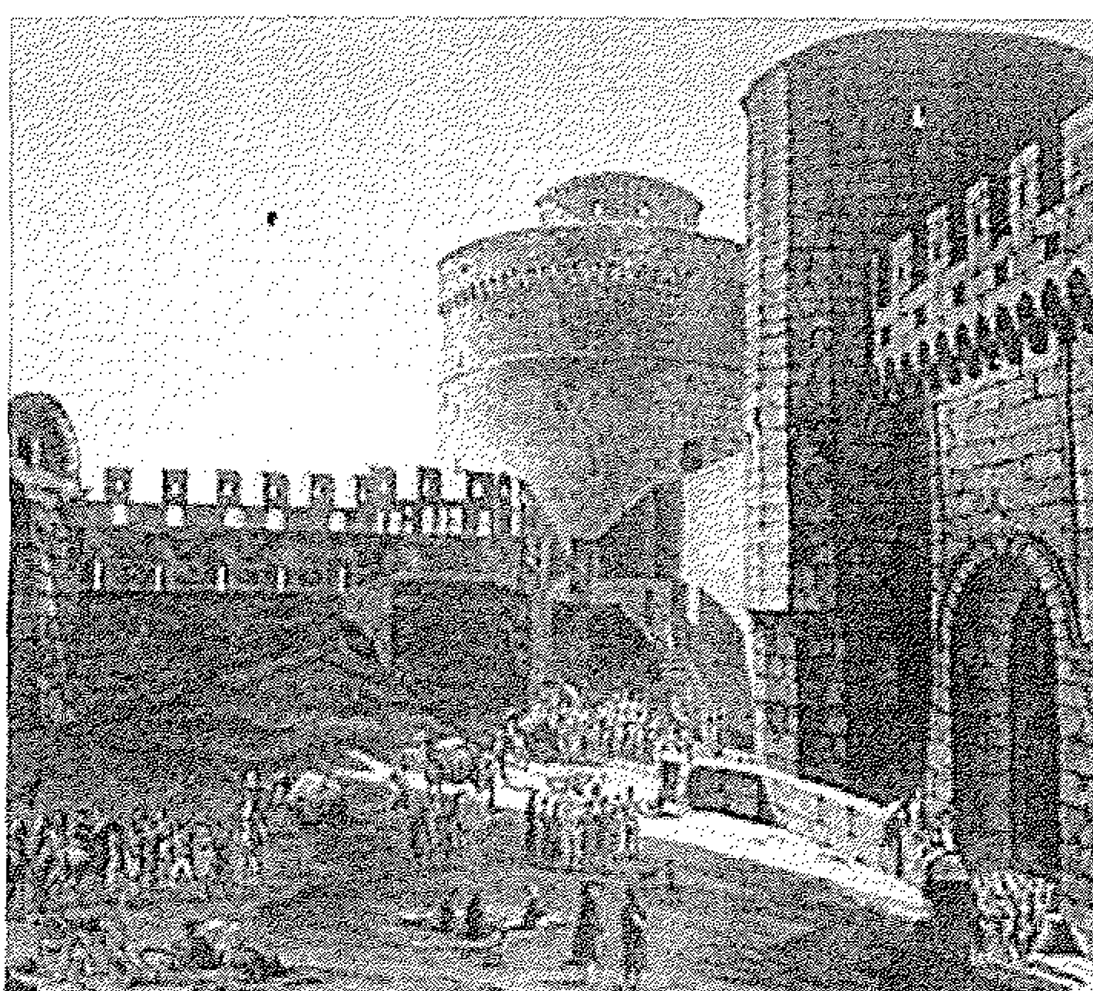
لوحة ٢٤. باب المدرج يعلوه نص تجديد محمد علي.



لوحة ٢٦. باب القلة.



لوحة ٢٥. نقش تأسيس القلعة أعلي باب المدرج.



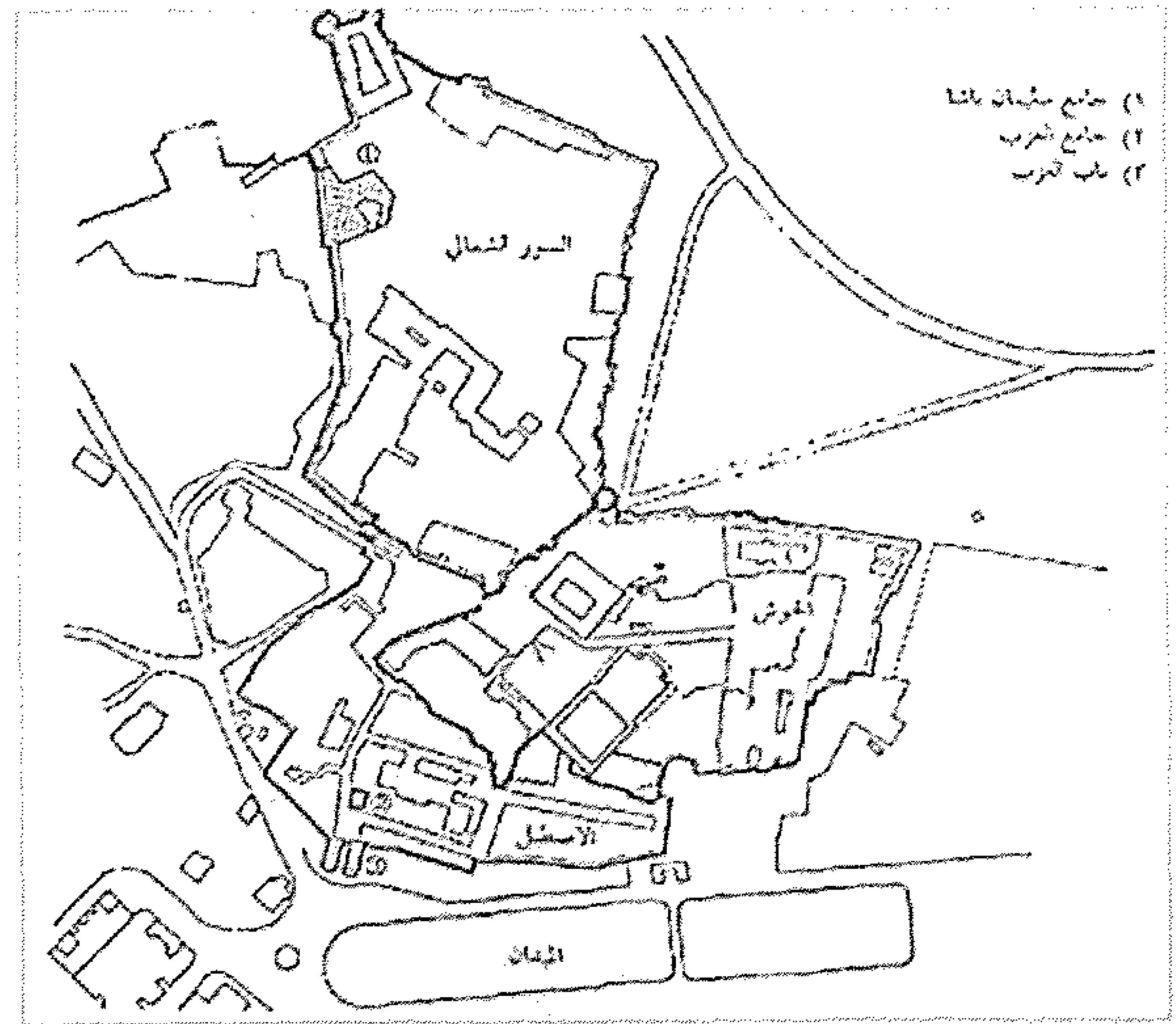
لوحة ٢٧. باب القلة وبرج المقطم عن وصف مصر.

الفاصل بين هذا النطاق والنطاق السلطاني هو سور باب القلة.

سكن الجند منذ العصر الأيوبى في النطاق الشمالى من القلعة، واستمر ذلك إلى نهاية العصر المملوكى، ومن الملاحظ أن إقامة الجند بهذا النطاق خلال العصر الملوكى، ارتبطت بأدائهم وظائفهم العسكرية، وشهدت القلعة أمراً من الظاهر برقوق، عد بداية لانتكاسة النظم الحربية المملوكية الصارمة، حين سمح للجند بالسكن في المدينة والزواج من أهل القاهرة فأخلدوا إلى الراحة .[٧٧] فضلاً عن إتجاه السلاطين لجلب المماليك كبار السن وهو ما أدى إلى العديد من المشاكل والنزاعات لعدم تربيتهم وفق الأصول الحربية، وتلاشى بذلك دور طباق القلعة تدريجياً.

سكن الجند الإنكشارية أو طائفة مستحفظان في العصر العثمانى هذا النطاق من القلعة (شكل ١٨). وصارت به أسواق ومنازل، وذلك لأن سكنهم به صار متوارثاً من الأب إلى الابن. وهو عكس ما كان يحدث في العصر المملوكى حيث لم يكن الابن يرث الأب في رتبته، بل يتحول إلى طائفة أخرى من طوائف المماليك عرفت بأولاد الناس، ويسكن المملوك الذي ينتهى دوره الوظيفي بالقلعة المدينة هو وأولاده.

أدى التوارث السكنى بالقلعة في العصر العثمانى إلى انتشار ظاهرة تأجير وبيع المساكن بها، وهي ظاهرة لم تكن معروفة في العصر المملوكى. بل صار بعض مساكن هذا النطاق وقفاً.



شكل ١٨. القلعة في العصر العثماني.

الإسطبل: مثلت الخيول مقوماً أساسياً من مقومات الجيوش في العصور القديمة، لذا اعتنى بها القدماء فقد كانت الفروسية هي مقياس المقاتل خلال العصرين الأيوبى والمملوكى.[٧٨] لذا إهتم الأيوبيون والمماليك بتربية الخيل، وجعلوا القسم المخصص للخيول من القلعة جزءاً لا يتجزأ منها، ونال هذا القسم رعاية متزايدة في العصر المملوكى حيث أنشأت به العديد من المنشآت السلطانية، كما دارت به أحداث سياسية هامة.

كان موقع الإسطبلات أسفل القصر السلطانى حافزا لكى يقوم السلطان بمراقبة هذه الإسطبلات وما يجرى بها، واكتسبت الإسطبلات أهمية متزايدة منذ أن نقل السلطان الكامل مقر الحكم إلى القلعة، وإهتم بالميدان المجاور لها. ويذكر ابن إياس أن السلطان الناصر بدأت مراسم توليته للمرة الثالثة كسلطان بالمقعد السلطاني بالإسطبل .[٧٩] وتدل هذه الحادثة على أن هذا المقعد يعود لفترة سابقة، وربما إلى العصر الأيوبى، حيث كان يجلس به السلطان لإستعراض الخيل عماد جيشه، عرف هذا المقعد في مرحلة لاحقة بالحراقة .[٨٠] ولعب دوراً في الحياة السياسية المملوكية خاصة في العصر الجركسي، وكان أول من جلس به من السلاطين للقضاء هو الظاهر برقوق .[٨١] واكتسب هذا المقعد أهمية أيضاً في عصر الأشرف برسباى إذ أدار منه شئون السلطنة وعقد به مجالس القضاء ومن ذلك إستقباله سفير شاه رخ.[٨٢] وكذلك عقدت به إجتماعات للبحث في شئون السلطنة، منها اجتماع استدعى له القضاة وكبار الصيارفة في شهر صفر ٨١٨هـ / مايو ١٤١٥م. حيث طلب منهم إبطال التعامل بالدنانير الناصرية. ولكن اعترض عليه جلال الدين البلقينى قاضي القضاة، ولم ينته الإجتماع إلى قرار بشأن منع الناس من التعامل بالناصرى.[٨٣]

ارتبط بالإسطبل فى أغلب الظن بالمقعد موكب الإسطبل الذي كان يجرى مرتين في الأسبوع خاصة في العصر الجركسى والغرض من هذا الموكب النظر في شئون الأمراء والمماليك والإقطاعات. وفي هذا الموكب يجلس السلطان في صدر المقعد وحوله الأمراء مقدموا الألوف يميناً ويساراً على مقاعد من الحرير، ولا يحضر القضاة هذا المجلس، وبعد أن يقرأ ناظر الجيش ما يتعلق بالإقطاعات يمضى السلطان منها ما يشاء. ثم يدخل



كاتب السر ويقدم العلامة فيعلم السلطان ما أمضاه. وأخيراً يدخل الجيش طائفة بعد طائفة لتقديم واجب الولاء وإظهار الطاعة للسلطان، ثم يمد سماط كبير عند انتهاء هذا الموكب.[٨٤]

ومن منشآت الإسطبل ذات الطبيعة السلطانية: الطبلخاناه (لوحة ٢٨)

كانت للطبلخاناه وظيفة هامة توازى ما نعرفه اليوم بموسيقى الحرس الجمهورى أو فرق الموسيقى العسكرية، فقد كانت تدق في أوقات معلومة في اليوم وفي مناسبات محدده. ومن هنا جاءت أهميتها كرمز من رموز السلطة المملوكية وبطل أمر دق الطبلخاناه منذ دخول السلطان سليم مصر ٩٢٣هـ / ١٥١٧م. فلم تدق لخاير بك الذي تولى أمر مصر نيابة عن العثمانيين، واندثر أمرها منذ ذلك الحين.[٨٥] وما زال موقع الطبلخاناه باقياً إلى اليوم.

حدث تحول هام لوظيفة الإسطبل في العصر العثماني. إذ سكنته طائفة العزب.[٨٦] وصار هذا القسم من القلعة يعرف بباب العزب.[٨٧] وعرف باب السلسلة أوباب الإسطبل منذ ذلك الحين بباب العزب (لوحة ٢٩، ٣٠)، جدد هذا الباب رضوان كتخدا الجلفي عام ١١٦٨ هـ / ١٧٥٤م، وجعل له بدنتين وزلاقة[٨٨] ظلتا موجودتين حتى عصر محمد علي وجاءت عمارة هذا الباب مشابهه لعمارة باب الفتوح (لوحة ٣١) وباب زويلة (لوحة ٣٢).

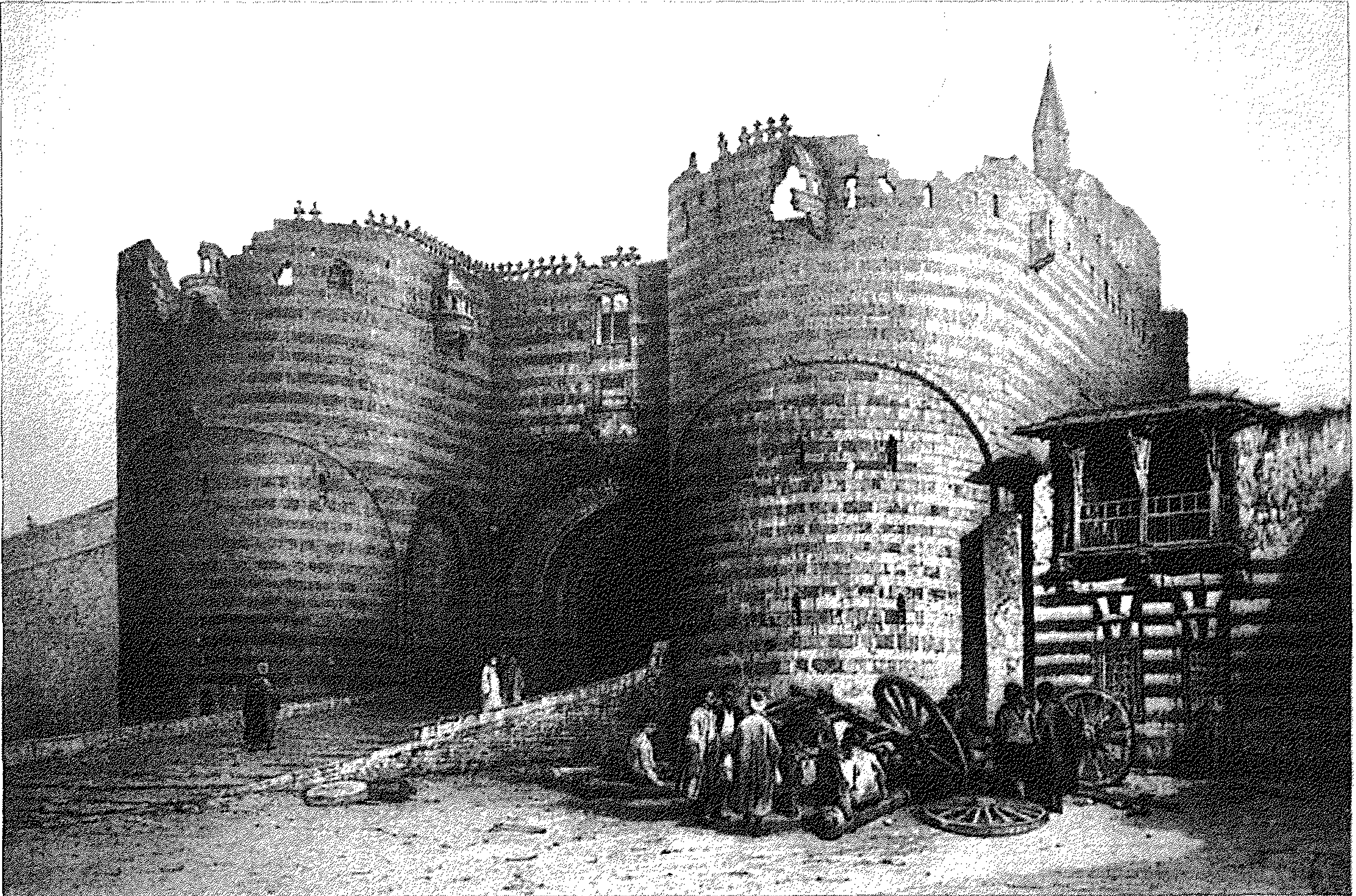
حدث تغيير في عمارة هذا النطاق من القلعة لكى يتواءم مع إقامة جند العزب به، والذين كان لايسمح لهم في بادىء الأمر بالمبيت خارج القلعة.[٨٩] كان لطائفة العزب ديوان لإجتماعاتهم حدد على خارطة الحملة الفرنسية للقلعة بالقرب من باب العزب.[٩٠] لكنه لم يبق منه شيء، وربما تغيرت عمارته في ظل التجديدات وإعادة التوظيف التى أحدثها محمد علي في منطقة باب العزب. وقدم جومار وصفاً لهذا الديوان بصورة تجعلنا نعتقد أن عمارته كانت قريبة من عمارة ديوان طائفة مستحفظان، وإن كان الإختلاف بينهما جاء في الزخارف، حيث كسيت جدرانه بفسيفساء مكونة من المينا البيضاء المتقنة الصنع والمزينة بالتصاوير المرسومة باللونين الأزرق والأخضر، نرى عليها مآذن ذات إستطالة شديدة، حسب الاستخدام القديم. ووضع هذه المآذن يخلب اللب حتى ليظن أنها صورة من الفريسكو. وعلى مسافة منها نلمح تصاوير



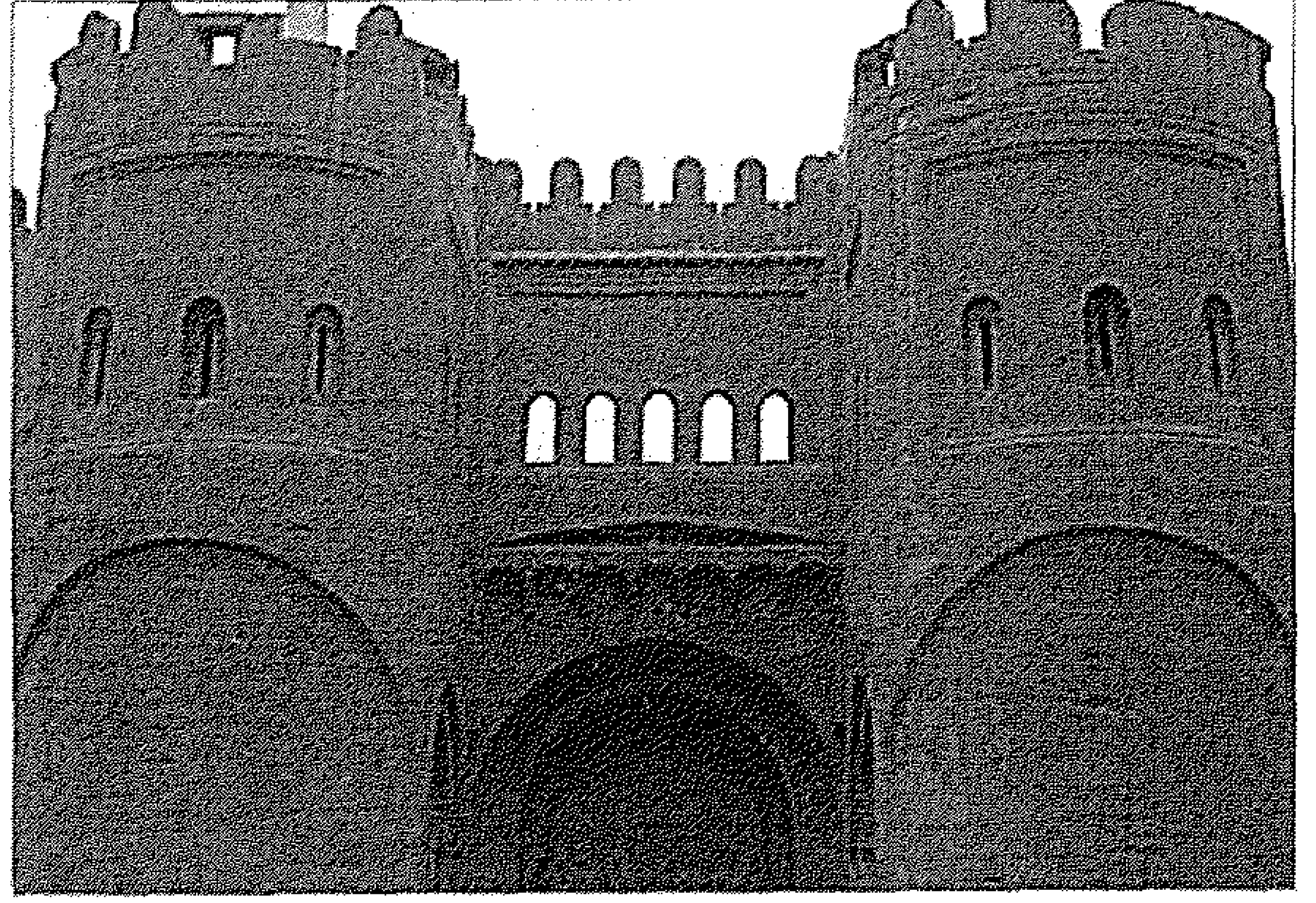
لوحة ٢٨. الطبلخانة

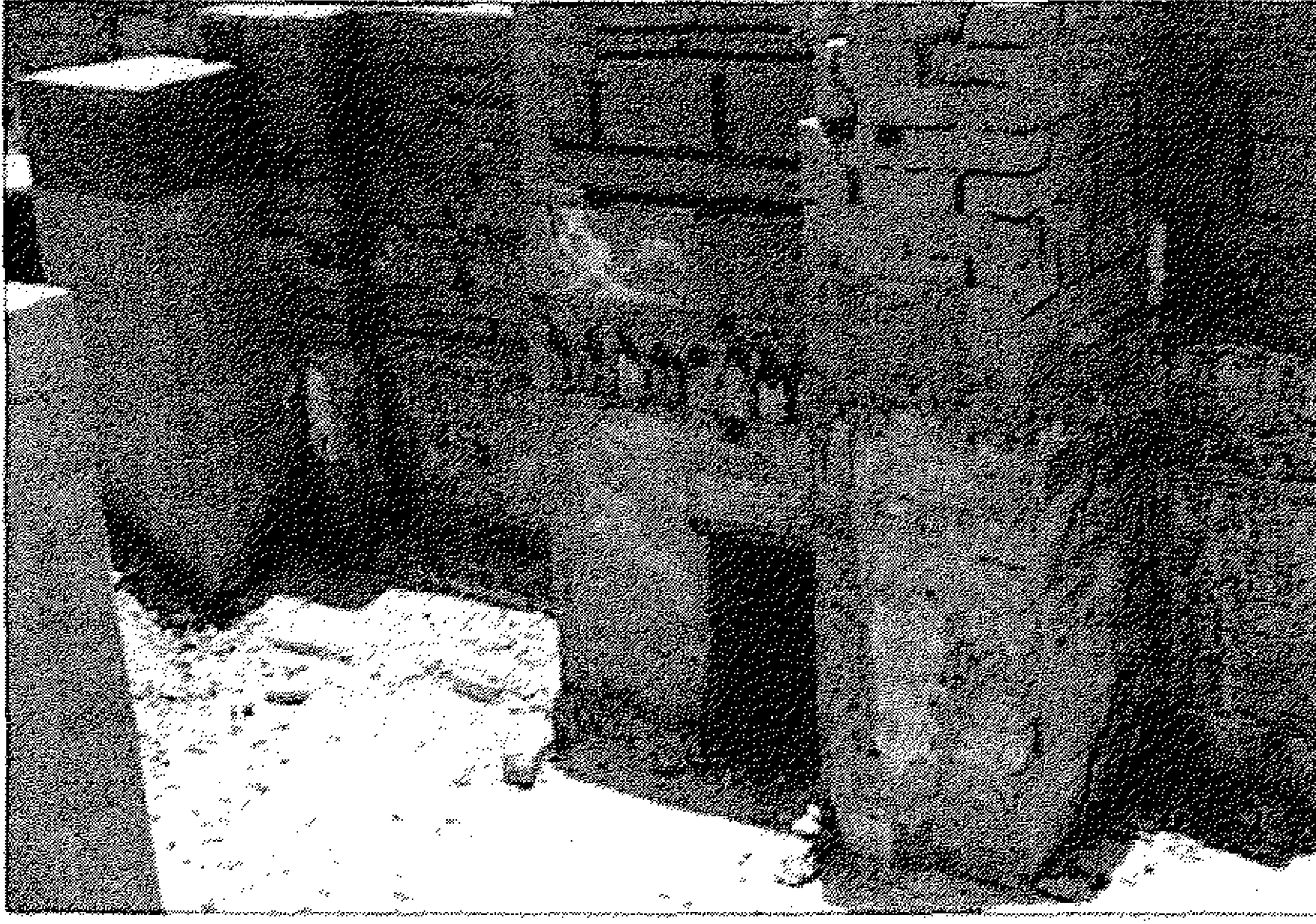


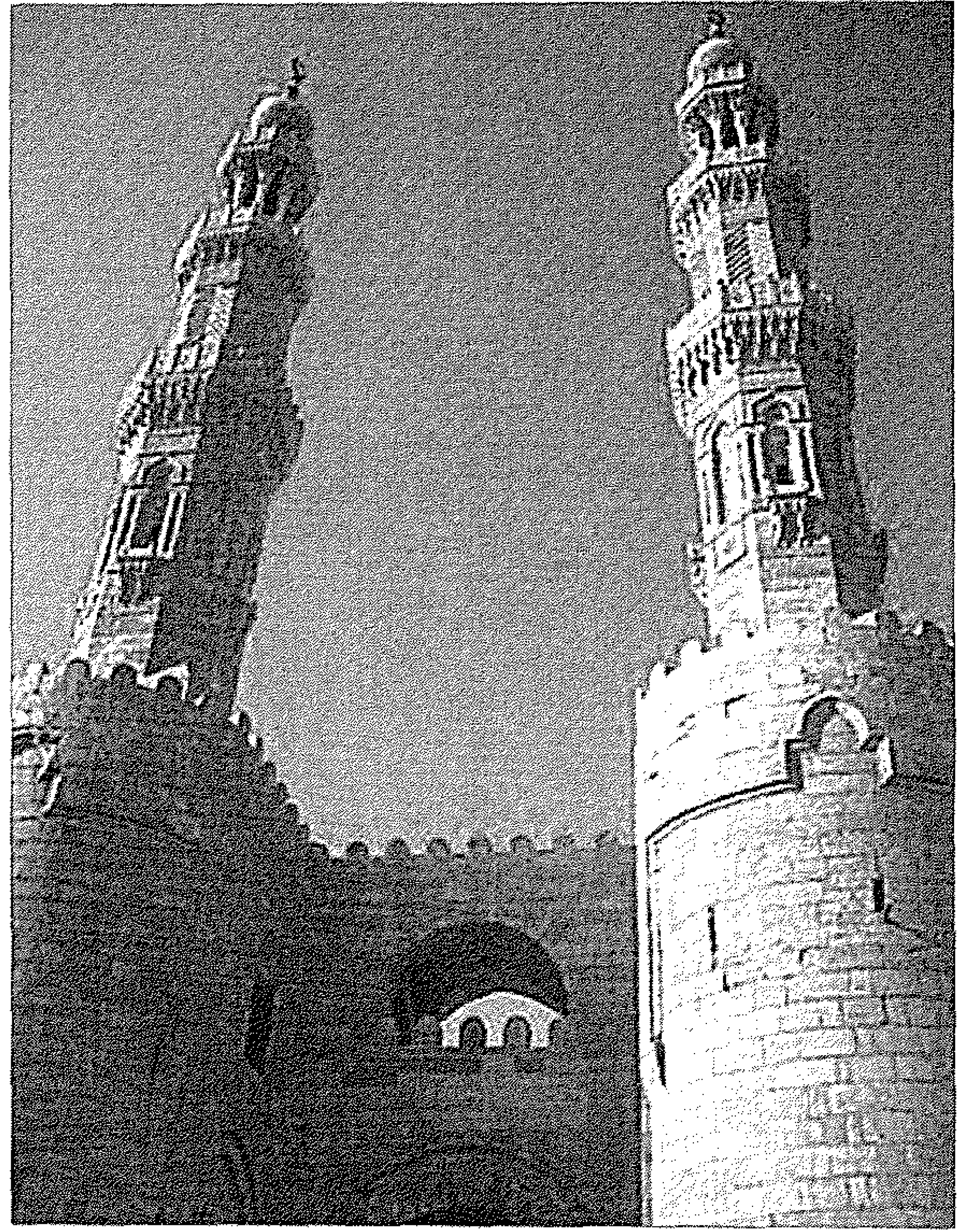
لوحة ٢٩. نطاق باب العزب.



لوحة ٣٠. باب العزب.


لوحة ٣١. باب الفتوح.


لوحة ٣٤. القاعة الأشرفية.


لوحة ٣٢. باب زويلة.


لوحة ٣٣. القاعة الأشرفية.

جدراية ذات مربعات مثبتة بمهارة على الحائط فوق طبقة من الجبس يبلغ سمكها بوصتين ولعل هذه التصاوير تمثل تقليداً لفسيفساء القاعة الأشرفية بالقلعة (لوحة ٣٣، ٣٤)، وربما كانت في موضوعاتها متأثرة بالزخارف العثمانية. خاصة أن العزب طائفة من الجند العثمانيين.[٩١]

الميدان

يمثل ميدانا الرميلة وتحت القلعة الحد الفاصل بين القلعة والمدينة، وعدهما المؤرخين من حقوق القلعة أى أنهما جزء لايتجزأ منها.[٩٢] وشهد هذان الميدانان أحداثاً سياسية واجتماعية هامة، وهو ما جعلهما محورا من محاور الحكم في مصر منذ العصر الأيوبى، كانت أرض الميدانين.[٩٣] مجرد أرض فضاء حتى شيد أحمد بن طولون ميدانه بهذه البقعة، وفي العصر الفاطمى صارت سوقا يباع فيه الخيل والدواب، وفي العصر الأيوبى إهتم به السلطان الكامل سنة ٦١١ هـ / ١٢١٤م. واستمر هذا الإهتمام بالميدان من قبل ملوك بنى أيوب حتى عهد الصالح نجم الدين أيوب الذي جدد له ساقية وغرس حوله الأشجار.[٩٤] وفي العصر المملوكي خرب المعز أيبك سنة ٦٥١هـ / ١٢٥٣م ميدان الرميلة وظل كذلك حتى اعتنى به الناصر محمد بن قلاوون، فأعاد تشييده وزراعته وتسويره، ورتب فيه الناصر لعب الكرة هو وأمرائه يومى الثلاثاء والسبت من كل أسبوع.[٩٥] وظل الإهتمام متواصلاً بالميدانين طوال العصرين المملوكيين البحرى والجركسى. وكانت العمارة الكبرى للميدان في عصر السلطان الأشرف قانصوه الغورى. ففي شهر صفر ٩٠٩هـ / ١٥٠٣م. كان إبتداء العمل بميدان تحت القلعة في عهده، فتم تعلية الأسوار، ثم شرع في بناء مقعد ومبيت

برسم المحاكمات وأنشأ في الجهة الغربية من الميدان قصراً حافلاً ومنظرة وبحرة، وغير ذلك من المبانى الفاخرة، ثم شرع في نقل أشجار من سائر الفواكه وأصناف الأزهار والرياحين وغير ذلك فغرست بالميدان من الجهة الغربية، ثم أنشأ قصراً على باب الميدان مطلا على الرميلة، وعمل ممشاة من القلعة إلى الميدان بسلالم متصلة إلى ذلك القصر، وجعل للميدان باباً كبيراً وعليه سلسلة حديد وإلى جانبه باب صغير عليه سلسلة حديد مثل الباب الكبير.[٩٦]

استمر الإهتمام بميدان الرميلة وميدان تحت القلعة قائما في العصر العثمانى بحكم أهميته الاستراتيجية، ومن ولاة مصر الذين كان لهم دور في ذلك مصطفي باشا الذي تولى سنة ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٣م. فقد عمر غيط الميدان فزرعه بعد أن كان قد اندثر وجعل فية بئراً معيناً، ومن العمائر التى أقامها أيضا زاوية غربى الميدان، كذلك أنشأ حوضاً وسبيلاً اندثرا الآن، كما استن بالميدان سنة جديدة، وهي عمل موسم ثلاثة أيام العيد به.[٩٧]

وظائف ميدانى القلعة

كان لميدانى القلعة وظائف عديدة، طغى عليها رسوم الدولة الحاكمة سواء كانت المملوكية أوالعثمانية، فقد استخدم كمصلى للعيدين، وفيه كان يجلس الملوك والولاة للنظر في المظالم، وكانت تقام به حفلات زواج خاصة بالسلاطين والأمراء، وعمل المواكب السلطانية، إلى جانب استخدام الميدان في ألعاب الفروسية وخاصة لعب الكرة، وكذلك استخدم في النشاط الدبلوماسى حيث كان السلاطين يستقبلون فيه السفراء والرسل والضيوف، وارتبط ميدان تحت القلعة باحتفال سنوى، وهواحتفال الدوران وخروج المحمل.

صلاة العيدين

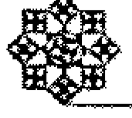
كان لسنة الرسول ﷺ، أثرها الواضح في اشتمال المدينة على ساحة فضاء، تقام عليها صلاة العيد في الخلاء، عرفت بمصلى العيد يخرج إليها أهل المدينة لصلاة العيد.[٩٨] ومن المرجح أن الميدان إتخذ لصلاة العيد منذ عصر الكامل حين نقل مقر الحكم من القاهرة إلى القلعة، وظل الأمر ساريا إلى العصر المملوكى البحرى.[٩٩] وفي العصر الجركسى الذي بدأ مع تولى الظاهر برقوق السلطنة أقام صلاة العيد بجامع القلعة لأسباب أمنية.[١٠٠]

ومن الملفت للنظر أن الرسول ﷺ إستن أن يذهب لصلاة العيد من طريق ويرجع من آخر.[١٠١] وهو ماترك أثره على المدن الإسلامية منذ فترة مبكرة، ففي مدينة عنجر[١٠٢] التى شيدها الوليد بن عبد الملك لسكن القبائل العربية المهاجرة إلى بلاد الشام، تم تخطيط طريقين من أمام سور المدينة أحدهما للذهاب للمصلى والآخر للعودة منه.[١٠٣] وهذا ما ترك أثره على مدينة القاهرة إذ كان الخليفة الفاطمى يخرج من باب الفتوح إلى مصلى العيد شمال المدينة ويدخل من باب النصر. وفي القلعة كان للسلطان عند خروجه لصلاة العيد بالميدان طريقان أيضاً، حددهما المقريزى حيث يذكر (فيكون نزول السلطان في يوم العيد وصعوده من باب خاص من دهليز القصر غير المعتاد النزول منه فإذا ركب من باب قصره ونزل إلى منفذه من الإسطبل إلى هذا الميدان ينزل في دهليز سلطانى قد ضرب له على أكمل ما يكون من الأبهة فيصلى ويسمع الخطبة ثم يركب ويعود إلى الإيوان الكبير ويمد به السماط ...).[١٠٤] ومن الملاحظ أن السلطان نزل من قصره من دهليز القصر، ولم يعد إلى القصر بل ذهب إلى الإيوان وهو ما يعنى مخالفته في طريق العودة لطريق الذهاب، وقد يكون صعوده للقلعة من الممر السلطانى المنحوت في الصخر والذي يؤدى إلى ساحة تتقدم الإيوان.

نظر المظالم والمناسبات السياسية

جلس السلطان الظاهر برقوق للنظر في أحوال الرعية والحكم بين الناس في الميدان بدءاً من يوم ٢٩ صفر سنة ٧٩٢ هـ/ ١٣٨٩م. واستمر على ذلك في كل يوم أحد وأربعاء.[١٠٥] كما قام السلطان الغورى ببناء مقعد للنظر في المظالم في الميدان.[١٠٦] كما كان الميدان موضعاً للاحتفالات بزواج السلاطين والأمراء مثل زواج ابن بيبرس على بنت الأمير سيف الدين كسرويه التترى سنة ٦٦٤هـ / ١٢٤٦م.[١٠٧] وكذلك شهد الميدان عرس ابن بيبرس على بنت المقر السيفي قلاوون سنة ٦٧٢ هـ/ ١٢٧٣م، وكان احتفالاً عظيماً.[١٠٨]

استخدم الميدان في استقبال الرسل والسفراء والقصاد من جميع أنحاء العالم في العصر المملوكى. بل إن الميدان كان مقر الإقامة الدائم لبعضهم أثناء مهامهم في مصر، وكانوا يقيمون بمناظره أو في مخيمات كبيرة مجهزة بها

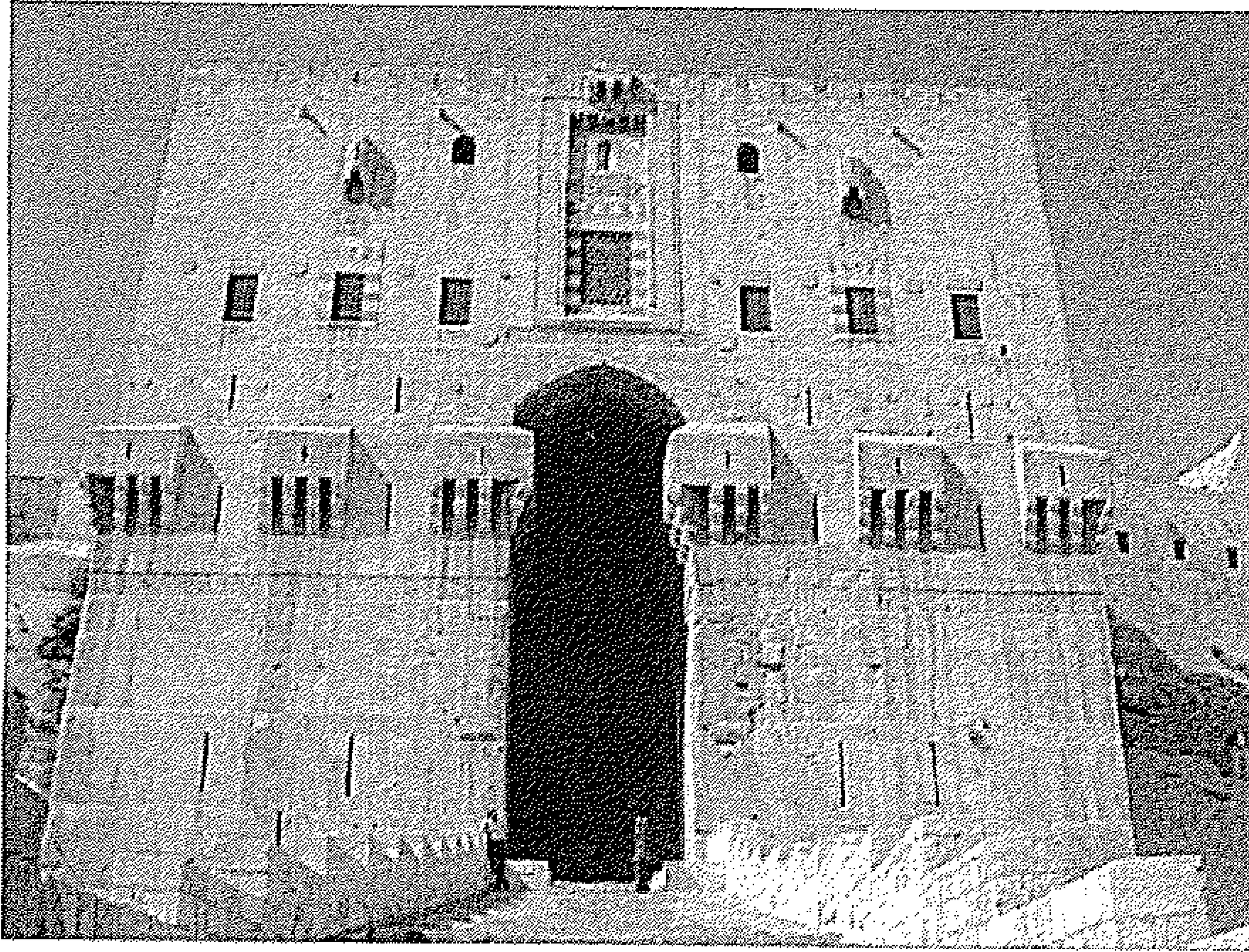


يلزمهم، وقد استقبل هؤلاء الرسل والسفراء استقبالات رسمية. على رأسها السلطان ومعه أمراء وأعيان الدولة الكبار، وكان يتم تبادل الهدايا والمكاتبات بالميدان أحياناً. ويعتبر عصر السلطان الغورى ذروة نشاط الميدان في هذا المجال، ونظراً للتنافس الذي اشتد في ذلك العصر بين المماليك والصفويين والعثمانيين، فقد حرص السلطان الغورى على أن يظهر لسفراء ورسل الصفويين عظمة السلطنه المملوكية وعظمة جنودها وقوتهم وشدة بأسهم، فكان يستضيفهم كلهم بالميدان ويستعرض العسكر بكامل عدتهم، ويتعمد أن يلعب الكرة والصولجان مع مماليكه بالميدان، وكان يأمر بسوق الرماحة وأن يرموا النشاب من على ظهور الخيل وهم بآلة السلاح، وأن يلعبوا القبق وبالقسى كفريقين متخاصمين ويتبارون بالرماح ويظهرون الفنون الغريبة التى تدهش الرسل.[١٠٩] وتجعلهم يتعجبون من ذلك غاية التعجب.[١١٠] ويذكر ابن اياس أيضا أن الغورى قصد سوق الرماحة أمام قاصد بن عثمان أو قاصد الصوفي عمدا (حتى يريه فروسية عسكر مصر فكان ذلك عين الصواب). وكان الغورى يخلع على الرسل الخلع السنية ويهديهم الهدايا الغالية، وكان يحضر الاحتفالات الجم الغفير من الناس. فعل الغورى ذلك بالميدان مع رسل الشاه إسماعيل الصفوى في يوم ٢٧ شعبان ٩١٣ هـ، وفي يوم ٢٨ ربيع الأول سنة ٩١٧ هـ، ويوم ١٩ ربيع الآخر سنة ٩١٧هـ، ويوم ٢٧ ربيع الآخر سنة ٩١٨هـ.[١١١] وفعل ذلك أيضا مع رسل العثمانيين في جمادى الآخر سنة ٩٠٨ هـ، ويوم ٩ جمادى الاولى سنة٩١٥ هـ، ويوم ٢٥ ربيع الاول سنة ٩٢٠هـ، ويوم ٦ رجب سنة ٩٢٠ هـ.[١١٢] ومن ضيوف مصر أيضا آنذاك ملك الكرج[١١٣] الذي استضافه السلطان بالميدان، وكان ذلك يوم ٢٦ ربيع الآخر سنة ٩١٨ هـ.[١١٤]

قصور الحمراء

في الوقت الذي كانت فيه قلعة صلاح الدين تشهد بداية عصرها الذهبي، بدأت تشهد غرناطة بالأندلس تشييد مدينة ملكية تتخذ شكل الحصن الذي يقام في موقع منيع يتميز بحصانته، وهي في ذلك تشبه إلى حد كبير قلعة صلاح الدين، وقلعة حلب في الشام (لوحة ٣٥)، هذا الطراز من المدن المحصنة أصبح الطابع المميز لمقار الحكم في العديد من مدن العالم الإسلامى ابتداءاً من القرن ٤هـ/ ١٠م.[١١٥]

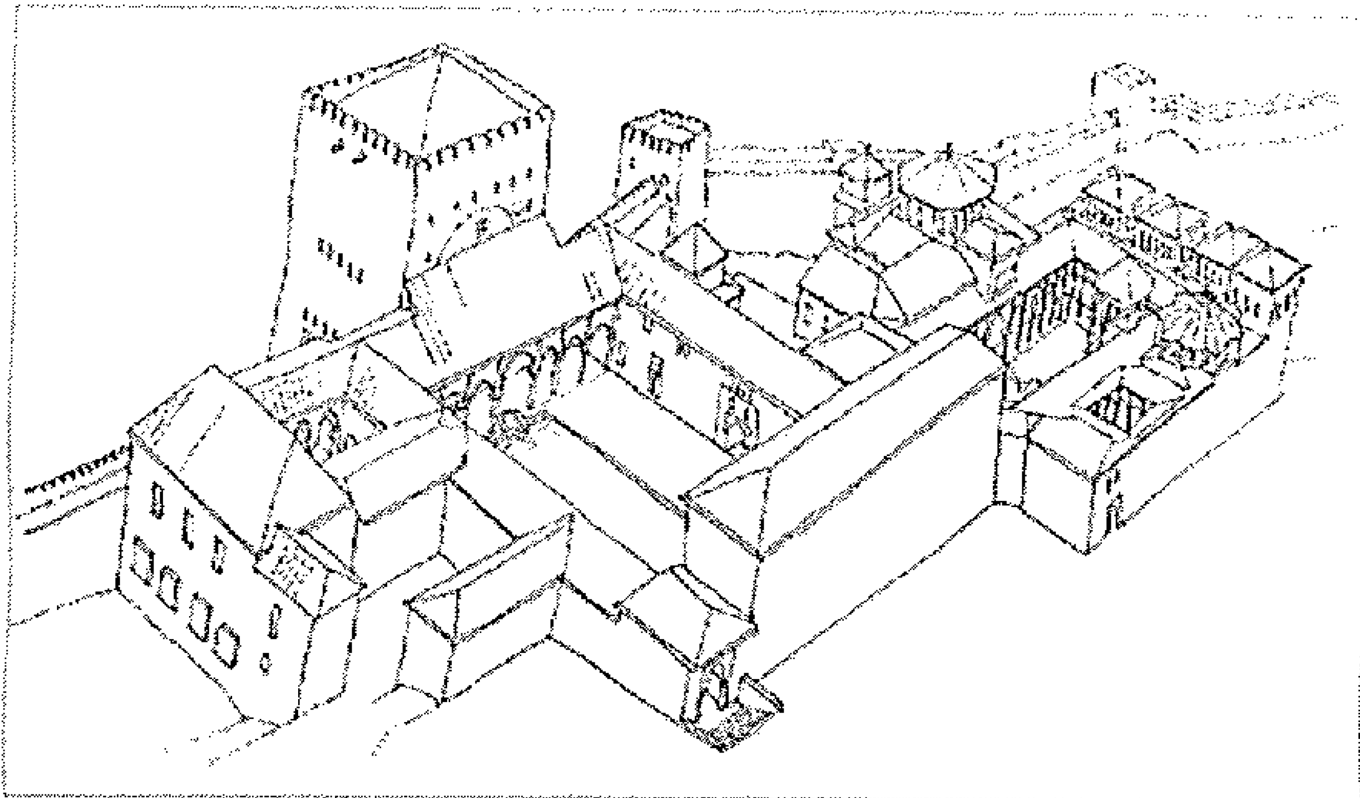
كانت الحمراء (لوحة ٣٦) (شكل ١٩) مقر حكم بنى الأحمر آخر حكام المسلمين لغرناطة، ويرجع تأسيسها إلى محمد بن يوسف بن نصر ٦٣٥ - ٦٧١)،[١١٦]هـ / ١٢٣٨ - ١٢٧٢م) الذي يرجع إليه الفضل في وضع أساس هذه السلطنة، ولم شعث ما تبقى من مدن الإسلام بعد الموجة الضاربة لحركة الاسترداد التى واكبت انهيار دولة الموحدين في الأندلس، وأطاحت بكيان دولة الإسلام بعد ضم معظم قواعده الرئيسية إلى المالك المسيحيه في أسبانيا، فسرعان ما قامت غرناطة بالتصدى لحركة الإسترداد. وتألقت رغم صغر مساحتها، وكان لزاماً على محمد بن



لوحة ٣٥. قلعة حلب.



لوحة ٣٦. منظر عام لقصور الحمراء.

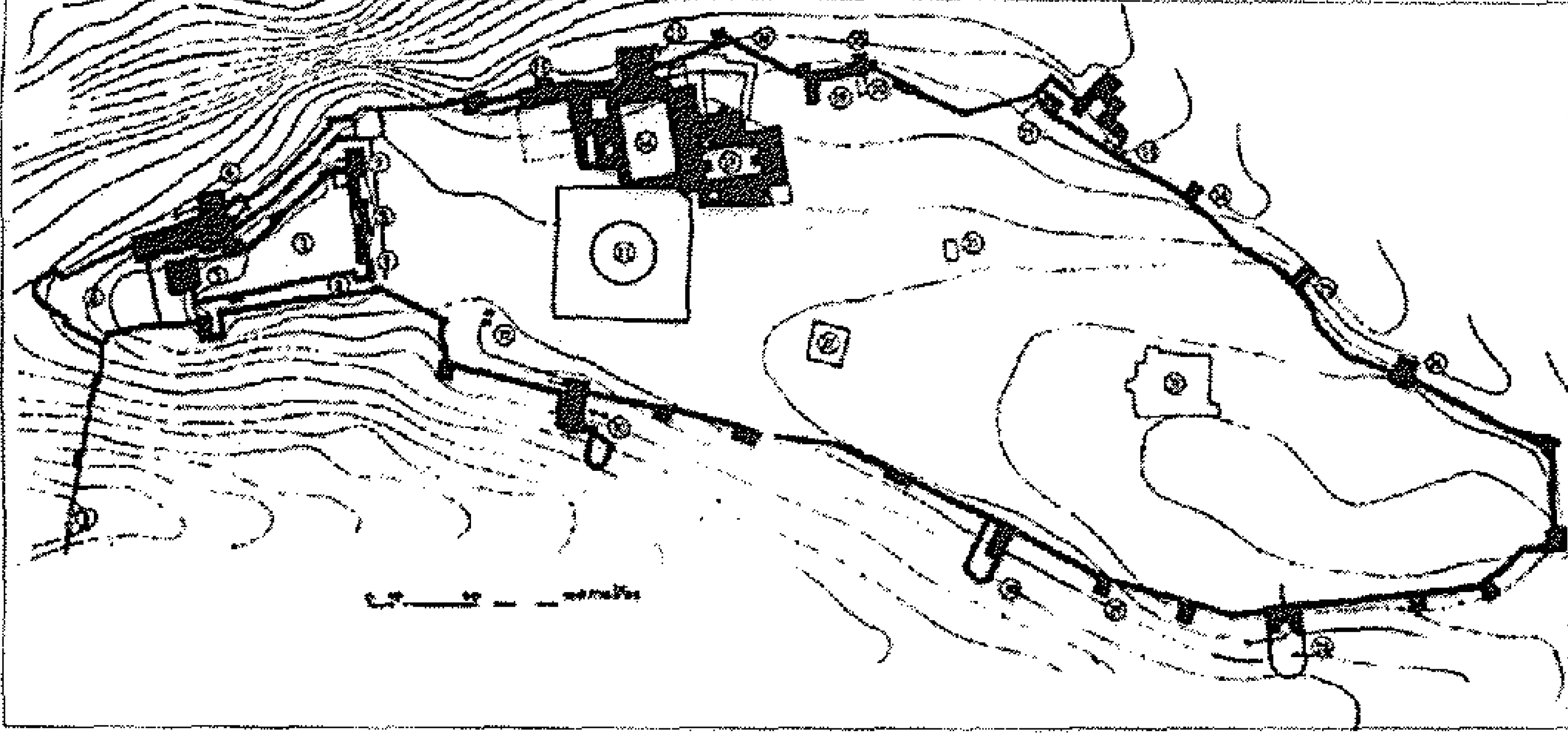


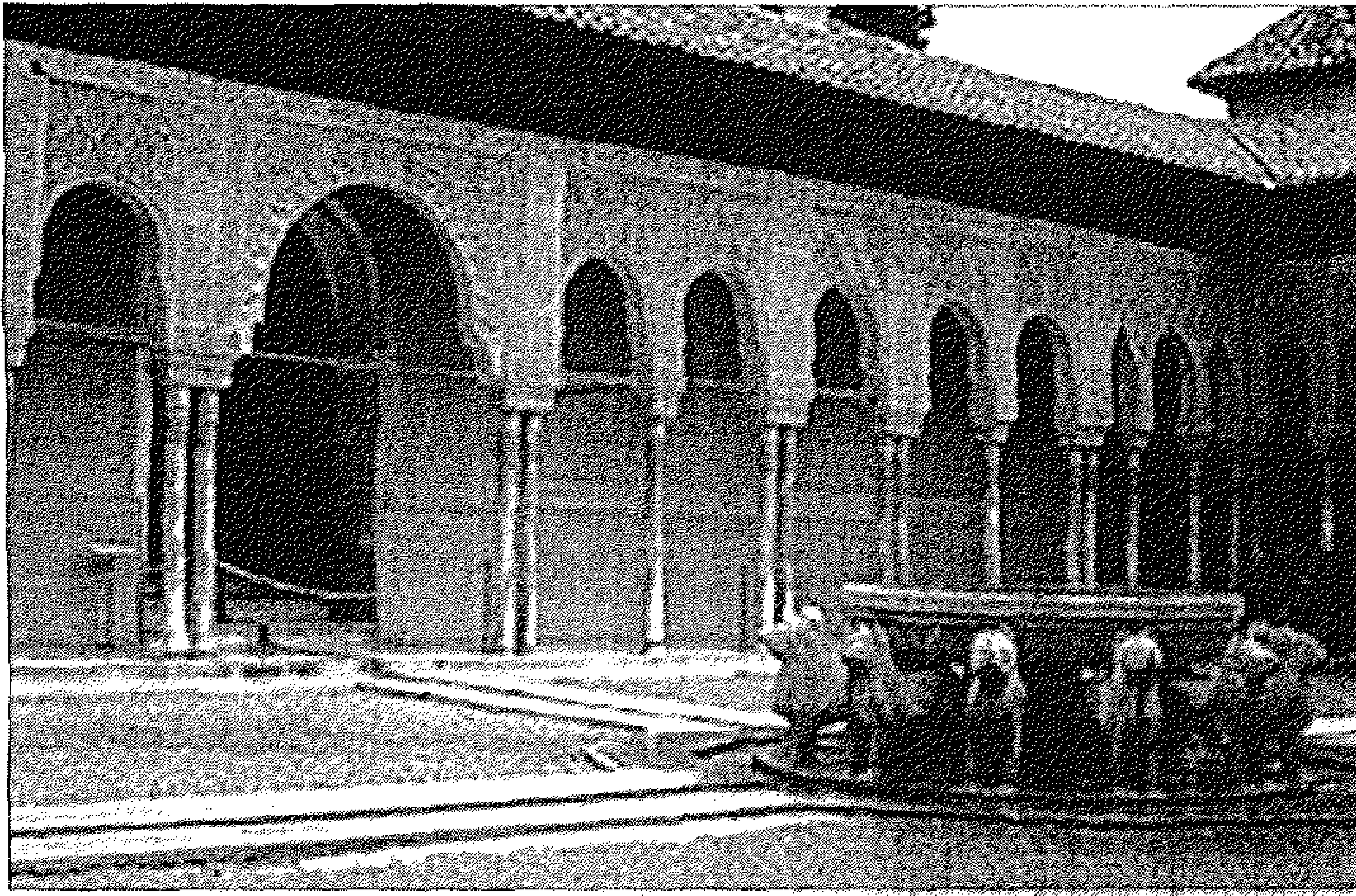
شكل ١٩. قصور الحمراء.

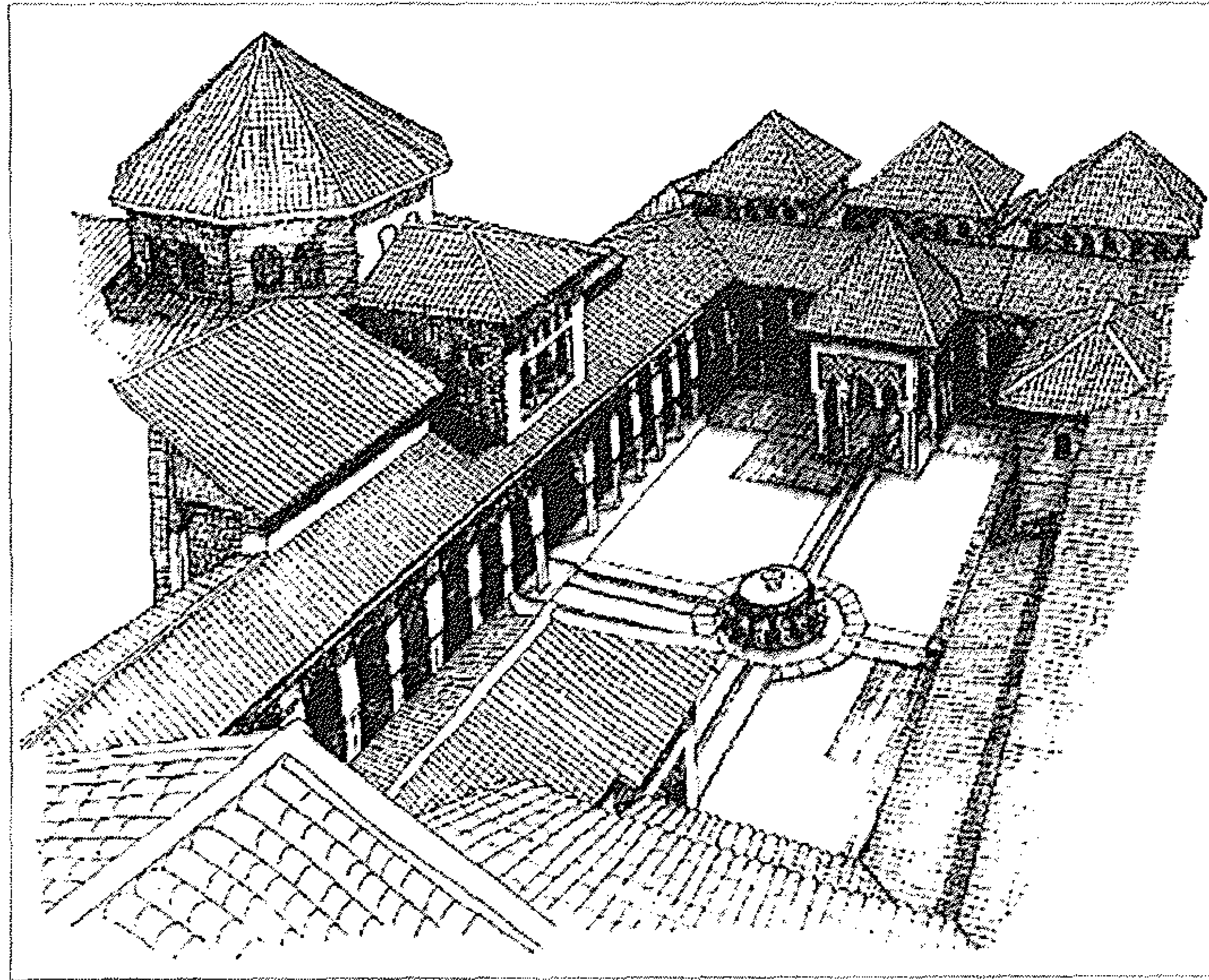
نصر أن يختار مقر سلطنته في موقع إستراتيجى منيع، ووقع اختياره على معقل حصين يقع فوق القمة المعروفة بالسبيكة وأخذ في تعميره وترميم أسواره وإقامة قصبة حصينة تحيط بها المتنزهات، وكانت هذه القصبة النواة الأولى للقصور المعروفة بالحمراء والتى ترجع إلى سلاطين بنى نصر.[١١٧]

والمجموعة الحالية لقصور الحمراء (شكل ٢٠) يرجع الفضل في إنشائها إلى بعض سلاطين بنى نصر أضاف كل منهم قصراً أو ابتنى مجلساً داخل برج من الأبراج تتقدمه بركة صناعية أو زود أحد القصور بصحن تتوسطه نافورة، ويصف ابن الخطيب مدينة السلاطين التى تشتمل على قصور الحمراء المطلة على مدينة غرناطة بقوله: 'مدينة الحمراء دار الملك مطلة على معمورها في سمت القبلة، تشرف عليه منها الشرفات البيض، والأبراج السامية والمعاقل المنيعة والقصور الرفيعة، تغشى العيون وتبهر العقول وتنحدر من فضول مياهها وأفياض حوائرها وبركها في سفحة جداول تسمع على البعد أهزاجها، ويحف بسور المدينة البساتين العريضة المستخلفة، والأدواح الملتفة فيصير من ذلك خلف سياج تلوح نجوم الشرفات البيض أثناء خضرائه فلا تعرى جهة من جهاته عن الجنات والكروم والبساتين'.[١١٨]

وينطبق وصف ابن الخطيب على الأسوار والأبراج والبساتين المحيطة بالحمراء، على الرغم من التعديلات العديدة التى تعرضت لها بعد سقوطها في أيدى الملكين الكاثوليكيين، وبالرغم من ذلك فمازالت القصور بتخطيطها الأصلى على أيام سلاطين بنى نصر.[١١٩]

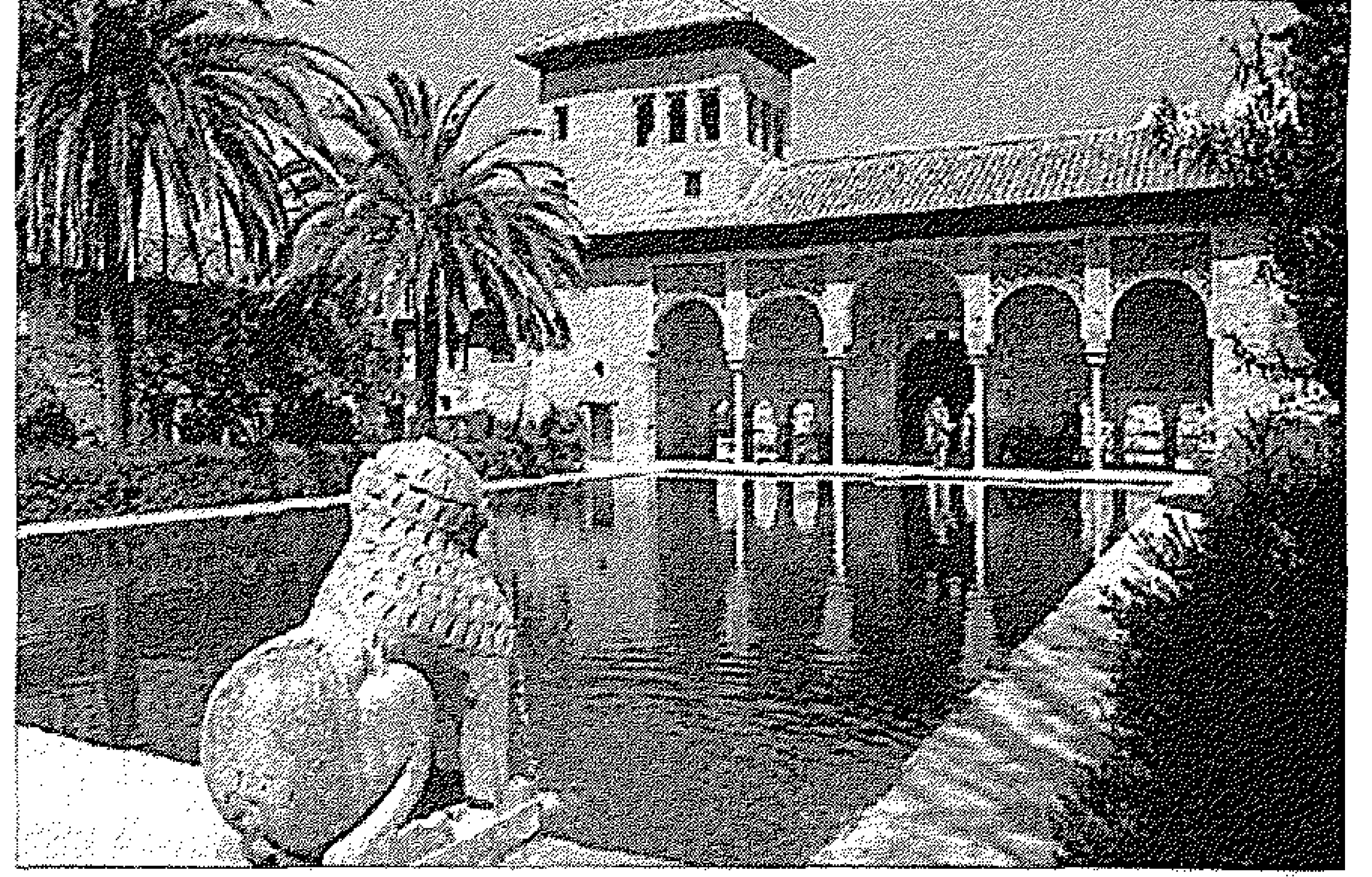

شكل ٢٠. مسقط أفقي لقصور الحمراء.


لوحة ٣٧. بهو السباع بقصور الحمراء.

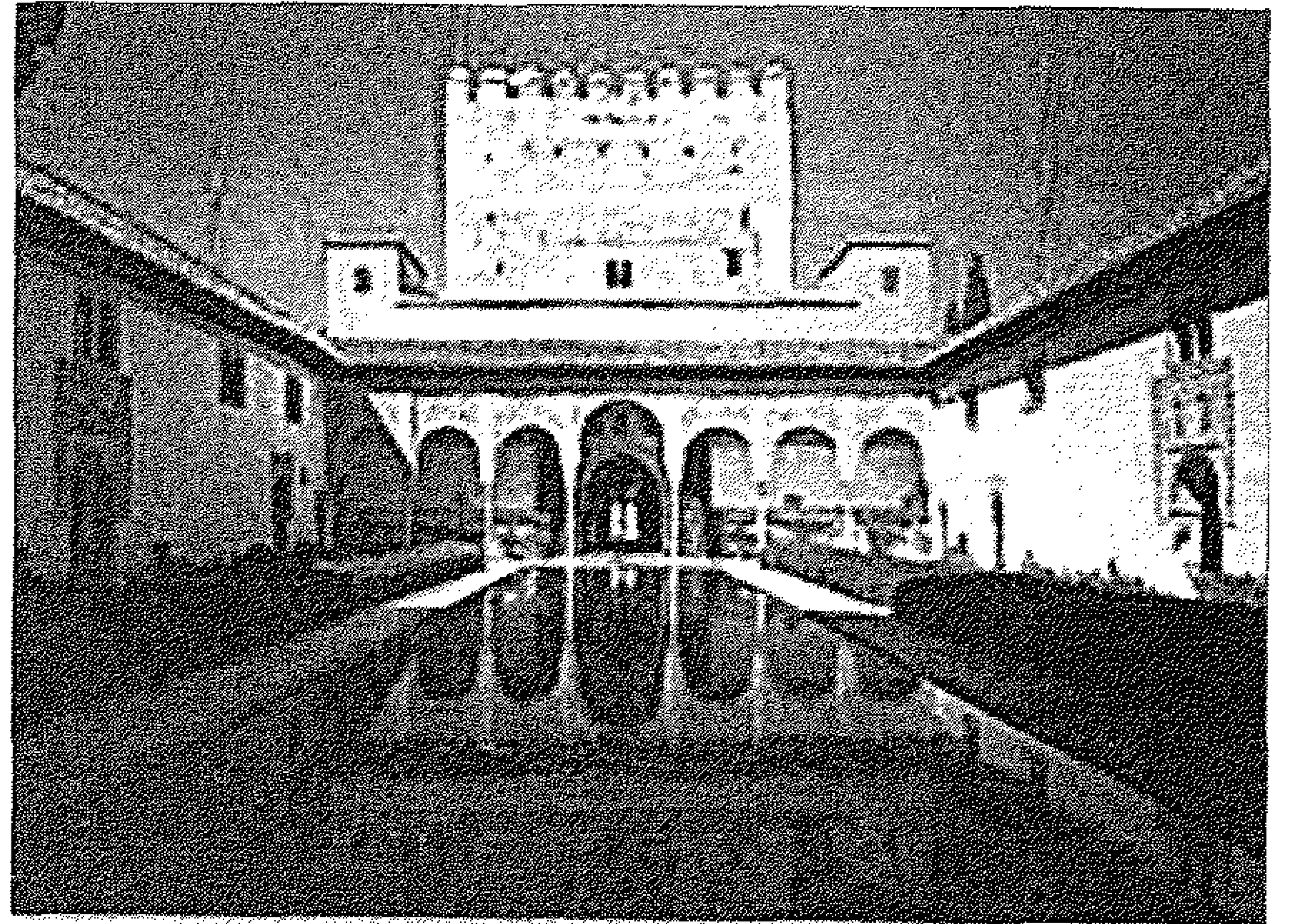

شكل ٢١. بهو السباع.

أقدم قصور بنى نصر التى أقيمت بالحمراء كانت من إنشاء السلطان الغالب بالله محمد بن يوسف بن نصر، الذي وضع النواة الأولى للأسوار والقصبة والقصور فوق القمة المعروفة بالسبيكة ثم تتابعت الزيادات في القصور والمجالس والقاعات على يدى عدد من سلاطين بنى نصر.

وتنقسم مجموعه الأبنية المؤلفة لقصور الحمراء إلى مجموعتين، المجموعة الأولى وتنسب إلى السلطان يوسف الأول ٧٣٣-٧٥٥ هـ/ ١٣٣٣-١٣٥٤م، وتشمل باب الشريفة والحمامات السلطانية وكذلك برج الأسيرة ومصلى البرطل وبرج أبى الحجاج وقاعة السفراء. والمجموعة الثانية وتنسب إلى السلطان محمد الخامس الغنى بالله،[١٢٠]


لوحة ٣٨. قصر البرطل.


لوحة ٣٩. قصر جنة العريف.


لوحة ٤٠. بهو الريحان وقاعة قمارش.

وتضم مجموعة بهو الأسود أو السباع (لوحة ٣٧) (شكل ٢١) الذي يضم قاعتى الأختين وبنى سراج المتقابلتين. بالإضافة إلى قاعة الملوك وقاعة المقربصات بالإضافة إلى النافورة التي تتخذ شكل قصعة مستديرة يحملها اثنى عشر أسداً تمج المياه من أفواهها، ومن أبواب الحمراء باب النبيذ. أما المجموعات الأخرى من القصور فترجع إلى عدد من سلاطين بنى نصر، ساهم كل منهم بالإضافة والتجديد والتعديل في قصور الحمراء فيرجع قصر البرطل (لوحة ٣٨) إلى السلطان محمد الثالث ٧٠١[١٢١]-٧٠٨هـ/ ١٣٠٢ - ١٣٠٨م، وكذلك مسجد الحمراء. ويرجع الفضل في إنشاء قصر جنة العريف (لوحة ٣٩) إلى السلطان أبو الوليد إسماعيل٧١٣ [١٢٢]-٧٢٥هـ / ١٣١٣- ١٣٢٤م ويرجع قصر أوبرج الأميرات إلى السلطان محمد السابع، كما أسهم سلاطين آخرون في الزيادة والتجديد في قصور الحمراء ببعض الإضافات في أبهاء القصور وبساتينها سواء بالبنيان أو الزخرفة مما يصعب أحياناً تحديد وتمييز أعمال كل منهم عن الآخر.[١٢٣]

ولوحظ أن معظم مسميات القاعات والأبهاء والأبراج، ترجع في معظم الأحيان إلى عصور حديثة، وأغلبها من وضع الأسبان وترتبط في كثير من الأحيان بالروايات والقصص الأسطورية، وكثيراً مايطلق على القاعة الواحدة عدة مسميات، فقاعة السفراء تسمى قاعة العرش، ويطلق عليها أيضاً قاعة قمارش (لوحة ٤٠) أو قصر الريحان.[١٢٤]

اكتسبت قصور الحمراء رمزية خاصة لدى المسلمين والأسبان ويعود ذلك لكونها شاهد سياسى على نهاية وجود المسلمين بالأندلس، وسيطرة الأسبان بصورة نهائيه على الأندلس، كان ذلك عندما اضطربت أحوال مملكة غرناطة وانحسرت حدودها داخل أسوار عاصمتها، فضربت الجيوش المسيحية عليها حصاراً محكماً في جمادى الآخرة ٨٩٦هـ/ أبريل سنة ١٤٩١م. وكلما أشتد الحصار زادت نار الفتنة اشتعالاً، ووجد اليأس طريقه إلى قلوب الغرناطيين نتيجه للجوع والغلاء، ثم تآمر السلطان أبو عبدالله محمد بن على بنفسه على تسليم المدينة وقلعتها الحصينة، في مقابل شروط معينه أهمها: تأمين السكان وأموالهم ومتاعهم، إطلاق جميع الأسرى من أهل غرناطة المسلمين، ترك الحرية للمسلمين لمزاولة شعائرهم الدينية، عدم التعرض لهم إذا رغبوا في العبور إلى المغرب، إلى غير ذلك من الشروط.

أرسلت هذه الشروط إلى ملك قشتالة فوافق عليها وطلب تقديم خمسمائة من كبار رجال المسلمين كرهائن، فأجيب إلى طلبه. فتقدمت قوة مسيحية إلى قصر الحمراء وتسللت إلى داخله دون مقاومة فتلقى السلطان أبو عبدالله قائدها في برج قمارش وسلمه مفتاح حصن الحمراء فقط دون مفتاح المدينة، فعاد القائد إلى معسكر سيده الذي كان يبعد قرابة اثنى عشر كيلو متراً عن أسوار غرناطة وصحبه

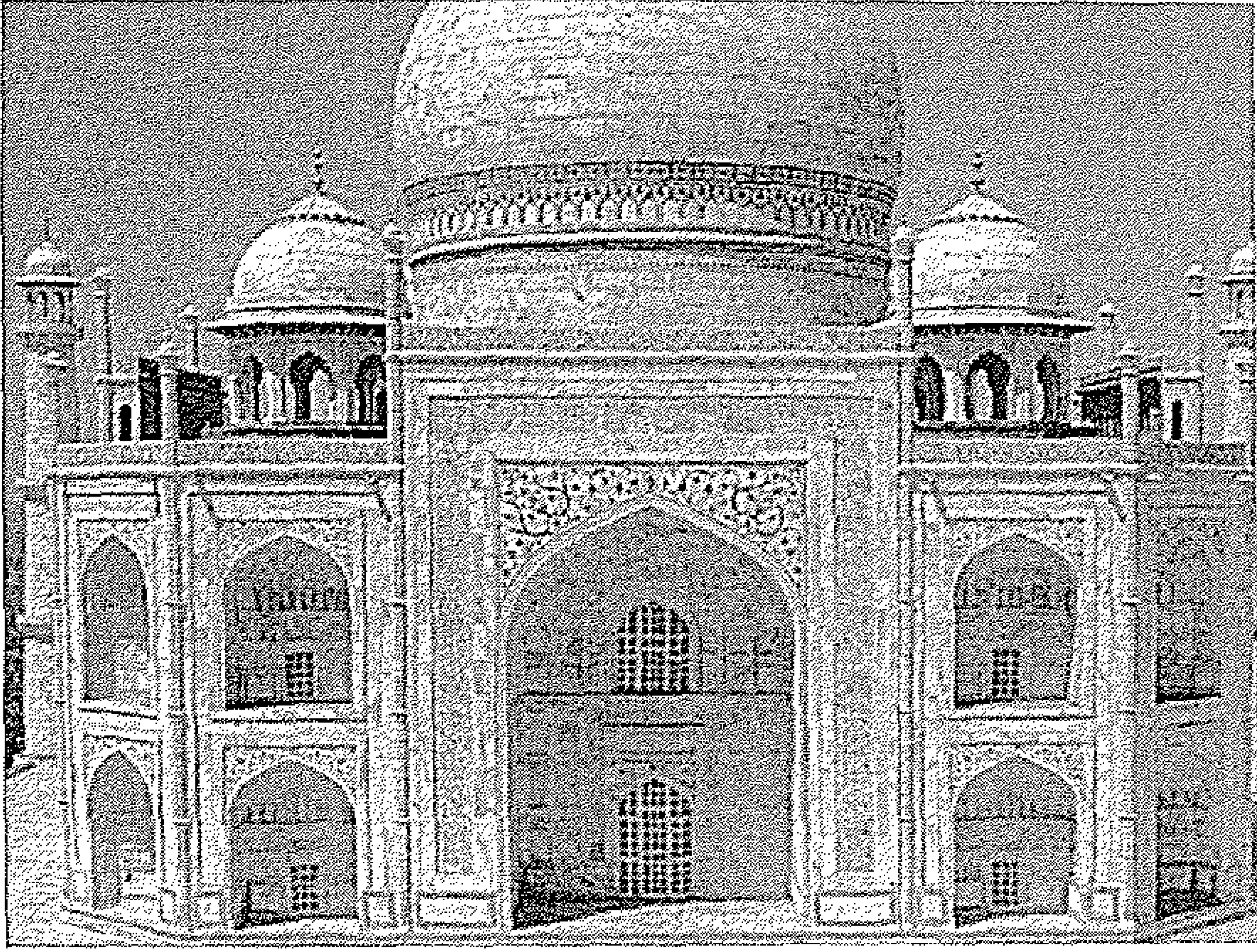
والملكة إيزابيلا إلى الحمراء فدخلها فرناندو وإيزابيلا مع جيوشهما في ٢ ربيع الأول سنة ٨٩٧هـ / ٢ يناير ١٤٩٢م، ورفع الصليب على برج الحراسة، لكى يشاهده أهل غرناطة، وليكون رمزاً لاستلام مقر الحكم.[١٢٥]

والسؤال المطروح حول موقع قصور الحمراء من فن العمارة الإسلامى والفن المعمارى الدولى مقارنة بالأوابد المعمارية الشهيرة، كالأهرام وتاج محل (لوحة ٤١) .. إلخ؟.

تمثل قصور الحمراء آخر ماتبقى من الأندلس، معمارياً وفنياً، فهل يمكن أن نعدها أعلى ماوصل إليه الفن المعمارى والفنون الزخرفيه بالأندلس، هذا ليس فيه شك، أذ أنها بنيت في عصر ضعف، وبالتالى لا مجال للحديث عن أبهة أوعظمة أو ضخامة أو إعجاز، مقارنة بما كان في الأندلس في العصور السابقة على الحمراء، خاصة أنها فقدت الكثير من محيطها المعمارى والعمرانى، وبالتالى لانستطيع أن نتلمس فيها تخطيط تشكيلى وفراغى كامل، ولم تكن رمزاً لدولة كبرى ذات سيادة كدولة المماليك في مصر والعثمانيين في تركيا، ولاهي بالتالى رمزاً لعزة أو منعة، قصور الحمراء كما تقوم اليوم دقيقة ورقيقة، صغيرة وضعيفة. تمتاز بالرفاهية في زخرفها، وهنا ينبغى التساؤل هل دخلت قصور الحمراء الخانة الرمزية بسبب من التعارض الظاهر بين رفاهيتها ودعتها ودقة صنعتها من جهة واستعار حروب الإستعادة المسيحية من حولها من جهة أخرى ؟ هل أضحت رمزاً للاستكانة والاستهانة واللهو والاستهتار اللذيذ والمسترخى في وجه قوى عاصفة لاوسيلة لها لمقاومتها أو حتى للتفكير بتجاوزها سوى بالالتهاء عنها والانغماس في متع حسيه ونرجسيه؟[١٢٦] ومن منظور آخر، هل نظر مستشرقوا القرن التاسع عشر إلى هذه القصور على أنها الموئل الأخير للسحر الشرقى الغامض والمثير في أقصى الغرب من الغرب ؟!.

هل رأوا فيها التجسيد الحقيقى والمدغدغ للغرائز الذي نسبوه لبناة القصور الإسلامية بحريمها المحرم وطقوسها المشتهاه ؟ هل كان لهذه أن تخلد في الأدب والفن العالميين لو أنها كانت قائمة في القاهرة أو مراكش أو بخارى مثلاً ؟.

تلك أسئلة شغلت العديد من المفكرين والمؤرخين والأدباء ابتداءاً من الثلاثينات من القرن التاسع عشر، ولكن الغالبية العظمى ممن عالجوها كانوا من الشعراء والروائيين والفنانين الرومانتيكيين حول قصور الحمراء



لوحة ٤١. تاج محل.

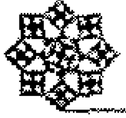
وساكنيها، حولوها إلى ملعب لخيالهم وحساسياتهم. ورغباتهم المعلنة منها والمرجوة. فالتحليق مع الخيال والتاريخ المرتبط بالمكان قدم لنا الكثير.

إجتذبت الحمراء بروائعها الروائى الأمريكى الشهير واشنطن أرفنج ليمضى فيها عدة ليال يستلهم منها مادة لقصصه ورواياته ومنذ ذلك الحين انتجعها الفنانين والأدباء ومن هؤلاء العباقرة الموسيقى الأسبانى الشهير مانويل دى فايا، والشاعر الأديب فردريك جارسيا لوركا.

وتصالحت أسبانيا من هذا المنطلق مع قصور الحمراء فإليها أقبل في سنة ١٩٥٣م جمهور من المتخصصين في تاريخ الفن والعمارة يستلهمون منها طرازاً قومياً لعمائرهم وأصدروا قرارهم بعد ثلاثة أيام قضوها في أبهاء القصور وقاعتها يتأملون عناصرها الزخرفية، ويستنبطون من قيمها الجمالية والمعمارية الوفيرة مواداً لهذا الطراز.[١٢٧]

عاشت إذن قصور الحمراء بسبب روعة تصميمها المعمارى ودقة تناسب وتناغم عناصرها التشكيلية والزخرفية والنباتية والمائية أى أن هذه القصور استمرت بعد ذهاب ساكنيها لأنها فعلاً من دون أى اعتماد على عناصر الضخامة والعظمة والبذخ، فهي لا تحتوى أى معادن أو أحجار ثمينة أو شبه ثمينة كمثيلاتها في قصور الملوك، متألقة ومكتملة معمارياً بدقتها وأناقتها وهيافة زخارفها المنمنمة التى تغطى كل سطوحها الداخلية وتناغمها الرائع مع محيطها الطبيعى بل وتداخلها معه عبر نوافيرها وحدائقها ومطلاتها وعيونها التى ما أنفكت تغذى قريحة الإنسان.

إن هذه القصور تحيا بسبب من جمالها الذي يمس شغاف الحس ويثير فيه الرغبة بالتحليق، بالتخيل،



بالإبداع، وبالمبالغة ربما. هذا الجمال المعماري هو ملهم كل المنشدين لوصف قصور الحمراء أو لمقاربة تاريخها أو بالأحرى لإعادة صياغته نثراً وشعراً وصوره وتصميماً بما يتلاءم مع تأثير هذه الروعة المعمارية على مشاهديها ومتذوقيها.[١٢٨]

هذا الجمال المعماري هو أيضاً السبب في انخلاع الحمراء عن تاريخها الفعلي واكتسابها لتاريخ متألق، متوهج وخيالي أسطوري.

وهذا الجمال هو قطعاً السبب الذي دعا ملوك أسبانيا الكاثوليك للمحافظة على الحمراء في أول الأمر حتى بعدما دخل فرناندو وإيزابيلا قصور أبي عبدالله المستسلم والمنفي عام ١٤٩٢م. ولم يرغبا في سكناها لأنها تخالف مفاهيمهم في التقشف أوعلى الأقل الظهور بمظهره، فإنهما لم يزيلاهاعلى الرغم من العداوة التى شعرا بها تجاه أسيادها السابقين وحتى عندما أراد كارلوس الخامس في بداية القرن السادس عشر أن يؤكد على انتمائه لأوربا عصر النهضة وأقام قصره المتعجرف بقوة في قلب الحمراء، فإنه لم يجد في نفسه كل الكبرياء أو القسوة لإزالة جميع قصور بنى الأحمر، عدا تلك الأجزاء التى أعترضت قصره أو التى حفظت ذكرى حيه لملوك غرناطه المسلمين كروضتهم التى أحتوت قبور بنى الأحمر كلها مثلا.[١٢٩]

بقيت قصور الحمراء ذكرى مؤلمة للأندلس، ووجودها شاهد عيان على انحسار الإسلام عن الأندلس، ولطالما ذكرها المؤرخون مع ما ارتبطت به من أحداث في كتاباتهم فظلت باقية في سيرة التاريخ، بل تناقل وصفها الأندلسيون الذين هاجروا إلى الشمال الإفريقي من مصر إلى المغرب. ولما كان الشعر ديوان العرب، فقد خلد الشعر العربي هذه القصور، حيث حفلت جدرانها بقصائد لأعظم شعراء الأندلس، التى قيلت في وصف حدائق ومتنزهات ومباني الحمراء، مما زاد في قيمة هذا الشعر وخلوده، ويستفاد من المصادر الأدبية والتاريخية وأيضاً من دووابن هؤلاء الشعراء أن بعض قصائدهم أعدت خصيصاً ونظمت لهذا الغرض الزخرفي لتنقش على الجدران والنافورات مما يجعلنا نصدق القول بأن الحمراء تسجل لنا أفخم وأعظم طبعة لديوان الشعر العربي على مر العصور، فلم يسبق أن صدر ديوان للشعر مذهباً ومطبوعاً على الجص والحجر ومزخرفاً بأروع التشكيلات الهندسية والنباتية من فنون الزخرفة الإسلامية.

ويعود هذا إلى أن معظم من تولى الوزارة من سلاطين بنى نصر في غرناطة كانوا من فحول الشعراء، وكانت الموضوعات الرئيسية لأشعارهم تدور عادة حول مدح السلاطين والأمراء، ووصف حفلات البلاط والاحتفالات بالأعياد الدينية الكبرى أوعودة الجيش منتصراً أو حفلات الزواج أو أشعار وصفية لغرناطة وحدائق وقصور وبرك ونوافير قصور الحمراء ومعالمها المختلفة وأشهر الشعراء الذين دونت أشعارهم على جدران الحمراء لسان الدين بن الخطيب وابن الجياب[١٣٠] وابن زمرك،[١٣١] رددت أشعار هؤلاء في شتى أنحاء العالم الإسلامى وكانت بمثابة الذاكرة التى تذكر المسلمين بضياع الحمراء والأندلس، وهو ماصعد من رمزية الحمراء وقصورها.

طوبقو سراى (لوحة ٤٢)

في الوقت الذي سقطت فيه الحمراء في يد الأسبان، كان السلطان العثمانى محمد الفاتح يقوم بفتح القسطنطنية، مؤسساً بذلك دولة إسلامية في شرق أوربا، وكرس هذا نقل العاصمة العثمانية من بروسه إلى القسطنطنية، وهو ما يعطى العديد من المدلولات، منها أن الدولة تتجه بإستراتيجتها المستقبلية نحو التوسع في أوربا، فضلاً عن تحقيق الحلم الإسلامى في فتح هذه المدينة المبشر بفتحها من قبل الرسول ﷺ، والتى طالما فشلت الجيوش الإسلامية في فتحها.[١٣٢]

شيد محمد الفاتح قصراً في وسط المدينة ليكون مقراً للحكم، أحيط هذا القصر بسور كبير، وسمى القصر العتيق أو القديم (سراى عتيق) (لوحة ٤٣) ويشغل موقعه الآن جامعة إستنبول.[١٣٣] وبعد حوالى اثنى عشر سنة من



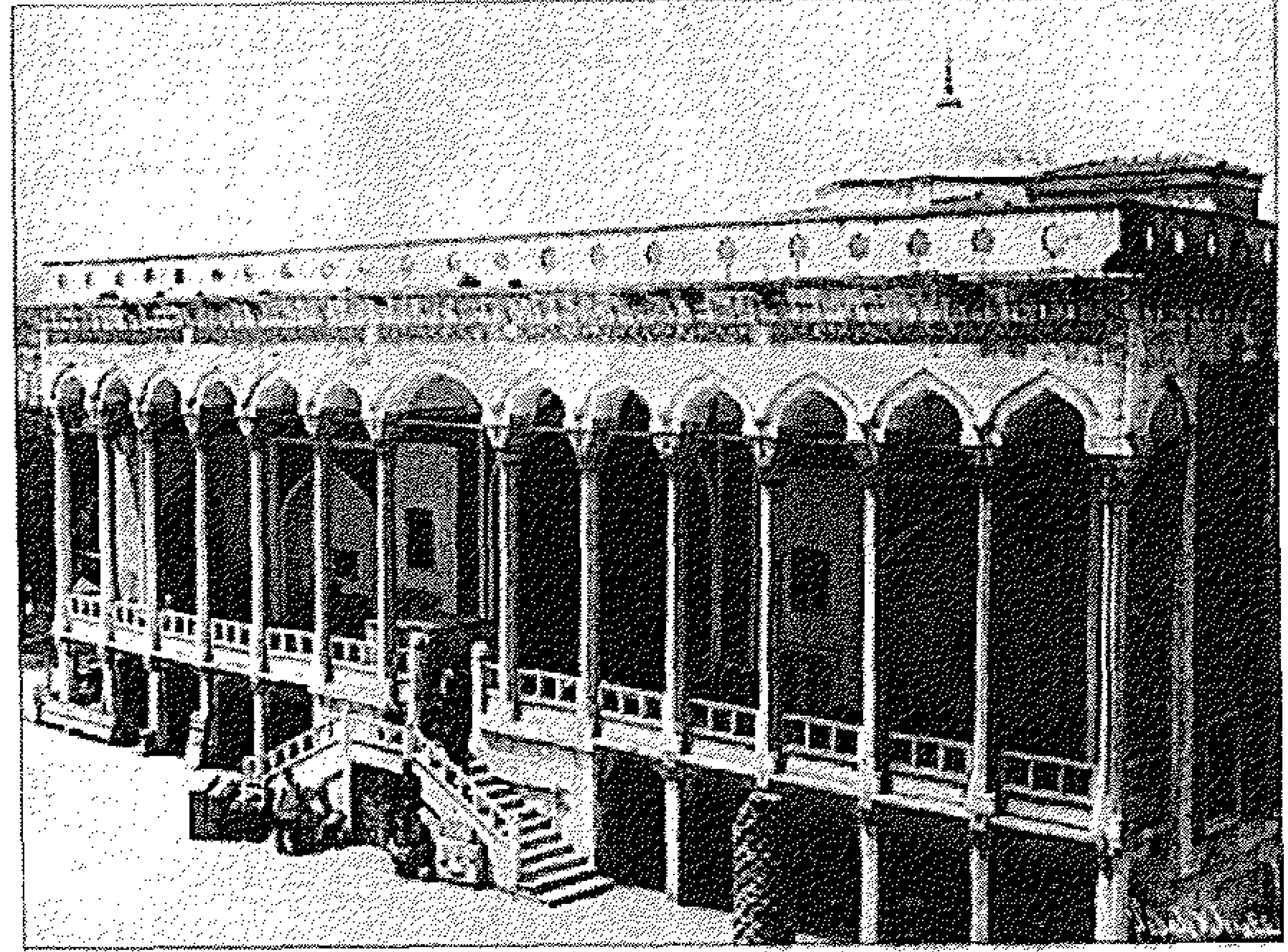
لوحة ٤٢. منظر عام لقصر طوب قابي سراي.

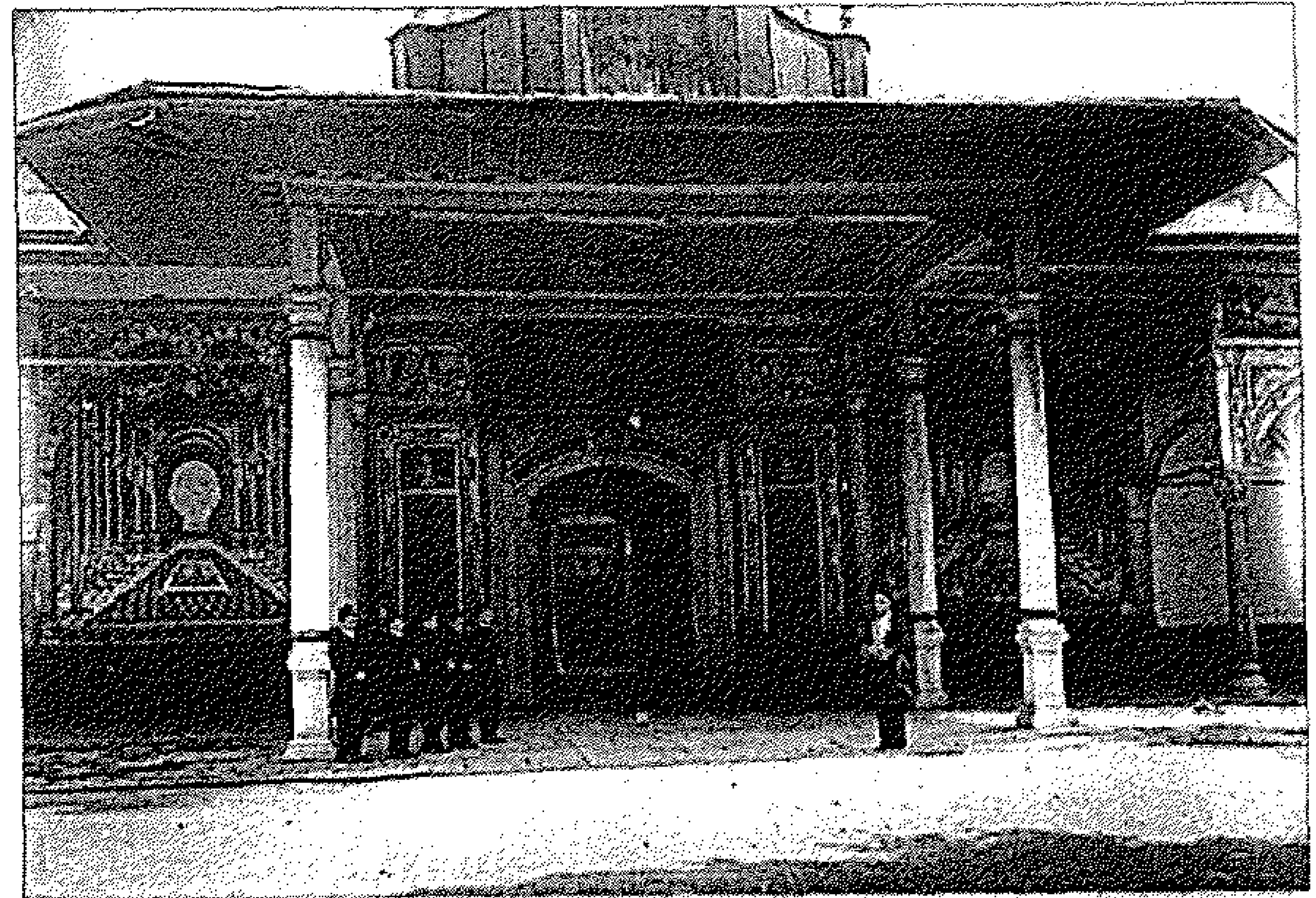
الفتح قرر محمد الفاتح، بناء مقر حكم جديد إذ يبدو أن المقر القديم لم يكن مناسباً أو كافياً لمتطلبات الحكم.

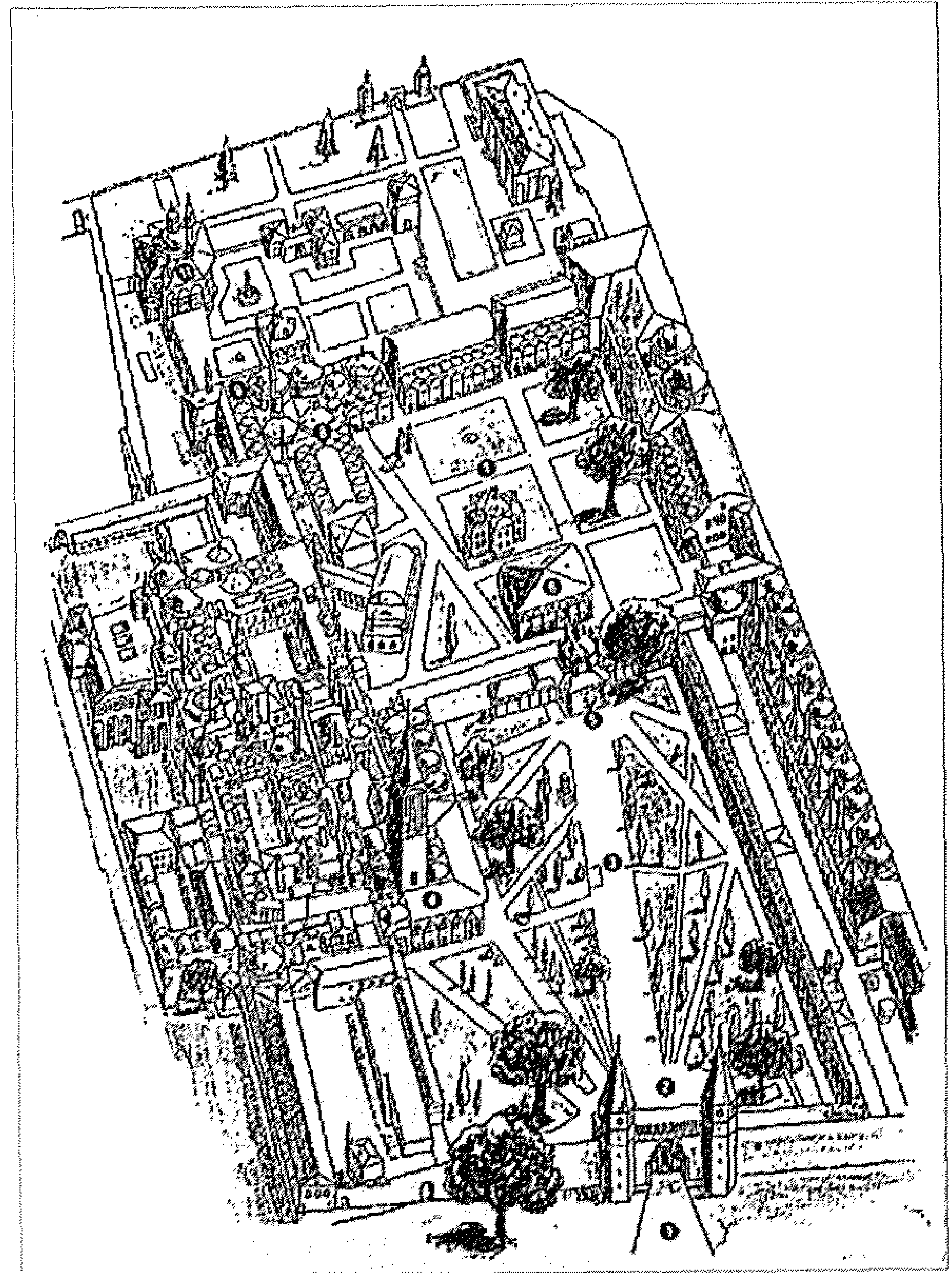
اختار السلطان اللسان الذي يخرج نحو البحر بين القرن الذهبى وبحر مرمره، موقع الأكروبول البيزنطى، بدأت أعمال البناء في السراى الجديد سنة ٨٧٠هـ / ١٤٦٥م، وانتهت في سنه ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م[١٣٤] وتكاملت مبانيه في العصور التالية (لوحة ٤٤)، وهو يشغل مساحه قدرها ٦٩٩٠ متر مربع، وتحيط به أسوار يبلغ طولها ١٤٠٠م، يتخللها ٢٨ برج. ويطلق على هذه الأسوار 'الأسوار السلطانية'[١٣٥] (شكل ٢٢).

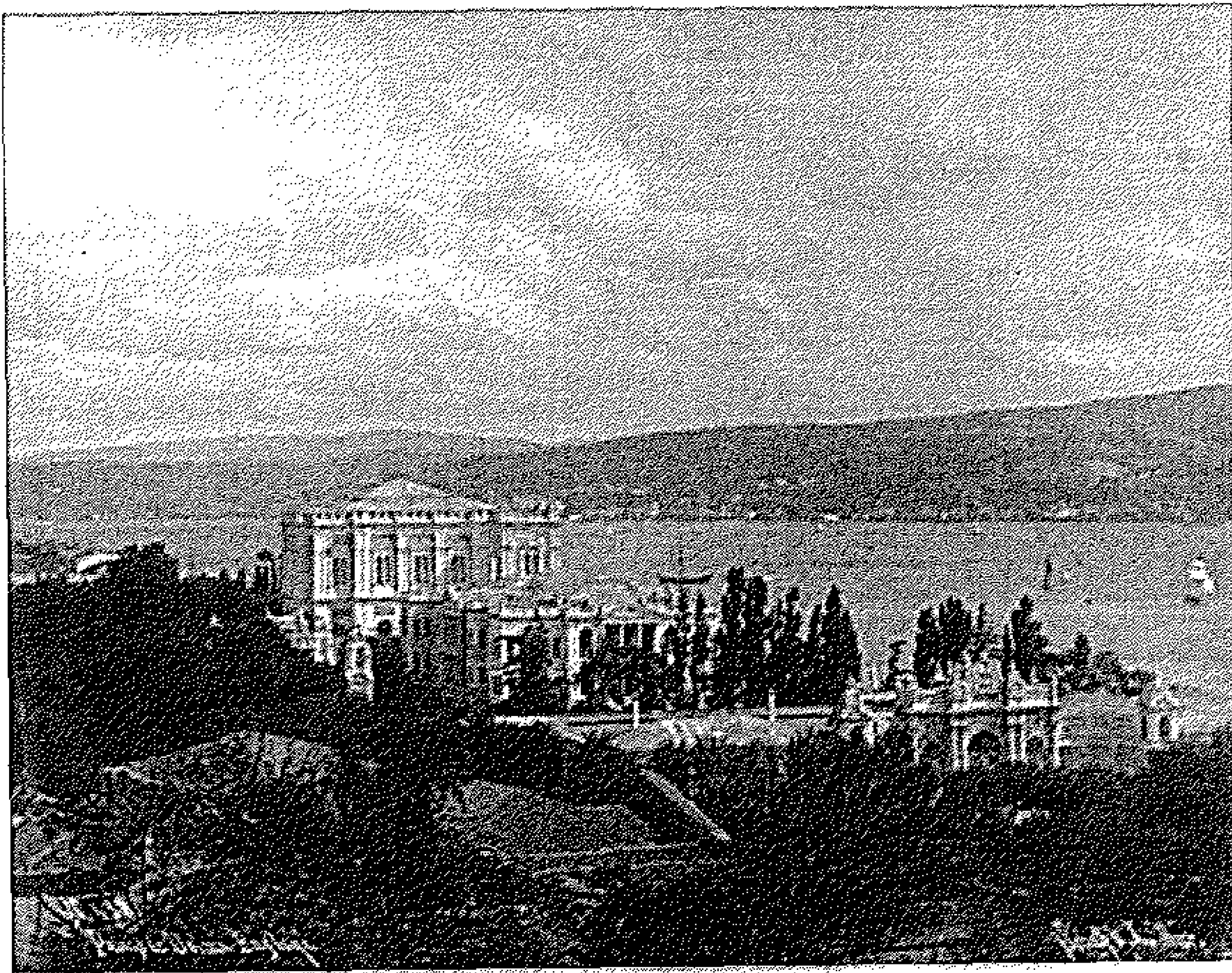
عرف مقر السلطنة الجديد لدى العرب والترك باسم الباب البحرى للقصر، والذي يعرف باسم طوب قابى أى باب المدفع، وعرف في الاصطلاح الأوربى باسم سراى بورنو أو نقطة سراجليو seraglio points[١٣٦] ظلت هذه السراى مقر سلاطين بنى عثمان حتى القرن التاسع عشر، ثم انتقلوا إلى قصر دولما بهجة (لوحة ٤٥)، ومنذ ذلك الحين نشأ الالتباس الخاص بتسميته قصر طوب قابى، احترقت أجزاء من القصر في الأعوام ١٥٤٧و١٦٦٥ و١٨٦٢م، واستبدلت المبانى المحترقة بمبانى جديدة. وإن لم يطرأ على تقسيم طوب قابى أى تغيير جدير بالذكر.[١٣٧]

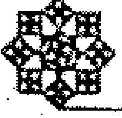
اكتسب طوب قابى رمزية سياسية دولية تعادل تلك التى نراها اليوم للبيت الأبيض بواشنطن، وإن كانت طوب قابى لاتضم في تكوينها فقط مقر إقامة السلطان، بل وإدارات الدولة المختلفة، على غرار ماكان شائعاً في العصور الوسطى، فقلعة صلاح الدين بالقاهرة مثلاً كانت تضم مقر إقامة السلطان، وثكنات وطباق الجند، وكذلك مختلف الدواوين. وهذا يرجع إلى طبيعة دور


لوحة ٤٣. أحد أجنحة قصر طوب قابي سراي.


لوحة ٤٤. أحد أكشاك قصر طوب قابي سراي.


شكل ٢٢. قصر طوب قابي سراي.


لوحة ٤٥. منظر عام لقصر دولمة بهجة.



الدولة ومدى تضخم جهازها الإداري المرتبط بهذا الدور، ففي هذه العصور كان دور الدولة داخل حياة المجتمع محدوداً، ويرتبط بالأمن العام، وإدارة شئون الدولة الخارجية والحفاظ على الحدود إلى غير ذلك[١٣٨] في ظل تكافؤ متواز لدور المجتمع بمؤسساته المدنية كالأوقاف وطوائف الحِرف والمؤسسة الدينية، لكن الدولة المعاصرة تضخم دورها على حساب المجتمع.

يتخلل سور طوبقو سراى سبعة أبواب، أبرزها الباب الرئيسى السلطانى وهو باب همايون، وهو أشبه مايكون بقوس نصر شيده محمد الفاتح، أجريت به تعديلات في عصور لاحقة.[١٣٩] قسم الآثاريون طوب قابى إلى ثلاثة أفنية، الباب الأول وهو الباب السلطانى، ويؤدى إلى الفناء الأول المحصور بين الباب السلطانى والباب الأوسط، ويحتوى على مجموعة من المبانى، كمساكن الحرس، وعنابر الجند، ومخازن الذخائر، ودار سك العملة. كان هذا القسم مفتوحاً لعامة الناس، أما الفناء الثانى المحصور بين الباب الأوسط، وباب السعادة، فقد كان مفتوحاً لأولئك الذين يخدمون في السراى. كما كانت مساحته الواسعة تسمح بإقامة الإستعراضات العسكرية والمناسبات الرسمية. وأهم مبانيه الخزينة، وقاعة مجلس الديوان، حيث كان يعقد الديوان، ويستقبل السفراء، وكبار الزوار، والضيوف. وكانت قاعة الديوان أقصى مكان يسمح للزائر الأجنبي بتجاوزه، بإستثناء السفراء الذين كانوا يستقبلون رسمياً. وعبر باب السعادة يقع الأندرون أى القسم الداخلى ويضم، قسم الحريم الهمايونى، أى جناح سيدات السراى، والوصيفات والجوارى. وخلف باب السعادة حيث يوجد قسم الحريم يوجد الفناءان الثالث والرابع. ويتفرع منهما عدد من الأفنية الجانبية. يشكل ذلك متاهة معقدة من الأروقة والسلالم والأفنيه تجمع أكثر من ٢٠٠ غرفه.[١٤٠]

إن ما يسترعى الإنتباه في طوب قابى شيئان رئيسيان الأول هو الديوان الذي تدار منه أمور الدولة، والثانى الحرملك حيث التقاليد المتوارثة والقيم الحضارية التى تمثلها الدولة.

الديوان

تمثل إدارة دولة كالدولة العثمانية مسألة معقدة قام بها الديوان، الذي كان مبناه يتكون من عدد من القاعات الصغيرة، تتوسطها قاعة كبيرة فخمة. يجتمع فيها الديوان، وكانت سلطة إتخاذ القرار في الفترة الأولى من تاريخ الدولة العثمانية تتمثل في الديوان الهمايونى في العاصمة وفي الديوان في الولايات. كما كان الحال في مصر، حيث شكل العثمانيون فيها ديواناً يجتمع برئاسة الوالى بالقلعة مقر الحكم في القاهرة.

والديوان الهمايونى (Divun imeperiel) اسم أطلق على الديوان الذي يجتمع برئاسة السلطان لينظر في أمور الدولة ذات الأهمية الأولى، وهو امتداد حضارى لهذه المؤسسة منذ عهد السلاجقة ثم الإيلخانيين وهو يمثل الديوان العالى عند السلاجقة، والديوان الكبير عند الإيلخانيين، والديوان السلطانى ودار العدل عند نور الدين زنكى والمماليك.[١٤١]

كانت مهمة الديوان الهمايونى دراسة أمور الدولة السياسية والإدارية والعسكرية والعرفية والشرعية والعدلية والمالية، كما كانت مهمته النظر في الشكاوى والقضايا، ويتخذ فيها القرار. كان الديوان مفتوحاً لكل من يتمتع بحماية الدولة العثمانية مهما كان دينه أو ملته، ومهما كان عرقه أو مكان موطنه في الدولة. كما كان الديوان مفتوحاً لكل رجل أو امرأة وكل من يحس بظلم وقع عليه أو يتعرض للظلم، أو لمن صدر حكم من القضاة المحليين ضده ويرى خطأ هذا الحكم، أو لمن يشكو الولاة المحليين أو الجنود أو الضباط، أو لمن وقع عليه ظلم من القائمين على الأوقاف.

ويتشكل الديوان الهمايونى من أعضاء دائمين هم السلطان والصدر الأعظم أو الوزير الأعظم وقاضيا العسكر والنشانجى (وهو التوقيعى أو الطغرائي) والدفتردار،[١٤٢] وفي الطور الأول للدولة العثمانية كان السلطان يترأس مجلس الديوان. ولكن منذ عهد محمد الفاتح تخلى السلاطين عن هذا تاركين رئاسة الديوان للصدر الأعظم، وكان السلاطين يراقبون مايجرى في الديوان من وراء ستارة أو حاجز.[١٤٣]

وصلنا وصف متكامل لما يحدث في الديوان على لسان أوتافيانوبون (otlaviano bon) سفير البندقية في أستانبول من ١٦٠٦ إلى ١٦٠٩م. حيث يذكر مايلى:

'أيام الديوان أربعة في الأسبوع: السبت والأحد والأثنين والثلاثاء ويجتمع في تلك الأيام رئيس الوزراء والوزراء الآخرون، وكلاً من قاضي عسكر.. الدفتردار. ونشانجي، وكتاب جميع الباشوات، والشخصيات الكبيرة الأخرى، وعدد كبير من المحررين أو الناسخين، الذين يكونون حاضرين على باب الديوان دائماً، وجاووش باشي، الذي يحمل في يده عصا فضية دائماً حال وجوده في 'سيراجليو' أى طوبقو سراى، وعدد من الجاووشيه الآخرين للخدمة، بحيث يكونون مستعدين عند أمر الوزير لحمل أية أوامر يرسلها الوزير، إلى أى مكان أو أى شخص، لأنهم أولئك الذين يحملون الرسائل إلى السفارات والرسائل العادية لإستدعاء من يطلب حضورهم أمام الديوان' ويجب أن يكون جميع هؤلاء الموظفين الآنفي الذكر من الأعلى إلى الأدنى حاضرين في الديوان عند طلوع الشمس.

وبعد أن يصل الوزير، يجلس في صدر الديوان مع الآخرين، ووجوههم نحو الباب، على دكة ملاصقة للجدار، وكل واحد من الحضور، في موضعه حسب مرتبته يجلس من يمين الوزير الأعظم. ومن جانبه الأيسر على نفس الدكه يجلس قاضياً عسكر، وفي الجانب الأيمن من جانب الباب يجلس الدفتردارون وفي مواجهتهم يجلس الناشنجى، وأتباعه من الموظفين، أما رئيس الكتاب، فيقف بجانب الوزير معظم الوقت، لأنه يأخذ منه التوجيهات في كثير من الوقائع. ويقف في وسط القاعة جميع أولئك الذين تدعوهم الحاجة المثول بين يدى هذا المجلس ويبحث الصدر الأعظم مظالم الشاكين في هذا المجلس.

وبعد أن ينتهى الغداء، يقضى الوزير الأعظم بعض الوقت في البحث في الشئون العامة، ويتشاور مع الباشاوات الآخرين، وأخيراً يقرر ويبت في جميع القضايا بنفسه، ويستعد للمثول أمام السلطان، وكان المتبع أن يكون هذا المثول في يومين من الأسبوع. الأحد والثلاثاء، وذلك لإعطاء تقرير لجلالته عن جميع المسائل التى أتخذ القرار فيها، ويمثل أيضاً أمامه كبار الموظفين ,,,, إلخ.

كان أسلاف السلطان يحبون دائماً أن يحضروا هذا المجلس، ولكن هذا الرجل،[١٤٤] يأتى أحياناً سراً من طريق في الطابق العلوى إلى نافذة صغيرة تطل على الديوان، وبالتحديد على رأس الصدر الأعظم، ويجلس هناك خلف ستارة حتى لا يراه أحد. وذلك لكى يسمع ويشاهد مايدور في الديوان. وخاصة في مثل تلك الأوقات التى يؤذن فيها لسفير من قبل ملك كبير بالمثول في القصور، ليراه يأكل ويناقش مع الباشاوات. وكان قدومه هذا إلى النافذة يجعل الصدر الأعظم يقوم بإدارة شئون الدولة بكل عناية ونزاهة عندما يجلس في الديوان.[١٤٥]

في بدايه العصر العثمانى، لم يكن للصدر الأعظم مقر رسمى. بل كان يستأجر منزلاً كبيراً بجوار القصر السلطانى، حيث كان يدير فيه بعض شئون الدولة ويستقبل بعض الزوار، وعرف قسم الاستقبال من هذا المنزل باسم 'باشا فبوسى' أى باب الباشا في مقابل استعمال الباب السلطانى لقصر السلطان. كان يعقد في منزل الوزير مجلس بعد الظهر للنظر في المسائل التى لم تبحث ولم يتم البت فيها في جلسة الديوان. وكان هذا الاجتماع يعقد بعد (إقندى) أى صلاة العصر، فأصبح هذا المجلس المعروف بـ 'إقندى ديوان' يعقد بصفه دائمة خمس مرات في الأسبوع، وتسلم تدريجياً قسماً كبيراً من مسائل الديوان السلطانى، تم نقل مقر الحكومة رسمياً من الديوان السلطانى إلى منزل الوزير الأعظم في ١٦٥٤م، وذلك عندما قدم السلطان محمد الرابع إلى وزيره المنزل الكبير الذي استخدم كمقر رسمى له ولمكتبه، وأطلق اسم 'باشا فبوسى' على هذا المنزل، غير أن غلبة استعمال مصطلح الباب لابراز مقر الحكم، جعلت مقر الحكومة والصدر الأعظم يعرف باسم 'الباب العالى'[١٤٦] sublime point .

الحريم

شكل قسم الحريم واحداً من ثلاثة أقسام يتكون منها القصر، وهي القسم الخارجى والداخلى والحريم، ويعنى مصطلح الحريم، الجزء الخاص من القصر الذي يعيش فيه السلطان مع أهل بيته من النساء، وبسبب منع الأجانب من دخوله فقد شكل بالنسبه للأوربيين علامة إستفهام كبيرة، حتى من شاهدوه منهم وهم قلة نادرة، عدت رواياتهم عنه ذات أهمية بالغة،[١٤٧] ولذا نسجت الأساطير والروايات حول هذا القسم من طوب قابى، خاصة مع الأسوار العالية المحيطه به.

بذلك يصبح الحريم عالماً مستقلاً تماماً عن كل ما يدور خارجه. وأعدت بداخله حدائق واسعة مزينة بكل أنواع الزهور ونافورات المياه لنزهة الحريم، ويتكون

قسم الحريم من عدة أجنحة، كل جناح منها يسمى دائرة، ويغلق على الأجنحة كلها باب رئيسى يتولى حراسته من الخارج الأغوات.[١٤٨]

وكل غرف الحريم وكذلك غرف نوم السلطان، تزينها الآيات القرآنية ،كما أن كل أبوابه من مصراعين تعلوها الآيات القرآنية مما يضفي على المكان كله وقاراً واحتراماً. ولهذا القسم من القصر تنظيم دقيق يخضع له كل جوارى الحريم بلا إستثناء سواء كن من نساء السلطان أومن الموظفات أو من الأميرات.[١٤٩]

وأهم اقسام الحريم بطوبقوسراي:

* المقصورة السلطانية: أنشاء هذه المقصورة المعمارسنان في القرن السادس عشر الميلادي ويتوسطها قبة ترتكز على أربعة عقود محمولة على أربعة أعمدة، زينت هذه المقصورة على طراز الباروك والروكوكو في القرن الثامن عشر الميلادي وأبرز زخارفها آية الكرسى المكتوبة على بلاطات القاشانى.

* بلاط قصر والدة السلطان: عند اعتلاء السلطنة أحد أبناء الملكات، كن ينتقلن إلى هذا البلاط باحتفال مهيب. يعتبر هذا القصر أهم قسم في دائرة الحرم بعد المقصورة السلطانية. كما يشكل هذا البلاط بغرفة الطعام وغرفه الدعاء والغرف الأخرى المتعددة الاستعمالات والحمام، نواة دائرة الحرم.[١٥٠]

* بلاط زوجات السلطان: هذا البلاط محاط بثلاثة أروقة وفناء ويحتوى على حمام وغرف للجوارى ومخزن للمؤنة، وكانت تقيم به زوجات السلطان، ومن المعروف أن السلاطين منذ عهد السلطان سليم الأول اقتصروا على الزواج من الجوارى إلا فيما ندر.[١٥١]

* قسم الأغوات السود: يتألف هذا القسم من أربعة طوابق: الطابق الأول مخصص للأغا الذي يلى رئيس الأغوات في إدارة شئون الحرم وبه غرف للاستقبال والنوم والضيافة والطعام. أما الطابق الثانى فكان مخصصاً للأغوات من الرتبة المتوسطة، والثالث للخواص منهم وكان يسكن الطابق الرابع الأغوات الجدد المتدربين. كانت وظيفة الأغوات السود الذين يقطنون هذا القسم فتح وإغلاق أبواب الحرم صباحاً ومساءاً والانتظار أمام الأبواب ومرافقة العربات .

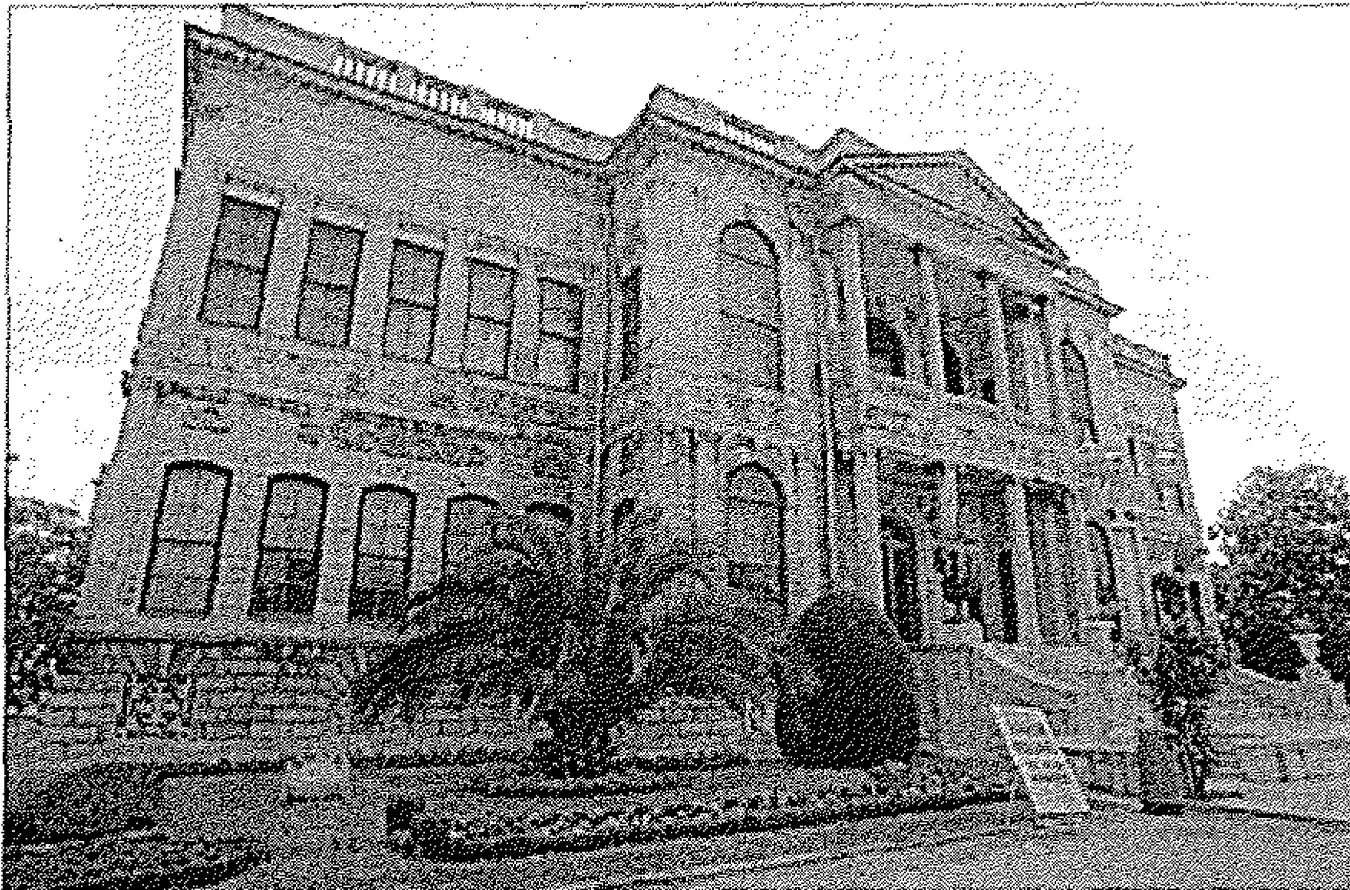
* شقة أغا البنات: أغا البنات هو رئيس إداريى الحرم. وتعتبر شقته من أهم أقسام الحرم. يوجد على يسارها المدخل الرئيسى الذي يعتبر مفتاح دائرة الحرم. إذ يتفرع منه ثلاثه أبواب، أحدهما ينفذ إلى الطريق الذهبى، والتالى إلى بلاط والدة السلطان، والثالث إلى بلاط زوجات السلطان.[١٥٢]

* سراى دولما بهجة: يمثل سراى دولما بهجة الذي شيد على الشاطئ الأوربى لإستنبول، مرحلة هامة من تاريخ العمارة العثمانية، إذ بعمارته الأوربية الطراز (لوحة ٤٦) التى واكبت توجه الدولة العثمانية، نحو الأخذ بالنظم الغربية تنتقل الدولة إلى طور الأوربة، ومن دولة عظمى يخشى منها، إلى كعكة يستعد الآخرون لالتهامها، اطلقو عليها تلطفا رجل أوربا المريض.

أمر ببناء هذا القصرعلى أنقاض قصر عثماني قديم السلطان عبد المجيد، وذلك سنة ١٨٤٣م. وأشرف على بنائه المهندس المعمارى 'قارابيت بايلان'، واستغرق العمل فيه حتى عام ١٨٥٦ م، وقد بنى على طراز عصر النهضة الباروكى في القرن التاسع عشر. ولا يخلو القصر من بعض عناصر العمارة العثمانية. ومنذ ذلك الحين استخدم القصر مقراً للسلاطين العثمانين.

ولقصر دولما بهجة تسعة مداخل ضخمة (لوحة ٤٧، ٤٨) منحوتة متشابهة، أهمها مدخل السلطان، أما الزوار فيدخلونه من البوابة الشمالية للمسجد. ما إن تعبر البوابة حتى تواجه بحديقة تغطيها الأشجار والأزهار تتوسطها بركة زينت بتماثيل رائعة ومغطاة بالزنبق الأبيض، أما أشجار الحديقة فقد أحضرت من الهند قبل ١٥٠ عام لإنشاء حديقة دولما بهجة، كما توجد في الحديقة تماثيل عديدة لأسود في وضع جالس أو متحفز.

يضم القصر مجموعة من القاعات التى تكشف دوره السياسي، منها قاعة السفراء، وهي قاعة ضخمة واسعة



لوحة ٤٦. ملامح التاثير الأوربي علي أحد مباني قصر دولما بهجة.

عالية، وقد قصد السلطان العثماني ذلك للتأثير على السفراء الأجانب واعطائهم الإنطباع الفورى والمذهل حول عظمة وجبروت الدولة العثمانية، فيزرع في قلوبهم الرعب والاحترام قبل البدء بإجتماعه معهم.

ومن صالون السفراء نتوجه إلى الصالون الأزرق أو المكان الذي كانت النساء يمضين فيه أوقاتهن للراحة والتسلية. إلى جانب الصالون الأزرق توجد غرفة استقبال والدة السلطان حيث المدخنة الأنيقة المذهبة تعلوها مرآة رائعة وثريا مركبة على المرآة. يليها غرفة نوم والدة السلطان وغرفة مطالعة ودراسة أولاد السلطان حيث تراقبهم أمهم من خلف زاوية خاصة للتأكد من مواظبتهم على الدروس دون أن يرونها. إلى جانب ذلك توجد غرفة جلوس أساتذة أولاد السلطان.

أما أجمل وأروع أقسام القصر بلاشك فهي قاعة العرش والاستقبال (لوحة ٤٩)، في هذه القاعة كانت تعقد الاجتماعات الهامة للسلطان والاحتفالات الرسمية وهي تقوم على ٢٦ عمود من الرخام، وارتفاع سقف القاعة ٣٦م. وتتسع لأربعة آلاف شخص.[١٥٣]

ولا يوجد في قصر دولما بهجة ذلك الفصل الحاد بين قسم الحريم وباقى أقسام القصر كما في طوب قابى، كما أن الحكومة أو مجلس الوزراء، انفصل عن مقر إقامة السلطان انفصالاً كلياً على النمط الغربى.

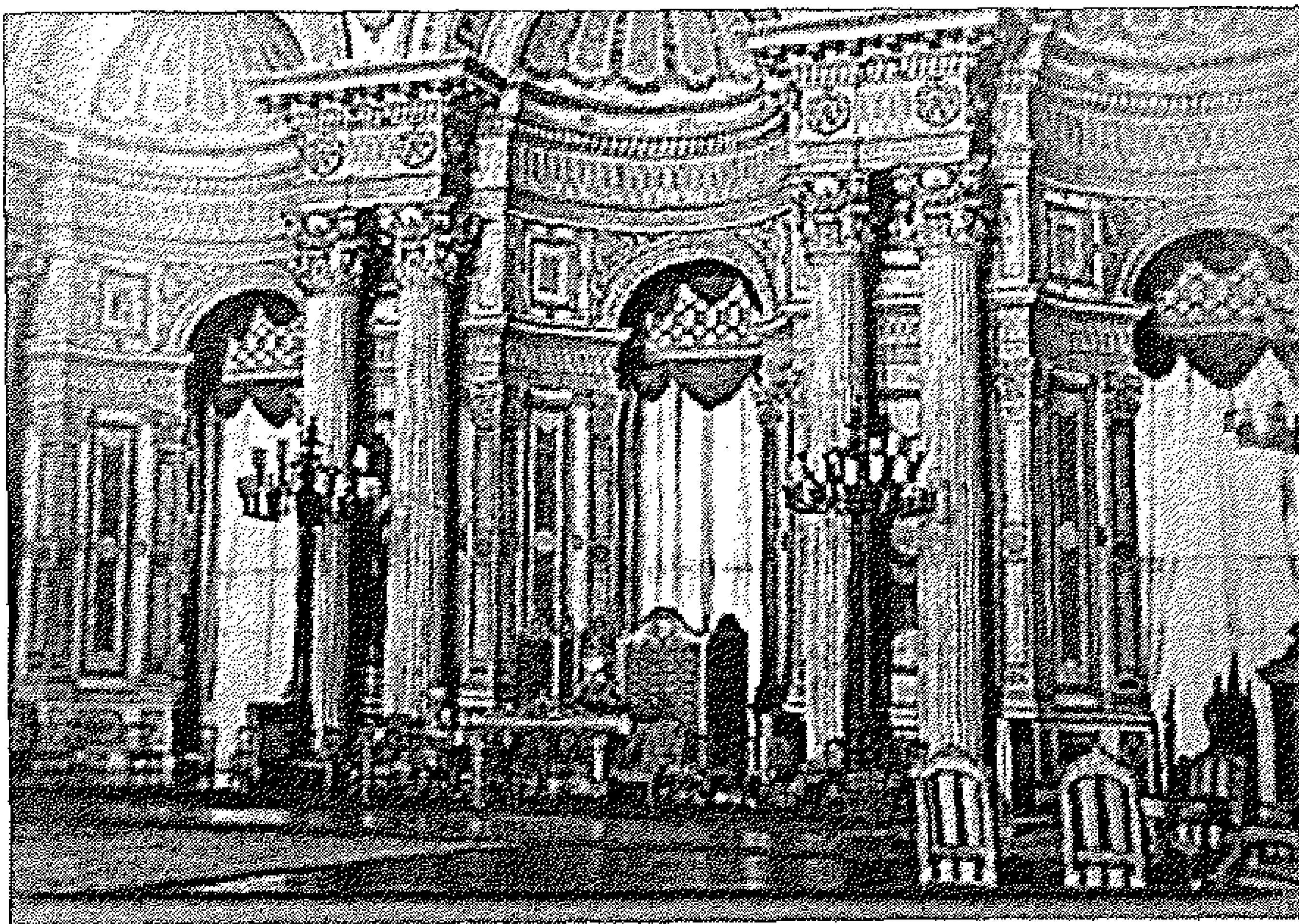
ولذا يبدو دولما بهجة مرحلة هامة في تاريخ الدولة العثمانية، ولم تكن مصر بعيدة عما يجرى في استنبول من تطورات، فقد عاش الخديوى إسماعيل فيها فترة،[١٥٤] ولذا حين عاد إلى مصر وتولى حكمها، كان متأثراً بنقل مقر الحكم باستنبول، كما تأثر بما رآه في قصور فيينا وفرنسا خاصة قصر فرساى بباريس. ■



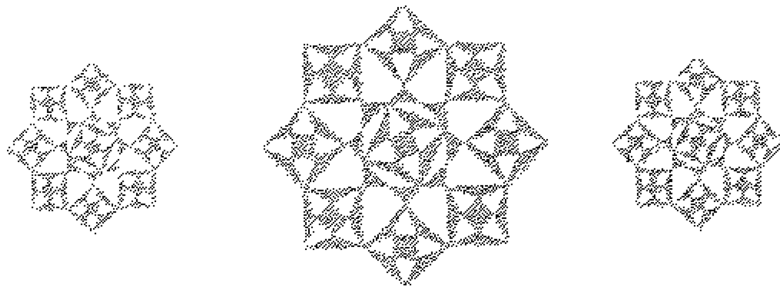
لوحة ٤٧. أحد مداخل قصر دولما بهجة.



لوحة ٤٩. قاعة العرش بقصر دولما بهجة.



لوحة ٤٨. أحد مداخل قصر دولما بهجة.



الحواشي

١ عبد الحى الكتانى، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية والولايات الدينية، ج٢ (بيروت، بدون تاريخ)، ٧٧-٧٨.

٢ مصطفي الموسوى، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية (بغداد، ١٩٨٢)، ٧١، ٨٩.

٣ هشام جعيط، الكوفة، نشأة المدينةالعربية الإسلامية (الكويت، ١٩٨٦)، ٤٣٤.

٤ عبد القادر المعاضيدى، واسط في العصر العباسي (بغداد، ١٩٨٣)، ١١٧-١١٨.

٥ عبد القادر المعاضيدى، واسط في العصر العباسي، ١١٨-١١٩، ١٢٤؛ هشام جعيط، الكوفة، نشأة المدينةالعربية الإسلامية، ٤٣٣.

٦ هشام جعيط، الكوفة، نشأة المدينةالعربية الإسلامية، ٤٣٤.

٧ هشام جعيط، الكوفة، نشأة المدينةالعربية الإسلامية، ٤٣٦.

٨ كمال الدين سامح، العمارة في صدر الإسلام (القاهرة، ١٩٨٢)، ٦٢.

٩ اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن يعقوب، كتاب البلدان (ليدن، ١٨٩٢)، ٢٤٠-٢٤١.

١٠ هشام جعيط، الكوفة، نشأة المدينة العربية الإسلامية، ٤٤٠.

١١ اليعقوبي، كتاب البلدان، ٤٤٦.

١٢ الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، تحقيق محمد أبو الفضل (القاهرة، ١٩٦٩)، ٦٥٣.

١٣ هشام جعيط، الكوفة، نشأة المدينةالعربية الإسلامية، ٢٤٠.

١٤ المقريزى، الخطط، ج٢، ٢٠٣.

١٥ O. Garber, *The Case of the Mosque*, 35 – 36, *The Formation of Islamic Art* (London, 1973), 112 –114 .

١٦ المقريزى، الخطط، ج ٢، ٢٤٦، ٢٥٦.

١٧ ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، المقدمة (الإسكندرية، ١٩٩٦)، ١٨٩.

١٨ السرخسي، محمد بن أبى سهل: المبسوط، ج٢ (القاهرة، ١٣٢٤ هـ/ ١٩٠٧ م)، ١٢٠.

١٩ أغلق صلاح الدين الأيوبى الجامع الأزهر بعد إسقاط الخلافة الفاطمية، لكونه مسجدها الجامع، وتحولت صلاة الجمعة إلى جامع الحاكم بأمر الله، إلى أن أعاد الظاهر بيبرس فتح الأزهر مرة أخرى. المقريزى، الخطط، ج ٢، ٢٧٥.

٢٠ المقريزى، الخطط، ج ٢ ، ٣٢٥.
المقريزى، السلوك، ج ٢، ١٨٤.

٢١ الدواداري، كنز الدرر (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر) ج ٩، ٣٨٢-٣٨٣.

٢٢ L. Ibrahim and J. M. Rogers, 'The Hangah of the Emir Qawsun ', *MDAIK* 30/1 (1974), 55 -56.

٢٣ M. Meinecke, 'Die Mamlukischen Faience Dekorationen: Eine Werkstatte aus Tabrizin, Kairo (1330 – 1335), 85. *kunst des orients* 11 (1976–77); D. B. Abousief, The minarets of Cairo' (Cairo, 1985), 78.

٢٤ المقريزى، الخطط، ج٢، ٢١٣.
القلقشندى، صبح الأعشى، ج٤، ٧.

٢٥ ابن الحاج، أبو عبد الله بن محمد بن محمد العبدرى الفاسى المالكى، المدخل، ج٢، ٢١٠.

٢٦ الزركشي، إعلام الساجد بأحكام المساجد، ٣٧٥.

٢٧ ابن الأزرق، محمد بن على أبوعبد الله الاصبحى الغرناطى، بدائع السلك في طبائع الملك، ج٢، تحقيق د.على سامى النشار (العراق، ١٩٧٨).

٢٨ الدواداري، كنز الدرر، ج٩، ٣٧٨.

٢٩ فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، ٦٥٠، ٦٩٩؛ حسين مؤنس، المساجد، ١٤٨-١٤٩. سلسلة عالم المعارف. (٣٧) (الكويت، ١٩٨١).

٣٠ العمرى، مسالك الأبصار، ٤١.
القلقشندى، صبح الأعشى، ج٤.

٣١ Abousief, The Citadel of Cairo, Stage for Mameluk Ceremonial, 33. *Annales Islamologiques.*

٣٢ على باشا مبارك، الخطط التوفيقية، ج٥، ١٤؛ كازانوفا، قلعة الجبل، ٦٤-٦٥.

٣٣ أحمد فؤاد متولى، قانون نامة مصر (القاهرة، ١٩٨٦)، ٣-٧ .

٣٤ طائفة مستحفظان: كان أفراد هذه الفرقة يكلفون بحراسة القلاع والحصون والبلاد، أتت هذه الفرقة إلى مصر مع السلطان سليم الأول، وأقامت بالقلعة وعرفت بطائفة السلطان لأنها كانت تمثل بصورة خاصة السلطة العثمانية في الولاية، ومن هنا أتت قوتها في القاهرة، وسيطر أفرادها على الالتزامات المربحة وعلى دار ضرب النقود ومراكز المكوس مما زاد من نفوذها، وأفراد هذه الطائفة انكشارية مشاة، وهو جيش عثمانى أنشئ في عهد السلطان أورخان (٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) كانت نواته من أهل الفتوة في الأناضول، ثم اعتمد على أبناء النصارى في البلقان بعد عثمنتهم وإسلامهم.
انظر: أحمد فؤاد متولى، قانون نامة مصر، ١٨ – ٢٠؛ أحمد السعيد سليمان، تأصيل ما ورد من الدخيل في الجرتى (القاهرة، ١٩٧٩)، ٣١- ٣٢؛ مصطفي بركات، دراسة للخط والألقاب والوظائف من خلال النصوص التأسيسية الباقية للعمائر العثمانية بمدينة القاهرة، رسالة ماجستير، كلية الآثار(١٩٨٨)، ٤٧٤-٤٨١.

٣٥ العبارة الأولى للماوردى في الأحكام السلطانية والثانية لابن خلدون في المقدمة، وأثبتها بهذه الصيغة رضوان السيد، في مقاله 'قضاء المظالم: نظرة في وجه من وجوه علاقة الدين بالدولة في التاريخ الإسلامي'، مجلة دراسات، المجلد ١٤، العدد ١٠ (١٩٨٧)، ١٥٩-١٦٠.

٣٦ رضوان السيد، 'قضاء المظالم: نظرة في وجه من وجوه علاقة الدين بالدولة في التاريخ الإسلامي'، ١٧٠، ١٧٢.

٣٧ أهم من كتب في هذا الموضوع، أبو الحسن الماوردى الذي خصص باباً كاملاً لبحث ترتيب الكتاب للنظر في المظالم في كتابه الأحكام السلطانية والولايات الدينية الذي ألفه لدعم الخليفة العباسي في صراعه مع البويهيين مباشرة قبل تغلب طغرل بك السلجوقى على بغداد واستيلائه على السلطة بالقوة من البويهيين، ثم تبعه الوزير نظام الملك الطوسى في كتابه سياسة نامة الذي وضعه لسلطانه ملكشاه السلجوقى، وخصص ابن رضوان المالقى فصلاً في كتابه لنظر المظالم، اعتمد فيه على الماوردى. وانتشر الحديث عن نظر المظالم في كتب نصائح الملوك. والسياسة الشرعية، وحثت هذه الكتب على وجوب جلوس السلاطين للنظر في المظالم جلوساً عاماً.
و من هذه الكتب 'آثار الأول في ترتيب الدول' الذي ألفه الحسن بن عبد الله العباسي للسلطان المملوكى بيبرس الجاشنكير عام١٣٠٨م.
وعن ما ورد في هذه الكتب حول المظالم والجلوس لها انظر:
الماوردي، أبو الحسن على بن حبيب المصري الشافعي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية (القاهرة، ١٩٩٦)؛ تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق محى هلال سرحان، ومراجعة د.حسن الساعاتى (بيروت، بدون تاريخ)؛ الفراء، أبو يعلى محمد بن حسن، الأحكام السلطانية (القاهرة، ١٩٦٦)؛ نظام الملك الطوسى، سياست نامة ترجمة وتعليق السيد محمد العزاوى (القاهرة، ١٩٧٦)؛ ابن رضوان، أبى القاسم المالكى، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق د. على النشار (المغرب، ١٩٨٤)؛ العباسى، الحسن بن عبد الله، آثار الأول في ترتيب الأول، (القاهرة، ١٨٨٧).

٣٨ ناصر الرباط، دار العدل: قصة منشأة إسلامية قروسطية، مجلة الاجتهاد، العدد ٢٢ السنة السادسة (١٩٩٤)، ٦٢.

٣٩ ناصر الرباط، دار العدل: قصة منشأة إسلامية قروسطية، ٦٢-٦٣.

٤٠ أنشأها الظاهر غازى بن صلاح الدين سنة ٥٩٥ هـ/ ١١٨٩م عندما كان حاكماً للمدينة في حياة والده بإيعاز منه.

عن دار العدل في حلب انظر : ابن شداد. الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، مملكة حلب، م١، ق١، تحقيق دومنيك سورديل (دمشق، ١٩٥٣)، ١٧؛ ابن الشحنة، محب الدين محمد، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تحقيق جوزيف اليان سركيس (بيروت، ١٩٠٩)، ٣٣-٣٤.

٤١ ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ٢١٠.

٤٢ بيبرس، المنصوري، التحفة الملوكية في الدولة التركية، ٢٣٢؛ الداودري، كنز الدرر، ج٨، ٣١٤؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ٣٧٨.

٤٣ ناصر الرباط، دار العدل، ٦٨.

وحول دور العدل ونشأتها وتطورها انظر:

J. Nielson, 'Mazalimand dar al adel under The Early Mamluks', *The Muslim World*, vol. 66 , n. 2. (April 1976), 112-114.

٤٤ الإيوان في العمارة المملوكية يمثل وحدة معمارية مربعة أو مستطيلة الشكل لها ثلاثة حوائط أى من ثلاث جهات فقط والجهة الرابعة مفتوحة، وإذا سد الإيوان من الجهة الرابعة لا يقال له إيوان بل مجلس، والإيوان يعلو دائماً بمقدار درجة أو سلمة أو أكثر عن باقى مسطحات المكان، وسقف الإيوان إما معقود أو مسطح، وعلى واجهة الإيوان عقد أو قوصرة أو كريدى عدا في الوحدات السكنية الصغيرة فتعلوه فتحة عادية.

محمد أمين وليلى ابراهيم، المصطلاحات المعمارية، ١٧.

وعن تطور استعمال الإيوان في العمارة الإسلامية انظر:

O. Graber, 'Iwan', *The Encyclopedia of Islamic Art*, IV, 2 (E 12), 289.

٤٥ محمد أمين وليلى ابراهيم، المصطلحات المعمارية، ١٧.

٤٦ اشتملت بعض المنشآت الجنائزية بجبانة المماليك على قبة وإيوان منها منشأة طشتمر حمص أخضر.

٤٧ عبد القادر الريحاوى، قصور الحكام في دمشق، الحوليات الأثرية السورية، المجلد ٢٢ (١٩٧٢:١٩٧٣)، ٣٤-٣٦.

٤٨ N. Rabbt, *The Citadel of Cairo*, 145, 146.

٤٩ المقريزى، الخطط، ج٢، ٢٠٦.

٥٠ ناصر الرباط، دار العدل، ٧٠.

٥١ المقريزى، الخطط، ج ٢، ٢٠٦

٥٢ قدم أوليا شلبى وصفاً دقيقاً للإيوان ساعد مع ما جاء في وصف مصر على وضع تصور شامل للإيوان، ويسمى أوليا الإيوان، بديوان الغورى، كما يفعل أغلب مؤرخى العصر العثمانى، وكان أوليا قد أقام في القلعة سنة ١٦٧٠م.

E. Celebi, *Seyahat Namesi, Mumin Cevik* (Istanbul, 1984), 9, 10.

٥٣ قام بهذه الحفائر تفتيش آثار القلعة تحت إشراف كل من عبد الخالق مختار وآمال فرغلى إلا أن نتائج هذه الحفائر لم تنشر إلى الآن للأسف الشديد.

٥٤ المقريزى، الخطط، ج٢، ٢٠٦.

٥٥ كاتب السر : هو أحد الموظفين من الكتبة وهو اسم آخر لصاحب ديوان وقد ظهر هذا المصطلح في الدولة العباسية، وهو يدل على أن هذا الكاتب كان بحكم عمله على علم بأسرار الدولة.

حسن الباشا ، الفنون والوظائف، ج٢، ٩٢٢- ٩٢٥ .

٥٦ قدمت دورو تباكرافولسكى تحليلاً لهذة الجلسة في مقدمتها لتحقيق مسالك الأبصار لابن العمرى (بيروت، ١٩٨٦)، ١٠.

٥٧ ناصر الرباط، دار العدل، ٧٢.

٥٨ أمير الطبلخانة: مرتبة حربية من مراتب أرباب السيوف في مصر المملوكية، صاحبها يلى أمير مائة مقدم ألف في الدرجة وسمى أمير طبلخانة لأحقيته في دق الطبول على أبوابه كما يفعل السلاطين وأمراء المئين، وهو بذلك في ثانى الرتب المملوكية، ويطلق على أمير طبلخانة أيضا أمير أربعين بمعنى ان يكون في خدمته أربعون مملوكاً وقد يزيد هذا العدد إلى سبعين أو ثمانين.المقريزى، السلوك، ج ١ ، ٢٣٩،حاشية ١؛ حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج١ (القاهرة، ١٩٦٥)، ٢٣١-٢٣٦.

٥٩ أمير عشرة مرتبة حربية يكون في خدمته عشرة مماليك، ويكون صغار الولاة من طبقة أمراء العشرات.

٦٠ ناصر الرباط، دار العدل، ٧٥.

٦١ ناصر الرباط، دار العدل، ٧٨.

٦٢ المقريزى، الخطط، ج٢، ٢٠٧.

٦٣ المقريزى، الخطط، ج٢، ٢٠٧.

٦٤ الأبلق من (البلق) بفتح الباء واللام وضم القاف وهو السواد والبياض في اللون، وأيضا (البلقة) بالضم سواد وبياض (وبلق، وأبلق، وأبلوق: كان في لونه سواد وبياض فهو أبلق. والأبلق حلية معمارية استخدمت في العمائر في العصر المملوكى بكثرة تنتج عن استخدام حجرين مختلفي اللون وقصد بها في حالة الحجر الأبلق اللونين الأسود والأبيض بصفة خاصة وينتج ذلك عن استخدام الحجر والرخام مثلا. ابن منظور، جمال الدين محمد بن جلال الدين الخزرجى الإفريقى، لسان العرب، المجلد الاول، ٢٥٩، إعداد يوسف خياط، ونديم مرعشلى، دار لسان العرب (بيروت)؛ سامى عبد الحليم، الحجر المشهر حلية معمارية بمنشآت المماليك في القاهرة (القاهرة، ١٩٨٤)، ١٨- ١٩.

٦٥ المقريزى، السلوك، ج ٢، ١٢٩؛ ابن تغرى بردى، ج ٩، ٣٦- ٣٧.

٦٦ شاذروان: فارسى معرب وهو ستر عظيم يسدل على سرادق السلاطين وعلى الشرفة من القصر والدار، والشاذروان من جدار الكعبة هو الذي ترك من عرض الأساس خارجا وأصبح عبارة عن مدماك مائل ويسمى تأزيرا لأنه كالإزار للبيت. ورد اللفظ في الوثائق في العصرالمملوكى بالدال والذال، وأصبح يجمع بين المعنيين من حيث كونه ستارة منقوشة وحاجز مائل للماء، فيتكون الشاذروان من صدر خشب مزخرف وفتحة يصب منها الماء في حوض صغير تحت الصدر يسمى قرقل، ثم يسيل الماء من القرقل إلى السلسبيل وهو لوح من الرخام أو الحجر المنقوش مركب في وضع مائل ينحدر من عليه الماء إلى حوض أو صحن يسمى طشتية أسفله، وغالبا ما يخرج من هذا الصحن قناة صغيرة تسمى سلسال توصل الماء إلى فسقية وسط المكان أو إلى أحواض أخرى والجميع مزخرف. وغالبا ما يقصد بالشاذروان السلسبيل فقط وهو لوح من الرخام المائل. محمد أمين وليلى إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ٦٨، ٦٩.

٦٧ العمرى، مسالك الأبصار، ٨١.

٦٨ Rabbt, *The Citadel of Cairo*, 110:118.

٦٩ العمرى، مسالك الأبصار، ٣٨٠؛ المقريزى، الخطط، ج٢، ٢١٠؛ القلقشندى، صبح الاعشى، ج٤، ٤٥.

٧٠ المقريزى، السلوك، ج١، ٣٩٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ٢٩١.

٧١ القلقشندى، صبح الأعشى، ج٣، ٣٧١-٣٧٢.

٧٢ ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ١٢١.

٧٣ ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ١٢١.

٧٤ ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ٢٦-٢٧.

٧٥ من هؤلاء القاءون والزنان دارية وهم البوابون عند غرف الحريم السلطانى، والجمدارية لإلباس السلطان، والبشمقدارية لحمل نعل السلطان. ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ١٢٢؛ القلقشندى، صبح الأعشى، ج٥، ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٦٩؛ إبراهيم طرخان، النظم الإقطاعية، ٣٦٤.



٧٦ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٣، ٣٧٠.

٧٧ عبد الرحمن زكي، قلعة صلاح الدين، ٣٦.

٧٨ وضعت العديد من المؤلفات في الخيل والفروسية منها على سبيل المثال:

ـ الفروسية والطعن والضرب والتبطيلات، مكتبة الفاتح استنبول مخطوط رقم ٣٥٠٩؛ مجموع في الفروسية والجهاد والصيد والقنص، مكتبة البلدية بالإسكندرية مخطوط رقم ١٢٠١؛ كتاب في معرفة الخيل والجهاد وما يتعلق من آلات الفرسان، مكتبة أحمد الثالث استنبول رقم ٢٠٦٦.

٧٩ ابن إياس، بدائع الزهور، ج١، ٤٣١.

٨٠ الحراقة: نوع من السفن الحربية التى ترمى بالنيران، استعملها المسلمون في العصور الوسطى؛ درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم (الإسكندرية، ١٩٧٤)، ٣٢.

٨١ المقريزي، الخطط، ج٢، ٢٠٨.

٨٢ Abousief, 'The Citadel of Cairo, Stage For Mamiluk Ceremonial', *Annales Islamologiques*, 64.

٨٣ رأفت النبراوى، النقود الإسلامية في مصر، ٢٤٨.

٨٤ سعيد عاشور، المجتمع المصرى في عصر سلاطين المماليك (القاهرة، ١٩٦٢)، ٧٩.

٨٥ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٥، ٢٧٥.

٨٦ أحمد فؤاد متولى، قانون نامة، ٢١، ٢٢، ٢٣.

٨٧ المصرى، التاريخ العينى، ٣٠٠.

٨٨ الجبرتى، عجائب الآثار، ج١، ٢٥١.

٨٩ أحمد فؤاد متولى، قانون نامة، ٢٢. غير أن هذا لم يستمر طويلا إذ سرعان ما تذكر المصادر التاريخية مبيت بعض أفرد هذه الطوائف بالمدينة. انظر: المصرى، التاريخ العينى، ٢٧٢.

٩٠ جومار، وصف مدينة القاهرة، ١٥٤.

٩١ أحمد متولى، قانون نامة، ٢٢.

٩٢ المقريزى، الخطط، ج ٢، ٢٠٥.

٩٣ قام محمد الششتاوى بتحديد أبعاد الميدانين معاً في العصر المملوكى حيث يذكر أن طولها ٧٥٠ مترا في المتوسط وعرضها ١٠٠ متر، أما حدودهما فهى: الحد الشرقى من أول سكة المحجر فباب العزب فسور القلعة حتى مسجد الغورى بعرب اليسار، والحد الجنوبى من مسجد الغورى حتى جامع السيدة عائشة حتى جامع الرفاعى، والحد الشمالى من جامع الرفاعى إلى أول سكة المحجر. محمد الششتاوى، ميادين القاهرة، ١٠.

٩٤ المقريزى، الخطط، ج٢، ٢٢٨.

٩٥ المقريزى، الخطط، ج٢، ٢٢٩؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٩، ١٧٩.

٩٦ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ٥٦، ٦٠، ١٠٢.

٩٧ محمد الششتاوى، ميادين القاهرة، ١٨.

٩٨ ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد الدمشقى، زاد المعاد في هدى خير العباد، ج ١، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط (بيروت، ١٩٩٧)، ٤٢٥-٤٣٠.

٩٩ المقريزى، الخطط، ج٢، ٢٢٩.

١٠٠ المقريزى، الخطط، ج٢، ٢٢٩.

١٠١ ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد، ج ١، ٤٢٥.

١٠٢ عثر على هذه المدينة عام ١٩٤٩ في لبنان، ولكن هذا الاكتشاف لم تلق نتائجه الدراسات الكافية من قبل الآثاريين العرب. عبدالرحمن زكى، الفن الإسلامى (دار المعارف، ١٩٨٤)، ١٦.

١٠٣ عبدالرحمن زكى، الفن الإسلامى، ١٦.

١٠٤ المقريزى، الخطط، ج٢، ٢٢٩.

١٠٥ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج١٢، ٨، ١٢.

١٠٦ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٥، ٩٤.

١٠٧ بيبرس الدودار، التحفة الملوكية، ٥٦.

١٠٨ ابن أيبك، كنز الدرر، ج٨، ١٩٧؛ محمد الششتاوى، ميادين القاهرة، ٢٣.

١٠٩ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ٢٦٨.

١١٠ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ٢٣٠.

١١١ ابن إياس، بدائع الزهور، ج٤، ١٢٤، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٦٨؛ محمد الششتاوى، ميادين القاهرة، ٤١.

١١٢ ابن إياس، بدائع الزهور، ٤٦، ١٦٠، ٣٧٣، ٣٩١؛ محمد الششتاوى، ميادين القاهرة، ٤١.

١١٣ جمهورية جورجيا حاليا.

١١٤ ابن إياس، بدائع الزهور، ٢٦٨.

١١٥ أولج جرابار، العمارة، بحث في كتاب تراث الإسلام، ٣٧٨، ترجمة د. حسين مؤنس، العدد ٨ (الكويت، ١٩٧٨).

١١٦ محمد بن نصر: هو الغالب بالله أمير المسلمين الشيخ أبو عبد الله محمد بن نصر بن قيس الخزرجى، مؤسس الدولة النصرية ويصل نسب بنى نصر إلى الصحابى سعد بن عبادة الأنصارى، وكثيرا ما تغنى الشعراء بهذا النسب والعديد من الأبيات الشعرية على جدران الحمراء تشير إلى ذلك. انظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٤ (بيروت، ١٩٧٠)،١٧٠؛ ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال (الرباط، ١٩٣٤)، ٣٣٠.

١١٧ ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ٢٣-٢٤، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الآفاق الجديدة (بيروت، ١٩٨٠)؛ محمد الجمل، الكتابات الأثرية في منشآت يوسف الأول بقصور الحمراء، رسالة ماجستير، كلية الآداب (جامعة الاسكندرية، ١٩٩٣)، ٢٧.

١١٨ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ٢٤؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، تحقيق دكتور محمد عبد الله عنان (القاهرة، ١٩٧٧)، ٩٧-٩٦.

١١٩ محمد الجمل، الكتابات الأثرية في منشآت يوسف الأول بقصور الحمراء، ٢٩.

١٢٠ محمد الخامس: هو الغنى بالله محمد بن يوسف الأول ولى الملك بعد أبيه، وكان عفيف النفس مائلاً إلى الخير، محبا للعلم والعلماء، كلف بأعمال العمران والبنيان، وقد تولى الحكم مرتين، المرة الأولى من ٧٥٥ هـ/ ١٣٥٤م إلى ٧٦٠ هـ/ ١٣٥٩م. ثم وقعت فتنة أبعدته عن الحكم ما يقرب من سنة ثم تولى الحكم مرة أخرى من ٧٦٢ هـ/ ١٣٦١م إلى ٧٩٤ هـ/ ١٣٩٢. انظر: ابن خلدون، التاريخ، ج ٧، ٣٣٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ٢٦-٢٧؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ١٢٠.

١٢١ السلطان محمد الثالث، هو ثالث ملوك بنى نصر وابن السلطان محمد الثانى، يكنى ابا عبد الله ويلقب بالمخلوع، تسلم أيام أبيه مسئوليات عديدة فتمرس على شئون الحكم وإدارة البلاد، واستأنف خطى أبيه في الجهاد فزحف على المعاقل القشتاليه في جيان واحتل عدداً من الحصون، ولم يهنأ بالحكم طويلا، وقيل إنه خلع بتدبير من أخيه نصر الذي تولى الحكم من بعده. انظر، ابن خلدون، التاريخ، ج٧، ٢١٩-٢٢٠؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ٧٠.

١٢٢ السلطان أبو الوليد إسماعيل: هو أبو الوليد إسماعيل بن فرج بن إسماعيل النصرى، خامس ملوك بنى الأحمر، كان عفيف النفس، لا يعاقر الخمر، ويميل إلى الصيد، وقد بذل العدل في رعيته، واجتهد في الدفاع عن مملكته، كما اشتد على أهل البدع، وله حروب مع القشتاليين، وزحف إلى بعض المدن المسيحية، وقد مات قتيلاً على يدى ابن عمه محمد بن إسماعيل صاحب الجزيرة. ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ٨٧، ٩٩؛ أعمال الأعلام، ٣٣٩، ٣٤٠.

١٢٣ حول قصور الحمراء وعمارتها: انظر على سبيل المثال: محمد الجمل، الكتابات الأثرية في منشآت يوسف الأول بقصور الحمراء، ٣٣٩-٣٤٠؛ السيد عبد العزيز سالم، العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، مجلة علام

الفكر، المجلد الثامن، العدد الأول (الكويت، ١٩٧٧)، ١٠٠، ١٠٥؛ محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية في أسبانيا والبرتغال، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية (١٩٩٧)، ٢١٤-١٨٤؛ يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ٢١٩- ٢٤٠؛ عبد الرحمن زكي، غرناطة زينة الدنيا، مجلة الفيصل العدد ١١، السنة الأولى (مايو ١٩٧٨)، ٣٥- ٥٣.

١٢٤ محمد الجمل، الكتابات الأثرية في منشآت يوسف الأول بقصور الحمراء، ٣٢- ٣٣.

١٢٥ عبدالرحمن زكي، الفن الإسلامي، ٤٤.

١٢٦ ناصر الرباط، قصور الحمراء في غرناطة، دراسة تحت النشر.

١٢٧ محمد الجمل، الكتابات الأثرية في منشآت يوسف الأول بقصور الحمراء، ١.

١٢٨ ناصر الرباط، قصور الحمراء في غرناطة، دراسة تحت النشر.

١٢٩ ناصر الرباط، قصور الحمراء في غرناطة، دراسة تحت النشر.

١٣٠ هو أبو الحسن على بن الجياب، الوزير الشاعر الشيخ الرئيس، ولد في غرناطة سنة ٦٧٣ هـ كان متبحراً في علوم اللغة والأدب والتاريخ، وعمل حيناً من الزمان كاتباً في بلاط الدولة النصرية وخدم العديد من الأمراء والسلاطين في ديوان الانشاء، ومنهم السلطان محمد الثاني، والسلطان أبوالوليد إسماعيل والسلطان أبو الحجاج يوسف الأول وقد تولى الوزارة في عهده. ويتميز شعر ابن الجياب بتنوع موضوعاته فمنه ما نظم في مدح السلاطين أو في وصف حفلات البلاط بالإضافة إلى قصائده المنقوشة على جدران الحمراء، ومن قصائده هذه أشعاره التى تزدان بها قاعات قصر جنة العريف وهو من منشآت السلطان أبي الحجاج يوسف الأول، وتتميز قصائد ابن الجياب بدقة وصف الشاعر للعناصر المعمارية والزخرفية. ابن الخطيب، الإحاطة، ج٤، ١٢٥.

١٣١ هو أبو عبد الله محمد بن يوسف الصريحى، المعروف بابن زمرك، وأصله من شرق الأندلس، ولد سنة ٧٣٣ هـ في غرناطة، شهد قصور الحمراء في صورتها النهائية، ولذلك جاء وصفه لها متكاملاً، معظم أشعاره نقشت على جدران المنشآت التى ترجع إلى عصر السلطان محمد الخامس الذي عمل وزيراً له. ابن الخطيب، الإحاطة، ٢٠٥ - ٣٠٠؛ محمد الجمل، الكتابات الأثرية في منشآت يوسف الأول بقصور الحمراء، ٤٩.

١٣٢ محمد عبد اللطيف البحراوى، من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم، ٢٠٢-٢٠٣، مجلة الدارة العدد الرابع، السنة الثالثة عشرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٣٣ برنارد لويس، استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، ترجمة د. سيد رضوان على، الدار (السعودية، ١٩٨٢)، ٩٥؛ الصفصافي أحمد المرسى، استانبول عبق التاريخ وروعة الحضارة، دار الآفاق العربية (١٩٩٨)، ١٣٢؛ محمد التميمى، جولة دراسية في قصر الطوب قابى، ١١٦، مجلة المتحف العربي، السنة الثانية، العدد الثالث (مارس ١٩٨٧).

١٣٤ برنارد لويس، استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، ٩٥-٩٦؛ الصفصافي، استانبول عبق التاريخ وروعة الحضارة، ١٢٣.

١٣٥ محمد التميمى، جولة دراسية في قصر الطوب قابى، ١١٦؛ جان بول رو، الفن العثماني في الأراضى التركية، بحث ضمن كتاب، تاريخ الدولة العثمانية، ج٢، إشراف روبير مونتران، ترجمة بشير السباعى، دار الفكر للدراسات والبحوث (١٩٩٣)، ٣٩٨.

١٣٦ برنارد لويس، استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، ٩٦.

١٣٧ برنارد لويس، استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، ٩٦.

١٣٨ وليد المنيس، التفسير الشرعى للتمدن. رسائل الجمعية الجغرافية، رسالة ٦٢ (١٩٨٤)، ١٦، ١٧.

١٣٩ جان رو، الفن العثماني في الأراضى التركية، ٣٩٨.

١٤٠ جان رو، الفن العثماني في الأراضى التركية، ٣٩٩، ٤٠٠.

١٤١ إسماعيل حقى أوزون، مدخل إلى مؤسسات الدولة العثمانية، عثمانلى دولتى تشيكلاتنه مدخل (أنقره، ١٩٧٠)، ٣٩، ٨٧، ٢٠٨، ٢٧٥ ؛ محمد حرب، آليات إتخاذ القرار في الدولة العثمانية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الثالثة العدد ١٢ (شوال ١٤١٦ هـ/ مارس ١٩٩٦)، ٣٤.

١٤٢ الدفتردار، هو وكيل السلطان في مال الدولة. وميدان عمله الأمور المالية في الدولة. ومن واجباته فتح الدفترخانه والخزانة. ويعرض على السلطان مسائله عقب اجتماع الديوان في يوم الثلاثاء. محمد حرب، آليات إتخاذ القرار في الدولة العثمانية، ٣٨.

١٤٣ برنارد لويس، استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، ١١٦.

١٤٤ يقصد السلطان في عصره، وهو السلطان أحمد الأول (١٦٠٣ ـ ١٦١٧ م).

١٤٥ برنارد لويس، استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، ص١١٣، ١١٦.

١٤٦ برنارد لويس، استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، ١٢٤، ١٢٥؛ محمد حرب، آليات اتخاذ القرار في الدولة العثمانية، ٣٩.

١٤٧ برنارد لويس، استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، ١٠٦، ١٠٧.

١٤٨ كان هؤلاء من السود الخصيان.

١٤٩ ماجدة صلاح مخلوف، الحريم في القصر العثماني، ١٠، ١١.

١٥٠ محمد التميمى، جولة دراسية في قصر الطوب قابى، ١١٨، ١١٩.

١٥١ ماجدة مخلوف، الحريم في القصر العثماني، ١٤، ١٥.

١٥٢ محمد التميمى، جولة دراسية في قصر الطوب قابى، ١١٨.

١٥٣ محمد نورالدين، قصر دولما بهجة في اسطنبول، ١٢، ١٩؛ الصفصافي، استانبول عبق التاريخ وروعة الحضارة، ١٣١، ١٣٤.

١٥٤ عبد الرحمن الرافعى، عصر إسماعيل، ج١، ط٤ (القاهرة، ١٩٨٢)، ٧٤.

اولا المصادر العربية

١ - ابن الأزرق، محمد بن على أبوعبد الله الأصبحى الغرناطى، بدائع السلك في طبائع الملك، ج٢، تحقيق د.على سامى النشار (العراق، ١٩٧٨).
٢ - ابن الحاج، أبو عبد الله بن محمد بن محمد العبدرى الفاسى المالكى، المدخل، ج٢.
٣ - ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال (الرباط، ١٩٣٤).
- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق محب الدين الخطيب (بيروت، ١٩٨٠).
٤ - ابن الشحنة، محب الدين محمد، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تحقيق جوزيف اليان سركيس (بيروت، ١٩٠٩).
٥ - ابن إياس، بدائع الزهور، ج١.
٦ - ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، دار ابن خلدون (الاسكندرية، ١٩٩٦).
- تاريخ ابن خلدون، ج٤ (بيروت، ١٩٧٠).
٧ - ابن رضوان، أبى القاسم المالكى، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق د.على النشار، دار الثقافة (المغرب، ١٩٨٤).
٨ - ابن شاهين، زبدة كشف الممالك.
٩ - ابن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة، مملكة حلب، م١، ق١، تحقيق دومنيك سورديل (دمشق، ١٩٥٣).
١٠ - ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر.
١١ - ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد الدمشقى، زاد المعاد في هدى خير العباد، ج ١، تحقيق شعيب الارنؤوط وعبدالقادر الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ١٩٩٧).
١٢ - ابن منظور، جمال الدين محمد بن جلال الدين الخزرجى الإفريقى، لسان العرب، المجلد الاول، إعداد يوسف خياط، ونديم مرعشلى، دار لسان العرب (بيروت).
١٣ - الجبرتى، عجائب الآثار، ج١.
١٤ - الدواداري، كنز الدرر (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر)، ج٩.
١٥ - الزركشى، إعلام الساجد بأحكام المساجد.
١٦ - السرخسى، محمد بن أبى سهل، المبسوط، ج٢، القاهرة، ١٣٢٤هـ / ١٩٠٧م.
١٧ - الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، ج٧، تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعارف (١٩٦٩).
١٨ - العباسى، الحسن بن عبد الله، آثار الأول في ترتيب الدول (بولاق، ١٨٨٧).
١٩ - العمرى، مسالك الأبصار.
٢٠ - الفراء، أبو يعلى محمد بن حسن، الأحكام السلطانية (القاهرة، ١٩٦٦).
٢١ - القلقشندى، صبح الأعشى، ج٤.
٢٢ - الماوردى، أبو الحسن على بن حبيب المصرى الشافعى، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الاعتصام (القاهرة، ١٩٩٦).
- تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك و سياسة الملك، تحقيق محى هلال سرحان، ومراجعة د.حسن الساعاتى، دار الكتب (بيروت، بدون تاريخ).
٢٣ - المصرى، التاريخ العينى.
٢٤ - المقريزى، الخطط المقريزية، ج٢.
- السلوك، ج١.
٢٥ -اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن يعقوب، كتاب البلدان، طبعة ليدن، (١٨٩٢م).
٢٦ - بيبرس المنصورى، التحفة الملوكية في الدولة التركية.
٢٧ - على باشا مبارك، الخطط التوفيقية، ج٥.
٢٨ـ مؤلف مجهول، كتاب في معرفة الخيل والجهاد وما يتعلق من آلات الفرسان، مكتبة أحمد الثالث، استنبول، رقم ٢٠٦٦.
٢٩ـ مؤلف مجهول، مجموع في الفروسية والجهاد والصيد والقنص، مكتبة البلدية بالاسكندرية، مخطوط رقم ١٢٠١.
٣٠ـ مؤلف مجهول، الفروسية والطعن والضرب والتبطيلات، مكتبة الفاتح، استنبول، مخطوط رقم ٣٥٠٩.
٣١ - نظام الملك الطوسى، سياسة نامة، ترجمة وتعليق السيد محمد العزاوى (القاهرة، ١٩٧٦).

ثانياً المراجع العربية

١ - أحمد السعيد سليمان، تأصيل ما ورد من الدخيل في الجبرتى (القاهرة، ١٩٧٩).
٢ -أحمد فؤاد متولى، قانون نامة مصر، (القاهرة، ١٩٨٦).
٣ - أولج جرابار، العمارة، بحث في كتاب تراث الإسلام، ترجمة د. حسين مؤنس، العدد ٨، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت، ١٩٧٨).
٤ - إبراهيم طرخان، النظم الاقطاعية.
٥ - إسماعيل حقى أوزون، مدخل إلى مؤسسات الدولة العثمانية، عثمانلى دولتى تشيكلاتنه مدخل (أنقرة، ١٩٧٠).
٦ -السيد عبد العزيز سالم ، العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن، العدد الأول (الكويت، ١٩٧٧).
٧ - الصفصافي أحمد المرسى، استانبول عبق التاريخ وروعة الحضارة، دار الآفاق العربية، ١٩٩٨.
٨ - برنارد لويس، استنبول وحضارة الخلافة الإسلامية، ترجمة د. سيد رضوان على، الدار السعودية للنشر والتوزيع (١٩٨٢).
٩ -جان بول رو، الفن العثماني في الأراضى التركية، بحث ضمن كتاب تاريخ الدولة العثمانية، ج٢، إشراف روبير مونتران، ترجمة بشير السباعى، دار الفكر للدراسات والبحوث، ١٩٩٣.
١٠ -جومار، وصف مدينة القاهرة.
١١ -حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج ١ - ٢ (القاهرة، ١٩٦٥).
١٢ - حسين مؤنس، المساجد، سلسلة عالم المعارف، (٣٧) (الكويت، ١٩٨١).
١٣ -رأفت النبراوى ، النقود الإسلامية في مصر.
١٤ - رضوان السيد ، قضاء المظالم: نظرة في وجه من وجوه علاقة الدين بالدولة في التاريخ الإسلامى، مجلة دراسات، المجلد ١٤، العدد ١٠ (١٩٨٧).
١٥ - سامى عبد الحليم، الحجر المشهر حلية معمارية بمنشآت المماليك في القاهرة (القاهرة، ١٩٨٤).
١٦ -سعيد عاشور، المجتمع المصرى في عصر سلاطين المماليك (القاهرة، ١٩٦٢).

١٧ - عبد الحى الكتانى، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية والولايات الدينية، ج ٢ (بيروت، بدون تاريخ).

١٨ -عبد الرحمن الرافعى، عصر إسماعيل، ج١، دار المعارف، ط٤، (١٩٨٢م).

١٩ -عبد الرحمن زكى، قلعة صلاح الدين، الفن الإسلامى (دار المعارف، ١٩٨٤).

- غرناطة زينة الدنيا. مجلة الفيصل العدد ١١، السنة الأولى(مايو ١٩٧٨) .

٢٠ -عبد القادر الريحاوى، قصور الحكام في دمشق، الحوليات الأثرية السورية، المجلد ٢٢ (١٩٧٢:١٩٧٣).

٢١ -عبد القادر المعاضيدى، واسط في العصر العباسى(بغداد، ١٩٨٣).

٢٢ - فريد شافعى، العمارة العربية في مصر الإسلامية.

٢٣ - كازانوفا، قلعة الجبل.

٢٤ - كمال الدين سامح، العمارة في صدر الإسلام (القاهرة، ١٩٨٢).

٢٥ - ماجدة صلاح مخلوف، الحريم في القصر العثمانى.

٢٦ -محمد التميمى، جولة دراسية في قصر الطوب قابى، مجلة المتحف العربى، السنة الثانية، العدد الثالث(مارس ١٩٨٧).

٢٧ - محمد الجمل، الكتابات الأثرية في منشآت يوسف الأول بقصور الحمراء، رسالة ماجستير، كلية الآداب (جامعة الإسكندرية، ١٩٩٣).

٢٨ - محمد الششتاوى، ميادين القاهرة.

٢٩ - محمد أمين و ليلى إبراهيم، المصطلحات المعمارية.

٣٠ - محمد حرب، آليات اتخاذ القرار في الدولة العثمانية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، السنة الثالثة، العدد ١٢ (شوال ١٤١٦ هـ/ مارس ١٩٩٦).

٣١ - محمد عبد الله عنان، الآثار الأندلسية في أسبانيا والبرتغال، مكتبة الخانجى، الطبعة الثانية (١٩٩٧).

٣٢ - محمد عبد اللطيف البحراوى، من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم، مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة الثالثة عشرة (١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م).

٣٣ - محمد نورالدين، قصر دولما بهجة في استنبول.

٣٤ - مصطفى الموسوى، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية (بغداد، ١٩٨٢).

٣٥ - مصطفى بركات، دراسة للخط والألقاب والوظائف من خلال النصوص التأسيسية الباقية للعمائر العثمانية بمدينة القاهرة، رسالة ماجستير، كلية الآثار(١٩٨٨) .

٣٦ - ناصر الرباط ناصر، دار العدل: قصة منشأة إسلامية قروسطية، مجلة الاجتهاد، العدد ٢٢ السنة السادسة (١٩٩٤).

- قصور الحمراءفي غرناطة، دراسة تحت النشر.

٣٧ - هشام جعيط، الكوفة، نشأة المدينةالعربية الإسلامية (الكويت، ١٩٨٦).

٣٨ - وليد المنيس، التفسير الشرعى للتمدن، رسائل الجمعية الجغرافية، رسالة ٦٢ (١٩٨٤).

٣٩ - يوسف شكرى فرحات، غرناطة في ظل بنى الأحمر.

ثالثا المراجع الاجنبية

1- D. B. Abousief, The Citadel of Cairo, Stage for Mamiluk Ceremonial, *Annales Islamologiques*.

2- J. Nielson, 'Mazalimand dar al Adel Under The Early Mamluks', *The Muslim World*. vol. 66, n. 2. (April 1976)

L. Ibrahim and J. M. Rogers, 'The Hangah of the Emir Qawsun', *MDAIK* 30/1 (1974).

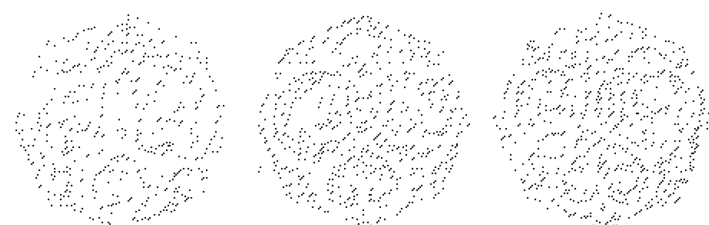
4- N. Rabbt, *The Citadel of Cairo*.

5- O. Garber, *The case of the Mosqe, The Formation of Islamic Art* (London , 1973).

6- The Encyclopedia of Islam 2 (E 12), Art. 'Iwan' by O. Graber, vol. IV, 289.

7- E. Celebi, Seyahat Namesi, Mumin Cevik(Istanbul, 1984).

8- M. Meinecke, 'Die Mamlukischen Faience Dekorationen: Eine Werkstatte aus Tabrizin, Kairo (1330– 1335), 85. *Kunst des orients* 11 (1976 – 77); Abousief, 'The minarets of Cairo' (Cairo 1985), 78.



القباب الضريحية بمدينة القصير
دراسة أثرية معمارية

عبد الله كامل موسى عبده

ملخص البحث

يهدف البحث إلى دراسة القباب الضريحية بمدينة القصير دراسة أثرية ومعمارية، خاصة وأن هذه القباب لم تحظ بقسط وافر من الدراسة أو التحليل، على الرغم مما يميز عمارتها من عناصر معمارية وفنية فريدة تعكس بشكل جلي خصائص البيئة المحلية سواء في محافظة البحر الأحمر بشكل عام أو مدينة القصير بشكل خاص، وقد تطلب البحث دراسة ميدانية لمواقع تلك القباب في مدينة القصير لكى تكتمل الدراسة النظرية بالجانب التطبيقى المشاهد.

وقد عولج البحث من خلال محورين رئيسيين:

أولهما

خصص للدراسة التاريخية والأثرية سواء لمدينة القصير أو للقباب الضريحية بها، وهي الدراسة التي ألقت الضوء على مدينة القصير من الناحيتين التاريخية والوثائقية خاصة في القرن ١٣ هـ/ ١٩م من جهة وعلى القباب الضريحية بالمدينة سواء من حيث الموقع أو المنشىء وتاريخ الإنشاء أو الوصف المعمارى من جهة أخرى.

وقد جاءت هذه القباب إما ملحقة بزوايا أو مستقلة، وهي دراسة جديدة تلقى ضوءا ساطعاً على نمط هام من أنماط العمارة الضريحية بمصر.

ثانيهما

خصص للدراسة التحليلية المقارنة، وهي الدراسة التي تضمنت المكونات والتخطيط المعماري في دراسة مقارنة جديدة مع القباب الضريحية بمدينة القاهرة، وجبانة أسوان ووادي النطرون، وقد اشتمل هذا المحور على دراسة لتخطيط مربع القبة في القباب موضوع الدراسة ثم العناصر المعمارية والزخرفية ومنها مادة البناء، ومناطق الانتقال، والرقبة والقبة، فضلاً عن دراسة شملت سمات معمارية وزخرفية أخرى مثل الأبراج الصغيرة والزخارف والنقوش الكتابية، وقد تم تناول هذه العناصر المعمارية والزخرفية في ضوء الموروث الفنى والمؤثرات البيئية والتأثيرات الوافدة لإيضاح ملامح العمارة بمدينة القصير مقارنة بمثيلاتها بمدينة القاهرة وجبانة أسوان ووادي النطرون.

وأخيراً يشتمل البحث على عدة أشكال توضيحية وصور فوتوغرافية تعد إضافة جديدة للدراسات الأثرية، حيث ارتبطت بالجانب التطبيقي المشاهد.

مقدمة

تقع القصير على الساحل الغربي للبحر الأحمر بين سفاجا[1] ومرسى علم على خط ١٧ , ٣٤ شرقاً وخط ٦ , ٢٦ شمالاً، وهي تقابل مدينة قوص[2] الواقعة على الشاطئ الشرقى للنيل، وتبعد عنها مسافة ١٥٠ كم، وكانت منذ أقدم العصور نهاية

درب القوافل الذي يربط النيل بالبحر الأحمر عبر أودية صحراوية من قوص وقنا.[٣] (شكل ١)

تتبع القصير من الناحية الإدارية البحر الأحمر، يمتد نطاقها ٤٠ كم شمالاً و٦٧ كم جنوباً و٩٤ كم غرباً.[٤]

تسمية القصير في العصر الإسلامي تصغير لكلمة القصر بمعنى الحصن، حيث أن هذا الاسم كان يطلق على العديد من الثغور التي تحمى منافذ الدولة الإسلامية، ذكرها ياقوت الحموى فقال 'القصير: بلفظ تصغير قصر في عدة مواضع، منها: قصير معين الدين بالغور من أعمال الأردن يكثر فيه قصب السكر، والقصير: ضيعة أول منزل لمن يريد حمص من دمشق، والقصير: موضع قرب عيذاب بينه وبين قوص قصبة الصعيد خمسة أيام وبينه وبين عيذاب ثمانية أيام وفيه مرفأ سفن اليمن'.[٥]

ذكرها محمد رمزى في البلاد المندرسة فقال 'وبالبحث تبين لى أنها كانت تسمى ميوس هورمس Myos - Hormos وأنها كانت واقعة في شمال بلدة القصير الحالية على ساحل البحر الأحمر واندثرت'.[٦]

وأورد محمد رمزى عن القصير الجديدة أيامه حتى سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م بقوله أنها 'بقسم البحر الأحمر، بمصلحة الحدود، هي من الثغور المصرية القديمة، وتعرف بالقصير الجديدة، ويسميها العرب الجديدة لأنها استجدت بعد القصير القديمة، التي كانت واقعة في شمال هذه واندثرت. ووردت في دفاتر الروزنامة القديمة، باسم 'بندر القصير السامي'، وهي اليوم فرضة، أي ميناء، واقعة على البحر الأحمر، للتجارة الواردة إلى مصر، عن طريق مدينة قوص، الواقعة تجاهها على النيل، والتجارة الصادرة

شكل ١. خريطة توضح موقع مدينة القصير.

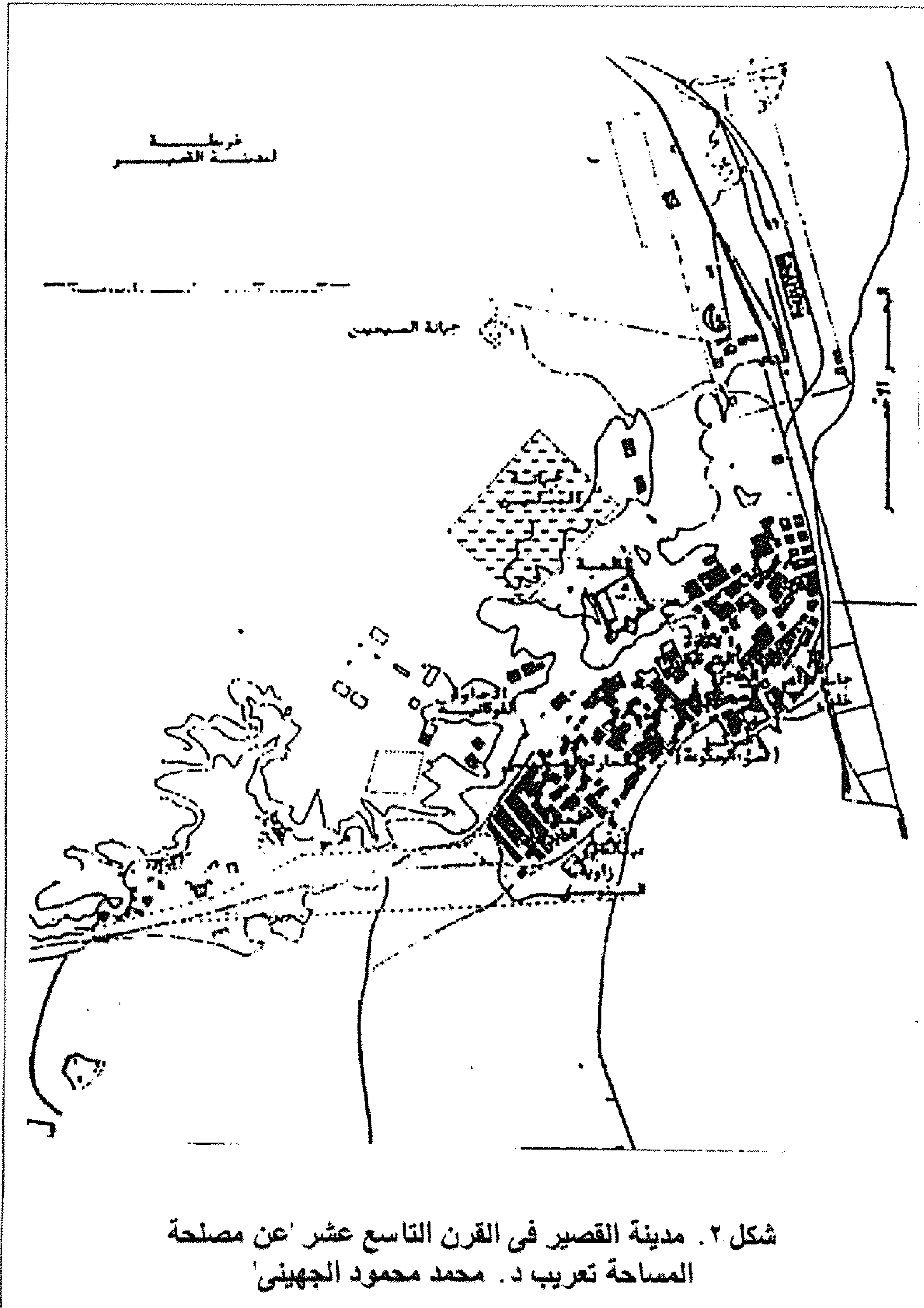
منها، إلى بلاد البحر الأحمر. والمسافة بين قنا والقصير ١٥٥كم على خط مستقيم. وذكر جوتييه في قاموسه، أن القصير هذه اسمها المصري Taaou. والرومى Lefkos Limin.[٧]

وكانت القصير الميناء الهام الثاني لمصر على البحر الأحمر بعد عيذاب منذ أوائل العصور الإسلامية، فعن طريقها يعبر حجاج مصر و بلاد المغرب العربي و الأندلس إلى موانئ الحجاز قاصدين مكة المكرمة والمدينة المنورة ونشط التجار بينها وبين كافة دول آسيا، فعندها تصب السفن القادمة من موانئ الجزيرة العربية محملة ببضائع الهند و الشرق الأقصى وأفريقيا، وخاصة التوابل والعطور والبخور والأعشاب العطرية والأقمشة الحريرية وغير ذلك من السلع، ومنها تصدر الغلال الموقوفة على الحرمين الشريفين، وكانت حلقة ربط لتصدير السلع الواردة من أوروبا إلى الهند والصين.[٨]

قلت أهمية القصير بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح سنة ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م حتى عادت القصير إلى بعض نشاطها التجاري في سنة ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م ففي صيف هذا العام تشير رسائل سانوتو (Sanuto) إلى نشاط تجاري هام، وذلك عندما حملت شحنة كبيرة من التوابل قادمة من القصير عبر النيل تبلغ ضعف الشحنة التي وصلت عن طريق ميناء الطور، كما عادت القصير إلى بعض نشاطها التجارى في النصف الثانى من القرن ١٢هـ / ١٨م نتيجة لتحويل تجارة البحر الأحمر إليها وفقد السويس لمكانتها المتميزة نتيجة مغالاة أمراء المماليك وأتباعهم على جمرك السويس بينما كانت القصير أسهل جمركياً.[٩]

وقد أمدتنا سجلات محكمة القصير الشرعية خلال القرن التاسع عشر بمعلومات على جانب كبير من الأهمية ترسم صورة المدينة من النواحي الإدارية والعمرانية والمعمارية، وقد وردت المدينة في وثائق المحكمة 'بندر القصير' أو 'بندر القصير السامي'، وأشارت الوثائق أن حاكم البندر كان يسمى 'محافظا' بصيغة 'محافظ بندر القصير' أو 'محافظ بندر القصير السامي' أو 'محافظ القصير'.[١٠]

وتشير الخريطة[١١] التي سجلت واقع المدينة العمرانى سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م (شكل ٢) من جهة، والدراسة الميدانية من جهة أخرى إلى اشتمال القصير على منشآت معمارية تنوعت ما بين دينية ومدنية ودفاعية وضريحية نذكر منها على سبيل المثال مئذنة مسجد الفران ومئذنة مسجد السمان، ومنزل الشيخ توفيق وبعض الدور السكنية القديمة، وقصر الحكومة (قسم الشرطة حالياً)، وقلعة القصير، والزوايا والأضرحة موضوع الدراسة التي تتمثل في زاوية وضريح الشيخ عبد الله الهندي، وضريح الشيخ عبد الغفار، وقبة الشيخ أحمد



شكل ٢. مدينة القصير فى القرن التاسع عشر 'عن مصلحة المساحة تعريب د. محمد محمود الجهينى'

السيسي، وقبة الشيخ سليم وزاوية وضريح الجيلاني والشاذلي وغير ذلك من القباب الضريحية، فضلاً عن عدد من الأسواق ومناخ للجمال وجبانة للمسلمين وأخرى للمسيحيين، وقد توزعت هذه العمائر على المخطط العام للقصير الممتد من ساحل البحر لمسافة ٢٥٠م بعرض ١٥٠م، حيث قسمت إلى عدد من الطرق والدروب والأزقة.[١٢]

المحور الأول: الدراسة الوصفية

زاوية وضريح الشيخ عبدالله الهندي حوالي ١٢٦٥ هـ/ ١٨٤٨م

الموقع

تقع هذه الزاوية في شارع جامع الصالحين خلف المدرسة الثانوية للبنات.

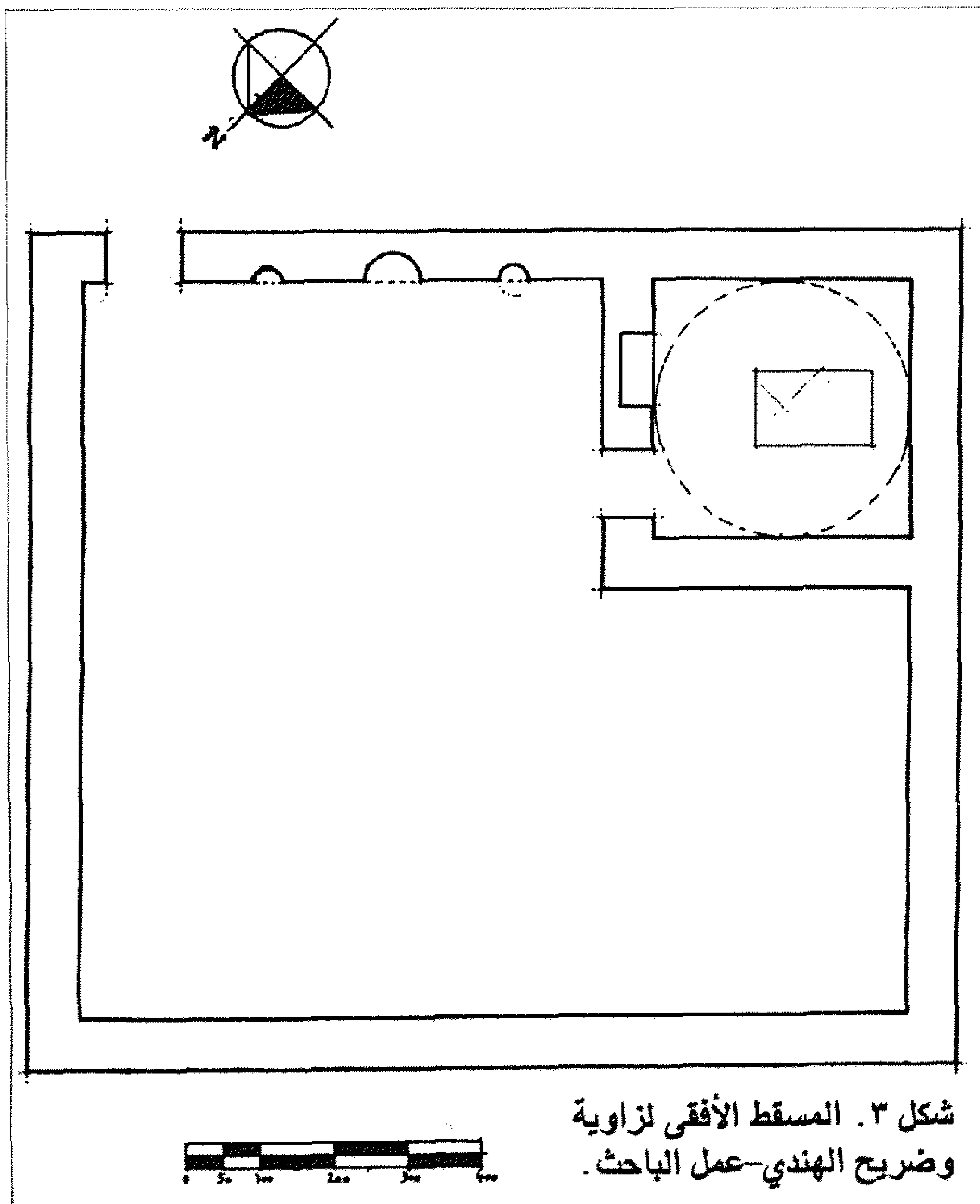
المنشيء وتاريخ الإنشاء

عرفت هذه الزاوية بما تشتمل عليه من ضريح بزاوية الهندي نسبة إلى الشيخ عبدالله الهندي نسبة إلى موطنه الأصلي 'الهند'، حيث استوطن القصير وسكن في حوش في شارع السوق الرئيسي، وكانت هذه الزاوية مزاراً للبحارة الهنود العاملين في البواخر التي كانت تأتي إلى القصير لشحن الفوسفات إلى وقت قريب[١٣] بالإضافة إلى أن أهل القصير يقيمون له مولداً سنوياً يوم ١٥ شعبان وأغلب الظن أن تشييد هذه الزاوية كان في سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م عقب وفاة الشيخ عبد الله الهندي كما جاء بالجدار الشمالي الغربي للقبة الضريحية.

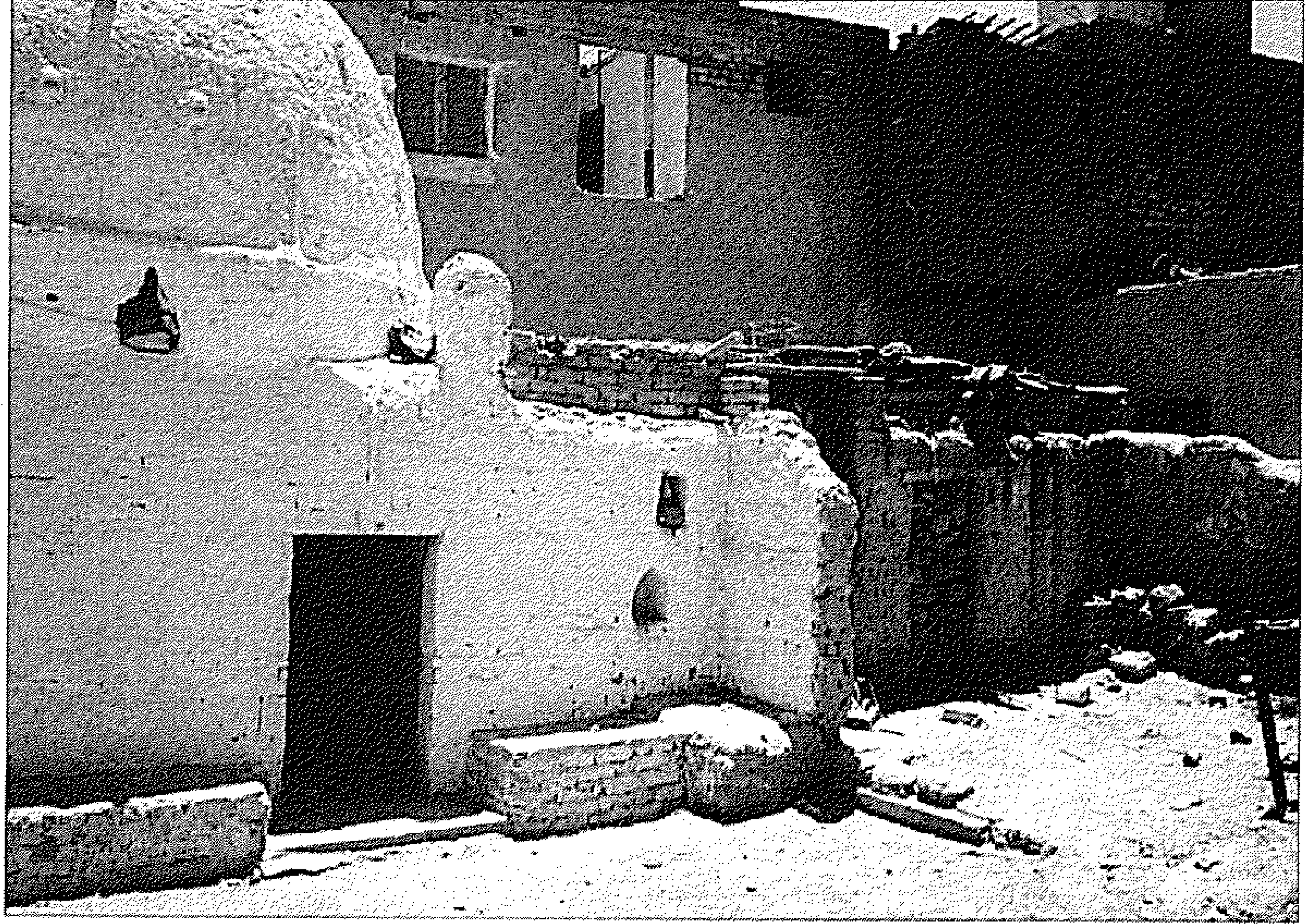
الوصف المعماري

تشغل الزاوية مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب (شكل ٣)، لم يتبق منها من الناحية المعمارية غير جدرانها الخارجية التي بنيت باللبن، ويعد جدار القبلة من أهم هذه الجدران، حيث وصل إلينا بحالة جيدة، ويشتمل على ثلاثة محاريب في تصميم متناغم أوسطها أوسعها وأكثرها ارتفاعاً، وتقع القبة الضريحية في الزاوية الجنوبية الغربية، وهي بحالة جيدة من حيث التخطيط والعمارة، وتفصيل ذلك أن القبة الضريحية شأنها شأن أسوار الزاوية مبنية بالطوب اللبن، وتعد مادة البناء من اللبن من المواد الأساسية التي استخدمت بمدينة القصير، حيث استخدمت أيضاً في العمارة السكنية، فيحدثنا دي بوا - ايميه عن بيوت القصير بقوله 'وبيوت هذه المدينة منخفضة، وهي مبنية عادة من الطوب النيىء'،[١٤] لذا فإن هذه المادة تمثل سمة من سمات العمارة بمدينة القصير، ويبلغ متوسط سمك الجدران ٧٠ سم.

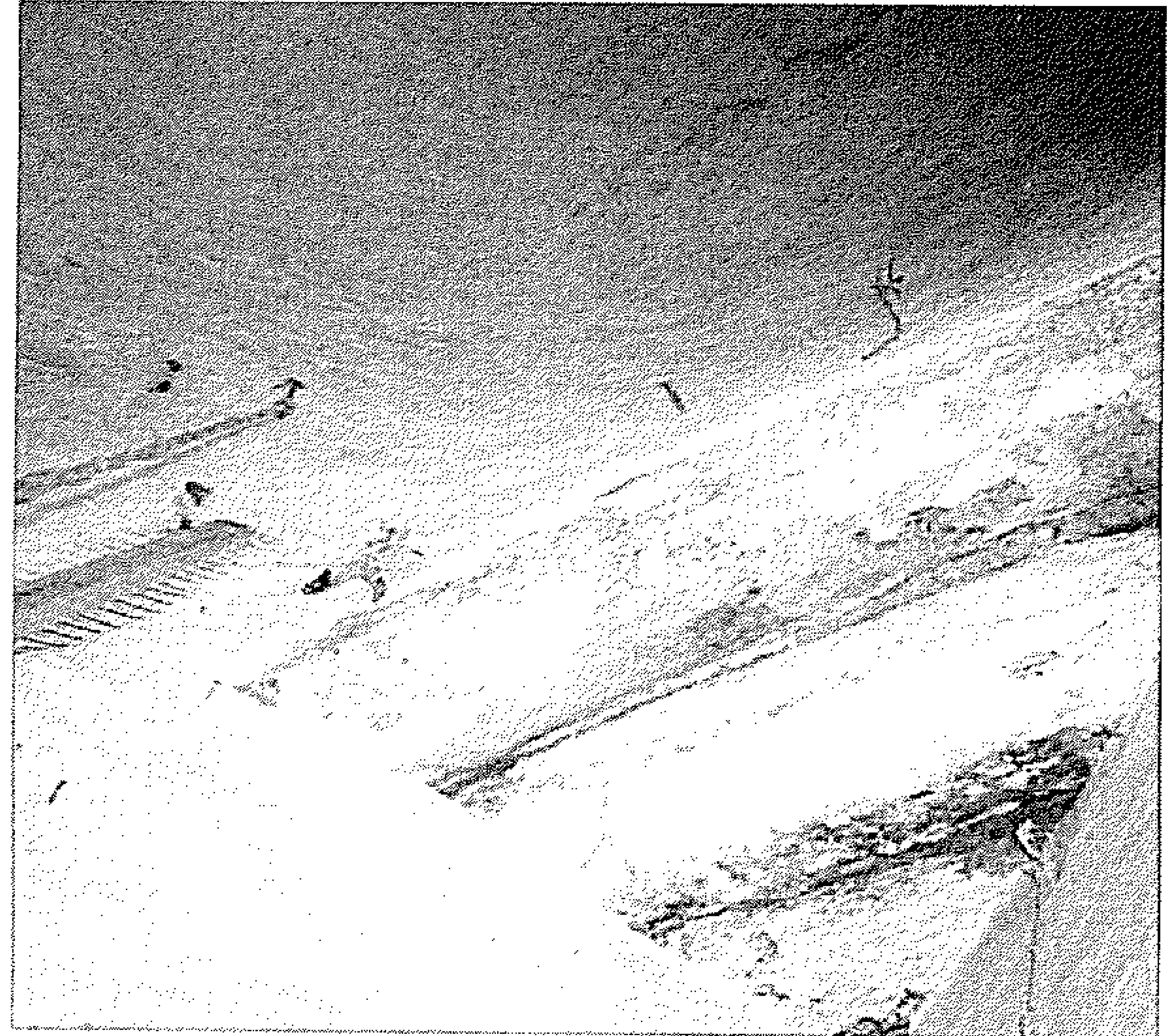
وقد جاء تخطيط القبة الضريحية مربع الشكل طول ضلعه ٣,٥٠م، وترتفع الجدران عن الأرض بمقدار ٣,١٠م، ويقع باب القبة في طرف الجدار الشمالي الشرقي من الجهة الشمالية الغربية (لوحة ١) ويبلغ اتساع فتحته ٨٣سم، وارتفاعها ١,٥٥م، ويتوجها عتب من نخيل الدوم، ويغلق على الفتحة باب خشبي بسيط، وبالطرف الآخر من الجدار أي في الجهة الجنوبية الشرقية أوجد المعماري دخلة شباك سد حالياً اتساعها ٧٠سم، وارتفاعها ٩٠سم، وعمقها ٢٠سم، أما الجدار المقابل وهو الجنوبي الغربي فليس به فتحات، وكذلك الجدار

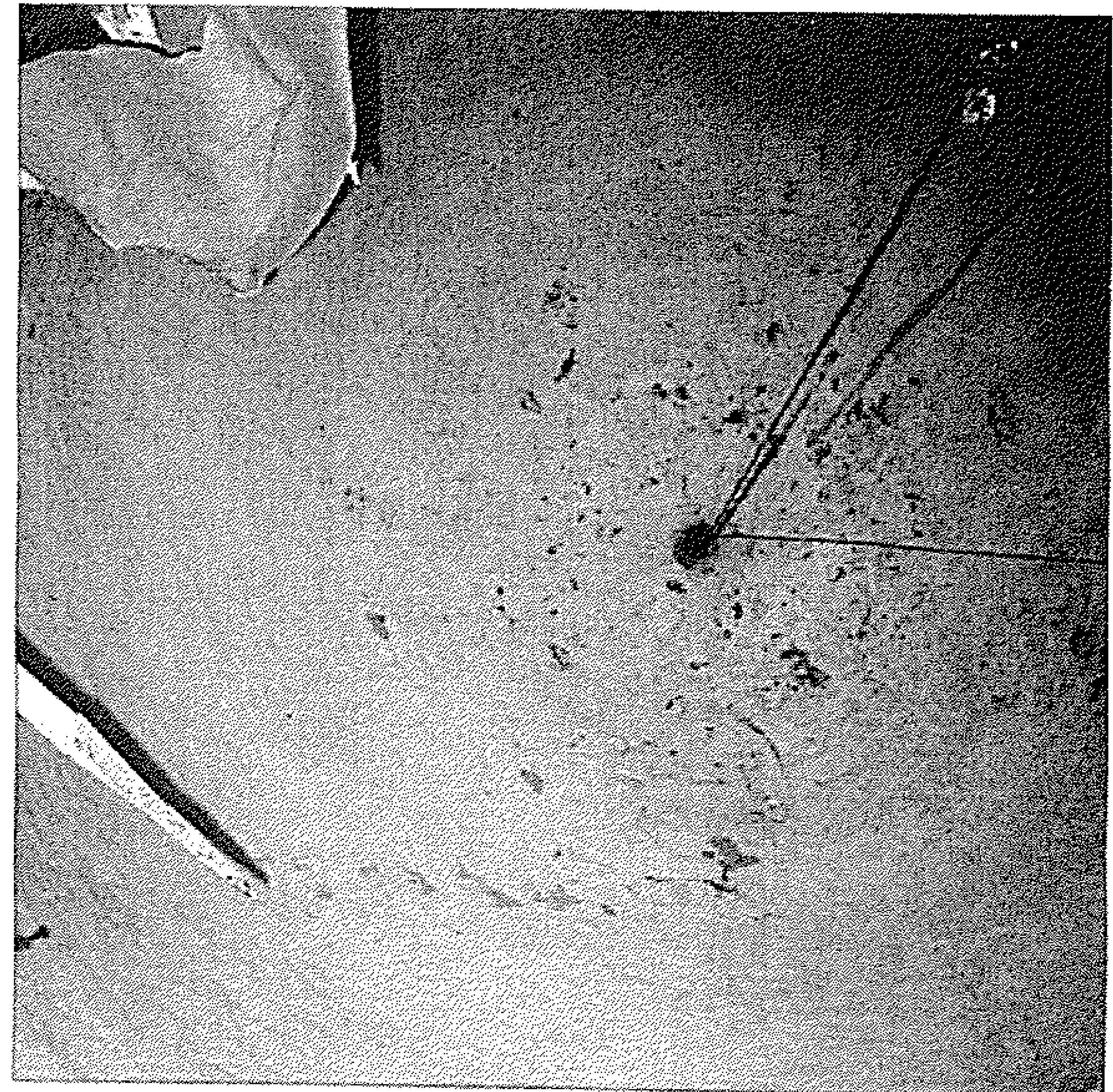


شكل ٣. المسقط الأفقي لزاوية وضريح الهندي-عمل الباحث.


لوحة ١. قبة الشيخ عبد الله الهندي.

الشمالي الغربي، أما الجدار الجنوبي الشرقي والذي يمثل امتداداً لجدار القبلة بالنسبة للزاوية والذي يشتمل بدوره على ثلاثة محاريب تقدم ذكرها فيحتوى على ثلاث كوات ترتفع عن أرض الضريح بمقدار ١م جاءت الوسطى مستطيلة الشكل بها فتحة في الجزء الأسفل منها تصل إلى الخارج لوضع الشموع، والكوتان الجانبيتان معقودتان بعقد مدبب، ويبلغ اتساع كل كوة ٣٠سم، وارتفاعها ٤٠سم وعمقها ٣٥سم.

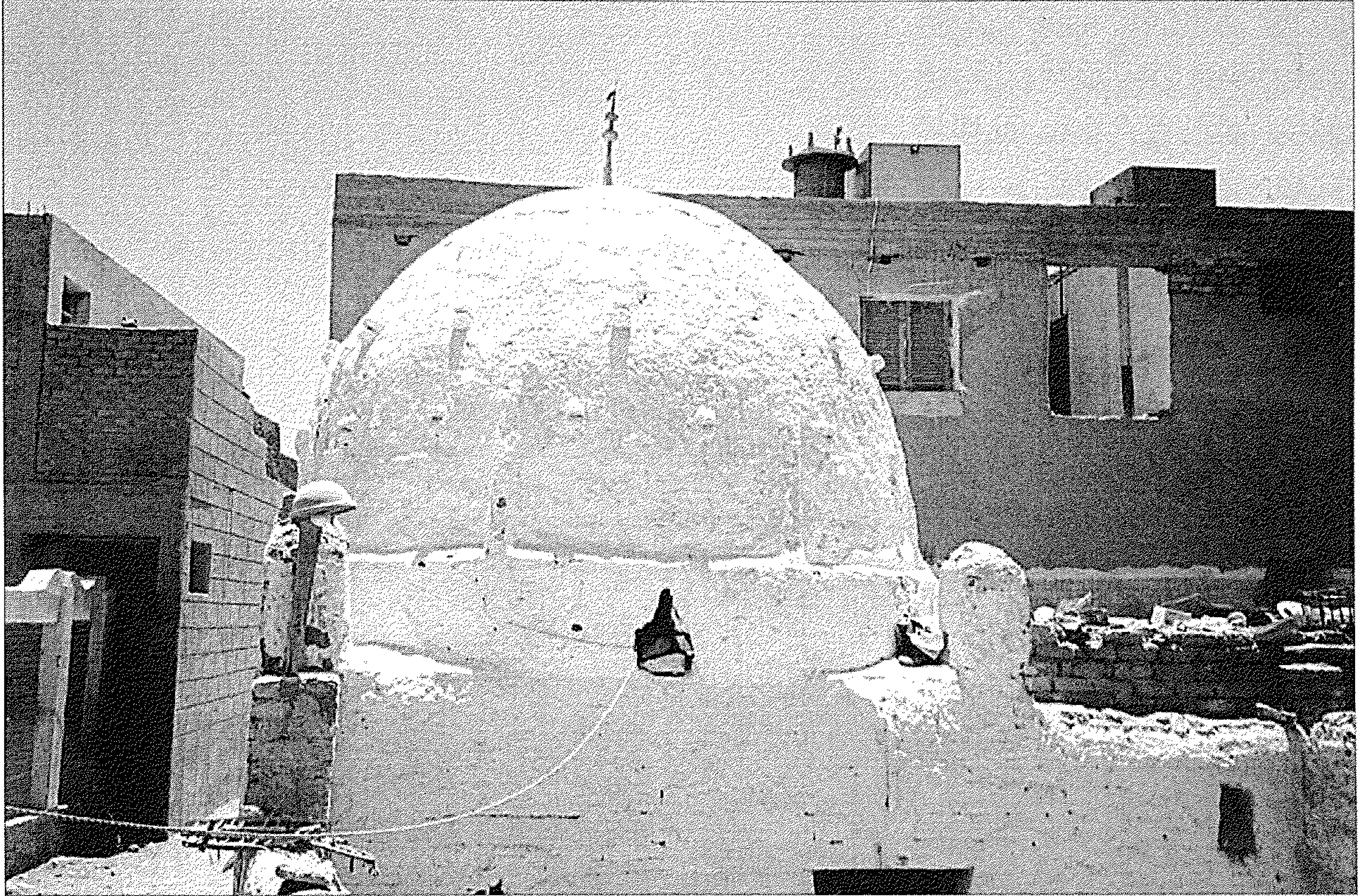

لوحة ٢. مناطق الإنتقال والقبة فى قبة الشيخ الهندي.


لوحة ٣. تفاصيل داخلية لقبة الشيخ الهندي.

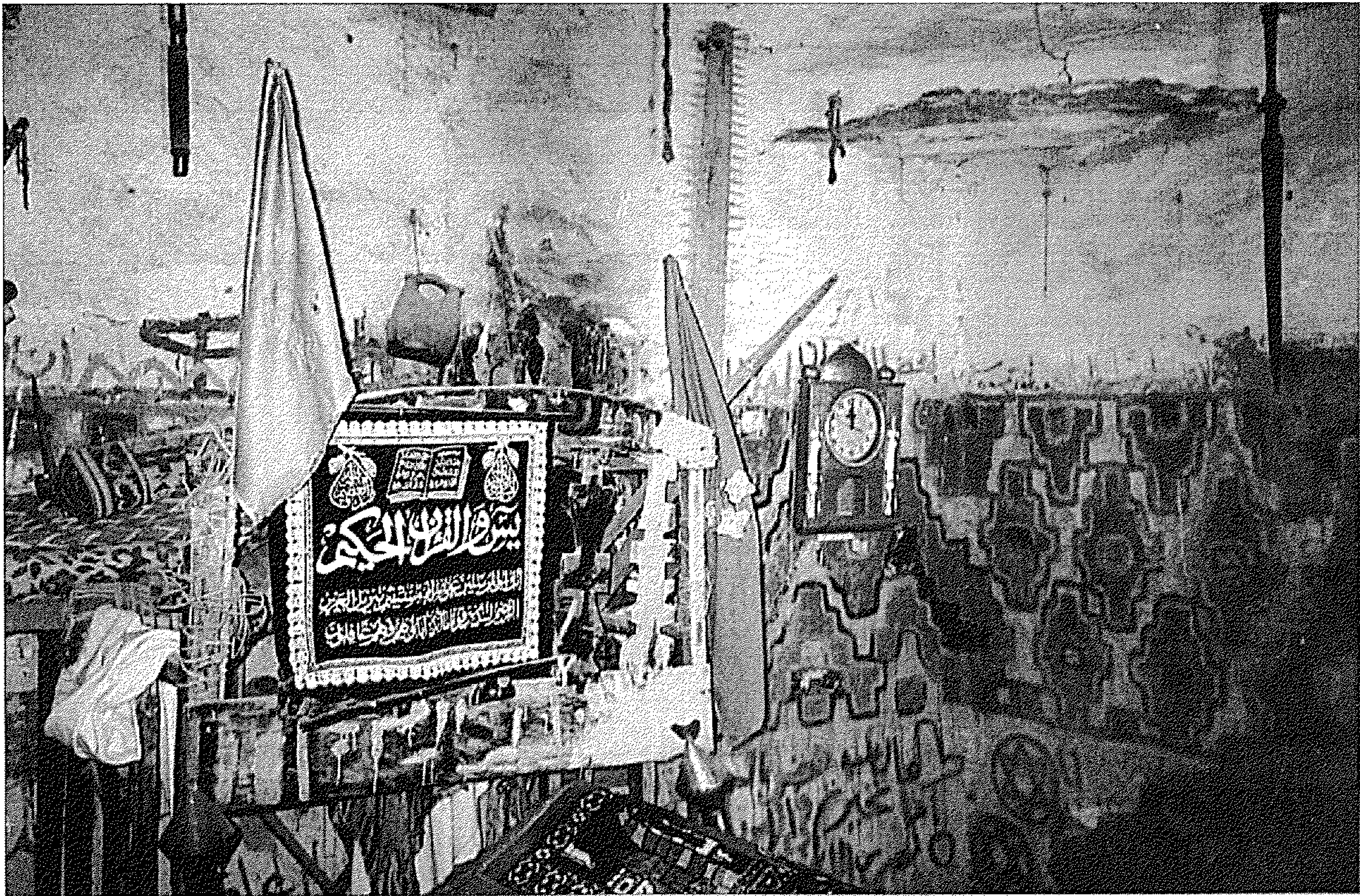
مناطق الانتقال والقبة (لوحة ٢، ٣)

أوجد المعماري في الأركان الأربعة العليا للجدران منطقة انتقال تتبع الطراز السائد في قباب القصير في القرنين ١٢، ١٣هـ / ١٨، ١٩م أي تمثل سمة من أهم سمات العمارة المحلية بمدينة القصير حيث تعد من أهم خصائص المؤثرات البيئية، وهي عبارة عن أربعة مثلثات أفقية مسطحة مكونة من براطيم خشبية من أفلاق النخل وجذوع شجر الدوم تحول التربيع العلوي إلى شبه مثمن يمثل رقبة القبة، وقد فتح بها أربع كوات للإضاءة والتهوية فوق منتصف الجدران الأربعة، ويعلو الرقبة القبة، وهي على هيئة نصف كرة، وأرضية الضريح من بلاط موزايكو حديث فوقه تركيبة خشبية برسم الشيخ عبد الله الهندي مكسوة بعدة طبقات من الأقمشة، أما من الخارج ففي أعلى الزوايا الأربعة الخارجية للجدران ترتفع أربعة أبراج صغيرة على النمط المحلى (لوحة ٤) وأهم ما يميز قبة الهندي هي تلك الرسومات والزخارف والكتابات التي تزخرف جدرانها الأربعة من الداخل وهي منفذة بألوان حمراء وصفراء وزيتونية وأرجوانية وسوداء وبنية بها أشكال هندسية من مربعات ومعينات ومثلثات ودوائر ونجوم ثمانية ونقاط وتهشيرات وعلامات هندسية ذكر بعض الرحالة إنها تشبه الموجودة في بعض المعابد في شمال الهند ونيبال.[١٥] (لوحة ٥).

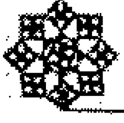
وقد نقش بالجدار الجنوبي الغربي الآية القرآنية ﴿نصر من الله وفتح قريب وبشر الصابرين﴾ وبالجدار الجنوبى الغربى الحديث الشريف 'أفضل الذكر لا إله إلا الله'.



لوحة ٤. قبة الشيخ الهندي.



لوحة ٥. نقوش زخرفية من قبة الشيخ عبد الله الهندي.



وبجدار القبلة الجنوبي الشرقي يوجد حديث منسوب إلى الرسول ﷺ نصه 'إذا تحيرتم في الأمور فعليكم بزيارة القبور' وبالجدار الشمالي الغربي 'هذا مقام الشيخ عبد الله الهندي عفا الله عنه وهو بهذا القبر حقاً يرجو ثواب الله وغفرانه أوسع له يارب رزقاً'. 'وهذا مقام الشيخ عبد الله الهندي عفا الله عنه تحريراً في يوم الاثنين ١٠ جمادي الأولى سنة ١٢٦٥هـ'.

وقد اشتمل الضريح على بعض الآثار عبارة عن نموذج لقارب خشبي صغير طوله ٦٠سم، وارتفاعه ١٥سم، ومدلول هذه القوارب في القباب الضريحية هو أن المدفون بها يعد بحر علوم مثل الإمام الشافعي والإمام الليث وغيرهما. ويوجد رأس سمكة أبو منشار، وبقايا شمعة ضخمة مخروطية الشكل قطرها حوالى ١٠سم، وطولها ٢٥سم، ترتكز على قاعدة حديدية ذات ثلاثة قوائم، ولونها أصفر غامق مما يدل على أنها من شمع النحل[١٦] ويوجد كذلك مبخرة وسيف حديدى مزخرف ولكنه صدأ الآن وأوانى فخارية وسبحة كبيرة وغير ذلك.

أما بقايا الزاوية التي وصلت إلينا وكانت مخصصة لإقامة الصلوات وحلقات الذكر فهي عبارة عن بقايا أسوار من الطوب اللبن، يبلغ ارتفاعها ١,١٠م، مدخلها يقع في امتداد جدار القبلة في طرفه الشرقي، اتساع فتحته ١,٠٥م، ويبلغ طول هذا السور ٦,٥٠م يتوسطه محراب صغير مدبب، اتساعه ٧٥سم، وارتفاعه ٩٠سم وعمقه ٣٥سم على جانبيه كوتان يتوج كل منهما عقد مدبب، اتساع كل منهما ٣٠سم، بعمق ٢٠سم وفناء الزاوية ٧ × ١٠م، وقد هدمت بعض الجدران الثلاثة للزاوية.

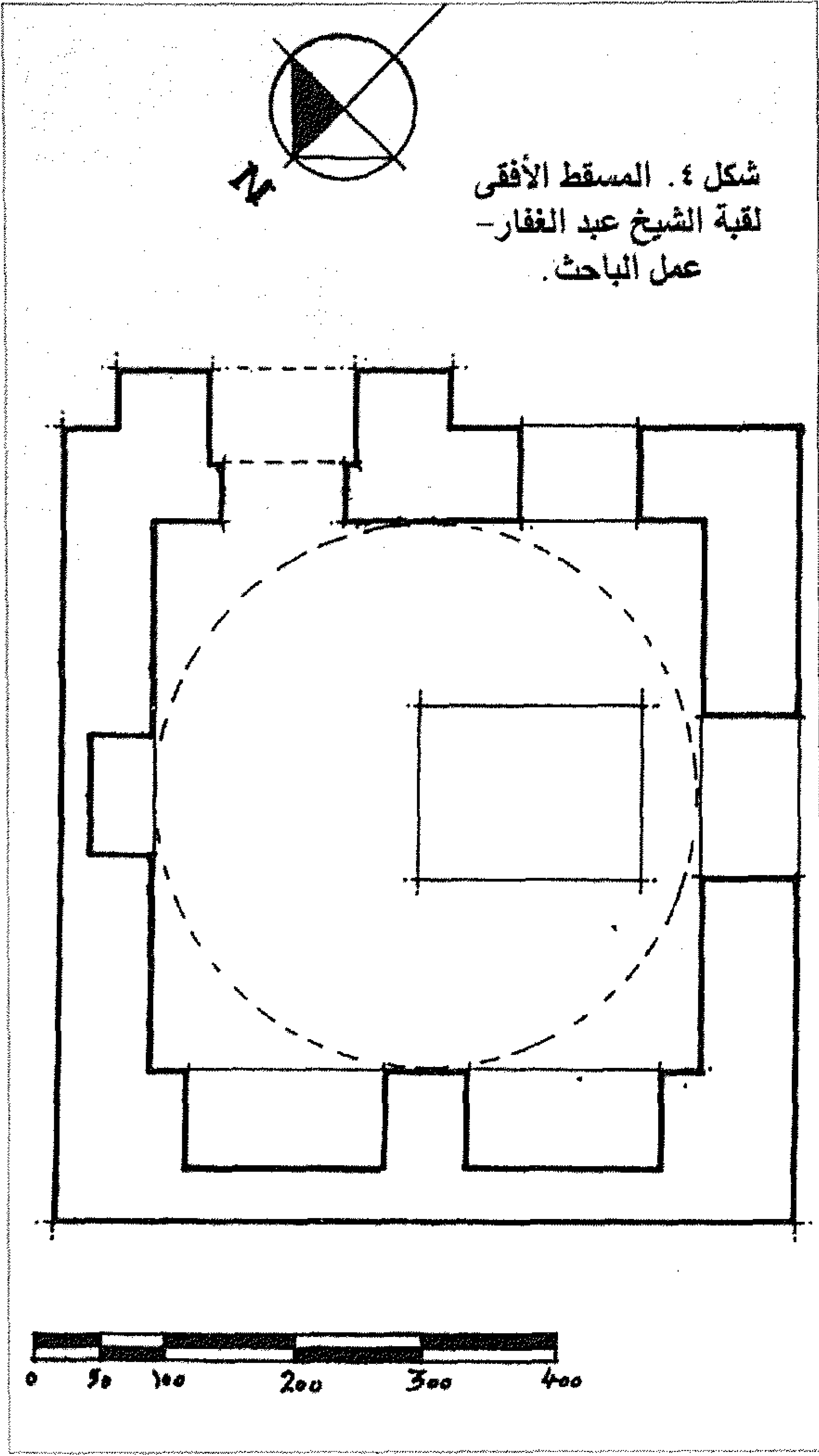
قبة الشيخ عبد الغفار القرن ١٣هـ/ ١٩م (شكل ٤)

الموقع

تقع هذه القبة وسط مجموعة معمارية تغيرت معالمها حديثاً على بعد ٥٠م من قلعة القصير.

المنشيء وتاريخ الإنشاء

عرفت القبة بـهذا الاسم نسبة إلى الشيخ عبد الغفار الذي دفن بها، والذي ورد اسمه في لوحة منقوشة من خمسة أسطر بالجدار الجنوبي الشرقي، وهي تؤرخ بالقرن



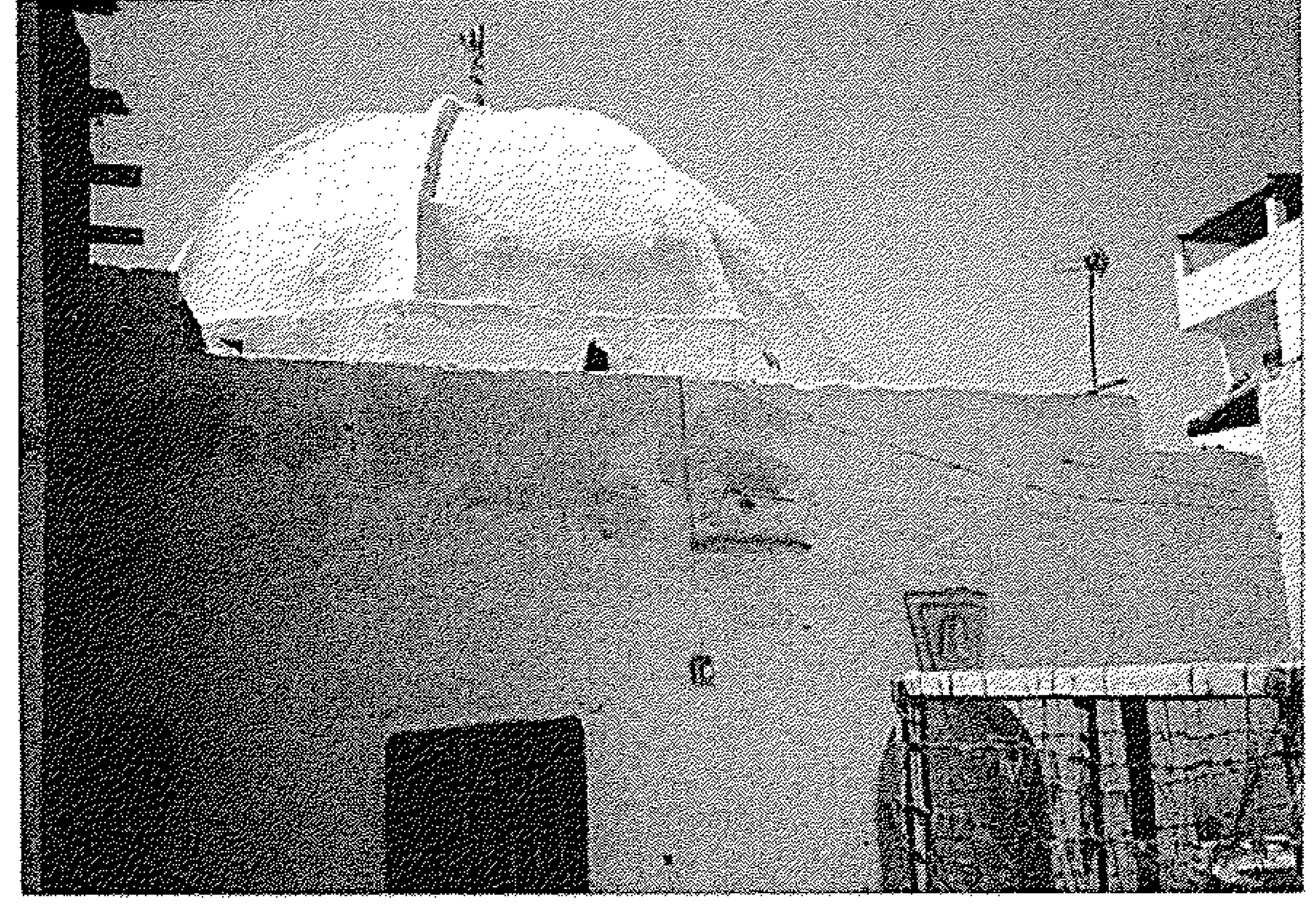
شكل ٤. المسقط الأفقى لقبة الشيخ عبد الغفار- عمل الباحث.

١٣هـ/ ١٩م، وتتبع الطراز المحلى للقباب بالقصير والذي وجد في قبة الشيخ عبد الله الهندي التي تقدم ذكرها.

الوصف المعماري

شيدت هذه القبة الضريحية بالطوب اللبن شأنها في ذلك شأن قبة الشيخ عبد الله الهندي مما يدل على أن البناء باللبن كان سمة من سمات العمارة بشكل عام بالقصير والقباب الضريحية بشكل خاص، وقد جاء متوسط سمك جدرانها ٨٠سم، وارتفاعها من الداخل ٣,٢٠م ومن الخارج ٣,٥٠م. (لوحة ٦)

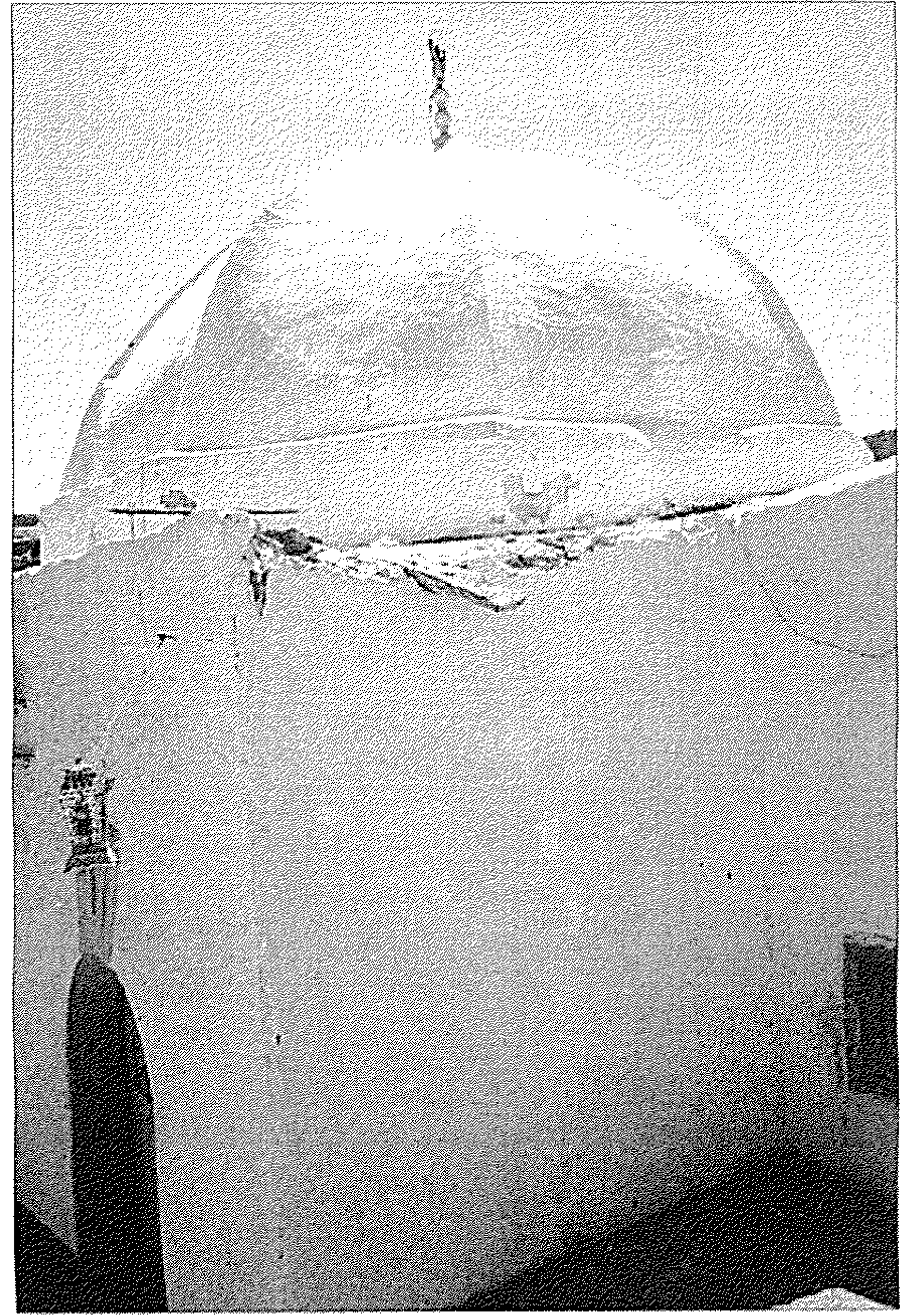
أما فيما يتعلق بالتخطيط المعماري فقد جاء مسقطها من مربع طول ضلعه ٤,٢٠م، ويقع بابها في دخلة اتساعها ١,١٠م، وعمقها ١,٢٢م، وارتفاعها ١,٩٠م في طرف الجدار الجنوبي الشرقي، ويتوجه عقد نصف دائري، واتساع فتحة الباب ٥٩سم، وارتفاعها ١,٧٨م، ويغلق عليها باب خشبى بسيط،



لوحة ٦. قبة الشيخ عبد الغفار.

وقد ميز المعماري الباب من الخارج بعمل مناطق هندسية متداخلة فوقه، ويتوسط جدار القبلة شباك في دخلة اتساعها ٩٠سم، وارتفاعها ١,٢٥م، وعمقها ٥٧سم، وترتفع بمقدار ٥٥سم عن أرض القبة، وهي مغشاة من الخارج بالسلك وأسياخ حديدية ومن الداخل بدرفتين خشبيتين بسيطتين. (لوحة ٧)

والجدار المقابل وهو الشمالي الغربي يشتمل على دخلتين متسعتين إحداهما المواجهة للباب اتساعها ١,٤٥م وعمقها ٦٨سم، وارتفاعها ٢,٩٥م، والدخلة



لوحة ٧. قبة الشيخ عبد الغفار من الخارج.

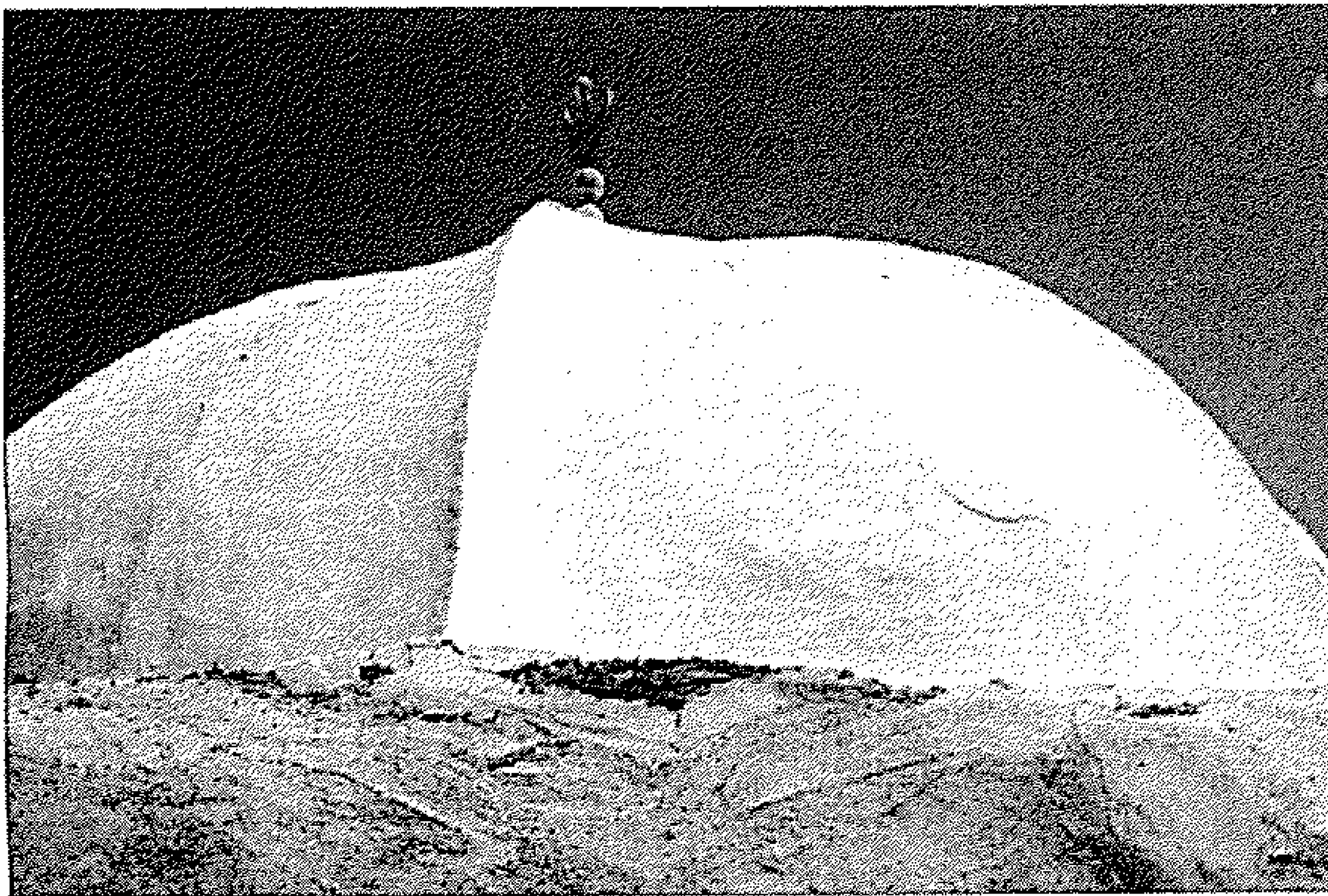
مرتدة للداخل في الثلث الأخير منها، والدخلة الثانية اتساعها ١,٥٠م وعمقها ٧٥سم، وارتفاعها ٢,٩٥م، أيضاً وبها ارتداد للداخل قليلاً في الثلث الأخير منها.

والجدار الشمالي الشرقي تتوسطه خزانة يغلق عليها مصراعان خشبيان، والجدار الجنوبي الغربي تتوسطه دخلة شباك اتساعها ١,١٠م، وعمقها ٥٢سم، وارتفاعها ١,٢٠م يغلق عليها شباك من درفتين خشبيتين بسيطتين ويغشيه من الخارج سلك وأسياخ حديدية، والدخلة ترتفع عن أرض القبة بمقدار ٥٥سم، وبقاعدة الدخلة فتحة غائرة لوضع الشموع بها، والدخلة من الخارج لها عقد مستدير.

وأرضية القبة من البلاط الموزايكو الحديث، وتتوسط الضريح تركيبة خشبية برسم الشيخ عبد الغفار والجدران مطلية بطلاء حديث.

مناطق الانتقال والقبة

أما عن منطقة انتقال القبة من الداخل فهي تتبع نفس النمط المحلى الذي وجد في ضريح الشيخ عبد الله الهندي -مما يؤكد على إنها سمة تعد من أهم سمات وخصائص مدينة القصير ومحافظة البحر الأحمر- الذي يتكون من مثلثات مسطحة في الأركان مكونة من براطيم خشبية متراصة أفقياً لتحول البدن المربع إلى رقبة مثمنة فتحت بها أربع فتحات للإضاءة والتهوية، ترتفع فوقها القبة التي على هيئة نصف كرة، والقبة من الخارج ذات ثمانية فصوص أيضاً ينطلق منها قائم الهلال (لوحة ٨) وينطلق من أعلى الجدار الشمالي الشرقي مزراب خشبى من جذع نخلة مفرغ. ويلاصق القبة من الجهة الشمالية الشرقية مصطبة مربعة ارتفاعها ٥٠سم بالجدار الجنوبي الشرقي لها لوحة منقوش بها خمسة أسطر.



لوحة ٨. تفاصيل من تضليعات قبة الشيخ عبد الغفار من الخارج.



'هو باقي، هذا قبر المرحوم، والتالي كلام الله تعالى الشيخ سليمان حارس نقيب الشيخ، عبد الغفار الراجي عفو ربه'. ويوجد شاهد قبر حجري في الساحة التي أمام القبة من سبعة أسطر نقش بها 'هو الخلاق الباقي هذا قبر المرحوم محمد بن حسن جاويش تابع حسين أغا محافظ بندر القصير في ربيع آخر سنة ١٢٥١هـ رد جنجون فاتحة'. وكان حسين أغا قوطري محافظاً للقصير في عهد محمد علي باشا.[١٧]

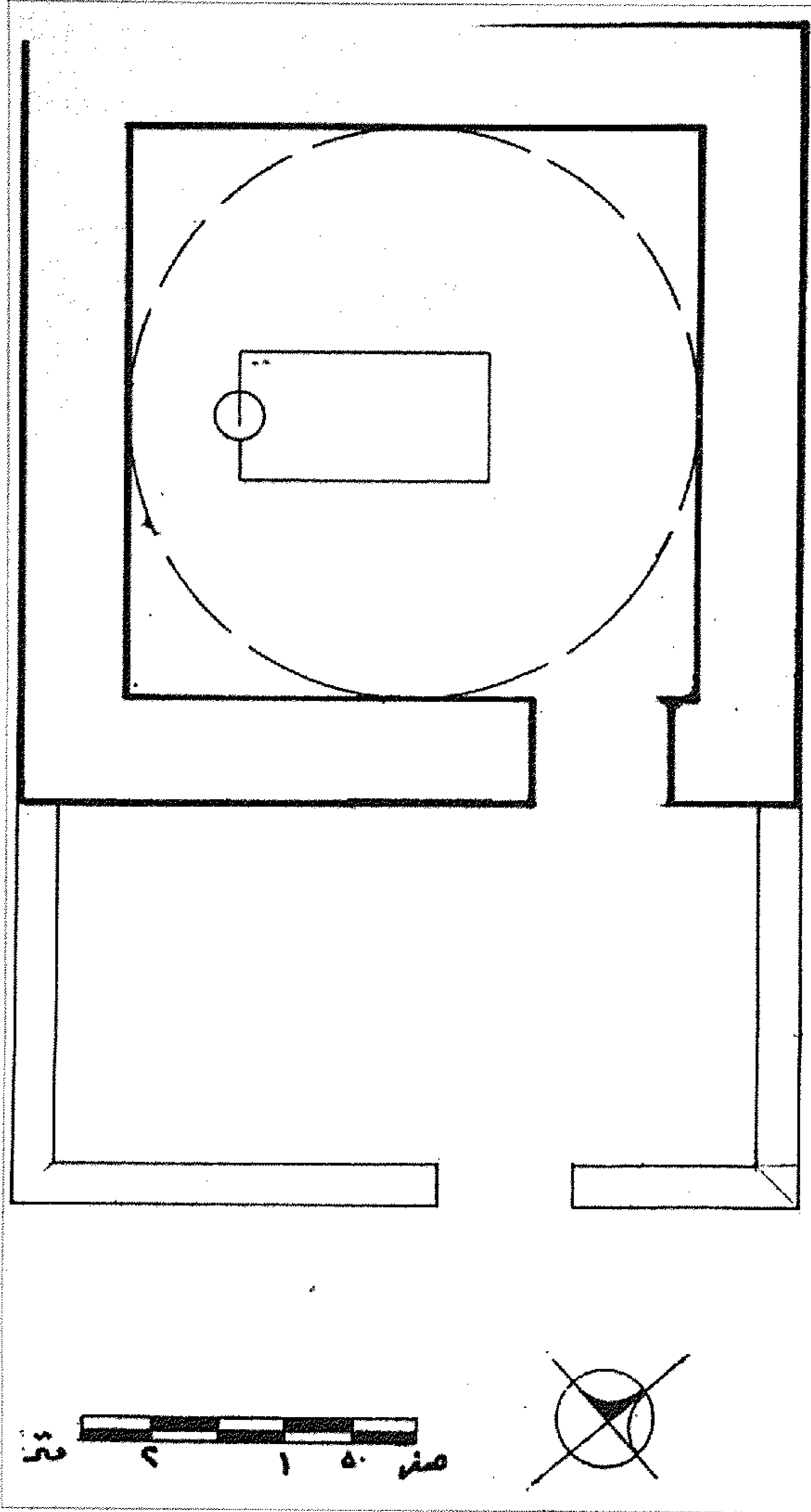
قبة الشيخ أحمد السيسي القرن ١٣هـ/ ١٩م (شكل ٥) (لوحة ٩)

الموقع

تقع هذه القبة بشارع جامع الصالحين خلف المدرسة الثانوية للبنات، وهي تجاور قبة الشيخ عبد الله الهندي التي تقدم ذكرها.

المنشئ وتاريخ الإنشاء

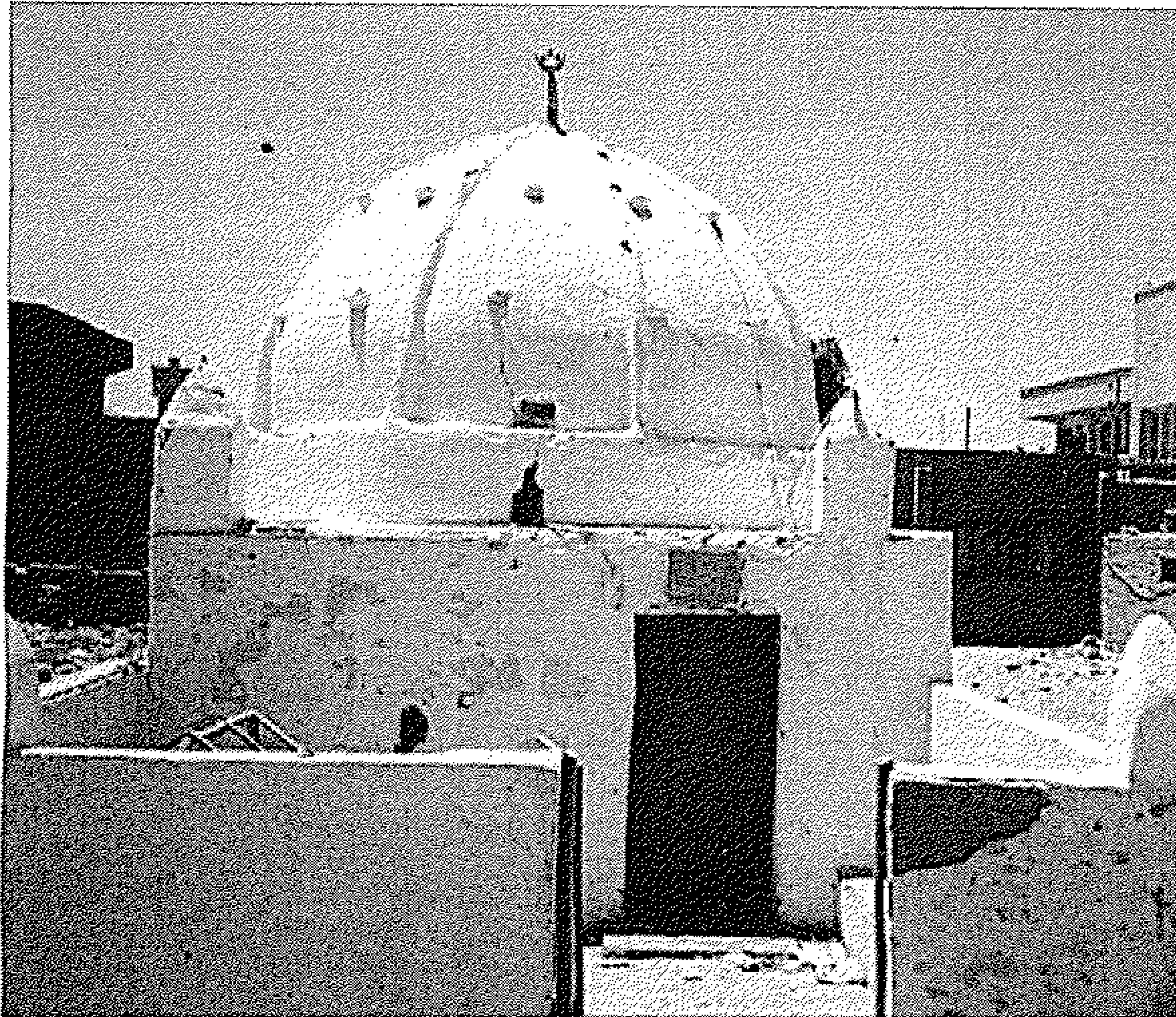
عرفت هذه القبة الضريحية بهذا الاسم نسبة لمن دفن بها وهو الشيخ أحمد السيسي، وتؤرخ بطراز قباب القرن ١٣هـ/ ١٩م أي على طراز قبتي الشيخ عبد الله الهندي والشيخ عبد الغفار.



شكل ٥. المسقط الأفقى لقبة الشيخ أحمد السيسي-عمل الباحث.

الوصف المعماري

جاء التخطيط المعماري على غرار قبتي الشيخ عبد الله الهندي والشيخ عبد الغفار، حيث تشغل القبة مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها من الداخل ٤,٢٠م، تتقدمها مساحة مستطيلة ٤,٦٠ × ٢,٦٥م غير مسقوفة، جدرانها أقل ارتفاعاً من جدران مربع القبة، وهي تعد عنصراً جديداً يقابلنا لأول مرة في عمارة قباب القصير، وتفصيل ذلك أن المساحة المستطيلة مسورة من الجهات الأربع بسور مبني بالطوب اللبن ارتفاعه ١,١٠م وسمكه في المتوسط ٣٠سم له فتحة باب غير معقودة في السور الجنوبي الشرقي لا تتوسط الجدار، وإنما هي أقرب إلي الجهة الشرقية منها إلي الجهة الغربية ويعلو زواياه الأربع أربع دعائم على هيئة أبراج صغيرة، والقبة أيضاً مبنية بالطوب اللبن ويبلغ سمك جدارها ٨٠سم ويقع باب القبة في طرف الجدار الجنوبي الشرقي على محور الباب غير المعقود الذي يقع في



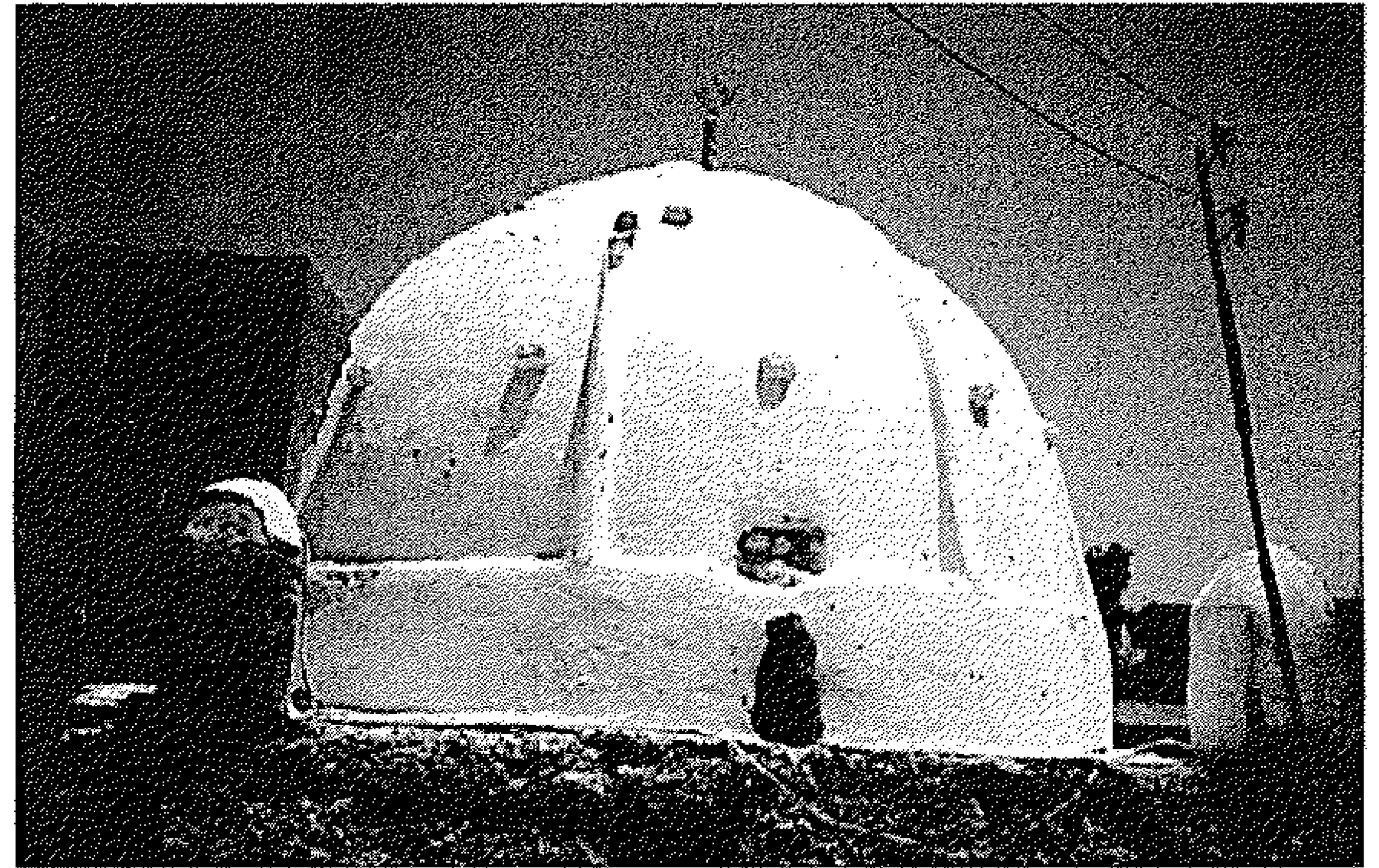
لوحة ٩. قبة الشيخ أحمد السيسي.

السور الجنوبي الشرقي للمساحة المستطيلة المكشوفة التي تتقدم القبة الضريحية، واتساع فتحته ٨٥سم، وارتفاعها ١,٨٠م، يغلق عليها باب خشبي بسيط، وأرضية القبة من البلاط الحديث وبها تركيبة خشبية برسم الشيخ (لوحة ٩).

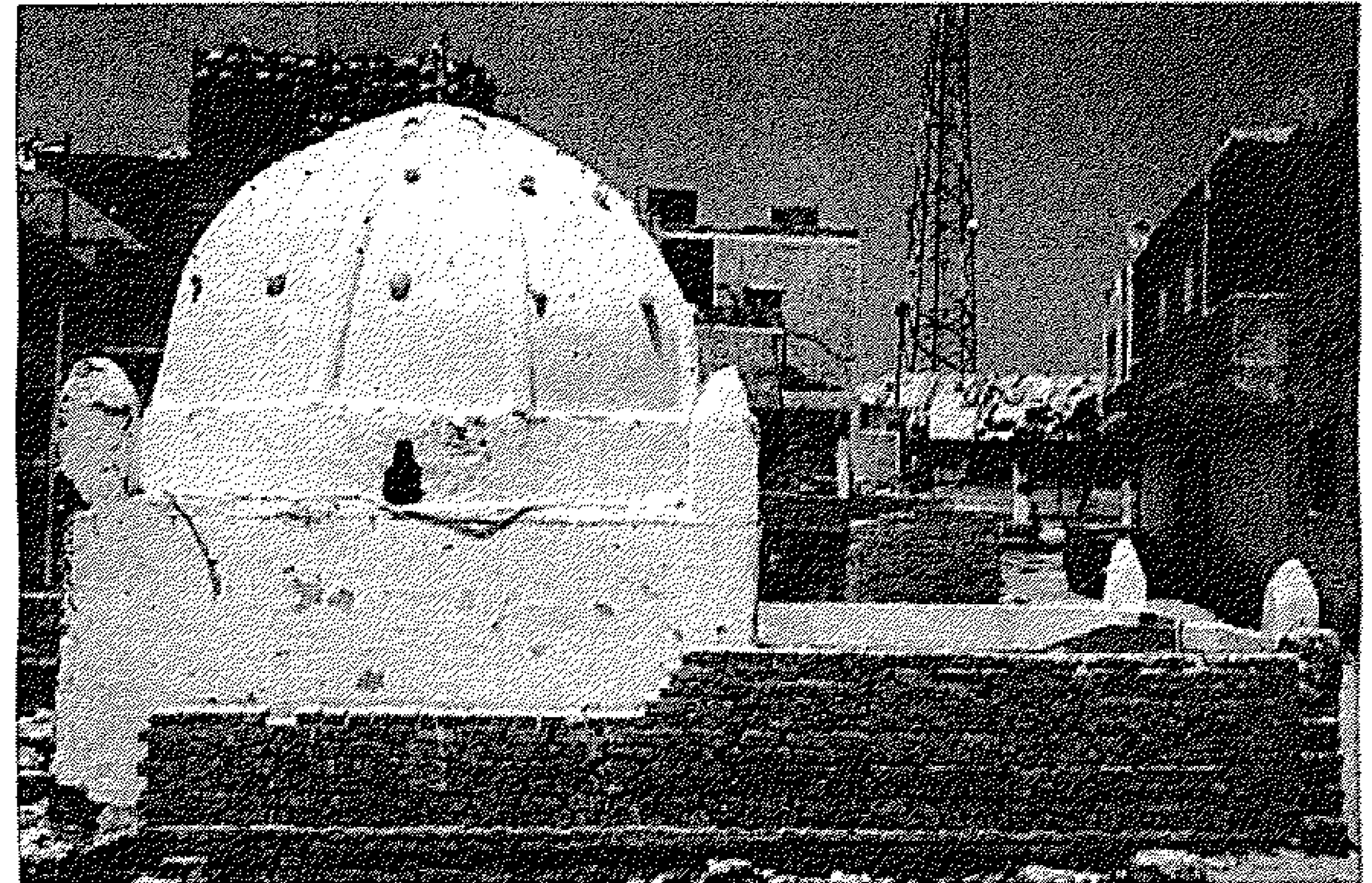
مناطق الانتقال والقبة

جاء تصميم مناطق الانتقال على غرار قبة الشيخ عبد الله الهندي والشيخ عبد الغفار، وتفصيل ذلك أن منطقة انتقال القبة على هيئة أربعة مثلثات مسطحة تعلو أركان جدران التربيع نفذت من براطيم خشبية متراصة لتحول البدن المربع إلى مثمن يمثل رقبة القبة التي فتح بها أربع كوات للإضاءة والتهوية فوق منتصف الجدران الأربعة، وارتفاع الجدران من الخارج ٢,٢٥م وبزوايا التربيع الأربع من أعلى أربع دعائم على هيئة أبراج (لوحة ١٠).

تعلو الرقبة القبة التي اتخذت شكلاً نصف دائري، وهي أيضاً مثل مثيلاتها من قباب القصير ذات ثمانية فصوص بكل فص منها أربعة نتوءات بارزة من حجر الفوسفات المنتشر بالقصير، وينطلق من قمة القبة هلال (لوحة ١١).



لوحة ١٠. قبة الشيخ أحمد السيسي من الخارج.



لوحة ١١. تفاصيل من قبة الشيخ أحمد السيسي.

قبة الشيخ سليم القرن (١٣هـ / ١٩م) (شكل ٦) (لوحة ١٢)

الموقع

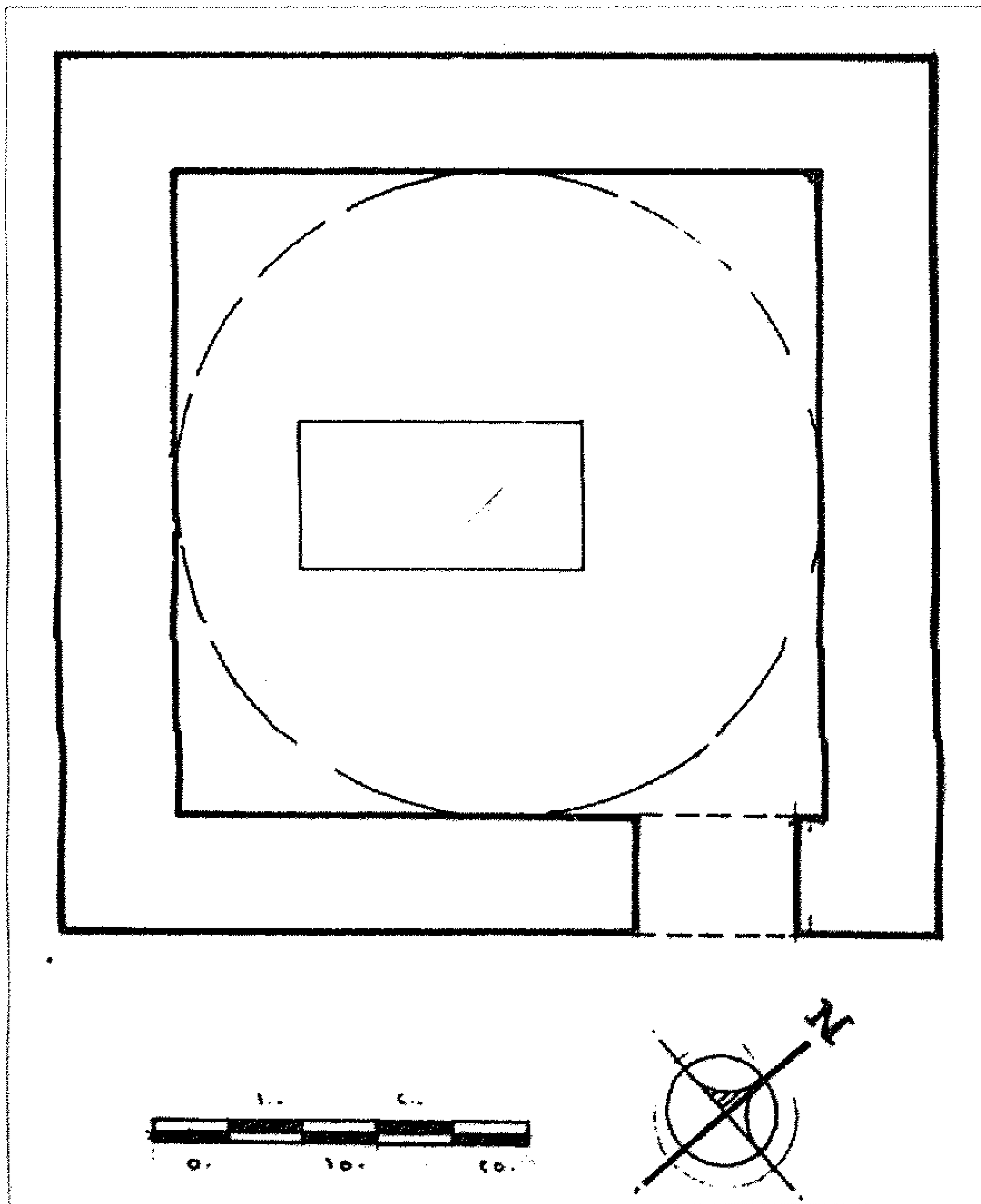
تقع هذه القبة بشارع المغرب، ولها واجهة على شارع شدوان بالقرب من شاطئ البحر.

المنشئ وتاريخ الإنشاء

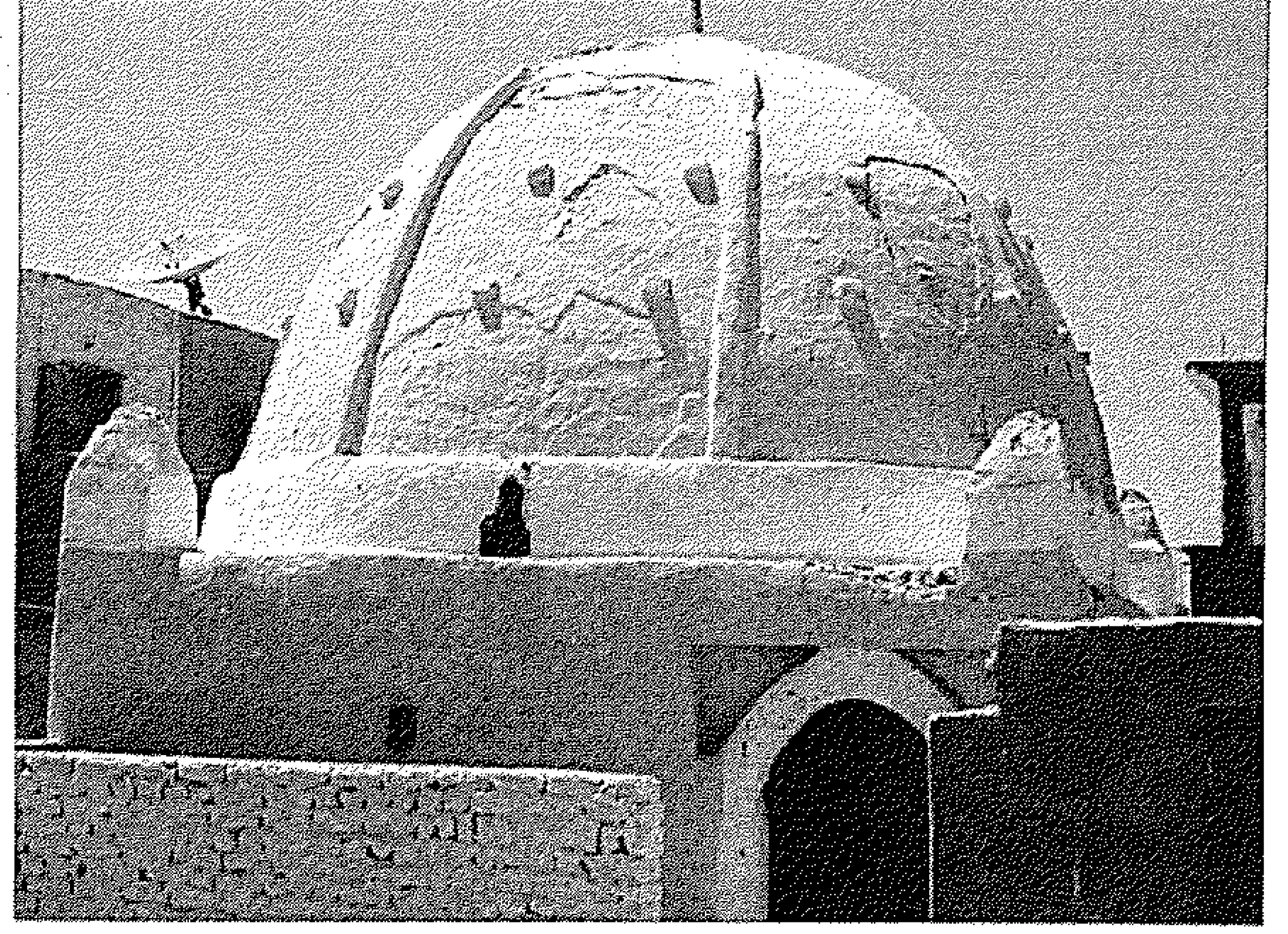
عرفت هذه القبة بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ سليم الذي دفن بها، وتؤرخ بطراز قباب القرن ١٣ هـ / ١٩م على غرار القباب الضريحية التي تقدم ذكرها وهي قباب الشيخ عبد الله الهندي والشيخ عبد الغفار والشيخ أحمد السيسي.

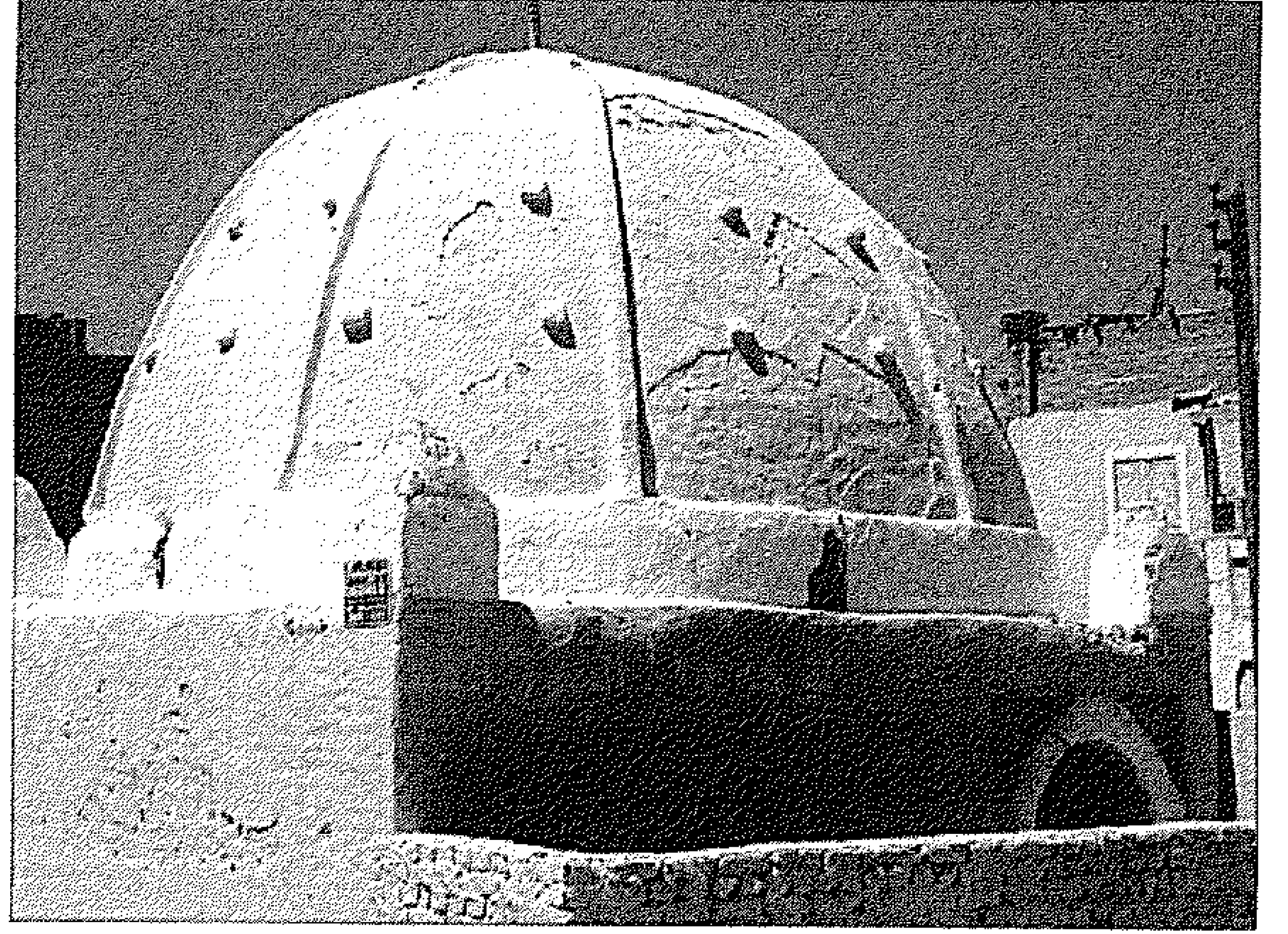
الوصف المعماري

جاءت القبة الضريحية على غرار القباب السابقة من حيث التخطيط المعماري حيث جاءت من مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٤,٢٠م، وتفصيل ذلك أن القبة شيدت بالطوب اللبن، فضلاً عن استخدام مادة الحجر في بعض جدرانها التي يبلغ سمكها ٤٠سم، يتوصل إليها من خلال مدخل يقع بطرف الجدار الجنوبي الشرقي، ويتوج فتحة الباب عقد مدبب، يغلق عليها باب خشبي بسيط (شكل ٦) (لوحة ١٢).



شكل ٦. المسقط الأفقي لقبة الشيخ سليم–عمل الباحث.


لوحة ١٢. قبة الشيخ سليم ويظهر المدخل الرئيسي.


لوحة ١٣. تفاصيل من قبة الشيخ سليم.

ويشتمل كل جدار على كوتين معقودتين بعقود منكسرة وأرض القبة مبلطة ببلاط حديث وتشتمل على مصطبتين فوق قبري الشيخ سليم وابنه، واستخدمت أيضاً لتخزين الشموع في فراغ بها وصندوق للنذور، والجدران مبيضة بطلاء جيري حديث، ويرتفع فوق زوايا التربيع من الخارج أربع دعامات على هيئة أبراج صغيرة. (لوحة ١٣).

مناطق الانتقال والقبة

منطقة انتقال القبة عبارة عن مثلثات أفقية مسطحة بالأركان الأربعة للضريح عبارة عن أخشاب متلاصقة لتحول المربع إلى مثمن فتح به أربع فتحات للإضاءة والتهوية، وأعلى المثمن الذي يمثل رقبة القبة تقع الخوذة (القبة) وهي على شكل نصف كرة ينطلق من قمتها قائم الهلال المفقود حالياً، والقبة مفصصة حيث قسمت إلى ثمانية فصوص بكل فص منها أربعة نتوءات بارزة. (لوحة ١٣).

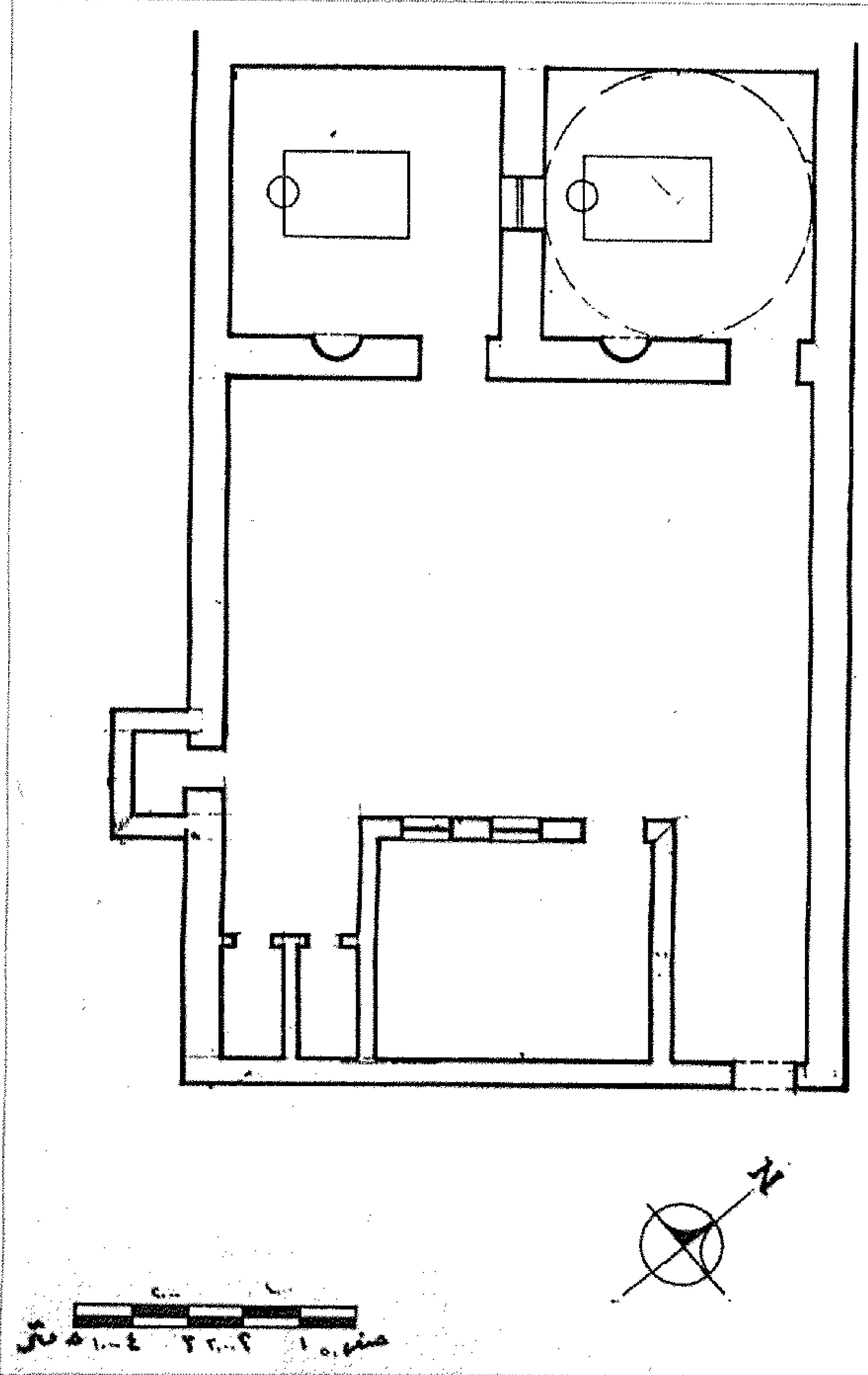
زاوية وضريح الجيلاني والشاذلي (شكل ٧) (لوحة ١٤)

الموقع

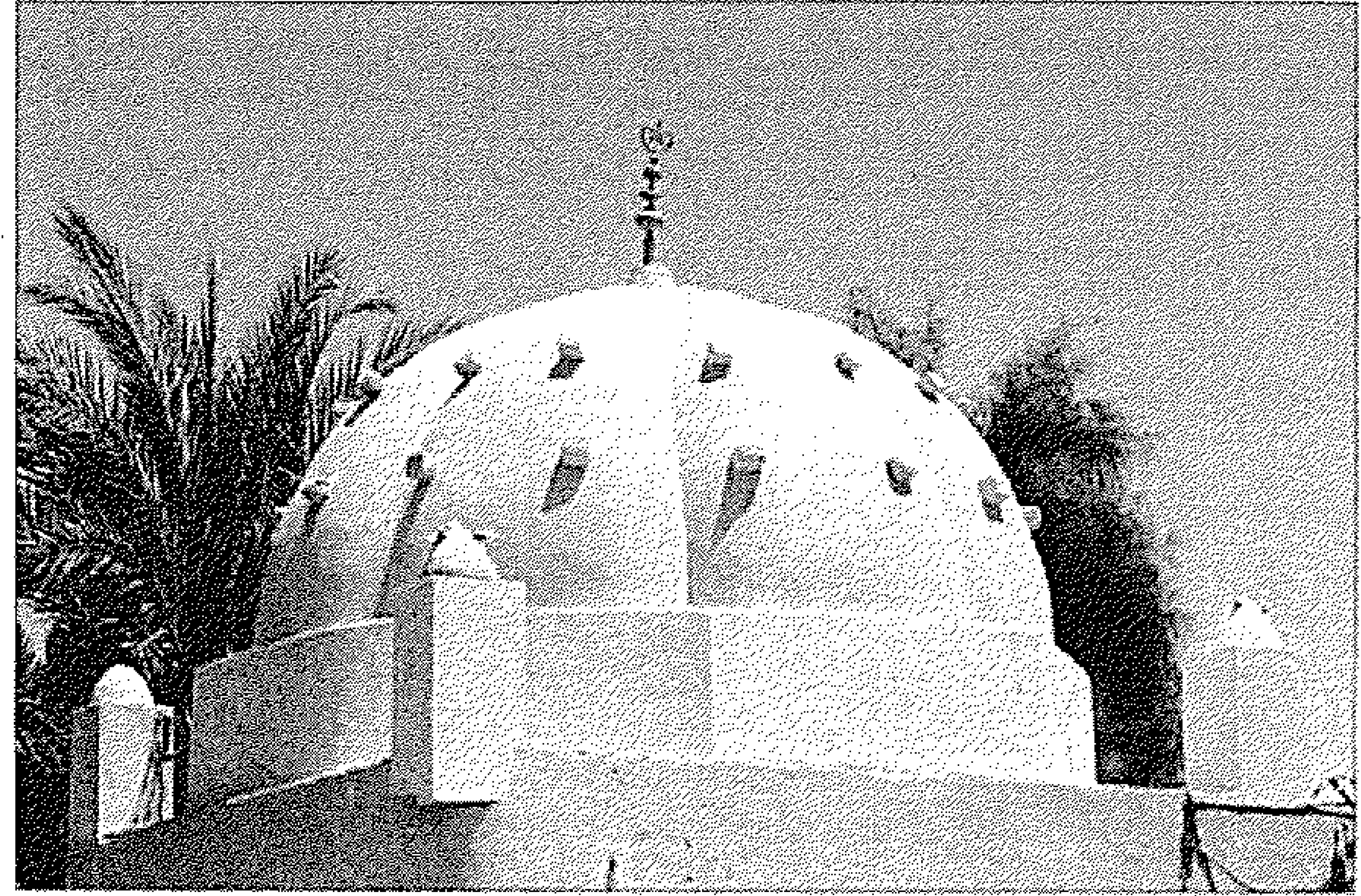
تقع هذه الزاوية بالحارة الوسطى[١٨] من مدينة القصير ويتضح من اسمها أنها تتوسط المدينة، حيث أنها تقع بين الحارة الشرقية والحارة الغربية وأن شأنها شأن الحارة الشرقية والغربية تضم عدة منازل ترسم خطط الحارة، وتطل واجهتها الجنوبية الشرقية على البحر مباشرة والشمالية الغربية على شارع الجمهورية، والشمالية الشرقية على حارة الجيلاني، والجنوبية الغربية ملاصقة لمبان حديثة.

المنشئ وتاريخ الإنشاء

تشتمل هذه الزاوية على قبتين ضريحتين إحداهما تنسب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، أما الأخرى فنسبت إلى الشيخ أبي الحسن الشاذلي، وقد أنشأها سنة ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م الشيخ محمد عبد الحميد المعروف بالشيخ محمد الأسيوطي في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني حسبما



شكل ٧. المسقط الأفقي لزاوية وضريح الجيلاني والشاذلي- عمل الباحث.


لوحة ١٤. قبة سيدى عبد القادر الجيلانى.

يتضح لنا من صورة قديمة للنص التأسيسي للزاوية المكتوب على لوح خشبي نصه[١٩] 'بالزاوية الشاذلية بفضل الله الشـهيد ... السـيد محمد عبد الحميد غفـر له سنة ١٣١٠هـ/ ١٩٨٢م'[٢٠] وقد فقد هذا اللوح الآن.

الوصف المعماري

تتكون الزاوية من فناء مكشوف وقبتين ضريحتين فقدت إحداهما وحجرة كبيرة وحاصل ودورة مياه (شكل ٧) ومادة البناء من الطوب اللبن أما متوسط سمك الجدران يبلغ ٥٠سم، وواجهة الزاوية الجنوبية الشرقية تطل على البحر مباشرة، وتمتد لمسافة ١١,٢٠م، وبالطرف الشرقي لها المدخل، ويبلغ اتساع فتحة الباب ١,١٠م، وارتفاعها ١,٩٠م يتوجها عقد نصف دائري يحدده من الخارج نتوء بارز، والمدخل يعلو قليلا عن بقية الواجهة، وقمته على شكل هرم ناقص، ويغلق على المدخل باب خشبي بسيط.

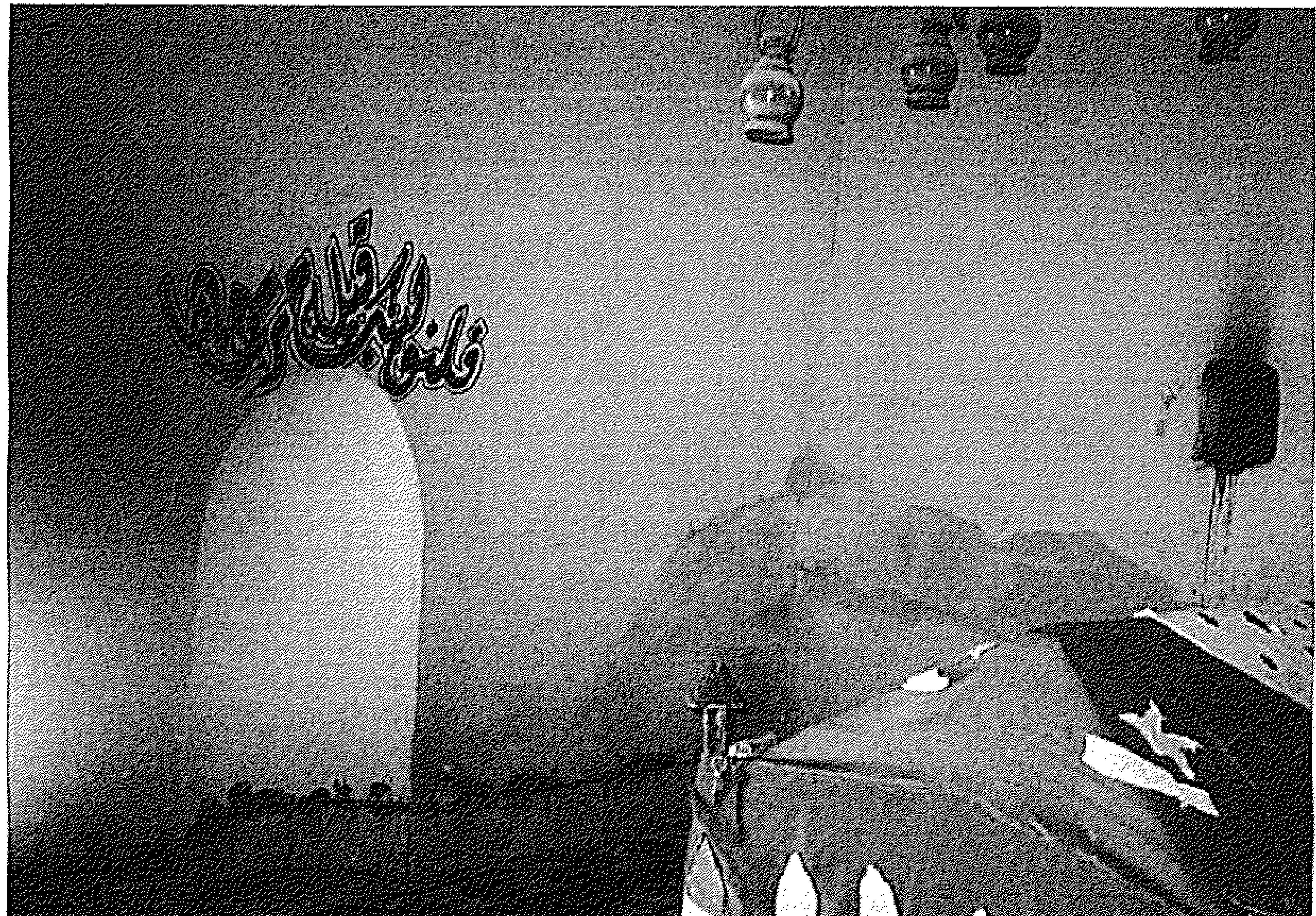
ويؤدي الباب إلى استطراق مستطيل طوله ٣,٧٢م وعرضه ١,٨٠م، وقد بلط ببلاط رخامي حديث وسقف بسقف خشبي بسيط، ويؤدي الاستطراق إلى الفناء، وهو مستطيل الشكل ١٠,٣٨ × ٦,٢٠م مكشوف سماوي مغروس به نخيل وأشجار، ويقع الضريحان على الجانب الشمالي الغربي للفناء، والشرقي منهما برسم الشيخ عبد القادر الجيلانى، والغربي الملاصق له برسم الشيخ ابي الحسن الشاذلي. (شكل ٧).

وضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني (لوحة ١٤) يتكون من مساحة مربعة طول ضلعها ٤,٧٠م، ويبلغ ارتفاع الجدران ٣,١٠م، ويتوسط الجدار الجنوبي الشرقي حنية محراب (لوحة ١٥) قطاعه مدبب اتساعه ٧٢سم وارتفاعه ١,٦٠م، وعمقه ٣٥سم وعلى يسار المحراب باب الدخول للضريح، اتساع فتحته ١,١٠م وارتفاعها ١,٨٥م وهي معقودة بعقد نصف دائري يغلق عليها باب خشبي بسيط، وفتح بالضلع الجنوبي الغربي شباك مستطيل مغشي بمعصبات حديدية ويبلغ اتساع دخلة الشباك ٨٠سم، وعمقها ٥٠سم، وارتفاعها ١,٢٠م، وترتفع عن الأرض بمقدار ٦٠سم وهذا الشباك مشترك بين الضريحين.

ويجاور الشباك من أعلى كوة صغيرة ارتفاعها ٣٣سم، واتساعها ٢٦سم، وعمقها ١٧سم، ولايوجد بالجدارين الشمالي الغربي والشمالي الشرقي أي فتحات أو دخلات.

مناطق الانتقال والقبة (لوحة ١٦)

تعلو جدران مربع الضريح منطقة انتقال القبة، وهي عبارة عن أربعة مثلثات أفقية مسطحة في الأركان لتحويل المربع إلى مثمن يمثل رقبة القبة، ويعلوها قبة على هيئة نصف كرة ويغطي أرض الضريح بلاط رخامي حديث وعليها تركيبة خشبية برسم الشيخ عبد القادر الجيلاني، وقد دهنت الجدران بطلاء حديث. (لوحة ١٧)


لوحة ١٥. قبة الجيلاني من الداخل ويظهر المحراب.

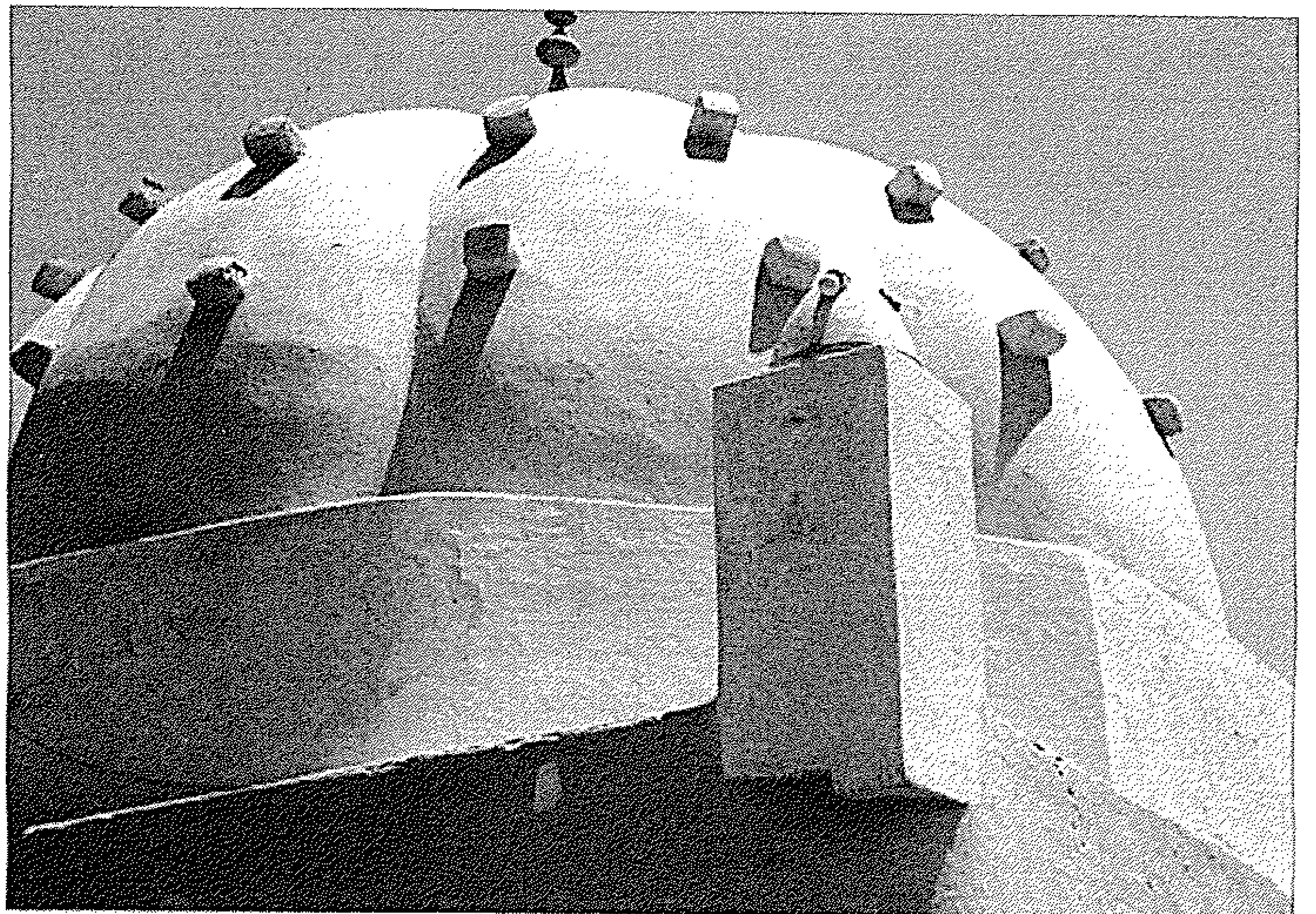


لوحة ١٦. منطقة الإنتقال فى قبة الجيلاني.



لوحة ١٧. تفاصيل من مربع قبة الجيلاني.

لوحة ١٨. تفاصيل من قبة الجيلاني من الخارج.



أما الضريح من الخارج (لوحة ١٨) فيعلو زواياه الأربع أربع دعائم على هيئة أبراج صغيرة، والقبة من الخارج على هيئة نصف كرة، وهي مكونة من ثمانية فصوص بكل فص منها أربعة نتوءات بارزة من الحجر.

ويلاصق الضريح من الجهة الجنوبية الغربية الضريح المرسوم للشيخ أبي حسن الشاذلي (شكل ٧) وهو يماثل في المساحة والتخطيط الضريح السابق ويواجه الشباك المشترك دخله بالضلع الجنوبي الغربي.

وأرض الضريح مبلطة ببلاط رخامي حديث، وسقفه عبارة عن سقف حديث من عروق خشبية تحمل فوقها ألواح من الآبنوس وبالأرض تركيبة خشبية برسم الشيخ أبي الحسن الشاذلي، وفي الغالب كان الضريح مغطي بقبة مماثلة للقبة السابقة إلا أنها فقدت منذ فترة.

وتواجه الضريحين عبر الفناء حجرة مستطيلة طول ضلعها ٧,٦٥م، وعرضها ٣,٧٢م ويفتح بجدارها الشمالي الغربي المطل على الفناء شباكان مستطيلان، وسقف هذه الحجرة متساقط، وكانت هذه الحجرة برسم إقامة حلقات الذكر والمضيفة للطريقة الشاذلية، وبالركن الجنوبي منها دورة مياه حديثة تتكون من بيتين للخلاء وميضأه جاري العمل بها حالياً، ويوجد بالركن الجنوبي من الفناء حاصل صغير.

المحور الثاني:
الدراسة التحليلية المقارنة
المكونات والتخطيط المعماري
أولاً: المكونات

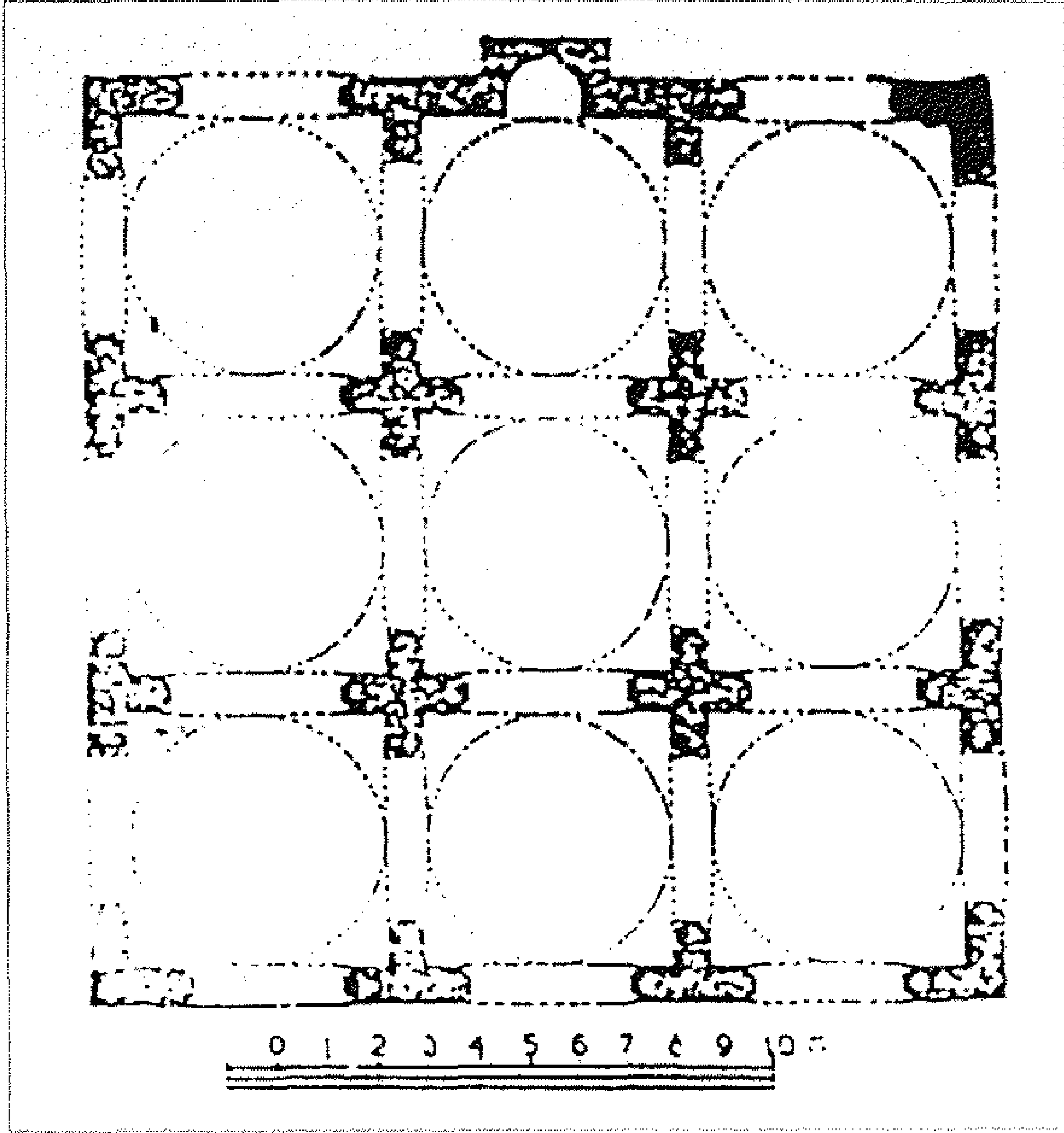
من العرض السابق يتضح أن مدينة القصير اشتملت على عدة قباب ضريحية أضحت علماً عليها، وقد وصلت إلينا في حالة جيدة من حيث التخطيط والعناصر المعمارية، وتمثل هذه القباب فترة تاريخية

ترجع إلى النصف الثاني من القرن ١٣ هـ/ ١٩م وبدايات القرن العشرين، وهي منشآت معمارية ذات صفة أثرية لذا يقوم المجلس الأعلى للآثار حالياً بعمل الإجراءات الخاصة بتسجيل العديد منها حفاظاً على طرازها المعماري المتميز الذي يجمع بين طراز القباب الضريحية بمدينة القاهرة والعديد من المدن المصرية سواء في الوجه القبلي أو الوجه البحري وبين سمات وخصائص محلية تمثل الأسلوب المحلي الإقليمي سواء في محافظة البحر الأحمر وصعيد مصر بصفة عامة أو مدينة القصير بصفة خاصة، ومن هنا تكمن أهمية دراسة هذه القباب بالنسبة للعمارة الإسلامية لإيضاح الموروث الفني والتأثيرات البيئية والمؤثرات الوافدة. وقد تنوعت القباب الضريحية بمدينة القصير مابين قباب ألحقت بزوايا مثل زاوية وضريح الشيخ عبد الله الهندي التي تؤرخ بسنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م، وزاوية وضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني، وأبي الحسن الشاذلي، وقباب ضريحية مستقلة لا ترتبط بأية منشآت دينية مثل قبة الشيخ عبد الغفار القرن ١٣هـ/ ١٩م، وقبة الشيخ أحمد السيسي القرن ١٣ هـ/ ١٩م، وقبة الشيخ سليم نهاية القرن ١٣ هـ/ ١٩م وبدايات القرن العشرين.

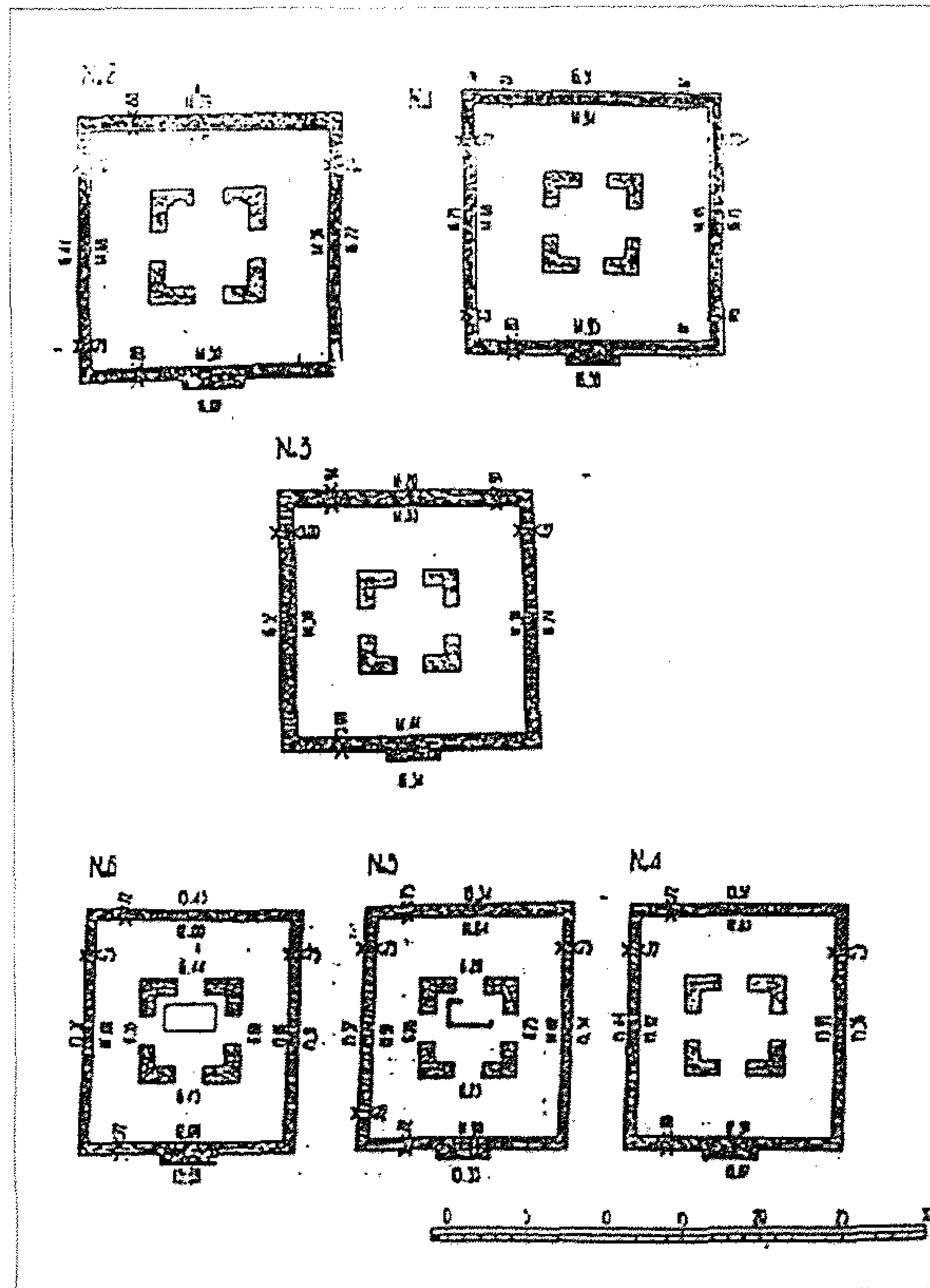
والواقع أن أقدم الأمثلة الباقية للقباب في العمارة المصرية الإسلامية ترجع إلى القرن ٤ هـ/ ١٠م كما هو الحال في مشهد آل طباطبا ٣٣٤هـ/ ٩٤٣م من العهد الإخشيدي، أو في مشهد القباب السبع بآخر القرافة الكبرى حوالي ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م من العصر الفاطمي (شكل ٨، ٩) ومنذ أواخر القرن ٥هـ/ ١١م وحتى أواخر القرن ١٣ هـ/ ١٩م انتشرت القباب انتشاراً كبيراً، وخاصة القباب المقامة فوق المدافن سواء كانت مستقلة أم ملحقة بغيرها من العمائر الدينية غالباً والمدنية أحياناً.[٢١]

وقد جمعت قباب القصير موضوع الدراسة بين النوعين السابقين كما تقدم لذا فهي تشترك في هذه السمة مع مثيلتها بعمائر مدينة القاهرة خلال عصورها الإسلامية المتعاقبة حتى أواخر القرن ١٣هـ/ ١٩م.[٢٢]

جاءت مكونات القبة الضريحية في القصير سواء المستقلة أم الملحقة من أربعة تكوينات معمارية شأنها في ذلك شأن القباب الضريحية بمدينة القاهرة، وقباب جبانة أسوان، وهي المكونات التي تتمثل في فساقي الدفن المبنية في تخوم الأرض، ومربع القبة أعلى سطح الأرض، وهو الذي يحدد مساحة القبة، ومنطقة الانتقال التي تحول مربع القبة إلى طابق أو رقبة مثمنة، وقد تباين التصميم في قباب القصير عنه في قباب مدينة القاهرة، وأخيراً الرقبة والخوذة أو القبة.



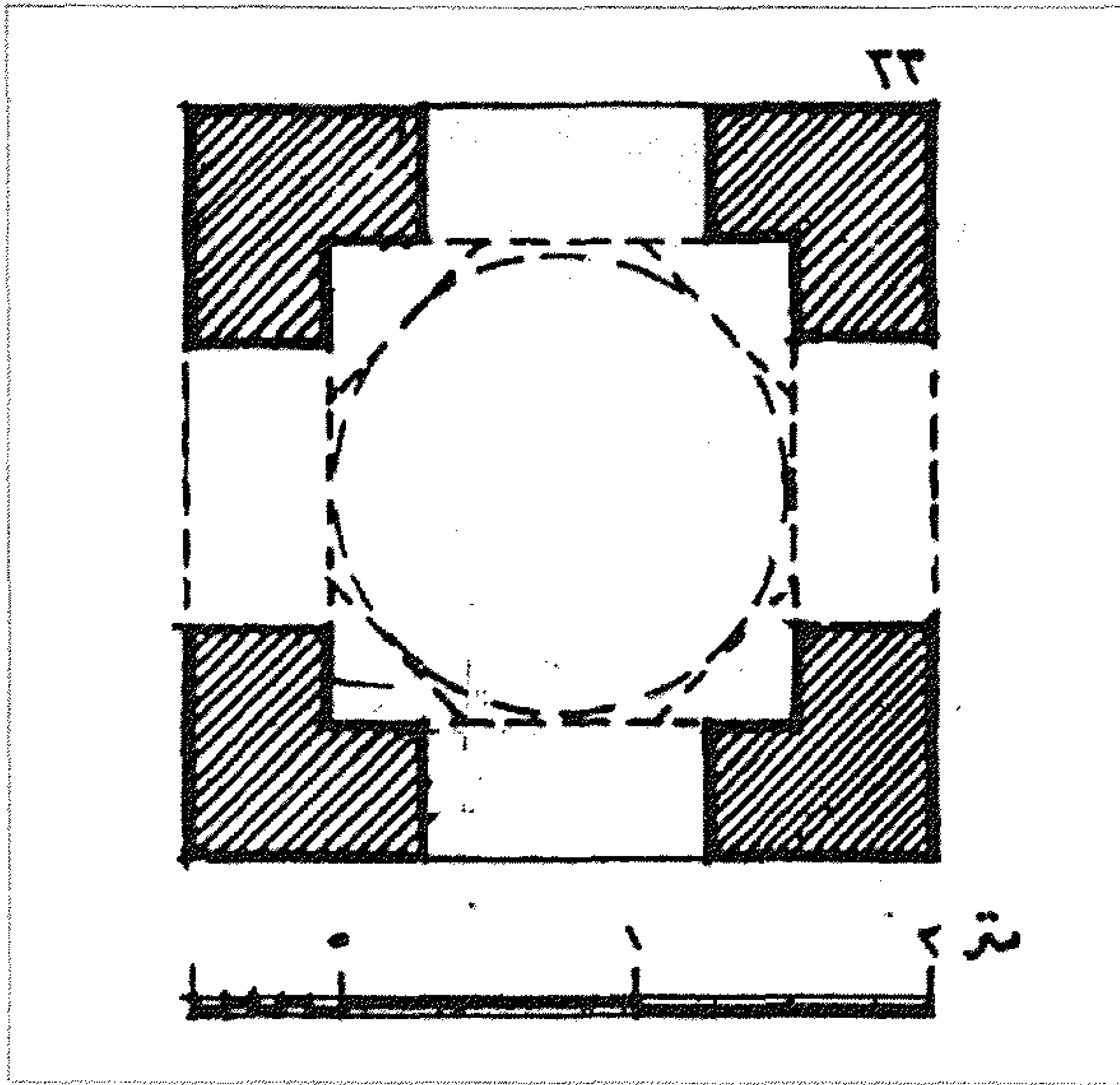
شكل ٨. المسقط الأفقى لمشهد آل طباطبا-عن د. فريد شافعى.



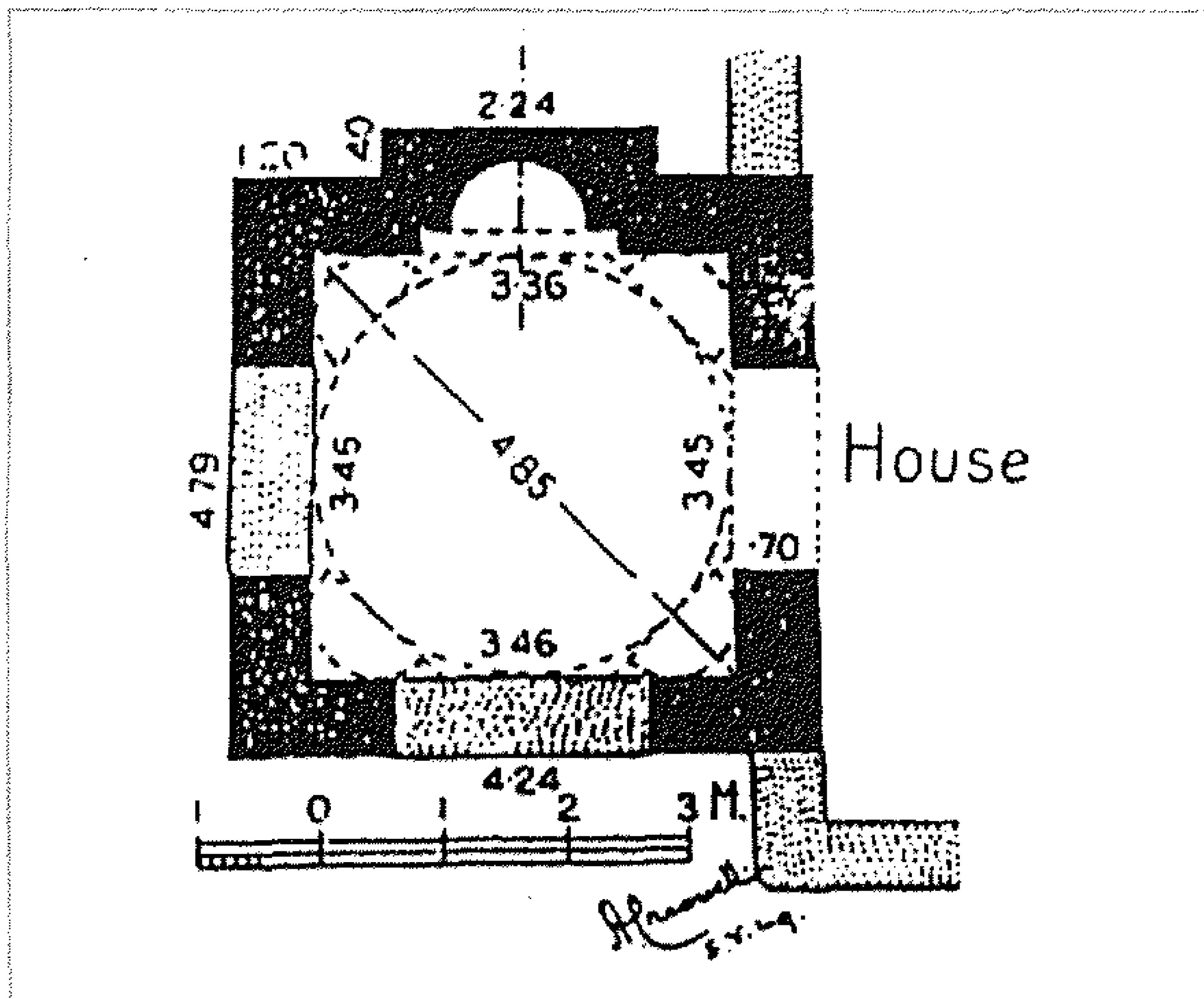
شكل ٩. المسقط الأفقى لمشهد القباب السبع-عن كريزويل.

ثانياً: تخطيط مربع القبة في قباب القصير

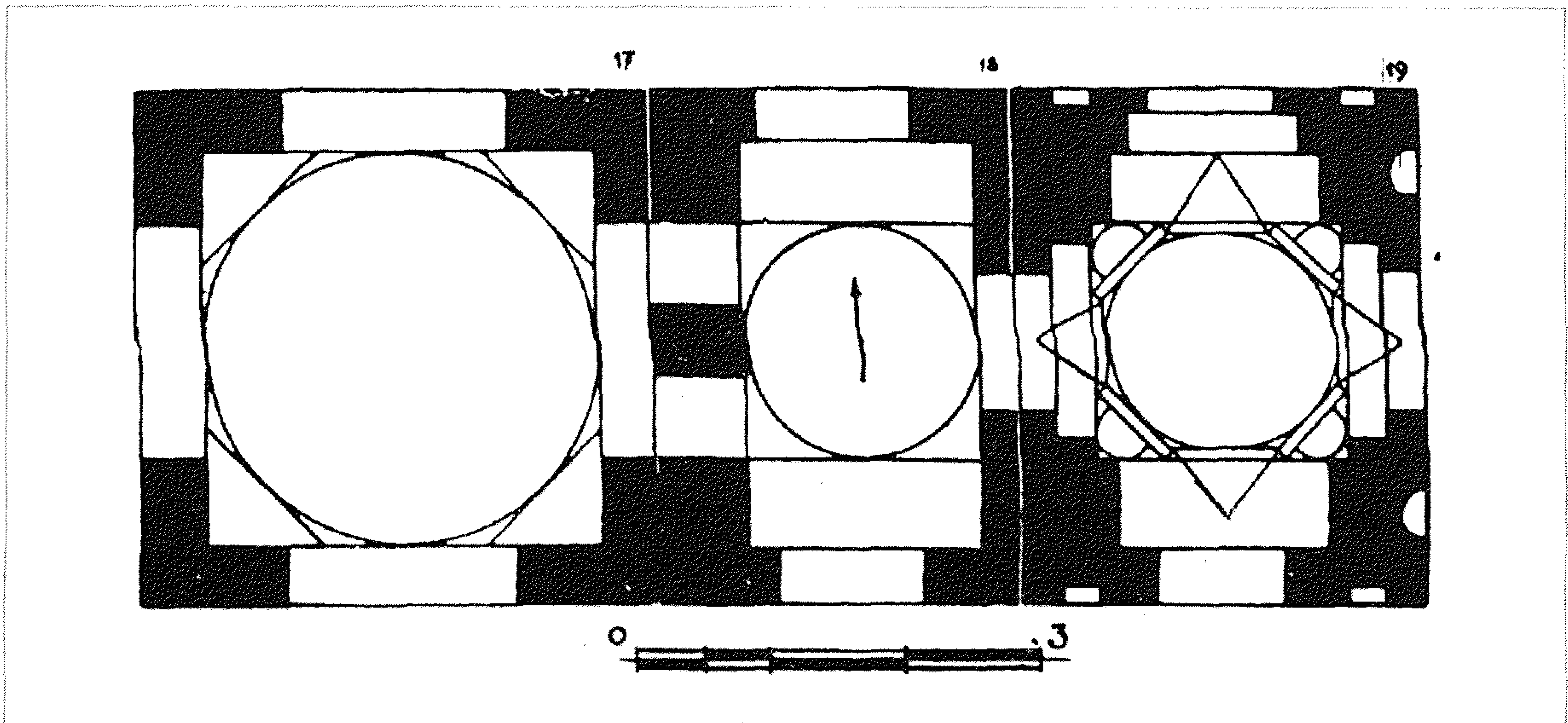
جاء تخطيط المربع السفلي في قباب القصير موضوع الدراسة بسيطاً كما هو الحال في زاوية وقبة الشيخ عبد الله الهندي عبارة عن مساحة مربعة تشتمل على مدخل واحد في الجهة الشمالية الشرقية منها يتوجه عتب من خشب الدوم، ويغلق عليه باب خشبي بسيط، وكانت توجد دخلة شباك في هذا الجدار سدت حالياً، ويشتمل الجدار الجنوبي الشرقي على ثلاث كوات ترتفع بمقدار ١م، ويتفق هذا التخطيط مع مثيله في قباب القاهرة الذي انتهى فيه تطور تخطيط المربع السفلي في العصر الفاطمي تطوراً كبيراً بدأ بمربع مفتوح الجوانب الأربعة كما هو الحال في مشهد القباب السبع الذي تقدم ذكره والمقبرة رقم '٣٣' من مقابر جبانة أسوان (شكل ١٠)، والتي جاءت مربعة المسقط مفتوحة الجوانب الأربعة، ثم المقبرة رقم '١٧' (شكل ١١) والتي جاءت أيضاً مربعة المسقط مفتوحة الجوانب الأربعة ثم تطور إلي مربع مفتوح من ثلاثة جوانب فقط وبالجانب القبلي المحراب كما هو الحال في مشهد محمد الحصواتي (شكل١٢) وفي جبانة أسوان وجد هذا الأسلوب في المقبرة رقم '٤٢' وهي مربعة المسقط فتحت في ثلاثة جوانب منها (شكل ١٣)، والمقبرة رقم '٢٣' وهي مربعة المسقط فتحت في ثلاثة جوانب منها، والمقبرة رقم '٤٦' والتي جاءت على نفس النمط (شكل ١٤) ثم تطور إلى مربع مغلق من ثلاثة جوانب ومفتوح من الجانب الرابع مثل قبة الشيخ يونس ٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م، ومشهد أخوة سيدنا يوسف



شكل ١٠. مقبرة رقم '٣٣' مربعة المسقط مفتوحة الجوانب الأربعة-عن د. فريد شافعي.

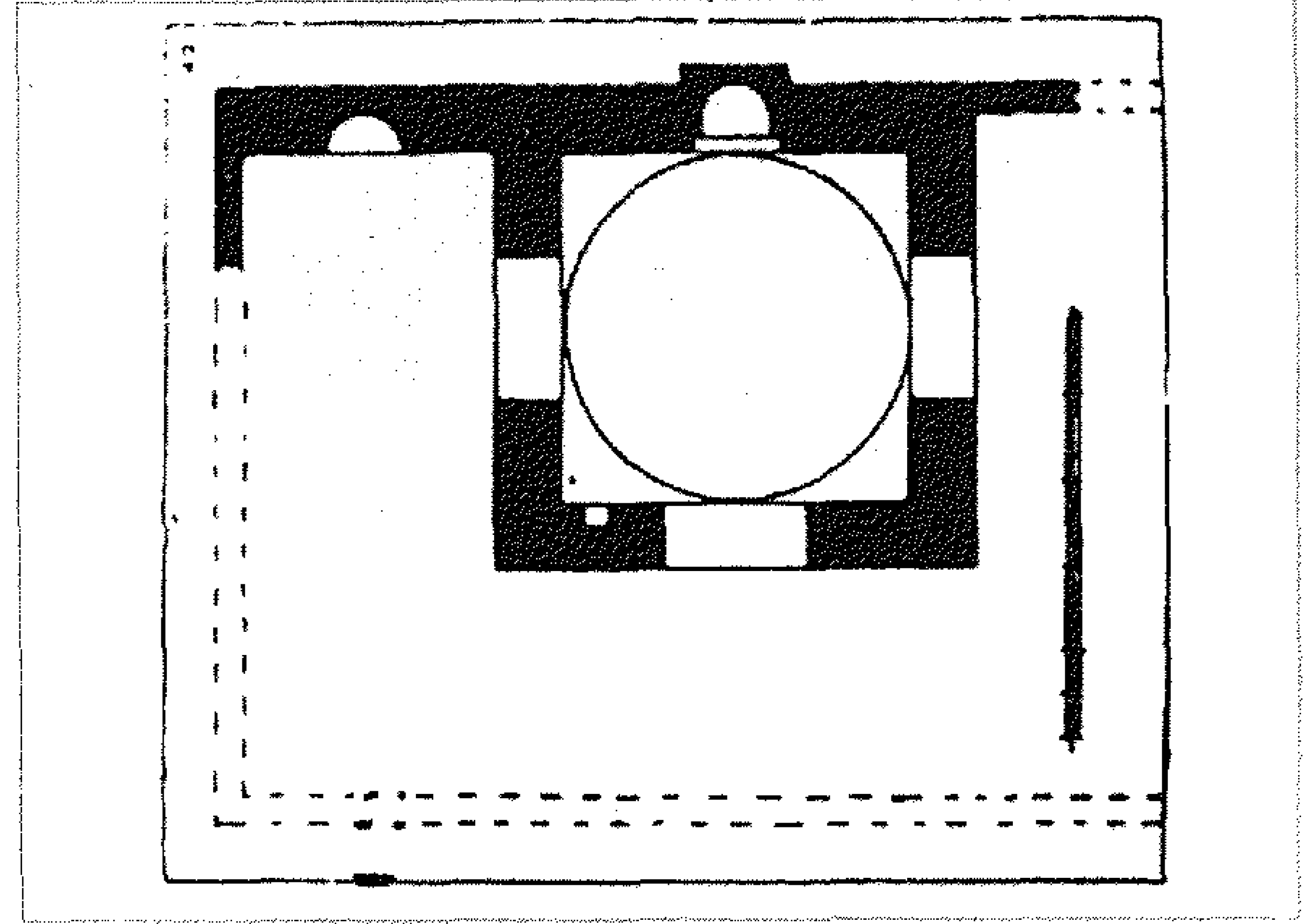


شكل ١٢. المسقط الأفقي لمشهد محمد الحصواتي-عن كريزويل.

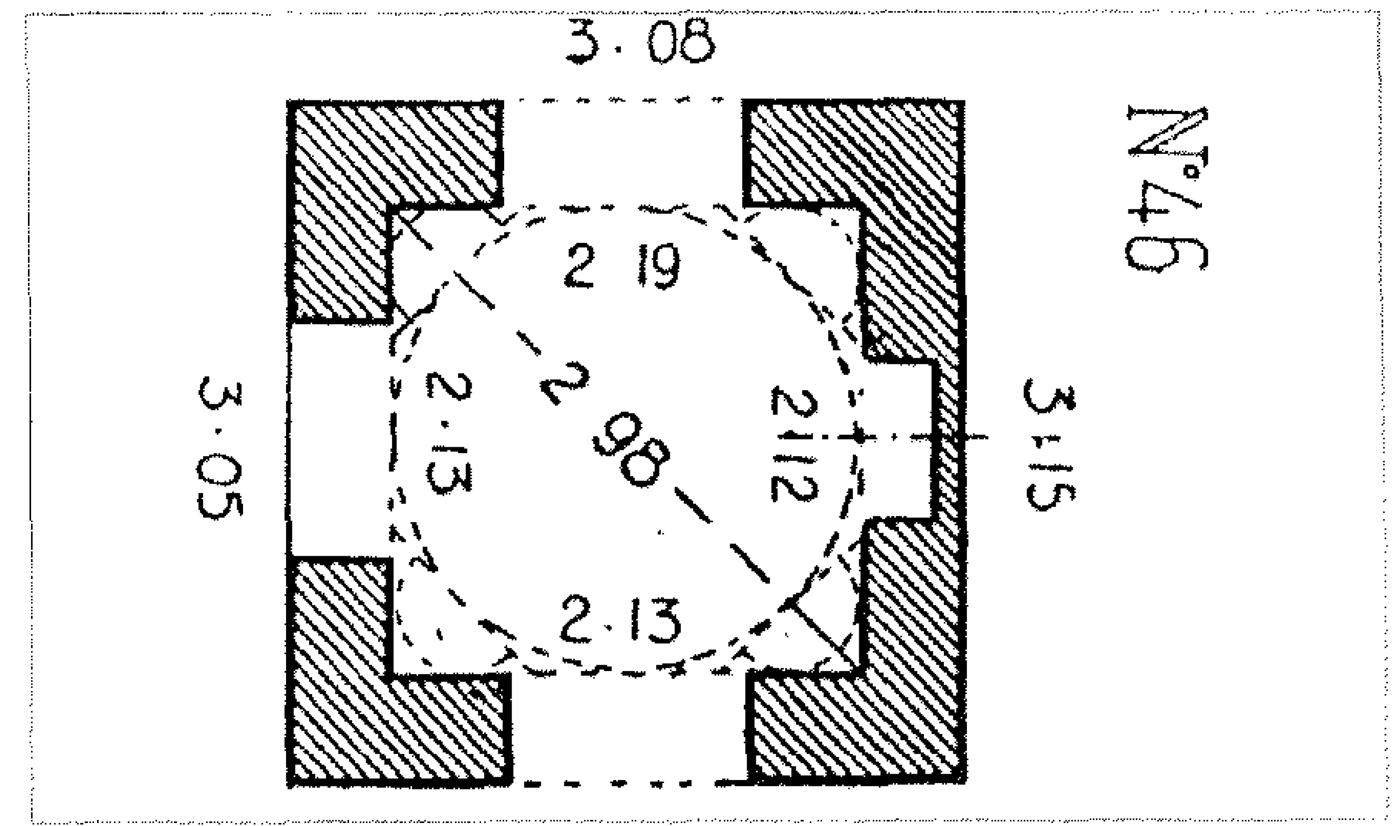


شكل ١١. ثلاث مقابر من ثلاثة نماذج. منها رقم ١٧ ذات مسقط مربع مفتوحة الجوانب كلها اليسرى عن د. فريد شافعي.

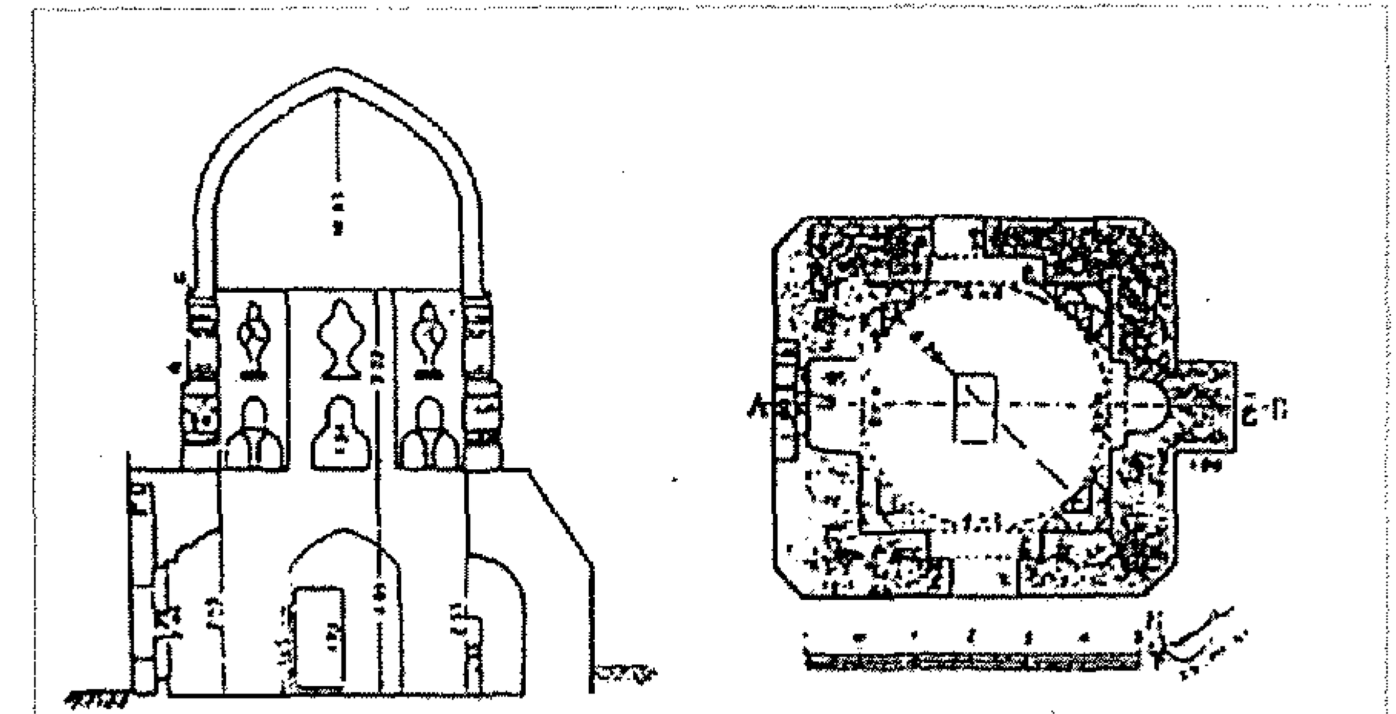
أوائل القرن ٦هـ/ ١٢م، ومشهد كل من الجعفري وعاتكة، وكل هذه القباب من العصر الفاطمي أشكال (١٥-١٧) وهو الأسلوب الذي وجد في قباب جبانة أسوان في النموذج 'ب ٣' (شكل ١٨)، وهو التخطيط الذي وجد في قباب مدينة القصير موضوع الدراسة حيث جاء المربع السفلي في قبة الشيخ عبد الغفار على نفس النمط بدون محراب، ويشتمل على مدخل في الجدار الجنوبي الشرقي يتوجه عقد نصف دائري، ويغلق عليها باب خشبي بسيط، كما يتوسط جدار القبلة شباك، أما الجدار الشمالي الغربي فيشتمل على دخلتين متسعتين وتتوسط الجدار الشمالي الشرقي خزانة، كذلك تتوسط الجدار الجنوبي الغربي خزانة، ومن ثم فإن المربع هنا يعد أكثر تركيباً من مربع قبة الشيخ عبد الله الهندي، وفي قبة الشيخ أحمد السيسي جاء المربع السفلى على نفس النمط من مساحة مربعة تشتمل على مدخل واحد في طرف الجدار الجنوبي الشرقي يغلق عليه باب خشبي بسيط ولم يشتمل هذا المربع على دخلات أو نوافذ، حيث تميز ببساطته، وفي قبة الشيخ سليم جاء مربع القبة على نفس النمط يشتمل على مدخل يتوجه عقد مدبب، يغلق عليها باب خشبي بسيط، ويشتمل كل جدار على كوتين معقودتين بعقود منكسرة، وفي زاوية وضريح الجيلاني والشاذلي جاء المربع السفلى على نفس النمط غير أن ضريح الشيخ عبد القادر الجيلانى يشتمل على حنية محراب نجدها لأول مرة في عمارة القباب الضريحية بالقصير وهي سمة فريدة في قباب القصير هنا حيث خلت منها القباب الضريحية السابقة، وقد وجدت هذه السمة في بعض قباب جبانة أسوان، حيث اشتملت بعض المقابر على محراب صغير مسقطه نصف دائرة وضع في منتصف الجدار الشرقي من الداخل (شكل ١٨) ويشتمل الضريح على مدخل واحد يتوجه عقد نصف دائري يغلق عليه باب خشبي بسيط، وقد فتح المعماري بالضلع الجنوبي الغربي شباكاً غشى بمصبعات حديدية وهو يشرف على ضريح أبى الحسن الشاذلي الذي جاء بدوره من مربع سفلى يماثل في المساحة والتخطيط الضريح السابق.



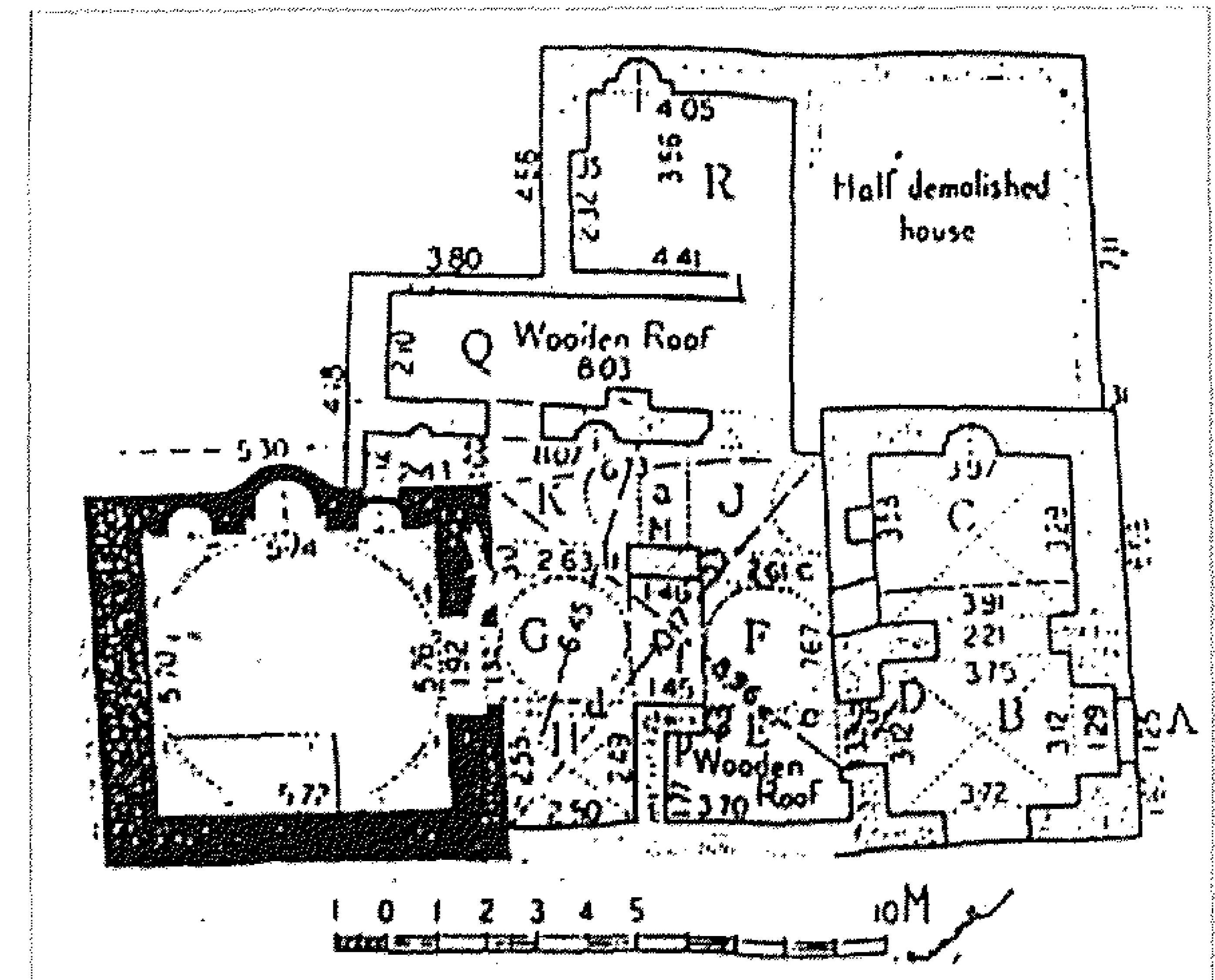
شكل ١٣. مقبرة رقم '٤٢'مربعة المسقط مفتوحةمن ثلاثة جوانب – عن كريزويل.



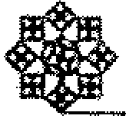
شكل ١٤. مقبرة مربعة المسقط مفتوحة من ثلاث جوانب – عن د. فريد شافعى.

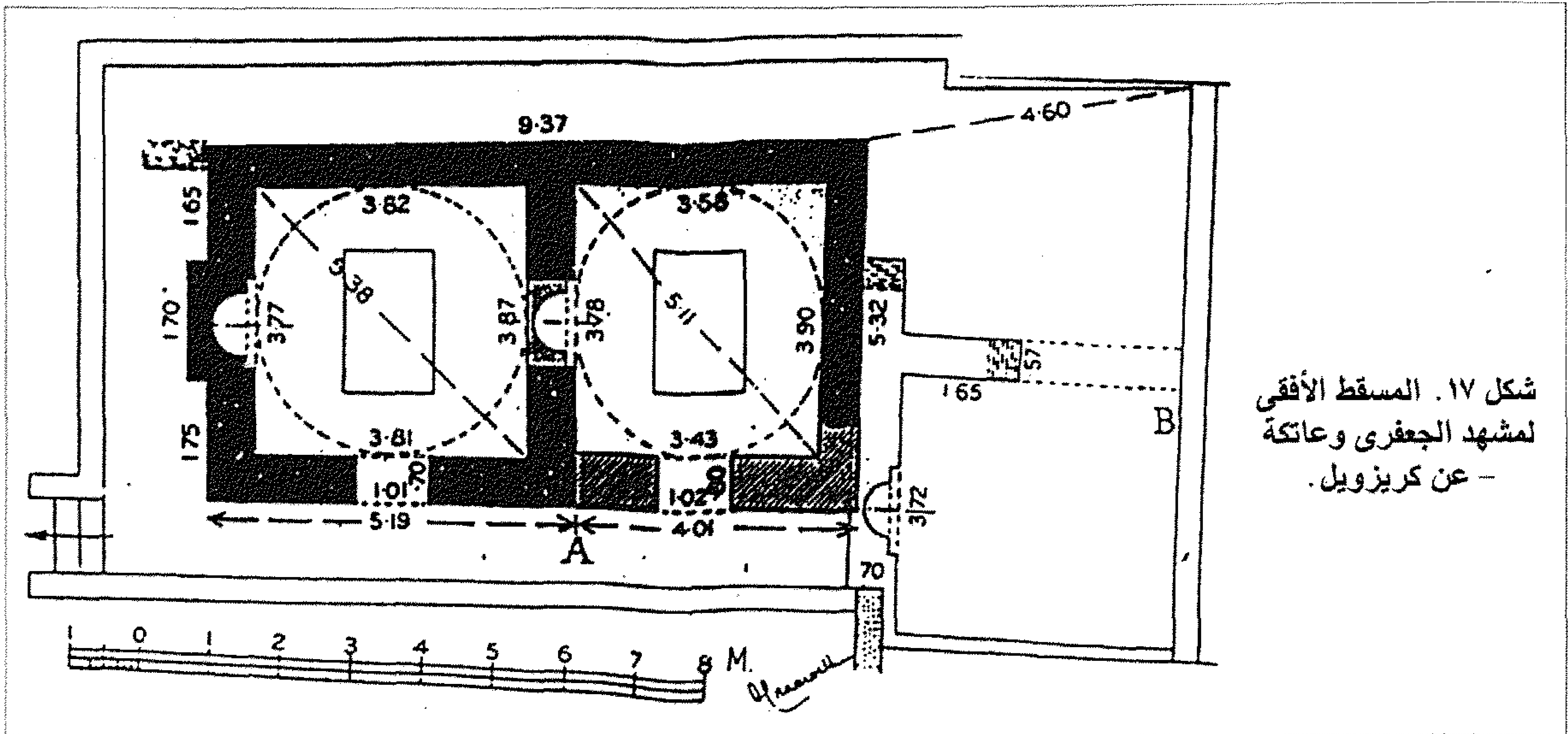


شكل ١٥. المسقط الأفقى لمشهد يونس – عن كريزويل.

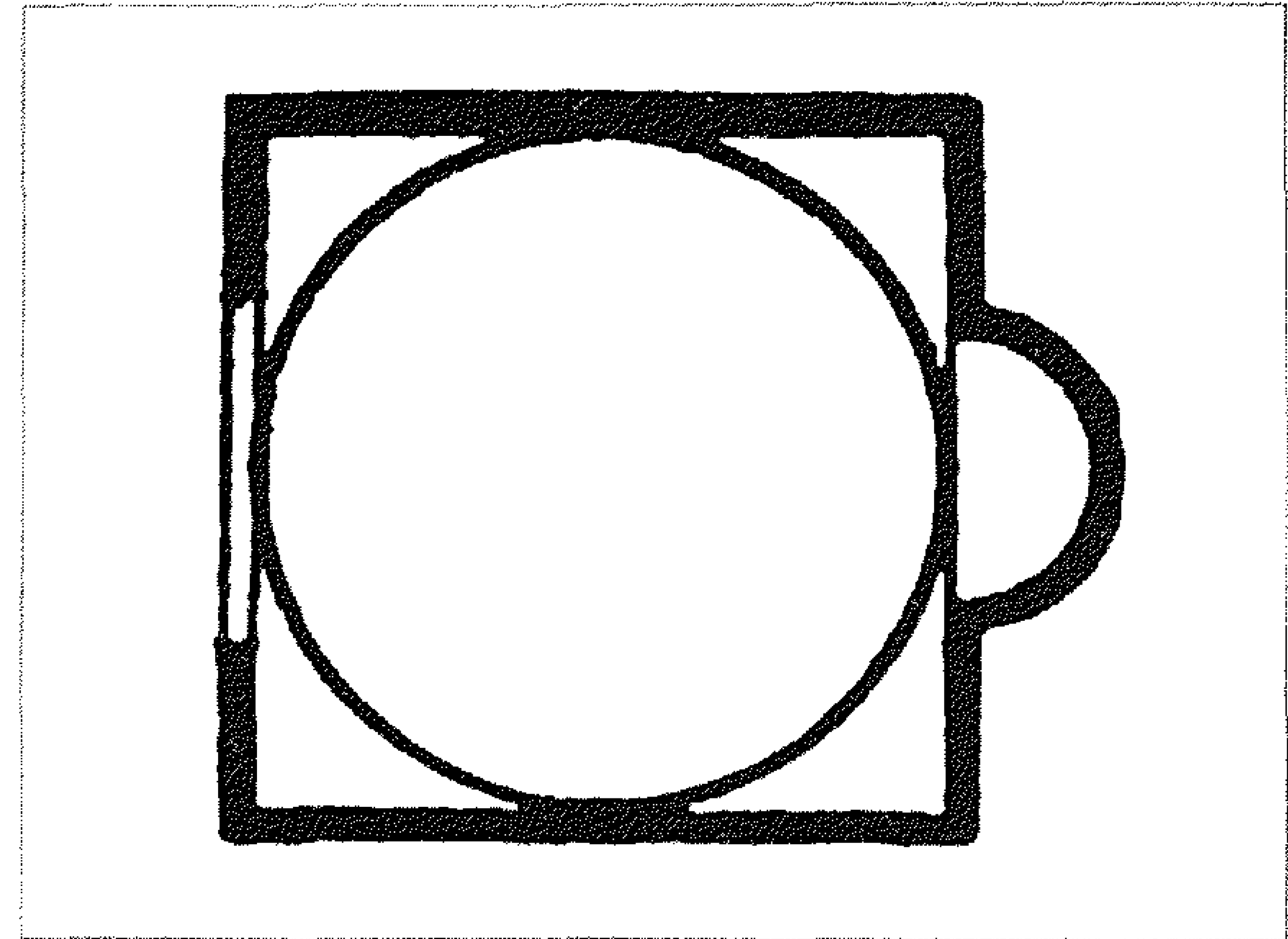


شكل ١٦. المشهد الأفقى لمشهد أخوة سيدنا يوسف – عن كريزويل.





شكل ١٧. المسقط الأفقى لمشهد الجعفرى وعاتكة - عن كريزويل.



شكل ١٨. النموذج ب٣ من جبانة أسوان - عن د. فريد شافعى.

العناصر المعمارية والزخرفية

أولاً: مادة البناء

فيما يتعلق بمادة البناء فإنه يمكن القول أن مادة اللبن استخدمت في بناء زاوية الشيخ عبد الله الهندي حيث بنيت أيضاً أسوار الزاوية باللبن، مما يدل على أن اللبن كان المادة الأساسية في بناء هذه المنشأة المعمارية، وكما تقدم فإن هذه المادة تعد من سمات العمارة المحلية بالبحر الأحمر بشكل عام وبمدينة القصير بشكل خاص، وكما استخدمت في العمارة الضريحية استخدمت أيضاً كما تقدم في العمارة السكنية، وهو الأمر الذي يتضح جلياً فيما أورده دى بوا - إيميه وتقدم ذكره عن بيوت القصير بقوله 'وبيوت هذه المدينة منخفضة، وهي مبنية عادة من الطوب النيئ'، كما تتضح هذه المادة أيضاً في العديد من المنشآت المعمارية ذات الصفة الأثرية.

ومما يؤكد على شيوع استخدام هذه المادة في منشآت القصير المعمارية انها استخدمت في بناء قبة الشيخ عبد الغفار، وقد اتسمت جدران القبتين بسمك كبير، حيث جاء متوسط سمك الجدران في قبة الهندي بمقدار ٧٠سم، وبلغ متوسط سمك الجدران في قبة الشيخ عبد الغفار ٨٠سم أي بزيادة ١٠سم عن سمك جدران قبة الهندي، وفي قبة الشيخ أحمد السيسي أكد المعماري على استخدام الطوب اللبن بسمك ٨٠سم أي على غرار قبة الشيخ عبد الغفار، وهو الأمر الذي يؤكد على وجود تناغم وتماثل في التصميم والعمارة بين القباب الثلاث.

أما فيما يتعلق بالنتوءات البارزة في هذه القبة من الخارج فقد شيدت بحجر الفوسفات المنتشر بالقصير وهو أيضاً من السمات المحلية بالبحر الأحمر، وقد استخدم الطوب اللبن في قبة الشيخ سليم، كما استخدم الحجر في بعض جدرانها، حيث جمعت بين المادتين في البناء، وفي زاوية الجيلاني استخدم المعماري الطوب اللبن، وبلغ متوسط سمك الجدران ٥٠سم أي أقل من سمك الجدران في القباب السابقة، أما النتوءات فكانت من الحجر شأنها شأن القباب السابقة، وإضافة لمادة اللبن والحجر استخدمت الأخشاب في البناء، فقد استخدمت في التراكيب الخشبية، وفي مناطق الانتقال في قبة الشيخ عبد الله الهندي التي جاءت من براطيم خشبية ومن أفلاق النخل وجذوع نخيل الدوم، وأستخدم نفس الأسلوب في قبة الشيخ عبد الغفار، وفي قبة الشيخ أحمد السيسي وفي قبة الشيخ سليم، وفي قبة عبد القادر الجيلانى، وهذه المواد البنائية تعد من سمات العمارة المحلية بالبحر الأحمر.

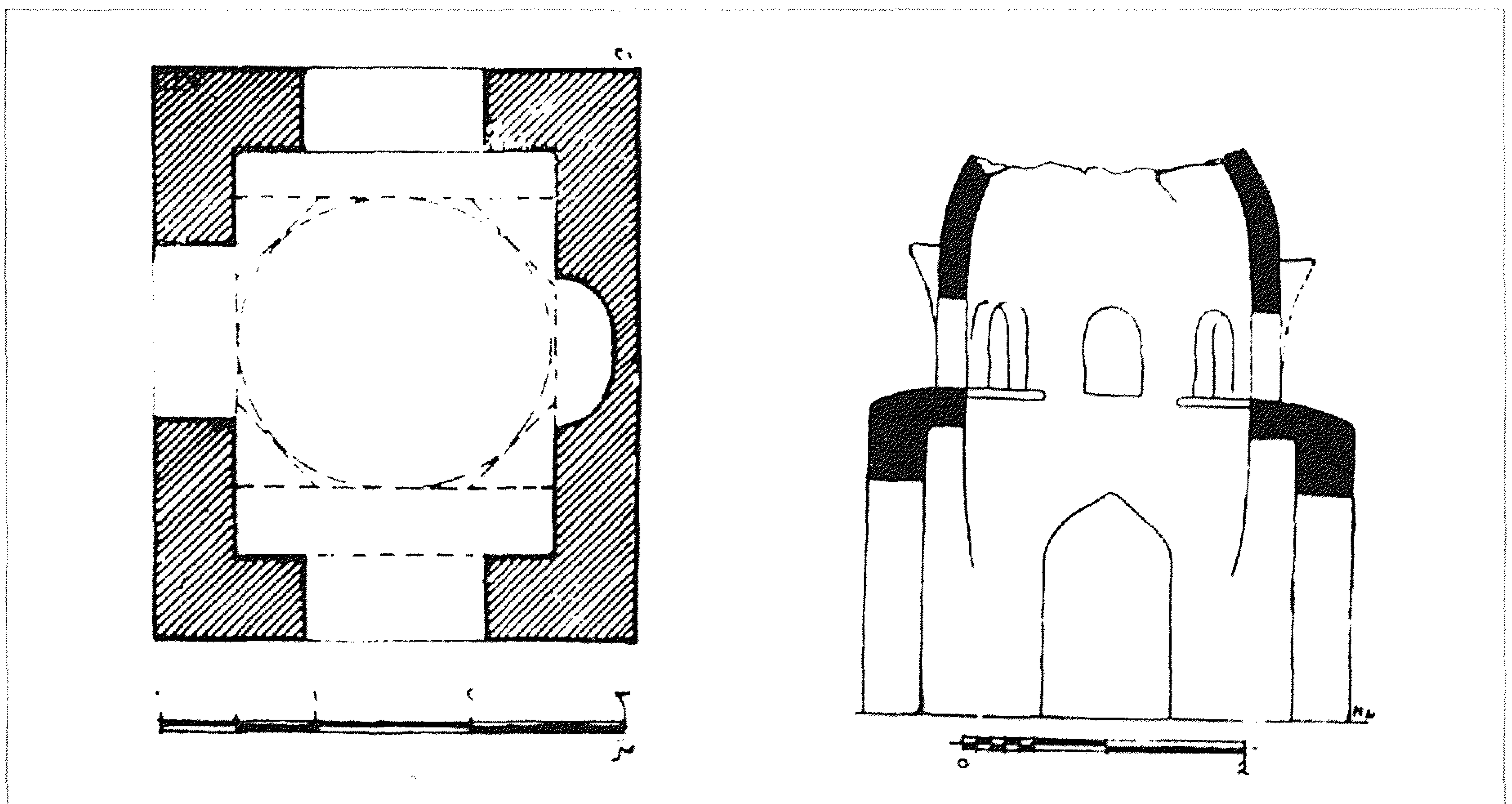
ثانياً: مناطق الانتقال

تعد مناطق الانتقال من العناصر الإنشائية الهامة التي أسهمت بدور بارز في تطور القباب في العمارة الإسلامية، وقد استخدمت لتحويل مربع القبة السفلى في قباب القصير إلى رقبة مثمنة تتصل بدائرة القبة التي تعلوها، لذا فهي تعد عنصراً أساسياً لإقامة القبة أعلى المربع السفلى، وبالرغم من أن قباب مدينة القاهرة اشتملت على نوعين من مناطق الانتقال هما المثلثات الكروية والحنايا الركنية في شرق وغرب العالم الإسلامي، إلا أن قباب القصير الضريحية موضوع الدراسة اتسمت بأسلوب محلى يعد من خصائص عمارة محافظة البحر الأحمر بصفة عامة والقصير بصفة خاصة، فقد جاءت في زاوية وضريح الهندي من أربعة مثلثات أفقية مسطحة مكونة من براطيم خشبية من أفلاق النخل وجذوع نخيل الدوم في تصميم رائع بسيط يعد من المؤثرات البيئية الإقليمية سواء في محافظة البحر الأحمر أو في بعض المناطق الإقليمية الأخرى خارج مدينة القاهرة مثل قباب جبانة أسوان، حيث اشتملت بعض المقابر على مثلثات مسطحة لتحويل مربع القبة إلى مثمن ترتكز عليه خوذة القبة كما هو الحال في المقبرة رقم '٢١' (شكل ١٩)، وهي المقبرة المفتوحة من ثلاثة جوانب وتحمل قبتها مثلثات مسطحة، والمقبرة رقم '٢٧' والتي غطيت بقبة أقيمت على مثلثات مسطحة ومثل منطقة وادي النطرون حيث اشتملت بعض كنائس وحصون أديرة وادي النطرون على هذا النوع من مناطق الانتقال أذكر منها على سبيل المثال دير البراموس ودير السوريان ودير أبي مقار (لوحة ١٩)، وتحول منطقة الانتقال المربع إلى رقبة مثمنة.

ويتأكد لنا الأسلوب المحلى الفريد في تصميم وتنفيذ مناطق الانتقال في قبة الشيخ عبد الغفار التي جاءت من مثلثات مسطحة تتباين تماماً في التصميم والتنفيذ عن المثلثات الكروية التي استخدمت في قباب مدينة القاهرة ومعظم المدن المصرية الأخرى سواء في الوجه القبلي أو الوجه البحري، وهي في قبة الشيخ عبد الغفار أيضاً من براطيم خشبية متراصة أفقياً.

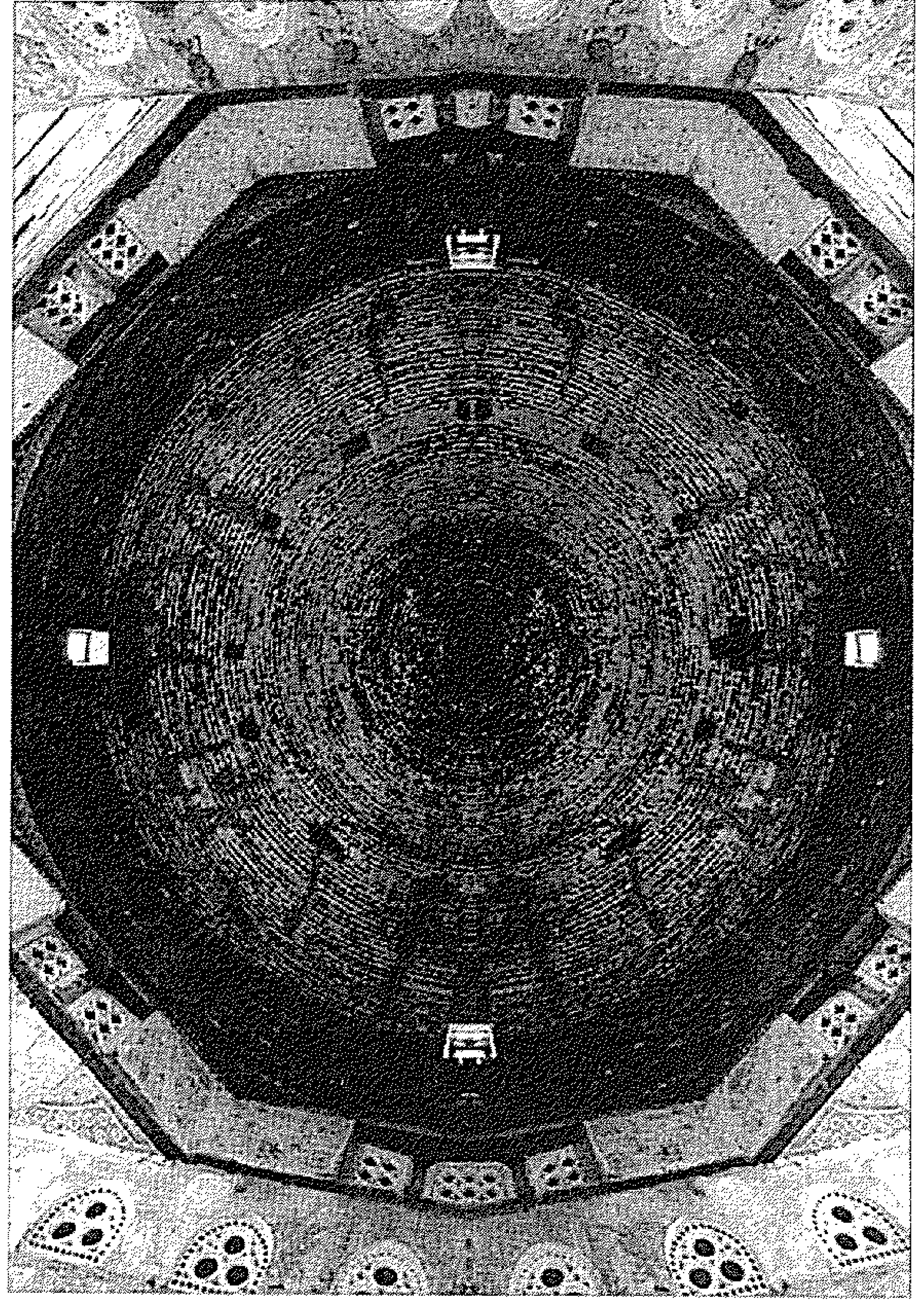
ومما يدل على أن هذا الأسلوب في مناطق الانتقال أضحى علماً على قباب القصير أنه وجد في قبة الشيخ أحمد السيسي، حيث جاءت المثلثات المسطحة من براطيم خشبية متراصة، وهو الأمر الذي وجد في قبة الشيخ سليم، حيث جاءت على نفس النمط من أخشاب متلاصقة، كما وجد هذا الأسلوب أيضاً في قبة الشيخ عبد القادر الجيلانى بزاوية الجيلانى، وأغلب الظن أن هذا الأسلوب وجد في قبة الشيخ أبى الحسن الشاذلي، غير أنها لم تصل إلينا.

في ضوء ما تقدم فإن مناطق الانتقال في قباب القصير موضوع الدراسة تمثل في اعتقادي موروثاً فنياً ومؤثراً بيئياً هاماً يعد من أهم خصائص العمارة المحلية بالبحر الأحمر



شكل ١٩. مقبرة مفتوحة من ثلاثة جوانب، وتحمل قبتها مثلثات مسطحة-عن د. فريد شافعى.





لوحة ١٩. تفاصيل من منطقة الإنتقال بكنيسة دير أبى مقار بوادى النطرون.

من جهة، ونمطاً فريداً بالنسبة للعمارة الإسلامية بمصر من جهة أخرى.

ومما يدل على أن مدينة القصير تميزت ببعض العناصر المعمارية عن غيرها من مدن مصر ما ذكره دى بوا - إيميه عند ذكره القصير ومآذن المساجد بقوله 'ومآذن المساجد هناك أقل ارتفاعا بكثير عن مثيلتها في مصر، مما يعطى ملمحاً للقصير مختلفاً عن بقية مدن هذه البلاد'،[٢٣] وهو الأمر الذي يتضح في ضوئه أن عمائر القصير سواء الدينية كما تقدم أو المدنية أو الضريحية اتسمت بطابع محلى صريح مقارنة بمثيلاتها في القاهرة ومعظم المدن المصرية سواء في أسلوب العمارة أو ابتكار بعض العناصر المعمارية.

ثالثاً: الرقبة و القبة

عرفت القباب في العمارة الإسلامية بمدينة القاهرة منذ العصر الفاطمي رقبة القبة أعلى مناطق الانتقال كما هو الحال في رقبة قبة الشيخ يونس التي تقدم ذكرها، وقد وجد هذا العنصر المعماري في قبة الشيخ عبد الله الهندي على هيئة مثمنة، وقد فتح بها أربع كوات للإضاءة والتهوية أعلى منتصف الجدران الأربعة، ويعلو الرقبة القبة، غير أن هذا الأسلوب وإن كان يتفق مع مثيله في بعض قباب القاهرة غير انه نفذ هنا بأسلوب محلى شأنه في ذلك شأن مادة البناء ودخلات المربع السفلى ومناطق الانتقال في القباب موضوع الدراسة والقبة هنا على هيئة نصف كرة، وفي قبة الشيخ عبد الغفار أوجد المعماري نفس الأسلوب، حيث أوجد رقبة مثمنة فتح بها أربع فتحات للإضاءة والتهوية، ترتفع فوقها القبة التي جاءت على هيئة نصف كرة مما أوجد تطابقاً في التصمـم والتنفيذ في القبتين، غـير أن هذه القـبة تتميز هنا من الخارج بأنها ذات ثمانية فصوص ينطلق منها قائم الهلال، وقد عرفت العمارة الإسلامية في مصر القباب المضلعة أو المفصصة منذ العصر الفاطمي كما هو الحال في قباب السيدة عاتكة و السيدة رقية ويحيى الشبيه وتعد قبة حمام الصرخ أقدم مثل للقباب ذات الضلوع في العمارة الإسلامية ثم نجد هذا الأسلوب في مسجد القيروان[٢٤] ثم انتقل إلي العمارة الإسلامية بمصر، غير أن استخدامها في قباب القصير يتسم بالطابع المحلى سواء في الأسلوب الفني أو عدد التضليعات بهذه القباب.

أما فيما يتعلق باستخدام الأهلة أعلى القباب الضريحية بالقصير فإن هذا الأسلوب وجد أعلى كل القباب تقريباً في العمارة المصرية، حيث اشتملت على أهلة من النحاس ترتفع على قائم ذي انتفاخات كروية أو كمثرية مثبتة بقمة القبة، وقد اندثرت غالبية تلك الأهلة نظراً لعدم قدرتها على تحمل الظروف المناخية والجوية.[٢٥]

وفي قبة أحمد السيسي جاءت رقبة القبة على هيئة مثمنة، فتح بها المعماري أربع كوات للإضاءة والتهوية أعلى منتصف الجدران الأربعة، وتعلو الرقبة القبة التي اتخذت قطاعاًنصف دائرياً، وهي تتفق مع قباب القصير في إنها ذات ثمانية فصوص بكل فص منها أربعة نتوءات بارزة من حجر الفوسفات المنتشر ببيئة القصير، وينطلق من القبة هلال على غرار القبتين السابقتين.

وفي قبة الشيخ سليم جاءت الرقبة عبارة عن مثمن فتح به أربع فتحات للإضاءة والتهوية، وقد أوجد المعماري أعلى المثمن الذي يمثل رقبة القبة الخوذة وهي على شكل نصف كرة ينطلق منها قائم الهلال الذي فقد حالياً، والقبة مفصصة إلى ثمانية فصوص بكل فص منها أربعة نتوءات بارزة، وهو الأمر الذي يؤكد على الطابع الموحد للقباب الضريحية بالقصير والأسلوب المحلى البسيط بالمدينة خاصة وبالبحر الأحمر عامة.

وفي زاوية وضريح الشيخ عبد القادر الجيلانى جاءت الرقبة عبارة عن مثمن تعلوه قبة على هيئة نصف كرة، وهي مكونة من ثمانية فصوص بكل فص أربعة نتوءات بارزة من الحجر.

رابعاً: سمات معمارية و زخرفية أخرى

*** الأبراج الصغيرة**

تعد الأبراج الصغيرة التي تعلو الزوايا الأربعة الخارجية للجدران في قبة الشيخ عبد الله الهندي سمة من سمات العمارة المحلية لمدينة القصير (لوحة ٤)، وهي عبارة عن أربعة أبراج، بواقع برج في كل زاوية وقد خلت قبة الشيخ عبد الغفار من هذه السمة المعمارية (لوحة ٦)، بينما وجدناها في قبة الشيخ أحمد السيسي (لوحة ٩)، حيث اشتملت زوايا التربيع الأربعة من أعلى على أربع دعائم على هيئة أبراج على غرار تلك التي وجدت في زاوية وضريح الشيخ عبد الله الهندي، كما أوجدها المعماري على جانبي المدخل الذي يتوصل منه إلى الساحة المكشوفة أو الفناء الذي يتقدم القبة الضريحية على نفس النمط (لوحة ١١)، ومما يؤكد على أن هذا العنصر أصبح سمة من سمات القباب الضريحية بمدينة القصير أنه وجد في قبة الشيخ سـليم.

حيث ترتفع فوق زوايا التربيع من الخارج أربع دعامات على هيئة أبراج صغيرة (لوحة ١٣)، وهو الأسلوب الذي وجد أيضاً في قبة الشيخ عبد القادر الجيلاني (لوحة ١٤)، حيث أوجد المعماري أعلى زوايا الضريح الأربع أربع دعائم على هيئة أبراج صغيرة مما يدل على أن هذه السمة تعد من المؤثرات البيئية بمدينة القصير.

*** الزخارف و النقوش الكتابية**

لعل أهم ما يميز قبة الشيخ عبد الله الهندي هي تلك الرسومات والزخارف والكتابات التي تزخرف جدرانها الأربعة من الداخل، وهي منفذة بألوان حمراء وأرجوانية وصفراء وزيتونية وسوداء وبنية، بها اشكال هندسية من مربعات ومعينات ومثلثات ودوائر ونجوم ثمانية ونقاط وتهشيرات وعلامات هندسية ذكر بعض الرحالة إنها تشبه الموجودة في بعض المعابد في شمال الهند ونيبال (لوحة ٥)، وربما يرجع ذلك إلى أصل الشيخ عبد الله الهندي الذي عرف بذلك نسبة إلى موطنه الأصلي الهند، كما كانت الزاوية والضريح مزاراً للبحارة والهنود العاملين في البواخر التي كانت تأتى إلى القصير لشحن الفوسفات إلى وقت قريب كما تقدم وقد اشتملت الزاوية على نقوش كتابية قرآنية وأحاديث منسوبة إلى الرسول ﷺ، كما اشتملت على كتابة تاريخية تضمنت تاريخ الإنشاء في الغالب، وأغلب الظن أنها كتابات قديمة نفذت من خلال بعض هؤلاء الهنود.

أما قبة الشيخ عبد الغفار فقد اشتملت على كتابات تقدم ذكرها، حيث يلاصق القبة من الجهة الشمالية الشرقية مصطبة مربعة ارتفاعها ٥٠سم بالجدار الجنوبي الشرقي بها لوحة منقوش بها خمسة أسطر.

أما قبة الشيخ أحمد السيسي فقد خلت من النقوش أو الكتابات، وكذلك قبة الشيخ سليم، أما زاوية وضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني وأبى الحسن الشاذلي فقد عثرنا على كتابات تحمل تاريخ سنة ١٣١٠هـ/ ١٩٨٢م.

الخاتمة

من هذه الدراسة يتضح أن عمارة القباب الضريحية بمدينة القصير قد سجلت أجمل ماصنع المعماري والفنان بمحافظة البحر الأحمر بشكل عام ومدينة القصير بشكل خاص، وفي ضوء هذه العبارة يمكن عرض أهم نتائج البحث على النحو التالي:

ألقى البحث الضوء على مدينة القصير من الناحيتين التاريخية والوثائقية خاصة خلال القرن ١٣هـ/ ١٩م.

فيما يتعلق بالمحور الأول والذي تناول الدراسة الوصفية للقباب الضريحية سواء الملحقة أو المستقلة فيعد دراسة جديدة تلقي ضوءا ساطعاً على طراز القباب بمحافظة البحر الأحمر، وهي الدراسة التي تضمنت الموقع، المنشيء وتاريخ الإنشاء، الوصف المعماري والزخرفي سواء فيما يتعلق بزاوية وضريح الشيخ عبد الله الهندي، أو قبة الشيخ عبد الغفار، أو قبة الشيخ احمد السيسي، أو قبة الشيخ سليم، أو زاوية وضريح الجيلاني والشاذلي.

أما فيما يتعلق بالمحور الثاني والذي اشتمل على الدراسة التحليلية المقارنة فقد تناول المكونات بشكل عام لهذه القباب ومقارنتها بمثيلاتها بمدينة القاهرة وقباب جبانة أسوان، وبعض قباب كنائس وحصون أديرة وادي النطرون في دراسة جديدة تعد الأولى من

نوعها، أما فيما يتعلق بالتخطيط المعماري فقد تناول البحث تخطيط مربع القبة في القباب موضوع البحث في دراسة تحليلية من جهة ومقارنة مع قباب القاهرة الضريحية وقباب جبانة أسوان من جهة أخرى لإيضاح الطابع المحلي من جهة والسمات المشتركة مع قباب القاهرة وأسوان من جهة أخري.

أما فيما يتعلق بالعناصر المعمارية والزخرفية للقباب موضوع الدراسة فقد تناول البحث مادة البناء التي تنوعت ما بين اللبن وحجر الفوسفات والأخشاب وتعد هذه المواد من السمات المحلية لمحافظة البحر الأحمر بشكل عام ومدينة القصير بشكل خاص، حيث تعد ملمحاً من ملامح العمارة المحلية بالقصير.

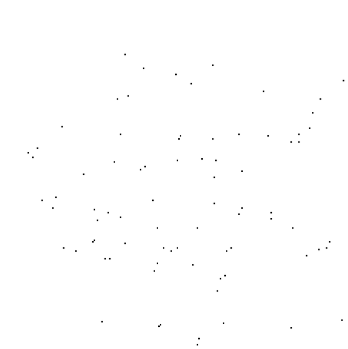
فيما يتعلق بمناطق الانتقال فقد اتسمت بأسلوب محلي صريح يعد من خصائص عمارة محافظة البحر الأحمر بشكل عام ومدينة القصير بشكل خاص سواء من حيث التصميم أو العمارة لذا فقد أضحى هذا الأسلوب الذي جاء من مثلثات مسطحة أفقية مكونة من براطيم خشبية من أفلاق النخل وجذوع نخيل الدوم في هيئة بسيطة علماً على قباب القصير مما يمثل موروثاً فنياً ومؤثراً بيئياً هاماً يعد من أهم خصائص العمارة المحلية في القصير وفي بعض المناطق الأخرى الإقليمية مثل منطقة جبانة أسوان ووادي النطرون، حيث وجد هذا الأسلوب في بعض قباب جبانة أسوان وفي بعض كنائس وحصون أديرة وادي النطرون أذكر منها على سبيل المثال دير البراموس ودير السوريان دير أبي مقار، فضلاً عن أنه يمثل نمطاً جديداً بالنسبة للعمارة الإسلامية بمصر مثل أسوان ووادى النطرون على سبيل المثال.

ألقي البحث الضوء على طبيعة العمارة بشكل عام بالقصير سواء الدينية أو المدنية أو الضريحية من خلال الدراسة الميدانية من جهة أو ما ذكر عنها من نصوص في القرن ١٣هـ/ ١٩م مما يؤكد على الطابع المحلي الصريح لها مقارنة بمثيلاتها في القاهرة ومعظم المدن المصرية.

تناول البحث الرقبة والقبة أو الخوذة ومشتملاتها من الفتحات والتضليعات والأهلة وغير ذلك من العناصر التي تؤكد على ارتباط هذين العنصرين بقباب القاهرة من حيث التكوين العام أما من حيث التفاصيل المعمارية والفنية سواء في التصميم أو العمارة فهي تؤكد على الطابع المحلي والموروث الفني في بيئة القصير مما يعد ملمحاً جديداً يتضمن العديد من التفاصيل من ملامح العمارة الإسلامية بالمدينة.

اشتمل البحث أخيراً على سمات معمارية وزخرفية أخري للقباب موضوع الدراسة مثل الأبراج الصغيرة التي تؤكد على أنها سمة من سمات القباب الضريحية بالمدينة مما تعد من المؤثرات البيئية، فضلاً عن زخارف ونقوش كتابية عثر عليها بزاوية وضريح الشيخ عبد الله الهندي مما يعد انعكاساً لتلك الموجودة في بعض المعابد شمال الهند ونيبال.

ويشتمل البحث على مجموعة من الأشكال والصور الفوتوغرافية التي توضح خصائص هذه القباب من الناحيتين المعمارية والزخرفية من قبل الباحث. ■

الحواشي

١ سفاجا: ذكرها محمد رمزي فقال 'اسم يطلق على منطقة صحراوية، واقعة على الشاطئ الغربي للبحر الأحمر، جنوبي مدينة السويس، وعلى بعد ٤٠٠ كيلومتراً منها، ويحاذيها على النيل مدينة طهطا'.
محمد رمزي، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م (البلاد الحالية)، ق ٢، ج ٤ (القاهرة، ١٩٩٤)، ٢٧٢.

٢ قوص (Qous): مدينة مصرية قديمة تقع على الضفة الشرقية للنيل بين مدينتي قفط والأقصر، وقد بدأ عمرانها في العصر الإسلامي منذ عام ٤٠٠ هـ/ ١١٠٩ م عقب تدهور مدينة قفط بسبب أهمية موقعها، وكانت أسوان في ذلك الوقت تمثل حاضرة الصعيد.
مزيد من التفاصيل انظر: اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب) ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧م: البلدان، ط ١ (بيروت، لبنان، ١٤١٨ هـ / ١٩٨٨)، ٩٣؛ المقدسي (أبو عبد الله محمد بن أحمد) ت ٣٨٧ هـ/ ٩٩٧م: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣ (القاهرة، ١٩٨١)، ١٩٤- ١٩٥؛ ناصر خسرو علوي، سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب (القاهرة، ١٩٩٣)، ١٣٢- ١٣٤، ١٩٧- ١٩٨؛ حسن خضيري أحمد، مدينة قفط وتطورها السياسي من الفتح العربي وحتى منتصف القرن الرابع الهجري، مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، العدد ٤ (١٩٩٥)، ٢٣٤- ٢٣٥؛ عبدالله كامل موسى، المنشآت التجارية والصناعية بمدينة قوص منذ العصر العثماني حتى نهاية القرن ١٣هـ/ ١٩م، دراسة أثرية وثائقية، مجلة المؤرخ العربي، إتحاد المؤرخين العرب، ، العدد ٩، مج ١، مارس (القاهرة، ٢٠٠١)، ٣١٨- ٣١٩.

٣ قنا: ذكرها ياقوت الحموي فقال 'بكسر القاف، والقصر، كلمة قبطية: مدينة بالصعيد لطيفة. وربما كتب بعضهم إقنا، بالألف في أوله مكسورة'.
ياقوت الحموي (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي) ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م: معجم البلدان، مج ٤، ط ٢ (بيروت، ١٩٩٥)، ٣٩٩.

٤ كمال الدين حسين، مدينة القصير (القصير، ٢٠٠٠)، ٩.

٥ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ٤، ٣٦٧.

٦ محمد رمزي، القاموس الجغرافي، البلاد المندرسة، ق ١، ٩٧.

٧ محمد رمزي، القاموس الجغرافي، ق ٢، ج ٤، ٢٧١.

٨ عبد الحميد سليمان، تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني، سلسلة تاريخ المصريين، العدد ٨٩، ٢٦.
مزيد من التفاصيل انظر: السيد عبد العزيز سالم، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي (الإسكندرية، ١٩٩٣)، ٦٣ - ٦٤.
D. S. Whitcomb and J. H. Jonson, *Quseir Al–Qadim 1980*, Preliminary Report, Malibu-1982, 397-398.

٩ عبد الحميد سليمان، تاريخ الموانئ المصرية، ٢٦.
J. C. Garcin, *Un Centre Musulman de la Haut Egypte Medievale QUS*, V1 (Le Caire, 1976), 417.

١٠ مزيد من التفاصيل عن أهمية الوثائق بالنسبة للقصير انظر:
محمد محمود على الجهينى، مدينة القصير في القرن التاسع عشر وأهمية الوثائق في الكشف عن تخطيطها وتأريخ عمائرها، مجلة كلية الآداب، كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، العدد السابع (١٩٩٧)، ٣٨٧ـ ٣٨٨.

١١ محمد محمود على، مدينة القصير، ٣٩٧ـ ٤١١.

١٢ مزيد من التفاصيل عن القصير انظر: دى بوا - إيميه، القصير والعبابدة (الدراسة السابعة)، موسوعة وصف مصر العرب في ريف مصر وصحراواتها، ج ٢ (القاهرة، ٢٠٠٢)، ٢٤٧ـ ٢٤٩.

١٣ كمال الدين حسين، مدينة القصير، ٤٣.
انظر عن هذا الضريح أيضاً من حيث الموقع والوصف المعماري:
Whitcomb and Johnson, *Quseir Al-Qadim*, 402-403.

١٤ دى بوا ـ إيميه، القصير والعبابدة، ٢٤٧.

١٥ كمال الدين حسين، مدينة القصير، ٤٣.
Whitcomb and Johnson, *Quseir Al-Qadim*, fig. 29, 403.

١٦ كمال الدين حسين، مدينة القصير، ٤٧.

١٧ كمال الدين حسين، مدينة القصير، ٢١.
انظر أيضاً عن مسجد وضريح الشيخ عبد الغفار:
Whitcomb and Johnson, *Quseir Al-Qadim*, 400.

١٨ محمد محمود، مدينة القصير، ٤٠١.

١٩ مكان النقط في الأساس 'أنشأ هذا'.

٢٠ كمال الدين حسين، مدينة القصير، ٩٥.

٢١ محمد حمزة إسماعيل الحداد، القباب في العمارة المصرية الإسلامية، ط ١ (القاهرة، ١٩٩٢)، ٨ـ ٣٩.

٢٢ محمد حمزة، القباب، ٥٥.

٢٣ دى بوا - إيميه، القصير، ٢٤٧.

٢٤ K. A. C. Creswell, *A short Account of Early Muslim Architecture* (Cairo, 1989), 316 - 320.

٢٥ محمد حمزة، القباب، ١٤٧ـ ١٤٨.

عمائر الإمام المهدي عباس الدينية (مساجد) في مدينة صنعاء

(١١٦١ - ١١٨٩هـ / ١٧٤٨ - ١٧٧٥م)

علي سعيد سيف

الملخص

يعد عهد الإمام المهدي لدين الله عباس العهد الذهبي لفترة الاستقلال عن الدولة العثمانية، وذلك كما وصفه المؤرخون بأن عصره كان أفضل من عصر أبيه وولده، ففي عهده كان هناك تواصلاً كبيراً بين اليمن والعالمين العربي والأوربي، فقد وصلت بعثة نيبور إلى صنعاء ووصفت حال اليمن وعصر المهدي كما وصفت بعض مبانيه والتي منها قاعة الاستقبال، كما أثنت البعثة على وزير المهدي والتي قالت عنه أنه كان على قدر كبير من الثقافة.

ولقد غطيت فترة حكم المهدي من الناحية التاريخية والتي كان للدكتور حسين العمري قصب السبق في دراستها وبما أننا لم نجد أحداً من الدارسين قد قام بدارسة فترة حكم المهدي من الناحية الأثرية مما دعا الباحث إلى أن يقوم بدراسة المساجد التي أمر ببنائها المهدي محاولاً قدر الإمكان إبراز هذا الجانب من حياة المهدي دراسة أثرية معمارية تحليلية متبعاً المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال مقارنة هذه المساجد مع المساجد التي بنيت قبلها في فترة الوجود العثماني ومدى أوجه الشبه والاختلاف.

هذا وقد أوضح البحث العناصر المعمارية والفنية لتلك المساجد وهي قبة المهدي عباس، ومسجد التقوى، ومسجد الرضوان، ومسجد النور، وقد خرج البحث بتقسيم مساجد المهدي إلى نمطين معماريين، الأول المغطى بقبة، ومثلته قبة المهدي عباس، والثاني المغطى بسقف مسطح ومثله مساجد التقوى والنور والرضوان، ثم اختتم البحث بعرض للنتائج التي توصل إليها البحث رغم أن دراسة الموضوع بحد ذاته جديدة، ملحقا بالبحث الأشكال والصور التوضيحية وقائمة بالمصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

المقدمة

يعد هذا البحث المسمى عمائر الإمام المهدي لدين الله عباس الدينية في مدينة صنعاء، محاولة متواضعة نرجو من الله أن نوفق في إعطاء صورة واضحة المعالم متكاملة الجوانب عن مباني الإمام المهدي في مدينة صنعاء.

وتكمن أهمية هذا البحث في أن معظم مباني مدينة صنعاء الدينية قد أخذت حقها من الدراسة والتحليل، إضافة إلى أن عصر المهدي من الناحية التاريخية قد نال حظه من الدراسة، ولذا لم نجد من يتطرق لدراسة أبنية المهدي دراسة علمية وافية من الناحية الأثرية بما تشتمل عليه من الوصف الأثري والرفع المعماري (عمل المساقط الأفقية) والجانب التحليلي للعناصر المعمارية والزخرفية، لذلك وقع اختيارنا لدراسة أبنية الإمام المهدي، والتي نتمنى أن تكون إسهاماً في التعريف بالأعمال المعمارية لهذا الإمام الذي قيل عنه بأن عصره أفضل من عصر أبيه وولده.

في هذه الدراسة سوف نتبع المنهج العلمي التاريخي والوصفي والتحليلي مقسماً الدراسة إلى قسمين، شمل القسم الأول الدراسة الوصفية للمساجد التي أمر ببنائها الإمام المهدي وهي: قبة المهدي، ومسجد التقوى، ومسجد النور، ومسجد الرضوان.

أما القسم الثاني، فقد اشتمل على الدراسة التحليلية على النحو التالي: دراسة تخطيط هذه الأبنية وعناصرها المعمارية من حيث بيت الصلاة وتغطيتها (إما سقف مسطح وهو الأغلب على هذه الأبنية أو مغطى بقبة وهو ما وجد فقط في قبة المهدي) والصحن والمحاريب والمآذن والعقود والحنايا الركنية والأضرحة والتوابيت والزخارف الكتابية والنباتية، مبيناً بذلك بداية ظهور ذلك العنصر وتطوره في العالم الإسلامي واليمن قدر الإمكان، كما تضمنت هذه الدراسة عمل المساقط الأفقية والتي لأول مرة تعمل.

عمائر المهدي

تنوعت عمائر المهدي لدين الله عباس ما بين دينية ومدنية، سواء في مدينة صنعاء أو غيرها من المدن اليمنية وسوف تقتصر الدراسة على منشآت المهدي عباس في صنعاء وهي قبة المهدي، ومسجد التقوى، ومسجد النور، ومسجد الرضوان.

حياة الإمام المهدي عباس

هو الإمام المهدي لدين الله عباس بن المنصور حسين بن المتوكل على الله القاسم بن الحسين بن أحمد بن الحسن ابن الإمام القاسم بن محمد، يصل نسبه إلى الإمام علي بن أبي طالب، كان مولده بمدينة إب في يوم خامس المحرم سنة إحدى وثلاثين ومائة ألف، وقد كان معتدل القامة إلى السمن أقرب، عظيم اللحية واسع الجبهة أدعج العينين كبيرهما حسن الخلق، أخذ العلم عن السيد عبد الله بن لطف الباري الكبسي وكان في دولة أبيه رئيساً عظيماً[١] كما كان إماماً فطناً ذكياً عادلاً قوي التدبير عالي الهمة منقاداً إلى الخير مائلاً إلى أهل العلم محباً للعدل منصفاً للمظلوم حازماً باحثاً في سيرة عماله له هيبة شديدة في قلوب خواصه لا يفعلون شيئاً إلا وهم يعرفون أنه سيعرف ذلك[٢] كما يعد من أفراد الدهر ومن محاسن اليمن بل الزمن ولم يزل قاهراً لأضداده حافظاً لدولته بقوة وشدة وشكيمة[٣] إضافة إلى ذلك فقد كان أول من رفع صرف القبائل إلى بيوت أهل صنعاء حيث كان الأجناد ينزلون بيوت أهل صنعاء فيزاحمونهم فيها.[٤]

بويع له بالإمامة إثر موت أبيه حيث أجمع عليه الناس فبايعوه، واتفقت عليه الكلمة فبايعه من كان خارجاً عن أبيه، وكان أبرز من بايعه السيد محمد بن إسحاق والسيد أحمد بن عبد الرحمن الشامي والعلامة محمد بن إسماعيل الأمير[٥] وكانت بيعته وهو في مقتبل عمره لم يبلغ الثلاثين بعد، كما أننا لم نجد له سيرة خاصة به كأسلافه من الأئمة، وقد تجنب المؤرخون اليمنيون في معرض حديثهم عنه الخوض في صفاته وملامحه، ولذلك أشار نيبور حينما زار المهدي سنة ١٧٧١هـ / ١٧٦٣م إلى أن ملامحه ولون بشرته كانت قريبة من ملامح أمه السوداء التي كانت جارية لأبيه فتزوجها[٦] وربما يعود تجنب المؤرخين الحديث عن صفات المهدي إلى تلك الملامح حتى أن مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيد في كتابه التحف شرح الزلف لم يتعرض للحديث عن المهدي نهائياً مع أن المؤرخين متفقون جميعاً على أن عصره كان أفضل من عصر أبيه وجده وولده وحفيده.[٧]

حياة المهدي السياسية

أجمع العلماء على مبايعة الإمام المهدي لدين الله عباس ولم يعارضه أحد من أمراء بيت القاسم، إلى أن قام أمير كوكبان السيد العلم أحمد بن محمد بن حسين شرف الدين سنة ١١٢٢ـ ١١٨١هـ/ ١٧١٠ـ ١٧٦٧م بالدعوة لنفسه عند وفاة الإمام المنصور بالله حسين والد المهدي وتلقب بالمؤيد بالله، فكان لدعوته أثر كبير في نفس المهدي لما عرف عنه من العلم والفضل، إضافة إلى أنه كان من فحول الرجال ودهاة العصر وعظماء الرؤساء[٨] وقد حاول المهدي مصالحة هذا الأمير ودعوته إلى الدخول في طاعته على أن يبقى على إمارته مضافاً إليها ملحان وحفاش، غير أن الأمير كان يرى أنه أحق منه بالإمامة، فجهز المهدي جيشاً جراراً حتى أحاطوا ببلاد كوكبان ووقعت معارك كبيرة قتل فيها الكثير مما حدا بالأمير إلى أن يخضع للإمام المهدي ويبايع له، ووقع بين الطرفين صلح، إلا أن المهدي لم تطمئن نفسه لذلك فاستخدم حيلة ببث الخلاف بينه وبين بعض إخوته أدت إلى سجنه.[٩]

وفي سنة ١١٢٤هـ ظهر الساحر أحمد بن الحسيني المكني بأبي طير أو علامة وتبعته جماعة من العامة من بلاد الشرف وكان يدعي معرفة الطلاسم[١٠] وسرعان ما انتشر أصحابه في البلاد، وقد عمل المهدي على إرسال العلامة عبد القادر بن أحمد إلى الشرف لإرشاد الناس وتحذيرهم من الساحر، هذا

وقد خرجت قوة من قبائل قحطان الذين ناصروه في البداية ثم تآمروا على قتله وأرسلوا رأسه إلى المهدي،[١١] كما واجه المهدي حوادث متفرقة منها غارات بعض القبائل على بعض المناطق وخاصة أيام الجدب[١٢] كما عاصر المهدي ألمع رجال العلم والأدب منهم العلامة محمد بن إسماعيل الأمير والقاضي يحي بن صالح السحولي والوزير الفقيه أحمد بن علي النهمي الذي أثنى عليه نيبور فقال أنه على درجة بالغة من الأدب الجم والعلم والمعرفة.[١٣]

نيبور وبلاط المهدي

وصف نيبور بلاط المهدي بقوله في ٢٩/ ٧/ ١٧٦٣م جاءنا كاتب الفقيه أحمد ليدعونا للمثول أمام الإمام في قصره 'ببستان المتوكل' وكم كانت دهشتنا بأن الترتيبات كبيرة فقد اكتظت ساحة القصر بالجنود والضباط وغيرهم من الموظفين لدرجة أننا لم نستطع أن نشق طريقنا إلا بمساعدة النقيب جار الله، وكانت قاعة الاستقبال واسعة مربعة الشكل لها سقف ذو عقود تتوسطها بركة ماء كبيرة يقذف شذروانها الماء إلى الأعلى ١٤ قدماً، وخلف البركة في الواجهة على مقربة من مجلس الإمام ارتفعت مصطبتان كبيرتان ارتفاع كل منهما قدمان ونصف وقد غطي مجلس الإمام (الكرسي) بقماش من الحرير على جانبيه وسائد كبيرة حيث كان الإمام يجلس لافاً ساقيه على الطريقة الشرقية، وكان يرتدي قميصا أخضر فاتحا له أكمام طويلة فضفاضة وأزرار الصدر قد زركشت فتحتها بالذهب وعلى رأسه عمامة بيضاء كبيرة وكان أولاده يجلسون على يمينه وأخوته على يساره وجلس في المقابل لهم على المصطبة الأعلى الوزير بينما كان مكاننا على الثانية أوطئ وعلى جانبي القاعة جلس عدد كبير من أعيان الحاشية.[١٤]

أعمال المهدي المعمارية

يعد المهدي من الأئمة الذين شغفوا بالبناء والعمارة فقد أقام العديد من المنشآت المعمارية المدنية والدينية، فمن ما قام به عمارة البركة العظمى للماء تحت مدينة العر من بلاد الحيمة شمال غرب صنعاء لتجميع مياه الأمطار، وقد استفاد منها الناس فائدة عظيمة، وعمارة مسجد قبة المهدي ومسجد التقوى ببستان السلطان ومسجد الرضوان شمال باب اليمن ومسجد النور بحارة معمر وإكمال عمارة مسجد نصير بعد والده، وحفر قنوات مجرى مياه الغيل الأسود وغيل البرمكي.[١٥]

وستقتصر الدراسة على منشآت المهدي الدينية في مدينة صنعاء وهي على النحو التالي:

أولا: قبة المهدي

يشير القاضي الحجري بأن قبة المهدي تقع غربي السائلة عدني (جنوب) الطريق النافذة من بستان السلطان إلى جهة السائلة وعلو صنعاء[١٦] وهي تطل على السائلة بواجهتها الشرقية وعلى الطريق النافذة من باب السباح إلى السائلة بواجهتها القبلية.

تاريخ إنشاء القبة

يعود بناء هذه القبة إلى سنة ١١٦٤هـ-١٧٥١/ م[١٧] وقد أرخ لها الأديب السيد قاسم بن يحي الشهاري[١٨] بقوله

يا حبذ أمن قبة ... فاقة على صنع الأول.
أسسها على التقى ... خليفة العصر الأجل.
مهدينا العباس من ... دانت له كل الدول.
يرجوا رضا ربه ... بلغه الله الأمل.
تاريخها نادا بها ... حي على خير العمل.[١٩]

وقد جاء تاريخها بحساب الجمل بالقول حي على خير العمل.

ن	ا	د	ا	ب	ه	ا	ح	ي	ع
٥٠	١	٤	١	٢	٥	١	٨	١٠	٧٠

ل	ا	خ	ي	ر	ا	ل	ع	م	ل
٣٠	١	٦٠٠	١٠	٢٠٠	١	٣٠	٧٠	٤٠	٣٠

ومجموع تلك الحروف هو ١١٦٤ وهو تاريخ بناء القبة.

الوصف المعماري لقبة المهدي (شكل ١)

ينقسم وصف قبة المهدي إلى قسمين أحدهما وهو المغطى بقبة والمعروف ببيت الصلاة والآخر المكشوف والمعروف بالفناء والملحقات:

ثانيا: بيت الصلاة

الوصف من الخارج (لوحة ١)

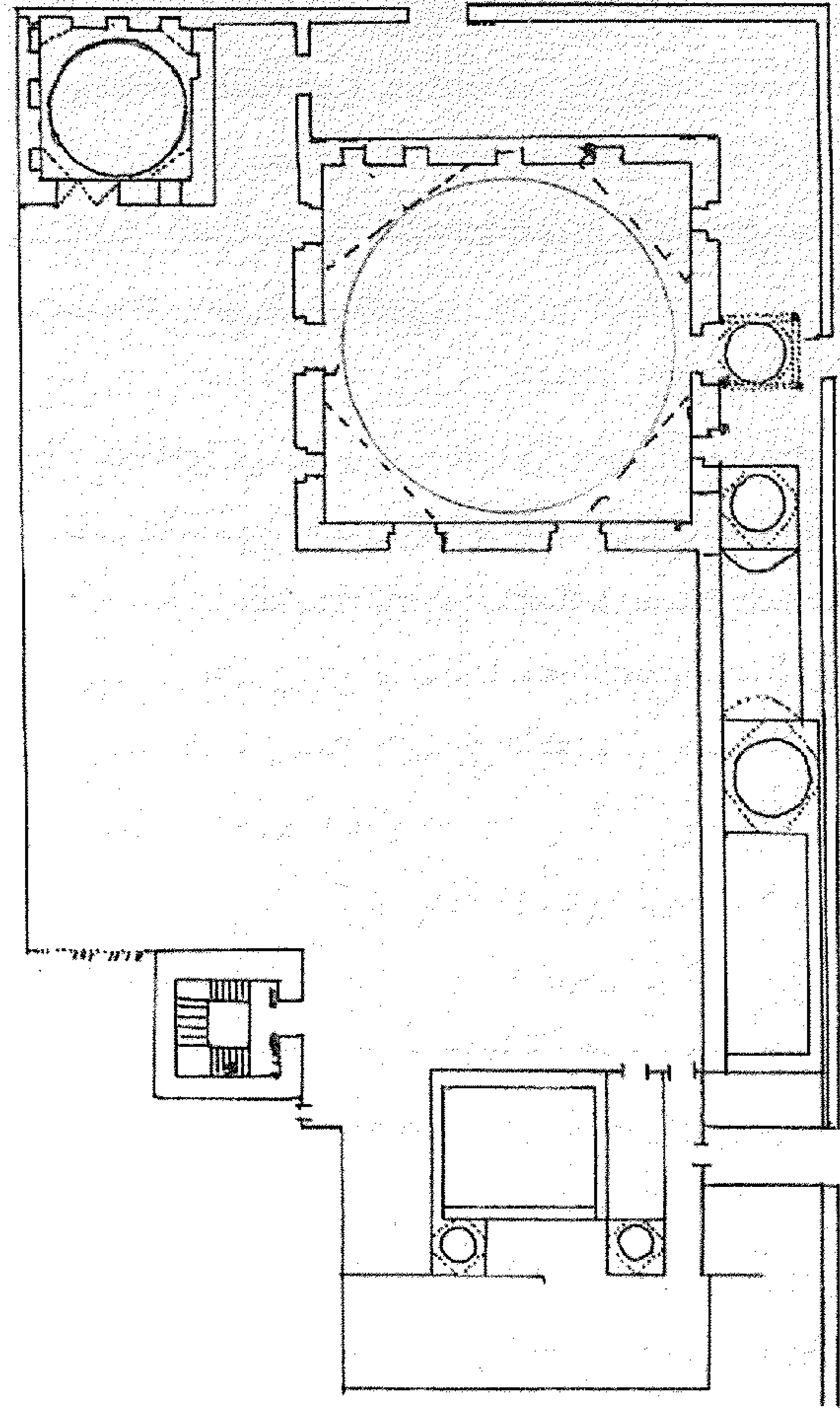
بيت الصلاة عبارة عن بناء مربع الشكل تقريباً يبلغ طول ضلعه من الخارج ١٤,٣٠ م تفتح في جدرانه خمسة مداخل وهي على النحو التالي:

الجدار الجنوبي

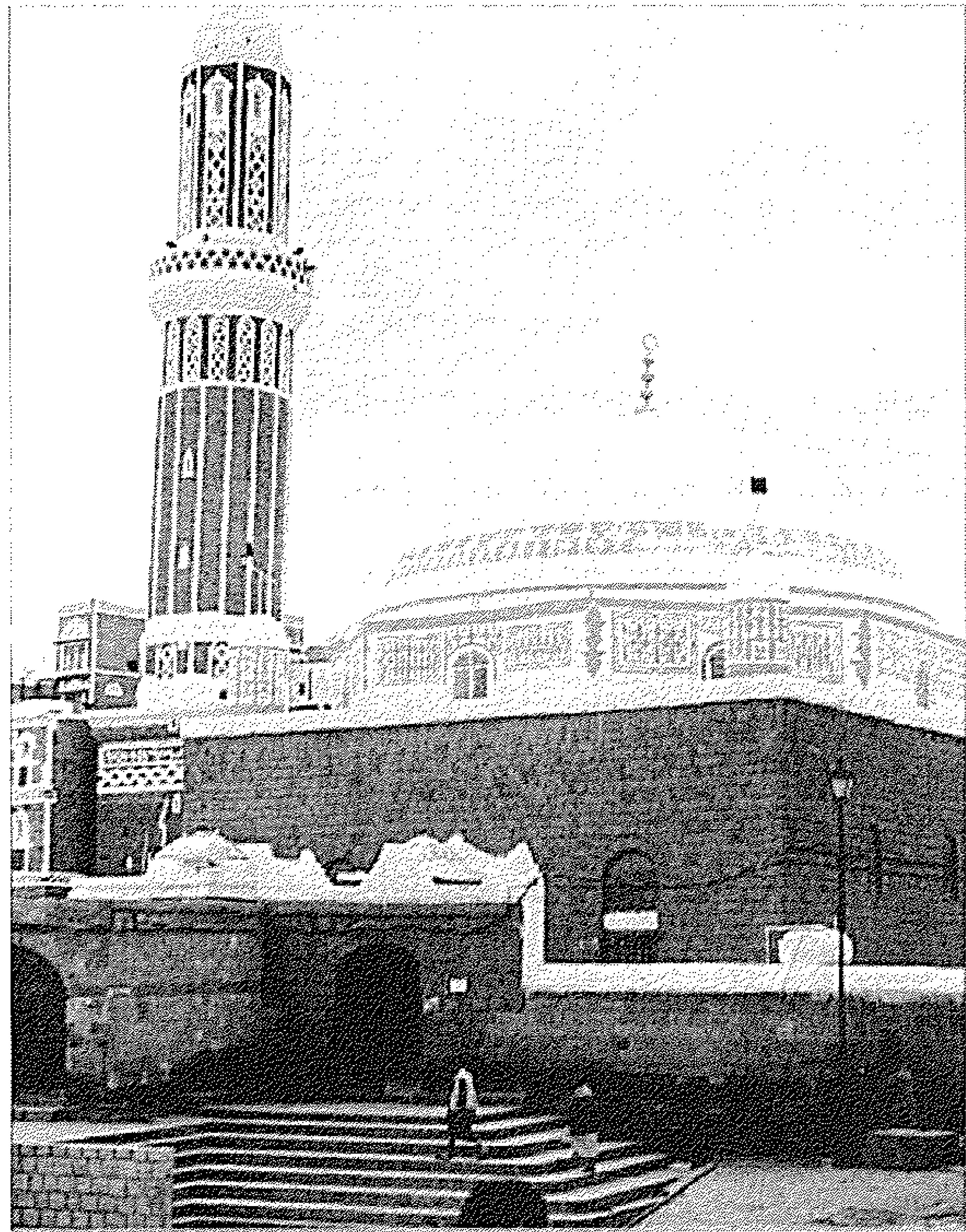
يفتح فيه مدخلان عرض كل منهما ٢م وارتفاعه ٣م بنى كل منهما داخل حجر يتكون من عقد نصف دائري يرتد إلى الداخل ليكون عقداً آخر، يفتحان إلى الصحن (لوحة ٢) ويغلق على كل منهما باب يتكون من مصراعين من الخشب، طعم بالمسامير المكوبجة على شكل صفوف رأسية وأفقية.

الجدار الشرقي

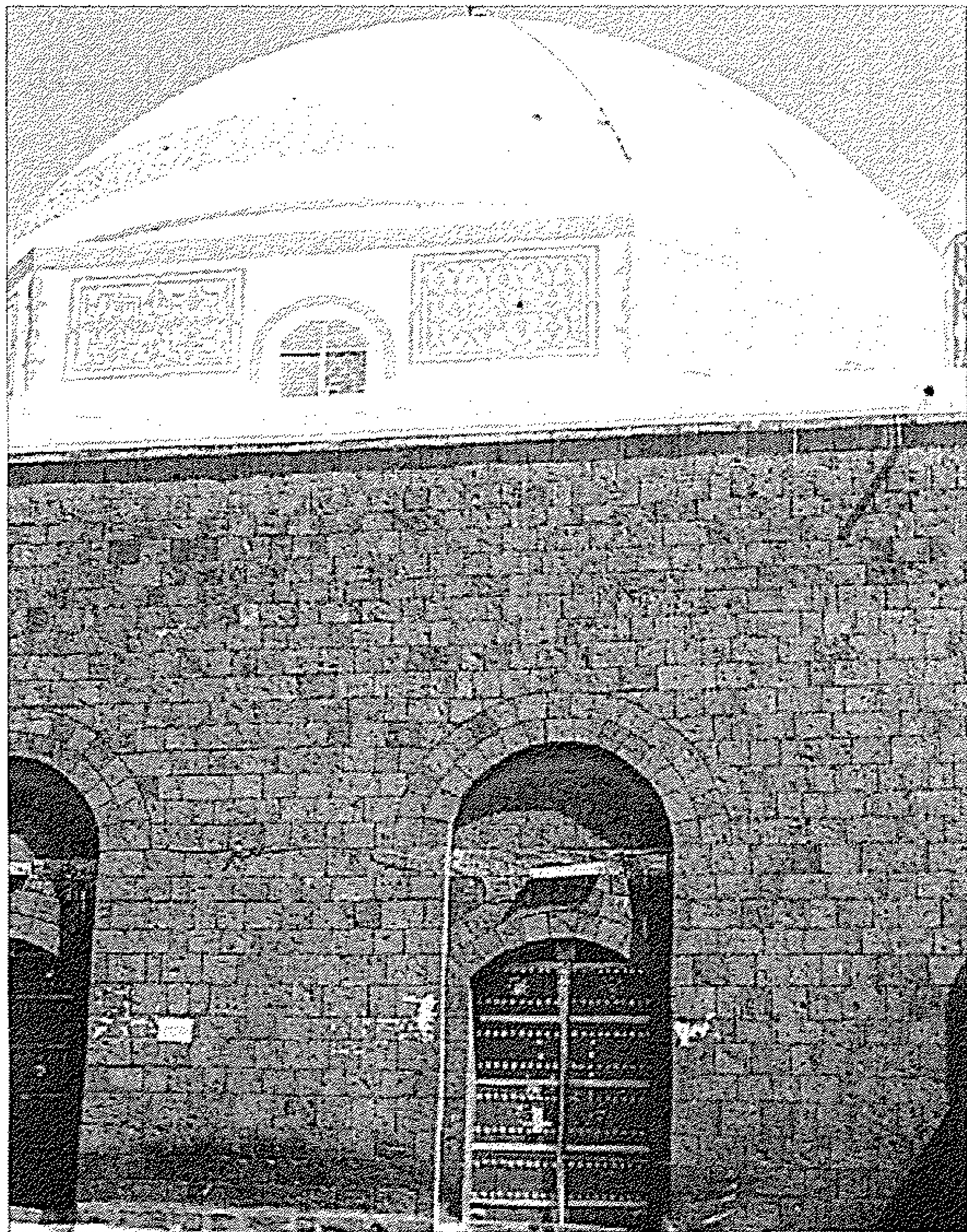
فتح فيه مدخلان أحداهما يحتل الزاوية الجنوبية الشرقية ويفضي إلى المطاهير أما المدخل الثاني فيقع في منتصف الجدار الشرقي وهو غرة القبة ومدخلها الرئيسي حيث يتقدمه سقيفة مقبية (لوحة ٣) يصعد إليها بواسطة ثلاث درجات وهي عبارة عن جوسق يفتح في جهاتها الأربع بعقود نصف دائرية أقيمت على كتفين من الخارج وعمودين ملتصقين بجدار القبة كونت تلك الأعمدة



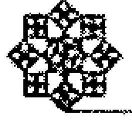
شكل ١. يوضح تخطيط قبة المهدي. من عمل الباحث



لوحة ١. منظر عام لقبة المهدى عباس يظهر فيها المدخل الشرقى.



لوحة ٢. أحد مداخل بيت الصلاة فى الجهة الجنوبية للقبة.




لوحة ٣. توضح مدخل بيت الصلاة الشرقي وجزء من السقيفة.

والأكتاف مربعاً عرضه ٢,٢٠ م أقيم عليه عقود نصف دائرية حولت إلى مثمن بواسطة المثلثات الكروية ومنها حولت إلى دائرة شكلت منطقة انتقال رقبة القبة التي أقيم فوقها قبة نصف كروية وهي خالية من ضروب الزخرفة. ويغلق على هذا المدخل باب خشبي مكون من مصراعين، زين بدنها بزخارف هندسية قوامها أشكال معينات ودوائر نفذت بواسطة المسامير المكوبجة.

الجدار الغربي

يفتح فيه مدخل يتشابه مع المدخل السابق من حيث التكوين والزخرفة، والذي يتكون من حجر يرتد قليلاً ويغلق عليه باب خشبي.

النوافذ

يفتح في بيت الصلاة أربع نوافذ اثنان في الجدار الشرقي وآخران في الجدار الغربي وهذه النوافذ تتشابه مع بعضها حيث يبلغ عرض كل منها ١,٣٠م وارتفاعها ١,٥٠م يغلق على كل منها باب خشبي يتكون من ضلفتين مزينتين بزخرفة هندسية نفذت بالمسامير المكوبجة اتخذت الزخرفة أشكالاً هندسية كما يتقدم هذه الأبواب الخشبية مصبعات حديدية.

جدران بيت الصلاة

نفذ بناء جدران بيت الصلاة من الحجر (حجر الحبش - البازلت) وبعدد من المداميك يصل إلى ٣١ مدماكاً تم بناؤها بإحكام بالغ ودقة متناهية بحيث وصل ارتفاع مربع القبة إلى سبعة أمتار شكلت مكعباً احتلت أركانه زخرفة الباباوات المقبية، أقيم فوق مربع المكعب قبة نصف كروية شاهقة الارتفاع شوهدت لها نواصي منطقة الانتقال من الخارج حيث يظهر مثمن القبة وقد زين بالزخارف النباتية والهندسية والمطلية بالأصباغ الحديثة يفتح في كل ضلع منه نافذة معقودة بعقد نصف دائري غشيت بالستائر الجصية ويصل ارتفاع ناصية الانتقال إلى ٢,٥م ترتكز عليها القبة التي اتخذت الشكل النصف كروي انتهت من الأعلى بشكل جوزات ثلاث.

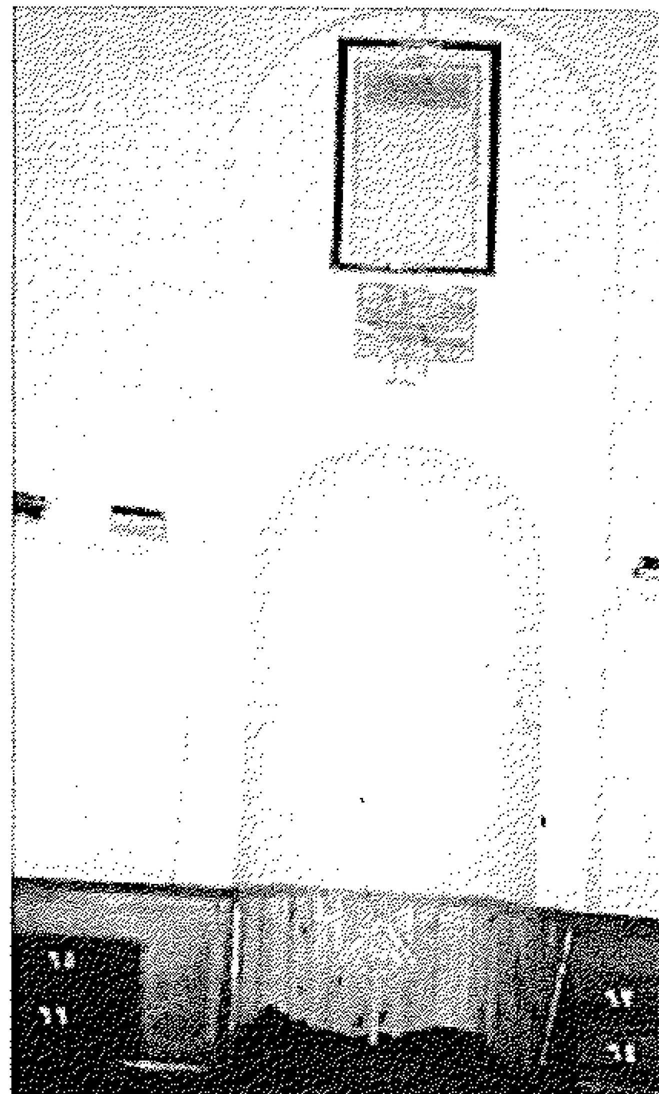
الوصف من الداخل

يتم الدخول إلى بيت الصلاة من أحد المداخل السالفة الذكر حيث يفضي إلى قاعة مربعة الشكل طول ضلعها ١٣م يتصدر جدارها الشمالي المحراب.

المحراب

عبارة عن حنية مجوفة عمقها ٩٠سم وعرضها ٩٥سم وارتفاعها ٢م يتوجها طاقية مقبية يتصدرها عقد مدبب، والمحراب خال من أي ضرب من ضروب الزخرفة. (لوحة ٤)

هذا ويفتح في جدار القبلة خزانات ثلاثة إحداها على يمين المحراب اتخذت الشكل المستطيل عرضها ٩٠سم وارتفاعها ١م يغلق عليها باب خشبي مكون من ضلفتين، أما الجهة اليسرى للمحراب فتوجد خزانتان تشبهان السابقة إضافة إلى ذلك يوجد منبر حديث عمل من الخشب.


لوحة ٤. توضح شكل المحراب في قبة المهدي.

الجدار الشرقي

يتوسط الجدار الشرقي مدخل يغلق عليه باب خشبي مكون من مصراعين زينا بالزخارف النباتية والهندسية تكتنفه من الجانبين نافذتان مستطيلتا الشكل يغلق على كل منهما باب خشبي مكون من ضلفتين، كما يفتح مدخل آخر يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية يفضي إلى المطاهير، هذا ويناظر الجدار الشرقي الجدار الغربي بما يحتويه من أبواب ونوافذ والتي تتشابه مع بعضها، أما الجدار الجنوبي فيفتح فيه مدخلان يغلق على كل منهما باب خشبي يتكون من مصراعين.

وتغطي بيت الصلاة قبة شاهقة الارتفاع اتخذت شكل نصف كرة خالية من ضروب الزخرفة (لوحة ٥) أقيمت هذه القبة على حنايا ركنية حولت مربع القبة إلى مثمن، ثم حول المثمن إلى دائرة شكلت رقبة القبة فتح فيها ثمان نوافذ مغطاة بالزجاج، يتدلى منها سلاسل حديدية، ولقد تضاربت آراء مؤرخي الفنون الإسلامية في الموطن الأول لابتكار هذا النوع من مناطق الانتقال وأي من مواطن الحضارات كان لها قدم السبق في ابتكارها.

وهذه القبة تتشابه من حيث تكوينها المعماري مع قباب صنعاء في فترة الوجود العثماني كالقبة البكيرية وقبة طلحة.[٢٠]

ثالثا: الفناء المكشوف (الصحن)

يدور حول بيت الصلاة من كل جانب عدا الزاوية الجنوبية الشرقية حيث تتصل جدران المطاهير القديمة بجدار القبة مما منع اتصال الفناء ببعضه من جميع الجهات.

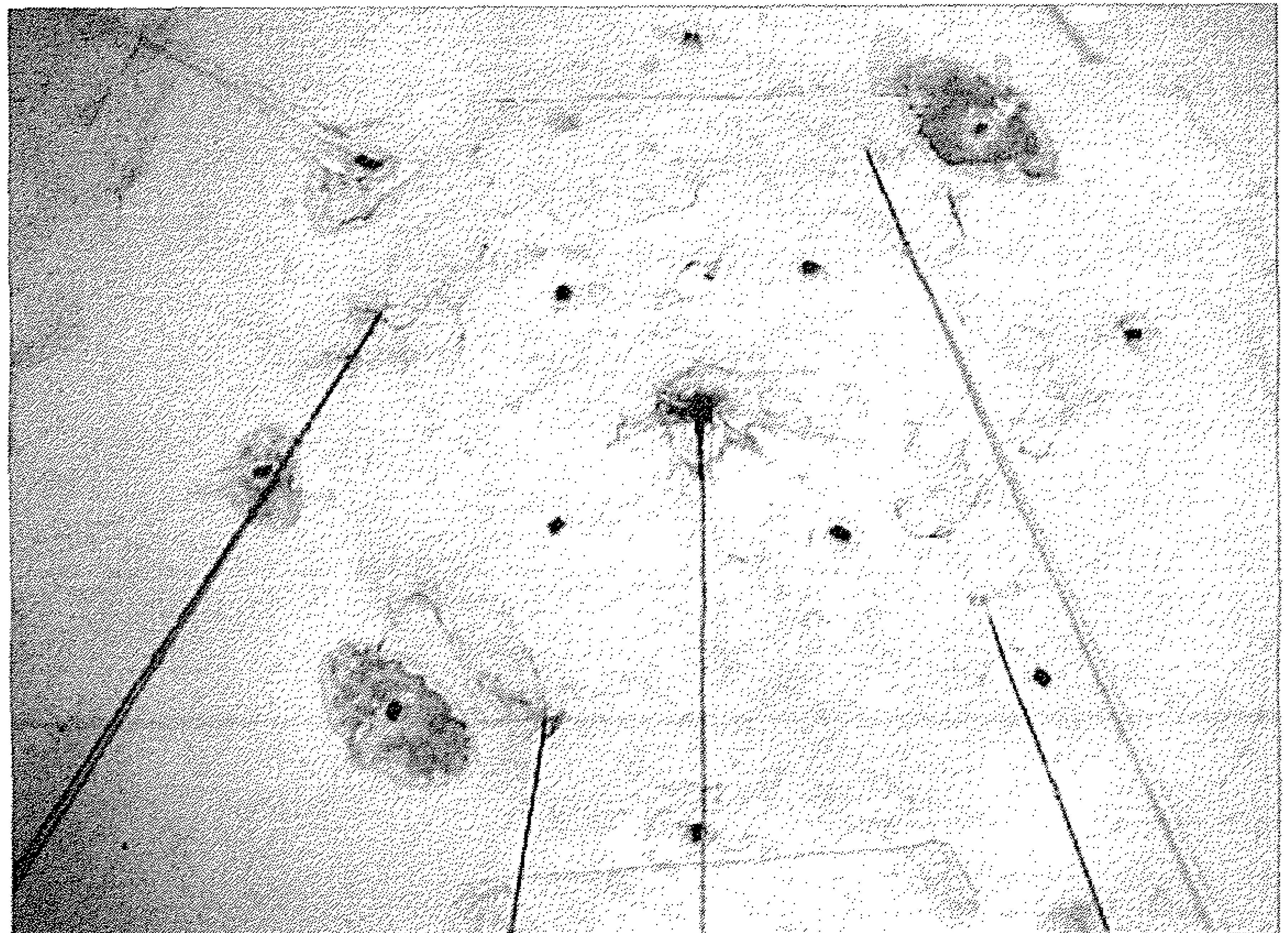
هذا وقد كسيت أرضية الفناء ببلاطات حجرية نفذت من حجر الحبش، ويعد الفناء الجنوبي فناء القبة الرئيسي، وهو مستطيل الشكل طوله ١٨,٣٠ وعرضه ١٥,٥٥م وإلى الجنوب منه تقع بركة ماء خلفها تقع المغاطس وهي غير مستعملة حالياً كما تقع المئذنة إلى الجهة الجنوبية الغربية من الفناء ويتم الوصول إلى هذا الفناء عن طريق بيت الصلاة أو من خلال المدخل الموجود في الجدار الشرقي خلف المطاهير وهو ممر مقبي ويحد الفناء من الجهة الشرقية المطاهير والتي تطل عليه بواسطة الحنفيات للوضوء، أما الفناء الغربي فنجد أنه مستطيل طوله ٢٧,٣٥م وعرضه ١٠,٤٠م يقع في الجهة الشمالية منه ضريح المهدي عباس والذي سيأتي الحديث عنه، ويفصل بين الضريح وبيت الصلاة ممر عرضه ٢,٨٠م يفضي إليه عن طريق مدخل يقع في الركن الشمالي الغربي لبيت الصلاة والذي يصل ما بين الفناء الشمالي والغربي.

الفناء الشمالي

اتخذ الشكل المستطيل بطول ١٨م وعرض ٤,٥م يحيط به جدار من الجهة الشمالية فتح فيه مدخل يفضي إليه من الشارع كما يفتح مدخل آخر يصل ما بين الفناء الشمالي والغربي حيث يفصل بينهما جدار، ويوجد سبيل يقع في الزاوية الشمالية الغربية من الفناء.

الفناء الغربي

يحد هذا الفناء سور يصل ما بين السور الشمالي حتى يلتقي مع جدار المطاهير في الجهة الجنوبية الشرقية الواقعة في الجهة الشرقية، ويفتح في جداره الشرقي مدخل يطل على السائلة اتخذ الشكل المستطيل يعقد عليه عقد نصف دائري ويغلق عليه باب خشبي مكون من مصراعين زينا بالزخارف الهندسية التي نفذت بواسطة المسامير المكوبجة، يفضي هذا المدخل إلى الفناء الغربي أمام مدخل القبة الغربية مباشرة، هذا ويتم الوصول إلى هذا المدخل بواسطة سلم صاعد يتكون من سبع درجات.

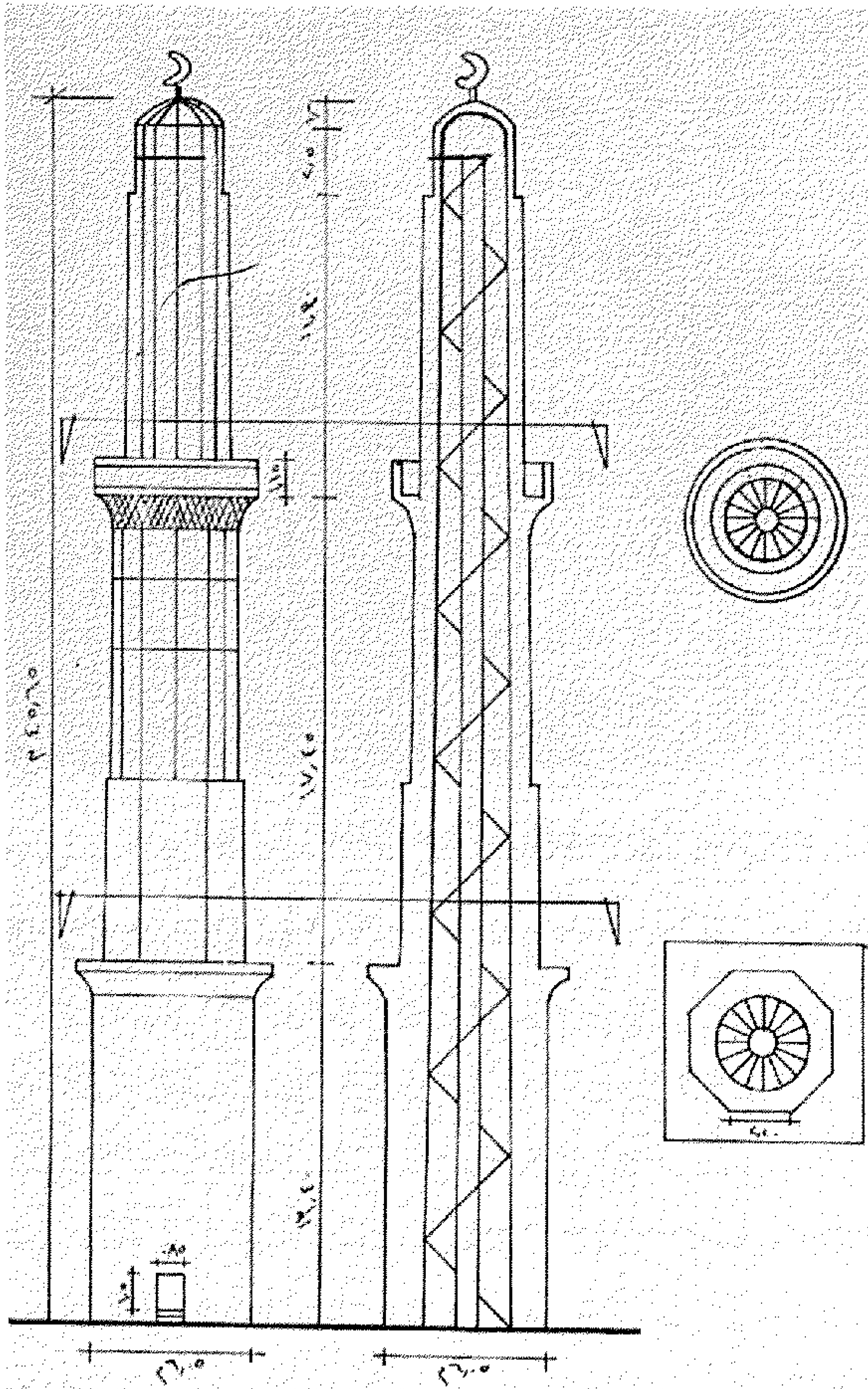


لوحة ٥. توضح سمت القبة.

المئذنة: شكل ٢

يعود تاريخ بناء المئذنة إلى نفس فترة بناء القبة أي سنة ١١٦٤هـ ١٧٥١م وهي تتشابه مع مئذنة القبة البكيرية[٢١] حيث تتشابه معها من حيث الشكل العام وهي تقع في الركن الجنوبي الغربي للقبة يفصل بينهما الفناء وتتكون من قاعدة مربعة طول ضلعها ٥,٢١م وارتفاعها ١١,٤٠م يصعد إليها بواسطة درجتين ارتفاع السفلي ٢٠سم والعليا ٣٥سم ويفتح فيها باب إلى الجهة الشرقية بأبعاد ٦٦ × ١,٣٨م، بني قسمها السفلي من الحجر وزينت أضلاعها بحنايا ذات عقود نصف دائرية، أما القسم العلوي فقد بني من الأجر وزين بشريط من الزخرفة المجدولة يعلوه شريط كتابي عبارة عن البسملة وسورة الإخلاص يعلوه صف من زخرفة التسنين وتنتهي القاعدة ببروز منشوري، هذا ويقوم على القاعدة بدن قسم إلى قسمين الأدنى مثمن الأضلاع فتح في أحد أضلاعه مدخل، بينما بقية الأضلاع فقد زينت بوحدات زخرفية معينيه تنتهي من الأعلى بصف من زخرفة التسنين، أما القسم الأعلى فهو بدن شاهق الارتفاع ذو ستة عشر ضلعاً زينت جوانبه بحنايا معقودة كما يتخلل البدن نوافذ للإضاءة والتهوية ويرتفع هذا البدن نحو ١٦,٢٠م تقوم عليه شرفة تستند على ٩ حطات من المقرنصات المثلثة زينت بزخرفة المعينات يليها جوسق مثمن الأضلاع ارتفاعه ١١,٢٥م يفتح فيه باب المؤذن وزينت بقية أضلاعه بحنايا معقودة، هذا ويتوج المئذنة من الأعلى قبة مضلعة الشكل زينت من الأعلى بميل معدني يتكون من ثلاث جوزات تنتهي في الأعلى بحلقة معدنية، وتعد هذه المئذنة من أنماط المآذن الصنعانية،[٢٢] هذا ويصل ارتفاع المئذنة إلى ٣٨,٨٠م. (لوحة ١)

وللمئذنة قطب في الوسط يبدأ من الأرض مع القاعدة يدور حوله سلم صاعد بني من الآجر فوق روابط خشبية تصل ما بين القطب والجدار حيث بلغ عدد درجات السلم ١٤٨ درجة.



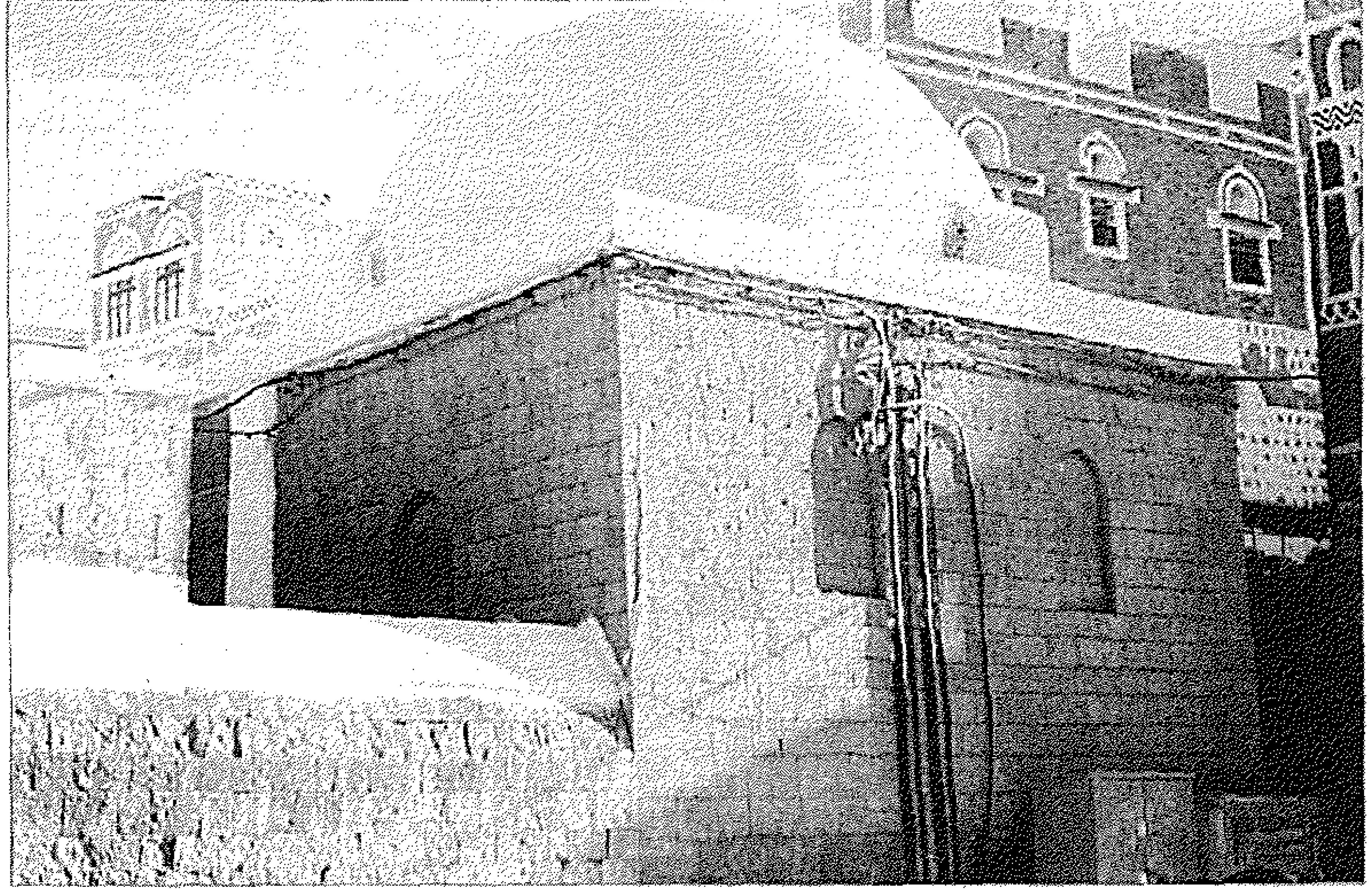
شكل ٢. مئذنة قبة المهدي عباس عن مآذن مدينة صنعاء، ١٤٢.

رابعا: الضريح

يقع ضريح المهدي عباس في الركن الشمالي الغربي عند إلتقاء الفناء الشمالي بالغربي، وهو على النحو التالي:

الوصف من الخارج

عبارة عن بناء مربع الشكل طول ضلعه ٦,٨٠م يطل بواجهته الأمامية على فناء المسجد الغربي كما يطل من الخارج على الشارع مباشرة بحيث يسير جدار الفناء الشمالي مع جدار الضريح ويفتح في جداره الجنوبي مدخل عرضه ٢م وارتفاعه ٢,٥م يغلق عليه باب خشبي مكون من مصراعين يشبه أبواب بيت الصلاة، وتفتح في الجهة الشرقية نافذة مستطيلة الشكل عرضها ٩٠سم وارتفاعها ١م يغلق عليها باب خشبي يتكون من ضلفتين تتقدمه مصبعات حديدية هذا وتعلو النافذة والمدخل حنايا مصمتة ذات عقود نصف دائرية، إضافة إلى ذلك فقد كان يفتح في جدار الضريح الشرقي مدخل سد بالأحجار وتعلوه حنية مصمتة تتماثل مع الحنيتين اللتان تعلوان الباب والنافذة وتقوم فوق جدران الضريح قبة اتخذت الشكل نصف الكروي أقيمت على ناصية منطقة الانتقال والتي تظهر من الخارج على شكل مثمن هذا وقد نفذ بناء جدران الضريح من حجر الحبش (البازلت) حتى نهاية مربع القبة ثم عمد البناء بإكمال البناء بالأجر المغطى بطبقة من الجص. (لوحة ٦)



لوحة ٦. منظر عام لضريح المهدي.

الوصف من الداخل

يتم الولوج إلى داخل الضريح عن طريق مدخله الواقع في الجدار الغربي حيث يفضي إلى قاعة مربعة الشكل طول ضلعها ٥,٤٠م يتصدر جدارها الشمالي محراب وهو عبارة عن حنية عرضها ٧٠سم وعمقها ٥٠سم تتوجها طاقية ويعقد عليها عقد نصف دائري وهو خال من الزخارف، تكتنفه من الجانبين خزانة مستطيلة الشكل.

أما جدار الضريح الغربي فتفتح به ثلاث خزانات وفي الجدار الشرقي خزانة وباب منسد والجدار الجنوبي يفتح فيه المدخل ونافذة، يعلو القاعة المربعة منطقة الانتقال وهي عبارة عن حنايا ركنية عملت على تحويل المربع إلى مثمن ثم إلى دائرة أقيمت عليها قبة نصف كروية وهي خالية من أي ضروب للزخرفة.

خامسا: التابوت

يحتل التابوت الزاوية الجنوبية الشرقية من قاعة الضريح وأخذ الشكل المستطيل المكون من أربعة طوابق (لوحة ٧) على النحو التالي:

الطابق الأول

اتخذ الشكل المستطيل زينت واجهاته الأربع بالزخارف الكتابية والنباتية والهندسية نفذت بالحفر البارز داخل خراطيش (حشوات خشبية) وذلك على النحو التالي:

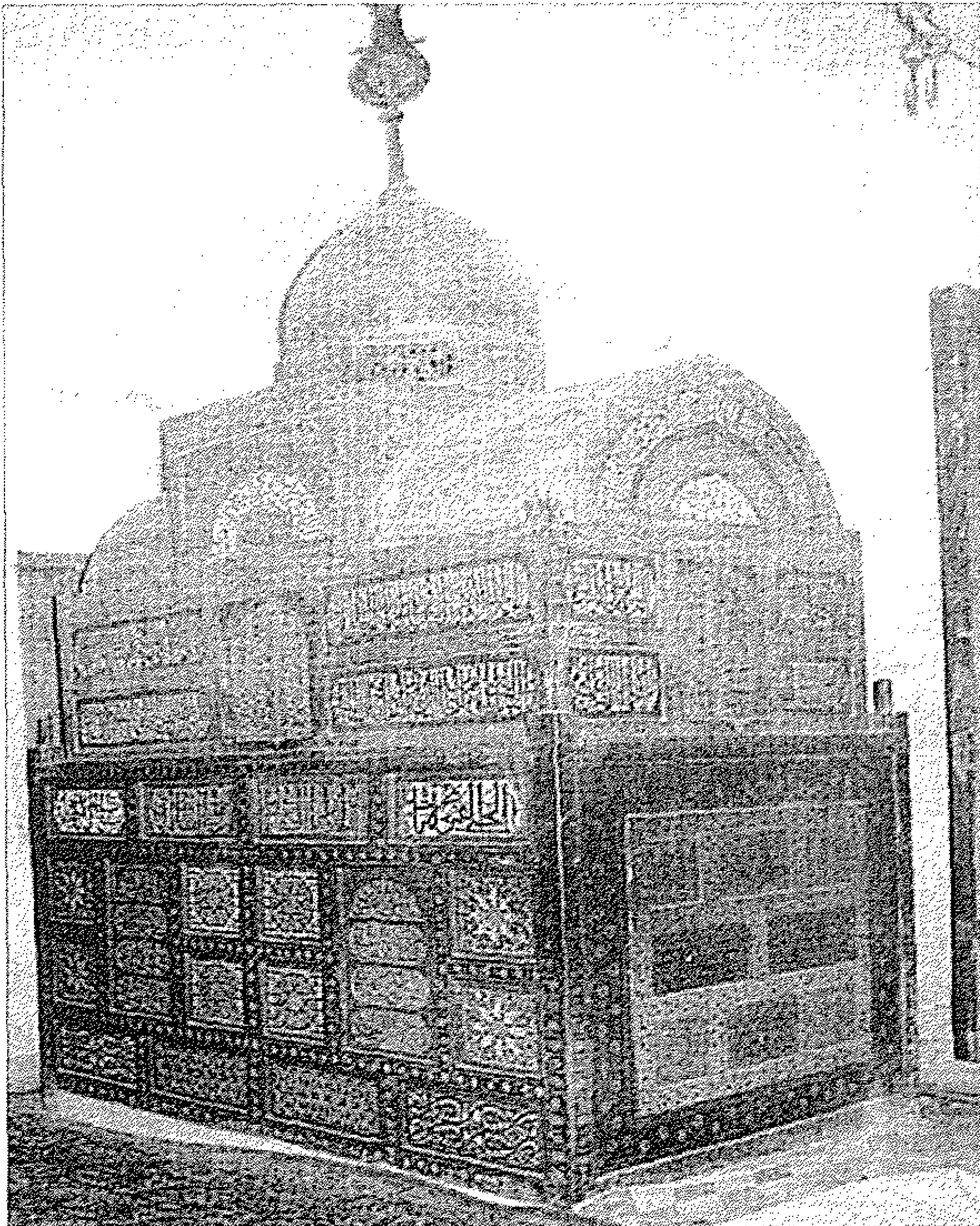
الزخارف الكتابية

نفذت الزخارف الكتابية بهذا المستوى بالحفر البارز وبالخط النسخي داخل خراطيش مستطيلة الشكل زينت حوافها بزخارف اتخذت أشكال عقود مسننة. ولسهولة دراسة جوانب التابوت يمكن تقسيم واجهاته بالشكل التالي:

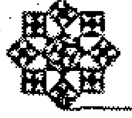
الواجهة الشمالية

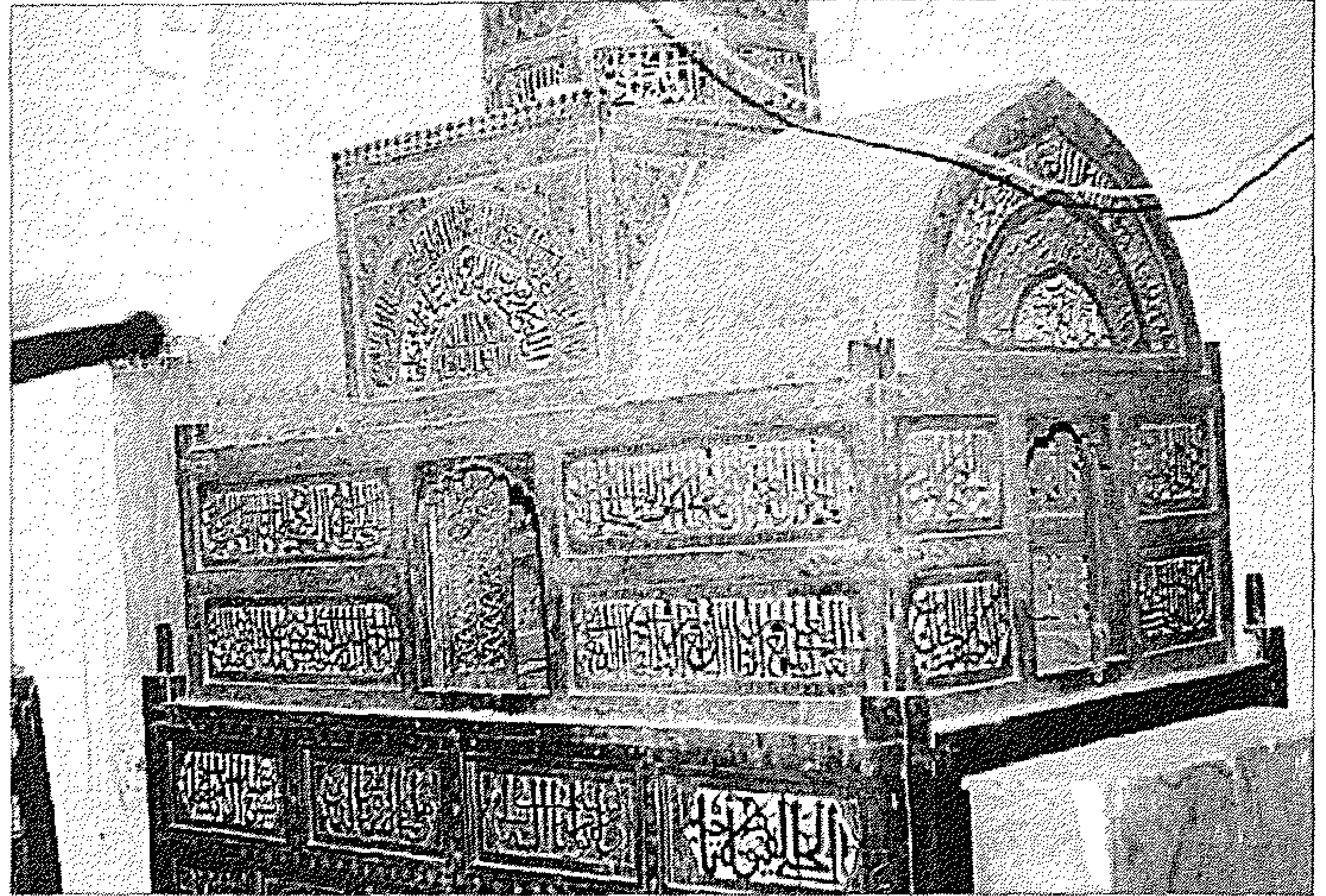
قسمت هذه الواجهة إلى حشوات خشبية مستطيلة ومربعة وبعضها اتخذ شكل نصف الدائرة بحيث قسمت الواجهة إلى أربعة صفوف من الحشوات زينت حشوات الصف السفلي بالزخرفة العربية المورقة وقوامها عبارة عن فروع نباتية تدور وتلتقي مكونة أشكالاً بيضية بداخلها زخرفة نباتية قوامها أوراق ثلاثية وخماسية إلى جانب الأوراق النصلية والثنائية. (لوحة ٨)، أما الأعلى فقد زين بالزخارف الكتابية المؤطرة بأشكال عقود مسننة نفذت كتاباتها بالخط النسخي وبالحفر البارز نصها:

١ - الحي القيوم لا تأخذه
٢ - سنة ولا نوم له ما في السموات



لوحة ٧. منظر عام لتابوت المهدي.





لوحة ٨. توضح الجزء العلوى من التابوت.

٣- وما في الأرض من ذا الذي

٤- يشفع عنده إلا بإذنه يعلم، أما الوسط فهو يتكون من أربع حشوات مربعة الشكل بواقع حشوتين من كل جانب تتشابه هذه الحشوات مع بعضها في الزخرفة بحيث زينت في منتصفها بزخرفة على هيئة وردة سداسية البتلات تحيط بها وردة أخرى ثمانية البتلات تخرج من كل بتلة ورقة خماسية الفصوص. تلي هذه الحشوات حشوتان مستطيلتان قسمت كل حشوة إلى أربعة أشرطة كتابية أطرت بعقود مسننة عملت في الأعلى كوشتين للعقد وقوام كتابات تلك الأشرطة في الحشوة التي على اليمين هي:

تتكون هذه الحشوة من أربعة أشرطة كتابية نصها:

١ - المؤمنين الإمام المنصور

٢- بالله رب العالمين الحسين ابن

٣- أمير المؤمنين الإمام المتوكل على

٤- الله القاسم ابن الحسين ابن

أما الحشوة التي على اليسار فنصها:

١ - أمير المؤمنين الإمام المهدي

٢- لدين الله أحمد ابن الحسين ابن أمير

٣- المؤمنين الإمام القاسم ابن محمد

٤ـ ابن علي ابن الرشيد ابن أحمد ابن الحسين.

ويتوسط هذا القسم أربع حشوات مربعة الشكل زينت بزخرفة هندسية قوامها الطبق النجمي والذي زين ترسة بزخرفة وريدة ثمانية البتلات، تتميز هذه الحشوات بتغطيتها بالألوان منها الذهبي المحاط بالألوان الأبيض والأحمر على خلفية بنية غامقة.

هذا وقد عمد الفنان إلى تزيين الأشرطة التي تفصل بين الحشوات بزخارف عربية مورقة يلاحظ فيها أشكال الوريدات وبعض الأوراق النباتية.

الواجهة الغربية

قسمت هذه الواجهة إلى ثلاثة أقسام الأسفل والأعلى مكون من ثلاث حشوات الوسطى منها مستطيلة الشكل أما الجانبيتان فمربعتا الشكل تتشابه زخارف الحشوات المستطيلة مع بعضها وقد زينت بالزخارف النباتية ذات اللون الذهبي على أرضية زرقاء قوامها زهرة القرنفل المليئة بالثقوب، أما زخارف الحشوات المربعة فتتوسطها وردة ثمانية البتلات تدور حولها أوراق نباتية تتجه أربع منها إلى زوايا الحشوة وهي تمثل زهرة شقائق النعمان، كما تدور حول تلك الحشوات أشرطة أفقية وعمودية زينت بزخارف نباتية قوامها زهرة القرنفل.

الواجهة الجنوبية

قسمت هذه الواجهة إلى خمسة صفوف في كل صف أربع حشوات الأعلى منها زينت بالكتابات والتي من المتعذر قراءتها وربما تكون البسملة وبداية آية الكرسي ونهايتها بحيث أنها تبدأ من الجهة الشرقية، على النحو التالي:

١ - مابين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من

٢- علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات

٣- والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم

٤ - بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحي القيوم.

أما حشوات الصفوف الثلاثة الأخرى فزينت بالزخارف النباتية إضافة إلى تلك الأشرطة التي تفصل بينها.

الواجهة الشرقية

تتماثل مع الواجهة الغربية من حيث زخارفها وتقسيمها إلى حشوات مرتبة على ثلاثة صفوف زينت بالزخارف النباتية، وينتهي هذا الطابق بزوائد ربما كانت تحمل رمامين مشابهة للرمامين التي تزين التوابيت في كل من تابوت يحي بن حمزة بذمار وأحمد بن الحسين بذيبين غيره.

الطابق الثاني

يرتد قليلاً إلى الداخل عن الطابق الأول بنحو ٦سم شكلت جوانبه الأربعة مستطيلاً قسم كل منها إلى خمس حشوات منها أربع مستطيلة أفقية وواحدة في الوسط عمودية، وقد شغل هذه الحشوات الأفقية شريطان كتابيان نص كتاباتها أسماء الله الحسنى تبدأ من الجهة الشرقية بقوله تعالى 'ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها' ثم سرد للأسماء على النحو التالي 'هو الله ١ الذي لا إله إلا هو الرحمن ٢ الرحيم ٣ الملك ٤ القدوس ٥ السلام ٦ المؤمن ٧ المهيمن ٨ العزيز ٩ الجبار ١٠ المتكبر ١١ الخالق ١٢ البارئ ١٣ المصور ١٤ الغفار ١٥ القهار ١٦ الوهاب ١٧ الرزاق ١٨ الفتاح ١٩ العليم ٢٠ القابض ٢١ الباسط ٢٢ الخافض ٢٣ الرافع ٢٤ المعز ٢٥ المذل ٢٦ السميع ٢٧ البصير ٢٨ الحكم ٢٩ العدل ٣٠ اللطيف ٣١ الخبير ٣٢ الحليم ٣٣ العظيم ٣٤ الغفور ٣٥ الشكور ٣٦ العلي ٣٧ الكبير ٣٨ الحفيظ ٣٩ المقيت ٤٠ الحسيب ٤١ الجليل ٤٢ الكريم ٤٣ الرقيب ٤٤ المجيب ٤٥ الواسع ٤٦ الحكيم ٤٧ الودود ٤٨ المجيد ٤٩ الباعث ٥٠ الشهيد ٥١ الحق ٥٢ الوكيل ٥٣ القوي ٥٤ المتين ٥٥ الولي ٥٦ الحميد ٥٧ المحصي ٥٨ المبدئ ٥٩ المعيد ٦٠ المحيي ٦١ المميت ٦٢ الحي ٦٣ القيوم ٦٤ الواجد ٦٥ الماجد ٦٦ الواحد ٦٧ الأحد ٦٨ الصمد ٦٩ القادر ٧٠ المقتدر ٧١ المقدم ٧٢ المؤخر ٧٣ الأول ٧٤ الآخر ٧٥ الظاهر ٧٦ الباطن ٧٧ الوالي ٧٨ المتعال ٧٩ البر ٨٠ التواب ٨١ المنتقم ٨٢ العفو ٨٣ الرؤوف ٨٤ مالك الملك ٨٥ الجامع ٨٦ الغني ٨٧ المغني ٨٨ المعطي ٨٩ المانع ٩٠ الضار ٩١ النافع ٩٢ النور ٩٣ الهادي ٩٤ البديع ٩٥ الباقي ٩٦ الوارث ٩٧ الرشيد ٩٨ الصبور ٩٩ الذي ليس كمثله شئ وهو السميع العليم صدق الله العظيم' إلى أن ينتهي في الشريط الأسفل من الجهة الشمالية بقوله الوارث الصبور الذي ليس كمثله شئ وهو السميع العليم صدق الله العظيم' أما الحشوات العمودية فتتوزع واحدة في كل جانب وقد زينت بالزخرفة النباتية العربية المورقة، وتؤطر تلك الحشوات أشرطة زخرفية قوامها وريدات. هذا وتفصل بين تلك الحشوات أشرطة أفقية وعمودية زينت بجامات متتالية.

الطابق الثالث

وهو عبارة عن جمالون بطول التابوت (لوحة ٨) زينت واجهاته الشرقية والغربية بأشرطة كتابية اتخذت أشكال العقود المدببة عددها ثلاثة زينت واجهات تلك العقود بكتابات قوامها. في واجهة العقد الأعلى تعذر قراءتها وما قرىء منها فهو عبارة 'لإله إلا الله' تكررت مرتين أما في واجهة العقد الأوسط فنص على قوله تعالى ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون﴾.

أما الشريط الأسفل فنص على قوله تعالى ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة﴾ أما واجهة الجمالون الشرقي فقد تعذر قراءتها لقربها من الجدار وعدم وجود مسافة تسمح بمشاهدة تلك الكتابات، كما زين ظهر الجمالون بالزخارف النباتية المرسومة بالألوان المائية منها الذهبي والأزرق والبني والتي اتخذت على شكل أشرطة متقاطعة كونت أشكال معينات حصرت بداخلها زخرفة وريدات، ويقطع الجمالون مستطيل من الشمال إلى الجنوب زينت واجهته الشمالية والجنوبية بزخارف كتابية اتخذت أشكال عقود مدببة حصرت مع المستطيل كوشات زينت بزخارف نباتية مرسومة قوامها أشكال لوزات بداخلها زخرفة نباتية مورقة، أما العقود فقد زينت واجهاتها بالزخارف الكتابية نصها في العقد الأعلى 'لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله فاطمة أمة الله الحسن والحسين سبطا رسول الله صلوات الله عليهم 'أما كتابات العقد الأوسط فينص على ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ وكتابات العقد الأسفل فينص على 'إنما الأعمال بالنيات' هذا ويؤطر كتلة المستطيل شريط من الزخرفة النباتية تشبه سابقتها من الأشرطة.

أما الواجهة الجنوبية فقد تعذرت قراءتها بسبب قربها من الجدار.

الطابق الرابع

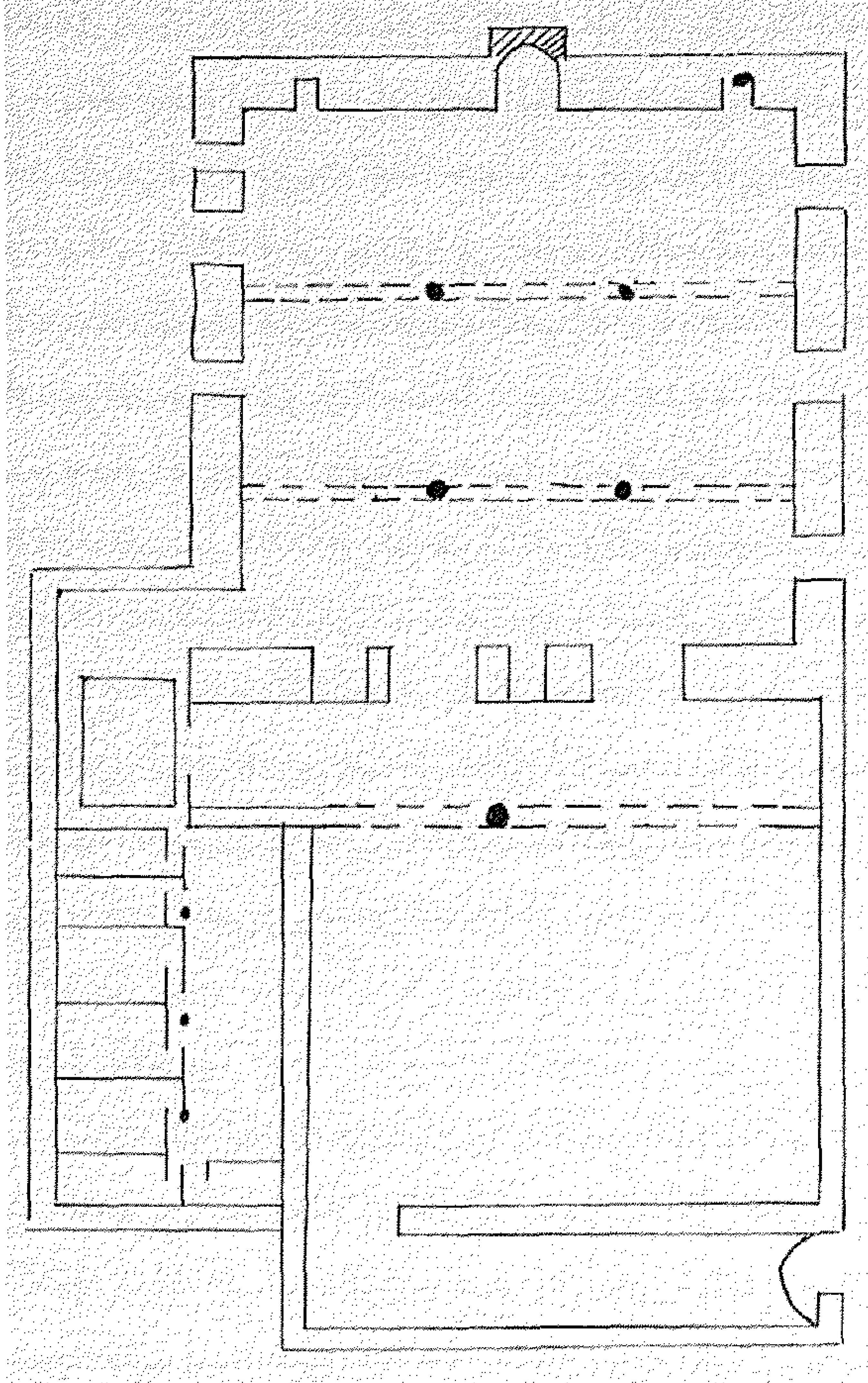
شكل هذا الطابق خوذة التابوت والتي اتخذت شكل قبة بصلية من النوع الذي انتشر في العراق وإيران وتركيا في العصر العثماني، زين بدن القبة بزخارف تتشابه مع زخارف بدن الجمالون، وقد أقيمت هذه القبة على مثمن يجلس فوق المستطيل الذي يقطع الجمالون وقد زين هذا المثمن بكتابات نفذت بالخط النسخي المفرغ نصها 'سورة الفاتحة وهو بذلك يتشابه مع تابوت يحي بن حمزة في ذمار وتابوت المنصور بالله الحسين بن القسم في مسجد الأبهر،

كما نجد أن الفنان قد زين نهاية التابوت بميل معدني على شكل علم زينت جوانبه بكتابات نصها 'الله ومحمد وعلي' نفذت على مهاد من الزخرفة النباتية، وتخرج من جوانبه أشكال طيور، هذا ويتوج العلم ما يشبه فم الإبريق الذي اتخذ شكل مصب الماء، وكثيراً ما نشاهد هذه الأعلام على التوابيت والمآذن والقباب إضافة إلى ذلك فإن هذا العلم يتشابه مع علم ابن علوان ويتشابه أيضا مع علم بيرق عادل المحفوظ في متحف طوباقاي باسطنبول.

ثانيا: مسجد التقوى (شكل ٣)

الموقع

يقع هذا المسجد في بستان السلطان غربي السائلة[٢٣] وغربي قبة المهدي السالفة الذكر ويتوصل إليه من عدة شوارع من باب السباح وشارع علي عبد المغني، ويطل المسجد على ساحة من جهته الشرقية والشمالية، لذا يحتل المسجد مكاناً متميزاً بموقعه ذلك.

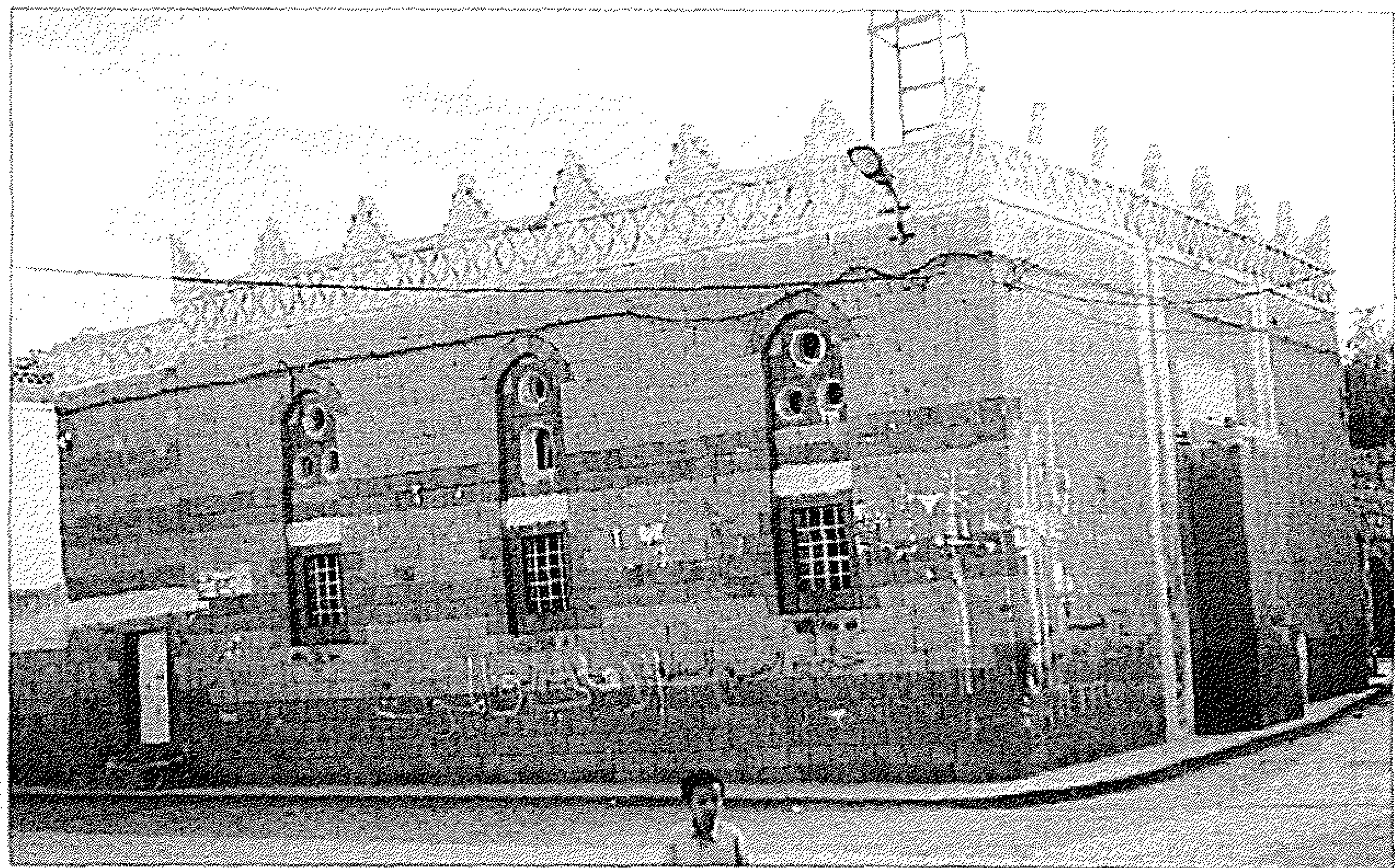


شكل ٣. يوضح تخطيط مسجد التقوى. عمل الباحث

وصف المسجد

الوصف من الخارج (لوحة ٩)

اتخذ المسجد الشكل المربع طول ضلعه ١٣م وبارتفاع يصل إلى ٧م بني من حجر الحبش (البازلت الأسود) والطفل الأبيض بعدد من المداميك يصل إلى ٢٦ مدماكاً وأكملت بقية الجدار بالأجر بارتفاع ٩٠سم غطيت بطبقة من الجص وزينت بزخرفة هندسية عبارة عن معينات ومثلثات جاءت نتيجة تقاطع أشرطة مع بعضها وقد عمد البناء إلى بناء المداميك السفلية من حجر الحبش لمقاومة هذا الحجر للرطوبة والأملاح وبعدد خمسة مداميك، أما بقية البناء الحجري فقد نفذ من حجر الطفل تتخلله أربعة مداميك من الحجر الأسود كل مدماكين مع بعضهما يفصل بينهما أربعة مداميك من حجر الطفل بحيث يبدو للناظر وكأن البناء نفذ بطريقة الأبلق.[٢٤]



لوحة ٩. منظر عام لمسجد التقوى.

الجدار الشرقي

تتخلل هذا الجدار نوافذ داخل جحور مستطيلة الشكل معقودة بعقد نصف دائري قسمت إلى قسمين السفلي منها اتخذ الشكل المستطيل عرضه ٩٠سم عليه مصبعات حديدية، أما القسم العلوي فقد زين بثلاث دوائر حجرية بحيث نحتت كل دائرة داخل حجرة واحدة عدا الوسطى فقد نحتت بها فتحتان العليا

اتخذت شكل دائرة والسفلي شكل اسطواني، كما يلاحظ في نهاية جدار المسجد من الجهة الشرقية مدخل مستطيل الشكل عرضه ١م وارتفاعه ٢م يعقد عليه عتب من الحجر، وقد كان هذا المدخل يؤدي إلى صحن المسجد، وعندما أضيفت السقيفة التي تتقدم بيت الصلاة من الجهة الجنوبية أصبح المدخل يؤدي إلى السقيفة التي سار جدارها الشرقي مع جدار المسجد الشرقي، كما عمد بناء السقيفة إلى عدم التقليد فقد نفذ بناءها من الحجر الأحمر والأبيض بمدماكان على طريقة البناء بالأبلق ثم يسير الجدار الشرقي بطول ٨م وارتفاع ١,٨٠م وهذا الجدار يشكل حائطاً لصحن المسجد ويقع في طرفه الجنوبي المدخل الحالي للمسجد وهو مدخل حديث يفضي إلى ممر مقبي تعلوه مساكن وفي نهاية هذا الممر يقع مدخل يفضي إلى صحن المسجد.

الجدار الجنوبي

من حيث تكوينه المعماري يتشابه مع الجدار الشرقي إلا أنه يفتح فيه مدخلان اتخذ كل منهما الشكل المستطيل المعقود بعقد نصف دائري وضع كل منهما داخل حجر بسيط قسم إلى قسمين الأسفل وتمثله فتحة المدخل بعقد نصف دائري عرضه ١٧٠سم وارتفاعه ٢٥٠سم يغلق عليه باب خشبي مكون من مصراعين، أما القسم الأعلى فهو عبارة عن حنية معقودة بعقد نصف دائري فتحت في باطنها نوافذ مستطيلة عددها ست منها خمس ذات عقد مدبب وواحدة اتخذت شكل دائرة، كونت هذه الفتحات شكلاً زخرفياً جميلاً نتج عن توزيع تلك الفتحات بحيث وزعت في الوسط نافذة مستطيلة يعلوها دائرة وتكتنفها من الجانبين نافذتان غشيت هذه النوافذ بالزجاج (لوحة ١٠)، وهي بذلك تتشابه مع نوافذ الجدار الشرقي كما يمكن مشاهدة هذا النوع من الزخرفة في كل من مسجدي النور والرضوان اللذين سيأتيان لاحقاً.

السقيفة

تتقدم بيت الصلاة سقيفة بنيت في فترة متأخرة وهي عبارة عن مستطيل طوله ١٠,٦٥م وعرضها ٢م تفتح على الصحن ببائكة تتكون من عمودين وكتفيين تحمل البائكة عقدين نصف دائرين، يفتح في جهتها الغربية مدخل يفضي إلى المطاهير.

الجدار الشمالي يتماثل مع الجدار الشرقي إلا أنه بني من حجر الطفل عدا المداميك السفلية المبنية من حجر الحبش، وتبرز كتلة المحراب عن سمك الجدار بنحو ٥٠سم، كما يكتنف المحراب من الجانبين ميزاب لتصريف المياه.

الجدار الغربي

نتيجة لوقوع المطاهير ملاصقة للجدار الغربي فقد تعذر معرفة صفته والتي من المحتمل أنه يتماثل مع بقية الجدران عدا فتحة المدخل التي تؤدي إلى المطاهير، هذا ويزين جداران المسجد من الأعلى شرفات مسننة عددها ست في كل جدار عدا التي تحتل الزوايا والتي اتخذت شكل حرف إل ويصل ارتفاع الشرفة ٧٠سم.



لوحة ١٠. تبين أجزاء من الجدار الجنوبى لمسجد التقوى يظهر فيها المدخل وجزء من السقيفة.

الصحن

يتقدم بيت الصلاة من الناحية الجنوبية وهو عبارة عن فناء مكشوف مستطيل الشكل طوله من الشرق إلى الغرب ١٠م وعرضه من الشمال إلى الجنوب ٧,٥م فرشت أرضيته بحجر الحبش، يطل عليه من الشرق حائط المسجد ومن الجنوب جدار يفصل بينه وبين الممر المقبي الموصل إلى المسجد من الخارج ومن الغرب جدار الحمامات الحديثة.

المطاهير

تقع مطاهير المسجد في الجهة الغربية من بيت الصلاة والصحن، ويفتح في جدرانها مدخلان أحدهما يفضي إليها من بيت الصلاة والآخر من السقيفة، وقد اتخذت هذه المطاهير الشكل المستطيل بطول ٥,٧م قسمت مساحته من الداخل إلى قسمين ممر لمرور الأشخاص وآخر عملت فيها المطاهير وذلك بواسطة بائكة تتكون من ثلاثة أعمدة اثنان منها مستديران وآخر مضلع يقع في الناحية الجنوبية وهو يشبه العمود المضلع في داخل بيت الصلاة، وتحمل هذه الأعمدة جسر قسم مساحة السقف إلى قسمين، وسقفت بعوارض خشبية غطيت بطبقة من الجص وقد اتخذت المطاهير أشكالاً عبارة عن مدخل منحني يمنع المارين من النظر إلى من في الداخل، ثم المغطس وهو عبارة عن حوض به ماء للاستحمام، إضافة إلى ذلك توجد للمسجد حمامات حديثة.

الوصف من الداخل

المسجد بوضعه الحالي عبارة عن بناء مربع الشكل طول ضلعه ١٠,٨٠م يتكون من ثلاثة أساكيب قسم بواسطة بائكتين من الأعمدة وثلاث بلاطات في كل بائكة عمودان وقد اتخذت هذه الأعمدة الشكل المستدير عدا العمود الواقع إلى الغرب من البائكة الثانية فهو مضلع بعدد ٣٢ ضلعا وهذا العمود يتشابه مع الأعمدة المضلعة في مسجد الجلاء[٢٥] والتي من المحتمل أنها جلبت من مبانٍ ترجع إلى فترة ما قبل الإسلام في مدينة صنعاء، وهذه الأعمدة تحمل تيجانا منشوريه الشكل ـ من أعمال الفنان في العصر الإسلامي إذ يعد هذا التاج من ابتكارات المعمار المسلم ـ ترتكز عليها عقود نصف دائرية تسير موازية لجدار القبلة، زينت واجهاتها بسلسلة من العقود المفصصة المرسومة من الجص.

المحراب

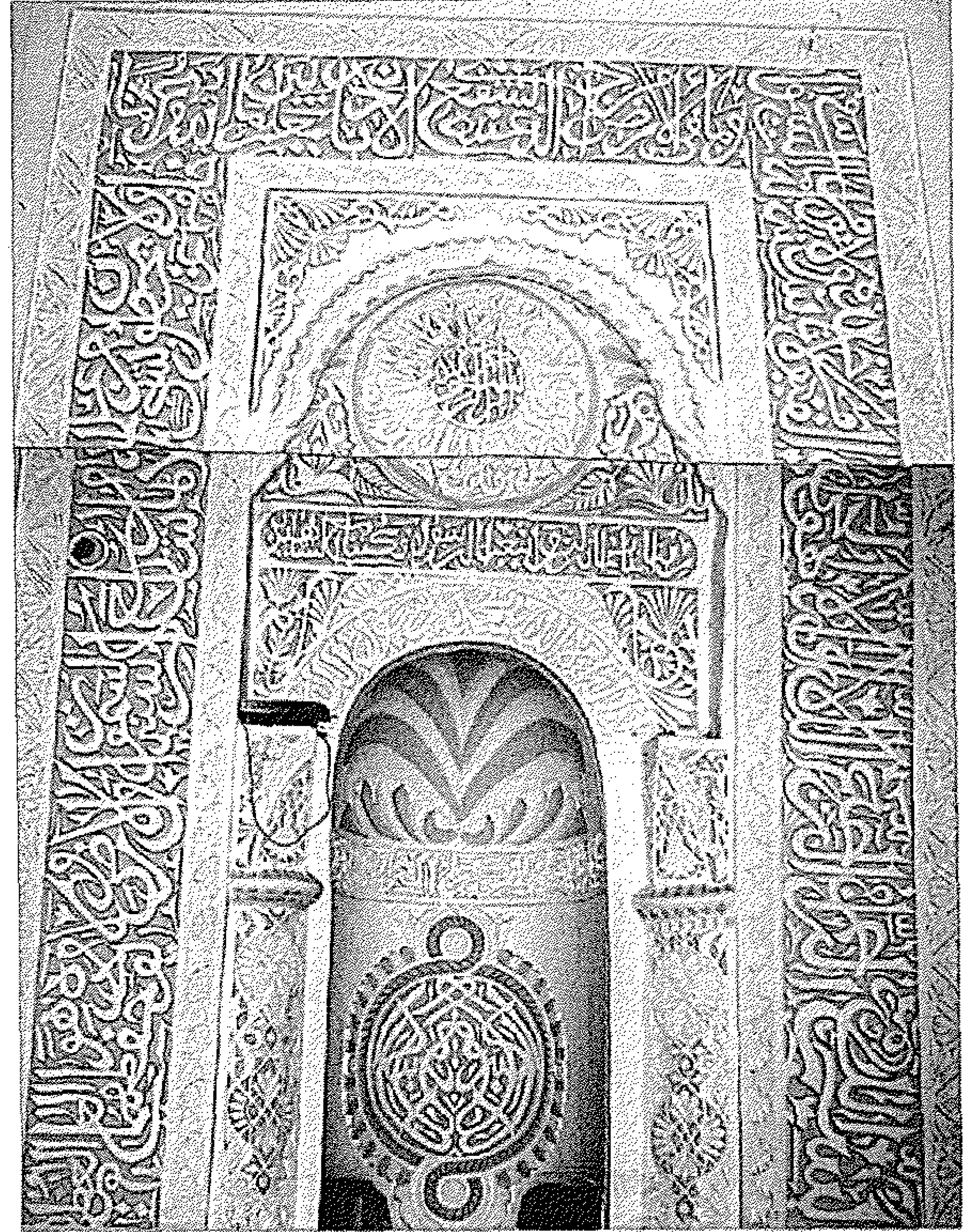
يتوسط جدار القبلة محراب عبارة عن كتلة مستطيلة الشكل تتصدرها حنية عرضها ٧٥سم وعمقها ١١٢سم وارتفاعها ٢٣٥سم زين باطنها بزخرفة على هيئة جامة زينت بزخرفة كتابية قوامها 'الله أكبر' كتبت مرتين بشكل متناظر ويدور حولها شريط من الزخرفة الزجزاجية وتنتهي الجامة من الأعلى والأسفل بأشكال الميمات يدور حول هذه الميمات أشرطة من الزخرفة الزجزاجية ويعلو الجامة شريط كتابي نصه 'كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عنده رزقا'[٢٦] وتتوج الحنية طاقية محارية الشكل معقودة بعقد نصف دائري زينت واجهته بزخرفة كتابية قوامها 'لا إله إلا الله محمد رسول الله' ويكتنف الحنية عمودان مندمجان زينت أبدانهما بزخارف نباتية قوامها أوراق مسننة وزهرة اللالا (شقائق النعمان) وزهرة القرنفل المتكررة وهو بذلك يتشابه مع مسجد الروضة بصنعاء وزخارف مسجد الأمير سنبل بذمار، تقوم فوق هذه الأعمدة تيجانا ناقوسيه الشكل مقلوبة زينت بزخرفة تشبه زخرفة الأبدان، ويعلو الحنية شريط كتابي قسم إلى خراطيش شغلتها كتابات نصها 'ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين' حصرت هذا الشريط مع عقد الحنية كوشات زينت بزخرفة التوليب يعلوهما ترس زين وسطه بزخرفة كتابية نصها 'بسم الله الرحمن الرحيم' بينما تدور حولها سورة الإخلاص، كما زينت الفراغات بين الشريط الكتابي والترس بزهرة التوليب والأوراق النخيلية ويعلو الترس عقد مفصص نفذ من الجص تعلوه زهرة التوليب، ويدور حول الحنية شريط من الجانبين والأعلى زين بزخرفة نباتية عبارة عن زهرة القرنفل وزهرة التوليب متكررة ومتبادلة كما يدور حول المحراب شريط كتابي نصه 'بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات ومافي الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم مابين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم' (لوحة ١١) وتكتنف المحراب خزانتان اتخذتا الشكل المستطيل عرض الواحدة منهما ٧٠سم وارتفاع ١,٥م.

الجدار الشرقي

يفتح فيه ثلاث نوافذ مستطيلة الشكل يغلق على كل منها باب خشبي يتكون كل باب من ضلفتين. تعلو كل نافذة حنية ذات عقد نصف دائري سبق وصفهما.

الجدار الجنوبي

يفتح فيه مدخلان سبق الحديث عنهما وخزانتان يغلق على كل منهما باب خشبي يتكون من ضلفتين إحداهما تقع بين المدخلين والأخرى في الجهة الغربية من الجدار.



لوحة ١١. تبين تفاصيل محراب مسجد التقوى.

الجدار الغربي

يفتح في هذا الجدار مدخلان أحداهما يقع في الزاوية الجنوبية الغربية ويفضي إلى المطاهير، أما الأخر فيقع في الجهة الشمالية من الجدار الغربي حول إلى خزانة، كما توجد خزانتان إحداهما تقع بين الباب والجدار الشمالي والأخرى بين البابين، هذا وتوجد نافذتان في القسم العلوي من الجدار الغربي تضئ كل واحدة منهما إلى اسكوب. (لوحة ١٢) فضلاً عن ذلك فإنه يغطي المسجد سقف خشبي مكون من عوارض خشبية تسير عمودية على جدار القبلة وأخرى براطيم خشبية تتقاطع مع تلك العوارض مشكلة سقف المسجد الذي غطي بطبقة من الجص.

الزخارف

زينت جدران المسجد بأشرطة زخرفية كتابية ونباتية تدور حول جدران المسجد من الداخل على النحو التالي:

أولا: الزخارف النباتية

هذه الزخارف عبارة عن أشرطة تدور حول المسجد قوام زخرفتها عبارة عن فروع نباتية تسير وتلتقي مكونة أشكالاً تحصر بداخلها أوراقاً نباتية متكررة. وهذه الزخارف تقترب في نوعيتها مع زخارف فترة التواجد العثماني في اليمن وخاصة زخرفة اللاله وزهرة القرنفل وغيرها.

ثانيا: الزخارف الكتابية

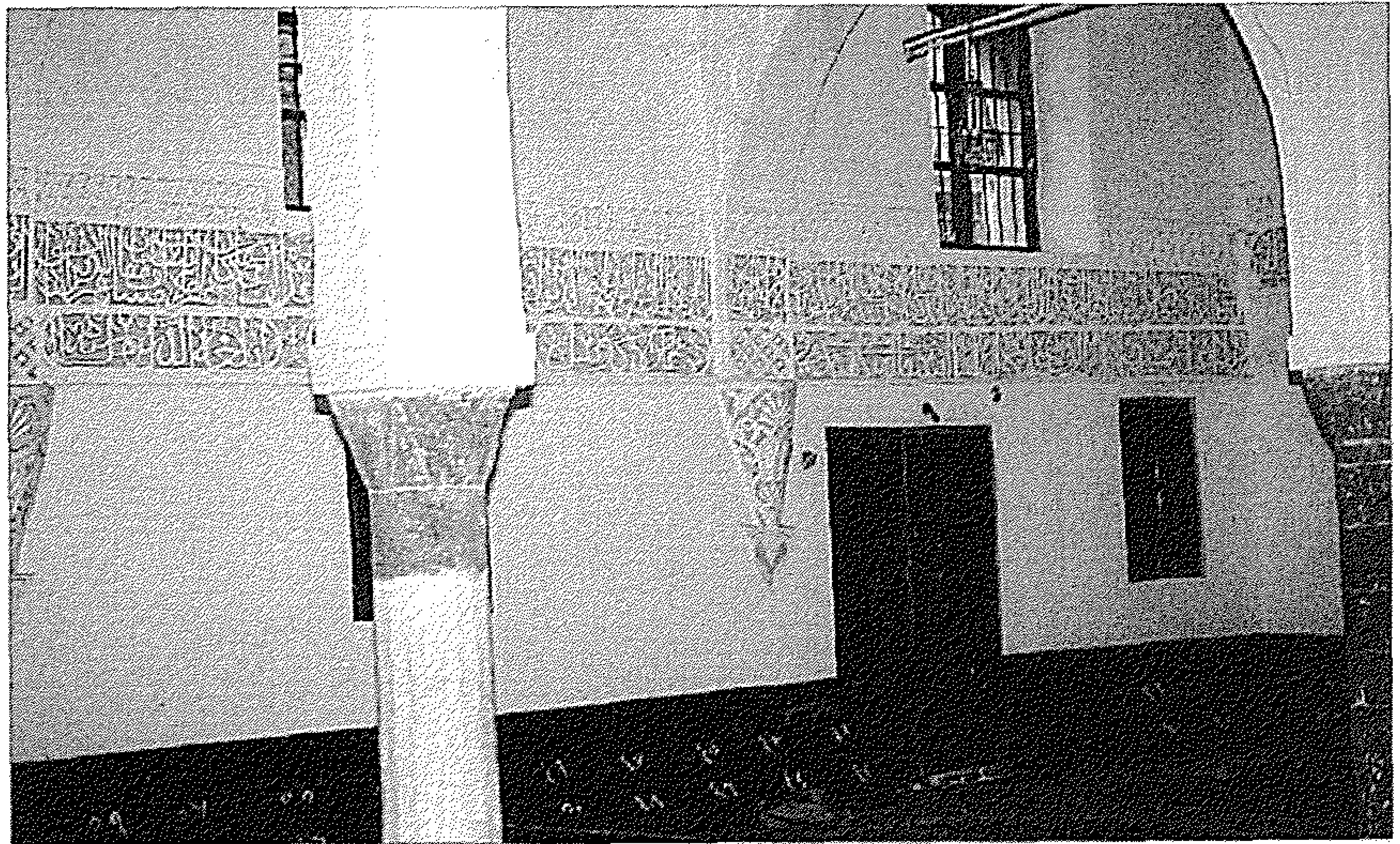
أولا جدار القبلة

زين بشريط كتابي يبدأ من الجهة الشرقية على يمين المحراب يسير مع جدار القبلة مكونا حنية صماء زين باطنها بزخرفة كتابية قسمت إلى شريطين ينصان على:

الأول 'إن الله وملائكته' الثاني 'يصلون على النبي'.

أما الشريط الكتابي فينص على:

'بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولاالضالين' وهنا نجد أن الخطاط قد كتب الضالين بالظاء المحمولة وليست بالضاد والتي هي الأصح ـ وهذا الشريط تقطعه كتلة المحراب، ثم يستمر الشريط من على يسار المحراب حيث شكل حنية مشابهة لما سبق في الحنية التي على يمين المحراب وزينت بزخارف كتابية تتكون من شريطين نص الأعلى على 'يا أيها الذين آمنوا



لوحة ١٢. تبين تفاصيل كتابية من الجدار الغربى فى مسجد التقوى وأحد الأعمدة.

صلوا عليه' والأسفل نص على 'وسلموا تسليما'[27] أما الشريط فينص على:

بسم اله الرحمن الرحيم ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين﴾.[28]

الجدار الغربي

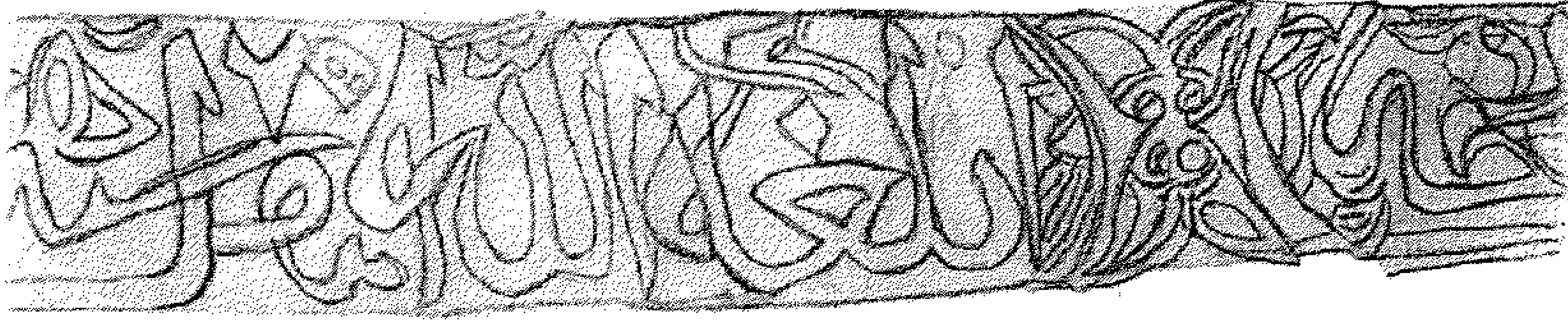
زين هذا الجدار بشريطين كتابيين الأعلى نصه هو 'تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيه سراجاً وقمرا منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقرا ومقاما والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلاَ بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا'.[29]

الشريط الأسفل عبارة عن قصيدة شعر نصها:-

يا داعيا في مسجدٍ	إلى الذي علا وجلا
ابسط له كفيك في	دعا مولاك وسل
فمن دعا تاريخه	أبلغه الله أمل

سنة ١١٧٥م (لوحة ١٢) شكل ٤

وهذا الشريط لا يصل إلى نهاية الجدار بل يتوقف عند رجل العقد في البائكة الثانية وهنا نلاحظ أن الكاتب قد عبر عن التاريخ بقصيدة شعرية تنتهي في البيت الأخير بقوله 'فمن دعا تاريخه أبلغه الله أمل' كما حدد عبارة أبلغه الله أمل كتاريخ للمسجد حيث قدر قيمة الحروف لكي يصل إلى القيمة التي يريدها وهي ١١٧٥، وذلك على النحو التالي:-



شكل ٤. يوضح أحد التواريخ بمسجد التقوى. عمل الباحث

ا	ب	ل	غ	هـ	ا
١	٢	٣٠	١٠٠٠	٥	١

ل	ل	هـ	ا	م	ل
٣٠	٣٠	٥	١	٤٠	٣٠

وبجمع تلك القيم للحروف يكون الناتج ١١٧٥.

الجدار الجنوبي

زين هذا الجدار بشريط كتابي يبدأ من الجهة الغربية، بينما نجده يشكل مستطيلا أعلى الخزانة الوسطى التي تقع بين المدخلين، وقد زين هذا المستطيل بثلاثة أشرطة كتابية نصها:-

الأول:

يا إمام الهدا واكرم من	قد حباه الإله بما يهوا

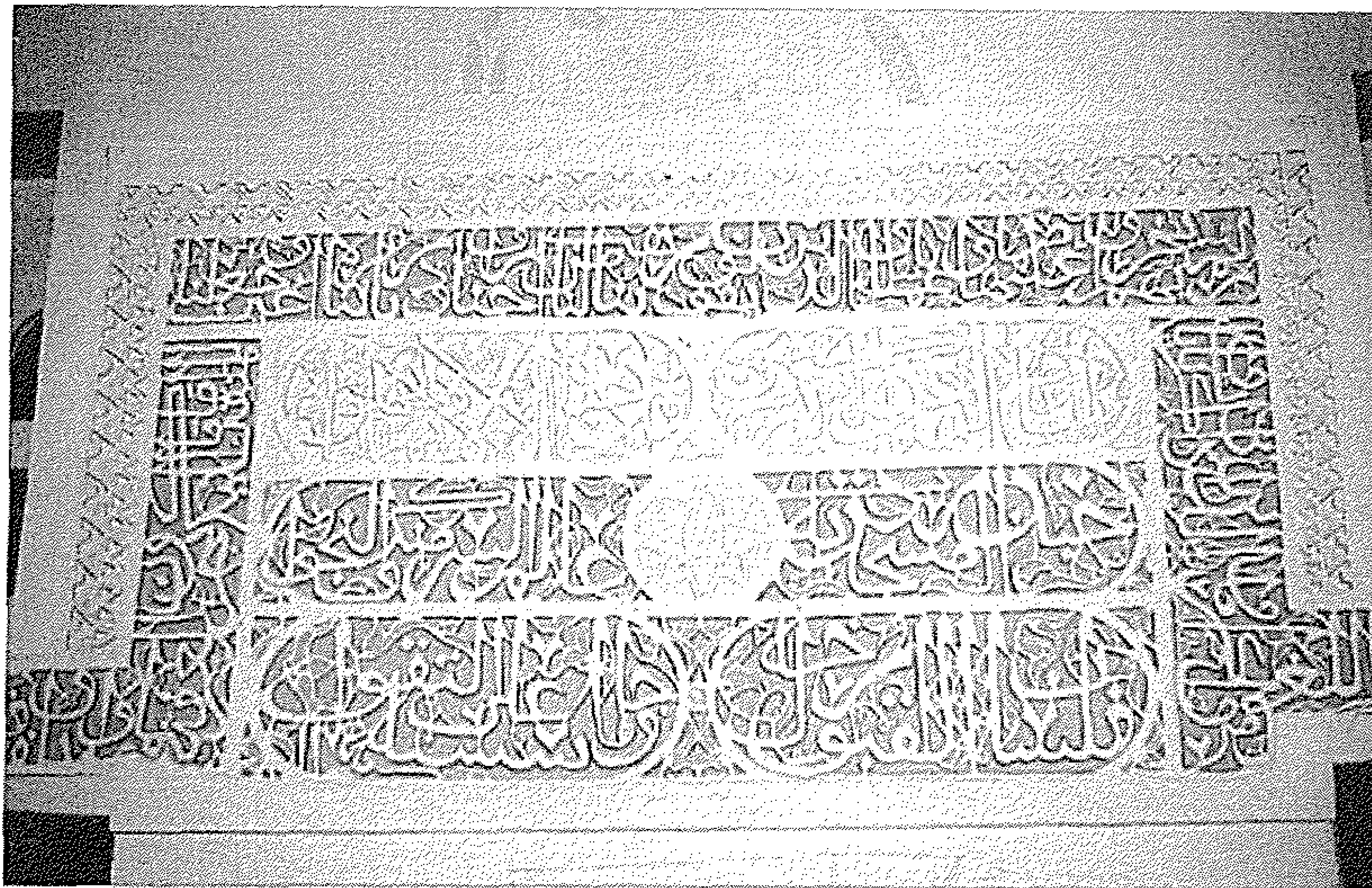
الثاني:

حبذا مسجدا أردت به	عالم السر والنجوا

الثالث:

فلسان القبول أرخه	وجاء أسسته على التقوى

١١٧٥ (لوحة ١٣)



لوحة ١٣. توضح أحد التواريخ بحساب الجمل في مسجد التقوى.

كما عمد الكاتب إلى التعبير بقصيدة أخرى عن التاريخ جاء في نهايتها تاريخ البناء بعبارة 'وجا أسسته على التقوى' بحيث جاءت قيمة الحروف فيها تساوي ١١٧٥ وذلك على النحو التالي:

ع	هـ	ت	س	س	ا	ا	ج	و
٧٠	٥	٤٠٠	٦٠	٦٠	١	١	٦	٣

	ا	و	ق	ت	ل	ا	ا	ل
	١	٦	١٠٠	٤٠٠	٣٠	١	١	٣٠

أما الشريط فينص على ـ استمرارا للآيات السابقة:-

﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وآمن وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراما والذين إذا ذكرو ابآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعائكم فقد كذبتم فسوف يكونا لزاما﴾.[٣٠]

الجدار الشرقي

زين هذا الجدار بشريطين كتابيين يبدأ الأعلى من الجهة الجنوبية للجدار وينتهي في نهاية الجدار من الجهة الشمالية ونصه 'إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد'.[٣١] أما الشريط الأسفل فيبدأ من عند رجل العقد في البائكة الثانية ويصل إلى نهاية الجدار الشرقي وقوامه عبارة عن قصيدة شعر نصها.

خليفة العصر[٣٢] دام في دعة
فبلغا في الزمان ما يهـــــوا
قد شاد لله مسجدا حسنـــا
فكان في الحسن غاية التقوى
ما رأت العين مثله ولـــــذا
أرخت تأسيسه على التـــقوى ١١٧٥

وهنا أراد الكاتب أن يؤكد لنا تاريخ المسجد بعبارة ثالثة جاءت في نهاية القصيدة بالقول 'مارأت العين مثله ولذا أرخت تأسيسه على التقوى' شكل ٥ بحيث جاءت عبارة تأسيسه على التقوى' تساوي ١١٧٥ بحساب الجمل وذلك على النحو التالي:-

ا	ل	ع	هـ	س	ي	س	ا	ت
١	٣٠	٧٠	٥	٦٠	١٠	٦٠	١	٤٠٠

ا	و	ق	ت	ل	ا
١	٦	١٠٠	٤٠٠	٣٠	١

وفي النهاية يمكن القول أن الكاتب أكد ثلاث مرات على تاريخ بناء المسجد في جدرانه الثلاثة الغربي والجنوبي والشرقي، وذلك لأن هذه الجدران أكثر عرضة للتغير والتبديل من جدار القبلة الذي يحتوي على المحراب. الذي لا يغير إلا في الحالات الضرورية.

كما يمكن القول أن الإمام المهدي أراد أن يؤكد أن هذا المسجد له أهمية كبرى، وذلك لأنه بني باسم أمه (تقوى) حسب روايات بعض القائمين على المسجد وتخليدا لذكراها على اعتبار أنها أمه، فأراد أن يجعل ذكرها يتردد دائما في مسجد باسمها وتكرار التاريخ المتضمن اسمها، أو أنه أراد أن يبن للناس أنه مهما كانت أمه أمة فهي تستحق أن يسجل باسمها المسجد وأن يبقى اسمها خالدا ما بقي المسجد، إضافة إلى ذلك يمكن القول أن عصر المهدي كان من أزهى العصور في الأدب فقد استطاع الشعراء أن يسجلوا التاريخ بحساب الجمل وقيم الحروف بعبارات متنوعة مما يدل على مدى ماكان يتمتع به شعراء ذلك العصر من الأدب.



شكل ٥. نقش يوضح تاريخ آخر بمسجد التقوى. عمل الباحث

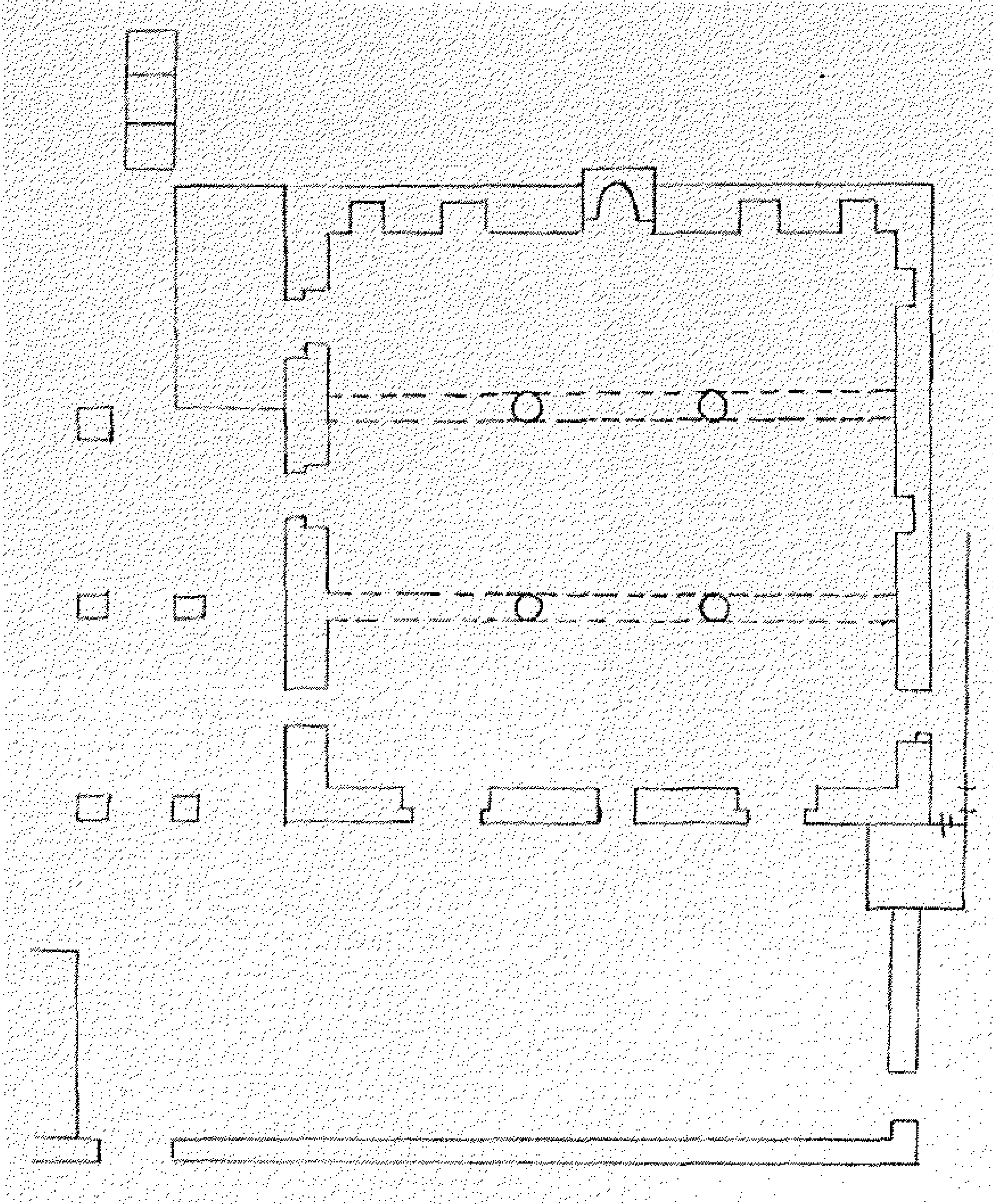
السقف

يغطي المسجد سقف مسطح عمل من الخشب ما بين الأفقية والطولية بحيث شكلت مربعات ملئت هذه المربعات بالأعواد الصغيرة ثم غطيت بطبقة طينية بعدها أضيفت طبقة ملاط من القضاض وذلك لمنع تسرب المياه إلى الداخل كما عملت الميازيب من القضاض.

ثالثا: مسجد النور (شكل ٦)

الموقع

يقع مسجد النور في الجهة الشمالية من مدينة صنعاء بالقرب من باب شعوب[٣٣] بحارة تعرف بحارة معمر وهو من المساجد التي بناها الإمام المهدي عباس في النصف الثاني من القرن ١٢هـ.[٣٤]

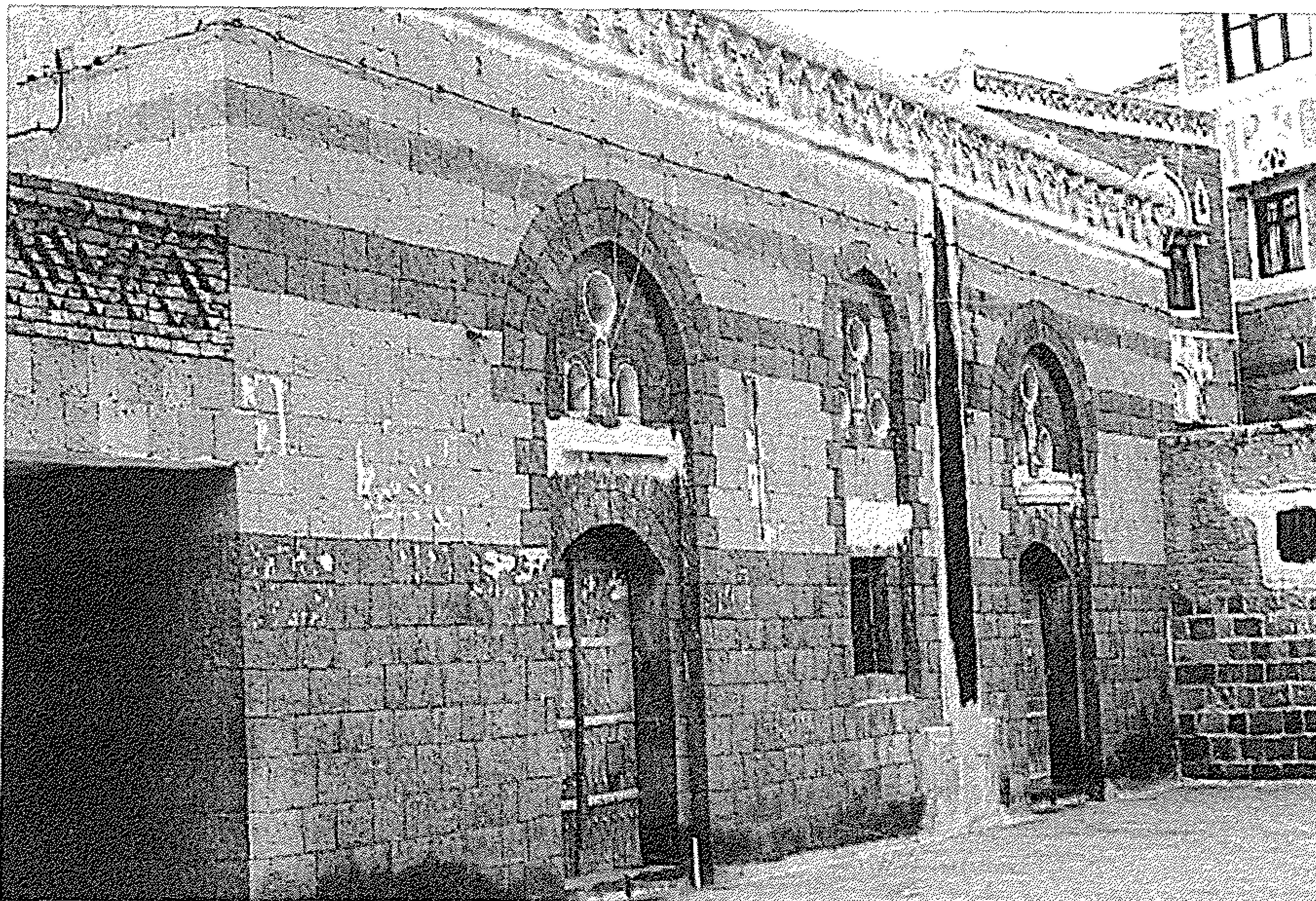

شكل ٦. تخطيط مسجد النور. عمل الباحث

وصف المسجد معماريا

أولا: الوصف من الخارج (لوحة ١٤)

المسجد بوضعه الحالي اتخذ شكلا مربعا بطول ضلع ١٢,٥٠م وبارتفاع يصل إلى نحو ٦م نفذ بناؤه من حجر الحبش (البازلت) والطفل الأحمر والأبيض بعدد من المداميك يصل إلى ١٤ مدماكا بنيت المداميك السفلية من حجر الحبش بعدد يصل إلى عشرة مداميك تليها ستة مداميك من الحجر الأبيض ثم مدماكان من حجر الحبش مع عمل عقود المداخل والنوافذ من حجر الحبش ثم مدماكان من الحجر الأبيض ومدماكان من الحجر الأحمر ثم ثلاثة مداميك من الحجر الأبيض كما عمد البناء إلى تزيين أعلى الجدار بإطار بني من الأجر زينت واجهاته بزخرفة زجزاجية.

هذا ويفتح في الجدار الجنوبي مدخلان نفذا داخل حجر معقود بعقد نصف دائري بني بطريقة الأبلق أي أنه قام البناء ببناء كل صنجة من صنجات العقد بلون مغاير عن الأخرى وقد قسم المدخل إلى قسمين شغل السفلي منهما المدخل وهو على شكل مستطيل عرض الواحد منهما ١,٦٥م وبارتفاع يصل إلى ٢٤٠م يعقد عليه عقد نصف دائري ويغلق عليه باب خشبي مكون من مصراعين زينا بأشرطة أفقية عملت من المسامير المكوبجة ظهرت وكأن الباب مطعم بتلك المسامير، أما القسم العلوي فهو عبارة عن حنية مصمتة فتحت فيها ثلاث نوافذ وزعت على صفين السفلي منها به نافذتان


لوحة ١٤. تبين بعض التفاصيل فى الجدار الجنوبى لمسجد النور.

اتخذتا الشكل الأسطواني أما الأعلى ففتحت فيه نافذة اتخذت شكل الدائرة، وقد عمد البناء إلى حفر كل فتحة داخل حجرة واحدة.

إضافة إلى ذلك نجد أن النافذة تتشابه مع المدخل من حيث التكوين المعماري فقد بنيت النافذة داخل حجر معقود بعقد نصف دائري قسمت مساحتها إلى قسمين السفلي منها فتحة النافذة يعقد عليها عتب من الحجر ويغلق عليه باب خشبي مكون من ضلفتين تتقدمه مصبعات حديدية أما القسم العلوي فزين بزخرفة اتخذت شكل دوائر ثلاث. حفرت كل دائرة داخل حجرة واحدة.



لوحة ١٥. توضح المبانى الحديثة والسقيفة التى تتقدم بيت الصلاة فى مسجد النور من الجهة الغربية.

الجدار الغربي

يتشابه مع الجدار الجنوبي من حيث طريقة بنائه وتوزيع مداميكه، وكذلك يتشابه معه في طريقة عمل مداخله والنوافذ، واختلف معه في توزيع أماكنها. ويفتح في هذا الجدار مدخلان أحدهما يقع إلى الشمال من الجدار ويفضي إلى المطاهير القديمة، وقد سد الآن عندما انتهى استعمال المطاهير تلك، أما المدخل الثاني فيقع في منتصف الجدار تقريبا عرضه ١,٦٥م وارتفاعه ٢,٤٠م يعقد عليه عقد نصف دائري، ويغلق عليه باب خشبي يتكون من مصراعين، إلى جانب ذلك يفتح في الجدار الغربي نافذة تقع إلى الجهة الجنوبية منه مستطيلة الشكل عرضها ٨٠سم وارتفاعها ١م يغلق عليها باب خشبي يتكون من ضلفتين تتقدمها مصبعات حديدية، هذا وقد عملت سقيفة حديثة من الخرسانة المسلحة ملاصقة للجدار الغربي وتطل على صحن المسجد الغربي وهي تتكون من بلاطتين يقطعهما صفان من الدعامات الإسمنتية المغطاة بالحجر. (لوحة ١٥)

الجدار الشرقي

يفتح في الجهة الجنوبية منه مدخل مستطيل الشكل معقود بعقد نصف دائري عرضه ١ م وارتفاعه ٢ م يفضي إلى الخارج ويغلق عليه باب خشبي مكون من مصراع واحد، ويسمى بباب المطر، ويحجبه من الخارج جدار بحيث لم نتمكن من رؤيته من الخارج. يتقدمه من داخل المسجد ثلاث درجات مما يدل على أن الأرضية خارج المسجد مرتفعة عن الداخل، لذلك عمد البناء إلى عمل تلك الدرجات.

الجدار الشمالي

يتشابه مع سابقه من حيث البناء إلا أنه يلاحظ بروز المحراب من الخارج.

الصحن (لوحة ١٦)

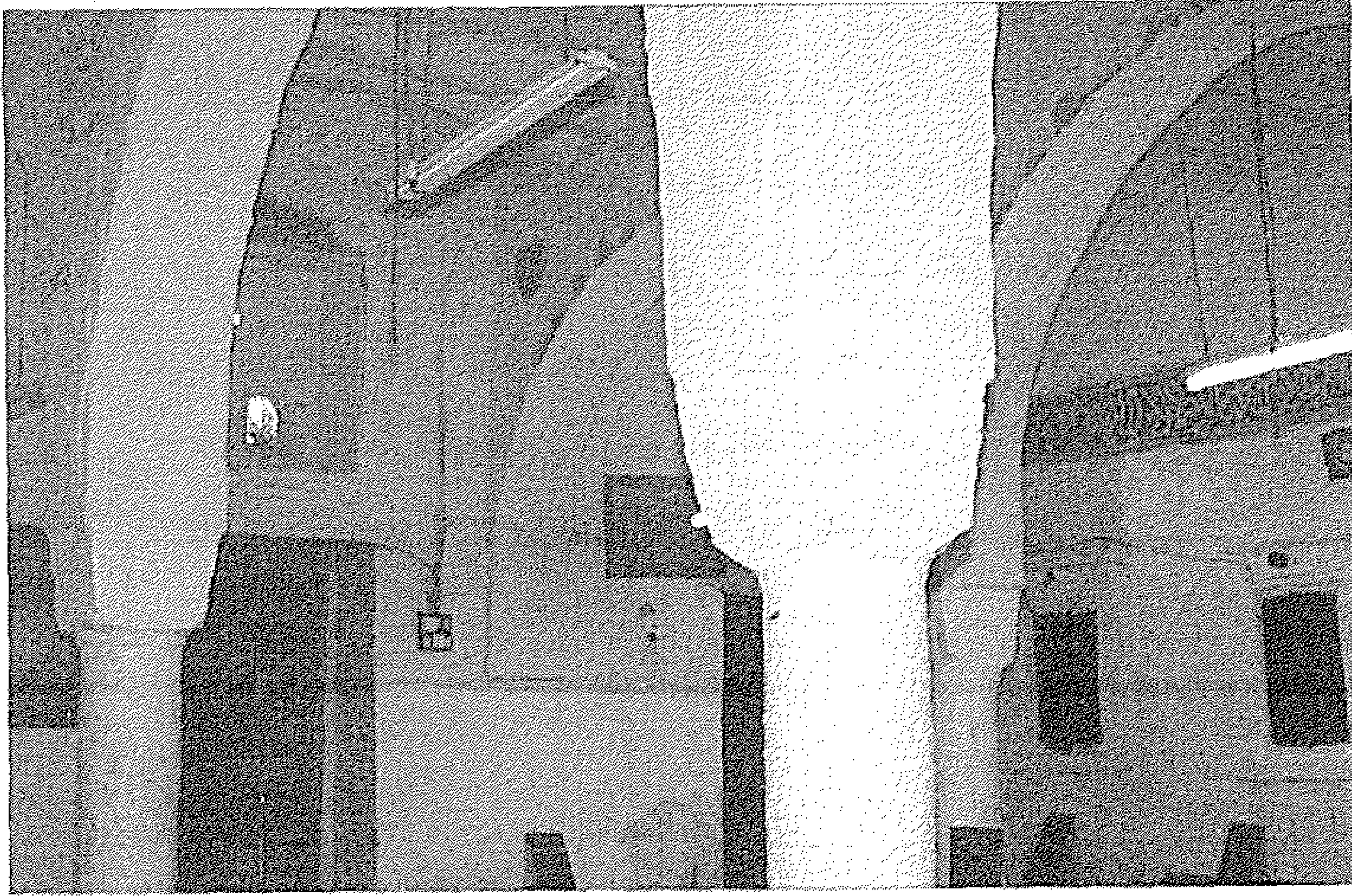
يحيط بالمسجد من الناحية الجنوبية والغربية وقد اتخذ الشكل حرف إل باللغة الأجنبية أحيط بسور من الناحية الشرقية والجنوبية والغربية يتصل في الزاوية الجنوبية الغربية منزل يطل على صحن المسجد من الناحية الشرقية والغربية، ويفتح في النهاية الغربية من الجدار الجنوبي مدخل حديث أما من الجهة الغربية فقد بني مبنى حديث خصص كمدرسة أما من الجهة الشمالية الغربية فقد بنيت المطاهير كما يوجد ممر يؤدي إلى المغاطس القديمة الواقعة في الجهة الشمالية الغربية من المسجد وهي مغطاة بقباب.

ثانيا: الوصف من الداخل

يتم الولوج إلى داخل المسجد من خلال المداخل سالفة الذكر وتفضي إلى بيت الصلاة وهو عبارة عن قاعة مربعة الشكل طول ضلعها ١١,٧٥م تتكون من ثلاثة أساكيب

(لوحة ١٧) عرض الأسكوب ٣,٧٢م قسمت بواسطة بائكتين من الأعمدة بكل بائكة عمودان مستديرا الشكل أقيمت الأعمدة فوق الأرض مباشرة دون وجود قاعدة، يقوم فوق الأعمدة تيجان ناقوسيه تحمل عقوداً نصف دائرية بكل بائكة ثلاثة عقود تسير موازية لجدار القبلة زينت واجهتها بزخرفة مفصصة، كما زينت كوشات العقود بزخارف عبارة عن ترس اتخذ شكل الوردة المروحية، إلا أن هذه الزخارف غطيت بطبقة جصية، وهذا النوع من الزخرفة نشاهده بكثرة في عمائر دولة بني رسول وبني طاهر كما هو الحال في المدرسة المعتبية والأشرفية بتعز والعامرية برداع.


لوحة ١٦. توضح الصحن فى مسجد النور وأجزاء من السور الجنوبى.


لوحة ١٧. توضح شكل الأعمدة والعقود فى مسجد النور.

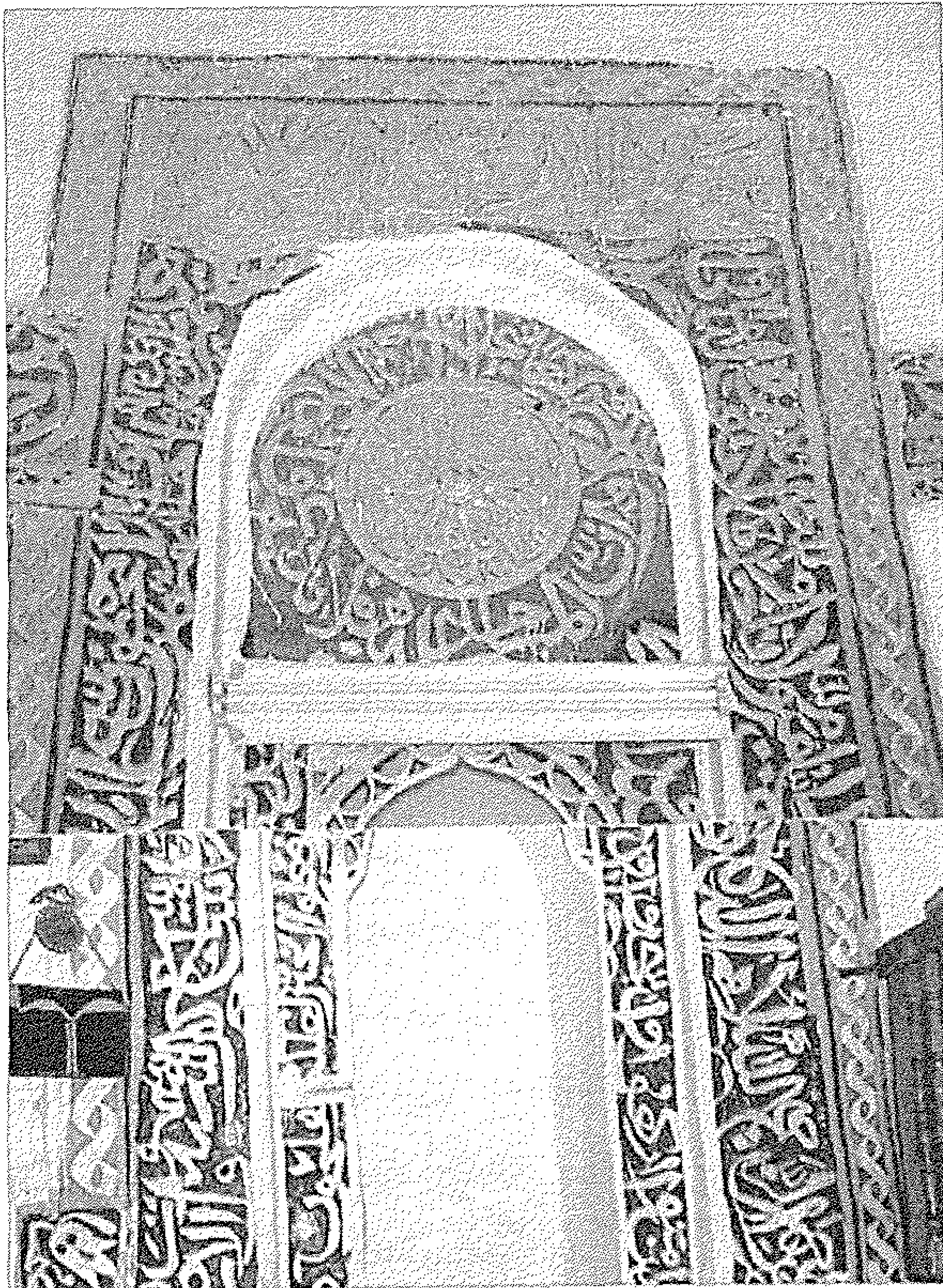
المحراب (لوحة ١٨)

يتصدر جدار القبلة المحراب وهو عبارة عن كتلة مستطيلة تتوسطها حنية المحراب بعرض ٦٥سم وعمق ١م وارتفاع ٢,٢٥م تتوجها طاقية نصف اسطوانية يعقد عليها عقد مدبب بينما يكتنف الحنية من الجانبين شريط كتابي نفذ بالخط النسخي يبدأ من على يمين المحراب وينص:

﴿يا أيها الذين أمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾.[٣٥]

يعلو الحنية ترس زين بكتابة نصها سورة الإخلاص يدور حوله نص كتابي قوامه 'وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا'[٣٦] هذا ويحيط بالحنية شريط كتابي أخر نصه 'بسم الله الرحمن الرحيم الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيدهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما' ثم أكمل الخطاط بقية الآية في جزء ملحق بجوار الشريط من الجهة اليسرى 'وهو العلي العظيم'.[٣٧]

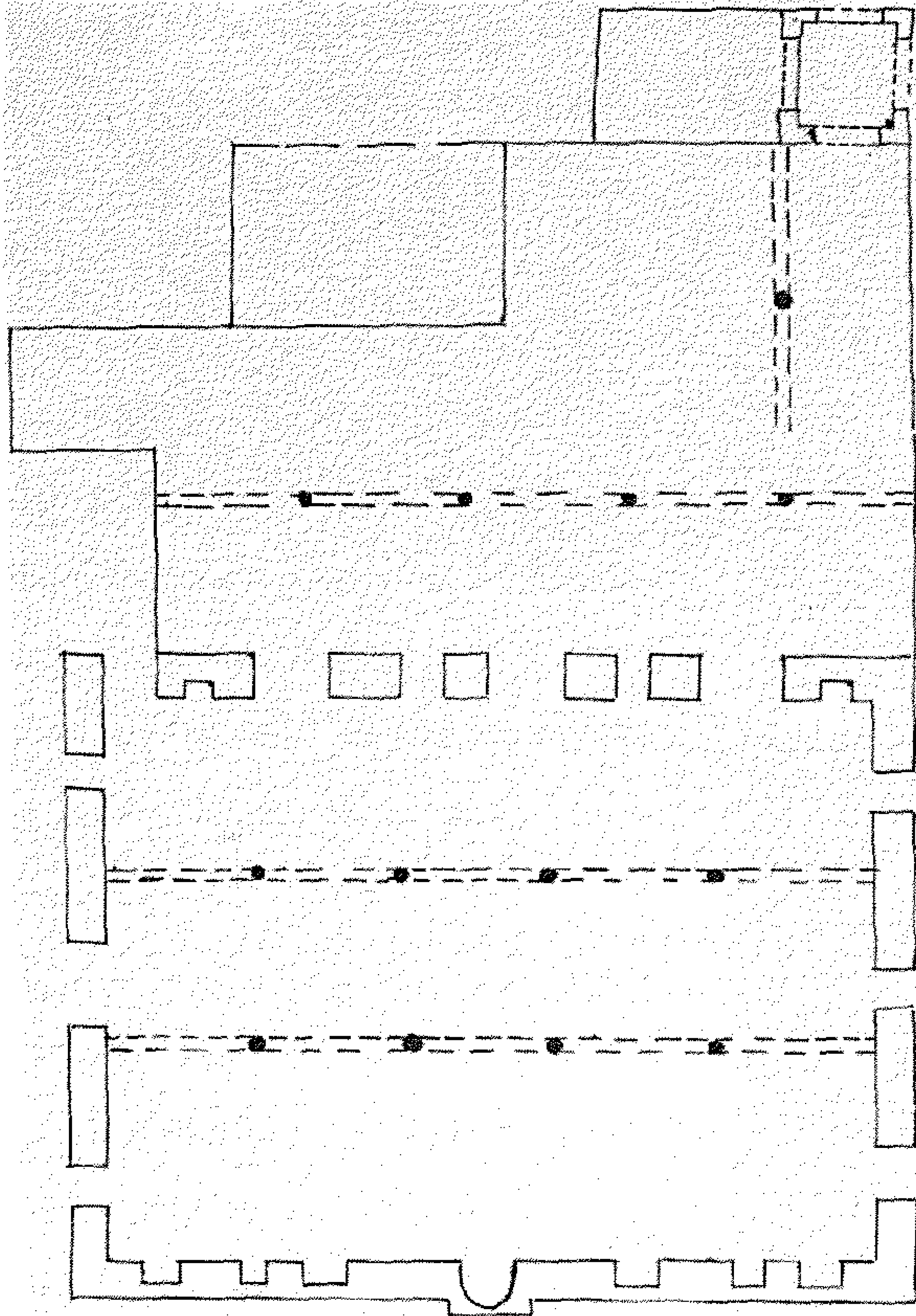
فضلا عن ذلك يزين جدار القبلة شريط كتابي يبدأ من الجهة الشمالية للجدار الشرقي حيث ينص على 'بسم الله الرحمن الرحيم' ثم يبدأ من بداية جدار القبلة في الجهة الشرقية' في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه


لوحة ١٨. توضح محراب مسجد النور وكتاباته.

يسبح له فيها بالغدو والآصال فتقطعه كتلة المحراب ثم يستأنف السير من الجهة الأخرى' رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه' ثم اكمل النص في الجهة الشمالية من الجدار الغربي 'القلوب والأبصار'.[٣٨] يتوسط هذا الشريط شريطين ضيقين زينا بالزخرفة النباتية أما بقية الجدران فكما سبق عند وصفها من الخارج إذ لا يوجد ما يميزها عن الوصف السابق.

السقف

اتخذ سقف هذا المسجد الشكل المربع المقسم إلى أساكيب بحسب الأساكيب في الوصف وقد عمد البناء إلى عمل عوارض خشبية عمودية على الأساكيب تتقاطع مع براطيم أفقية شكلت مناطق مربعة ملئت بالأعواد الصغيرة غطيت بطبقة طينية ثم طبقة قضاض لمنع تسرب المياه.



شكل ٧ مسقط أفقي لمسجد الرضوان. عمل الباحث

رابعا: مسجد الرضوان (شكل ٧)

الموقع

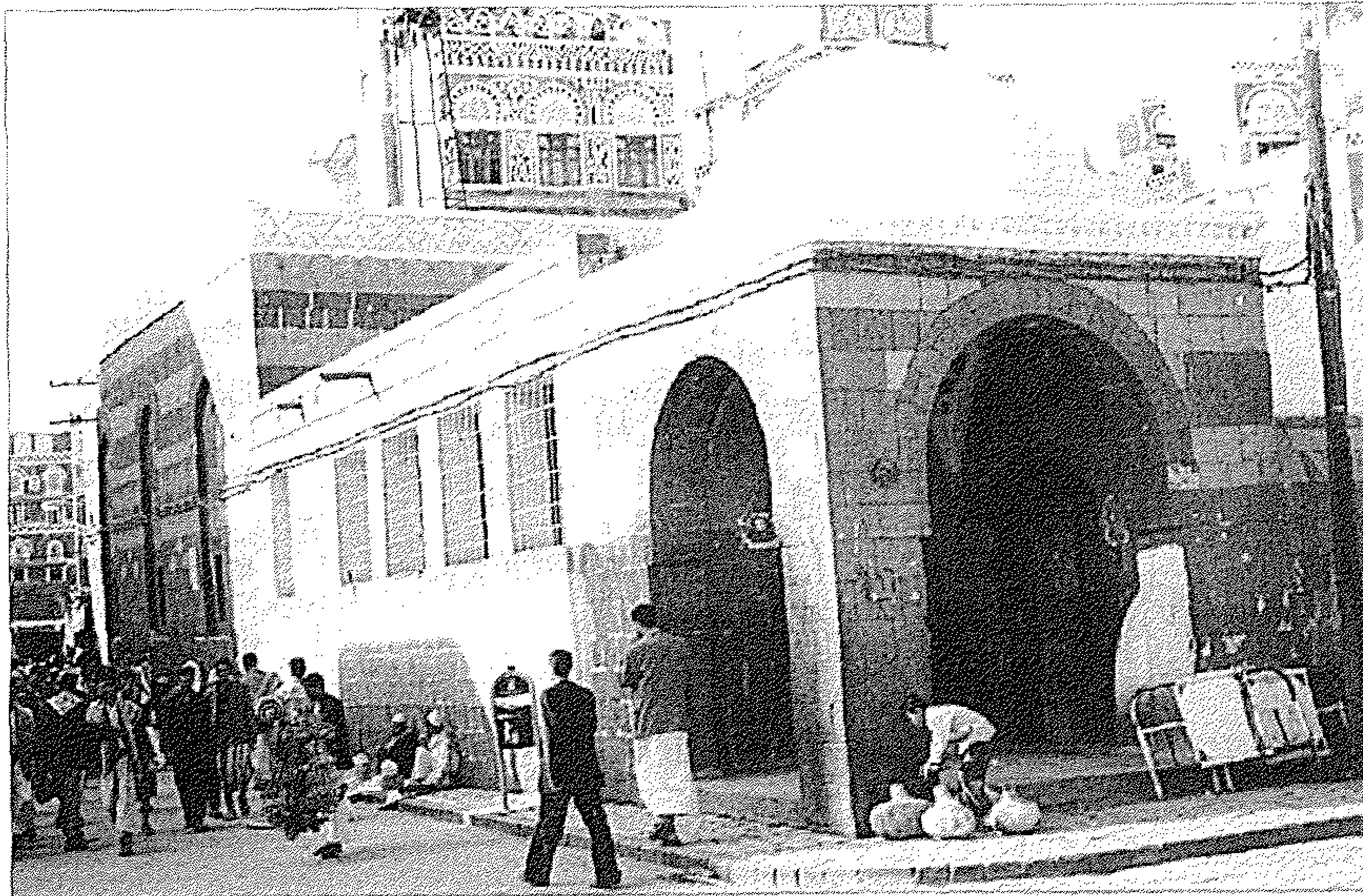
يقع مسجد الرضوان في باب اليمن شمال الباب.[٣٩] على يمين الداخل من الباب إلى السوق، ويسار الذاهب إلى باب السلام. بناه الإمام المهدي لدين الله عباس في أواخر القرن الثاني عشر الهجري.[٤٠]

الوصف المعماري للمسجد (لوحة ١٩)

يتكون المسجد من بيت للصلاة وملحقاته من سقيفة وصحن وكتلة مدخل ومطاهير وذلك على النحو التالي:-

أولا: ملحقات المسجد

تتقدم بيت الصلاة من الجهة الجنوبية سقيفة مستطيلة الشكل طولها ١٦,٨٥م، وعرضها ٣,٨٥م تطل على الصحن ببائكة مكونة من أربعة أعمدة أحدها يلتصق بحائط الصحن كما توجد دعامة أخذت شكل حرف إل في اللغة الأجنبية لحمل أكثر من عقد حيث تلتقي عندها السقيفتان الجنوبية لبيت الصلاة والغربية للصحن، (لوحة ٢٠) تحمل هذه البائكة عقودا نصف دائرية، وهي مبنية حديثا، من الخرسانة المسلحة سترت هذه السقيفة الجدار الجنوبي لبيت الصلاة، إضافة إلى ذلك عملت سقيفة أخرى تسير عمودية على الجهة الغربية لبيت الصلاة



لوحة ١٩. منظر عام لمسجد الرضوان.

وموازية للجدار الغربي للصحن وتطل عليه من الجهة الغربية حيث تصل إلى كتلة مدخل المسجد.

الصحن

يتقدم بيت الصلاة صحن مستطيل الشكل طوله ١٦,٨٥م وعرضه ١٥م تقريبا يكتنفه من الشمال بيت الصلاة ومن الشرق المطاهير القديمة ومنازل ومن الجنوب المطاهير الحديثة وجزء من السور (من حائط المسجد) ومن الغرب السقيفة الغربية وقبل بنائها كان حائط المسجد الغربي يكتنف الصحن من الجهة الغربية.

هذا ويفتح على الصحن مداخل منها مداخل بيت الصلاة الثلاثة ومدخل المسجد الرئيسي الذي تتقدمه كتلة المدخل ومدخل أخر في نهاية الجار الجنوبي من الناحية الشرقية يفضي إلى المطاهير الحديثة وهو مدخل بارز يبرز عن سمت الجدار بنحو ٤٠سم كون على شكل كتلة مستطيلة فتح فيها مدخل معقود بعقد نصف دائري. يتشابه هذا المدخل مع المدخل الشرقي لقبة المهدي.

كتلة المدخل

يلتقي جدار المسجد الجنوبي والغربي عند الزاوية الجنوبية الغربية لتتشكل كتلة مربعة الشكل تتوسطها قاعة مربعة تفتح بواسطة عقود نصف دائرية نحو الجنوب والغرب يصعد إليها بواسطة درجات من الناحية الجنوبية والغربية عددها درجتان، بينما تفتح في الجهة الشرقية إلى غرفة مسدودة أما الشمالي فيفضي إلى صحن المسجد ويعقد عليه عقد نصف دائري كما يغلق عليه باب خشبي مكون من مصراعين غطيت هذه القاعة بقبة أقيمت على مثلثات كروية كما عمد البناء إلى تزيين منطقة الانتقال من الخارج بزخرفة التسنين وهي بذلك تتشابه مع مداخل المساجد التي ترجع إلى فترة الوجود العثماني في اليمن كمدخل طلحة على سبيل المثال.

ثانيا: بيت الصلاة

يشغل بيت الصلاة قاعة مستطيلة الشكل طولها من الخارج١٧,٧٠م وعرض ١٤,٤٠م بنيت جدرانها من



لوحة ٢٠. السقيفة الحديثة التى تتقدم بيت الصلاة فى مسجد الرضوان.

الحجر حيث عمد البناء إلى بناء المداميك السفلية من حجر الحبش بعدد يصل إلى ثلاثة مداميك بعدها بنيت من حجر الطفل الأبيض والأحمر كما عمد إلى عمل العقود من حجر الحبش ليحصل بذلك التناغم والتناسق في البناء بسبب التنوع في ألوان الأحجار وسيكون الوصف على النحو التالي:-

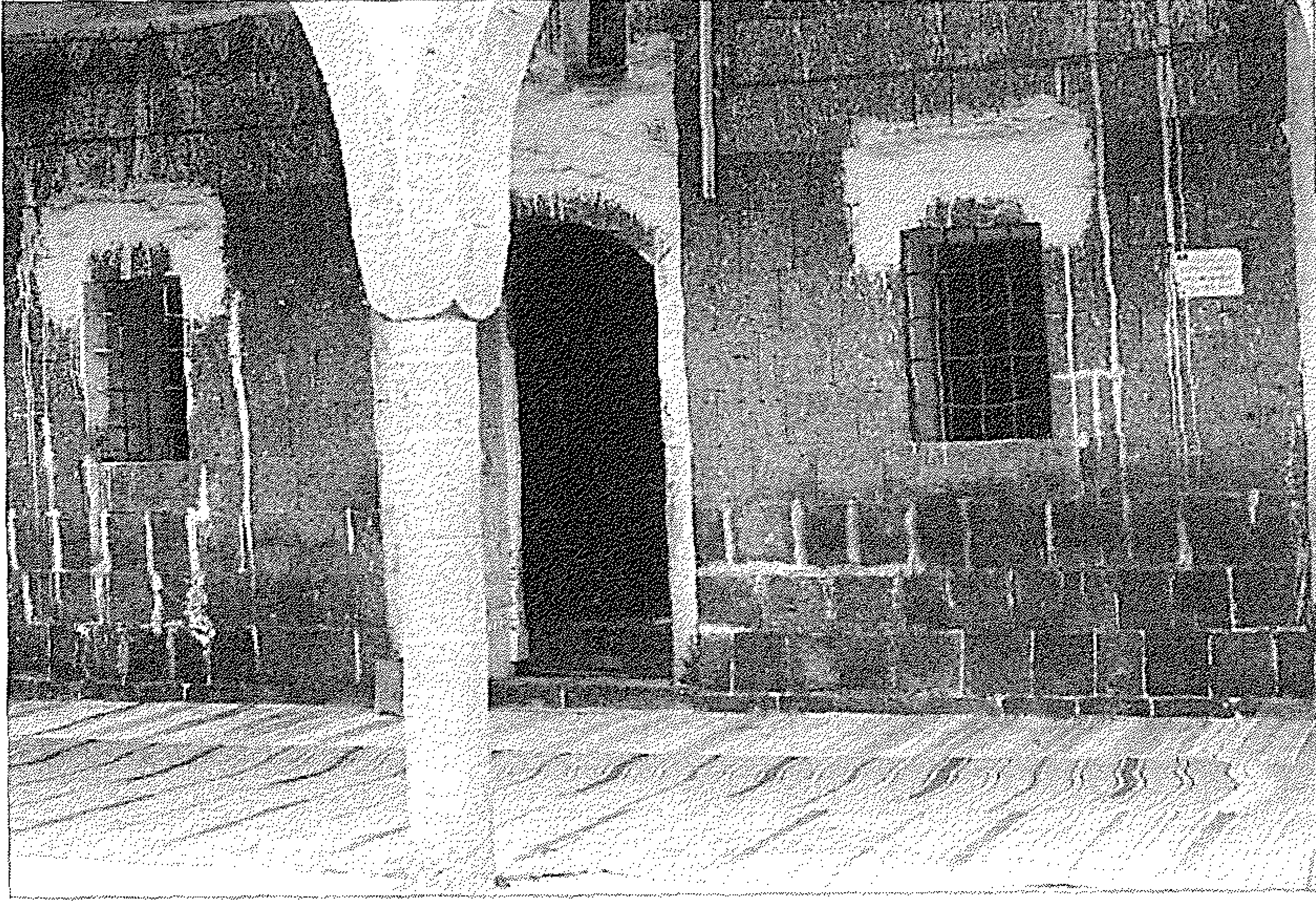
الوصف من الخارج

الجدار الجنوبي

يفتح في جدارها الجنوبي ثلاثة مداخل توزعت على الجدار إحداهما يقع في الناحية الشرقية والآخر في الناحية الغربية والثالث في الوسط عرض كل منها ١٧٠سم وارتفاعه ٢٤٠سم وضعت داخل حجور (لوحة ٢١) معقودة بعقد نصف دائري قسم إلى قسمين الأسفل شغلته فتحت الباب ويعقد على كل منهما عقد نصف دائري ويغلق على كل منهما باب خشبي يتكون من مصراعين زينا بزخرفة نفذت بالمسامير المكوبجة شكلت أشكالا هندسية قوامه معينات ومربعات أما الجزء العلوي فقد عمد البناء إلى شغله بزخرفة هندسية قوامه أشكال اسطوانية ودوائر مفتوحة فرغ كل شكل داخل حجر واحد وهو بذلك يتشابه مع سابقه من المساجد موضوع الدراسة، يتخلل المداخل نوافذ ثلاث اتخذت كل منها الشكل المستطيل يغلق على كل منها باب خشبي مكون من مصراعين زينا بزخرفة هندسية جاءت نتيجة تطعيم الباب بالمسامير المكوبجة كما توجد على النوافذ مصبعات حديدية.

الجدار الشرقي

يفتح في هذا الجدار مدخل مستطيل الشكل عرضه ١٩٠سم وارتفاعه ٢٤٠سم يتشابه مع مداخل الجدار الجنوبي وكان يطلق عليه باب المطر يتقدمه سقيفة حولت إلى غرفة لحفظ محتويات المسجد كما تحيط بالمسجد من هذه الناحية المنازل الملتصقة به، ومن الصعوبة بمكان أن نعرف شكلها من الداخل أو الخارج بسبب المنازل المجاورة والملحقة به.



لوحة ٢١. أحد مداخل مسجد الرضوان الجنوبي.

الجدار الشمالي

لا يلاحظ عليه أي مميزات سوى بروز المحراب الذي يبرز بنحو ٤٠سم فقط.

الجدار الغربي

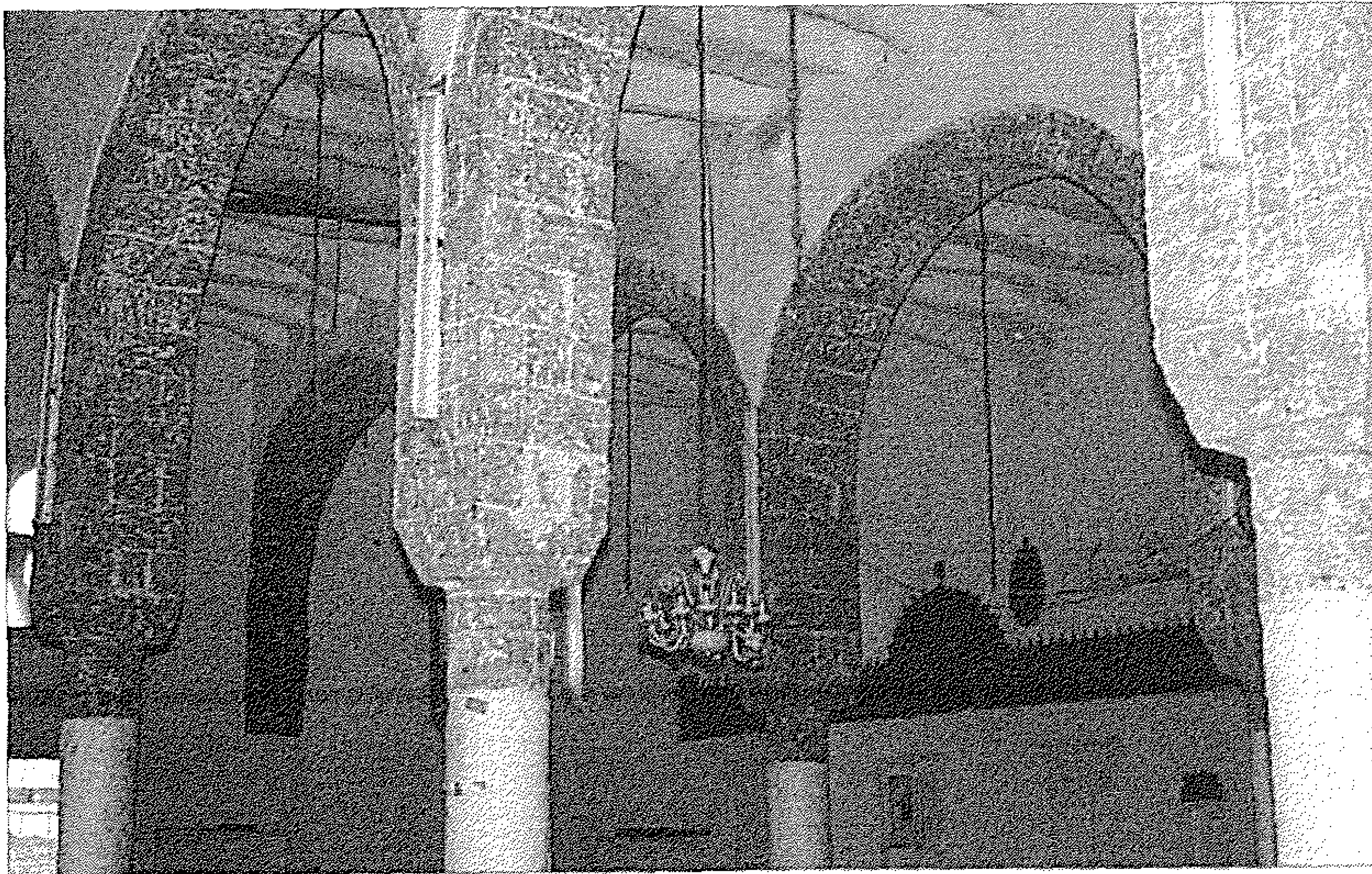
يطل هذا الجدار عل الشارع المؤدي من باب اليمن إلى السوق ويتكون من جدار بيت الصلاة وحائط الصحن ويلاحظ عليه أن بيت الصلاة قد فتحت فيه نوافذ ثلاث اتخذت هذه النوافذ الشكل المستطيل المعقود بعقد نصف دائري والموضوعة داخل حجور تتشابه بذلك مع المداخل وتنقسم النافذة إلى قسمين الأسفل فتحت فيه النافذة التي يعقد عليها عتب من الحجر ويغلق عليها باب تكون من مصراعين من الخشب، أما القسم العلوي فقد شغلته حنية زينت بالزخرفة الهندسية التي تتشابه مع الحنيات التي تعلو المداخل في هذا المسجد والمساجد موضوع الدراسة، أما بقية الجدار فهو مصمت وخال من أي من العناصر المعمارية والزخرفية.

الوصف من الداخل

يتم الدخول إلى بيت الصلاة عن طريق أحد مداخله المذكورة سلفا والتي تفضي إلى قاعة مستطيلة الشكل طولها من الشرق إلى الغرب ١٦,٨٥م وعرضها من الشمال إلى الجنوب ١٢,٥٠م تتكون من ثلاثة أساكيب بواسطة بائكتين من الأعمدة (لوحة ٢٢) تقطعها خمس بلاطات في كل بائكة أربعة أعمدة مستديرة ترتكز على الأرض مباشرة دون وجود قاعدة، تتوجها تيجان كأسيه الشكل تحمل كل بائكة خمسة عقود نصف دائرية تسير موازية لجدار القبلة زينت واجهاتها بسلسلة من العقود الصغيرة. ويتصدر جدار القبلة محراب.

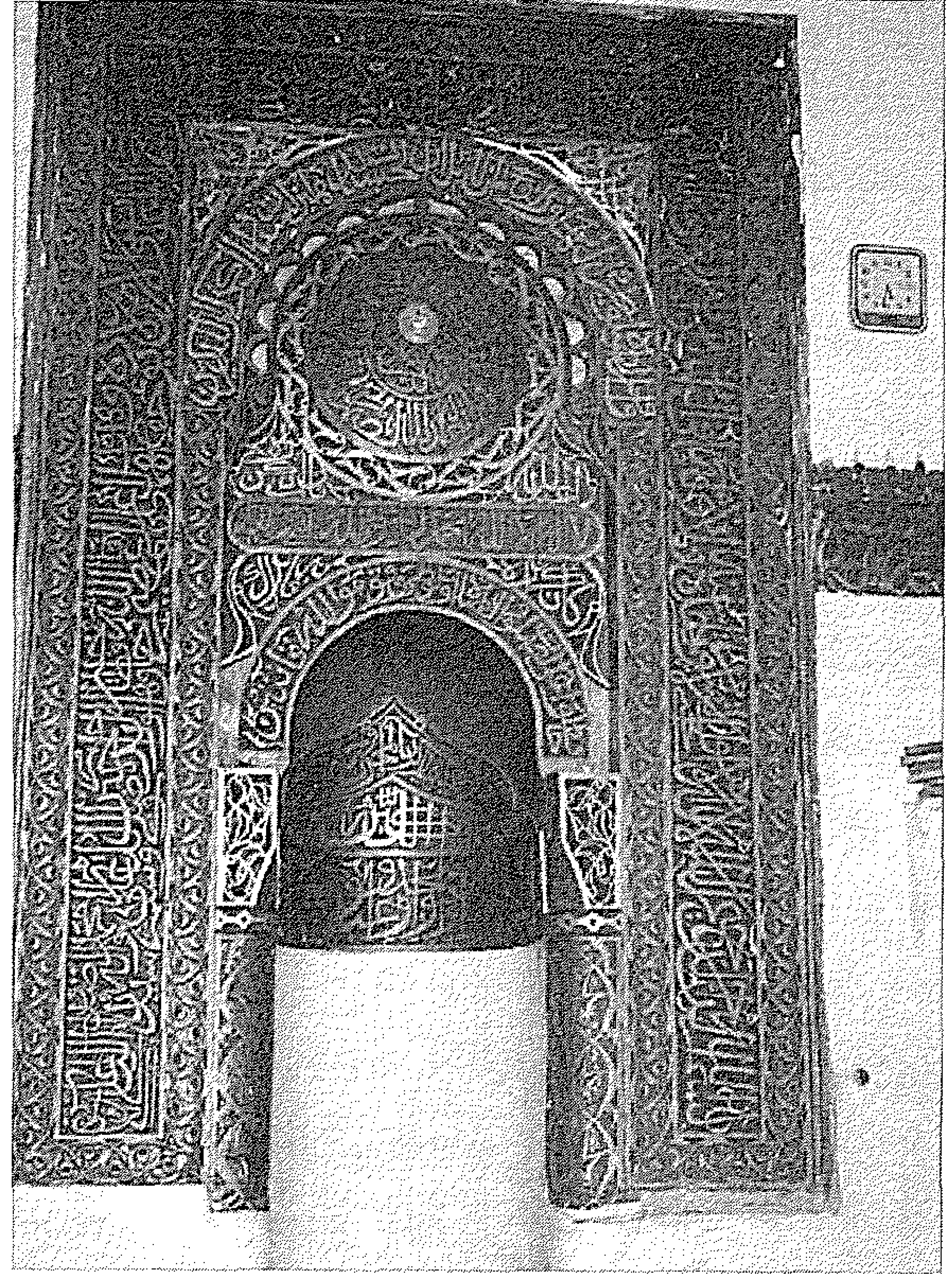
جدار القبلة

يتصدر جدار القبلة المحراب (لوحة ٢٣) وهو عبارة عن كتلة مستطيلة يتوسطها حنية عرضها ٩٠سم وعمقها



لوحة ٢٢. البوائك بمسجد الرضوان.




لوحة ٢٣. محراب مسجد الرضوان.

١م وترتفع ٢٤٠سم زينت بشريط كتابي يعلوه عقد مدبب قوام تلك الكتابات في الشريط 'يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون'[٤١] أما واجهة العقد فتزينه كتابات نصها 'كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا'[٤٢] أما باطن العقد فقد نصت كتاباته على 'الله أكبر' هذا يتوج الحنية طاقية نصف اسطوانية زينت واجهتها بشريط كتابي نصه 'حافظو على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين'،[٤٣] ويعلو الحنية شريط كتابي قوام كتابته 'لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله' يعلوه ترس زين بكتابات نصها البسملة وسورة الإخلاص يحيط به زخرفة نباتية و تحصر الترس والشريط الكتابي وعقد الحنية كوشات زينت بكتابات نصها:

'اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك' (حديث شريف)

إلى جانب ذلك يكتنف الحنية عمودان مندمجان زين بدنهما بزخرفة نباتية قوامها فروع نباتية تدور وتلتقي مكونة جامة بداخلها ورقة كأسيه تقوم فوقهما تيجان ناقوسيه مقلوبة زينت بالزخرفة النباتية المكونة من الورقة الثلاثية والثنائية. كما يكتنف المحراب شريطان زخرفيان قوام زخرفتهما التوريق العربي يقوم عليهما عقد يعلو الترس زين بكتابات نصها 'وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين'.[٤٤]

يؤطر كتلة المحراب شريطان أحدهما كتابي والآخر زخرفي زين الشريط الكتابي بالخط النسخي ينص على 'البسملة وآية الكرسي فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين صدق الله العظيم' أما الشريط الزخرفي فقوام زخرفته زخرفة التوريق العربي.

هذا ويزين جدار القبلة شريط كتابي شكل عقدا زين باطنه بكتابة نصها 'ومن يتق الله يجعل له مخرجا' يبدأ هذا الشريط من الجهة الشرقية ويصل إلى كتلة المحراب ثم يستمر بعدها، وينص على يمين المحراب 'يا أيها الذين آمنوا اتقوا لله حق تقاته ولا تموتون إلا وأنتم مسلمون،[٤٥] واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم'[٤٦] أما من على يسار المحراب فينص على 'إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين،[٤٧] في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار'[٤٨] هذا وينتهي الشريط بكتابة تنص على 'كتب الخط والنحت الفقير إلى الله الراجي مغفرة الله وعفوه حمود أحمد سنهوب، ١٤٠٣هـ، وهذا يدعونا إلى القول بأن الزخرفة والكتابة جددت بهذا التاريخ بينما البناء باق منذ زمنه منذ أيام الإمام المهدي عباس حيث لم نلحظ أي تغيير. سوى تلك السقيفة التي تتقدم بيت الصلاة إضافة إلى المطاهير كما يفتح في جدار القبلة ست خزانات ثلاث على يمين المحراب وثلاث على يساره اتخذت الشكل المستطيل.

الجدار الجنوبي

بعرض ١م يغلق علي كل نافذة باب خشبي مكون من ضلفتين طليتا بالرنج الحديث. يعد هذا الجدار غرة المسجد ففيه فتحت ثلاثة مداخل تطل على الصحن واتخذت الشكل المستطيل المعقود بعقد مدبب ويغلق عليه باب خشبي مكون من مصراعين كما فتحت فيه نوافذ ثلاث وهو يتشابه مع الوصف السابق للجدار من الخارج، إلا أنه يتميز عنه بوجود مدخل لا يظهر من الخارج وهو عبارة عن مستطيل

الشكل عرضه ١٢٥سم وارتفاعه ٢م يقع في نهاية الجدار الجنوبي إلى الجهة الشرقية منه، ويفضي إلى المطاهير القديمة.

الجدار الشرقي

يفتحت في هذا الجدار المدخل المذكور آنفا إضافة إلى ذلك فتح فيه خزانتان على يمين ويسار المدخل بعرض ١١٠سم يغلق على الواحدة منها باب مكون من ضلفتين.

الجدار الغربي

سبق وصفه عند الحديث عنه من الخارج إذ لا يوجد ما يميزه من الداخل عن الخارج سوى تغطيته بالطبقة الجصية. هذا ويغطي بيت الصلاة سقف مسطح بني من الخشب والأعواد الصغيرة (القصع) بحيث عمد البناء إلى عمل عوارض خشبية ــ بعرض الأسكوب ـ تتقاطع مع براطيم خشبية عمودية على العوارض، وما بينهما ملئ بالأعواد الصغيرة ثم غطيت بطبقة ترابية ومن فوقها طبقة قضاض.

الدراسة التحليلية

تشمل هذه الدراسة تحليلا للعناصر المعمارية والفنية التي ازدانت بها عمائر المهدي عباس الدينية في مدينة صنعاء وهي:-

أولا: العناصر المعمارية

المداخل

فتحت في تلك المباني مداخل متعددة في جميع جدرانها عدا جدار القبلة، وهي مداخل بسيطة في تكوينها المعماري إذ اقتصرت وظيفتها الإنشائية كفتحات للدخول فقط على اعتبارها مؤدية إلى داخل تلك المساجد وقد اتخذت الشكل المستطيل المعقود بعقد نصف دائري أغلقت عليها أبواب خشبية مكونة من مصراعين، وقد أراد البناء أن يميز بعض الشيء هذه المداخل فجعلها داخل حجر بسيط عبارة عن حنية معقودة بعقد نصف دائري فتح في جزئها السفلي تلك الفتحة بينما زين الجزء العلوي بزخرفة هندسية نحتت هذه الزخرفة داخل أحجار بواقع كل نوع منها داخل حجرة واحدة وقد مثلت هذه الزخرفة بالأشكال المستديرة والأسطوانية ويمكن مشاهدة ذلك في كل من مسجد التقوى والنور والرضوان بالإضافة إلى نوافذ تلك المساجد، كما وجدت مداخل في هذه المساجد موضوع الدراسة تتقدمها سقائف مقبية اتخذت هذه السقائف شكل جوسق فتحت جوانبه الأربعة بواسطة عقود محمولة على أكتاف حملت فوقها القبة وقد مثل هذا المدخل الشرقي لقبة المهدي والذي يتشابه مع المدخل الجنوبي للجامع الكبير بصنعاء[٤٩] وكذلك مسجد الزمر ومسجد طلحة[٥٠] وقد اختلفت هذه المداخل عن مدخل مسجد الرضوان إذ أن المدخل لا يلتصق بجدران بيت الصلاة بل يفصل بينهما الصحن وهو عبارة عن جوسق فتحت جوانبه الأربعة بواسطة عقود نصف دائرية محمولة على أكتاف حملت فوقها القبة ونجد فيه أن الفتحة الشرقية قد سدت مؤخرا حيث أوصلت الفتحة إلى غرفة بينما نجد الفتحة الشمالية قد أغلق عليها باب خشبي وهذه الفتحة هي التي تفضي إلى صحن المسجد، وهذا المدخل قد جاء مشابها لمدخل البكيرية في بعض الأوجه وهو أن كليهما يفصل بينهما عن بيت الصلاة الصحن كما أن مدخل مسجد الرضوان لا يضاهي مدخل البكيرية.

تخطيط المساجد

لو رجعنا بذاكرتنا قليلا إلى بداية ظهور الإسلام، وخاصة بعد أن أصبح للمسلمين مكان يقيمون فيه دولة الإسلام، قام الرسول ﷺ بترسيخ هذا الدين فوضع أول لبنة فيه وهو إنشاء المسجد الذي شارك هو ﷺ في بنائه بيده الشريفة فجاء هذا المسجد مع بساطة تكوينه المعماري لا يخلو من العناصر الرئيسة وهي[٥١] 'بيت الصلاة، الصحن، والمحراب، والمنبر' ولقد جاء بيت الصلاة مع وجود مسجد الرسول ﷺ بالمدينة واكتسب تخطيطه مع مرور الزمن الذي وصل في تخطيطه إلى صحن محاط بأربعة أروقة أعمقها رواق القبلة، وقد طبق هذا التخطيط فى مساجد كل من مسجد صنعاء الكبير، ومسجد البصرة، ومسجد الكوفة، ومسجد الفسطاط، ومسجد القيروان وغيرها في جميع أقطار العالم الإسلامي.[٥٢]

وبعد أن انتشرت المساجد في أحياء المدن أصبح تخطيطها مغايرا للمسجد الجامع في المدينة وكانت هذه المساجد تؤدى فيها الصلوات الخمس فقط لذا جاءت صغيرة في مساحتها بما يتناسب مع عدد سكان الحي وجاءت عبارة عن ساحة مربعة أو مستطيلة قسمت من

الداخل بواسطة أساكيب تقطعها بوائك تحمل عقودا تسير موازية أو عمودية على جدار القبلة غطيت بسقف مسطح، ومساجدنا موضوع الدراسة نجد أن بيت الصلاة فيها قد اتخذ الشكل المربع عدا مسجد الرضوان فهو مستطيل الشكل، وقد عمد البناء إلى تقسيم جميع هذه المساجد إلى ثلاثة أساكيب بواسطة بائكتين من الأعمدة التي ارتكزت على الأرض مباشرة تتوجها تيجان ناقوسيه أو كأسيه حملت عقودا نصف دائرية تسير موازية لجدار القبلة، وغطيت هذه المساجد بأسقف مسطحة عدا قبة المهدي التي غطيت بقبة، كما فتح في جدران المساجد مداخل في الجدار الجنوبي وهي مداخلها الرئيسة وكذلك في جدرانها الشرقية والغربية.

المحراب

عنصر معماري ابتكره المسلمون لضرورات معمارية مهمة منها تحديد اتجاه القبلة في المسجد، ودخول الإمام في الحنية ليوفر صفا للمصلين، كما أنه يعمل على تفخيم الصوت وتكبيره. جاءت كلمة محراب من الفعل حرب، حْربٌ ومحراب، وقال الفراء المحاريب صدور المجالس ومنه سمي محراب المسجد[٥٣] وقد دارت حول نشأته آراء كثيرة أسهب المستشرقون بدراسة هذا العنصر المعماري بالتحليل بما يتوافق وأهوائهم الشخصية وهل أخذوه عن حنية الكنيسة أم لا، ولذا يمكن القول أن حنية الكنيسة ليست جزءاً أساسيا منها لأن هناك كنائس كثيرة خالية من الحنية فالمهم في الكنيسة المائدة التي توضع عليها أدوات الصلوات وخلفها يقف القس في مواجهة المصلين ولذلك فالقس هو المصلي ومن أمامه يتابعونه في حركاته دون أن يصلون، أما المسلمون فكل منهم يصلي وحده حتى لو كانت الصلاة جماعة ومن ثم فهم محتاجون إلى إمام ليوحد حركات القيام والركوع والسجود ولذلك احتاجت صلاة الجماعة لإمام يوحد تلك الحركات.

لذلك ليس من الضروري أن يكون المحراب حنية بل لا بد من أن يكون متجها إلى القبلة، ولذلك لم تظهر المحاريب إلا في عصر الوليد بن عبد الملك.[٥٤]

والفرق بين الحنية في الكنيسة والمحراب في المسجد جسيم حيث نجد أن محراب الكنيسة عبارة عن دخلة نحو ١٠سم في جدار الكنيسة ــ أي يطول الجدار ــ ليستوعب وضع المائدة، أما في المسجد فهو عبارة عن دخلة في الجدار يستوعب شخص واحد، للأسباب المذكورة أنفاً:- لذلك فهو عربي إسلامي صرف أملت الحاجة إلى ضرورة إيجاده في المسجد[٥٥] إضافة إلى ذلك نجد أنه انتشر بسرعة كبيرة في جميع أرجاء العالم الإسلامي،[٥٦] في مصر والعراق وإيران والجزيرة العربية وغيرها، فضلا عن ذلك فقد عمد الفنان إلى أن يوقع باسمه على أنه صانع ذلك المحراب ومن أمثلة ذلك في محراب الجامع الكبير بصنعاء.[٥٧]

هذا وقد جاءت محاريب المساجد موضع الدراسة بسيطة في تكوينها المعماري والهندسي إذ هي عبارة عن حنية في جدار القبلة اتساعها ما بين ٨٠ ـ ٩٠سم وعمقها ١م وارتفاعه ٢٢٠، ٢٤٠سم تغطيها طاقية نصف اسطوانية يتصدرها عقد زين بكتابات ويكتنفها عمودان مندمجان بتاجين زينا بزخرفة ويعلوها ترس، كما أحيطت الحنية بأشرطة كتابية وزخرفية، أما من الخارج فنجدها تبرز عن سمك الجدار بنحو ٣٠، ٤٠ بينما نجد أن محراب قبة المهدي غفل من الزخرفة وربما ذلك يرجع إلى أن هذه القبة تعد المسجد الرئيس التي يصلي بها المهدي فجعلها كذلك امتثالاً لحديث الرسول ﷺ لا تزخرفوها كزخرفة اليهود والنصارى بينما اعتنى بغيرها من المساجد التي بناها وهي المساجد موضوع الدراسة.

وقد جاءت الكتابات التي تزين المحاريب عبارة عن آيات قرآنية تحث على الصلاة، وذكر المحاريب وسورة الإخلاص وآية الكرسي وعبارة لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله فاطمة أمة الله الحسن والحسين سبطي رسول الله.[٥٨]

الصحن

بما أن الصحن في تخطيط مسجد الرسول جاء امتدادا لبيت الصلاة ويستعمل في يوم الجمعة لذلك استخدم كممرات للأروقة وربما جلسوا فيه للسمر ثم أخذ الفقهاء يحددون استعماله وتكريه أي عمل غير الصلاة.[٥٩]

وقد خلط البعض بين صحن الجامع وحرمه ولكن الفقهاء فرقوا بينهما فصحن الجامع ما يوجد بداخل جدرانه من فناء غير مسقوف، وأما حرمة فهو المنطقة المحيطة به وما تشتمل عليه من مبان وفضاءات، وقدا اشترطوا فيها النظام وذلك لأن الصلاة قد تمتد إليها في أيام الجمعة والأعياد.[٦٠]

وتعريف الصحن، هو المساحة المكشوفة (الفناء) الذي يتوسط المسجد الجامع المحاط بأربعة أروقة أو

المساحة المكشوفة في المساجد الصغيرة (مساجد الصلوات الخمس) المكونة من بيت الصلاة وصحن يتقدمها في غالب الأحيان أو يحيط بها في أحيان أخر.

وفي المساجد موضع الدراسة نجد أن الصحن يتقدمها من الناحية الجنوبية عموما كما يحيط بها من الناحية الجنوبية والغربية وذلك في كل من مساجد المهدي ومسجد النور أو يحيط بها من جميع الجهات كما في قبة المهدي وقد اتخذت هذه الصحون مساحات مستطيلة الشكل تكبر وتصغر حسب المساحات المتاحة لها.

وقد ازدادت أهمية هذه الصحون بأن اتخذت كأماكن للصلاة خاصة بعد أن تحولت هذه المساجد إلى مساجد جامعة تقام بها صلاة الجمعة وذلك نظرا لازدياد أعداد المصلين فيها، مما جعلهم يتخذون منها مصليات، هذا وقد عمد القائمون عليها بعمل سقائف تتقدمها سواء من الناحية الجنوبية كما في مسجد التقوى ومسجد الرضوان أو من الناحية الغربية كمسجد النور أو عمل ظلات حديدية كما في قبة المهدي.

الحنايا الركنية

أقيمت القبة على حنايا ركنية واسعة عملت هذه الحنايا على تحويل المربع إلى مثمن وفي هذا الصدد نجد أن الباحثين قد تضاربت آراؤهم حول موطن ابتكار هذا النوع من المعالجة المعمارية لانتقال القبة من المربع إلى المثمن فمنهم من نسبها إلى بلاد فارس ومنهم من نسبها إلى الرومان أو إلى أرمينيا أو أن لسوريا بعض الفضل في ذلك أو إلى بلاد مابين النهرين وخراسان، وقد قام الدكتور أحمد فكري بمناقشة تلك الآراء وخلص إلى أنه اجتمع في قباب القصور الساسانية أول مثل صريح وواضح لشكل الحنايا الركنية والتي كان لها تأثير واضح على العمارة الإسلامية،[٦١] بينما يشير كريزويل إلى أن الأقاليم الشرقية لبيزنطة وخاصة في أرمينيا في قصر فيروز أباد الذي يرجع إلى ق.م[٦٢] ويشير شافعي إلى أن العراقيين في العصر الساساني قد ابتكروا الحنية الركنية.[٦٣]

والحنية هي عبارة عن ربع قبة بيضية الشكل يتضاءل قطرها كلما اتجهنا نحو زاوية المربع، وقد ظهر أول استعمال للحنية الركنية في العمارة الإسلامية في قصر الأخيضر ببادية العراق جنوب كر بلاء ويؤرخ في سنة ١٦١هـ ٧٧٨م[٦٤] وأن المثل للحنايا الركنية الذي اتخذ شكلا عربيا خالصا هو في باب العامة بقصر الجوسق الخاقاني سامراء (٢٢١هـ -٨٣٦م)[٦٥] بينما يشير الدكتور.فكري إلى أن أقدم حنايا ركنية في العمارة الإسلامية هي في قبة المحراب بالمسجد الجامع بالقيروان (٢٢١هـ- ٨٣٦م).[٦٦]

ومن خلال النظر إلى تاريخ إنشاء هذه الحنايا في العمارة الإسلامية في تلك الفترة ما بين قصر الأخيضر والخاقاني والقيروان، لوجدنا أنه واحد ويدلل على ذلك انتشاره في مصر وبلاد الشام واليمن حيث نشاهد أقدم مثل لها صريح باق إلى الآن هو حنايا قبة ضريح الإمام عبد الله بن حمزة بظفار ذيبين[٦٧] ثم توالت بعده بناء القباب المقامة على الحنايا الركنية في كثير من الأمثلة في صنعاء وغيرها، وما عمائر الوجود العثماني في اليمن لأكبر دليل على ذلك منها البكيرية وطلحة وفي الفترة التي سبقت تاريخ هذا الأثر الذي نحن بصدده هو قبة المتوكل في بستان السلطان (ميدان التحرير).

القبة

لعبت القباب دورا مميزا في العمارة التي سبقت الإسلام والعمائر الإسلامية الدينية والمدنية سواء في وظائفها المعمارية أو الجمالية، بما كانت تتميز به من أشكال كثيرة ومتنوعة وما حملته من زخارف، وإذا أردنا أن نخوض في أصل القبة وهل هي بيزنطية أم ساسانية أم عربية فإن ذلك سوف يطول بنا، ولذا لو فرضنا أن العرب أخذوها عن غيرهم إلا أنهم لم يقفوا عند حد التقليد فطبعهم التحديث والتطوير ولذا تطورت القبة تطورا كبيرا في العصر الإسلامي بدا من قبة الصخرة وما تبع العصر الأموي من تطوير لها في العصر العباسي وما بعده.

أما في اليمن فلقد أثبتت الحفائر الأثرية في منطقة صبر لحج عن الكشف عن جزء من قبة والحنية الركنية الحاملة لها والتي من المحتمل أنها كانت تغطي فرنا للفخار، إضافة إلى ذلك فإن الإشارات التاريخية التي تصف القليس بمدينة صنعاء تذكر أن القبة كانت تغطي القاعة الرئيسية بها.[٦٨]

أما في العصر الإسلامي فيشير Serjeant أن أقدم القباب التي أقيمت في اليمن ربما كانت القبة التي تغطي مسجد فروة التي تعود إلى تجديد سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٧م)[٦٩] ثم نجد أن ضريح الشهيدين قد أقيمت عليه قبة وكذلك القباب التي أنشأها السلطان علي بن محمد الصليحي في الجنابذ بزبيد[٧٠] ثم توالت القباب في اليمن

سواء في العصر الرسولي أو بني طاهر أو دولة الأئمة الزيدية وخاصة القباب التي تغطي الأضرحة، إضافة إلى القباب في العصر العثماني والأمثلة في صنعاء كثيرة كالبكيرية، وطلحة ـ والمتوكل، وغيرهم.

والقبة تعتمد في بنائها على القالب الخشبي 'السقالة' بحيث يتحدد شكل القبة بشكل قالبها[٧١] ولذلك ينقل ابن الأثير عن أبي شامة في حوادث سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م أنه أحضرت الأوتاد الخشبية لأجل قبة النسر في الجامع الأموي بدمشق،[٧٢] وفي هذا الصدد يمكن القول بأن المعمار اليمني قد نهج في بناء قبة المهدي نهج سلفه بإقامة القبة نصف الكروية بالاعتماد على الساحة المربعة 'بيت الصلاة' والتي تم تحويلها من المربع إلى مثمن بواسطة الحنايا الركنية لتستقر فوقها رقبة القبة المستديرة والتي لم تظهر من الداخل بينما ظهرت من الخارج مثمنة الشكل تسمى ناصية منطقة الانتقال، غطيت من الداخل بالجص ومن الخارج بمادة القضاض.[٧٣]

الضريح

أعد المهدي عباس ضريحه بنفسه ليكون برسم دفنه بعد وفاته، وقد أتخذ الشكل المربع المغطى بقبة وهذا الشكل للأضرحة قد مر بعدة مراحل في تطور بنائه حيث يروى أن أقدم ضريح باق في العمارة الإسلامية هو القبة الصليبية في سامراء أوأضرحة القباب السبع في جبانة أسوان والتي تعتبر المثل الحي لهذا التطور، ولقد تطور نظام تخطيط الأضرحة من النوع المفتوح من جوانبه الأربعة وبشكل جوسق تغطيه قبة.[٧٤]

ثم تطور هذا النظام حيث قام المعمار الفاطمي في مصر بسد جوانب الضريح تاركا له مدخل واحد فقط، ويتمثل هذا التخطيط في ضريح الجعفري وعاتكة[٧٥] ومثل قمة تطور لهذا التخطيط في مشهد يحي الشبية.[٧٦]

أما في اليمن فيعد ضريح المنصور عبد الله بن حمزة أقدم ضريح باق في الأضرحة اليمنية وقد التزم المعمار فيه التطور في تخطيطه حيث أنه كان يفتح فيه ثلاثة مداخل عدا جدار القبلة، ولكنها سدت مؤخرا عدا مدخلين.

إلا أننا لا نعرف كيف كانت الأضرحة اليمنية قبل هذا إذ يحجم المؤرخون عن وصف تفصيلي لتلك الأضرحة وغيرها من المنشآت إذ يذكرون أنه بني كذا فقط دون تفصيل[٧٧] ثم توالي بناء الأضرحة في اليمن.

وخاصة في العمارة الزيدية التي احتفظت بالشكل العام للضريح المكون من قاعة مربعة غطيت بقبة، وضريح المهدي قد مر بناؤه بمراحل حيث اختيرت أولا البقعة التي أمر الإمام المهدي ببناء الضريح فيها ولذلك كانوا يختارون أماكن دفنهم إبان حياتهم بل ويوصون بأن يدفنوا فيها بعد مماتهم.[٧٨] ومن ذلك الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة ت ٦١٤هـ/ ١٢١٧م الذي أوصى أن يدفن في حصنه بظفار ذيبين إلى جوار جامعه فمات بكوكبان ثم نقل إلى حصن بكر فدفن فيه سنتان وخمسة أشهر ثم نقل إلى ضريحه بظفار والعلة في بقائه بحصن بكر هو عدم اكتمال بناء ضريحه وتهيئته[٧٩] وبعد أن يتم اختيار البقعة المراد دفن المتوفى فيها تأتي عملية بناء الضريح وقد اتخذ هذا الضريح تخطيطا لا يخرج في مجمله عن تخطيط الأضرحة في العالم الإسلامي وهو عبارة عن ساحة مربعة يتصدر جدارها الشمالي محراب وفتح في الجدار الجنوبي المدخل كما فتح مدخل آخر في الجدار الشرقي سد مؤخرا وقد تمثل هذا التخطيط في معظم الأضرحة اليمنية ويعلو هذه المنطقة المربعة حنايا ركنية حولت المربع إلى مثمن ثم حول إلى دائرة أقيمت فوقها القبة.

العقود

لعبت العقود دورا هاما في تاريخ العمارة العربية الإسلامية منذ عصورها المبكرة، وقد وجد منها نوعان شاعا في العمارة الإسلامية هما العقد النصف الدائري والمدبب.[٨٠]

العقد المدبب

وهو العقد الذي يشكل نصفاه من مركز مختلف، وكلما قل انفصال هذين المركزين كلما قلت سعة العقد، ويعتبر هذا العقد مرحلة متطورة للعقد النصف دائري، ويمتاز هذا العقد بقوة تحمله حيث يتوزع الثقل فيه على نقطتين في حين يرتكز على نقطة واحدة في العقد النصف دائري.[٨١]

هذا وقد اختلفت الآراء حول ظهور هذا العقد فيرى كريزويل أن أقدم عقد مدبب ظهر في قصر ابن وردان ٥٦١/ ٥٦٤م والذي يقع بالقرب من حمص[٨٢] بينما يرى شافعي أن أقدم عقد مدبب يظهر في سلسلة الحنايا التي تعلو واجهة طاق كسرى وأن الدبب فيه لم يأت عفوا أو لانعدام الدقة في طريقة البناء، بل كان عملها مقصودا.[٨٣]

ونجد أن الدكتور فكري يقول أن العقد المدبب ابتكار عربي صرف نشأ في العراق وأول ظهوره في قصر الأخيضر، ثم عم استعماله بعد ذلك، حيث نجده في قصر الجوسق الخاقاني بسامراء والمسجد الجامع بالقيروان من عهد زيادة الله،[٨٤] إضافة إلى ذلك يشير آخرون إلى أن أول ظهوره كان في قصير عمرة حيث يعقد على قاعة الاستقبال عقدان مدببان تدببا خفيفا[٨٥] وعلى كل حال فإن هذا العقد ابتكار عربي خالص كما أشار إلى ذلك أحمد فكري لأنه انتشر بعد ذلك فى العمارة الإسلامية في جميع أقطار العالم الإسلامي.

أما في اليمن فقد شاع هذا النوع من العقود إذ نشاهده في عقود الجامع الكبير في شبام كوكبان الذي يرجع إلى فترة بني يعفر في العصر العباسي الأول، وفي جامع السيدة بنت أحمد بجبلة وعلى الأضرحة اليمنية إذ استخدم بكثرة على مداخلها والحنايا فنشاهده يتوج حنايا قبة ضريح المنصور بالله عبد الله بن حمزة الذي يعد أقدم ضريح مستقل باق[٨٦] وغيره. أما العمائر موضوع الدراسة فنشاهده يتوج حنية محراب قبة المهدي وبعض المداخل وبعض العقود التي تشكل بوائك المساجد موضوع الدراسة.

العقد النصف دائري

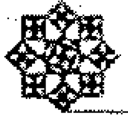
هو العقد الذي يرسم قوسه نصف دائرة لا دبب فيها ولا انكسار ولا تجاوز على النصف دائرة وقد انتشر هذا العقد في العمارة الإسلامية في جميع الأقطار وعبر العصور إلا أنه ليس من السهل الوصول إلى أول من ابتكره وفي أي عصر، إلا أننا نجد أقدم الأمثلة في العمارة الإسلامية يوجد في قبة الصخرة، إلا أن د/ أحمد فكري يعتقد أن الجزيرة العربية هي المصدر الأول للعناصر المعمارية والفنون العربية أو على الأقل الينبوع الذي استقت منه تلك العمارة والفنون إيحاءاتها وتعبيراتها ولهذا نجد انه في اليمن قد استخدم في أقدم الآثار الإسلامية وذلك في الجامع الكبير بصنعاء وشبام كوكبان، ثم تتالى وجوده على العمائر حيث نشاهده على ضريح الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة في ظفار ذيبين الذي يعود إلى بداية القرن السابع الهجري وكذلك على ضريح أخيه يحي بن حمزة في كحلان عفار، أما في العمائر موضوع الدراسة فنجده انتشر بكثرة، حيث نشاهده في حجور مداخلها وحنايا قبة المهدي والعقود التي تعلو بوائك العمائر جميعها سواء على المداخل والنوافذ والبوائك.

التوابيت

استخدم الإنسان في صناعة توابيته الخشب منذ فترة موغلة في القدم إلا أنه كمادة عضوية لا تقوى على مقاومة عوادي الزمن، إلا أنه من أهم التحف الخشبية التي وصلتنا من العصور الإسلامية هي تلك الحشوات التي استعملت كمساند 'كوابيل' للعوارض الخشبية، وقد زينت تلك الحشوات بزخارف نباتية متنوعة، على أن أجمل ما عثر عليه من التحف الخشبية ما يعرف بباب تكريت في العراق والمحفوظ حاليا بمتحف بناكي بأثينا وقد زين هذا الباب بشجرة تنتهي من الأعلى بغصنين لهما التوائين كالقرنين إلى جانب زخرفة أوراق العنب وعناقيده وزخرفة هندسية[٨٧] إلا أن أجمل ما أنتجته يد الفنان المسلم وأقدمها هو منبر جامع سيدي عقبة بالقيروان والذي يرجع إلى العصر العباسي وقد صنع في بغداد في نهاية عصر الأمير الأغلبي أبي إبراهيم أحمد الذي حكم في الفترة مابين ٢٤٢ـ ٢٤٩هـ/ ٨٥٦ـ ٨٦٣م، وقد زين هذا المنبر بزخارف نباتية وهندسية إضافة إلى العناصر.[٨٨]

أما في اليمن فتعد الزخرفة الخشبية من أكثر المواد استخداما وشيوعا وتعتبر الأسقف الخشبية في المساجد بما تحمله من زخارف لخير دليل على أن أجمل الزخارف الخشبية في اليمن فقد زين الفنان اليمني تلك لأخشاب بالزخارف النباتية والهندسية والكتابية، ويعد أقدم الأسقف الخشبية في اليمن هما سقفي الجامع الكبير بصنعاء وشبام كوكبان إذ يعودان إلى منتصف القرن الثالث (أي سنة ٢٦٥هـ) حسب الكتابة المذكورة على البرطومة الخشبية أسفل قاعدة المئذنة الغربية في الجامع الكبير بصنعاء وقد زينت تلك الأخشاب بزخارف متنوعة منها أوراق العنب وعناقيده وكيزان الصنوبر وغيرها والتي تنم عن مرحلة متطورة لاشك أنه سبقها محاولات للوصول إلى هذا الإبداع.[٨٩]

أما بالنسبة للتوابيت فيعد العصر الأيوبي اشهر العصور في انتاج أجمل التوابيت كما يعد تابوت الشافعي في مصر أحسنها إذ تتألف جوانبه الأربعة وغطاؤه من حشوات زينت بزخارف نباتية دقيقة مجمعة بشكل أطباق نجمية وأشكال هندسية إلى جانب غناء التابوت بالزخارف الكتابية بالخطين الكوفي والنسخي ويرجع تأريخه حسب النص إلى سنة ٥٧٤هـ / ١١٧٩م أما في يمننا فقد أبدع النجار في عمل التوابيت وعدد مستوياتها



مابين مستوى وأربعة مستويات وقد حذا حذو زميله العربي في تكوين التوابيت من حشوات ربط بين أجزائها بالمفصلات الحديدية انتهت رؤوسها على شكل الورقة الثلاثية وثبتت بالمسامير المكوبجة وزينت جوانبها بالزخارف النباتية والكتابية والهندسية وقد مثل هذا النوع من التوابيت توابيت كل من المنصور عبد الله بن حمزة وعز الدين محمد والمهدي أحمد بن الحسين بذيبين والمؤيد يحي بن حمزة بذمار وعماد الدين يحي بن حمزة بكحلان عفار وتابوت المهدي عباس موضوع الدراسة، والذي يتكون من أربعة مستويات شكلت جوانبه الأربعة ميدانا للتنوع الزخرفي مابين كتابية من نوع الخط النسخي وزخارف نباتية وهندسية وسنبدأ بالنصوص الكتابية وهي على النحو التالي:-

أولا: الآيات القرآنية وهي

سورة الفاتحة والتي تزين جوانب المثمن في رقبة قبة التابوت.

آية الكرسي[٩٠] وقوله تعالى ﴿إن الذين سبقت لهم منى الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾[٩١] ثم أسماء الله الحسنى حيث يبدأ بقوله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾[٩٢] ثم يسرد أسماء الله الحسنى إلى أن ينتهي بقوله 'الوارث الرشيد الصبور الذي ليس كمثله شيء وهو السميع العليم 'صدق الله العظيم' وآية ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾.[٩٣]

ثانيا: الأحاديث النبوية

لا يحتوي التابوت على أحاديث وإنما على جزء من حديث نصه 'إنما الأعمال بالنيات'.

ثالثا: العبارات وهي

لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله فاطمة أمة الله الحسن والحسين سبطا رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين

النصوص وهي:

أما الحشوات التي تزينها النصوص فتتوسط التابوت من الناحيتين الشمالية والجنوبية وتتكون من قسمين يمين ويسار فالحشوة الشمالية التي على اليمين نصها.

أمير المؤمنين الإمام المنصور
بالله رب العالمين الحسين ابن
أمير المؤمنين الإمام المتوكل على
الله القاسم ابن الحسين ابن

أما الحشوة التي على اليسار فنصها:-

أمير المؤمنين الإمام المهدي
لدين الله أحمد ابن الحسين ابن أمير
المؤمنين الإمام القاسم ابن محمد
ابن علي بن الرشيد ابن أحمد ابن الحسين

أما الحشوات في الجهة الجنوبية فقد تعذرت قراءتها بسبب قرب التابوت من الجدار، ومن المحتمل أن تكون نصوصها عبارة عن اسم الإمام المهدي وألقابه التي تتقدم اسمه.

الألقاب الواردة على النصوص وهي

أمير المؤمنين

أمير المؤمنين من الألقاب المركبة على لقب أمير وهو ثاني لقب أطلق في الإسلام بعد لقب الخليفة، وأول من تلقب به هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويعطي هذا اللقب الصفة الدينية والسياسية، ومنذ عهد عمر أصبح هذا اللقب من ألقاب الخلفاء، فصار يطلق على الخلفاء ومدعي الخلافة في جميع أنحاء العالم الإسلامي سواء كانوا سنة أو شيعة،[٩٤] وفي اليمن كان أول من تلقب به هو الهادي إلى الحق يحي بن الحسين، ثم سار من بعده الأئمة وصولا إلى عهد الإمام أحمد بن حميد الدين ت ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م وقد ورد هذا اللقب على توابيت كل من المهدي صلاح بن علي بصعدة وتابوت شرف الدين بظفير حجة.[٩٥]

هذا ونجد هذا اللقب مذكورا على تابوت الإمام المهدي عباس وتابوت المتوكل على الله القاسم بن الحسين ت ١١٣٩هـ بقبته في باب السبحة.

الإمام

الإمام وتعني القدوة، ويقال أم القوم في الصلاة فهو إمام وقد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿قال إني جاعلك للناس إماما﴾[٩٦] هذا وقد استعمل كلقب لمن

يتولى أمور المسلمين منذ عصر الرسول ﷺ، وكان أول من تلقب به هو إبراهيم بن محمد أول خليفة عباسي،[٩٧] كما أن أول نقش ورد عليه هذا اللقب هو نص إنشاء قبة الصخرة سنة ٧٢هـ من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان ولكن اللقب فيه أطلق على الخليفة المأمون[٩٨] أثناء تزويره للنص وفي اليمن نجد أن أول من تلقب هو الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين، ت ٢٨٩هـ وظل مستخدما حتى ١٣٨٢هـ حيث كان آخر من تلقب به هو الإمام أحمد بن حميد الدين، وقد ورد على تابوت الهادي بصعدة وابنه الناصر أحمد وكذلك على تابوت الإمام يحي بن حمزة بذمار، ثم تتالى ورود هذا اللقب على الآثار الإسلامية، سواء الثابتة أوالمنقولة لذا نجده على تابوت الإمام المهدي عباس يتكرر بذكر أسماء الأئمة.

المنصور بالله

من الألقاب المركبة، والمنصور نعت خاص بالخليفة أبي جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس، وقد ورد ضمن ألقابه في نص تشييد في أذربيجان ثم تلقب به الكثيرون، ولقب المنصور يشير إلى أن صاحبه مؤيد بالنصر من عند الله[٩٩] وفي اليمن ورد لقبا للمنصور عبد الله بن حمزة وورد على تابوته وشاهد قبره وأصبح في اليمن علما عليه إضافة إلى ذلك ورد هنا على تابوت المهدي عباس لقباً لوالده كما ورد على شاهد قبر والده المنصور في قبته بالأبهر.

المتوكل على الله

المتوكل من الفعل وكل وهو الذي يعلم أن الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره[١٠٠] وهو لقب استخدمه الخلفاء من بني العباس، وكان أول من تلقب به هو الخليفة المتوكل على الله العباسي ٢٣٢-٢٤٧هـ / ٧٤٨- ٨٦١ م كما تلقب به شرف الدين يحي وأصبح علما له وقد ورد على تابوته في ضريحه بظفير حجة وهنا نشاهد هذا اللقب على تابوت المهدي عباس كلقب لجده القاسم بن الحسين.

المهدي

المهدي أي الموجه من الله إلى الطريق الحق والصواب وقد كان هذا اللقب ذا شأن خطير في الإسلام لاسيما عند الشيعة [١٠١] وأطلق على المهدي المنتظر، وقد ورد على تابوت المهدي صلاح ت ٨٥٧هـ وتلقب به كثيرون من الأئمة الزيدية منهم المهدي علي بن محمد ت ٧٧٣هـ والمهدي أحمد بن يحي المرتضى ت ٨٤٠هـ وهنا يرد على تابوت المهدي عباس كلقب للإمام المهدي أحمد بن الحسن كما عرف به المهدي عباس وربما أن لقبه المهدي قد وجد في الجهة الجنوبية من التابوت والتي لم نستطع قراءتها بسبب قربها من الجدار.

خليفة العصر

انظر الهامش ٣٢

ثانيا: العناصر الزخرفية

بدأ فن الزخرفة منذ أن استقر الإنسان على هذه الأرض في كهفه حيث زينه بالزخارف التي عبرت عنها مخيلته ثم زين مسكنه ببعض الزخارف، واستمر يطورها ليغذي بها ذوقه ويتمتع بجمالها، وكانت الزخارف السائدة قبل الإسلام في المنطقة العربية تحاكي الطبيعة في كل شيء وخاصة الإنسانية منها والحيوانية، وعندما جاء الإسلام أنكر ذلك على صناع الفنون فاتجه الفنان المسلم إلى الطبيعة ينهل منها فجاء فنه معبرا في البداية عن الطبيعة ومقلداً لها وابتعد بعد ذلك شيئاً فشيئا حتى كلل ذلك بالوصول إلى زخرفة تعتمد على التكرار والتناظر والتماثل وهي زخرفة لانهاية لها ولا بداية، وأطلق عليها الأوربيون اسم الأرابيسك (Arabisque) أي بمعنى الزخرفة العربية المورقة أو زخرفة التوريق أو الرقش العربي، وانتشر هذا النوع من الزخرفة في جميع أقطار العالم الإسلامي ومنها اليمن والتي زين فيها الفنان مبانيه بالزخارف منها الجامع الكبير بصنعاء وشبام، واستمرت الزخرفة على المباني الدينية إلى أن وصلت إلى فترة دراستنا حيث نجد أنه استخدم فيها زخارف نباتية وكتابية وهندسية.

الزخارف النباتية

شاع استخدام الزخرفة النباتية في العصور الإسلامية المختلفة وأخذت مكانها كعنصر مهم من عناصر الزخرفة الإسلامية إلا أنها تأثرت بانصراف المسلمين عن تقليد الطبيعة.

ولقد زينت بعض المباني بالزخارف النباتية التي اتخذت أشكال أشرطة تدور حول المحاريب، وقوام هذه الزخرفة أوراق نباتية منها الورقة الثلاثية وزهرة القرنفل واللاليه (شقائق النعمان) وغيرها حيث زينت بها محاريب

المساجد موضوع الدراسة. وقد تطرقنا لهذه الزخرفة أثناء الدراسة الوصفية.

الزخرفة الهندسية

من أقدم الزخارف التي استعملها الإنسان في الحضارات القديمة ولكنها كانت محدودة، كما أن رسوماته كانت تدل على فقر خيال أصحاب تلك الحضارات إلا أن هذه الزخارف نالت الحظ الأوفر في الفن الإسلامي فقد تطورت وتنوعت من الخطوط المستقيمة والمقوسة والمتداخلة والمتقاطعة لتشكل أنواعا شتى من الأشكال الهندسية، إلى جانب أن الفنان العربي المسلم فرغ خياله الفني في تنفيذ تلك الزخارف فيقسمها ويجزئها ويحولها إلى خطوط ومنحنيات وذلك بتكرار وتعاقب ومد إلى ما لا نهاية فيكاد الناظر لا يقدر على تحديد بدايتها ونهايتها"[١٠٢] وهذا الإبداع في تنفيذ الزخرفة كان يعتمد على عنصرين أساسيين هما الخط والزاوية، فضلا عن علمه بأصول فن الهندسة.

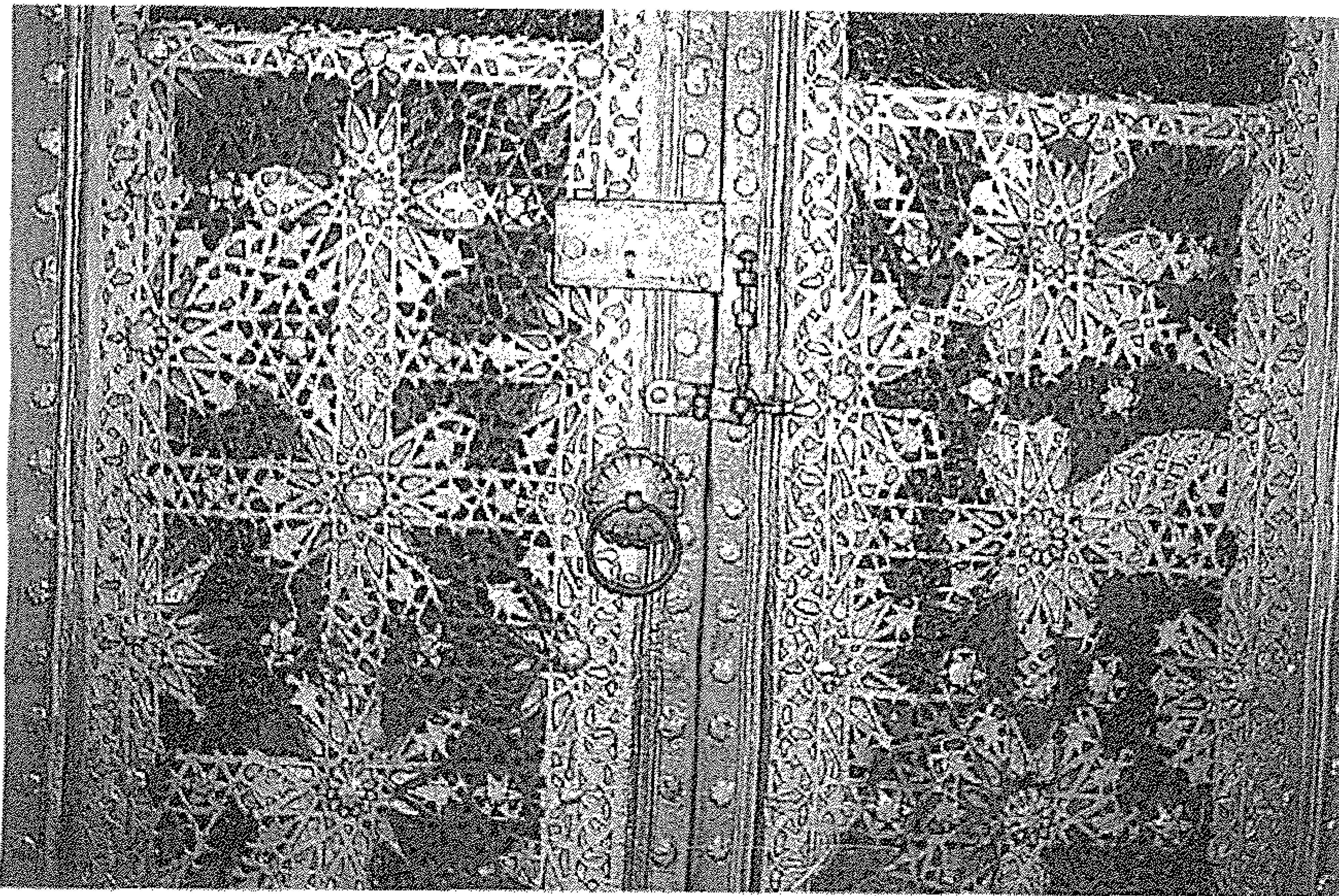
ولقد مثلت الزخارف الهندسية على المباني موضوع الدراسة بشكل متناسق وبديع بين الأشكال الهندسية والنباتية مما يدل على مقدرة الفنان اليمني على تنفيذ تلك الزخرفة ومدى معرفته بعلم الهندسة، وقد وجدت أشكال منها نذكر منها الرباعية والمستطيلة والدوائر والمثلثات والمعينات وزخرفة الميهات والتي نفذ بعضها على الجص والخشب والبعض الآخر نفذ حفرا على الحجر وخاصة تلك التي تعلوا النوافذ والمداخل (لوحة ٢٤) وقد تطرقنا إلى أغلبها عند الدراسة الوصفية.

الزخرفة الكتابية

تعتبر الكتابات على الآثار الإسلامية من أهم مميزات الفن الإسلامي عامة إذ يعد الخط العربي السمة والصبغة العربية التي صبغت بها الآثار الإسلامية دون غيرها من آثار الأمم السابقة أو المعاصرة لها، وقد جعل الفنان من الزخرفة عنصرا هاما من عناصر الزخرفة إلى جانب الاستفادة من النصوص الكتابية، وقد ساعدت تلك الحروف بما تتسم به من الاستقامة والليونة في جعله ذي صفتين الكتابية والزخرفية، وقد نشأ الخط العربي بفضل القرآن الكريم الذي حث على التعليم والكتابة وأقسم الله سبحانه وتعالى بالدواة والقلم والكتابة فقال 'ن والقلم وما يسطرون' كما طلب الرسول صلى الله عليه وسلم من أسرى بدر بأن يعلم كل واحد منهم عشرة من أبناء الصحابة القراءة والكتابة نظير عتقه من الأسر.

وقد قسم مؤرخو الفنون الخط العربي إلى عدة أنواع منها الخط الكوفي البسيط والكوفي المورق والكوفي المضفور والكوفي ذو الأرضية النباتية والكوفي المزهر ثم الخط النسخي والثلث والرقعة والتعليق والنستعليق وغيره من أنواع الخطوط.

وقد وجد على المباني موضوع الدراسة نوع واحد من الخط المستخدم هوا لخط النسخي وهذا الخط قد بدأ بشكل كبير منذ العصر الأيوبي حيث بدأ ينافس الخط الكوفي شيئا فشيئا ويحتل مكانته، وذلك لما يتمتع به هذا الخط من يسر وليونة على الخطاط حتى كاد يختفي الخط الكوفي إلا ما بقي منه من أمثلة قليلة وخاصة على لوحات التأسيس، وقد غلب على مساجدنا موضوع الدراسة أن زينت بهذا الخط فنجده يزين كتابات تابوت الإمام المهدي عباس ومحاريب مسجد التقوى ومسجد النور ومسجد الرضوان، وقد نصت تلك الكتابات على آيات قرآنية وعبارات دعائية وأشعار وأسماء أشخاص وتاريخ البناء



لوحة ٢٤. توضح تفصيلات زخرفية للباب الشرقي لقبة المهدي.

حيث ورد كتابة بحساب الجمل وأرقاما من ذلك ما ورد على مسجد التقوى حيث نصت تلك الكتابات على:

'فلسان القبول أرخه وجاء أسسته على التقوى'

وكذلك 'ما رأت العين مثله ولذا أرخت تأسيسه على التقوى'

وكذلك 'فمن دعا تاريخه أبلغه الله أمل' ١١٧٥

أما الأرقام فقد كتبت بعد كل تاريخ كتب بحساب الجمل.

الخاتمة

في ختام هذا البحث والذي كما أشرنا دراسة جديدة لم يتم التطرق إليها من قبل فهي بحد ذاتها غير مسبوقة كما أن المهدي قد وصف بأوصاف جليلة بينت مدى ما كان يتمتع به من حسن تدبير الدولة وإدارتها حتى قيل أن عصره كان أفضل من عصر أبيه وولده وهذا ما بينته لنا أبنية المهدي حيث جاءت كثيرة ومتنوعة ـ ما بين دينية ومدنية في صنعاء وسواها ـ أكثر من سابقه ولاحقه.

وعند دراسة أبنية المهدي الدينية في صنعاء وجد أنها انقسمت إلى طرازين.

الأول: والذي يمكن أن نطلق عليه المبنى الرئيسي للإمام المهدي والذي تمثل بقبته المعروفة بقبة المهدي وفيها عمد البناء إلى تمييزه عن غيره من مبانيه الأخرى وذلك بأسلوب تغطية بيت الصلاة فيها بقبة نصف كروية جاءت متناسقة الأبعاد وكأنها نصف كرة أقيمت على مربع وهذا النمط جاء مضاهيا للعمائر التي سبقت عصر الإمام وخاصة في عصر التواجد العثماني باليمن كالقبة البكيرية وقبة طلحة وقبة المرادية.

الثاني: وفيه اتخذ أسلوب تغطيته بسقف مسطح وهذا النمط اتبع في أغلب مساجد صنعاء عدا المسجد الجامع الكبير.

هذا ويمكن أن نوضح بعض المميزات التي تميزت بها مباني المهدي عن غيرها من مباني مدينة صنعاء والتي يمكن إجمالها على النحو التالي:

اتبع البناء أسلوبا في تخطيط المساجد بحيث لا يخرج عن ما عهدته مدينة صنعاء من طرق التخطيط وذلك بأن جعل بيت الصلاة يتقد مها فناء مكشوف (صوح).

تميزت عمائر المهدي بأن البناء اتبع أسلوب التماثل والسمترية في العمائر حيث نسق البناء بين المدخل والنوافذ بأسلوب ينم عن مدى ما كان يتمتع به المعمار من مهارة عالية.

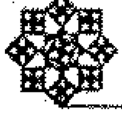
يشاهد في البناء أسلوب الأبلق في بعض الأحيان مع بعض الاختلافات حتى لا يكون مقلدا لغيره إذ من المعروف أن الأبلق بناء عبارة عن مداميك ملونة بالتبادل في الألوان إلا أنه هنا خرج عن ذلك بأنه لم يجعل المداميك متبادلة وإنما بأكثر من مدماك حتى يوحي للناظر أنه أبلق.

تشابهت عمائر المهدي الثلاث مع بعضها عدا القبة وذلك أن من ينظر إليها لا يمكن في أن يخطي في نسبتها إلى المهدي وذلك لشدة تشابهها. وذلك من حيث.الأسلوب المتبع في طريقة البناء بالحجر البازلت (الحبش) في المداميك السفلية. طريقة عمل عقود المداخل والنوافذ بألوان مغايرة للبناء.نفذ بناء المداخل والنوافذ داخل حجور بسيطة معقودة بعقود نصف دائرية.

تزيين الأقسام العلوية للمداخل والنوافذ بزخارف هندسية حفرت حفرا مفرغا على الحجر بحيث فرغ كل عنصر داخل حجر واحد.

زينت نهايات الجدران العلوية بأشرطة (أحزمة) زخرفية هندسية قوامه أشكال مثلثات ومعينات نفذت من الجص.عمد البناء إلى تميز المساجد عن غيرها من المباني في مدينة صنعاء بأن زين نهايتها بشرافات مسننة عدا القبة

اتبع الأمام المهدي في تواريخ مبانيه على القصائد الشعرية فقد أرخ له شعراء كبار مثل الشهاري الذي أرخ لقبة المهدي كما اعتمد في التواريخ على حساب الجمل كما في مسجد التقوى حيث أرخ بأكثر من جملة كما ميز المعمار قبة المهدي عن غيرها من مبانيه بوجود مئذنة تتشابه مع مآذن مدينة صنعاء. ■



الحواشي

١ محمد بن علي الشوكاني، ت ١٢٥٠ البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع، ج ١ (بيروت لبنان)، ٣١٠؛ محمد بن يحي زبارة، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، م٢ ، ق٢ (المطبعة السلفية، ١٣٧٦هـ)، ٦.

٢ الشوكاني، البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع، ٣١٠؛ زبارة، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، ٧.

٣ الشوكاني، البدر الطالع في محاسن من بعد القرن السابع، ٣١١.

٤ زبارة، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، ٨.

٥ زبارة، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، ٦؛ حسين بن عبد الله العمري، مئة عام من تاريخ اليمن (دمشق، ١٩٨٧)، ٢٠.

٦ العمري، مئة عام من تاريخ اليمن، ٢٠.

٧ زبارة، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، ٢١؛ العمري، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر (٩٢٢-١٣٣٦ هـ / ١٥١٦-١٩١٨م من المتوكل إسماعيل إلى المتوكل يحي حميد الدين (دمشق وبيروت، ٢٠٠٢)، ط٢، ٢٢٠.

٨ العمري، تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ١٢١؛ مئة عام من تاريخ اليمن، ٢٣؛ زبارة، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، ١٢.

٩ العمري، مئة عام من تاريخ اليمن، ٢٤؛ تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ١٢٢؛ عبد الله عبد الكريم الجرافي، المقتطف من تاريخ اليمن (القاهرة، ١٣٦٥هـ)، ١٥٥.

١٠ الجرافي، المقتطف من تاريخ اليمن، ١٩٧.

١١ العمري، مئة عام من تاريخ اليمن، ٢٥-٢٦؛ تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ١٢٢.

١٢ العمري، مئة عام من تاريخ اليمن؛ الجرافي، المقتطف من تاريخ اليمن، ١٩٧.

١٣ العمري، مئة عام من تاريخ اليمن، ٢٩.

١٤ العمري، ٢٩-٣٠، نقلا عن
Nibuhr, *Travels Through Arbia*, 1, 368. 9.

١٥ زبارة، نشر ج ٢، ١٢؛ العمرى، ١٠٠، ٣٥؛ عسلان ، غيول، ٧٦.

١٦ محمد بن أحمد الحجري، مساجد صنعاء عامرها وموفيها، ط٢ (بيروت، ١٣٩٨هـ)، ٧؛ زبارة، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، ٣٨١.

١٧ زبارة، ملحق البدر الطالع، ١٩٠؛ الحجري، مساجد صنعاء عامرها وموفيها، ٧٠.

١٨ الشهاري، هو قاسم بن يحي الأمير وهو الشاعر الأديب أعجوبة الزمان وصف بأوصاف كثيرة وجليلة ولي القضاء غير صنعاء كالمخادر والحديدة ونعت بأنه قاضي الإمام المهدي عباس وولده المنصور كما كان مغرم بالأدب وأهله وله قصائد جليلة، توفي في يوم السبت ثاني عشر ذي الحجة الحرام سنة ١١٩٤م رحمه الله؛ زبارة، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، ٣٧٧-٣٨٤؛ ملحق البدر الطالع، ١٨٩.

١٩ الحجري، مساجد صنعاء عامرها وموفيها، ٦؛ زبارة، نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، ٣٨١.

٢٠ انظر عن ذلك: ربيع حامد خليفة، مساجد صنعاء في فترة الوجود العثماني (القاهرة، ١٩٨٧)، ٥٦، ٥٧، ٨٧، ٩٦، ٧٩.

٢١ R. B. Serjeant and R. Lewck, *Sanaa an Arabian Islamic City* (London, 1983), 325.

٢٢ علي سعيد سيف، مآذن مدينة صنعاء (بيروت، ٢٠٠٤)، ١٤١-١٤٣.

٢٤ الأبلق هي طريقة بنائية تعتمد على الحجر بحيث تكون المد اميك مبنية بألوان مختلفة بالتبادل كما يطلق عليه المشهر، هذا وقد كان أول ظهوره في سوريا في قصر الأبلق وكذلك في قصر الأبلق في قلعة القاهرة في عصر الملك الظاهر بيبرس في العصر المملوكي.

٢٦ سورة آل عمران، آية ٧٣.

٢٧ سورة الأحزاب، آية، ٣٧.

٢٨ سورة المؤمنون، آية ١-٦.

٢٩ سورة الفرقان، آية ٦١- ٦٨.

٣٠ سورة الفرقان، آية ٦٩- ٧٧.

٣١ سورة آل عمران، آية ١٩٠-١٩٤.

٣٢ خليفة العصر من الألقاب المركبة من كلمتين خليفة والعصر ومعنى كلمة خليفة تعني ماكان خلف الرجل أي الذي يجيء بعده، وقد ورد اللفظ في القرآن الكريم حيث يقول تعالى ﴿وإذ قال ربك للملائكة أني جاعل في الأرض خليفة﴾ واستعمل هذا اللفظ كلقب للحاكم الذي اسند إليه أمر الإشراف على الأمة الإسلامية بعد النبي ﷺ، وقد أطلق اللقب لأول مرة على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وظهر لقب الخليفة على النقوش والنقود كلقب عام على الخلفاء، كما ألحقت به لفظ الجلاله مثل خليفة الله وأضيفت إليه كثير من الكلمات مثل المسلمين ...الخ إلا أنه هنا اللفظ يرد مقرونا بالعصر وذلك للتأكيد على أن الخليفة المهدي عباس كان من ما يتمتع به من السلطة لا ينازعه فيها أحد في هذا العصر؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار (القاهرة، ١٩٨٩)، ٢٧٥- ٢٩٧.

٣٣ الحجري، مساجد صنعاء عامرها وموفيها، ١٢٦.

٣٤ الحجري، مساجد صنعاء عامرها وموفيها، ١٢٦.

٣٥ سورة الحج، آية ٨١.

٣٦ سورة الجن، آية ١٨.

٣٧ سورة البقرة، آية ٢٥٥.

٣٨ سورة النور، آية ٣٦.

٣٩ الحجري، مساجد صنعاء عامرها وموفيها، ٥٣.

٤٠ الحجري، مساجد صنعاء عامرها وموفيها، ٥٣-٥٤.

٤١ سورة الحج، آية ٧٧.

٤٢ سورة آل عمران، آية ٣٧٠.

٤٣ سورة البقرة، آية ٢٣٨.

٤٤ سورة هود، آية ١١٤.

٤٥ سورة آل عمران، ١٠٢.

٤٦ سورة آل عمران، ١٠٣.

٤٧ سورة التوبة، آية ١٨.

٤٨ سورة النور، آية ٣٦- ٣٧.

٤٩ مصطفى عبد الله شيحة، مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية العربية اليمنية (القاهرة، ١٩٨٧)، ٢٣، Serjeant, *Sanaa an Arabian Islamic City*, 325.

٥٠ ربيع حامد خليفة، مساجد صنعاء في فترة الوجود العثماني، ١٤-١٥.

٥١ عن ذلك انظر: غازي رجب محمد، مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، دراسات في التاريخ والآثار، مجلة جمعية المؤرخين والآثاريين في العراق ع ٨ (١٩٩١)، ٧٨- ٨٦؛ فكري أحمد، المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها (القاهرة، ١٩٦٩)، ١٧٧؛ K. A. Creswell, *Early Muslim Arvhitecture* I (Oxford, 1932), 3, 6.

٥٢ محمد حمزة الحداد، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية (القاهرة، ١٩٩٦)، ٣١-٣٧.

٥٣ إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٥ تحقيق أحمد عبد الغفور (دار الكتب العربية)، ١٩٧٥.

٥٤ حسين مؤنس، المساجد، عالم المعرفة (يناير، ١٩٨١)، ٧٦-٧٧.

٥٥ حسن الباشا، الحرم النبوي الشريف، مجلة منبر الإسلام، ع ٤، س ٢٦ (١٩٦٨)، ١٨١.

٥٦ هذا وقد تصدى لهؤلاء المستشرقون كل من د.فريد شافعي في كتابه العمارة العربية في مصر الإسلامية (عصر الولاة) (القاهرة، ١٩٧٠)، ٥٨٦-٦٢٤، ود.أحمد فكري في بدعة المحاريب، مجلة الكاتب المصري م ٤، ع ١٤ (نوفمبر، ١٩٤٩)، ٢٠٦-٢٢٠؛ نجاة يونس التويتجي، المحاريب

العراقية (بغداد، ١٩٨٦)، ٣١-٤٣.

٥٧ Serjeant, *Sanaa an Arabian Islamic City*, 332, 334.
علي سعيد سيف، الأضرحة في اليمن، رسالة دكتوراه (صنعاء، ١٩٩٩)، ٥٥؛ التوتنجي، المحاريب العراقية، ٣١-٣٤؛ غيلان حمود غيلان، محاريب صنعاء، رسالة دكتوراه (بغداد، ٢٠٠٠).

٥٨ عبارة شيعية كثير ما نجدها مكتوبة على المساجد المنتشرة في مناطق الزيدية.

٥٩ مؤنس، المساجد، ٦٩.

٦٠ مؤنس، االمساجد، ٧٠.

٦١ فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، ج ١ (القاهرة، ١٩٦٩)، ١٦٥.

٦٢ Creswel, *Early Muslim Arvhitecture* I, 81.

٦٣ شافعي، العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها (الرياض، ١٩٨٤)، ١٦٩.

٦٤ شافعي (١٩٧٠)، ٥٥٩-٥٦١.

٦٥ شافعي (١٩٧٠)، ٥٦١.

٦٦ أحمد فكري، المسجد الجامع بالقيروان (القاهرة، ١٩٣٦)، ١٠٢؛ مساجد القاهرة ومدارسها، ١٦٣.

٦٧ علي سعيد، الأضرحة فى اليمن، ٧٧.

٦٨ محمد بن عبد الله الأزرقي، ت ٢٥٠هـ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق راشد ملحس، ط ٣ (بيروت، ١٩٧٩)، ١٣٨- ١٣٩.

٦٩ Serjeant, *Sanaa an Arabian Islamic City*, 31.

٧٠ جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن المجاور، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز (بيروت، ١٩٩٦)، ٧٥.

٧١ العاني علاء الدين أحمد العاني، المشاهد ذات القباب المخروطة بالعراق (العراق، ١٩٨٢)، ٧٧.

٧٢ علي بن محمد بن عبد الكريم بن الأثير، ت ٦٣٠هـ، الكامل في التاريخ (القاهرة، بدون)، ج ٣، ٧.

٧٣ علي سعيد، الأضرحة فى اليمن، ٧٨.

٧٤ Creswell, *Early Muslim Arvhitecture*, 163.

٧٥ فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، ٣٥.

Creswell, *Early Muslim Arvhitecture*, 232.

٧٦ فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، ٣٦.

٧٧ علي سعيد، الأضرحة فى اليمن، ٧٩.

٧٨ عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، ت ٥٩٧هـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الهند، ج ٩ (بدون سنة طبع)، ٢٤٧.

٧٩ علي سعيد، الأضرحة فى اليمن، ٦٩-٩٢.

٨٠ شافعي، العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها (١٩٨٤)، ٢٠٧.

٨١ شافعي، العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها ٢٠٨؛ العزاوي عبد الستار جبار، العقود والأقبية العراقية في العصور الإسلامية، رسالة ماجستير، غير منشورة (بغداد، ١٩٦٩)، ٨٢.

٨٢ Creswell, *Early Muslim Arvhitecture*, 279.

٨٣ شافعي، العمارة العربية الإسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها (١٩٧٠)، ١٧٤-١٧٥.

٨٤ فكري، التأثيرات العربية على الفنون الأوربية، مجلة سومر، مجلد ٢٣، (١٩٦٧)، ٧٥؛ أثر العرب والإسلام على النهضة الأوربية العمارة والتحف (القاهرة، ١٩٨٧)، ٣٨٤، المدخل ١٢٠؛ غازي رجب محمد، مسجد الرسول ﷺ بالمدينة، ١٢٩.

٨٥ عبد العزيز حميد، وآخرون، الفنون العربية؟ (بغداد، ١٩٧٩)، ١٢٩.

٨٦ علي سعيد، الأضرحة فى اليمن، ٦٩- ٩٢.

٨٧ زكي محمد حسن، فنون الإسلام، ٤٤٢-٤٤٤؛ حميد، حضارة العراق، ج ٩، ٣٢٩-٣٣٤؛ حسني النويصر، الآثار الإسلامية (القاهرة، ١٩٩٦)، ٣٠٠.

٨٨ زكي محمد حسن، فنون الإسلام، ٤٤٥-٤٤٦؛ مرزوق محمد عبد العزيز، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، ١٥٦؛ حميد، حضارة العراق، ٣٣٥؛ النويصر، الآثار الإسلامية، ٣٠١.

٨٩ سيرجنت، ٣٣٥؛ خليفة، الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي، القاهرة، ١٢٩؛ غيلان حمود غيلان، الأخشاب المزخرفة في اليمن،من سنة ٢٦٥-٥٣٢هـ، ١٠ومابعدها.

٩٠ سورة البقرة، آية ٢٥٥.

٩١ سورة الأنبياء، آية ١٠١، ١٠٢، ١٠٣.

٩٢ سورة الأعراف، آية ١٨٠.

٩٣ سورة الأحزاب، آية ٥٦.

٩٤ الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ١٦٦- ١٦٨.

٩٥ علي سعيد، الأضرحة في اليمن، ١٨٥- ٢٧١.

٩٦ سورة البقرة، آية ١٢٤.

٩٧ أحمد بن علي القلقشندي، ت ٨٢١هـ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٦ (القاهرة)، ١١١، نقلا عن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ١٦٧.

٩٨ الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ١٦٦- ١٦٨.

٩٩ الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ٥١٢-٥١٣.

١٠٠ محمد بن مكرم ابن منظور، ت ٧١١هـ، لسان العرب (بيروت، ١٩٥٦).

١٠١ الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ٥١٢.

١٠٢ محمود حامد الحسني، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة (القاهرة، ١٩٨٨)، ٩٢.

النصوص التأسيسية بجامع معاذ بن جبل بمدينة الجند بتعز مضمونها ودلالاتها التاريخية والإنشائية

عبد الله عبد السلام الحداد*

يعد جامع الجند بمحافظة تعز من أقدم جوامع العالم الإسلامي عامة وثاني جامع يبنى في اليمن بعد جامع صنعاء الذي بني في العام السابع من الهجرة النبوية، حيث بني جامع الجند في حياة الرسول ﷺ وتحديداً في السنة العاشرة من الهجرة النبوية على يد الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله الرسول ﷺ بعد عودته من غزوة تبوك لدعوة أهل اليمن وتفقيههم في أمور دينهم، فتوجه معاذ إلى مكة لأداء فريضة الحج ثم خرج منها إلى اليمن حيث وصل مدينة الجند في شهر جماد الثاني من السنة نفسها وأسس مسجدها وتم الانتهاء من بنائه في الأول من رجب وصليت به أول صلاة للجمعة في اليمن، ولذلك تعد الجمعة الأولى من شهر رجب عيداً من الأعياد الدينية في اليمن والتي يحتفى بها كل عام.

ونظراً لأهمية الجامع الدينية فقد أسهم كل من تولى اليمن من الولاة والحكام وملوك الدول المستقلة في توسيعه وترميمه بدءاً بدولة بني زياد بزبيد ٢٠٤-٤٢٦هـ، ومروراً بالدولة الصليحية بجبلة ٤٤٥-٥٣٢هـ، والدولة الأيوبية ٥٦٩-٦٢٦هـ، والدولة الرسولية ٦٢٦-٨٥٨هـ، والدولة الطاهرية ٨٥٨-٩٢٣هـ، والدولة العثمانية ٩٤٥-١٠٤٥هـ، وكذلك في عصرنا الحاضر.

بناءً على أهمية الجامع تأتي أهمية النصوص التأسيسية الموجودة على الجامع والتي تحكي تاريخ المسجد ومراحل بنائه، وتشكل سلسلة من التطور التاريخي للخط شكلاً ومضموناً، ودلالة تاريخية لتعاقب الدول والحكام الذين أسهموا في بناء الجامع بمراحله المختلفة.

من هنا جاء اختيار هذه النصوص لتكون محور الدراسة في هذا البحث، ونظراً لتعدد النصوص وتنوع خطوطها وتعدد فتراتها التاريخية فسوف يتم تقسيم البحث إلى:

المبحث الأول: نبذة تاريخية عن جامع الجند وأهميته الدينية.

المبحث الثاني: مضمون النصوص التأسيسية وأهميتها.

المبحث الثالث: الدلالات التاريخية للنصوص التأسيسية.

المبحث الرابع: الدلالات الإنشائية للنصوص التأسيسية.

المبحث الخامس: الدراسة التحليلية لأنواع الخطوط التي نفذت بها النصوص وتطورها.

المبحث السادس: الخاتمة وتتضمن أهم النتائج.

وسوف يرفق البحث برسوم ولوحات توضح ما جاء في المتن.

المقدمة

يعد جامع معاذ بالجند من أقدم مساجد اليمن وأشهرها نظراً لأنه أسس في عهد النبي ﷺ في السنة العاشرة للهجرة، ومنذ ذاك جدد ووسع عشرات المرات، ولهذا السبب احتوى على واحد وعشرين نصاً تأسيسياً، تؤرخ للتجديدات المتعاقبة للجامع.

وهذه النصوص تؤيد بعضاً مما ذكره المؤرخون عن تلك التجديدات، وتصحح البعض الآخر، وتذكر بعضاً مما غفل عن ذكره المؤرخون، كما أن هذه النصوص كتبت بثلاثة أنواع من الخط الإسلامي هي: الخط الكوفي والخط النسخي والخط الثلث.

وعلى أساس أهمية الجامع وأهمية نصوصه التأسيسية كان اختيار هذه النصوص لدراستها في هذا البحث، وعلى أساس تنوع النصوص تاريخياً وأثرياً وتنوع دلالاتها التاريخية والإنشائية قسم البحث إلى أربعة مباحث: تناول الأول منها تاريخ الجامع وأهميته ومراحل بنائه وتخطيطه، وتناول الثاني مضمون النصوص التأسيسية، وتناول الثالث الدلالات التاريخية والإنشائية للنصوص، وتناول الرابع دراسة أنواع الخطوط التي نفذت بها النصوص وتطورها وما تحتويه من ألقاب ووظائف.

المبحث الأول: تاريخ جامع معاذ

نتناول هذا المبحث في أربعة مطالب: تاريخ الجامع، وأهميته، ومراحل بنائه، وتخطيطه الحالي:

المطلب الأول: تاريخ بناء جامع معاذ

يقع جامع معاذ في القسم الشمالي الشرقي من مدينة الجند الواقعة على بعد ٢٢كم شمال شرق مدينة تعز (الحجري، ١٩٨٤: ١٤٥)، ويعود تأسيسه إلى عهد النبي ﷺ، وتحديداً إلى السنة العاشرة من الهجرة النبوية، حيث تذكر المصادر أن الرسول ﷺ أمر - بعد عودته من غزوة تبوك التي حدثت في السنة التاسعة من الهجرة وشارك معاذ فيها - معاذ بن جبل بالتوجه إلى الجند ودعوة أهل اليمن إلى الإسلام وتفقيههم بأمور دينهم، وبناء المساجد وإقامة الصلاة لهم، فتوجه معاذ إلى مكة حاجاً ومنها خرج إلى اليمن حيث وصل الجند في شهر جمادى الآخرة من السنة العاشرة (الجندي، ١٩٨٣: ٩٠؛ الشجاع، ١٩٨٧: ٦١)، وكان كلما مر على منطقة دعا أهلها إلى الإسلام وأسس لهم مسجداً للصلاة، لذلك تنسب إليه ستة مساجد في اليمن هي: مسجد بنجران، ومسجد بصعدة القديمة، ومسجد معاذ بصنعاء، ومسجد ذمار (الشجاع، ٢٠٠٤: ٣٥)، ومسجد قرية الضربة بنقيل صيد (سمارة حالياً)، ومسجد الجند، ولهذا السبب استغرقت رحلته من مكة إلى الجند حوالي خمسة أشهر.

المطلب الثاني: أهمية جامع معاذ

يعد جامع معاذ من أشهر مساجد اليمن وأهمها لعدة أسباب:

الأول: لأنه بني في عهد النبي ﷺ، حيث انتهى معاذ من بنائه في شهر رجب من السنة العاشرة للهجرة.

الثاني: لأنه يعد ثاني أقدم المساجد الجامعة في اليمن بعد الجامع الكبير بصنعاء، إذا ما أغفلنا المساجد التي أسسها معاذ ولم يكمل بناءها بل ترك لأهلها إكمال عملية البناء كمسجد معاذ بصعدة، ومسجد معاذ بصنعاء، ومسجد ذمار.

الثالث: لأنه يعد ثالث المساجد الجامعة في العالم الإسلامي بعد المسجد النبوي بالمدينة المنورة، وجامع صنعاء الكبير.

الرابع: لأن الذي بناه هو الصحابي الجليل معاذ بن جبل رضي الله عنه فقيه الأمة وأعلمها بالحلال والحرام (عمارة، ١٩٨٥: ٦٨).

الخامس: لأن موقع بنائه كان من اختيار الرسول ﷺ حيث أمر معاذ أن يبني المسجد في الجند بين السكاسك والسكون (الشجاع، ١٩٨٧: ١٦٢) قائلاً له 'يا معاذ انطلق حتى تأتي الجند فحيثما بركت هذه الناقة فأذن وصل وابتن مسجداً' (الأهدل، ١٣٩١: ٧٢).

السادس: لأن أول جمعة صلاها معاذ كانت في الجند، وكانت الجمعة الأولى من شهر رجب، ولذلك كان أهل اليمن يحتفلون- قل الاحتفال بها في عصرنا - بهذه الجمعة بزيارة الجامع والتبرك به، أو بلبس الجديد من الثياب وزيارة الأقارب، وتناول الأطعمة والحلوى كما في الأعياد الدينية الأخرى. (الرازي، ١٩٨١: ٥١٥؛ الجندي، ١٩٨٣: ٩؛ الخزرجي، ١٩٨١: ١١، ١٢؛ ابن الديبع، ١٩٧٧: ٦٥؛ الشجاع، ٢٠٠٤: ١٧٢).

المطلب الثالث: مراحل بناء الجامع

مر جامع معاذ بعدة مراحل من البناء والتجديد، كانت أولاها في السنة العاشرة للهجرة، وآخرها سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، وفيما يلي شرح موجز لهذه المراحل، والتي سوف تفيدنا في مقارنة ما ذكرته المصادر مع ما ذكرته النصوص التأسيسية على الجامع.

المرحلة الأولى: مرحلة التأسيس سنة ١٠هـ

كان المسجد الذي بناه معاذ بن جبل رضي الله عنه صغير الحجم مثله في ذلك مثل بقية المساجد الإسلامية التي أسست في تلك الفترة، ولذلك يذكر عمارة اليمني أن معاذاً بنى بالجند مسجداً لطيفاً (عمارة، ١٩٨٥: ٦٨) ولم يبق من مساحة المسجد الأولى شيء سوى موقع محراب معاذ الأول والذي يقع إلى الشرق من المحراب الحالي.

المرحلة الثانية: مرحلة التجديد الزيادية ٢٠٤-٤٢٦هـ

تتجاهل المصادر التاريخية ذكر أي تجديد للجامع في العصر الأموي، وأول ذكر لتجديده يرجع إلى عهد الوزير الحسين بن سلامة آخر وزراء دولة بني زياد، حيث تذكر المصادر أن الوزير المذكور جدد كثيراً من المساجد والمنشآت الأخرى في اليمن ومنها جامع الجند سنة ٤٠٢هـ (عمارة، ١٩٨٥: ٦٨، ابن المجاور، ١٩٨٦: ١٦٥، ابن الحسين، ١٩٦٨: ٢٣٢).

المرحلة الثالثة: مرحلة التجديد الصليحية ٤٣٩-٥٣٢هـ

جدد الجامع للمرة الثانية في عهد الملكة الصليحية السيدة بنت أحمد ٤٨٠-٥٣٢هـ/م، على يد وزيرها المفضل بن أبي البركات سنة ٤٨٠هـ واشتمل التجديد على بناء الجامع بالحجارة المنقوشة والآجر المربع، وتسقيفه وتذهيبه، وإجراء الماء إليه من عين تقع في وادي خنوة شمال غرب الجند بواسطة ساقية ذات عقود مقنطرة (ابن المجاور، ١٩٨٦: ١٦٥؛ الجندي، ١٩٨٣: ٣٥٩، ١٩٩٥: ٤٩٦).

المرحلة الرابعة: مرحلة التجديد الأيوبية ٥٦٩-٦٢٦هـ

جدد الأيوبيون الجامع أربع مرات نوجزها بما يلي:

١- **تجديد نواب توران شاه بن أيوب ٥٧١-٥٧٦:** كان الجامع قبل استيلاء الأيوبيين على اليمن سنة ٥٦٩هـ قد أحرق سنة ٥٥٨هـ - هو والمدينة - على يد مهدي بن علي بن مهدي ثاني ملوك دولة بني مهدي، وظل مخرباً حتى مجيء الأيوبيين (ابن المجاور، ١٩٨٦: ١٦٥؛ ابن الديبع، ١٩٧٧: ٢٧٢، رجب، ١٩٨٦: ٥٥) حيث انشغل توران شاه بترتيب أوضاع اليمن والقضاء على الزعامات القبلية والدويلات الحاكمة حتى عودته إلى مصر سنة ٥٧١هـ، لذلك ربما عهد إلى نوابه على اليمن بناء ما تحتاج إليه البلاد من عمارة، ومن ذلك قيام نائبه على تعز ياقوت التعزي أو مظفر الدين قايماز[1] بتجديد الجامع وقد انتهى ذلك التجديد سنة ٥٧٥هـ كما هو مذكور على جدران الجامع.

٢- **تجديد طغتكين بن أيوب ٥٧٩-٥٩٣هـ:** استغل نواب توران شاه وفاته سنة ٥٧٦هـ واستقل كل منهم بما تحت يده، ثم ما لبثوا أن تصارعوا فيما بينهم كل يريد التوسع على حساب الآخر، وظل الأمر كذلك حتى سنة ٥٧٩هـ حيث اضطر صلاح الدين الأيوبي إلى إرسال أخيه الآخر طغتكين لإقرار أوضاع اليمن فظل فيها حتى وفاته سنة ٥٩٣هـ، وفي تلك الفترة قام ببناء مدينة جديدة شمال الجند سماها المنصورة نسبة إليه، كذلك قام بتجديد جامع الجند وقد اشتمل التجديد على زيادة سمك جدران الجامع بقوالب الآجر، ورفع السقف على أعمدة من الآجر المكسوة بالجص، وتزيين زخارف السقف بالذهب واللازورد (ابن المجاور، ١٩٨٦: ١٦٥-١٦٦؛ الجندي، ١٩٩٥: ٤٩٦)، وكذلك عمل منبراً للجامع سنة ٥٨٨هـ كما هو مذكور على المنبر (خليفة، ١٩٩٢: ٨١-٨٢؛ غيلان، ١٩٩٦: ٥٩-٦٢).

٣- **تجديد الناصر أيوب بن طغتكين ٥٩٨-٦١١م:** بعد وفاة المعز إسماعيل بن طغتكين الذي حكم اليمن من ٥٩٣-٥٩٨هـ تولى الحكم أخوه الناصر أيوب وكان صغير السن لذلك تولى الوصاية عليه الأتابك سنقر الذي أمر بتجديد جامع الجند وزيادته سنة ٦٠٣هـ حيث تذكر المصادر أن الزيادة شملت بناء الجناحين الشرقي والغربي والمؤخر(الجندي، ١٩٩٥: ٥٣٧)، مما يعني أن الجامع صار رباعي التخطيط، وهذا النص ينافي الحقيقة لأنه من المحتمل أن المسجد كان رباعي التخطيط منذ العصر الأموي كغيره من مساجد الأمصار الإسلامية، أو على الأقل منذ العصر الصليحي حيث يذكر الجندي نفسه أن

المفضل بن أبي البركات جدد المسجد وخصوصاً المئذنة والجناحين، وأن المؤخر من بناء بعض القضاة (الجندي، ١٩٩٥: ٤٩٦).

٤- **تجديد المسعود يوسف ٥١٢-٦٢٦هـ:** بعد وفاة الناصر سنة ٦١١هـ خلفه على الحكم تقي الدين سليمان بن شاهنشاه الذي انشغل عن الحكم باللهو والملذات فاضطربت أحوالها لذلك اضطر السلطان الكامل إلى إرسال ابنه المسعود يوسف لإعادة الهدوء إلى اليمن سنة ٦١٢هـ، فلما تم له ذلك قام بتخريب جامع الجند وتركه مخرباً نظراً لقلة المياه تلك السنة فلما تيسر الماء أمر بإعادته مذهباً ومزوقاً على يد الشيخ ظهير الدين علي بن عمر (الجندي، ١٩٩٥: ٥٣٩).

المرحلة الخامسة: مرحلة التجديد الرسولي ٦٢٦-٨٥٨هـ

جدد سلاطين الدولة الرسولية جامع الجند مرتين: أولاهما في عهد السلطان الأشرف إسماعيل الثاني ٧٧٨-٨٠٣هـ الذي أمر بتجديد الجامع وتسوير المدينة سنة ٧٩٣هـ (رجب، ١٩٨٦: ٥٥-٦٥)، وثانيهما في عهد السلطان الظاهر يحي بن الأشرف ٨٣٠-٨٤٢هـ حيث تذكر المصادر أنه جدد المئذنة الشرقية بعد سقوطها (ابن الديبع، ١٩٧٩: ١١٠)، وإن لم تحدد المصادر سنة التجديد.

المرحلة السادسة:

مرحلة التجديد الطاهرية ٨٥٨-٩٢٣هـ

قام آخر سلاطين الدولة الطاهرية السلطان الظافر عامر بن عبد الوهاب بتجديد المئذنة الغربية من جامع الجند في فترة حكمه الممتدة بين ٨٩٤-٩٢٣هـ (ابن الديبع، ١٩٧٧: ١٣٤)، وإن لم تحدد المصادر مكان ذلك التجديد، وهو ما سنبينه عند دراسة النصوص التأسيسية.

المرحلة السابعة:

مرحلة التجديد في العصر الحديث القرن ٢٠م

جدد الجامع في القرن الماضي ثلاث مرات: كانت الأولى في عهد الإمام يحي حميد الدين سنة ١٣٤٤هـ، قام فيها بعمل بعض الأبواب الخشبية وبناء سقايتين بجوار بئر الجامع المسماة بئر زمزم، وكانت الثانية أثناء حكم ولي عهد الإمام يحي سيف الإسلام أحمد لمدينة تعز، واشتمل التجديد على كسوة الواجهات الشرقية والشمالية وجزء من الغربية بالحجارة سنة ١٣٦٦هـ، وفي العصر الجمهوري استكملت كسوة بقية الواجهات وكذلك استبدال السقف الخشبي بسقف إسمنتي (رجب، ١٩٨٦: ٥٦) على نفقة الملك السعودي فيصل بن عبد العزيز سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

المطلب الرابع: تخطيط الجامع الحالي: (شكل ١، ٢)

يتكون الجامع من مساحة مستطيلة تمتد من الشمال إلى الجنوب بطول ٦٤,٥م وعرض ٤٣,٣٤م، قسمت من الداخل إلى صحن مكشوف مستطيل الشكل ٢٦×٣٣,٨٠م يتوسطه عمود الميقات، وتحيط بالصحن أربع ظلات: أكبرها ظلتا المقدم ١٥,٣٠×٤٢م والمؤخر ١٤,١٠×٤٢م إذ تتكون كل منهما من أربعة أساكيب موازية لجدار القبلة بواسطة أربع بوائك بكل منها ١٠ دعامات أسطوانية مبنية من الآجر محيط كل منها ١,٦٨م، فيما عدا الدعامات المطلة على الصحن من الظلات الأربع فإنها مربعة الشكل، تحمل الدعامات عقوداً مدببة موازية لجدار القبلة في ظلتي المقدم والمؤخر وعمودية على ظلة المقدم في الجناحين الشرقي والغربي، يستند عليها سقف من الإسمنت، ويشغل جدار القبلة محرابان الأول اتساعه ٩٨سم وعمقه ١٢٠سم يقع في منتصف الجدار الذي بني سنة ٦١٨هـ، والثاني على بعد ٩م شرق المحراب الأول وهو من النوع المجوف بسيط التجويف، ويقال إنه بني مكان محراب معاذ القديم.

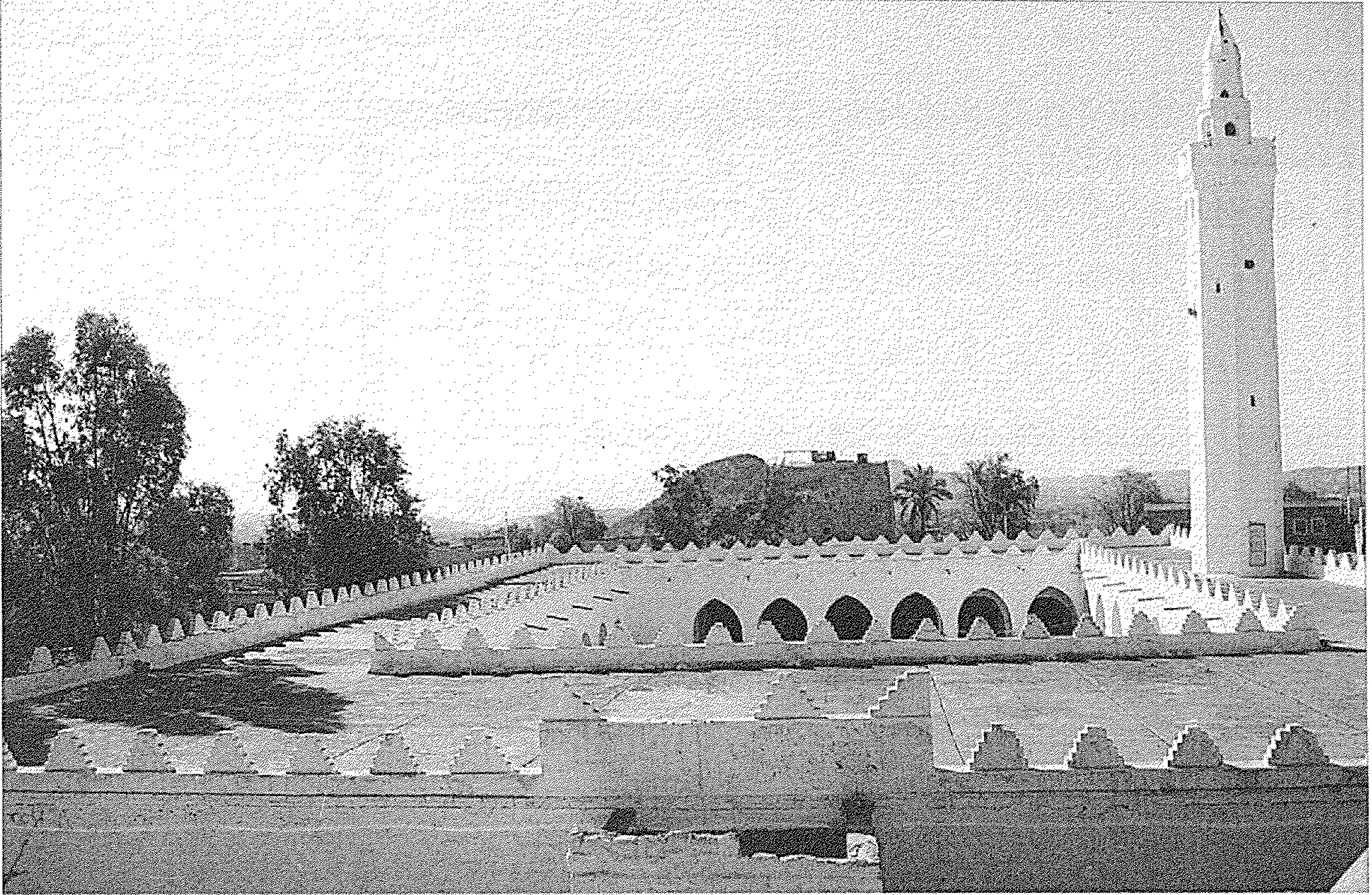
أما الجناحين الشرقي والغربي فيتكون كل منهما من مساحة مستطيلة ٨,١٠ × ٣٤,٦٠م قسمت إلى بلاطتين عموديتين على المقدم والمؤخر بواسطة بائكتين معقودتين بكل بائكة ٨ دعامات، ويحتوي الجناح الشرقي قرب نهايته الجنوبية فيما بين الدعامتين السابعة والثامنة والجدار الشرقي على بقايا لقاعدة المئذنة الشرقية الأسطوانية الشكل، وفي الطرف الشمالي للجناح أمام الباب الثاني من الداخل توجد بئر زمزم وسقايتين إحداهما مغطاة بقبة والأخرى بقبو برميلي، فيما تحتل المئذنة الغربية الطرف الجنوبي من الجناح الغربي فيما بين الدعامتين السابعة والثامنة والجدار الغربي، وهي مكونة من قاعدة أسطوانية وبدن مضلع ينتهي عند شرفة مضلعة يليها جوسق ذو فتحات معقودة تعلوه قمة مخروطية الشكل، وللمسجد ١١ باب ثلاثة منها جنوبية، وثلاثة غربية مسدودة حالياً، وأربعة شرقية، وواحد شمالي بجوار المحراب.

شكل ١. الجند،
جامع معاذ، تخطيط الجامع.

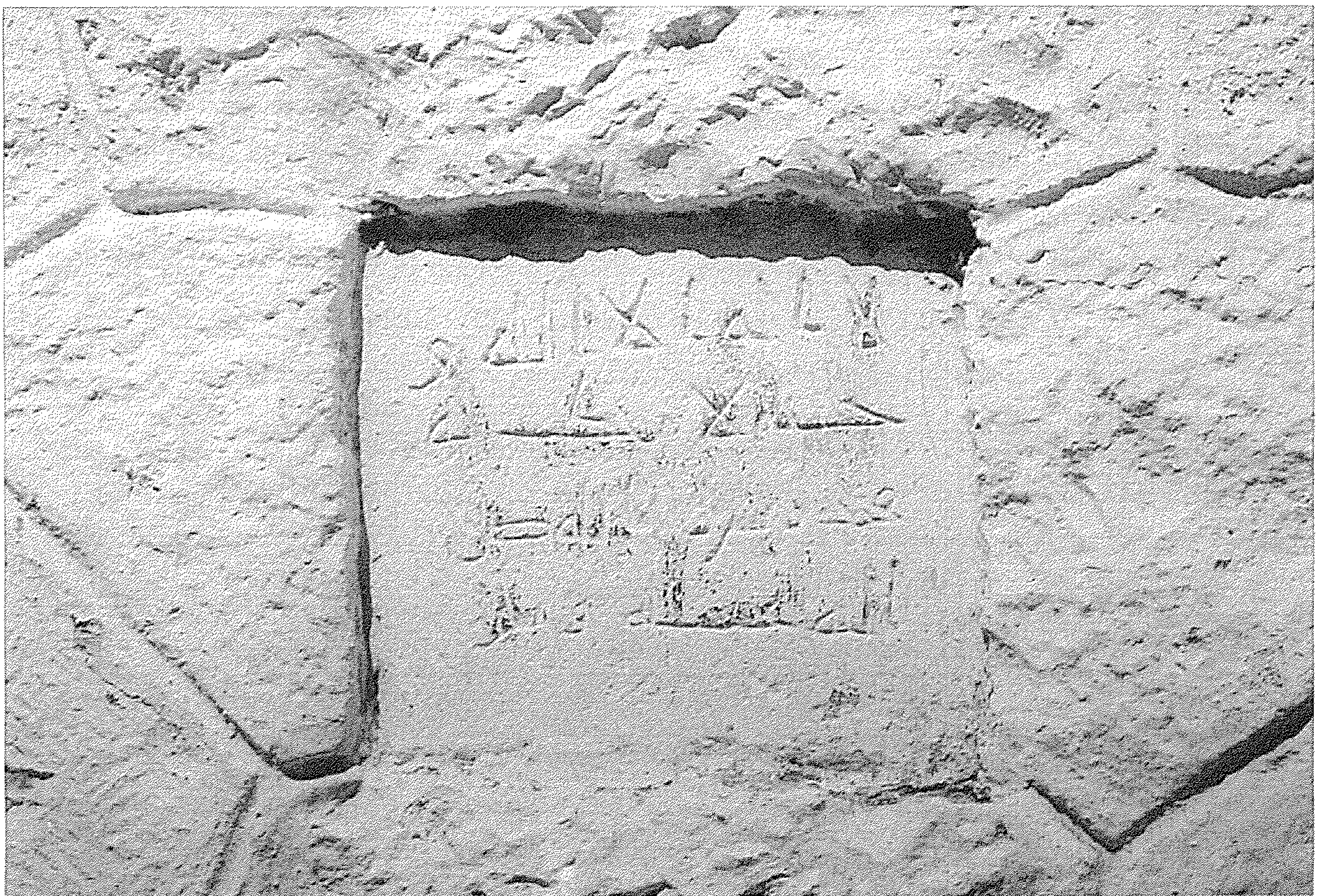
وللمسجد أربع زيادات مكشوفة تحيط به من الخارج، شغل الركن الجنوبي الشرقي من الزيادة الشرقية بميضأة مكونة من بركة للمياه مستطيلة الشكل تمتد من الشمال إلى الجنوب، يشغل ضلعها الشرقي أحد عشر حماماً مغطاة بقباب صغيرة، فيما يشغل كل من الضلعين الشمالي والجنوبي حمامان مماثلان لم يبق منهما سوى الحمامان الجنوبيان، وفي الضلع الغربي للبركة خمس حجرات صغيرة مكشوفة للاستنجاء وعدد من المقاعد الحجرية الدائرية للجلوس عليها أثناء الوضوء.

المبحث الثاني: مضمون النصوص التأسيسية

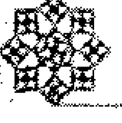
يحتوي الجامع على ثلاثين نصاً كتابياً متنوعاً من حيث الزمن، ومن حيث نوع الخط، والمادة التي كتبت عليها النصوص، ومضمون كتابات تلك النصوص، منها: ثمانية



شكل ٢. الجند، جامع معاذ، منظر عام.



شكل ٣. الجند، جامع معاذ، نص رقم ١، المكتوب بخط كوفي قرب الركن الجنوبي الشرقي من الواجهة الجنوبية.



نصوص لا تمثل نصوصاً تأسيسية، وإنما كتابات لآيات من القرآن الكريم على كل من المنبر والمحراب، منها: الآية ٧٧ من سورة الحج، والآية ٥٦ من سورة الأحزاب، والشهادتان، وبعض عبارات الحمد والشكر لله تعالى.

أما بقية النصوص وعددها اثنان وعشرين نصاً فتمثل نصوصاً تأسيسية أو أجزاء منها، وسوف نتناول منها في هذا المبحث عشرين نصاً[٢] بحسب نوع الخط، وكذلك بحسب ترتيبها الزمني، ولذلك فقد قسم هذا المبحث إلى أربعة مطالب:

المطلب الأول: النصوص المكتوبة بالخط الكوفي

يحتوي الجامع على عشرة نصوص مكتوبة بالخط الكوفي وهي كالتالي:

النص الأول: (شكل ٣)

الموقع: الطرف الشرقي من الواجهة الجنوبية

المادة: حجر

عدد القطع: ١.

نوع الخط: كوفي بسيط مبكر غائر

عدد الأسطر: ٤.

مضمون النص:

السطر الأول: لا إله إلا الله و.

السطر الثاني: حده لا شريك له.

السطر الثالث: محمد رسول الله صلى.

السطر الرابع: الله عليه وسلم.

النص الثاني: (شكل ٤)

الموقع: بجوار الباب الشمالي من الواجهة الشرقية

المادة: حجر.

عدد القطع: ١.

نوع الخط: كوفي بسيط مبكر غائر.

مضمون النص:

السطر الأول: محمد رسول الله أرسله با.

السطر الثاني: لهدى ودين الحق ليظهره على.

السطر الثالث: الدين كله ولو كره المشركون.

السطر الرابع: ....



شكل ٤. الجند، جامع معاذ، نص ٢، المكتوب بخط كوفي، على الواجهة الشرقية.

النص الثالث: (شكل ٥)

الموقع: الواجهة الغربية المادة: حجر.

نوع الخط: كوفي بسيط بارز عدد الأسطر: ٤.

مضمون النص:

السطر الأول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

السطر الثاني: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

السطر الثالث:.......................

السطر الرابع: الله ....

النص الرابع: (شكل ٦)

الموقع: نهاية الواجهة الشرقية قرب الركن الجنوبي الشرقي للمسجد.

المادة: حجر عدد القطع: ١.

نوع الخط: كوفي بسيط بارز عدد الأسطر: ٣.

مضمون النص:

السطر الأول: بسم الله الرحمن.

السطر الثاني: الرحيم لا إله إلا الله.

السطر الثالث: محمد رسول الله.

النص الخامس: (شكل ٧)

الموقع: عتب المدخل الشرقي من الواجهة الجنوبية

المادة: حجر عدد القطع: ٥.

نوع الخط: كوفي مورق بارز عدد الأسطر: ٢.

مضمون النص:

قطعة ١

السطر ١: وقل رب أدخلني مد

السطر ٢: أمر بعمارة هذا

قطعة ٢

السطر ١: خل صدق أخرجني

السطر ٢: الباب القاضي ال

قطعة ٣

السطر ١: مخرج صدق

السطر ٢: أجل الفاضل

قطعة ٤

السطر ١: واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا

السطر ٢: محمد ابن زيد

قطعة ٥

السطر ١: غفر الله له

السطر ٢: ولوالديه ولجميع المسلمين

النص السادس: (شكل ٨)

الموقع: عتب المدخل الأوسط من الواجهة الجنوبية

المادة: حجر عدد القطع: ٣.

نوع الخط: كوفي مورق بارز عدد الأسطر: ٢.

مضمون النص:

قطعة ١

السطر ١: أمر بعمارته القاضي الفا

السطر ٢: منه أناب بنائـ

قطعة ٢

السطر ١: ضل محمد ابن زيد غفر الله له

السطر ٢: معاذ بن إبراهيم بن محمد

قطعة ٣

السطر ١: عمل عثمان بن [حسن] البنا اجره الله

السطر ٢: خير مكان آمين

النص السابع: (شكل ٩)

الموقع: عتب المدخل الغربي من الواجهة الجنوبية

المادة: حجر عدد القطع: ٤.

نوع الخط: كوفي مورق بارز عدد الأسطر: ٢.

مضمون النص:

قطعة ١

السطر ١: الذين آمنوا ولم يلبسوا

السطر ٢: الذين آمنوا وتطمئن قلو

قطعة ٢

السطر ١: إيمانهم بظلم أولـ

السطر ٢: بهم بذكر الله ألا بذ

قطعة ٣

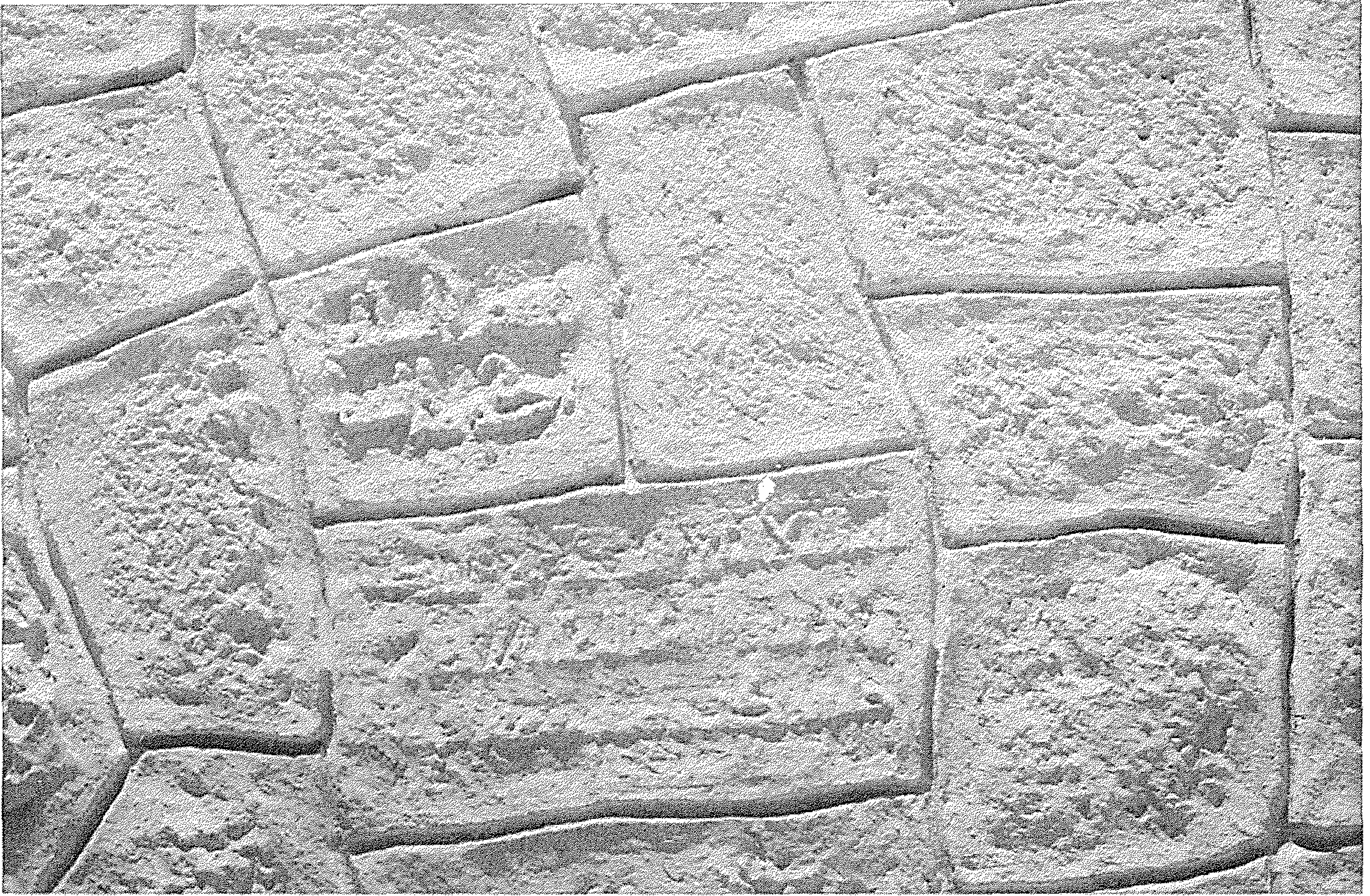
السطر ١: ـئك لهم الأمن وهم مهتدون

السطر ٢: كر الله تطمئن القلوب

قطعة ٤

السطر ١: ....

السطر ٢: ......



شكل ٥ . الجند، جامع معاذ، نص ٣، المكتوب بخط كوفي على الواجهة الغربية.



شكل ٦ . الجند، جامع معاذ، نص ٤، المكتوب بخط كوفي قرب الركن الجنوبي الشرقي من الواجهة الشرقية.



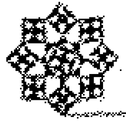
شكل ٧. الجند، جامع معاذ، نص ٥، المكتوب بخط كوفي مورق على عتب الباب الشرقي من الواجهة الجنوبية.



شكل ٨. الجند، جامع معاذ، نص ٦، المكتوب بخط كوفي مورق على عتب الباب الأوسط من الواجهة الجنوبية.



شكل ٩. الجند، جامع معاذ، نص ٧، المكتوب بخط كوفي مورق على عتب الباب الغربي من الواجهة الجنوبية.



النص الثامن: (شكل ١٠)

الموقع: الواجهة الجنوبية مما يلي الباب الغربي من الواجهة

المادة: حجر عدد القطع: ١.

نوع الخط: كوفي مورق بارز عدد الأسطر: ٣.

مضمون النص:

السطر الأول: عمل في شهر رمضان سنة.

السطر الثاني: خمس وسبعين وخمس مائة سنة.

السطر الثالث: غفر الله لكاتبه وقارئه آمين.

النص التاسع: (شكل ١١)

الموقع: الدعامة الرابعة من البائكة الجنوبية من جهة الغرب من المؤخر.

المادة: حجر عدد القطع: ١.

نوع الخط: كوفي مورق بارز عدد الأسطر: ٢.

مضمون النص:

السطر الأول: عمل عبد الرزاق.

السطر الثاني: ابن الحسين البنا.

النص العاشر: (شكل ١٢)

الموقع: الدعامة الرابعة من البائكة الجنوبية من جهة الغرب من المؤخر.

المادة: حجر عدد القطع: ١.

نوع الخط: كوفي مورق بارز عدد الأسطر: ٢.

مضمون النص:

السطر الأول: لعبد....

السطر الثاني: الله الله البـ...

المطلب الثاني: النصوص المكتوبة بخط النسخ:

يحتوي الجامع على ثلاثة نصوص مكتوبة بالخط النسخي وهي كالتالي:

النص الحادي عشر: (شكل ١٣)

الموقع: صدر باب المنبر المادة: خشب

عدد القطع: ١.

نوع الخط: نسخ عدد الأسطر: ٣.

مضمون النص:

السطر الأول: بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة.

السطر الثاني: ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين[٣] مما أمر بعمله السيد[٤] الأجل أبي[٥] الحسن علي.[٦]

السطر الثالث: بن حسن العنسي في شهر المحرم أول سنة ثمان وثمانين وخمسمائة[٧] عمل[٨] ابن النظام بن[٩] حسين الذماري.[١٠]

النص الثاني عشر: (شكل ١٤)

الموقع: الدعامتان الثالثة والرابعة من بائكة الجناح الشرقي المطلة على الصحن.

المادة: حجر عدد القطع: ٢.

نوع الخط: نسخ عدد الأسطر: ٤ في كل قطعة.

مضمون النص:

القطعة الشمالية

السطر١: بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر بعمارته مولانا الصـ

السطر ٢: [سيـ]ـف الإسلام كهف الأنام سيد الملة سيد الأمة ظهير الدين نصير

السطر٣: الخوارج المنافقين مبيد الكفرة والمشركين ملك العـ[جم] والـ

السطر٤: أبو الفوارس طغتكين بن أيوب خلد الله ملكه ودام

القطعة الجنوبية

السطر١: السيد الأجل المهاب العزيز المعظم ذو المنار الأعلى والمجد الأعظم

السطر ٢: المسلمين مالك نفوس الموحدين قامع العصاة والمتمردين قاهر

السطر٣: ـر[ب] سلطان الحرمين والهند واليمن ناصر أمير المؤمنين

السطر٤: عزه بتاريخ العشرون من شهر جمادى الأول سنة تسعين وخمسمائة سنة

النص الثالث عشر: (شكل ١٥)

الموقع: تيجان الأعمدة المدمجة بحنية المحراب

المادة: جص عدد القطع: ٤.

نوع الخط: نسخ عدد الأسطر: ٢ في كل تاج.

مضمون النص:

التاجان الأيمنان:

السطر الأول: فرغ من عمل هذا المحراب العبد الفقير.



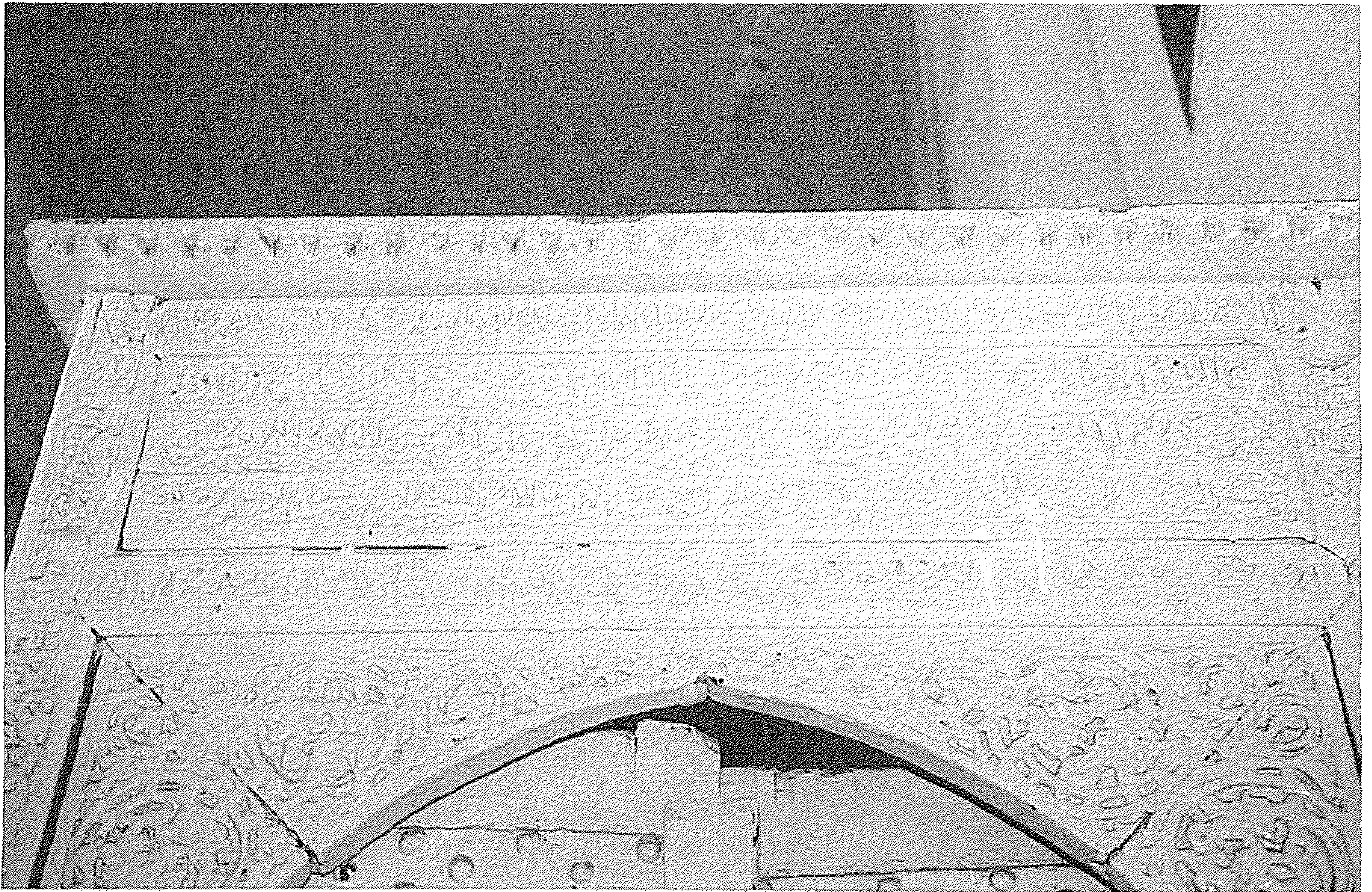
شكل ١٠. الجند، جامع معاذ، نص ٨، المكتوب بخط كوفي مورق قرب الركن الجنوبي الغربي من الواجهة الجنوبية.



شكل ١١. الجند، جامع معاذ، نص ٩، المكتوب بخط كوفي مورق على الدعامة الرابعة من البائكة الجنوبية للمؤخر.



شكل ١٢. الجند، جامع معاذ، نص ١٠، المكتوب بخط كوفي مورق على الدعامة الرابعة من البائكة الجنوبية للمؤخر.



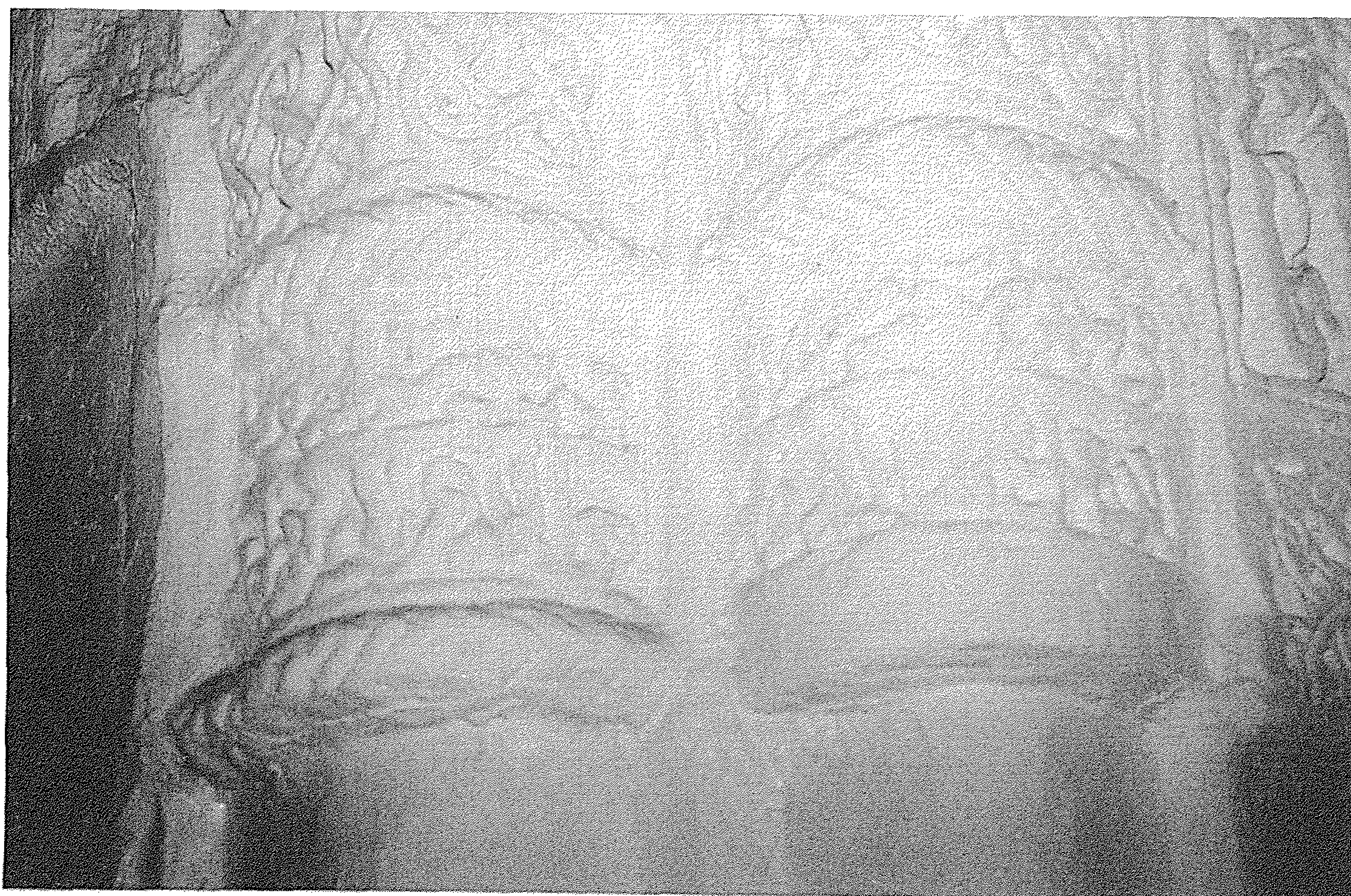
شكل ١٣. الجند، جامع معاذ، نص ١١، المكتوب بخط نسخي على صدر المنبر.





شكل ١٤. الجند، جامع معاذ، نص ١٢، المكتوب بخط نسخي على الدعامتين الثالثة والرابعة من بائكة الجناح الشرقي المطلة على الصحن.





شكل ١٥. الجند، جامع معاذ، نص ١٣، المكتوب بخط نسخي على تيجان الأعمدة المدمجة بالمحراب.

السطر الثاني: إلى رحمة الله عبد الله بن أبي الفتوح.

التاجان الأيسران:

السطر الأول: في شهر رجب سنة ثماني عشرة وستماية وصلى.

السطر الثاني: الله على محمد واله ورضي الله عن الصحابة أجمعين.

المطلب الثالث: النصوص المكتوبة بالخط الثلث

يحتوي المسجد على نصين كتبا بنوعين من الخط الثلث وهما:

النص الرابع عشر: (شكل ١٦)

الموقع: الدعامتان السادسة والسابعة من بائكة الجناح الغربي المطلة على الصحن.

المادة: حجر عدد القطع: ٢.

نوع الخط: ثلث عدد الأسطر: سطران في كل قطعة.

مضمون النص:

القطعة الأولى

السطر١: أمر بعمارة هذه المنارة المباركة الطاهرة

السطر٢: السلطان ابن السلطان الملك الظافر

القطعة الثانية

السطر١: سيد الملوك المستمسك بالملك القاهر

السطر٢: عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر عز نصره

النص الخامس عشر: (شكل١٧)

الموقع: الدعامة الثامنة من بائكة الجناح الغربي المطلة على الصحن.

المادة: حجر عدد القطع: ١.

نوع الخط: ثلث عثماني عدد الأسطر: ٢.

مضمون النص:

السطر الأول: راجي غفرانه ورضوا.

السطر الثاني: نه غفر الله له ولوالد..

المطلب الرابع: النصوص المكتوبة بخط شعبي غير متقن:

يضم المسجد خمسة نصوص كتبت بخط غير متقن ولا يمكن نسبته لأي من الخطوط المعروفة، مما يدل على أن كاتبه ربما كان عامل البناء (الأسطى) الذي قام ببناء الواجهات، ولذلك سوف نطلق عليه اسم 'الخط الشعبي' وهي كالتالي:

النص السادس عشر: (شكل ١٨)

الموقع: الدعامة الأولى من البائكة الثانية من ظلة المؤخر.

المادة: حجر عدد القطع: ٢.

نوع الخط: مجهول

عدد الأسطر: ٢ في القطعة العليا، و٣ في القطعة السفلى.

مضمون النص:

القطعة العليا: السطر الأول: العهد الا

السطر الثاني: حمدي عز نصره.

القطعة السفلى: السطر الأول: وخلد الله

السطر الثاني: ملكه. السطر الأول: سنة ١٣٦٦.

النص السابع عشر: (شكل ١٩)

الموقع: الباب الأوسط من الواجهة الجنوبية.

المادة: خشب عدد القطع: ١.

نوع الخط: مجهول عدد الأسطر: ٢.

مضمون النص:

السطر الأول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

السطر الثاني: بتعمير الجامع المبارك بشهر رمضان ١٣٤٤.

النص الثامن عشر: (شكل ٢٠)

الموقع: الباب الغربي من الواجهة الجنوبية.

المادة: خشب عدد القطع: ١.

نوع الخط: مجهول عدد الأسطر: ٢.

مضمون النص:

السطر الأول: تجدد في عهد الإمام المتوكل على رب العالمين سنة ١٣٤٤.

السطر الثاني: يحي بن محمد حميد الدين.....





شكل ١٦. الجند، جامع معاذ، نص ١٤، المكتوب بخط الثلث على الدعامتين السادسة والسابعة من بائكة الجناح الغربي المطلة على الصحن.



شكل ١٧. الجند، جامع معاذ، نص ١٥، المكتوب بخط الثلث على الدعامة الثامنة من بائكة الجناح الغربي المطلة على الصحن.

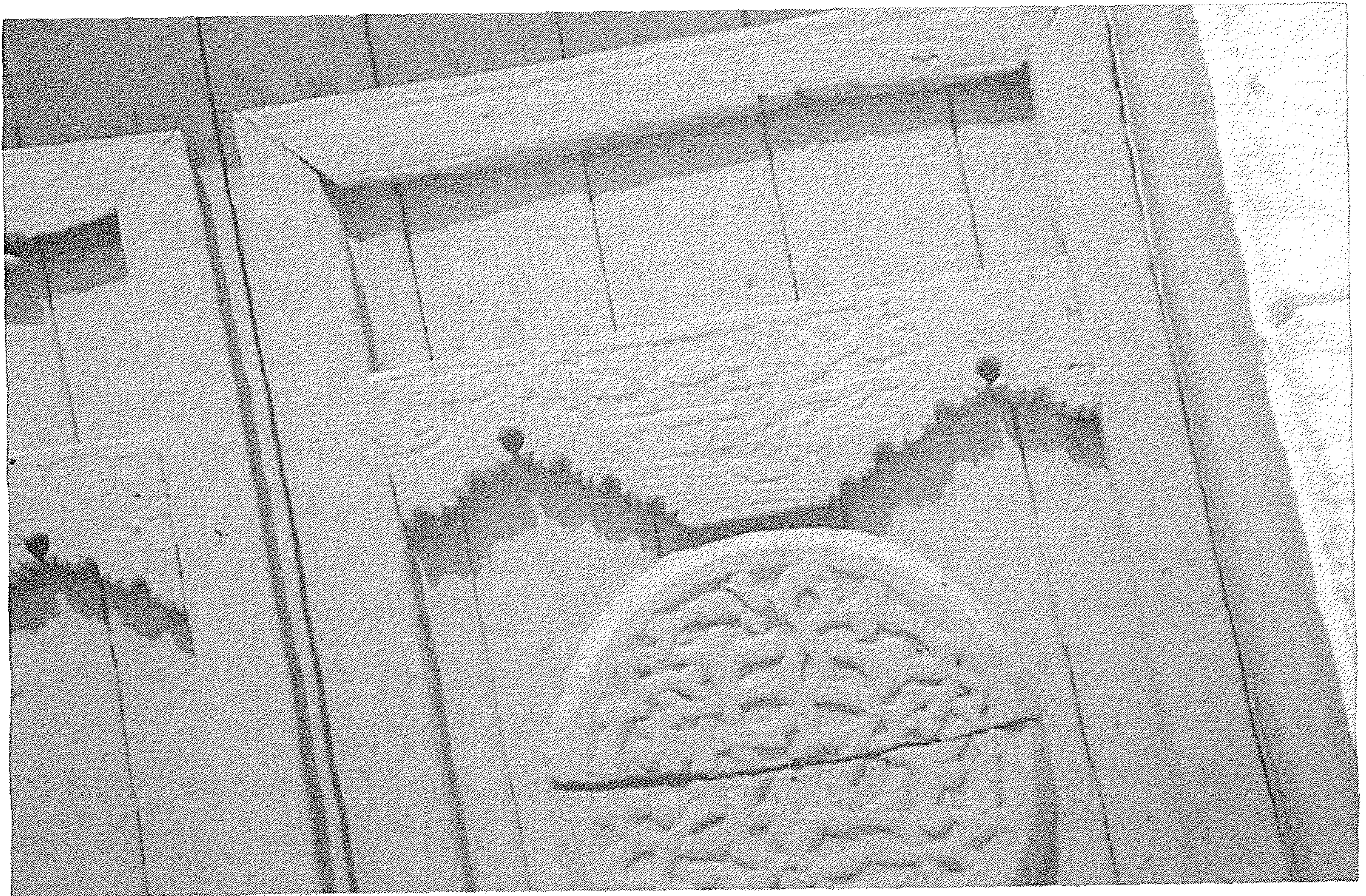


شكل ١٨. الجند، جامع معاذ، نص ١٦، المكتوب بخط شعبي على الدعامة الثانية من البائكة الثانية للمؤخر.





شكل ١٩. الجند، جامع معاذ، نص ١٧، المكتوب بخط شعبي على الباب الخشبي الأوسط من المؤخر.



شكل ٢٠. الجند، جامع معاذ، نص ١٨، المكتوب بخط شعبي على الباب الخشبي الغربي من المؤخر.

النص التاسع عشر: (شكل ٢١)

الموقع: الجدار الغربي من الجناح الغربي من الداخل.

المادة: حجر عدد القطع: ٩.

نوع الخط: مجهول

عدد الأسطر: ١ في بعض القطع و٢ في البعض الآخر.

مضمون النص:

السطر	ق ١	ق ٢	ق ٣
١	أمر بعمارته	ملك الحرمين	إنما يعمر مساجد
٢	فيصل	١٣٩٣ سنة	الله من آمن بالله

السطر	ق ٤	ق ٥	ق ٦
١	واليوم الآ	الصلوة و	أتى الزكاة
٢	خر وأقام	===	====

السطر	ق ٧	ق ٨	ق ٩
١	ولم يخش	فعسى أو	يكونوا من
٢	الا الله	لئك أن	المهتدين

النص العشرون: (شكل ٢٢)

الموقع: المادة: حجر

عدد القطع: ١. نوع الخط: كوفي بسيط بارز

عدد الأسطر: ٤.

مضمون النص:

السطر الأول: مما أمر به.

السطر الثاني: حسن ابن أبي.

السطر الثالث: كهيل آجره.

السطر الرابع: الله وغفر..

المبحث الثالث: الدلالات التاريخية والإنشائية للنصوص التأسيسية

ذكرنا سابقاً أن الجامع يحتوي على عشرين نصاً تأسيسياً أو أجزاء منها، ولهذه النصوص دلالات تاريخية وإنشائية تثبت أو تصحح أو تضيف أسماء وأعمال من قاموا بتجديد الجامع من الشخصيات والدول المختلفة:

المطلب الأول: الدلالات التاريخية

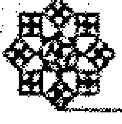
تمدنا النصوص التأسيسية بدلالات تاريخية مهمة غفلت عن ذكرها المصادر التاريخية، أو ذكرتها بشكل غير دقيق، ومن أهم هذه الدلالات التاريخية:

الدلالة الأولى: دلالة تجديد ما قبل العصر الأيوبي

لم تذكر المصادر قيام أي من الأمويين أو العباسيين حتى نهاية القرن الرابع الهجري بتجديد جامع الجند، وتكتفي بذكر أن أول تجديد للجامع - منذ تأسيسه سنة ١٠هـ يرجع إلى عهد الوزير الزيادي الحسين بن سلامة سنة ٤٠٢هـ، كما تذكر قيام الصليحيين بتجديد وتوسيع الجامع في عهد السيدة بنت أحمد سنة ٤٨٠هـ على يد المفضل بن أبى البركات، ولكن لا يحتوي الجامع على أي نصوص تثبت ذلك صراحة، وإن كان من المرجح أن النصوص المكتوبة بالخط الكوفي المبكر (نص ١، ٢، شكل ٣، ٤) والبسيط (نص ٣، ٤، شكل ٥، ٦) تعود إلى تجديدات قام بها الأمويون أو العباسيون في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة اعتماداً على أن هذين النوعين من الخط كانا متداولين في تلك الفترة (الحداد،٢٠٠٣: ٥، ٦).

الدلالة الثانية: دلالة تجديد نائب توران شاه على الجند

لم تذكر المصادر قيام توران شاه منذ استيلائه على اليمن سنة ٥٦٩هـ وحتى عودته إلى مصر سنة ٥٧١هـ بتجديد الجامع، كذلك لم تذكر قيام نائبه على تعز ياقوت التعزي ٥٧١-٥٧٩هـ، أو نائبه على التعكر والجند وجبلة مظفر الدين قايماز - على اختلاف المؤرخين حول من الذي يسيطر على الجند ـ بتجديد جامع الجند، لكن النصوص التأسيسية تؤكد لنا قيام نائب توران شاه - أياً كان ياقوت أم قايماز - بتجديد الجامع، لأن ذلك التجديد كان ضرورياً لأن الجامع كان قد أحرق على يد مهدي بن علي بن مهدي - ثاني ملوك دولة بني مهدي ٥٥٤-٥٦٩هـ - عند استيلائه على الجند سنة ٥٥٨هـ، وقد تم التجديد في السنوات ما بين ٥٧١-٥٧٥هـ، ونستدل على ذلك بالنصوص الثلاثة الموجودة على أعتاب الأبواب الثلاثة من الواجهة الجنوبية (نص ٥، ٦، ٧، شكل ٧، ٨، ٩)، حيث إن هذه النصوص تذكر أن الآمر ببناء الأبواب الثلاثة هو القاضي الأجل محمد بن زيد، ولم تحدد التاريخ ولابقية اسم القاضي، وقد أمكن من خلال المصادر تحديد اسم القاضي كاملاً ويدعى: القاضي العارف الورع الزاهد محمد بن زيد بن عبد الله بن حسان بن محمد بن زيد بن عمر (الجعدي، ١٩٥٧: ٢٢٣)، ولد سنة ٥٢٩هـ، وكان من أسرة علمية وإدارية عريقة، فأبوه زيد كان قاضياً ووزيراً للأمير المنصور أحمد





شكل ٢١. الجند، جامع معاذ، نص ١٩، المكتوب بخط شعبي على الجدار الغربي للجناح الغربي من الداخل.



شكل ٢٢. الجند، جامع معاذ، نص ٢٠، المكتوب بخط شعبي على الجدار الغربي للجناح الغربي من الداخل.

بن المفضل بن أبي البركات (الجعدي، ١٩٥٧: ٢٢٢)، وجده الثاني حسان كان إماماً لمسجد الجند أيام أمارة المفضل بن أبي البركات (الجعدي، ١٩٥٧: ١٢١)، وقد ترك القاضي الجند سنة ٥٧٤هـ وهاجر إلى مكة حتى سنة ٥٨٤هـ (الجعدي، ١٩٥٧: ٢٢٣)، ولم يحدد الجعدي هل مات في هذه السنة أم عاد إلى اليمن، ويبدو أن القاضي هاجر قبل أن يكمل البناء فأناب عنه معاذ بن إبراهيم بن محمد الذي أكمل البناء على يد كل من: عثمان بن حسن البنا وعبد الرزاق بن الحسن البنا كما هو مذكور على عتب الباب الأوسط وعلى الدعامة الرابعة من البائكة الجنوبية للمؤخر (نص ٦، ٩، شكل ٨، ١١) ولذلك لا تحمل النصوص الثلاثة أي تاريخ محدد للبناء، ولهذا السبب قام معاذ بن إبراهيم بإضافة نص رابع على الواجهة يحمل تاريخ انتهاء البناء سنة ٥٧٥هـ (نص ٨، شكل ١٠)، وهذه السنة تقع ضمن سنوات حكم نائب توران شاه على تعز ياقوت التعزي، وسنوات حكم نائبه الآخر على الجند وجبلة والتعكر مظفر الدين قايماز، كما أن الجندي يشير إلى ذلك بصورة غير مباشرة فيقول 'أما المؤخر فبناه بعض القضاة' (الجندي، ١٩٩٥: ٤٩٦).

الدلالة الثالثة: دلالة تجديد طغتكين بن أيوب

تذكر المصادر قيام طغتكين الأيوبي بتجديد جامع الجند، وإن لم تحدد تاريخ ذلك التجديد، لكن النصوص التأسيسية تحدد لنا تاريخ التجديد والذي تم فيما بين ٥٨٨-٥٩٠هـ، حيث يوجد في الجامع نصان يعودان إلى عهد طغتكين: الأول نص المنبر المؤرخ بسنة ٥٨٨هـ (نص١١، شكل١٣)، والثاني نص الجناح الشرقي والمؤرخ بسنة ٥٩٠هـ (نص ١٢، شكل ١٤) مما يعني أن تجديد طغتكين تم بشكل متواصل طوال السنتين فيما بين تاريخي النصين.

كما أن هذه النصوص تصحح لنا معلومتين تاريخيتين: الأولى أوردها د. مصطفى شيحة ومفادها أن تجديد طغتكين تم سنة ٦٠٣هـ (شيحة، ١٩٨٧: ٣٨)،

وهي معلومة غير صحيحة - ولا أدري من أين استقاها - لأن تلك السنة لا تقع ضمن سني حكم طغتكين الذي كان قد توفي سنة ٥٩٣هـ، وإنما تقع ضمن سني حكم ابنه الثاني المنصور أيوب ٥٩٨-٦١١هـ، والمعلومة الثانية ذكرها د. غازي رجب وتنص على أن نص الجناح الشرقي مؤرخ بسنة ٥٧٥هـ (رجب، ١٩٨٦: ٥٧)، والحقيقة أن هذا التاريخ غير صحيح لأن طغتكين لم يدخل اليمن إلا سنة ٥٧٩هـ، كما أن النص مؤرخ بسنة ٥٩٠هـ، وليس ٥٧٥هـ.

الدلالة الرابعة: دلالة تجديد المسعود يوسف بن السلطان الكامل الأيوبي

تذكر المصادر أن المسعود أمر بخراب الجامع وأعاد تجديده على يد القاضي ظهير الدين علي بن عمر، كما أمره أن يبني له على بابه خلوة إذا جاء سكنها فلم يعد (الجندي، ١٩٩٥: ٥٣٩) مما جعل أستاذنا د. مصطفى شيحة يعتقد أن الهدم والتجديد كان سنة ٦٢٦هـ (شيحة، ١٩٨٧: ٣٨) لأن المسعود توفي في هذه السنة في مكة، وهذا الاعتقاد غير صحيح لأن النص التأسيسي الموجود على المحراب يحدد لنا تاريخ بناء المسعود للجامع سنة ٦١٨هـ، أي قبل وفاته بثمان سنين، وقبل زيارته الأولى لمصر بسنتين.

الدلالة الخامسة: دلالة تجديد السلطان الظافر عامر بن عبد الوهاب الطاهري

لم تذكر المصادر قيام أي من سلاطين الدولة الطاهرية ٨٥٨-٩٢٣هـ بتجديد جامع الجند، لكن النصوص التأسيسية تمدنا بحقيقة تاريخية غفلت عنها المصادر المعاصرة لها ومنها مؤلفات ابن الديبع الذي يعد المؤرخ الرئيسي للدولة الطاهرية عموماً والظافر عامر خصوصاً وتدل دلالة واضحة على قيام السلطان الظافر عامر بتجديد الجامع، حيث يوجد على قاعدة المئذنة الغربية نص تأسيسي يحمل اسم السلطان الظافر وألقابه (نص ١٤، شكل ١٦)، وإن لم يحدد النص تاريخ التجديد لكن من المؤكد أنه تم في فترة حكمه فيما بين سنة ٨٩٤-٩٢٣هـ.

الدلالة السادسة: دلالة تجديدات القرن ٢٠م

ذكر غازي رجب قيام سيف الإسلام احمد ولي عهد الإمام يحي ١٩١٨-١٩٤٨م بتجديد الواجهتين الشرقية والشمالية وجزء من الجنوبية لمسجد الجند أثناء إمارته على تعز، وكذلك ترميم المسجد بعد قيام النظام الجمهوري وخاصة الواجهة الجنوبية والجزء المتبقي من الواجهة الغربية واستبدال السقف الخشبي بسقف إسمنتي (رجب، ١٩٨٦: ٥٦)، وإن لم يحدد تاريخ التجديد لكننا نستدل عليه من خلال النصوص التأسيسية، فتجديد سيف الإسلام أحمد كان سنة ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م (نص١٦، شكل ١٨)، وتجديد الملك فيصل كان سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م (نص ١٩، شكل ٢١)، كما أن النصوص تذكر لنا تجديداً سابقاً للجامع على يد الإمام يحي سنة ١٣٤٤هـ حيث أضاف السقايتين وعمل بعض أبواب الجامع الخشبية.

المطلب الثاني: الدلالات الإنشائية

إلى جانب الدلالات التاريخية تمدنا النصوص التأسيسية بدلالات إنشائية مهمة أيضاً غفلت عن ذكرها بعض المصادر التاريخية، أو ذكرتها بشكل غير دقيق، ومن أهم تلك الدلالات:

الدلالة الأولى: دلالة تجديد ما قبل سنة ٤٠٢هـ

لم تذكر المصادر التاريخية - فيما أعلم- قيام كل من الأمويين أو العباسيين بتجديد الجامع، وأول ذكر لتجديده كان بأمر الحسين بن سلامة سنة ٤٠٢هـ (عمارة، ١٩٨٥: ٦٨، ابن المجاور، ١٩٨٦: ١٦٥)، فهل ظل المسجد بدون تجديد أو توسيع حتى تلك السنة؟، والجواب بالتأكيد لا!! لعدة أسباب:

أولها: أن عدد المسلمين تزايد، وهذا التزايد يتطلب زيادة مساحة المسجد.

ثانيها: أن جميع المساجد التي أسست على عهد النبي ﷺ جددت ووسعت في العصرين الأموي والعباسي.

ثالثها: إن مسجداً بهذه الأهمية الدينية لدى أهل اليمن لا يمكن أن يظل على حاله.

رابعها: أن مدينة الجند كانت مقراً لولاة مخلاف الجند طوال عصر الخلفاء الراشدين والعصر الأموي وصدراً من العصر العباسي.

خامسها: أن بعض النصوص على المسجد كتبت بالخط الكوفي المبكر (نص ١، ٢، شكل٣، ٤) والكوفي



البسيط (نص ٣، ٤، شكل٥، ٦)، ومعلوم أن هذين النوعين انتشر استخدامهما منذ منتصف القرن الأول وحتى نهاية القرن الثالث الهجري (الحداد، ٢٠٠٣: ٥-٦).

سادسها: أن المحراب الصغير - الواقع شرق المحراب الحالي - يعرف باسم محراب معاذ، وهو من النوع المجوف تجويفاً بسيطاً، وهذا النوع من المحاريب المجوفة لم يظهر إلا في العصر الأموي، لذلك من المرجح أن هذا المحراب يعود إلى التجديد الأموي أو العباسي.

وبناءً على ما سبق يمكن القول إنه من المؤكد أن المسجد وسع في العصر الأموي أو العصر العباسي، وإن كان من المرجح أن توسعة المسجد حدثت في العصر الأموي بدليل احتواء المسجد على نصوص تأسيسية منفذة بالخط الكوفي المبكر والبسيط الذي كان سائداً في القرون الهجرية الثلاثة الأولى، واحتواء تلك النصوص على عبارات كانت سائدة على المسكوكات الأموية ومنها: شهادتا التوحيد، والرسالة المحمدية.

الدلالة الثانية: دلالة تجديد نواب توران شاه

تمدنا نصوص أعتاب الأبواب الجنوبية الثلاثة، ونص٥٧٥هـ (نص٥، ٦، ٧، شكل ٧، ٨، ٩) بدلالات إنشائية تتمثل في:

١- تحدد النصوص مكان التجديد أو التوسعة بالأبواب الثلاثة للواجهة الجنوبية من مؤخر الجامع، بأمر من القاضي محمد بن زيد.
٢- بما أن التجديد كان للأبواب فمن المرجح أنه جدد معها الواجهة، ومن المرجح أيضاً أن التجديد شمل المؤخر كله، ونستدل على ذلك بما ذكره الجندي من أن المؤخر من عمل بعض القضاة (الجندي، ١٩٩٥: ٤٩٦).

الدلالة الثالثة: دلالة تجديد طغتكين

ذكرت المصادر أن طغتكين الأيوبي جدد جامع الجند بأن زاد في سمك جدرانه، ورفع سقفه، وزينه بالذهب واللازورد (ابن المجاور، ١٩٨٦: ١٦٥-١٦٦، الجندي، ١٩٩٥: ٤٩٦)، ويؤكد نص المنبر ذلك التجديد ويحدد ماهيته وزمانه (نص ١١، شكل ١٣)، بينما النص الثاني (نص١٢، شكل ١٤) الموجود في الجناح الشرقي كان نصاً عاماً للتجديد، ويمكن من خلال هذين النصين تحديد ذلك التجديد على النحو التالي:

١- عمل منبر جديد للجامع وقد نصت كتاباته على أنه صنع سنة ٥٨٨هـ أي في عهد طغتكين نفسه.
٢- النصوص الموجودة في الجناح الشرقي تذكر عبارة 'مما أمر بعمارته' وهي عبارة تدل دلالة واضحة على تعمير المسجد لكنها لا تحدد هل شمل المسجد كاملاً أم أجزاء منه.
٣- إن موضع هذه النصوص في الجناح الشرقي وليس في بقية أجزاء الجامع مما يحتمل معها أن العمارة أو التجديد كانت في هذا الجناح.

الدلالة الرابعة: دلالة عمارة المسعود يوسف

يذكر المؤرخون أن المسعود يوسف أخرب الجامع ثم أعاد بناءه من جديد مزوقاً ومذهباً كما كان (الجندي، ١٩٩٥: ٥٣٩)، ونفهم من هذه العبارة أن المسعود هدم المسجد كليةً، وهذا ربما غير صحيح!! إذ يبدو أن المسعود جدد زخارف المسجد وربما أيضاً أجزاء منها، ونستدل على ذلك بما يلي:

١- بقاء نصوص من سبق المسعود إلى تجديد الجامع، إذ لو كان المسعود هدم الجامع كليةً لأزيلت تلك النصوص، ومنها: النصوص التي تعود إلى ما قبل التجديد الأيوبي، ونصوص تجديد القاضي محمد بن زيد، ونصوص تجديد طغتكين.
٢- أن المسعود أمر بإعادة المسجد مزوقاً ومذهباً مما نستدل معها أن أعمال المسعود اقتصرت على تجديد زخارف جدران المسجد فقط وليس عمارته.

الدلالة الخامسة: دلالة التجديد الطاهري

لم تذكر المصادر قيام أي من الحكام الطاهريين بتجديد جامع الجند، لكن النص التأسيسي الذي يرجع إلى عهد الظافر عامر الثاني يمدنا بدلالة إنشائية طاهرية، إذ يحتوي المسجد على نص كتب بالخط الثلث يحمل اسم السلطان الظافر وألقابه ويحدد لنا نوع التجديد المتمثل في بناء المنارة الغربية (نص ١٤، شكل ١٦).

الدلالة السادسة: دلالة التجديد العثماني

لم تذكر المصادر ولا النصوص التأسيسية قيام العثمانيين بتجديد مسجد الجند، وإن كان من المحتمل قيامهم بالتجديد بدليل:

١- وجود نص على الجامع نفذت كتاباته بخط ثلث يختلف عن الخط الذي كان سائداً في العصر الطاهري كما في نص تجديد الظافر، حيث إن شكل كتابات النص المذكور انتشر في العصر العثماني.
٢- قمة مئذنة المسجد الغربية شبيهة بقمم المآذن العثمانية المعروفة بالقلم الرصاص.

الدلالة السابعة: دلالة تجديدات القرن العشرين الميلادى

لم تذكر المراجع قيام الإمام يحي بعمل بعض التجديدات والإضافات سنة ١٣٤٤هـ، الأمر الذي أوضحته النصوص وحددت نوعه بالآتي:

١- بناء السقايتن بجوار بئر زمزم في الجناح الشرقي سنة ١٣٤٤هـ، وما زال نص البناء موجوداً علي الواجهتين الشرقية والجنوبية للسقايتين.
٢- تجديد الأبواب الخشبية سنة ١٣٤٤ هـ أيضاً (نص١٧، ١٨، شكل ١٩، ٢٠).

وإن ذكرت المراجع قيام سيف الإسلام أحمد ولي عهد الإمام يحي ١٩١٨-١٩٤٨م بتجديد الواجهتين الشرقية والشمالية وجزء من الجنوبية لمسجد الجند أثناء إمارته على تعز، وكذلك ترميم المسجد بعد قيام النظام الجمهوري وخاصة الواجهة الجنوبية والجزء المتبقي من الواجهة الغربية واستبدال السقف الخشبي بسقف إسمنتي (رجب، ١٩٨٦: ٥٦)، لكن ما يحيرنا أن المصادر ذكرت أن التجديد كان في الواجهات، ولو كان كذلك لوضعت نصوص التجديد عليها لكن النصوص موجودة على الجدران الغربية للمسجد من الداخل وعلى بعض دعامات المؤخر، مما نستدل معها على أن التجديد شمل داخل الجامع وخارجه وليس واجهاته فقط.

كذلك حددت لنا بعض النصوص مكان تجديدات وإضافات الإمام يحي وتتمثل في:

المبحث الرابع:
الدراسة التحليلية لكتابات النصوص

نفذت كتابات النصوص التأسيسية بجامع معاذ بالجند بالنوعين الرئيسيين للخط العربي الإسلامي وهما: الخط الكوفي، والخط اللين، وفيما يلي دراسة تحليلية لهذه الخطوط:

المطلب الأول: الخط الكوفي

يشتمل المسجد على عشرة نصوص نفذت بثلاثة أنواع من الخط الكوفي هي: الخط الكوفي المبكر، والخط الكوفي البسيط، والخط الكوفي المورق، وتشترك جميعها في عدم وجود نقط الإعجام أو الشكل، وكذلك الهمزة:

*** الخط الكوفي المبكر**

يمثل أقدم أنواع الخط الكوفي، ولذلك يتميز بعدم التنسيق، وعدم استقامة سطوره وعدم تساوي حروفه، والبعد عن الجمال الفني في كتابته (الباشا، ١٩٩٩: ١٨٤)، وقد ظهر هذا الخط في اليمن منذ القرن ١هـ/ ٧م حيث استخدم في كتابة العديد من المصاحف (الحداد، ٢٠٠٣: ٥).

وينتمي إلى هذا النوع من الخط نصان من نصوص جامع الجند (شكل ٣، ٤) نفذت كتاباتها بالحفر الغائر، وتتميز كتاباتها بما يلي:

١- عدم إتقان كتابة الحروف والكلمات.
٢- عدم استقامة السطور.
٣- عدم تساوي إمتدادات الحروف سواء في الامتداد الرأسي أم في الامتداد الأفقي.
٤- عدم تساوي كتابة الحرف الواحد في جميع الكلمات، كحرف اللام ألف، والهاء، والحاء، والراء.
٥- كتابة جزء من الكلمة في سطر واستكمالها في سطر آخر.

وتتشابه كتابة هذين النصين مع كتابات أميال عبد الملك بن مروان (شكل ٢٣) من حيث شكل الحروف، وتجزئة الكلمة الواحدة في سطرين.

* **الخط الكوفي البسيط**

يلي الخط المبكر قدماً، وقد استخدم طيلة القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ويتميز بميله إلى التأنق والتجمل، وخلو حروفه من أي زيادات أو زخارف، وغلبة اليبوسة والصلابة والجفاف على حروفه، كما يميل إلى التربيع والتضليع (جمعة، ب.ت: ١٧٤)، وقد ظهر هذا النوع في اليمن منذ القرن ٢هـ/ ٨م (الحداد، ٢٠٠٣: ٦).

وينتمي إلى هذا النوع نصان من نصوص جامع الجند نفذت كتاباتها بالخط البارز، وتتميز بما يلي:

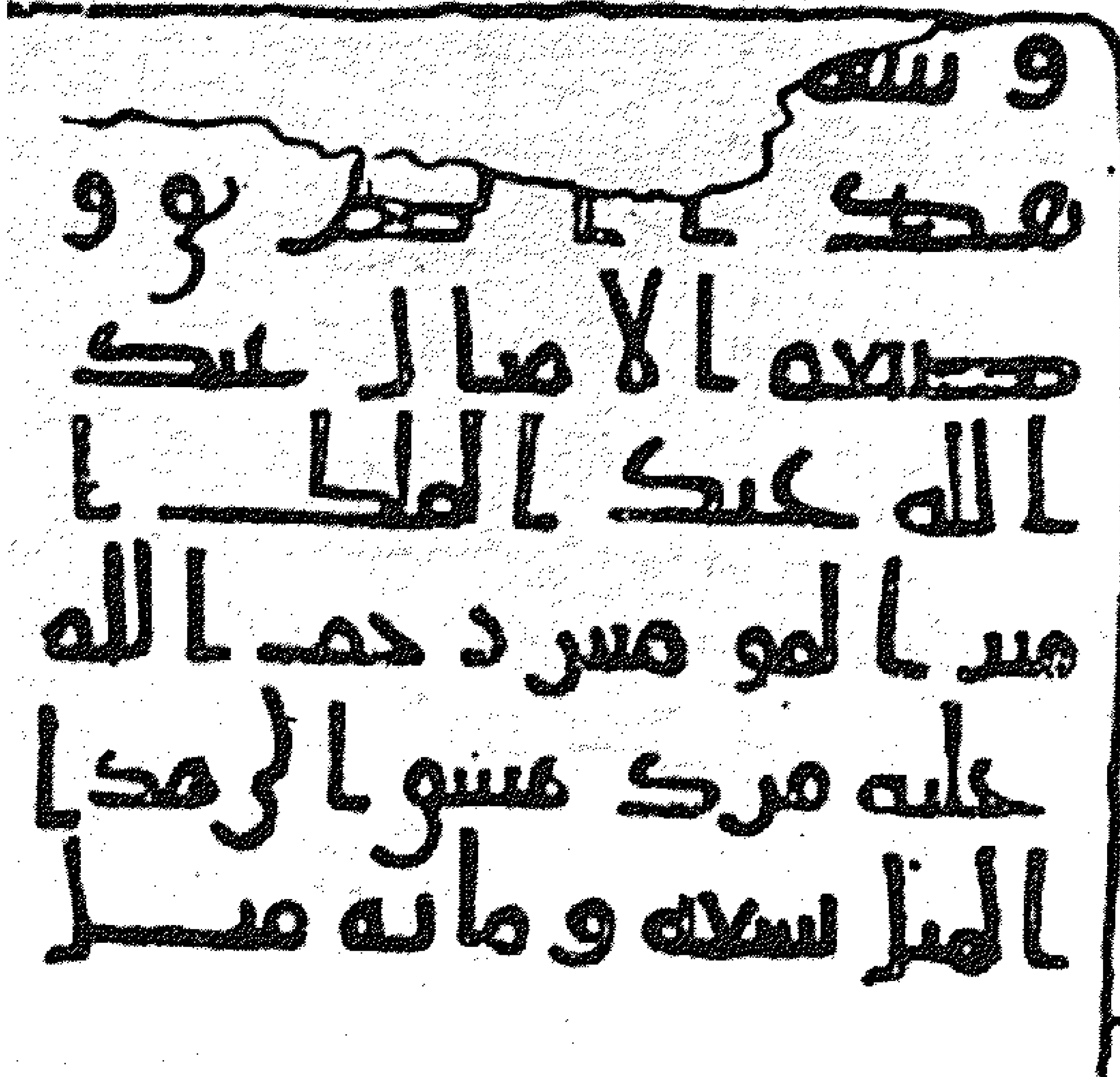
١- استقامة السطور.

٢- كتابة الحروف بالسمك والطول نفسه ومنها: حروف اللام ألف، الفاء، الحاء، الميم.

٣- تساوي سنن الحرف الواحد وزيادة طول سنة الحرف المشابه له للتفريق بينها كالباء والياء والنون، والسين والشين ..الخ.

٤- كتابة السطور بدون فواصل في النص الأول (شكل ٥)، وإضافة فواصل بين السطور على هيئة خطوط مستقيمة بارزة كما في النص الثاني (شكل ٦).

٥- تتشابه كتابة النص الثاني مع كتابة مصحف مبكر بجامع صنعاء (شكل ٢٤).



شكل ٢٣. أميال عبد الملك بن مروان (عن جمعة، د. ت: ١٢٨).



شكل ٢٤. صفحة من القرآن الكريم بالخط الكوفي المبكر، (عن مصاحف صنعاء).

* الخط الكوفي المورق

يعرف أيضا بالخط المشجر، ويمثل المرحلة التالية لتعريض واستطالة قوائم حروف الخط الكوفي ذو الهامات المثلثة، حيث طور الخطاط بدءاً من أواخر القرن ٢هـ/ ٨م تثليث رأس الحرف إلى أشكال زخرفية نباتية على هيئة أوراق ذات فصين أو ثلاثة، رغبة منه في ملئ الفراغ الناتج عن اختلاف أطوال حروف الكلمات ومداتها (الباشا، ١٩٩٩: ١٨٥)، وقد بدأت بوادر ظهور هذا النوع من الخط في اليمن منذ أواخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي كما في كتابات شاهد قبر مسجد الشهيدين بصنعاء (شكل٢٥)، وازداد التوريق في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وبلغ ذروة تطوره في أوائل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي (الحداد ٢٠٠٣: ١١-١٢).

وتنتمي إلى هذا النوع ستة من نصوص جامع الجند (الأشكال ٧-١٢)، ونظراً لاختلاف شكل الخط بينها فيمكن تقسيمها إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى: وعددها أربعة نصوص (الأشكال ٧-١٠) كتبت بخط مورق قليل الأوراق، بمعنى أن حروفه ليست كلها ذات إمتدادات مورقة أو مشغولة بالعناصر النباتية، وإنما اكتفى الخطاط بتزيين بعضها بالأوراق النباتية، وتتميز كتابات هذه المجموعة بما يلي:

١- تنتهي حروف الحاء والخاء والجيم في كلمات النص بأوراق مائلة نحو اليسار كما في كلمات أدخلني، أخرجني، مخرج.

٢- تنتهي حروف الدال والذال والنون والضاد والميم والواو والياء والسين بشكل ملتو نحو اليسار ثم نحو اليمين ثمّ نحو اليسار، كما في كلمة مدخل، صدق، هذا، محمد.

٣- استمرار بعض مميزات الخط السابق له 'ذو الهامات المثلثة' كإنتهاء هامات بعض الحروف بشكل مثلث.

وتتشابه كتابات هذه المجموعة


شكل ٢٥. صنعاء، شاهد قبر بمسجد الشهيدين.

مع كتابة نص صناعة منبر جامع الإمام الهادي إلى الحق بصعدة المؤرخ ٣٠١-٣٢٥هـ (المطاع، ٢٠٠٠: ٢٧٤)، (شكل ٢٦) مما يدلنا على استمرار استخدام هذا النوع من الخط حتى أواخر القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.


شكل ٢٦ . نص صناعة منبر جامع الهادي بصعدة (المطاع، ٢٠٠٠: ش٥٨).



المجموعة الثانية: تضم هذه المجموعة نصين (الأشكال ١١-١٢) كتبا بخط مورق كثيف الأوراق على مهاد بسيط من الزخارف النباتية، وتتميز كتاباتها بما يلي:

١- انتهاء كل الحروف بأشكال مورقة أو أشكال مثلث.

٢- كتابة الحروف على أرضية نباتية شغلت المساحات بين الحروف الناتجة عن إمتدادات الحرف.

٣- امتداد جميع الحروف إلى أعلى على هيئة أشكال نباتية حتى لو لم يكن الحرف يمتد طبيعياً إلى أعلى كانثناء نهاية حرف الهاء إلى أعلى في كلمة الله، وحرف الدال في كلمة العبد، والقاف في كلمة عبد الرزاق والحاء في كلمة الحسن.

وتتشابه كتابة هذه النصوص مع كتابة نص صناعة منبر جامع ذي أشرق المؤرخ بسنة ٤٢١هـ (شكل٢٧)، وكتابات إزار مسجد العباس بأسناف خولان المؤرخة بسنة ٥١٩هـ، ومن المرجح أنهما يعودان إلى فترة بناء القاضي محمد بن زيد، حيث إن أحد النصوص يحمل توقيع عبد الرزاق بن الحسن البنا، والذي ربما كان أخاً لعثمان بن حسن البنا، وربما أيضاً اشتركا في بناء المؤخر، فوقع أحدهما على الباب والآخر على إحدى دعامات المؤخر.

المطلب الثاني: الخط اللين

إحتوى المسجد على عشرة نصوص كتبت بثلاثة أنواع من الخط اللين هي: النسخ، الثلث، خط مجهول، وفيما يلي دراسة تحليلية لهذه الخطوط:

*** خط النسخ**

سمي بالنسخ لأن المصاحف أصبحت تنسخ به منذ أوائل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بعد أن أصبح خطاً رسمياً للدولة تسجل به النصوص على العمائر والمسكوكات والتحف والمخطوطات، كما يعرف أيضاً بالخط المنسوب لأن الخطاط ابن مقلة وضع له معايير ونسب لكتابته في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي (داود، ١٩٩١: ٥٧)، وإن كان الخط في الأصل موجوداً ومعاصراً لنشأة الخط الكوفي، وكان يعرف بالخط اللين وعندما اشتقت منه خطوط أخرى أطلق على كل منها اسماً مختلفاً للتمييز بينها.

ويتميز خط النسخ بكتابة حروفه باستدارة دون استرسال أو امتداد، وكذلك قلة سمكه، وجماله، وسهولة تنفيذه. (داود، ١٩٩١: ٥٩).

وقد ظهر هذا الخط في اليمن منذ أوائل العصر الإسلامي، لكن ظهوره على النصوص الأثرية لم يبدأ إلا في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، نظراً لأن الأيوبيين كانوا أول من استعمله على العمائر والتحف في اليمن.

ولدينا بجامع الجند ثلاثة نصوص كتبت بالخط النسخي والتي يمكن تقسيمها إلى مجموعتين:

* **المجموعة الأولى**: تضم نصين (شكل ١٣، ١٤) الأول مؤرخ بسنة ٥٨٨هـ، والثاني بسنة ٥٩٠هـ، وقد نفذت كتاباتها بخط متقن من حيث تساوي حجم الحرف الواحد في مختلف الكلمات، وإن امتدت بعض الكلمات أو ضغطت بسبب طول المساحة المتبقية لكتابة الكلمة أو قصرها، كما تتميز كتابات هذين النصين بالتدوير وخاصة في حرف الواو على سبيل المثال.

* **المجموعة الثانية**: ويمثلها نص واحد (شكل١٥) مؤرخ بسنة ٦١٨هـ، والذي كتب بخط نسخ غير متقن وربما كان السبب في ذلك: ضيق المساحة وطول النص المراد كتابته، أو أن النص عبارة عن توقيع لمزخرف المحراب لذلك كتب بخط يدل على صاحبه، ونستدل على ذلك أن بقية كتابات المحراب كتبت إما بخط كوفي أو بخط نسخي جميل ومتقن.



شكل ٢٧. نص صناعة منبر جامع ذي أشرق (غيلان، ١٩٩٦: ش ٩٥).

الخط الثلث

يقصد به الخط الذي كتب بقلم سمك سنته ثمان شعرات، أي ثلث سمك قلم الطومار المكون من ٢٤ شعرة، ويتميز قلم الثلث بأن قطة سنته مائلة ومشطوفة تساعد الخطاط على تغيير سمك الحرف، ولذلك تتميز حروفه بالرصانة والاسترسال والتنوع في تخانات الحروف بحيث تنتهي بجزء رفيع (داود، ١٩٩١: ٥٩، ٦٠)، وقد ظهر هذا الخط في نهاية القرن القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي على يد إبراهيم السجزي (سرحان، ١٩٨٨: ١٣٦-١٣٧)، وشاع استخدامه في اليمن في العصر الرسولي ٦٢٦-٨٥٨هـ، ولدينا نصان بجامع الجند كتبا بالخط الثلث، الأول منهما كتب بخط ثلث متقن يمتاز بجمال الخط وجودته، وتداخل كلماته وحروفه، واتصال حروفه وتراكبها (شكل ١٦)، أما النص الثاني (شكل ١٧) فتميز بعدم تداخل كلماته، وتقوير حروفه كالياء والهاء والراء والواو، وكتابة هذا النص تتشابه كثيراً مع كتابة الخط الثلث في العصر العثماني.

الخط الشعبي

احتوى جامع الجند على ستة نصوص (الأشكال ١٨-٢٢) ترجع إلى القرن العشرين، اثنان منها على الجدار الغربي للجناح الغربي من الداخل، وواحد على إحدى دعامات المؤخر، واثنان على مصاريع الأبواب الخشبية الجنوبية، وواحد على السقايتين، وهذه النصوص كتبت بخط غير متقن ولا يمكن تحديد نوعه أو نسبته لأي من الخطوط المعروفة لذلك أسميناه 'بالخط الشعبي'، وربما أن سبب عدم جودة خط هذه النصوص راجع إلى أن البناء أو المجصص أو النجار هو الذي خطها وحفرها.

المطلب الثالث: الألقاب الواردة في النصوص

احتوت نصوص جامع معاذ بالجند على عدد من الألقاب والكنى وتوقيعات للصناع، ولذلك يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الألقاب

اشتملت النصوص على أربعة وثلاثين لقباً متنوعاً بين ألقاب دالة على السلطة، وألقاب دالة على الوظيفة أو الحرفة، وألقاب دالة على النسبة:

أولاً: الألقاب الدالة على السلطة

وعددها ستة وعشرون لقباً، سوف نتناولها مرتبة ألف بائياً:

١- الأجل

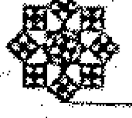
على وزن أفعل التفضيل من جليل، وهو لقب شائع الاستعمال في العالم الإسلامي، وكان يطلق منذ القرن ٤هـ/ ١٠م على أصحاب النفوذ من رجال الدولة كأمراء الولايات الذين استقلوا بحكم ولاياتهم عن الخلافة العباسية ومنهم سيف الدولة الحمداني (الباشا، ١٩٧٨: ١٢٦)، وقد ذكر في نصوص جامع الجند مرتين: الأول على السلطان طغتكين في نص تعميره لجامع الجند سنة ٥٩٠هـ، والثاني على القاضي محمد بن زيد في نص تعميره للمؤخر قبل سنة ٥٧٥هـ.

٢- ذو المنار الأعلى والمجد المعظم

ذو بمعنى صاحب أو مالك، وقد استخدم في تكوين كثير من الألقاب المركبة، وشاع استخدامه منذ القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي (الباشا، ١٩٧٨: ٢٩٣-٢٩٤)، ولم يرد هذا اللقب في المصادر التي تناولت الألقاب، مما يعني أنه لقب جديد ويرد لأول مرة على النصوص الأثرية، وأول من أطلق عليه هو السلطان طغتكين الأيوبي في نص تعميره لجامع الجند سنة ٥٩٠هـ.

٣- السلطان ابن السلطان

السلطان في اللغة بمعنى القهر، واستعمل اللقب لأول مرة منذ عهد هارون الرشيد كلقب لخالد بن برمك، ولم يصبح لقباً عاماً إلا بعد تغلب ملوك المشرق -كبني بويه- على الخلفاء، واستأثروا بالسلطة دونهم (الباشا، ١٩٧٨: ٣٢٣-٣٢٩)، وأطلق هذا اللقب في اليمن منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي على ملوك الدولة الصليحية، ثم على المنشقين عنها، كالزريعيين، وبني حاتم، واستخدمه بنو أيوب وبنو رسول وبنو طاهر (الحداد، ١٩٩٩: ٢٩٤)، واللقب هنا من ألقاب السلطان الظافر عامر بن عبد الوهاب آخر سلاطين الدولة الطاهرية، وتكرار لفظ السلطان يطلق على الذي كان أبوه سلطاناً (الباشا، ١٩٧٨: ٣٣١)، فيقال السلطان ابن السلطان، وقد يتكرر بعدد الآباء الذين كانوا سلاطين.



٤- سلطان الحرمين والهند واليمن

لقب مركب يدل على سيطرة صاحبه على هذه المناطق، وكان يعتقد أن السلطان المظفر يوسف الرسولي هو أول من تلقب بهذا اللقب (الحداد، ١٩٩٩: ٢٩٧)، ولكن النص الذي بين أيدينا يثبت أن السلطان طغتكين كان أول من تلقب به من حكام اليمن حيث ورد في نص تعميره لجامع الجند سنة ٥٩٠هـ.

٥- السيد

السيد: في اللغة المالك والزعيم، وقد أطلق على الأجلاء من الرجال وخاصة أبناء الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم تجاوزهم إلى بعض الولاة والوزراء، وغالباً ما يظهر مضافاً إليه 'الأجل' فيقال السيد الأجل (الباشا، ١٩٧٨: ٢٤٥-٢٤٧)، وقد ورد هذا اللقب مضافاً إلى الأجل في نصين من نصوص جامع الجند، الأول أطلق على أبي الحسن العنسي في نص صناعة منبر الجند سنة ٥٨٨هـ، والثاني أطلق على السلطان طغتكين الأيوبي في نص تعميره لجامع الجند سنة ٥٩٠هـ.

٦- سيد الأمة

لقب مركب من سيد بمعنى المالك أو الزعيم، والأمة ويقصد بها أمة الإسلام، هو لقب يفيد علو صاحبه على الأمة التي يحكمها، وهو من النصوص التي ترد لأول مرة، حيث أطلق على السلطان طغتكين الأيوبي في نص تعميره لجامع الجند سنة ٥٩٠هـ.

٧- سيد الملة

لقب مركب من سيد بمعنى المالك أو الزعيم، والملة ويقصد بها ملة الإسلام، وللقب دلالة على علو صاحبه على بقية المسلمين، وهذا اللقب أطلق على طغتكين الأيوبي في نص تعميره لجامع الجند سنة ٥٩٠هـ.

٨- سيد الملوك

لقب مركب من سيد بمعنى المالك أو الزعيم، مضافاً إليه 'الملوك' كدلالة على سيطرة صاحبه على من هم دونه من الأمراء الذين يلقبون بالملوك ولو لم يتولوا الحكم، وقد بدأ ظهور هذا اللقب منذ عهد الدولة الأيوبية، وورثته عنها الدولة الرسولية فالدولة الطاهرية، واللقب هنا أطلق على السلطان الظافر عامر الطاهري في نص تعميره لمئذنة جامع الجند في فترة حكمه ٨٩٤-٩٢٣هـ.

٩- سيف الإسلام

من الألقاب المركبة المضافة إلى الإسلام، وهو لقب سامي المعنى، كان يطلق على أجلاء الرجال من خلفاء ووزراء وولاة في العصر العباسي والفاطمي، ونعت به طغتكين الأيوبي (الباشا، ١٩٧٨: ٣٤١) حاكم اليمن في نص تعميره لجامع الجند سنة ٥٩٠هـ.

١٠- الظافر

الظافر من الظفر بمعنى الفوز، وقد عرف هذا اللقب منذ القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي في الدولة الأموية بالأندلس، والدولتين الفاطمية والأيوبية في مصر (الباشا، ١٩٧٨: ٣٨٣)، وورثه بنو رسول باليمن عن الأيوبيين فتلقب به الظافر أسد الدنيا والدين في تابوته بالمدرسة الأشرفية بتعز، وورثه الطاهريون عن الأيوبيين فتلقب به أول سلاطينهم الظافر الأول عامر بن طاهر ٨٥٨-٨٦٤هـ، وآخر سلاطينهم الظافر عامر الثاني وورد في نص تعميره لجامع الجند في فترة حكمه ٨٩٤-٩٢٣هـ.

١١- ظهير الدين

الظهير في اللغة المعين، وهو من الألقاب المضافة إلى الدين، وقد ورد في عدة نقوش على المسجد الجامع بدمشق (الباشا، ١٩٧٨: ٤٠٢)، واللقب هنا أطلق على السلطان طغتكين الأيوبي في نص تعميره لجامع الجند سنة ٥٩٠هـ.

١٢- العزيز

من الألقاب التي تجري مجرى التشريف، وهو من الألقاب الأصول، وقد أطلق كنعت خاص لبعض الأفراد أولهم الخليفة الفاطمي نزار، والملك العزيز من بني بويه (الباشا، ١٩٧٨: ٤٠٢)، وقد أطلق هذا اللقب على السلطان طغتكين الأيوبي في نص تعميره لجامع الجند سنة ٥٩٠هـ.

١٣- قامع العصاة والمتمردين

قمعه أي قهره وأذله، وقد أضيف إلى اللقب بعض الكلمات لتكوين ألقاب مركبة، وغالباً ما يرد بصيغة قامع الخوارج والمتمردين (الباشا، ١٩٧٨: ٤٢٤-٤٢٥)، ولكنه يرد هنا بصيغة جديدة حيث أطلق على السلطان طغتكين في نص تعميره لجامع الجند سنة ٥٩٠هـ كدليل على قمعه ولاة أخيه توران شاه الذين خرجوا عن طاعة الدولة الأيوبية بعد وفاة الأخير في كل من زبيد، وتعز، والجند، وعدن، فضلاً عن قمعه لمن لم يدخل في طاعة الدولة الأيوبية من الأمراء وزعماء القبائل اليمنية.

١٤- قاهر الخوارج المنافقين

القاهر في اللغة الغالب، وهو من أسماء الله الحسنى، ولذلك كرّه العلماء التلقب به، وكان يدخل في تكوين بعض الألقاب المركبة مثل 'قاهر الخوارج والمتمردين' (الباشا، ١٩٧٨: ٤٢٦-٤٢٧)، ولكنه هنا يرد بصيغة جديدة لأن كلمة المتمردين قد دخلت في تكوين اللقب السابق فاستعاض عنها هنا بكلمة المنافقين، وقد أطلق هذا اللقب على السلطان طغتكين الأيوبي في نص تعميره لجامع الجند سنة ٥٩٠هـ، والمعنى العام له أن صاحبه قهر الخوارج في اليمن من بقايا الإسماعيلية كالصليحيين والزريعيين وبني حاتم في كل من جبلة وعدن وصنعاء.

١٥- كهف الأنام

الكهف الملجأ، والأصل فيه البيت المحفور في الجبل (الباشا، ١٩٧٨: ٤٤٠)، وقد ورد في المصادر اليمنية كلقب للسيدة بنت أحمد الصليحية، وأطلق على السلطان طغتكين في نص تعميره لجامع الجند سنة ٥٩٠هـ.

١٦- مالك نفوس الموحدين

المالك خلاف المملوك، وهو من الألقاب الملكية في العصر الإسلامي، وكان يضاف إلى ياء النسبة في العصر المملوكي (المالكي)، وأطلق على أكابر العسكريين، ثم أضيفت إليه بعض الكلمات لتكوين ألقاب مركبة (الباشا، ١٩٧٨: ٤٤٤)، ويرد ضمن ألقاب السلطان طغتكين في نص تعميره لجامع الجند سنة ٥٩٠هـ.

١٧- مبيد الكفرة والمشركين

المبيد: المزيل، المنهي، الماحي، وكان يضاف إلى ألفاظ أخرى لتكوين ألقاب مركبة (الباشا، ١٩٧٨: ٤٤٧)، واللقب هنا يرد لأول مرة في النصوص الأثرية حيث أطلق على السلطان طغتكين في نص تعميره لجامع الجند سنة ٥٩٠هـ.

١٨- المعظم

من ألقاب الملوك والسلاطين، وأول من أطلق عليه السلطان ألب أرسلان سنة ٤٥٩هـ، وكان يستعمله المماليك في مراسلاتهم إلى الملوك غير المسلمين (الباشا، ١٩٧٨: ٤٧٧-٤٧٨)، وقد أطلق اللقب على السلطان طغتكين في نص تعميره لجامع الجند سنة ٥٩٠هـ، وهو هنا يرد لأول مرة ضمن ألقاب حكام اليمن.

١٩- المستمسك بالملك القاهر

من الألقاب التي ترد لأول مرة على النصوص الأثرية، وقد ورد ضمن ألقاب السلطان الظافر عامر الطاهري في نص تعميره للمئذنة الغربية بجامع الجند في فترة حكمه ٨٩٤-٩٢٣هـ، واللقب يدل على تمسك صاحبه بقوة الله وقدرته القاهرة.

وقد كتبت كلمة المستمسك ربما خطأ هكذا 'المسمسك' وربما أن الخطاط نسي كتابة حرف التاء بعد حرف السين الأولى، وليس لها من معنى كما هي مكتوبة وأقرب قراءة لها هي المستمسك كما أوردناها.

٢٠- الملك

الملك لقب يطلق على الرئيس الأعلى للسلطة الزمنية، وقد عرف في اليمن منذ عصر ما قبل الإسلام، وظل اللقب مستعملاً في العصر الإسلامي، حيث أطلق على حكام الدويلات المستقلة عن الخلافة العباسية، وفي العصر الفاطمي أطلق على الأمراء وبعض الوزراء، وتلقب به سلاطين الدولة الأيوبية في مصر (الباشا، ١٩٧٨: ٢٤٦-٥٠٢)، وفي اليمن أطلق على حكام الدول المستقلة كبني زياد، وبني نجاح، والصليحيين، وبني أيوب، وبني رسول وبني طاهر، وإن قلت أهميته في العصر الرسولي - كسابقيهم الأيوبيين - فكان يطلق



على السلاطين وعلى الأمراء من أبناء البيت الرسولي ولو لم يتولوا الحكم أو حتى من صغار السن (الحداد، ١٩٩٩: ٢٩٤)، وقد أطلق اللقب هنا على السلطان طغتكين في نص تعميره لجامع الجند سنة ٥٩٠هـ.

٢١- ملك الحرمين

لم يرد هذا اللقب بهذه الصيغة في المصادر التاريخية والنصوص الأثرية، وإنما كان يرد بصيغة خادم الحرمين، صاحب الحرمين، سلطان الحرمين، وقد أطلق اللقب بهذه الصيغة على الملك السعودي فيصل ين عبد العزيز في نص تجديده لجامع الجند سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٢٢- ملك العجم والعرب

لم يرد هذا اللقب بهذه الصيغة في النصوص الأثرية بل كانت الألقاب المضافة إلى العجم والعرب ترد بصيغة سلطان العرب والعجم، ولذلك يعد من الألقاب الجديدة، حيث أطلق على السلطان طغتكين في نص تعميره لجامع الجند سنة ٥٩٠هـ، حسب ما أمكن قراءته من النص لوجود كسر في الجزء الأخير من كلمة العجم والنصف الأول من كلمة العرب.

٢٣- المهاب

لم يرد هذا اللقب في كتب الدساتير والألقاب، ولذلك يعد لقباً جديداً يظهر لأول مرة على النصوص الأثرية، وأول من تلقب به السلطان طغتكين في نص تعميره لجامع الجند سنة ٥٩٠هـ.

٢٤- مولانا

المولى: لقب يطلق في اللغة على السيد والمملوك والعتيق، وعلى النسب إلى قبيلة، وقد استعمل كلقب دال على السيادة، كإطلاقه على الخلفاء العباسيين والعلويين، ثم شاع استخدامه في العصر الفاطمي، وصار في العصر الأيوبي من أهم ألقاب السلاطين والملوك (الباشا، ١٩٧٨: ٥١٦-٥٢١)، وقد أطلق في اليمن على سلاطين الدولة الأيوبية وورثته عنهم الدولة الرسولية، وكان يعتقد أن السلطان المظفر الرسولي أقدم من تلقب به في نص تأسيس جامع حيس سنة ٦٧٨هـ (الحداد، ١٩٩٩: ٢٩٤)، ولكن النص الموجود بجامع الجند يعد أقدم نص ورد به هذا اللقب في اليمن حيث ورد ضمن ألقاب السلطان طغتكين سنة ٥٩٠هـ.

٢٥- ناصر أمير المؤمنين

استعمل 'الناصر' كلقب مفرد، وأشهر من تلقب به السلطان صلاح الدين الأيوبي، ثم دخل في تكوين كثير من الألقاب ومنها لقب 'ناصر أمير المؤمنين' والذي أطلق لأول مرة في العصر الأموي على عبد الرحمن بن الأشعث، ثم استمر استخدامه بعد ذلك في الدول: العباسية، والفاطمية، والأيوبية، والمملوكية (الباشا، ١٩٧٨: ٢١١-٢١٢)، وأول ظهوره على النصوص الأثرية في اليمن كلقب خاص بالسلطان طغتكين في نص تعميره لجامع الجند سنة ٥٩٠هـ.

٢٦- نصير المسلمين

لقب نصير من الألقاب التي أطلقت على العسكريين (الباشا، ١٩٧٨: ٥٣٣)، ثم دخل في تكوين الألقاب المركبة ومنها نصير المسلمين، ويعد السلطان طغتكين أول من تلقب بهذا اللقب في نص تعميره لجامع الجند سنة ٥٩٠هـ.

ثانياً: الألقاب الدالة على الوظيفة أو الحرفة

احتوت نصوص جامع الجند على ستة ألقاب من هذا النوع:

١- الأجل

سبق شرح هذا اللقب، وقد ورد في نص طغتكين، وكذلك في نص صناعة منبر الجند سنة ٥٨٨هـ، حيث أطلق على أبي الحسن علي بن حسن العنسي الآمر بصناعة المنبر، وربما كان العنسي وزيراً أو قاضياً للسلطان طغتكين، وربما كان كاتباً أيضاً حيث إن اللقب شاع إطلاقه منذ العصر الفاطمي على الوزراء وأمراء الجيوش والقضاة والكتاب والتجار.

٢- البنا

ورد هذا اللقب في كثير من الكتابات الأثرية كاسم لمن يحترف مهنة البناء (الباشا، ١٩٧٨: ٣٠٨)، ويطلق على البناء في اليمن 'الأسطا' (خليفة، ١٩٩٢:

١٨٨)، ويرد هذا اللقب بهذه الصيغة لأول مرة في النصوص الأثرية في اليمن في نص تجديد القاضي محمد بن زيد لمؤخرة الجامع قبل سنة ٥٧٥هـ، حيث أطلق على كل من عثمان بن حين البنا، وعبد الرزاق بن الحين البنا.

٣- السيد

سبق شرح هذا اللقب.

٤- العبد الفقير إلى رحمة الله

من ألقاب التواضع والتذلل لله تعالى، وقد أطلق هذا اللقب لأول مرة على السلطان نور الدين زنكي في نص تأسيس جامع النوري بحماة سنة ٥٥٩هـ (الباشا، ١٩٧٨:٣٩٣)، وصار لقباً عاماً بعد ذلك بحيث أطلق على الحرفيين، وقد ورد هذا اللقب في نص زخرفة محراب جامع الجند سنة ٦١٨هـ.

٥- الفاضل

الفاضل في اللغة خلاف الناقص، وهو من ألقاب المدنيين وخصوصاً العلماء (الباشا، ١٩٧٨: ٤١٦)، وقد أطلق هذا اللقب على القاضي محمد بن زيد في نص تعميره لمؤخر جامع الجند قبل سنة ٥٧٥هـ.

٦- القاضي

اسم لوظيفة، واستعمل كلقب فخري منذ العصر الفاطمي، وكذلك في العصر الأيوبي والمملوكي، وكان يطلق على الكتاب والعلماء وموظفي الدولة من المدنيين عموماً ومن المتصدرين لوظيفة القضاء خصوصاً (الباشا، ١٩٧٨: ٤٢٤)، وقد أطلق اللقب على القاضي محمد بن زيد في نص تعميره لمؤخر جامع الجند قبل سنة ٥٧٤هـ.

ثالثاً: الألقاب الدالة على النسبة

اشتملت نصوص جامع الجند على لقبين من هذا النوع:

١- الذماري

من ألقاب النسبة إلى مدينة ذمار الواقعة على بعد ٩٠كم تقريباً جنوب العاصمة صنعاء، وقد ورد هذا في نص صناعة منبر الجند سنة ٥٨٨هـ كلقب لصانع المنبر ابن النظام حسين الذماري.

٢- العنسي

من ألقاب النسبة إلى منطقة عنس الواقعة غرب مدينة ذمار، وقد ورد هذا اللقب ضمن ألقاب أبو الحسن علي بن حسن العنسي الآمر بصناعة منبر جامع الجند سنة ٥٨٨هـ.

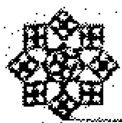
النوع الثاني: الكُنى

تعد الكُنى من الألقاب الفخرية، ومظهراً من مظاهر التعظيم الشخصي، ولذلك حرص معظم الناس بما فيهم الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء ..الخ على اتخاذ كنية رسمية خاصة بكل منهم، كما كانت هناك كُنى رسمية يمنحها الخليفة نفسه على سبيل التشريف (الباشا، ١٩٧٨: ١٤-١٥)، وقد احتوت نصوص جامع الجند على أربع كُنى: أولها أبو الحسن وتكنى بها علي بن حسن العنسي على منبر الجامع المؤرخ بسنة ٥٨٨هـ، وثانيها كنية أبو الفوارس وتكنى بها السلطان طغتكين الأيوبي على نص تعمير جامع الجند سنة ٥٩٠هـ، وثالثها: أبو الفتوح وتكنى بها والد مزخرف المحراب عبد الله بن أبي الفتوح سنة ٦١٨هـ، ورابعها كنية أبي كهيل وتكنى بها والد حسن بن أبي كهيل الذي ربما عمل في بناء الواجهات في تجديدات الإمام يحي سنة ١٣٤٤، ١٣٦٦هـ، أو في التجديدات السعودية للجامع سنة ١٣٩٣هـ.

النوع الثالث: التوقيعات والأوامر

احتوت نصوص الجامع على أربعة توقيعات للصناع، ثلاثة منها محددة الأعمال، وواحد مجهول العمل:

١- **توقيع عثمان البنا:** كان حرفياً يمتهن حرفة البناء وقد وقع بخط كوفي مورق على عتب الباب الأوسط من الواجهة الجنوبية، ونص التوقيع (عمل عثمان بن حسن البنا)، ولم نعثر له على ترجمة، وبما أن التوقيع موجود على الواجهة الجنوبية فمن المرجح أنه قام بعمارة الواجهة خاصة والمؤخر عامة سنة ٥٧٥هـ



وما قبلها، وهذا التجديد يرجع إلى فترة ولاية مظفر الدين قايماز أو ياقوت التعزي كنواب لتوران شاه الأيوبي.

٢- **توقيع ابن النظام:** كان نجاراً وقد وقع بخط النسخ على لوحة صناعة منبر الجند سنة ٥٨٨هـ، ونص التوقيع (عمل ابن النظام بن حسين الذماري) وقد ترجم له د. ربيع خليفة (خليفة، ١٩٩٢: ٨٢)، وإن لم يحدد لقبه 'الذماري'، وقد صنع هذا المنبر في عهد السلطان طغتكين الأيوبي.

٣- **توقيع عبد الله بن أبي الفتوح:** كان مزخرفاً (مجصصاً) وقد وقع بخط النسخ على تيجان أعمدة محراب الجامع، ونص التوقيع (فرغ من عمل هذا المحراب العبد الفقير إلى رحمة الله عبد الله بن أبي الفتوح) ثم تاريخ الفراغ من العمل في شهر رجب سنة ٦١٨هـ، وهذه السنة تقع ضمن سني حكم السلطان المسعود يوسف بن السلطان الكامل الأيوبي ٦١٢-٦٢٦هـ.

٤- **توقيع عبد الرزاق البنا:** كان حرفياً يمتهن حرفة البناء وقد وقع على الحجر بالخط الكوفي المورق ونص توقيعه (عمل عبد الرزاق بن الحسن البنا)، ولا نعرف زمن ونوع العمل الذي قام به، ولكن من المرجح أنه اشترك مع عثمان البنا في عمارة المؤخر قبل سنة ٥٧٥هـ.

كما اشتملت النصوص على عدد من الأوامر الإنشائية تنوعت ما بين عمارة وتجديد وإضافة منابر أو أبواب ..الخ، وأول تلك الأوامر أمر القاضي محمد بن زيد بعمارة مؤخر الجامع قبل سنة ٥٧٥هـ، وثانيها أمر أبو الحسن العنسي بصناعة المنبر سنة ٥٨٨هـ، وثالثها أمر السلطان طغتكين بتجديد عمارة الجامع سنة ٥٩٠هـ، وخامسها أمر السلطان الظافر عامر بإعادة بناء المنارة الغربية فيما بين ٨٩٤-٩٢٣هـ، وسادسها أمر الإمام يحي بتجديد بعض أجزاء الجامع وبناء السقايتين وعمل بعض الأبواب الخشبية في السنوات ١٣٤٤هـ، و١٣٦٦هـ، وسابع تلك الأوامر أمر حسن بن أبي كهيل والذي لا نعرف زمن ونوع ما أمر به، وثامنها أمر الملك السعودي فيصل بن عبد العزيز بتجديد بعض أجزاء الجامع وخاصة بعض الواجهات والسقف.

الخاتمة

بعد دراسة النصوص دراسة تاريخية وأثرية، وتحليل مضمون النصوص من حيث ما تحتويه من كتابات وألقاب وتواريخ ..الخ، يمكن ذكر أهم النتائج التي أمكن التوصل إليها:

١- تحديد تاريخ بناء جامع الجند بمرحلته الأولى سنة ١٠هـ، وانتهى من بنائه في الأسبوع الأول من شهر رجب من السنة نفسها، حيث صلى به معاذ رضي الله عنه أول جمعة، والتي صادف أن كانت الجمعة الأولى من شهر رجب، ولذلك ما زال كثير من أهل اليمن يحتفلون بها حتى عصرنا الحاضر.

٢- تتبع مراحل بناء الجامع والإضافات والتجديدات التي تمت له منذ تأسيسه وحتى سنة ١٩٧٣م، من خلال المصادر التاريخية ومقارنتها بما جاء في النصوص التأسيسية، بدءاً من التجديدات الأموية والعباسية، ومروراً بالتجديدات الأيوبية في عهد كل من نواب توران شاه سنة ٥٧٥هـ، وطغتكين بن أيوب سنة ٥٨٨-٥٩٠هـ، والناصر أيوب بن طغتكين ٦٠٣هـ، والمسعود يوسف سنة ٦١٨هـ، والتجديد الرسولي في عهد الأشرف الثاني سنة ٧٩٣هـ والظاهر يحي ٨٣٠-٨٤٢، والتجديد الطاهري سنة ٨٩٤-٩٢٣هـ، وتجديد عصر الإمام يحي سنة ١٣٤٤، ١٣٦٦هـ، والتجديد السعودي سنة ١٩٧٣م.

٣- من خلال النصوص المكتوبة بالخط الكوفي المبكر والبسيط نستدل على قيام الأمويين أو العباسيين بتجديد الجامع خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ويؤيد هذا الدليل وجود محراب مجوف يعرف بمحراب معاذ حل محل محراب معاذ الأصلي، علماً أن المحاريب المجوفة لم تظهر إلا منذ العصر الأموي.

٤- ذكرت المصادر التاريخية العديد من التجديدات التي قام بها حكام الدول في اليمن بجامع الجند، ولكن لم نعثر على أي نصوص أثرية تثبت ذلك ومنها: تجديد الحسين بن سلامة وزير دولة بني زياد سنة ٤٠٢هـ، وتجديد المفضل بن أبي البركات وزير الملكة السيدة

بنت أحمد الصليحي سنة ٤٨٠هـ، وتجديد الناصر أيوب بن طغتكين الأيوبي سنة ٦٠٣هـ، والسلطان الأشرف إسماعيل الثاني الرسولي سنة ٧٩٣هـ، والسلطان الظاهر يحي الرسولي سنة ٨٣٠-٨٤٢هـ.

٥- ذكرت نصوص جامع الجند بعض التجديدات التي غفلت عنها المصادر التاريخية ومنها: تجديد نائب توران شاه للجامع سنة ٥٧٥هـ، وتجديد السلطان الطاهري الظافر عامر الثاني سنة ٨٩٤-٩٢٣هـ.

٦- تصحح لنا النصوص بعض التواريخ التي حددتها المصادر لتجديدات الجامع، ومنها: ذكرت أن تجديد طغتكين كان سنة ٥٧٥هـ، والصحيح أنه تم سنة ٥٨٨- ٥٩٠هـ، كم ذكرت أن تجديد المسعود يوسف تم سنة ٦٢٦هـ والصحيح أنه تم سنة ٦١٨هـ.

-٧ حددت النصوص أسماء بعض القائمين بأمر البناء والتجديد وأولهم القاضي محمد بن زيد قبل سنة ٥٧٥هـ، ثم نائبه معاذ بن إبراهيم بن محمد سنة ٥٧٥هـ، وحسن بن أبي كهيل في تاريخ غير معروف والأرجح أنه في تجديد القرن العشرين الميلادي.

٨- تنوع الخطوط التي كتبت بها النصوص ومن أهمها: الخط الكوفي، وخط النسخ، وخط الثلث، حيث مر الأول بثلاث مراحل من التطور هي: مرحلة الخط الكوفي المبكر، ومرحلة الخط الكوفي البسيط، ومرحلة الخط الكوفي المورق.

٩- صححت هذه الدراسة قراءة بعض الباحثين لبعض كلمات النصوص ومنها: اليد، أبي، علي، خمس مائة، عمل، بن.

١٠- دراسة عدد من الألقاب الجديدة التي تعرف لأول مرة في اليمن ومنها: ذو المنار الأعلى والمجد الأعظم، سيد الملة، مالك نفوس الموحدين، المستمسك بالملك القاهر، المهاب، نصير المسلمين.

١١-تصحيح المعلومة التي ذكرت أن السلطان المظفر الرسولي كان أول من اتخذ لقب سلطان الحرمين والهند واليمن على نص تأسيس جامع حيس سنة ٦٧٨هـ، إذ أن السلطان طغتكين هو أول من اتخذ هذا اللقب في نص تعمير جامع الجند سنة ٦٩٠هـ.

١٢- دراسة عدد من توقيعات الصناع والحرفيين الذين عملوا في تجديد الجامع وتعميره وأثاثه، ومنهم: عثمان بن حسن البنا، عبد الرزاق بن الحسن البنا، ابن النظام بن حسين الذماري، عبد الله بن أبي الفتوح.

١٣- احتوت النصوص على أخطاء إملائية ولغوية منها: كتابة 'ابن' بين اسم الابن والأب بإثبات حرف الألف، كما في نص: ٥، ٦، ٩، ٢٠، وكتابة المستمسك بحذف حرف التاء هكذا (المسمسك) كما في نص ١٤.

***

قائمة المصادر والمراجع

١- أحمد، محمد عبد العال، الأيوبيون في اليمن، مع مدخل تاريخ اليمن الإسلامي إلى عهدهم (الإسكندرية، ١٩٨٠).

٢- الأهدل، الأزهري، نثر الدر المكنون (القاهرة، ١٩٣١).

٣- الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار (القاهرة، ١٩٧٨).

٤- الباشا، حسن، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، ٥ مجلدات (القاهرة، ١٩٩٩)، أوراق شرقية، الطبعة الأولى.

٥- ابن حاتم، بدر الدين محمد، السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تحقيق ركس سميث (جامعة كمبردج، ١٩٧٣).

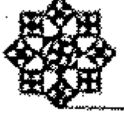
٦- الحجري، محمد بن أحمد، ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، جزءان، تحقيق إسماعيل الأكوع (صنعاء، ١٩٨٤).

٧- الحداد، عبد الله عبد السلام، مدينة حيس اليمنية تاريخها وآثارها الدينية (القاهرة، ١٩٩٩)، الطبعة الأولى.

٨- ....، ٢٠٠٣، تطور الخط الكوفي في اليمن منذ صدر الإسلام حتى نهاية العصر الأيوبي في اليمن ٦٢٦هـ، الإسكندرية، المؤتمر الدولي الأول للنقوش والخطوط والكتابات في العالم عبر العصور، مركز الخطوط، مكتبة الإسكندرية، ٢٤-٢٧ أبريل.

٩- ابن الحسين، يحي، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، جزءان، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة، ١٩٦٨).

١٠- الجعدي، عمر بن علي بن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد سيد (بيروت، ١٩٥٧).



١١- جمعة، إبراهيم، د.ت، دراسة في تطور الكتابات على الأحجار في القرون الخمسة الأولى للهجرة مع دراسة مقارنة لهذه الكتابات في بقاع أخرى من العالم الإسلامي، القاهرة، دار الفكر العربي.

١٢- الجندي، محمد بن يوسف، السلوك في طبقات العلماء والملوك، الجزء الأول، تحقيق محمد بن علي الأكوع (صنعاء، ١٩٨٣)، الطبعة الأولى.

١٣- ....، السلوك في طبقات العلماء والملوك، الجزء الثاني، تحقيق محمد بن علي الأكوع (صنعاء، ١٩٩٥)، الطبعة الثانية.

١٤- الخزرجي، علي بن الحسن، العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، مخطوط مصور (صنعاء، ١٩٨١).

١٥- خليفة، ربيع حامد، الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي (القاهرة، ١٩٩٢)، الطبعة الأولى.

١٦- داود، مايسة محمود، الكتابات العربية على الآثار الإسلامية منذ القرن الأول حتى أوائل القرن الثاني عشر للهجرة (القاهرة، ١٩٩١)، الطبعة الأولى.

١٧- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، جزءان، تحقيق محمد بن علي الأكوع (القاهرة، ١٩٧٧).

١٨- ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبد الله الحبشي (صنعاء، ١٩٧٩) مركز الدراسات والبحوث اليمني.

١٩- الرازي، أحمد بن عبد الله الصنعاني، تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق حسين العمري (١٩٨١) الطبعة الثانية.

٢٠- رجب، غازي، جامع الجند لبنة جديدة في هيكل العمارة الإسلامية، مجلة اليمن الجديد، العدد الأول، السنة الخامسة عشرة (صنعاء، ١٩٨٦)، ٥٣-٥٩.

٢١- سرحان، أحمد عبد الله، حرفنا العربي وأعلامه العظام عبر التاريخ، الحقيقة برس (١٩٨٨).

٢٢- الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد، اليمن في صدر الإسلام من البعثة المحمدية حتى قيام الدولة الأموية (دمشق، ١٩٨٧)، الطبعة الأولى.

٢٣-............................، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة (صنعاء، ٢٠٠٤)، الطبعة الأولى.

٢٤- شيحة، مصطفى عبد الله، مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية اليمنية (القاهرة، ١٩٨٧)، وكالة سكرين، الطبعة الأولى.

٢٥- عمارة اليمني، نجم الدين عمارة بن علي، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها، تحقيق محمد بن علي الأكوع (صنعاء، ١٩٨٥)، الطبعة الثالثة.

٢٦- غيلان، غيلان حمود، الأخشاب المزخرفة في اليمن ٢٦٥-٥٣٢هـ/ ٨٧٨-١١٣٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب (جامعة بغداد، ١٩٩٦).

٢٧- ابن المجاور، يوسف بن يعقوب، ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المعروف بتاريخ المستبصر، تصحيح أوسكر لوففرين (بيروت، ١٩٨٦)، الطبعة الثانية.

٢٨- المطاع، إبراهيم أحمد محمد، جمع الإمام الهادي إلى الحق والمنشآت المعمارية الملحق به في مدينة صعدة باليمن، دراسة أثرية معمارية مقارنة، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة جنوب الوادي (قنا، ٢٠٠٠) مصر.

الحواشي

* أستاذ مساعد الآثار والحضارة الإسلامية المساعد قسم الآثار - كلية الآداب - جامعة صنعاء.

١ تتضارب المصادر التاريخية حول المسيطر على مدينة الجند، فتارة تقول إنه والي تعز ياقوت التعزي، وتارة تقول مظفر الدين قايماز والي جبلة والتعكر، لذلك لا نستطيع تحديد الوالي الحقيقي على الجند، (انظر) (ابن حاتم، ١٩٧٣: ٢٠-٢٣؛ الجندي، ١٩٩٥: ٥٢٢-٥٢٣؛ أحمد، ١٩٨٠: ١٠٣).

٢ النصان الباقيان غير مقروئين بسبب التلف الشديد.

٣ سورة التوبة، الآية ٩.

٤ لم يذكرها شيحة (شيحة، ١٩٨٧: ١٤٧) وقرأها خليفة: المقام (خليفة، ١٩٩٢: ٨٢).

٥ قرأها شيحة: ذلك (شيحة، ١٩٨٧: ١٤٧)

٦ قرأها خليفة: بن (خليفة، ١٩٩٢: ٨٢).

٧ قرأها شيحة: خمس ميه (شيحة، ١٩٨٧: ١٤٧)

٨ قرأها خليفة: عمله (خليفة، ١٩٩٢: ٨٢).

٩ لم يذكرها خليفة (خليفة، ١٩٩٢: ٨٢).

١٠ لم يذكرها خليفة (خليفة، ١٩٩٢: ٨٢).

قلعة نَخْل
على درب الحَاجّ المصري في سيناء
دراسة آثارية - معمارية جديدة في ضوء الحفائر الآثارية

سامي صالح عبدالمالك

مما لا شك فيه أن الحفائر الآثارية والاستفادة من نتائجها ما لم تُنشر نشراً علمياً، فهي تعتبر نوع من الهدم والتخريب، أكثر منها أعمال حفائر علمية مُنظمة، وهو للأسف الوضع السائد في الغالبية العظمى لحفائرنا في الآثار الإسلامية، وبالرغم من أن الحفائر الآثارية علم قائم بذاته، حيث أن الحفائر من المصادر الهامة والرئيسية لتحقيق ما جاء في المصادر التاريخية بشتى أنواعها المختلفة، كما أنها علاوة على ذلك مصدر رئيسي لكتابة التاريخ بشكل قريب من الواقع بعيداً عن الروايات التاريخية التي ربما يتأثر كاتبها بأحداث وحكام عصره، كما أن بعض مكتشفاتها يكون لها دور في تقويم الأحداث التاريخية والحضارية، كما أنها مصدر متجدد من مصادر التاريخ وتزويد وإثراء مجموعات المتاحف الآثارية بالتحف المنقولة الجديدة، كما أنها قد تضيف منقولات وأحداث كثيرة ومثيرة قد تكون أغفلتها المصادر التاريخية المعاصرة، وكشفت عنها الحفائر الآثارية، والأمثلة على ذلك عديدة لا حصر لها في الآثار الإسلامية.[١]

وقد بدأت بطموح شخصي ومساعدة رسمية ممثلة في المجلس الأعلى للآثار مشروعاً لدراسة درب الحَاجّ المصري في سيناء، اشتمل على أعمال المسوحات الآثارية لتحقيق مَنَاهله ومنازله وتوقيعها على خرائط مساحية، ثم تبع ذلك إعداد مشروعات آثارية لها بإجراء الحفائر العلمية المنظمة، والترميم العاجل للمكتشفات سواء المعمارية الثابتة أو المنقولات، والتوثيق الآثاري للمواقع، وإصدار القرارات الوزارية بضمها لقانون حماية الآثار، والنشر العلمي، فكانت البداية بجمع المادة العلمية من المصادر التاريخية بشتى أنواعها المختلفة وثائقية وجغرافية وتاريخية ورحلات ودراسات حديثة سابقة، ثم تبع ذلك القيام بالمسوحات الآثارية الحقلية الميدانية لتحقيق منازل ومناهل الدرب، ثم قمت بالحفائر الآثارية ببعض المنازل والمَناهل،[٢] وكان من أهم المواقع على درب الحَاجّ المصري في سيناء: قلعة نَخْل موضوع الدراسة الآثارية - المعمارية في ضوء هذه الحفائر الآثارية.[٣]

أما بالنسبة إلى نَخْل وقلعتها وأهميتها على درب الحَاجّ المصري فقد كانت المَنهَل الثالث من المَناهِل الكبرى على درب الحَاجّ المصري، وهذا إذا أخذنا في الاعتبار مَنهَل بِركة الحَاجّ أولها، وعَجْرُود ثانيها، فنَخْل ثالثها،[٤] ويتم الوصول إليها في اليوم السادس من بِركة الحَاجّ واليوم الثالث من عَجْرُود،[٥] كما كانت نَخْل علاوة على ذلك مركزاً من مراكز البريد بين القاهرة وبلاد الحرمين الشريفين،[٦] وكانت نَخْل مكاناً لمبيت قافلة الحَاجّ، وبها يُعقد سوق ضخم وأفران للخبز على غرار ما يحدث ببِركَة الحَاجّ وعَجْرُود والعَقَبَة وبقية المَناهِل على طول درب الحَاجّ المصري، فكان يُؤتى إليه من مصر وبلاد الشام وغزّة وقَطْيَا[٧] بجميع الأصناف لتتزود منه قافلة الحَاجّ باحتياجاتها سواء في رحلة الذهاب أو العودة من الحج.[٨] كما أن نَخْل علاوة على ذلك نُقطة هامة ومجمع لتلاقي عدة دُروب منها: طريق الأنباط التجاري بين أيلة والقُلْزُم،[٩] وطريق الحجاج المسيحيين من غزَّة إلى دير سانت كاترين في رحلة الذهاب والعودة،[١٠] كما كانت على درب الشام المشهور في المصادر التاريخية والجغرافية بطريق صَدْر وأَيْلَة «صلاح الدين الحربي بوسط سَيْناء»،[١١] وهو الذي يساير في أجزاء كبيرة منه مسار درب الحَاجّ المصري في أغلب منازله ومناهله داخل سَيْناء، ودرب الحَاجّ المصري منذ الفتح الإسلامي لمصر (شكل ١)، ولهذا لقيت نَخْل كونها مَنْهَلاً على درب الحَاجّ المصري عناية كبيرة بعمارتها منذ فترة بعيدة بدايةً من الفتح الإسلامي لمصر

والعصرين الأموي والعباسي مروراً بالعصر المملوكي عصر ازدهار الدرب معمارياً بصفة عامة ونَخْل بصفة خاصة منذ أن أمر السلطان الظاهر بَيْبَرْس البُنْدُقْدَاريّ باتخاذه درباً رئيساً لخروج المَحْمِل[12] وقافلة الحَاجّ منه بصحبة كسوة الكعبة المشرفة، ومروراً بعهد الناصر محمد بن قلاوون وصولاً إلى عهد الأشرف قَانِصَوْه الغَوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/ ١٥٠٠-١٥١٦م) صاحب أول منشأة غير مائية مؤكدة في نَخْل ورد ذكرها في المصادر التاريخية المعاصرة وهي البُرْج، ثم توسعة هذا البُرْج عن طريق مضاعفة مساحته عما كانت عليه في عهد السلطان قَانِصَوْه الغَوري، وذلك في العصر العثماني في عهد السلطان سليمان القانوني (٩٢٦-٩٧٤هـ/ ١٥٢٠-١٥٦٦م) حيث أصبح قلعة خَان.

نَخْل اصطلاحاً ولغةً

لقد اختلف الجغرافيون والمؤرخون والباحثون في أصل تسمية نَخْل، وهو السبب الذي دفعني لمحاولة توضيح تطوره وتفسيره بعيداً عن بعض الآراء التي نحت منحى بعيداً،[13] خاصةً وأن المصادر المختلفة لم تغفل ذلك بل ورد فيها شيء من ذلك.

فأقدم الإشارات التي ورد فيها ذكر نَخْل - على حد علمي - هو ما ورد في شعر كُثَيّر عَزَّة[14] (ت ١٠٥هـ/ ٧٢٣م) عندما مر بها وهو في طريقه من الديار الحجازية إلى مصر حيث قال في ذكر نَخْل:

وَكَيْفَ يَنَالُ الْحَاجِبِيَّةَ آلِفٌ

بِيَلْيَلَ مُمْسَاهُ وَقَدْ جَاوَزَتْ نَخْلاً.[15]

كما عُرف اسم نَخْل خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين، ففي كتاب المناسك وأماكن طرق الحج المنسوب إلى الحربي (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م) أو القاضي وكيع (ت ٣٠٦هـ/ ٩١٨م) كانت نَخْل أحد المنازل على طريق مصر من الفُسطاط إلى المدينة النبوية، وذلك على النحو التالي: '**من عَجْرُود إلى القُلْزُم، ومن القُلْزُم إلى الكرسي، منها إلى الحفر، ومنها إلى نَخْل، ومنها إلى أَيْلَة**'.[16] وبالرغم من معرفة الاسم وتداوله في المصادر الجغرافية إلا أنني أرى أنه لا ينطبق على موقع وموضع نَخْل الحالي، وما سيأتي ذكره لاحقاً عند النابلسي سيؤيد تبادل الأسماء ما بين القُرَيْص' الكرسي'[17] ونَخْل، وربما لم تذكر المنازل مرتبة حسب ترتيب مواقعها الجغرافية، والذي يهمني هنا في هذا الموضع أن اسم نَخْل كان معروفاً ويتردد في تلك الفترة.

كما ثبت ذِكر نَخْل بعد ذلك في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي عندما مر بها الشاعر الشهير أبو الطيب المُتنبي (ت ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م) عند هروبه من حاكم مصر كافور الإخشيدي في ١٢ ذي الحجة من سنة ٣٥٠هـ/ ٢٢ يناير ٩٦٢م، حيث ذكرها في الشطر الأول ببيت من أبيات القصيدة التي نظمها في طريق هروبه وذلك تحت مسمى نَخْل حيث قال:

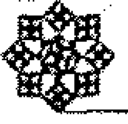
فَمَرَّتْ بِنَخْلٍ وَفِي رَكْبِهَا عَنِ الْعَالَمِيْنَ وَعَنْهُ غِنَى.[18]

وخلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي نجد الإشارة إلى نَخْل بشيء من التحريف في موضع مع عدم إغفال الاسم الصحيح في موضع آخر، إذ أشار إليها أبو عُبَيْد البكري (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) باسم بطن نَخْر،[19] ثم بطن نَخْل،[20] حيث قال: '**بطن نَخْر، وهي مَنْهَل من مَناهِل الحَاجّ، قرية ليس بها نَخيل ولا شجر، يسكنها نفر من الناس، ويقال له أيضاً بطن نَخْل باللام آخر الحروف بدل الراء لسوافي تَسْفي على الناس فيه تراباً رقيقاً كأنما نُخِلَ بمُنْخل**'.[21] وتفسير أبي عُبَيْد البكري لاسم نَخْل أقرب إلى الصواب لملاءمته طبيعة مُناخ نَخْل وجُغرافيتها حتى يومنا هذا.

وخلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي كانت نَخْل من منازل الطريق الواصل بين مصر وبلاد الشام والمعروف في المصادر التاريخية باسم طريق صَدْرَ وأَيْلَة، فقد استطعت التعرف على قصيدة من نَظم كاتب الإنشاء عماد الدين الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) في عهد صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤-٥٨٩هـ/ ١١٨٦-١١٩٣م)، وقد نظمها وهو في طريقه من مدينة دمشق إلى القاهرة بمرافقة صلاح الدين، وقد نقلها عنه أبو شامة (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م) ووردت عدة أبيات منها في حوادث سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨١م، فذكر ذلك حيث قال: '**قال العماد: ووصلنا إلى القاهرة على طريق أَيْلَة ثالث شعبان، واستقبلنا أهلها ولقينا الأكابر والأعيان والملك العادل أخو السلطان حينئذ هو نائبه وتلقينا موكبه ومواهبه وخدمته بقصيدة ذكرت فيها المَنازل والمَناهِل من يوم الرحيل من دمشق إلى الوصول بالقاهرة، منها:**

وَردنا من الزيتون حِسمى وأَيْلَة

وجزنا عَقَابًا كان مسـلكها وعراً



إلى قلتة الراعي إلى نـابع إلى
جراول فالنَخْل الذي لم يزل قفراً'.[٢٢]

واستمر هذا الاسم معروفاً بعد ذلك فذكره ياقوت الحموي خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بأنه على طريق الشام من ناحية مصر فقال: '**نَخْل بالفتح ثم السكون، اسم جنس النّخلة،[٢٣] موضع في طريق الشام من ناحية مصر ذكره المتنبي**'.[٢٤] ولا أعتقد أن تفسير ياقوت الحموي ينطبق على نَخْل بالرغم من أنه جغرافياً متمكناً ومتمرساً، لأن نَخْل لم يكن بها نَخْلَ أو شجر منذ زمنٍ بعيد، فقد ذكر البكري ذلك من قبل،[٢٥] وأكد ذلك كبريت فقال: '**ووادي النَخْل، لا نَخَل فيه**'.[٢٦] وذكرها الأصفهاني من ضمن المنازل والمَناهِل على الطريق من دمشق إلى القاهرة على أنها لم تزل صحراء لا يوجد فيها أي شئ فقال: '**النَخْل لم يزل قفراً**'. كما أكد ذلك شقير فقال: '**إنه لم يسمع في تاريخه أنه كان فيها نَخَل قبل سنة ١٩٠٦م**'.[٢٧] أما عن ياقوت الحموي فقد ذكر نَخْل بأنها موضع في طريق الشام من ناحية مصر، يقصد في طريق الشام عبر درب الحَاجّ الذي كان يسلك لبعض الوقت زمن الحروب الصليبية، ومنه يتجه المسافر إلى الشام، بعد المرور على مدينة أَيْلَة 'العَقَبَة' وبعدها مروراً بقلعة الكرك وصولاً إلى دمشق.

وفي القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي جاء ذكر نَخْل في قصيدة نظمها بدر الدين بن جماعة، ربما وهو في طريقه لأداء فريضة الحج، عندما توجه مع السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٩هـ/ ١٣٢٠م، ووردت نَخْل بفتح النون والخاء، حيث قال:

وَلَمَّا رَأت وادِي الْقِبَابِ تَبَادَرَتْ
وَفِي نَخْلٍ أَمْسَتْ وَطَابَ مَسَاهَا.[٢٨]

كما ورد ذكر نَخْل في أرجوزة بأسماء منازل درب الحَاجّ المصري وذلك بفتح النون والخاء وسكون اللام وذلك على النحو التالي:

فَسِرْ بأَرْض التِّيْهِ سَيْراً مُعْتَدِل
تَشرب للماءِ الزُّلال مِنْ نَخَلْ.[٢٩]

وفي القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي ضُبطت نَخْل بكسر النون والخاء وسكون اللام عند ابن الجيعان (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م) في رحلته الشهيرة التي دَوَّن فيها لذهاب وعودة السلطان قايتباي من الحج سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٨٤م.[٣٠]

وكانت نخل خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي عند الجزيري بنون مفتوحة بعدها خاء مُعجمة مكسورة حيث قال:' **نَخِل .. بنون مفتوحة بعد خاء مُعجمة مكسورة**'.[٣١]

وورد ذكرها عند كبريت في أواخر القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي فقال: '**قلعة نَخِر بفتح النون وكسر الخاء المعجمة بعدها راء، كأنه مأخوذ من قولهم ما بالدار ناخر أي أحد، أو من العظام النخرة إذا دخل فيها الرياح لكثرة تهابها، ووادي النَخْل، لا نَخَل فيه، ولأنه لا يخلو من السافي الناعم الذي كأنه منخول**'.[٣٢] وهو رأى شامل مانع من حيث ضبط وتفسير اسم نَخْل اصطلاحاً ولغةً.

وخلال القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي ذكرها النابلسي فقال: '**قلعة نَخَل بفتح الخاء المعجمة، وبعضهم يقولها بالسكون**'.[٣٣]

وفي نهاية القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي جعلها صادق بكسر النون والخاء، كما أنه حاول تفسير الاسم فقال: '**بالقرب من الجهة الشرقية القبلية للقلعة مقام يسمى الشيخ النخل باسمه سُميت البقعة والقلعة**'.[٣٤] ولكنه جانبه الصواب لأن نَخْل معروفة بهذا الاسم منذ بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي على أقل تقدير حسب ما هو مؤكد إن لم تكن قبل ذلك والعكس صحيح، وهو أن الشيخ المذكور هو الذي نُسب إلى نَخْل.

وقد نُعتت نَخْل عبر العصور التاريخية المتعاقبة بعدة صفات مختلفة مضافة إلى اسمها منها: بير،[٣٥] ووادي،[٣٦] وبطن[٣٧] وذلك علماً على المنطقة كلها، ومَنْهَل،[٣٨] وخَان،[٣٩] وقرية،[٤٠] وقلعة وحصن 'وأحياناً حصار بمعنى قلعة في اللغة التركية القديمة' وذلك منذ النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي،[٤١] وقَصْبَة وبَنْدَر[٤٢] وهاتين الصفتين الأخيرتين جاءتا في بعض المواضع خاصة عند الرحالة المغاربة،[٤٣] وأحياناً يذكرونها تحت اسم النُخَيْل لا نَخْل ويفسر الفاسي هذا الاسم فيقول: '**النُخَيْل بالتصغير على لسان العامة**'.[٤٤]

ويمكن القول أن نَخْل عُرفت منذ القرون الإسلامية الأولى باسم: 'نَخْل'، دون تحريف أو تصحيف، وضبط الاسم بفتح أوله وسكون ثانيه، وأعتقد أن ضبط الاسم بهذا الشكل عند المتقدمين هو الأصح لتسمية نَخْل وذلك

نسبة إلى عملية النَخل بالُمنخل لا إلى جنس شجر النَخل، وذلك لحرصهم على ضبط الأسماء وتفسيرها أكثر من اللاحقين والمتأخرين.

وقريباً أصبحت مدينة في وقتنا الحاضر، وتُعتبر مدينة نَخْل قاعدة مركز نَخْل بوسط سيناء التابع لمحافظة شمال سيناء.

نَخْل الموقع والموضع

كان موقع نَخْل خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي عند المتنبي أثناء هروبه من مصر عبر هذا الدرب في المسافة بين الرينة والنقاب 'النقب'،[٤٥] وعند الجغرافيين المسلمين الأوائل خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين في المسافة ما بين الذنبه 'الرينه' والحفر، ويتناسب عندهم موضع نَخْل مع الكرسي،[٤٦] ونُرجح هنا أن الكرسي هي نَخْل وليست القُرَّيْص، كما ذهبت بعض الدراسات الحديثة،[٤٧] وذلك بسبب وسطية موضع الكرسي بالنسبة لعَجْرُود وأَيْلَة 'العَقَبَة'، وهما اللذان ليس عليهما اختلاف، ونَخْل ذات موضع وسطي بينهما، ويرجح ذلك أيضاً ما جاء في وصف المهلبي للكرسي حيث قال: '**بها ماء يُعرف بالكُرسي فيه بئر رواء**'.[٤٨] وأعتقد أن حفر آبار في نَخْل أقدم من القُرَّيْص، لوجود استيطان بها يرجع إلى الفترة الإسلامية المبكرة - وربما كان قبل ذلك خلال العصر البيزنطي - وهو ما أكدته الحفائر الآثارية التي قمت بها في موضع قلعة نَخْل، ويؤيد ويؤكد اقتراح تبادل المواضع ما أورده النَابُلسي عند مروره بالقُرَّيْص حيث قال: '**كان هذا المكان يُسمى أولاً بنَخَل إلى أن بُنيت القلعة التي في نَخَل مكانها فسُميت بذلك، وسُمي هذا المكان باسم القُرَّيْص**'.[٤٩]

وفي القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي تحدد موقع نَخْل بشكل عام عند البكري، وذلك في المسافة بين أَيْلَة في الشرق وقبر أبى حميد 'الِقبَاب' في الغرب.[٥٠]

أما في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي خاصة أيام صلاح الدين الأيوبي، فكانت على طريقه المعروف بطريق صَدْر وأَيْلَة، وذلك في المسافة بين جراول،[٥١] المقترح لها آبيار العلائي أو القُرَّيْص في الشرق، وروض الجمل[٥٢] المعروفة حتى الآن في الغرب.

كما كانت نَخْل خلال القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي عند ابن رشيد السبتي تقع بين عَقَبَة أَيْلَة والِقبَاب.[٥٣]

وفي سنة ٨٦٦هـ/ ١٤٦٣م كانت نَخْل المنزل العاشر على درب الحَاجّ المصري الذي يبلغ عدد منازله ثمان وخمسين منزلةً، كان نصيب الرُبْعُ الأول منها الذي يبدأ من بِرْكَة الحَاجّ وينتهي عند عَقَبَة أَيْلَة خمس عشرة منزلةً،[٥٤] أي أن نخل كانت في نهاية الثلث الثاني وبداية الثلث الثالث من هذا الربع، وذلك في أقدم تحرير وضبط لمنازل ومناهل الدرب والذي ورد ذكره عند ابن العطّار[٥٥] (ت حوالي ٨٨٠هـ/ ١٤٧٦م) الذي قام بضبط مسافات الدَّرب مستخدماً آلة المنكاب،[٥٦] واتبع منهجاً علمياً خاصةً ودقيقاً في هذا العمل، فذكره لنا حيث قال: '**أما المِصري فحررت اسما منازله، وَصفاتها، وَمناهلها، وأعشابها، وتفاوت طُرقها، بمشاهدة، وَنقل، وَسؤال على التحقيق، وَرصدت مسَافتها بمنكاب، وَارتفاع الشمس .. ما بين المنزلتين مِن السَاعات المنسوبة على التدقيق، ومقدار أيام إقامتهم**'.[٥٧]

وفي سنة ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م قام الجزيري (ت ٩٧٦هـ/ ١٥٦٩م) بتحرير الدرب بنفسه، فكان أربعة أرباع ومنازله أربع وخمسين منزلةً، كان نصيب الربع الأول الذي يبدأ من صحراء القاهرة إلى مناخ عَقَبَة أَيْلَة ست عشرة منزلةً، ومسافته ثمانية أيام والتاسع في مناخ أَيْلَة، وهو ربع طويل قليل السكان والماء والشجر مع شدة الحرارة والبرد، وكانت نَخْل المنزلة الحادية عشرة منه،[٥٨] وهي من أهم الأسباب التي كانت وراء الاهتمام بعمارة نَخْل خلال الحقب الإسلامية المتعاقبة، باعتبار أنها تخدم أكثر من ثلث الطريق في هذه البرية.

وكانت نَخْل المنزل الخامس عند النابلسي الذي قال: '**قلعة نخل، وهي المنزل الخامس من منازل الحَاجّ المصري**'.[٥٩] وهي تبدأ من بِرْكَة الحَاجّ ثم الدار الحمراء، فعَجْرُود ثم الثُغَار، وصولاً إلى نَخْل، ولكن لابد من أن نأخذ في الاعتبار أن النابلسي لم يذهب مع قافلة الحَاجّ الرسمية وفي الوقت المعتاد لخروجها، إنما ذهب في شهر رجب في حين أن القافلة خرجت في نهاية شوال وبداية ذي القعدة، وكان في بعض المواضع يسلك المسارات المعروفة للعرب لا المسار الرئيس لدرب الحَاجّ المصري المتعارف عليه بالنسبة لقافلة الحَاجّ.

وكانت نَخْل على خمس مراحل من عَجْرُود، حيث كانت قافلة الحَاجّ تنزل بعد رحيلها من عَجْرُود في المنازل التالية: المُنْصَرِف، وادي الِقبَاب، ثُغْرَة حامد، التِّيْه'جَبَلْ

خَسَنْ، وراحل ورحيل'، ثم تصل إلى نَخْل في سادس يوم لرحيلها من البِرْكة، وثلاثة أيام من عَجْرُود،[٦٠] فهي تتمتع بالوسطية في موقعها بين خَان وقلعة عَجْرُود وخَان قلعة عَقَبَة أَيْلَة.

كان هذا موقع نَخْل على درب الحَاجّ المصري أما عن موضعها فهي تشغل منطقة منبسطة سهلية تحيط بها الجبال من ثلاث جهات ما عدا جهة الجنوب، وهي بهذا الموقع كانت على حد تعبير شقير: '**كأنها نجمة في هلال**'.[٦١] وهي الآن عبارة عن مدينة صغيرة مُنظمة التخطيط، ومحددة بحدود طبيعية من جميع الجهات، فيحدها من الناحية الشمالية وادي العريش عند التقائه مع وادي الرواق وجبل الغراء وجبل نَخْل، ومن الناحية الشرقية جبل أم علي ورأس أبو خشيرات ورأس أبو طليحات التي يتقدمها وادي الرواق، يليه من ناحية نَخْل وادي أبو غريقدات، ومن الناحية الجنوبية يحدها رأس المربع ومربع ريسان ووادي أبو طريفية ووادي أبو عليجانة، ومن الناحية الغربية جبل النهدين ورأس أبو جدل ووادي العريش، وهذا الموقع تم تحديده من خلال الدراسة الميدانية وخرائط المساحة العسكرية، وتقع القلعة في المدينة على يمين وادي أبو طريفية الذي يحدها من الشمال والغرب، وهو أحد أفرع وادي العريش أكبر وأطول أودية سَيْناء، وتشغل القلعة أكمة أو ربوة مستقلة إلى حدٍ ما عما حولها، وتعتبر أعلى نقطة مساحية بهذه المنطقة السهلية، ولهذا أُحسن اختيار موضعها مرتفعاً عن الوادي حتى لا تؤثر عليها السيول الجارفة بهذه المنطقة، كما يُتيح لها أيضاً كشف ما حولها والسيطرة على المكان، وترتفع هذه التبة عن قاع الوادي المجاور وهو وادي أبو طريفية بحوالي ٥,٠٠م، وترتفع حوالي ١٧٥٠ قدم وهو ما يساوي ٤١٢م عن مستوى سَطْح البحر،[٦٢] وتقع نَخْل بالقرب من دائرة عرض ٥٥َ-٢٩ْ شمالاً، وغربي خط طول ٣٤ شرقاً.[٦٣]

والقلعة الآن تحيط بها المنشآت من جميع الجهات، فمن ناحية الجنوب يوجد حي سكني وهو حي الكاشف وقسم شرطة نَخْل، ومن ناحية الغرب يوجد مستشفى المدينة، ومن ناحية الشمال وادي أبو طريفية، ومن ناحية الشرق محطة مياه.

وتبعُد قلعة نَخْل عن العريش العاصمة الإدارية لشمال سيناء إلى الجنوب منها بمسافة ١٥٦كم، وعن القاهرة إلى الشرق بمسافة ٢٧٤كم، وعن خَان وقلعة عَجْرُود أو السويس بمسافة ٨٠ ميلاً بما يساوي ١٣٥كم، وعن قلعة عَقَبَة أَيْلَة العَقَبَة بمسافة ٧٠ ميلاً أي حوالي ١٣٠كم.[٦٤]

وتعتبر نَخْل تبعاً لأبلغ وصف لحالتها بعد هجر درب الحَاجّ المصري لطريقه عبر سَيْناء في بداية القرن العشرين وبلا رجعة، القلب الميت على حد وصف جمال حمدان لها فقال: '**قلب سَيْناء الميت**'،[٦٥] لأن درب الحَاجّ كان السبب الرئيس في إحيائها في هذه البرية، وهو الذي أهَّلها في يوم ما لأن تكون المركز الإداري لكل شبه الجزيرة والذي انتقل إلى العريش بعد هجر درب الحَاجّ، وتشييد سكة حديد مصر - فلسطين في سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م.[٦٦]

المنشآت المعمارية ومصادر الصرف عليها ونظام حراستها

تعتبر نَخْل المَنْهَل الرئيسي والأهم والأوسط على درب الحَاجّ المصري في قلب سَيْناء، ولهذا حظيت بالعناية بعمارتها منذ فترة مبكرة من العصر الإسلامي ومروراً بالعصر المملوكي عصر ازدهار الدرب ونَخْل حضارياً ومعمارياً منذ عهد الظاهر بَيْبَرْس البُنْدُقْدَاريّ، ومروراً بعهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون صاحب أقدم عمارة مؤكدة موجودة في نخل حتى الآن، وصولاً إلى العصرين العثماني والحديث، وتوجد بها مجموعة منشآت معمارية مختلفة الوظائف منها المائية بأنواعها ووظائفها المختلفة، والأمنية 'الحربية'، والدينية، والجنائزية، وهي كالتالي:

أولاً- المُنشآت المائية

المُنشآت المائية وعمارتها تنحصر في نَخْل في آبار المياه وما يرتبط بها من قنوات وسواقي تدار عن طريق الدواب، والبِرَك لحفظ المياه المستخرجة من الآبار، وما بها من أحواض صغيرة ملحقة لشُرب الدواب، وهي على النحو التالي:

أ- **الآبار**: كانت المياه هي المصدر المهم في وجود المنازل أو المَنَاهَل على الدروب، ولذا كانت دائماً منشآتها هي أقدم المُنشآت بتلك المنازل والمَناهِل، وهذا هو المبرر لوجود نَخْل على عدة طرق تاريخية، وقد وُصفت مياه آبار نَخْل حسب وصف الأغلبية من الرحالة ممن مروا بها بأنها تميل إلى العذوبة أو ماؤها حلو، إلا أنها ثقيلة

في البطن، وربما أورث الاستكثار منها أمراضاً باطنية كالاستسقاء.[٦٧]

أما أقدم ذكر لوجود بئر مياه في نَخْل – على حد علمي – بعد ترجيح موضع نَخْل بدلا من القُرَيْص قديماً فترجع إلى العصر الفاطمي، وهو ما ذكره المهلبي وجاء فيه وصف بئر الكرسي بأنه رواء،[٦٨] وأعتقد أن هذه البئر ترجع إلى قبل ذلك بكثير وذلك بناءً على اكتشافي لجدران مبنية بالطوب اللبن أسفل أساسات القلعة الحالية، كما تم اكتشاف منقولات آثارية في نَخْل تؤرخ بأواخر القرن الأول وبداية الثاني الهجريين/ السابع والثامن الميلاديين، وهي عبارة عن مسارج[٦٩] فخارية كانت تستخدم كوسائل للإضاءة، تُفيد وتُؤكد وجود استيطان في نَخْل منذ ذلك الوقت على أقل تقدير إن لم يكن قبل ذلك.

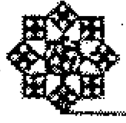
واستمر الحال على هذا الوضع دون ذكر معلومات تاريخية ذات قيمة معمارية تُفيد في التطور الحضاري العمراني لنَخْل وذلك لمدة ثلاثة قرون حتى سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م حيث ذكر لنا العيني (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) بأن الأمير حُسام الدين طرنطاي[٧٠] نائب السلطنة في أيام السلطان المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/ ١٢٧٩-١٢٩٠م) اهتم بحفر بئر نَخْل وانتفع الحَاجّ بذلك، فقال بما نصه: '**اهتم الأمير حُسام الدين طرنطاي نائب السلطنة في أيام المنصور قلاوون بحفر بئر نَخْل وانتفع الحَاجّ به**'.[٧١] وسبب حفره لهذه البئر هو توفير المياه نظراً لأنه كانت تحدث دائماً منازعات ومشاكل عديدة بسبب قلة الماء، فقد كانت قافلة الحَاجّ في إحدى السنوات القريبة من هذه الفترة تتكون من ثمانين ألف راحلة بخلاف الدواب.[٧٢] فلكم أن تتخيلوا كبر حجم القافلة وعظم أهمية الحاجة إلى الماء في هذه المنطقة الصحراوية شديدة الجفاف وقلة مصادر المياه فيها.

وبعد حفر بئر الأمير طرنطاي بأقل من سنتين مر بنَخْل ابن رشيد السبتي في ٢٨ من شهر المحرم سنة ٦٨٥هـ/ ٢٦ مارس ١٢٨٦م، وذكر لنا وجود بئر ومَصْنَع[٧٣] للماء حيث قال: '**فوافينا موضعا يسمى نُخَيلا، وفيه بئر ومَصْنَع للماء**'.[٧٤] ولم يذكر لنا من أمر بنائهما، والإجابة لم تكن صعبة بعد أن تأكدت من نسبة هذه البئر إلى الأمير حسام الدين طرنطاي نائب سلطنة السلطان المنصور سيف الدين قلاوون، أما عن المصنع فقد أشار إليه غَبّان بأنه البِرْكة،[٧٥] أما تفسير المَصْنَع بأنه بِرْكَة فهو محق في ذلك مثله مثل مَصْنَع عَجْرُود الذي ورد ذكره عند القَلْقَشَنْدِي الذي قال ما نصه: '**وبها بئر ومَصْنَع ماءٍ مُتسع يملأ منها**'.[٧٦] لكن في مواضع أخرى يُمكن أن تكون أيضاً وسيلة استخراج المياه من الآبار، وهي السواقي وما يتصل بها من قنوات تصل المياه من خلالها إلى البِرَكَ المعده لخزنها، وهو ما ورد عند العُمَرِيّ والسيوطي والجزيري في وصفهم بِرَكَ الأمير آل مَلَكَ الجوكندار في نَخْل كما سنرى.[٧٧]

وقد ورد وصف هذه البئر عند الرحالة المغربي العَبْدَري (ت بعد ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م) عندما مر بنَخْل في طريقه لأداء فريضة الحج سنة ٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م فقال: '**ومن مبعوق إلى بير النخل ثلاثة أيام، وهي بير واحدة بكية ماؤها شريب .. إلى أن احتفر أحد أمراء مصر يقال له طرقطي (طرنطاي) هنالك بير أخرى متقنة العمل ينزل إليها في درج له باب إلى جانبها، وهي عجيبة الإحكام ولكنها بكية أيضاً إذ أكثر السُقاءه نُزفتَ دمعاً، ومنذ أحدثها المذكور الماء قليلاً والزحام مع ذلك كثير، وهذه البير تُعرف بالأمير المذكور وقد أدركناه حياً**'.[٧٨] وأعتقد هنا أن اللبس حدث في اسم الأمير ما بين طرنطاي عند العيني وهو الاسم الصحيح للأمير منشئ البئر وطرطقي الذي ورد عند العَبْدَرِي، ووصف لنا العَبْدَرِي عمارة البئر بأنه متقن العمل وينزل إليها بدرج بجانبها، وماؤها غير عميقة ولكنها متجددة باستمرار، وهي تُعرف باسم الأمير الذي أنشأها.

ومن هنا يُمكن القول بوجود بئر قديمة في نَخْل من قبل وربما تكون هي البئر التي ذُكرت خلال الفترة المبكرة من نشأة الدرب وحتى العصر الفاطمي أو كانت معروفةً قبل ذلك، ثم ربما أُحدثت آبار في نَخْل خلال الفترة الأولى من عودة درب الحَاجّ في عهد الظاهر بَيْبَرْس البُنْدُقْدَارِيّ نظراً لاهتمامه بعمارة الدرب حيث عَمر خَان في عَقَبَةِ أَيْلَة،[٧٩] ثم يلي ذلك البئر التي اهتم الأمير حسام الدين طرنطاي بحفرها أيام السلطان المنصور سيف الدين قلاوون، ويطلق عليها اسم الأمير الذي حفرها أي '**بئر طرنطاي**' نسبة إليه.

وفي سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م أشار الرحالة جاك دي فيرون 'Jacques de Vérone' إلى وجود بئر في نَخْل يُعرف باسم البئر السلطاني 'Puteus Soldani'.[٨٠] وربما كانت هي البئر التي حفرها الأمير الحَاجّ آل مَلَك الجوكندار



في أيام الناصر محمد بن قلاوون، وورد ذكرها عند العُمَريّ الذي قال: '**ويرد ماءَها - أي نَخْل - وهو أعدل مما قبله ولا بكثير - أي السُّوَيْس - وكلاهما مما عمله الأمير المقدم الكبير الجوكندار المنصوري أحد الأمراء المشهورين**'.[٨١] ومما هو جدير بالذكر أنه قد تم العثور على نقش كتابي بخط الثلث المملوكي على لوح من الرُخام بمنطقة النقب باسم هذا الأمير، ويُعتقد بأنه نُقل من مَنْهَل نَخْل إلى النقب حيث وجد هناك،[٨٢] ويتكون النقش من ثلاثة أسطر:

١ - بسم الله الرحمن الرحـ(يم)

٢ - ﴿(مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيرٌ منهَا وَهُم من) فَزَعٍ يَومَئِذٍ ءَامِنُون﴾[٨٣]

٣- الفقير إلى ربه الأمير آل مَلَك الجوكندا(ر) الـ(ـمنصوري).

وورد ذكر بئرين في نَخْل سنة ٨٦٦هـ/ ١٤٦٣م عند ابن العطار الذي وصفها فقال: '**وَبِهَا بيران أحدهما بسَاقِية وَالأخرى بسلم**'.[٨٤] ومن خلال ما ورد عند ابن العطار يُمكن القول أن بئر طرنطاي هي البئر التي كانت بدرج بناءً على ما جاء في وصف العَبْدَرِي، أما بئر الأمير الحَاجّ آل ملك الجوكندار فكانت بقبة ومُركب عليها سَاقية.

وفي بداية النصف الثاني من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي وبالتحديد سنة ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م ذكر الجزيري بئري نَخْل فقال: '**وبنَخْل ... بئران إحداهما بسَاقِية، وَالأخرى بسُلَّم**'.[٨٥] وهو الوضع الذي كان قائماً في العصر المملوكي منذ ضَبط ابن العطار الدرب في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، واستمر في بداية العصر العثماني.

وفي القرن الحادي عشر والنصف الأول من الثاني عشر الهجريين/ السابع عشر والثامن عشر الميلاديين أشار بعض الرحالة الذين مروا بالمنطقة إلى بئر واحدة،[٨٦] وأولهم العياشي وقد نقل عنه من جاء بعده، ووصف نَخْل فقال: '**لأنه من المواضع التي يصعب فيها الماء، إذ ليس فيه إلا بئر واحدة**'.[٨٧] ثم في سنة ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م مر كبريت بالمنطقة في ذهابه من القاهرة إلى بلاد الحجاز، وذكر بئر نَخْل فقال: '**وبه بئر وفسقية تملأ منها**'.[٨٨]

وفي سنة ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م مر الرحالة المغربي اللكوشي بالمنطقة وأشار إلى بئرين في نَخْل حيث قال: '**ونزلنا النخيل بندر فيه بيران وصهاريج تملئ للركب المصري وماؤها حلوا**'.[٨٩]

وفي سنة ١٢١١هـ/ ١٧٩٧م مر الفاسي بنَخْل وأشار إلى وجود بئر واحدة داخل القصبة أي القلعة، وأن الماء يخرج منها بواسطة ساقية إلى الفسقية أي البركة.[٩٠]

وفي النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي أشار بوركهارت وفالين إلى وجود بئر واحدة في نَخْل تقع داخل الحصن أي القلعة، وتُستخرج المياه منها عن طريق ساقية تُدار بالبقر.[٩١]

أما في نهاية القرن ١٣هـ/ ١٩م فقد وصف صادق آبار وسواقي نَخْل فقال: '**وفي سفل البُرج الشرقي البحري - أي الشمالي - ساقية ماؤها عمقها ٢٢ متراً يديرها ثوران فيصل ماؤها إلى خارج القلعة، وبخارج القلعة .. بئر مبنية عمقها ١٦ متراً قليلة الماء**'.[٩٢]

وفي بداية القرن العشرين الميلادي أشار شقير إلى وجود بئر واحدة في نَخْل تقع داخل القلعة، وتُستخرج منها المياه عن طريق ساقية تُدار بالبقر، وبئر أخرى تقع خارج هذه البئر خاصة بالحجاج الذين لا يجدون مياه بالبِرَك والعُربان الذين يقطنون المنطقة.[٩٣]

والبئر الثانية التي وصفها صادق وشقير وزكي إلى الشمال الشرقي من القلعة على مسافة ٨٠ ياردة أي حوالي ٧٠,٠٠م، وعمقها ١٦,٠٠م قبل تعميقها في الوقت الحاضر، وقد بُنيت بالآجر، وكانت خاصة بشرب الحيوانات في أغلب فتراتها، وهي مشهورة إلى الآن عند أهل المنطقة باسم '**البئر العثمانية**'، فربما تكون قد أُحدثت أو تم ترميمها في العصر العثماني.[٩٤]

والبئر الثالثة تقع على نحو عشرين متراً جنوبي غرب القلعة، وقيل احتفرها أحمد أغا الوكيل أحد ضباط القلعة السابقين في أواخر القرن التاسع عشر، وقد ضمها سور الحديقة الجديدة، وهي تسقي الحديقة ومنها يشرب أهل المدينة.[٩٥]

وقد تم تحديد موقع البئر - التي ربما تكون بئر حسام الدين طرنطاي - من خلال وصف الرحالة والمؤرخين والمعمرين من أهل نَخْل وأعمال الحفائر الآثارية، وتم اكتشافها بالفعل بعد تحديد موضعها بناءً على ما ورد في وصف صادق والمعمرين من أهل المنطقة ومن عمل في قلعة نَخْل قُبيل تخريبها،[٩٦] والبئر دائرية التخطيط قطرها ١,٨٠م، وعمقها الذي تم الكشف عنه في هذا الموسم ثمانية مداميك بما يساوي ٢,٤٤م، ونحن نعلم أن العمق الأصلي كان في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي

٠٠ ,٢٢م حسب مقاس صادق الذي يعول عليه في أخذ المقاسات ورسم الخرائط بوصفة مهندساً وجغرافياً وعسكرياً متمرساً، وبطرف البئر الغربي تم بناء بيت لتُثبت الساقية فيه، وهو يفتح على البئر بفتحة مقدارها ٦٠سم، وطول ضلعه الجنوبي ٩٠سم، والشمالي ٨٦سم، والغربي ٩٤سم، وقد قُطعت مداميك البئر خصيصاً لتكوين محيط البئر وبمقاسات مختلفة وذلك على النحو التالي: ٢٢ × ٢٠سم، ٢٤ × ٢٦سم، ٢٤ × ٢٩سم، ٢٥ × ٢٥سم، ٢٨ × ٢٥سم، ٣٠ × ٢٥سم، ٣٢ × ٢٥سم، ٣٧ × ٢٥سم، ٤٦ × ٣٤سم، ٥٦ × ٣٥سم، ٥٩ × ٣٥سم، ٦٩ × ٢٥سم، ٧٨ × ٥ , ٣٢سم.

ب- **البِرَك والقنوات**: كانت أول إشارة إلى وجود بِرْكَة 'مَصْنَع' في نَخْل - على حد علمي - تلك التي وردت عند ابن رشيد السبتي عندما مر بنَخْل في ٢٨ المحرم سنة ٦٨٥هـ/ مارس ١٢٨٦م، فقد أشار إلى وجود بئر ومَصْنَع للماء فقال: '**فوافينا موضعا يسمى نُخَيلا، وفيه بئر ومَصْنَع للماء**'.[٩٧] ويمكن تفسير المَصْنَع في نَخْل بأنه بِرْكَة لتخزين المياه المستخرجة من البئر، وذلك إذا أخذنا في الاعتبار ما ورد عند القَلْقَشَنْدِي عندما أشار إلى مَصْنَع عَجْرُود حيث قال: '**وبها بِئْر ومَصْنَعُ ماءٍ مُتَّسِعٌ يُملأ منها**'.[٩٨] أما إذا أخذنا في الاعتبار ما ورد في وصف العُمَرِيّ لبِرَك نَخْل حينما قال: '**وقد عمل فيها الأمير آل ملك الجوكندار المنصوري أحد أمراء الدولة الناصرية بِرَكاً واتخذ لها مَصَانع**'.[٩٩] وقد نقل عنه هذا الوصف بنصه كل من السيوطي،[١٠٠] والجزيري،[١٠١] وزاد عليه الجزيري في ذكره كيفية عمل هذه المَصْانع فقال: '**واستأْجر أناساً تديرها، طول السنة، حتى تملأ البِرَك لأجل الحَاجَّ في ورودهم وصدورهم**'. فمن هنا يُمكن تفسيرها بأنها الوسيلة التي يتم عن طريقها استخراج المياه من البئر وتوصيلها للبِرَك، ويمكنني القول أن ما ورد في وصف ابن رشيد غير محدد تماماً فربما يكون البركة أو وسيلة استخراج المياه، وقد يكونا الاثنين معاً، وربما كانت البِرْكَة والمَصْنَع من أعمال الأمير طرنطاي في عهد السلطان المنصور سيف الدين قلاوون.

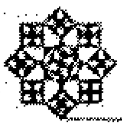
ثم يلي هذه البِرْكَة والمَصْنَع البِرَك التي اهتم بعمارتها في نَخْل الأمير الحَاجَّ آل مَلَك الجوكندار المنصوري في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وقد اتخذ لها مَصانع، واستأجر أناساً يديرونها طوال السنة حتى تملأ هذه البِرَك لأجل الحَاجَّ في ذهابهم وعودتهم.[١٠٢]

وتعتبر بِرَك مياه آل مَلَك الجوكندار أول البِرَك التي ذُكرت صراحة في نَخْل، وذلك ضمن مشروعه غير المسبوق لإعمار درب الحَاجّ المصري حيث قام ببناء خَان في عَجْرُود، وآخر في الأَزْلَم 'الأَزْنَم'[١٠٣] وغيرها من أعمال معمارية لا يزال بعضها موجود حتى يومنا هذا تدل على ما بُذل من مجهود في تلك الفترة، وبعضها تم ترميمه أو هدمه وإعادة بنائه مرة ثانية.

ومن الملاحظ أن أيٌّ من المؤرخين لم يذكر عدد البِرَك التي بناها آل مَلَك الجوكندار، ولكن على أية حال فهي أكثر من اثنتين، ففي أيام ابن العطار كانت ثلاث بِرَك وحوض خَرِب، إذ ذكر لنا عددها فقال: '**بها ثلاث فَسَاقي بينهم قبة لسَلاّر .. .. وحوض مُعَطل**'.[١٠٤] ويلاحظ مما جاء في وصف ابن العطار وجود ثلاث فساقي أي بِرك للمياه بينها قبة لسَلاّر، ولا أعلم هل هذه القبة التي وردت عند ابن العطار كانت قبة قائمة بذاتها كمسجد قبة كما في القِبَاب بوادي الحَاجّ على درب الحَاجّ المصري في سيناء أم أنها قبة مدفن، أم أنها مثل ما كانت عليه بعض البِرَكَ على درب زُبَيْدَة التي تم تزويدها بغرفة حراسة مغطاة بقبتين غير عميقتين.[١٠٥] كما يوجد حوض مُعَطل، فلا أعلم هل هو حوض مخصص لشرب دواب قافلة الحَاجَّ، أم أنها كانت بِرْكَة ونظراً لأنها كانت في حالة خربة فقد وصفها ابن العطار بالحوض، وأعتقد أنها كانت أصغر حجماً من البِرَك، وهو ما أكدته نصوص ومشاهدات المؤرخين والحفائر الآثارية، فقد ذكر لنا الجزيري وصف هذه البِرَك فقال: '**وبنَخْل ثلاث بِرَك وكانت أربع تعطلت منها واحدة أصل إنشائها لسَلاّر**'.[١٠٦]

فهذه البِرْكَةُ شيدها الأمير سَلاّر عندما كان نائباً للسلطنة في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون قبل تولية الأمير آل مَلَك الجوكندار نيابة السلطنة بدلاً منه، وربما بالتحديد عندما توجه إلى الحج سنة ٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م، حيث فعل في هذه السنة كثير من الخيرات ببلاد الحرمين الشريفين،[١٠٧] أما الثلاث بِرَك الباقية فهي من عمل الأمير آل مَلَك الجوكندار، لأنه ورد ذكرها عند المؤرخين بصيغة الجمع لا المفرد أو المثنى وذلك حسب ما جاء عند ابن العطار، ثم حدد عددها الجزيري بثلاث بِرَك.

وقد ورد ذكر هذه البِرَك عند العديد من الرحالة الذين مروا بنَخْل،[١٠٨] منهم على سبيل المثال لا الحصر:



العياشي الذي وصف البِرَك وعددها ووسيلة ملئها حيث قال: '**هناك بندر حصين فيه بئر مياه عذبة كبيرة لا تُنزح أبداً يسقى منها بالبقر إلى بِرَكٍ خارج الحصن، وهي ثلاث بِرَك مثل البِرَك التي في عَجْرُود إلا أن هذه أعظم منها**'.[١٠٩] ووصف العياشي مهم لأنه يعطينا فكرة عن موقع البئر داخل الحصن، ووسيلة استخراج المياه من البئر بسواقي تدار بالبقر، وعدد البِرَكِ وهي ثلاث تأكيداً لما جاء عند الجزيري قبل ذلك، كما أنها أكبر من التي بعَجْرُود ومثلها في العدد، وهو ما بدأ يتأكد من خلال الحفائر الآثارية التي تُجرى بالمَنْهَلين.

وقد نقل عن العياشي العديد من الرحالة هذا الوصف مثل الزبَادي والورثيلاني وابن ناصر الدرعي،[١١٠] وابن عبدالسلام الدرعي الذي جعل البئر خارج الحصن خلافاً لما هو في الواقع حتى يومنا هذا.[١١١]

وفي سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م وصف صادق حالة البِرَك الثلاثة ومقاساتها والأحواض الصغيرة الخاصة بالدواب ووسيلة ملء هذه البِرَك بالسواقي، وبأن أحدها من عمل الملك الناصر حسن وتدار عن طريق ثورين، ويتم إرسال أربعة ثيران لنَخْل قبل موسم الحج بشهر، وتملأ البِرَك وتنتظر حتى عودة الحُجاج، ثم تعود مع قافلة الحَاجِّ إلى القاهرة، أما بقية العام فتستخدم الوسائل البدائية، وهي الحبال والدلاء، كما أنه وصف البئر الثانية التي في خارج القلعة وساقية ثانية خربة فقال: '**وفي سفل البُرج الشرقي البحري ساقية ماؤها قيسوني**[١١٢] **عمقها ٢٢ متراً يديرها ثوران فيصل ماؤها إلى خارج القلعة إلى ثلاثة أحواض مبنية معدة للحجاج والقوافل أحدها طوله ١٤ متراً في ٢٨ بعمق ثلاثة أمتار خُرب منذ سنتين والآخران كل منهما طوله عشرة في تسعة أحدهما ملآن والآخر يملأ عند رجوع الحَاجِّ وبجانب هذه الأحواض أحواض صغيرة مستطيلة تملأ لشرب الدواب وفي كل عام قبل طلوع الحَاجِّ بشهر يبعث الميري - أي الحكومة - بأربعة أثوار مع لوازم الساقية لإدارتها مدة طلوع ونزول الحُجاج ثم ترجع الأثوار إلى مصر مع الحج المصري وفي بقية العام يُستخرج سكان القلعة الماء بواسطة حبال ودلاء مع المشقة الزائدة، وبخارج القلعة ساقية خربة وبئر مبنية عمقها ١٦ متراً قليلة المياه**'.[١١٣]

وفي بداية القرن العشرين الميلادي وبالتحديد في الفترة من سنة ١٩٠٥م إلى سنة ١٩١٣م كانت بِرَك نَخْل قد أُهملت وخُربت حيث وصفها شقير بأنها لم تعد لها فائدة، حيث أُهملت ولم تستخدم بعد ذلك.[١١٤]

وقد قمت بأجراء حفائر آثارية لأول مرة بالبِرَك أثناء موسم أبريل- يونيه ١٩٩٥م، فتم خلال هذا الموسم نظافة البِرْكة الأولى الكبيرة الجنوبية والثانية الصغرى الوسطى، كما تم اكتشاف البِرْكة الثالثة الشمالية، ثم توالت مواسم الحفائر حيث اكتشفت بِرْكَة صغيرة مستطيلة التخطيط تقع شمال القلعة خلال موسم حفائر مارس - مايو ٢٠٠٠م، وقسم من بِرْكَة أو قناة أسفل السور الشمالي الغربي من القلعة، وحوض يقع إلى الشمال من البِرْكَة السابقة، وطرف بِرْكَة أسفل أساسات القلعة الحالية، وهي تعتبر من أقدم البِرَك التي أُنشئت في نَخْل، وهي ربما تكون بِرْكَة الأمير طرنطاي أو الأمير سَلاَّر؛ كما تم الكشف عن ثلاث بِرَك صغيرة أثناء موسم حفائر فبراير - أبريل ٢٠٠٣م، وقد كانت في الأصل محل البِرَك الحالية الكبيرة، إذا بُنيت البِرَك الجديدة على أجزاء من البِرَك القديمة، وهي البِرَك التي شاهدها الرحالة خلال العصر المملوكي، فهي تعد البِرَك المملوكية التي بُنيت فيما قبل عمارة السلطان قَانِصَوْهْ الغَوري لمَنْهَل نَخْل على يد الأمير خَايِرْ بَك العلاي، ويمكن وصف ودراسة البِرَك بنَخْل وذلك حسب ترتيب ظهورها تاريخياً، وهي على النحو التالي:

١- بِرْكةُ طرنطاي أو سَلاَّر وما حولها

أُكتشفت هذه البِرْكة من خلال الحفائر الآثارية،[١١٥] وهي تقع إلى الشمال الغربي من القلعة بعيداً عن بقية البِرَك، وكانت على اتصال بالبئر ومُنشآت مائية أخرى لم يتم الكشف عنها حتى الآن، وتقع أغلبها أسفل أساسات القلعة الحالية، وموقع البِرْكَة وصغر حجمها هذا هو الذي جعلني أرجح أن تكون بِرْكَة الأمير طرنطاي أو الأمير سَلاَّر، وذلك لأنهما أقدم البِرَك المذكورة في المصادر التاريخية بعد البئر في نَخْل، كما أنها تقع في مكان مُنعزل عن بقية بِرَك القلعة، وهي مستطيلة التخطيط تمتد من الشمال إلى الجنوب، مقاساتها ٨,٨٠ × ٣,٦٥م، شُطفت أركانها الشمالية الشرقية بمقدار ٦٦سم وبارتفاع ٥٨سم، والجنوبية الشرقية بمقدار ٧٢سم وبارتفاع ٦٠سم، وسمك جدرانها ٦٨سم، وتم تدعيم البِرْكة من أسفل بجدار صغير مرتد إلى الداخل بمقدار ٢٠سم، ويوجد بها جزء غير مستوي تماماً من قاعها وهو الجدار الشرقي وذلك بطول ٥,٨٠م وربما

كان ذلك مقصوداً حيث مكان ملء البِرْكة بالمياه من البئر عن طريق القنوات المتصلة بالبئر والساقية حتى لا يؤثر انحدار المياه على جدران البِرْكة، وعمقها الحالي ١٥٥سم، وذلك لأن الجزء العلوي منها تم تكسيره ليعاد استخدام مداميكه في مبان أخرى خلال الفترات والعصور التالية، ويكسو جدرانها طبقة من الملاط شديد الصلابة ذي سطح أملس لا يسمح بنفاذ الماء منه، والجزء المتبقي من البِرْكة في حالة جيدة من الحفظ.

كما توجد أساسات أسفل جدران القلعة الحالية تُشير إلى وجود طرف بِرْكة ثانية، وبالمزيد من أعمال الحفائر الآثارية سيتم الكشف عن مُنشآت مائية أخرى، فربما تكون هذه البِرْكةُ الثانية من البِرَك المبكرة في العصر المملوكي بنَخْل.[١١٦]

كما تم اكتشاف بِرْكة ثالثة صغيرة أو حوض إلى الشمال من البِرْكة السابقة مباشرة، وبالقرب من البُرْج الشمالي،[١١٧] ويقع قسم منها أسفل السور الطيني الذي شُيد في بداية القرن الماضي على يد محافظ سَيْناء آنذاك، ومقاسات هذه البِرْكة ٨,٩٠ × ١,٦٥م، وقد تبقى من ارتفاعها حوالي ٣٥سم، ويلاحظ اختلاف طبقة الملاط التي تكسو جدرانها عن بقية البِرَك التي في نَخْل، إذا تتكون من الجص الأبيض والحصى المجروش الصغير.

٢- بِرَك آل مَلَك الجوكندار

وهي ثلاث بَرَك متجاورة،[١١٨] والسبب الذي جعلني أرجح أن تكون هذه البِرَك هي بِرَك الأمير آل مَلَك الجوكندار، هو أنها أقدم من البِرَك التي ظلت مستخدمة حتى القرن التاسع عشر، والتي تم بنائها على أجزاء من هذه البِرَك المكتشفة التي لم تكن معروفة على أرض الواقع حتى قيامي بهذه الحفائر واكتشافها، والمزيد من أعمال الحفائر قد يضيف إلى تلك البِرَك منشآت مائية أخرى، ووصف هذه البِرَك على النحو التالي:

- **البِرْكةُ الأولى الشمالية:** وهي مستطيلة التخطيط تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي مقاساتها ٥,٠٠×٣,٨٤م، شُطفت أركانها الشمالية والشرقية بطول ٦٤سم، وبارتفاع ٥٨سم، وسمك جدارها الجنوبي الشرقي المشترك مع البِرْكة الوسطى ١,٣٠م، وبقية الجدران سمكها ٦٠سم، وعمقها الباقي الآن ١,٣٧م،[١١٩] وقد بُنيت بمداميك من الحجر الجيري المقطوع وبمقاسات صغيرة، ومادة البناء من الجير والطمي ورماد النار مثل مادة بناء بِرْكَة مَبعْوق،[١٢٠] وسدّ وبِرَك القِبَاب،[١٢١] مما يؤكد انتماء هذه البِرَك إلى الفترة الأولى من ازدهار وعمارة الدرب في العصر المملوكي.

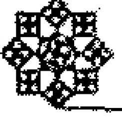
- **البِرْكةُ الثانية الوسطى:** وهي مستطيلة التخطيط تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي مقاساتها ٦,٤٥ × ٤,١٠م، شُطف ركنها الشمالي بطول ٦٢سم، وبارتفاع ٧٤سم، وسمك جدارها الشمالي الغربي المشترك مع البِرْكة الوسطى ١,٣٠م، وبقية الجدران سمكها ٧٠سم، وعمقها الباقي الآن ١,٨٤م، وتبرز عن البِرْكة الشمالية إلى الشرق منها بمسافة ١,٤٥م وقد بُنيت بمداميك من الحجر الجيري المقطوع وبمقاسات صغيرة، ومادة البناء من الجير والطمي ورماد النار مثل البِرْكة السابقة، مما يؤكد نسبتهما إلى فترة زمنية واحدة.[١٢٢]

- **البِرْكةُ الثالثة الجنوبية:** وهي مستطيلة التخطيط تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي مقاساتها ٦,٨٨ × ٤,٧٠م، شُطف ركنها الشمالي بطول ٩٨سم، وتبرز عن البِرْكة الوسطى إلى الشرق بمسافة ٤٣سم، وهذا الجزء من البِرْكة غير ملتصق بجدران البِرْكة الوسطى، مما يدل على أن فكرة إنشاء هذه البِرْكة كان تالياً على البِرْكَتين السابقتين، أو أن هذه البِرْكة أُنشئت في فترة لاحقة على البِرْكَتين الشمالية والوسطى، وقد بُنيت هذه البِرْكة بمداميك من الحجر الجيري المقطوع بمقاسات صغيرة، ومادة البناء من الجير والطمي ورماد النار مثل البِرْكَتين السابقتين، مما يؤكد نسبتها كلها إلى فترة زمنية واحدة.[١٢٣]

٣- البِرَكُ الكبيرة

وهي البِرَك التي كانت معروفة ربما منذ أواخر العصر المملوكي أي من عمارة خاير بيك المعمار في أيام السلطان قَانِصَوْه الغَوري، وخلال العصر العثماني وحتى العصر الحديث، وهجر درب الحَاجّ المصري عبر سيناء، وهي آخر البِرَك التي شُيدت في نَخْل، وعددها ثلاث بِرَك ويمكنني وصفها بعد أن انتهيت من أعمال النظافة والحفائر الآثارية بها، وهي كالتالي:

- **البِرْكةُ الأولى الجنوبية الكبيرة:** هي أكبر بِرَك قلعة نَخْل، وتقع بجوار البُرْج الشرقي إلى الشرق من القلعة على مسافة ٣,٠٠م منها، وهي مستطيلة التخطيط تمتد



من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، مقاساتها من الخارج ٣٢,٥٠ × ١٧,٥٠م، ومن الداخل ٢٦,٤٠ × ١٣,٨٠م، وعمقها الحالي ٤,٦٠م، وهي بذلك تتسع لكمية مياه مقدارها حوالي ١٦٧٥م٣، ويتم النزول إليها من خلال درجات سلالم بالركنين الجنوبي والشمالي، وقد دُعمت البِرْكة من الداخل بجدران ساندة بالجدارين الشمالي الغربي والجنوبي الغربي، حيث يرتفع الركن الشمالي الغربي لمسافة تصل إلى ٤,٥٠م بشكل منحدر حتى يتثنى للمياه المُنحدرة من القناة الواصلة ما بين البئر التي بداخل القلعة والبِرْكة الانسياب بسهولة دون التأثير على جدرانها، وزُودت البِرْكة بأحواض صغيرة لسقاية دواب قافلة الحَاجّ بالجدران الجنوبية الشرقية، والشمالية الشرقية والجنوبية الغربية، حيث توجد بالجدار الجنوبي الشرقي بقايا ثلاثة أحواض مساحة كل منها ٤,٣٠ × ١,٠٠م، وكان هذا الجدار يشتمل على خمسة أحواض، وبالجدار الشمالي الشرقي حوضين، وبالجدار الجنوبي الغربي حوضين مقاساتها ٢,٦٤ × ١,٠٠م، ٦,٧٠ × ١,٠٠م، وبُنيت البِرْكة بدماميك من الحجر الجيري مقاسات أغلبها ٣٠ × ٢٠ × ١٥سم، يكسوها طبقة ملاط شديد الصلابة ذي سطح أملس يمنع نفاذ الماء منه، ويتكون من الحمرة والحصى المجروش الطبيعي والجير المحروق.[١٢٤]

وقد خُربت هذه البِرْكة منذ بداية سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م لأن صادق كان في نَخْل خلال شهر ذي القعدة سنة ١٢٩٧هـ/ أكتوبر ١٨٨٠م، ووصف لنا خراب هذه البِرْكة فقال: '**خارج القلعة .. ثلاثة أحواض مبنية معدة للحجاج والقوافل، أحدها طوله ١٤ متراً في ٢٨ بعمق ثلاثة أمتار خُرب منذ سنتين**'.[١٢٥]

- **البِرْكةُ الثانية الوسطى الصغيرة**: تقع إلى الشمال الغربي مباشرة من البِرْكة الأولى الكبيرة، وإلى الشمال الشرقي من سور القلعة على مسافة ٧,٥٠م، مربعة التخطيط تقريباً مساحتها ١٠ × ٩,٨٠م، وعمقها الحالي ٢,٩٠م، تتسع بوضعها الحالي لكمية من المياه مقدارها حوالي ٢٨٤م٣، وقد دُعمت أركان البِرْكة بدعامات ساندة عن طريق شطف زوايا البِرْكة بالأركان الأربعة وبارتفاع ١,٠٠م، ويتم النزول إليها من خلال درجات سلالم بالجدار الشمالي الغربي، وكانت تُملأ عن طريق قناة متصلة ببئر القلعة الداخلي والقريب منها، وكانت لسقاية الحُجاج خاصة، وقد حدثت بها تعديلات في الفترة المتأخرة خلال القرن العشرين بسبب استخدام الموقع من قبل الجيش الذي اتخذ من القلعة مقراً له لفترة من الزمن.[١٢٦]

- **البِرْكةُ الثالثة الشمالية الصغيرة**: كانت هذه البِرْكة غير معروفة حتى شهور أبريل - يونيه سنة ١٩٩٥م إلا من خلال المصادر التاريخية والرحلات، لكن مع أعمال الحفائر الآثارية تم اكتشافها، وهي تقع إلى الشمال الغربي من البِرْكة الوسطى بجوار البُرج الشمالي من القلعة، وقد شُيدت على قسم من البِرْكة الثالثة من بِرَك آل ملك الجوكندار، وهي مستطيلة التخطيط مساحتها ١٠,٤٠ × ٨,٥٠م، وعمقها ٣,٠٥م، أي أنها تتسع بوضعها الحالي لكمية مياه مقدارها ٢٦٩م٣، وقد شطفت الأركان لتدعيم جدرانها بارتفاع ١,٩٠م، وكانت مزودة بأحواض صغيرة لسقي دواب قافلة الحَاجّ بقي منها حوض بالضلع الشمالي الغربي مقاساته ٣,٦٠ × ٠,٨٠م، وقد كسي بطبقة من الملاط يميل لونها إلى اللون الأحمر نظراً لاستخدام كسر من بودرة الآجر المطحونة 'الحمرة'، ويتم النزول للبِرْكة من خلال درجات من السلالم بالركن الشرقي، والبِرْكةُ في حالة جيدة من الحفظ، إلا من أعمال تكسير وتعديل تمت في العصر الحديث خاصة بجدارها الشمالي الشرقي، ويكسو جدرانها طبقة من الملاط شديد الصلابة ذي سطح أملس لا يسمح بنفاذ الماء.[١٢٧]

وقد أصبحت هاتان البِرْكتان الثانية والثالثة بعد خراب البِرْكة الجنوبية الأولى الكبيرة تملآن إحداها عند ذهاب الحَاجّ، والأخرى عند عودتهم من بلاد الحجاز عن طريق ثيران تُرسل خصيصاً لذلك، وكانت البِرَك الثلاث مجتمعة تتسع لحوالي ٣٠٠٠ قربة حسب تقدير البتنوني.[١٢٨]

ج- وسائل استخراج المياه 'القواديس - السواقي'

أما عن وسيلة استخراج المياه من هذه الآبار، فكانت تتم بوسائل بدائية تقليدية أو بوسائل متطورة آلية، وهي على النحو التالي:

١- **الوسائل التقليدية**: فهي كانت تتم من خلال ثلاث طرق هي:

- أولها عن طريق سُقاة معينين أو من الحُجاج أنفسهم،[١٢٩] وبأدوات بسيطة عبارة عن دِلاء[١٣٠] سواء من الجلد، أو أي مادة أخرى، ويتم جرها بواسطة الحبال مباشرةً دون أي وسيط.

- ثانيها بواسطة حبال تُجر على بكر عن طريق الإنسان في حالة أن تكون الدلاء صغيرة الحجم، أو بواسطة الحيوان في حالة أن الدلاء من النوع الكبير الحجم مثل جلود البقر وغيرها.

- ثالثها وهي الشواديف وربما تكون المَصْنَع الذي ورد ذكره عند العُمَريّ في ذكر أعمال آل ملك الجوكندار، وهي عبارة عن خشبتين رأسيتين الوضع، توضعان على طرفي البئر يصل بينهما سارية من الخشب، يربط فيها سارية طولية حرة الحركة في طرفها يكون ثقل يساعد على رفع السارية عندما يتم إنزال الدلو بواسطة حبل وترفع عندما تترك لها حرية الارتداد، ما يساعد رفع الدلو بدون جهد من الإنسان الذي يقوم بذلك.

٢- **الوسائل الآلية 'السواقي'**: أما الوسائل الآلية والأكثر تطوراً وهي المَصانع التي جاء ذكرها عند العديد من الرحالة والمؤرخين،[١٣١] وكان أولهم ابن رشيد الذي قال: '**فوافينا موضعاً يسمى نُخَيلا، وفيه بئر ومَصْنَع للماء**'.[١٣٢] والمَصْنَع الذي ورد ذكره عند ابن رشيد غير متأكدين ما إذا كان بِرْكة أم ساقية أم الاثنين معاً كما سبق عرضه عند الحديث عن البِرَك.

ثم يلي ذلك ما ورد عند العُمَريّ حيث قال: '**ويرد ماءَها .. وجعل له بِرَكاً، واتخذ له مَصانع، واستأجر أُناساً تديرها، طول السنة، حتى تملأ البِرَكُ لأجل الحَاجّ في ورودهم وصدورهم**'.[١٣٣]

كما تم في عهد السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون الذي قام بأعمال عديدة على درب الحَاجّ المصري بعمل ساقية في نَخْل تدار بالثيران،[١٣٤] ربما تم تركيبها على بئر الأمير الحَاجّ آل ملك الجوكندار.

كما أشار ابن العطار إلى الساقية صراحةً في وصفه لبئري نَخْل ووسائل استخراج الماء منها فقال: '**وَبِهَا - نَخْل - بيران أحدهما بسَاقِية وَالأخرى بسلم**'.[١٣٥]

وفي أيام السلطان قَانِصَوْهْ الغَوري أرسل الدوادار[١٣٦] الكبير طومانباي ابن أخي السلطان أبقاراً صالحة لإدارة الدواليب 'السواقي' في عَجْرُود ونَخْل للاستعانة بها في ملء الأحواض المعدة لسفر الحُجاج.[١٣٧]

والجزيري عندما أشار إلى بئري نَخْل ذكر أن إحداها بساقية وهي بئر الحَاجّ آل ملك الجوكندار، والأُخرى بسُلَّم وهي بئر طرنطاي.[١٣٨]

كما أن النابلسي مر بنَخْل في ١٥ من شهر رجب سنة ١١٠٥هـ/ ١٠ مارس ١٦٩٤م، ووصف بِرْكَة واحدة كبيرة تملأ من البئر عن طريق ساقية تدار بثور أو جمل، مما يؤكد هَجر بقية البِرَك في أيامه، وأورد ذكر ذلك في قصيدة عن نَخْل من نظمه قال فيها:

لَمَّا وَصَلْنَا قَلْعَةً تدْعَى نَخَلْ
بِهَا عَلَيْنَا الْجَوُّ بَرْدُهُ نَخَلْ
صَحْرَاءُ قَفْرٌ صَفْصَفٌ لَيْسَ بِهَا
مَاءٌ سِوَى الْمَاءِ الَّذِي فِي الْبِئْرِ حَلّ
وَالْبِرْكَةُ الَّتِيْ يُسَاقُ مَاؤُهَا
مِنْ ذَالِكَ الْبِئْرِ بِثَوْرٍ أَوْ جَمَلْ.[١٣٩]

وفي سنة ١٢١١هـ/ ١٧٩٧م مر الفاسي بنَخْل وأشار إلى وجود بئر داخل القصبة أي القلعة، وأن الماء يخرج منها بواسطة ساقية إلى الفسقية أي البِرْكَة.[١٤٠]

وفي سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٥م كانت الساقية لا تزال تعمل إذ أشار إليها فالين بأنها الوسيلة التي تُستخدم في استخراج المياه.[١٤١]

وقد استمرت هذه الوسيلة بعد ذلك إذ توجد وثيقة مؤرخة في ٢٢ من شهر رمضان سنة ١٢٦٧هـ/ ٢٣ يوليه ١٨٥١م، ذكر فيها طلب الثيران الأربعة التي تستخدم في تدوير ساقية قلعة نَخْل، والتي تُرسل سنوياً من القاهرة لهذا الغرض، وكذلك صرف الغذاء الخاص بهذه الثيران للوصول إلى محل طلبها قلعة نَخْل.[١٤٢]

وفي نهاية القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي وصف صادق ساقيتين في نَخْل إحداها تعمل والأُخرى مخربة حيث قال: '**وفي سفل البُرج الشرقي البحري ساقية ماؤها .. .. يديرها ثوران فيصل ماؤها إلى خارج القلعة .. ..، وبخارج القلعة ساقية خربة**'.[١٤٣]

وفي بداية القرن العشرين الميلادي أشار شقير إلى إرسال الحكومة المصرية نجاراً كل موسم عند ذهاب الحَاجّ ليصلح الساقية لملء البِرَك،[١٤٤] ما يؤكد أنها كانت لا تزال تعمل، ويبدو أنها هجرت بانتقال قاعدة سيناء من نَخْل إلى العَرِيْش.

أما عن كيفية استخراج المياه بواسطة السواقي في نَخْل، فيمكن وصف كيفية عملها من خلال بعض السواقي المعاصرة الباقية من العصر المملوكي، نظراً لعدم وصولنا لأي ساقية من سواقي آبار درب الحَاجّ المصري، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ساقية السلطان حسن

التي بمدرسته بالقاهرة (ق ٨هـ/ ١٤م)، وهي تتكون من عُلبة دائرية حول البئر، يتم رفع المياه منها بواسطة طنابير أو قواديس فخارية تم العثور على نماذج منها أثناء الحفائر الآثارية،[١٤٥] وذلك على مستويات متساوية ثنائية أو ثلاثية، فكان يتم ربط القواديس بالحبال على مسافات متساوية ويتم رفعها عن طريق السواقي التي تدار بالأبقار بحيث يكون وضعها معتدل عندما تملأ ويتم رفعها وعندما تصل إلى الحوض أو القناة بأعلى البئر تأخذ في الميل حتى يتم تفريغها في حوض معد لذلك أو في قناة متصلة بالبِرَك، وكانت هذه القواديس تُدار بواسطة ترسين بأعلى العلبة أحدهما رأسي والآخر أفقي مثبت بهما ذراع واحد أو أكثر تربط فيه الثيران أو الجمال أو أي دواب أخرى، ويتولد من تحريك ذراع الدوران داخل المدار دوران الترسين بعاشق ومعشوق، فتدور القواديس مع دورانها ويتم رفع الماء من أسفل البئر إلى أعلاها، ولا تزال هذه الطريقة مستخدمة في بعض سواقي صحاري وريف مصر، وهو ما يفسر وجود كميات كبيرة من كسر هذه القواديس عثرت عليها في حفائري بقلعة نَخْل والبِرَك، وكذلك بالحفائر الآثارية التي تمت في خَان وقلعة عَجْرُود.

د- مصادر الصرف على المُنشآت المائية

استمرت هذه المُنشآت المائية سواء الآبار أو البِرَك والسواقي في أداء وظيفتها بفضل الأوقاف التي أُوقفت عليها منذ العصر المملوكي عصر ازدهار درب الحَاجّ المصري، فخلال هذا العصر أُوقفت أوقاف خيرية ثابتة للصرف منها على بِرَك نَخْل، حيث خُصصت هذه الأوقاف لنظافتها وترميمها وملئها بالماء كل سنة عند ذهاب وعودة الحَاجّ، ومن هذه الأوقاف على سبيل المثال لا الحصر تلك التي أوقفها ابن الرفعة الطويل أحد أثرياء مصر، وقد ورد ذكر هذه الأوقاف عند ابن دقماق (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م) حيث قال: '**عمَّر ابن الرفعة الطويل ربعا بالفسطاط بالشارع الأعظم ووقفه على فساقي نَخْل التي تملأ بالمياه لخدمة الحجيج**'.[١٤٦]

ومن هذه الأوقاف أيضاً في أواخر العصر المملوكي تلك التي أوقفها السلطان قَانِصَوْهْ الغَوري للصرف منها على بِرَك وسواقي نَخْل وعَجْرُود، وقد دُونت هذه الأوقاف في حجج شرعية تُشير إلى هذه الأوقاف، ومصادرها، وأوجه صرفها.[١٤٧]

أما في العصر العثماني ففيما يبدو أنه أصبح يُصرف عليها أيضاً من أموال الخزينة الإرسالية،[١٤٨] ففي عهد السلطان سليمان القانوني تم رصد اعتمادات مالية لتطهير الآبار والبِرَك، ورصد أموال لشراء التبن الذي تتغذى عليه الثيران المستخدمة في إدارة الساقية.[١٤٩]

ومنها على سبيل المثال في سنة ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م وسنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م تكلفت الخزينة المصرية مبلغ قدره ١٠,٠٠٠ بارة[١٥٠] للصرف على المعدات اللازمة لرفع المياه في نَخْل وعَجْرُود، كما كانت الحكومة تشتري للثيران التي تُدير السواقي الخاصة بالآبار في نَخْل وعَجْرُود أعلافاً تكلفها مبلغاً قدره ١٠٢٠ بارة سنوياً، أما مصروفات تنظيف الصهاريج والينابيع وشراء ما يلزم هذه الخدمات فكانت تكلف الخزينة الإرسالية حوالي ١٤١٥٠ بارة في السنوات ما بين سنة ١٠٠٤هـ/ ١٥٩٥م وسنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م، وارتفع هذا المبلغ إلى ٢٤١٥٠ بارة سنوياً منذ سنة ١٠٨٢/ ١٦٧١م حتى سنة ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م.[١٥١]

ثانياً- المنشآت المعمارية الأمنية 'الحربية' ونظام حراستها

المنشآت المعمارية الأمنية الدفاعية 'الحربية' في نَخْل ممثلة في البُرج، ثم القلعة الخَان، وكلها مبنى واحد تمت الزيادة فيه واستخدم في أكثر من وظيفة، حيث كان بُرْجاً لإقامة جند الحراسة وحماية البِرَك والآبار وقافلة الحَاجّ، وخَان لإقامة المسافرين وحفظ الودائع، واشتمل على مسجد صغير للصلاة، وكانت هناك حامية نظامية لها نظام مُعين تقوم في أعمال الحراسة في البُرْج ومن بعده القلعة الخَان (شكل ٢، ٣)، وهي كالتالي:

أ- بُرْج الغَوري

كانت معظم المُنشآت السابقة على تشييد البُرْج في أيام السلطان قَانِصَوْهْ الغَوري[١٥٢] كلها منشآت مائية سواء آبار أو بِرَك، وربما كان هناك مسجد أو حوش، أو قبة، أو منازل للإقامة، فكان الهدف الرئيس في البداية هو توفير المياه لقافلة الحَاجّ في قلب صحراء سَيْناء، أحد أهم المشاكل التي تقابل الحُجاج في دروب الحَاجّ بصفة عامة ودرب الحَاجّ المصري بصفة خاصة، فربما تم تشييد مبنى أو منازل خلال الفترة الأولى السابقة على تشييد البُرْج من نشأة الدرب بعد الفتح الإسلامي لمصر وحتى أواخر العصر المملوكي الذي شُيد فيه في عهد السلطان

قَانِصَوْهْ الغَوري البُرْج، خاصة أننا متأكدون أن الفترة السابقة على بناء البُرْج تم فيها تشييد آبار وبِرَك وتم إحضار أُناس خصيصاً لتشغيلها مما يتطلب وجود أماكن لإقامتهم كالمنازل للسكن وغيرها، خاصةً ونحن نعلم أن أحد المنازل في الفترة المبكرة كانت تسمى عن ابن قدامة البغدادي: 'الحصن' فإذا صحت التسمية لهذا المنزل ما بين عَجْرُود وأَيْلَة، ربما يكون هناك مُنشأة خلال تلك الفترة المبكرة.[١٥٣]

أما في العصر المملوكي فقد ورد في المصادر التاريخية وكُتب المنازل ما يشير إلى وجود مُنشآت غير مائية في نَخْل، فقد ورد ذكر حوش وقبة عند ابن العطار بما نصه: 'بها ثلاث فَسَاقي بينهم قبة لسَلاّر .. .. وحوض مُعَطل وَحوش بقبة'.[١٥٤] لكن الذي لا نعلمه تخطيط هذا الحوش ومن أي مادة بناء بُني ووظيفته، وإن كنت أُرجح أنه بُني من الطوب اللبن.

أما أولى المُنشآت المعمارية الأمنية لحراسة درب الحَاجّ والقافلة المؤكدة فهي بناء بُرْج حسب وصف ابن إياس المعاصر للأحداث وذلك في مَنْهَل نَخْل في الفترة من شهر ربيع الآخر سنة ٩١٤هـ/ يوليه ١٥٠٨م، وهو التاريخ الذي أصدر فيه السلطان قَانِصَوْهْ الغَوري مرسوماً للأمير خَايِرْ بَيك المعمار بالتوجه لعمارة عَقَبَة أَيْلَة، وحتى شهر رجب سنة ٩١٥هـ/ أكتوبر - نوفمبر ١٥٠٩م وهو الشهر الذي عاد فيه خَايِرْ بَيك المعمار من مهمة بناء الخَان والأبراج والرصيف بالعَقَبَة وبقية المُنشآت الأخرى،[١٥٥] وبالرغم من أن الهدف من الذهاب في هذه المرة كان لإعمار عَقَبَة أَيْلَة، وخبر العودة يؤكد هذا، إلا أن ابن إياس أورد لنا خبر بناء بُرْج في نَخْل وغيرها في فترة ما بين الذهاب والعودة، وذلك في شهر محرم ٩١٥هـ/ مايو ١٥٠٩م حيث قال: '**وأنشأ بُرْج بعَجْرُود ونَخْل**'.[١٥٦]

ويؤكد هذا التاريخ الجزيري حيث ذكر الانتهاء من بناء الخَان 'البُرْج' سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٩م فقال: '**وبها خَانٌ - أي نَخْل - أنشأ السُّلطان قَانِصَوْهْ من بير بردي الغَوري، على يد الأمير الكبير خاير بك المعمار، أحد المقدمين في سنة خمس عشرة وتسع مئة**'.[١٥٧]

ويقوي ذلك أنني عثرت على الرَنْك 'الشعار' الكتابي[١٥٨] الخاص بالسلطان قَانِصَوْهْ الغَوري أثناء قيامي بالحفائر الآثارية بالقلعة خلال موسم مارس - مايو ١٩٩٤م، وهو مُنفذ على بلاط من الحجر الجيري مقاساته ٦٤×٥٩سم، وسمكه ١٦سم، وقد تم العثور عليه مكسوراً نصفين وفُقد جزءاً من أعلاه الأيمن، وكُتب عليه بخط الثلث المركب المملوكي الجميل، داخل دائرة قطرها ٥٩سم، وعرض الإطار المحدد للدائرة ٢سم، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام أوسطها شطب وأعلى وأسفل منطقتين، والخطوط الفاصلة ما بين أقسام الرَنْك سمكها ٢سم، وهو يشبه رَنْكه الذي بعَراقِيب البَغْل، والرَنْك يقرأ من أوسطه حيث الشطب، ثم أعلاه، ثم أسفله، كالتالي:

١- أبو النصر قَانِصَوْهْ الغَوري.
٢- عز لمولانا السلطان المالك الملك الأشرف.
٣- عزّ نصره.[١٥٩]

ولكن من الملاحظ أن هذا البُرْج الذي تم تشييده بنَخْل في عهد السلطان قَانِصَوْهْ الغَوري، لم يرد ذكره صراحةً بنقشه في عَراقِيب البَغْل،[١٦٠] وذُكرت نَخْل بالنقش بصفة العموم مع عَجْرُود على أنهما 'مَناهِل'، وهي إشارة عامة لما تم بنائه وتعميره وترميمه وتجديده في مَنْهَل نَخْل بالإضافة لبناء البُرْج، فقد تم تجديد وترميم الآبار وبناء بِرَك وقنوات وسواقي.

والبُرْج عند تشييده في أيام السلطان قَانِصَوْهْ الغَوري كان يشبه تخطيط بُرْجه في عَجْرُود،[١٦١] حيث يتكون من مساحة مستطيلة يدعم ركنين منهما بُرْجان متناظران في الموقع، وقد تم تأكيد ذلك بعد الكشف عن بقايا بُرْج دائري بالضلع الشمالي الغربي من القلعة الحالية، وهو بُرْج الركن الغربي الذي يقابله بُرْج الركن الشرقي أو الجنوبي وهما في نفس الوقت بُرْجا القلعة الشرقي والجنوبي الحاليين واللذين دُمرا في سنة ١٩١٤م وسنة ١٩٥٦م، وتم الكشف عنهما في أول موسم حفائر بالقلعة سنة ١٩٩٣م،[١٦٢] كما بدأت أضع يدي على تخطيط البُرْج قبل الزيادة التي تمت في عهد السلطان سليمان القانوني التي كانت بطول البُرْج، وذلك من خلال مشروع الحفائر الآثارية حيث اكتشفت أساس نصف دائرة بالسور الشمالي الغربي يُرجح أن يكون أساس بُرْج أحد الأركان قبل الزيادة،[١٦٣] وتخطيط البُرْج عبارة عن مساحة مستطيلة تمتد من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي مساحتها ٢٨,٥٠ × ١٤,٢٥م، ولا يمكن تصور تخطيطه من الداخل ما لم تنتهي الحفائر الآثارية كلياً بالقلعة.



ب- القلعة 'الخَان'

في العصر العثماني كانت أولى الأعمال التي أُجريت في بُرْج نَخْل في عهد السلطان سليمان القانوني حيث ذكرها الجزيري فقال: 'عمارة في خَان نخيل، توسعة له'،[١٦٤] وهي العمارة التي جاءت تفاصيلها عند الجزيري بعد ذلك في موضع آخر، ففيما يبدو أن البُرْج في نَخْل كان ضيقاً لا يفي بالاحتياجات المطلوبة في هذا العصر، مما دفع الأمير زين الدين بن شهاب[١٦٥] المسئول عن السواقي السلطانية على درب الحَاجّ بعرض الأمر سنة ٩٥٩هـ/ ١٥٥٢م على والي مصر الأمير علي باشا (٩٥٦-٩٦١هـ/ ١٥٤٩-١٥٥٤م) في أيام السلطان سليمان القانوني، فأمر بتوسعة البُرْج من مال الخزينة الإرسالية،[١٦٦] ونظراً لأهمية نص توسعة بُرْج نَخْل سنورده، فقد ذكره الجزيري المعاصر لذلك فقال: '**وكان الخَان ضيقا فعرض صاحبنا الصدر الأجل زين الدين خولي السواقي السلطانية أَمْرَهُ على كافل المملكة المصرية علي باشا في سنة تسع وخمسين وتسع مئة، فأمره بتوسعته من مال السلطان، وأمر بصرف ما يحتاج إليه من الخزانة، فتوجه إليه وصحبته جماعة من المعمارية وقدر وافر من المُؤَن، واجتهدوا في توسعته في أيسر مُدّة، فزاد فيه زيادة بطوله وجاء في غاية الحُسن**'.[١٦٧]

وذكر كبريت هذه الزيادة عند مروره وحديثه عن نَخْل حيث قال: '**حصار** – أي قلعة – **بناه الغَوري وزادت فيه العثامنة**'.[١٦٨]

كما تم ترميم القلعة الخَان في عهد السلطان العثماني مراد الثالث (٩٨٢-١٠٠٣هـ/ ١٥٧٤-١٥٩٥م) وذلك في سنة ٩٨٩هـ/ ١٥٨٠-١٥٨١م، ويؤكد ذلك العثور على رَنْك كتابي باسمه، تم وضعه أعلى بوابة القلعة عند تجديدها، وهو يظهر في الصور الفوتوغرافية التي اُلتقطت للقلعة سواء قُبيل أو بعد تدمير قسم كبير منها، وهو يوجد في الوسط أعلى عقد الباب مباشرةً، وقد نُقش على بلاط من الحجر الجيري المربع الشكل مقاساته ٤٦ × ٤٦سم، وهو يشبه الرنوك المملوكية من حيث الشكل العام، ولكن لم يصل إلى جمالها وجودة خطها، فالخط ركيك وأصغر من رَنْك الغَوري حجماً، إذ يبدو أن الذي كتبه أحد الحجارين وليس خطاطاً متمرساً على كتابة الخطوط والنقش على الحجر، والرنك مؤرخ في سنة ٩٨٩هـ/ ١٥٨٠-١٥٨١م،[١٦٩] ويقرأ على النحو التالي:

١- مولانا.

٢- للسلطان مراد خَان.

٣- عزّ نصره س ٨٩.'[١٧٠]

والرَنْك في حالة جيدة من الحفظ، كُتب بالخط الثلث غير الموجود، وتوجد به أخطاء إملائية واختصارات وإدماج في الأحرف مثل عدم وجود حرفي 'السين'، و'الألف' بكلمة للسلطان، ويلاحظ أن حرف 'النون' مشترك ما بين كلمة للسلطان وخَان، وهو مؤرخ في سنة ٨٩ فقط دون كتابة رقم المئات، وهي تقع في سنوات حكم السلطان مراد الثالث،[١٧١] ويلاحظ تأثير رَنْك قَانِصَوْهْ الغَوري عليه شكلاً ومضموناً وكتابةً، فعلى سبيل المثال كلمة 'للسلطان' في النقشين متشابهتين تماماً.

وقد تم تجديد وتعمير القلعة في عهد السلطان أحمد الثالث (١١١٥-١١٤٣هـ/ ١٧٠٣-١٧٣٠م) أثناء ولاية محمد رامي باشا (١١١٦-١١١٨هـ/ ١٧٠٤-١٧٠٦م) على مصر، وذلك سنة ١١١٧هـ/ ١٧٠٥م، وهو ما جاء في نقش من عصره، كان يوجد أعلى عقد بوابة القلعة على اليسار، وهو حجر مربع يشتمل على أربعة أسطر، ولكن للأسف لم أعثر عليه حتى الآن أثناء قيامي بالحفائر الآثارية في القلعة منذ سنة ١٩٩٣م وحتى الآن، ولكن وصلت إلينا قراءة للنقش عند شقير قبل تدمير القلعة،[١٧٢] ويقرأ كالتالي:

١- جدد هذا المكان المبارك

٢- مولانا السلطان أحمد بن السلطان

٣- محمد خَان عزّ نصره

٤- مدة محمد رامي باشا سنة ١١١٧هـ.

وفي عهد السلطان محمود الأول (١١٤٣-١١٦٨هـ/ ١٧٣٠-١٧٥٤م) أراد والي مصر يحيى باشا (١١٥٤-١١٥٦هـ/ ١٧٤١-١٧٤٣م) ترميم قلعة نَخْل سنة ١١٥٥هـ/ ١٧٤٢م، وتم بالفعل تخصيص المبالغ المطلوبة لأعمال الترميم، وهو ما مقداره ثلاثة أكياس وكسور اثنتين وعشرين ألفاً وخمسة عشر نصفاً فضة ديوانية،[١٧٣] وفي وثيقة أخرى ما مقداره ٩٢٠١٥ نصف فضة كمصروفات ترميم توزع على النحو التالي: ١٩٥٢٠ نصف فضة ثمن أخشاب وما هو أجرة أحمال، ٣٩٨٤٥ نصف فضة ثمن دبش ومسامير، ٣٢٦٥٠ نصف فضة لأرباب الأجرة،[١٧٤] ولتنفيذ ذلك تم إرسال محمد أغا الجوقدار[١٧٥] ومعه أرباب الحرف المختلفة

والعمال لترميمها في هذه السنة، لكن خرج عليهم العُربان ونهبوهم في منطقة وادي السدرة والخروبة، ونتيجة لذلك لم يتم ترميم قلعة نَخْل في هذه السنة، وأرجىء ترميمها إلى السنة التالية ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م، وكان ذلك في ولاية محمد باشا اليدكشي (١١٥٦-١١٥٨هـ/ ١٧٤٣-١٧٤٥م) على مصر.[١٧٦]

كما تم ترميم قلعة نَخْل أكثر من مرة في عهد السلطان محمود الثاني (١٢٢٣-١٢٥٥هـ/ ١٨٠٨-١٨٣٩م) ووالي مصر محمد علي باشا (١٢٢٠-١٢٦٤هـ/ ١٨٠٥-١٨٤٨م)،[١٧٧] إذ تم تجديدها أثناء حملة محمد علي باشا على الجزيرة العربية سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م، حيث أُستخدمت كمستودع لمؤن جيشه، كما أنها جُددت ورممت مرة ثانية في سنة ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م، ورُممت مرة ثالثة فيما يبدو في سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م.[١٧٨]

كما تم تعميرها في عهد والي مصر الخديوي إسماعيل باشا (١٢٧٩-١٢٩٦هـ/ ١٨٦٣-١٨٧٩م) ففي شهر رجب سنة ١٢٧٩هـ/ ديسمبر ١٨٦٢م - يناير ١٨٦٣م من أواخر حكم محمد سعيد باشا تمت الموافقة على فكرة عودة المحمل لاستخدام طريق البَرّ بدلاً من طريق البحر عبر السُّوَيْس ثم إلى ميناء جُدَّة ثم المدينة المنورة، حيث أن ميناء يَنْبُع يكلف ميزانية الدولة الكثير، وكان الحل لتقليل النفقات العودة إلى طريق البَرّ، وما تبع ذلك من التوصية بإعادة تعمير القلاع الحجازية إلى حالتها القديمة، ويؤكد ذلك ما ورد في وثيقة مؤرخة من تلك الفترة.[١٧٩]

وفيما يبدو أنه بعد عَودة طريق المحمل عبر البر تبعه الاهتمام بالقلاع التي توجد على درب الحَاجّ المصري وهي المعروفة باسم القلاع الحجازية، فتم تعيين مأمور[١٨٠] لها حيث يوجد نقش كتابي من عهد الوالي إسماعيل باشا على قبة النخلاوي التي توجد شرق القلعة، ومؤرخ في سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م، وأهم ما في هذا النقش أنه يشير إلى وظيفة 'مأمور تعمير القلاع الحجازية'، وهي من الوظائف الهامة التي كان يوكل لصاحبها مهمة أعمال ترميم وبناء ما يتهدم من قلاع طريق الحجاز وهي عَجْرود نَخْل والعَقَبَة والمُوَيْلَح والوجه وضبا، وكان يشغل هذه الوظيفة خورشيد بك مهدي أيام إسماعيل باشا في الفترة من شهر شعبان سنة ١٢٨١هـ/ ديسمبر ١٨٦٤م- يناير ١٨٦٥م إلى شهر ذي القعدة سنة ١٢٨٢هـ/ مارس - أبريل ١٨٦٦م، ولابد أن قلعة نَخْل عُمرت في السنة التي نُفذ فيها النقش وهي السنة الثانية، لأنه في السنة السابقة وهي سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤-١٨٦٥م كان يباشر تعمير قلعة المُوَيْلَح على درب الحَاجّ المصري.[١٨١]

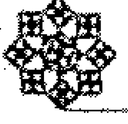
كما أن قلعة نَخْل أجريت بها أعمال ترميم سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، إذ توجد وثيقة مؤرخة في ٤ ذو القعدة سنة ١٢٩٣هـ/ ٢١ ديسمبر ١٨٧٦م تُشير إلى عمارة مخازن ومحلات بالقلعة بالإضافة إلى عمارة ساقية وحوض للمياه، وكذلك القيام بتعميق الآبار عن طريق غواصين يستقدمون خصيصاً لذلك.[١٨٢]

وقلت أهمية نَخْل وقلعتها بصفة عامة بسبب انقطاع درب الحَاجّ منذ عهد الخديوي محمد توفيق (١٢٩٦-١٣١٠هـ/ ١٨٧٩-١٨٩٢م) سنة ١٨٨٥م، حيث كانت نهايته في هذا التاريخ بلا رجعة،[١٨٣] وانتقال مركز محافظة سَيْناء الإداري آنذاك في بداية القرن العشرين إلى العريش، وإنشاء خط سكة حديد فلسطين سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م وتحول التجارة عبره بدلا من طُرق القوافل البَرِّية مروراً بنَخْل.[١٨٤]

وبالرغم من كل ذلك فقد تمت أعمال توسعة في ملحقات القلعة الداخلية في بداية القرن العشرين، وكذلك أعمال تدمير وإعادة إعمار أكثر من مرة، ففي بداية هذا القرن عندما كانت نَخْل قاعدة سيناء قام محافظو سَيْناء بتوسعة غُرف ومستودعات وملاحق القلعة التي كانت توجد حول الصحن، وتتكون من طابقين حيث جعلوا الطابق العلوي مسكناً للمحافظ وناظر القلعة،[١٨٥] والأسفل مكتباً لهما ومخازن خاصة وكان ذلك قبل سنة ١٩٠٦م.[١٨٦] وقد تم تدمير جزءٍ كبيرٍ من قلعة نَخْل أثناء الحرب العالمية الأولى وذلك في ٣٠ من شهر أكتوبر سنة ١٩١٤م،[١٨٧] وظلت القلعة بعد انتهاء الحرب فترة دون تعمير حتى تم تعميرها بعد سنة ١٩١٦م، كما دُمر قسم كبير من القلعة أثناء العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦م،[١٨٨] ولهذا فقد بَنيت دراستي لوصف عمارة قلعة نَخْل على عدة مصادر مختلفة وهي:

١- الوثائق التي تحدثت عن أعمال ترميم معماري تمت بالقلعة، وما جاء فيها من وصف ومقاييس لُمنشآت القلعة.

٢- بعض الرسوم والخرائط والصور الفوتوغرافية التي وصلت إلينا للقلعة سواء قبل أو بعد تدميرها عدة مرات أثناء الحروب المتتالية التي تعرضت لها سَيْناء.[١٨٩]



٣- الوصف الذي ورد عند من تعرضوا للكتابة عن القلعة خاصة قبل تدميرها وتخريبها وهجرها.[١٩٠]

٤- الحفائر الآثارية التي قمت بها بالقلعة خلال عدة مواسم متتالية بدايةً من موسم سنة ١٩٩٣م والمستمرة حتى الآن، وآخرها قبل هذه الدراسة موسم فبراير - مارس ٢٠٠٣م.

أما القلعة الحالية فتخطيطها المعماري[١٩١] عبارة عن مساحة مُربعة التخطيط طول كل ضلع من أضلاعها في المسافة المحصورة ما بين أبراج الأركان ٢٨,٥٠م، وارتفاع أسوارها كان يصل إلى ٨,٥٠م قبل تدميرها،[١٩٢] ويبلغ ارتفاع أسوار القلعة الباقية حتى الآن كما في السور الجنوبي الغربي ٢,٨٠م، وأساسه يبرز للخارج بمسافة ١٢سم، وارتفاع السور الشرقي ٣,٩٠سم وسمكه ٩٥سم، وهو أعلى أسوار القلعة الباقية الآن وبحالة كاملة كما كان عليه وقت أن كانت القلعة كاملة وغير مهدمة، ويدعم أسوارها خمسة أبراج، منها أربعة أبراج بالأركان تخطيطها ثلاثة أرباع الدائرة، يبلغ قطر كلٍ منها ٥,٠٠م، تتكون من قبو أرضي يُستخدم لتخزين المُعدات والذخائر وطابق علوي يستخدم للمرابطة والمراقبة والدفاع عن القلعة، وسطح كشف سماوي يتقدمه ساتر يرابط من خلفه للرمي من أعلى الأبراج، والبُرْج الخامس بالسور الشمالي الشرقي تخطيطه نصف دائري،[١٩٣] وقد وضع بهذا المكان لحماية بِرَك المياه، وقد بُنيت القلعة بمداميك من الحجر الجيري المقطوعة جيداً، حيث سويت أركانها وتركت أوساطها ذات نتوء، وهي المعروفة باسم الأحجار المسنمة،[١٩٤] ومقاساتها تتراوح ما بين ٢٤ × ٣٢ : ٦٢ × ٣٠سم.

وتوجد بوابة القلعة بالسور الجنوبي الشرقي وهو واجهة القلعة الرئيسة، وذلك بالقرب من البُرج الشرقي وذلك على مسافة ٣,٦٠م إلى الجنوب منه، والباب نفسه اتساعه ٢,٥٠م، وارتفاعه حوالي ٣,٥٢م، وكان متوجاً بعقد نصف دائري يعلوه الرَنْكين والنقش التجديدي، من اليمين إلى اليسار رَنْك السلطان قَانِصَوْهْ الغَوري، ثم رَنْك السلطان مراد الثالث، ثم نقش السلطان أحمد الثالث، وأعلى هذه النقوش كانت توجد شُرفة حجرية 'روشن' محمولة على كوابيل حجرية بارزة،[١٩٥] ومزودة بفتحتين لتستخدم في سكب الزيوت المغلية والمواد الملتهبة الحارقة على من يحاول اقتحام بوابة القلعة، وجنوب فتحة الباب توجد شُرفة حجرية ثانيه صغيرة، ويغلق على الباب مصراع خشبي مُصفح بالحديد،[١٩٦] تم اكتشاف بقاياه وهو يتكون من فردة واحدة وتتوسطه خَوْخَة تُفتح عند الحاجة لدخول وخروج حامية القلعة دون الحاجة لفتح الباب الكبير، وذلك لدواعي أمنية لزيادة الأمن والتعرف على من بخارج القلعة قبل الدخول، وتُفضي هذه البوابة إلى دهليز المدخل المغطى بقبو برميلي عقده نصف دائري لا تزال بقاياه تدل عليه إلى الآن بنهاية الدهليز،[١٩٧] ثم ينعطف الداخل يميناً حيث صحن القلعة، والمدخل صُمم على طراز المداخل المنكسرة غير المباشرة، والبسيطة التركيب حيث يتكون من زاوية انكسار واحدة فقط على هيئة المرفق أو الكوع، ذي تصميم غير بارز عن سمت واجهة القلعة، وهذا النوع من المداخل شائع في العمارة المدنية والعسكرية الإسلامية بصفة عامة وبمداخل قلاع درب الحَاجّ المصري والشامي بصفة خاصة.[١٩٨]

ويتوسط القلعة صحن كشف سماوي مستطيل التخطيط يمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي مساحته ٢٢,٩٠ × ١٥,٢٥م، تتوزع حوله غُرف الإقامة والحواصل والمخازن التي كانت تتكون من طابقين، ولم يتبق منها سوى كتلة بالركن الشرقي مما يلي المدخل الرئيس مباشرةً، وبقايا الأساسات ببقية أضلاع القلعة، وهي التي أُكتشفت من خلال الحفائر الآثارية، والبئر توجد بالركن الشمالي أمام البُرج الشمالي من القلعة.[١٩٩]

وكان في القلعة مسجد صغير ورد ذكره عند النابلسي حيث قال: '**ثم دخلنا إلى داخل القلعة وفيها مسجد صغير**'،[٢٠٠] وهو يقع بالركن الغربي بالقرب من البُرج الغربي، بناءً على ما تم كشفه من فتحة شباك بهذا الركن مداميكها من الحجر الجيري مقطوعة جيداً، وبقايا من زخارف فتحة الشباك العلوية المتهدمة الآن وهى عبارة عن بقايا أحد مُقَرْنَصاتها الزخرفية التي وصلت لنا صورتها قبل تدمير قسم كبير من القلعة،[٢٠١] وقد أشار إلى هذا المسجد قبل تدمير القلعة روثنبرج 'Rothenberg' فقال: 'بناء كبير .. ..، غير مسقف .. في الحائط الجنوبي من المسجد يوجد محرابان ..، العلوي على ارتفاع حوالي أربعة أمتار من مستوى الأرضية'.[٢٠٢]

ولعل أهم المنقولات التي تم العثور عليها خلال مواسم الحفائر الآثارية المتتابعة بعض أواني وقطع الخزف من العصرين المملوكي والعثماني، والمسارج والأواني الفخارية، والعديد من الشُّبُك ذات الطُرز المختلفة، وبعض من قطع العملة.[٢٠٣]

ج- نظام الحراسة

كانت هذه عمارة البُرْج وتطوره عبر الحقب التاريخية المتعاقبة وصولاً إلى العصر الحديث، أما عن أعمال الحراسة في هذه المنشآت الأمنية فنجدها أولاً في أواخر العصر المملوكي حيث تشييد البُرْج عبارة عن مجموعة من الجنود لحراسة البُرْج وقافلة الحَاجّ عند نزولها في نَخْل للاستراحة، ولا يفارق هؤلاء الجند البُرْج إلا ببدل،[٢٠٤] فكان مقرراً في هذه القلاع والخَانات جماعة من المماليك يقيمون للحراسة سنة ثم يعودون إلى القاهرة ويؤتى بغيرهم وذلك في خَان الأَزْنَم والعَقَبَة،[٢٠٥] وهو النظام الذي ورد ذكره عند ابن إياس المعاصر للسلطان قَانِصَوْهْ الغَوري وقت بناء هذه المنشآت الأمنية على طول درب الحَاجّ المصري حيث قال بما نصه: **'ولما رجع الحجاج أخبروا بما فعله السلطان من وجوه الخير من العمارة بالعَقَبَة، وقد أنشأ هناك خَاناً وفيه عدة حواصل برسم الودائع، وأبراجا، وجعل بها جماعة من الأتراك قاطنين هناك يقيمون بها سنة ثم يعودون إلى مصر ويتوجه غيرهم إلى هناك، .. وأنشأ بالأَزْنَم بُرْجاً أيضاً وجعل به جماعة من المماليك يقيمون به وكلما مضت سنة يحضرون ثم يتوجه غيرهم'.**[٢٠٦] وأعتقد أن هذا النظام طُبق في أعمال حراسة البُرْج في نَخْل.

وخلال العصر العثماني كانت حامية نَخْل يطبق عليها نفس النظام المتبع من قبل وهو البدل الذي كان معتمداً كنظام أساسي في حراسة قلاع درب الحَاجّ المصري منذ نشأتها في العصر المملوكي، وهو ما ورد عند الرحالة في وصفهم لحامية عَجْرُود حيث قالوا: **'وفي الحصنين المذكورين عسكر لا يفارقها أبداً وكذلك غيرها من البنادر، في كل سنة يأتي قوم، فيذهب الذين كانوا فيه، ولهم جراية من بيت المال على ذلك'.**[٢٠٧]

. وكانت نَخْل في النصف الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي حامية مكونة من: حِصَار ونُوْبَاجِيَّة من الترك والقواسة، وذلك مثل الحامية التي في عَجْرُود، وهذه الحامية التركية المكونة من القواسة والعساكر والطوبجية ومخزنجي وغيرهم وبلوك باش مزودة من المعدات بمدفع واحد فقط،[٢٠٨] وكانت حامية نَخْل عند مرور بيركهارت 'Burckhardt' بها في سنة ١٢٢٦هـ/ ١٨١١م تتكون كلها من خمسين جندي.[٢٠٩]

وأصبحت قلعة نَخْل منذ سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م ضمن إدارة القلاع الحجازية، التي كانت تتبع ديوان الرُوزنَامة[٢١٠] إدارياً، والقلاع الحجازية هي مجموعة القلاع الواقعة على درب الحَاجّ المصري: **'نَخْل والعَقَبَة والمُوَيْلَح وضبا والْوَجْهِ'** والتي أصبحت تُعرف في الوثائق المعاصرة باسم: **'الخمسة القلاع الحجازية' أو 'القلاع الحجازية' أو 'القلاع المعدة لتخزين مؤن الحُجاج'**، والتي كانت تمثل تشكيلاً إدارياً موحداً، وقد اهتمت الحكومة المصرية بتزويد هذه القلاع بالقوات اللازمة لحفظ الأمن على طول درب الحَاجّ المصري منذ تكوين هذه الإدارة الخاصة بالقلاع الحجازية، وكان لها مأمور يشرف على عمارتها وتسيير أمورها.[٢١١]

وفي نهاية سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦١م من حكم والي مصر محمد سعيد باشا[٢١٢] صدر أمر كريم من الديوان إلى نظارة المالية بإلغاء القلاع الحجازية بما فيها قلعة نَخْل، ونقل ما يوجد من المؤن والذخائر بهذه القلاع إلى السُّوَيْس، مع تسريح العساكر والموظفين، وتسليم حراسة القلعة إلى حراسة غير نظامية من أفراد معتمدين ومشايخ العربان الموجودين بالمنطقة.[٢١٣] ويبدو أن السبب الذي كان وراء هذا الإلغاء هو تفكير الحكومة في إرسال المحمل والحُجاج بحراً تخفيضاً للنفقات، إلا أن الحكومة تراجعت عن هذا القرار بعد سنة وقررت عودة سفر المحمل براً إذ صدر أمر نظارة المالية في شعبان ١٢٧٩هـ/ يناير ١٨٦٣م بناءً على الأوامر الحكومية بإرسال المحمل براً، فأعيد العساكر والموظفين إلى أعمالهم مرة أخرى في التاسع من شهر شعبان من السنة نفسها.[٢١٤]

وكانت حامية نَخْل وتسليحها عند مرور صادق بها في شهر ذي القعدة سنة ١٢٩٧هـ/ أكتوبر ١٨٨٠م مكونة من: **'محافظ[٢١٥] ويوزباشي،[٢١٦] وملازم مخزنجي، وبلوكباشي،[٢١٧] وستة وعشرون عسكرياً ببندق طرز قديم بشطفة،[٢١٨] وستة طُوبجية،[٢١٩] ومدفع واحد نحاس طرز قديم بري ... .، وهناك عشش لسكنى العساكر'.**[٢٢٠]

وقد استمرت القلاع الحجازية في أداء وظيفتها في حراسة درب الحَاجّ المصري من خلال القوة العسكرية الموجودة بكل قلعة على طول الدرب، ويلاحظ من خلال دراسة أعداد حاميات هذه القلاع خلال الفترة من سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م وحتى سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م، أن أعداد حامية قلعة نَخْل كانت ثابتةً فلم يطرأ عليها زيادة أو نُقصان،[٢٢١] وكان يرأس القلعة ضابط برتبة يوزباشي يسمى ناظر القلعة، وله وكيل ينوب عنه في حالة غيابه.[٢٢٢]

لكن حدث تطور جد خطير على أهمية القلاع الحجازية بالنسبة لمصر في سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م، حينما أعلنت الحكومة المصرية رسمياً بدء سفر المحمل المصري عن طريق البحر عبر مينائي السُّوَيْس والطُّور،[٢٢٣] ومنذ ذلك التاريخ فقدت هذا القلاع أهميتها كنقاط حماية لدرب الحَاجّ، وإن كانت لم تفقد أهميتها الاستراتيجية باعتبارها مراكز استراتيجية لحماية حدود وبوابة مصر الشرقية.

وفي أوائل سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م عقب صدور أمر نظارة المالية بتسريح العساكر الموجودين في قلاع سَيْناء ومنها قلعة نَخْل، تم تسليم هذه القلعة لشيخ عُرْبان قبيلة التياها[٢٢٤] في وسط سيناء،[٢٢٥] لكن في السنة التالية صدرت الأوامر الحكومية بإلحاق هذه القلعة بنظارة الحربية، لأن الحكومة المصرية أدركت مدى أهمية استمرار وجود إدارة حكومية في هذه القلاع، وأحدثت نظارة الحربية تغييراً في عدد القوات الموجودة بهذه القلاع ومنها قلعة نَخْل، فلم يزد عدد القوات عن ٢٦ فرداً في أواخر سنة ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م،[٢٢٦] بينما كان عددها في سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م قد وصل إلى ٢٠٣ فرداً، ففي قلعة نَخْل تم إنقاص عدد العساكر إلى عشرة عساكر، منهم ستة من المشاة وأربعة من الطُوبجية 'المدفعية' يرأسهم ضابط برتبة مُلازم.[٢٢٧]

وكان في نَخْل خلال بداية القرن الرابع عشر الهجري/ أواخر التاسع عشر الميلادي حامية تشتمل على عدد من الجنود الطوبجية وبلوكباشي، وهو ما يوجد بوثيقة عبارة عن حجة بيع قطعة أرض مؤرخة في ١٨ من شهر شعبان سنة ١٣٠٥هـ/ ٣٠ أبريل ١٨٨٧م، وكان البائع أحد العساكر الطوبجية بقلعة نَخْل وهو سليمان محمد، والمشتري بلوكباشي قلعة العَقَبَة وهو إسماعيل أحمد البدري، وأحد الشاهدين على حجة البيع بلوكباشي قلعة نَخْل وهو عبدالله عبدالغني[٢٢٨] من أجداد النخلاوية سكان مدينة نَخْل.

ومنذ سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م رأت الحكومة ضرورة الاهتمام بما تبقى من القلاع الحجازية، فأصدرت نظارة الحربية أمرها بوضع هذه القلاع تحت إدارة واحدة **'قومندانية'**، تحت رئاسة **'قومندان القلاع الحجازية'**، وتولى رئاسة هذه القلاع منذ إنشائها سعد أفندي رفعت،[٢٢٩] كما اهتمت بزيادة عدد القوات الموجودة بهذه القلاع ومنها قلعة نَخْل، فوصل عدد القوات الموجودة بها إلى ١٩ فرداً خلال السنوات من سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م وحتى سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩١م،[٢٣٠] وفيما يبدو أنه بناءً على التنظيمات الجديدة أصبح لقلعتي نَخْل والعَقَبَة ناظراً واحداً وذلك في وثيقة مؤرخة في ٢١ جماد الأول ١٣٠٩هـ/ ٢٤ ديسمبر ١٨٩١م، وهو خطاب من ناظر قلعتي العَقَبَة ونَخْل إلى ناظر قلعتي ضبا والمُوَيْلَح، وموسومة بختم ناظر قلعتي العَقَبَة ونَخْل.[٢٣١]

ومنذ سنة ١٣٠٩هـ/ ١٨٩٢م لم يتبق لمصر من قلاع درب الحَاجّ المصري سوى قلاع سَيْناء، وبالتحديد قلعة نَخْل، وانحسرت بذلك حدود مصر الشرقية إلى حدود العَقَبَة بعدما كانت تمتد إلى الساحل الشرقي للبحر الأحمر في شمال الحجاز حتى جنوب الْوَجْهِ.[٢٣٢] وقد بلغ تعداد الحامية الموجودة في قلعة نَخْل ١٣ فرداً في سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م، بالإضافة إلى أربعة أفراد تابعين لمركز قيادة الحامية ومقرهم في نَخْل.[٢٣٣] وظل تعداد حامية نَخْل ثابتاً حتى سنة ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م، فيما عدا مركز قيادة الحامية الذي ارتفع تعداده إلى ستة أفراد.[٢٣٤]

وفي سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م أصبحت سيناء مديرية،[٢٣٥] وأصبحت نَخْل قاعدتها ومقراً لمدير سيناء الإنجليزي وهو برتبة قائدمقام،[٢٣٦] وكان بها في أواخر الربع الأول من القرن العشرين مجموعة من الجنود، إذ يذكر ذلك جارفس 'Jarvis' حاكم سَيْناء الإنجليزي في تلك الفترة حيث قال: **'قلعة - نخل - متهدمة يحرسها جُند قليلون'**.[٢٣٧]

ثالثاً- المُنشآت الدينية والجنائزية

والمُنشآت الدينية في نَخْل تتمثل في المسجد الصغير الذي بداخل القلعة وقد تحدثت عنه عند دراسة وصف القلعة في العصر العثماني، ومسجد جامع كان يقع خارج القلعة وبالقرب منها، أما المُنشآت الجنائزية فهي ممثلة في القبة المدفن والمقابر، وهذه المُنشآت هي كالتالي:

أ- المُنشآت الدينية **'المسجد الجامع'**: كان يوجد في نَخْل مسجد صغير داخل القلعة وسبق الحديث عنه مع دراسة القلعة، كما كان يوجد مسجد جامع يقع خارج القلعة إلى الجنوب الشرقي منها، وفيما يبدو أنه شُيد في عهد أسرة محمد علي حيث لم يرد له ذكر في كتابات الرحالة والمؤرخين الذين مروا بالمنطقة في طريقهم للحج من قبل، فيبدو أنه شُيد بالتحديد قبل سنة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م،

ويؤكد ذلك أنه تم في هذه السنة تعيين أربعة أشخاص بوظيفة واعظ وإمام للقلعة، وقد تم اختيارهم بمعرفة شيخ الأزهر لدوام إقامة الشعائر الدينية.[٢٣٨]

والمسجد من خلال ما وصل لنا من صور فوتوغرافية قبل تدميره، كان عبارة عن مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب وله حنية محراب بارزة إلى الخارج، وباب رئيس بالركن الشمالي الغربي، وكانت له مئذنة أسطوانية الشكل دمرت فيما يبدو سنة ١٩٥٦م، وبُنيت في الفترة التي تم فيها ترميم القلعة بعد تدميرها خلال الحرب العالمية الأولى، وذلك طبقاً للصور الفوتوغرافية المأخوذة للمسجد والقلعة قبل وبعد ذلك التاريخ، حيث لا توجد المئذنة في صورة ترجع إلى سنة ١٩١٦م، وأخرى ترجع إلى سنة ١٩٥٦م، ويبدو أنه قد استعيض عنها بسلم صاعد ينتهي ببسطة لوقوف المؤذن عليها، والسلم ملتصق بالجدار الشمالي الغربي بجوار الباب يصعد المؤذن عليه ليعلن وقت الصلاة، وبالرغم من خرابه منذ فترة بعيدة إلا أنه كان موجوداً حتى سنة ١٩٦٨م، وهذا المسجد والمئذنة لا أثر لهما الآن.[٢٣٩]

ب- المُنشآت الجنائزية '**القبة المدفن والمقابر**': كان أول ذكر لوجود شيخ مقبور في نَخْل - على حد علمي - سنة ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م عند النابلسي حيث قال: 'في الخارج قبر الشيخ محمد الغزاوي من أولياء الله الصالحين'.[٢٤٠]

وفي سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م أشار صادق إلى وجود الشيخ النَخِل 'النَخْلاوي' حيث قال: '**بالقرب من الجهة الشرقية القبلية للقلعة مقام يسمى الشيخ النَخِل باسمه سميت البقعة والقلعة**'.[٢٤١] ولكنني أعتقد أن صادق لم يكن موفقاً في تحديد اسم نخل بالشيخ المدفون هناك، لأن نَخْل أقدم من ذلك بكثير كما مر، ويمكن القول أن الشيخ نفسه نسب إلى نَخْل وليس العكس، وأن الشيخ النَخْلاوي ربما يكون هو الشيخ محمد الغزاوي الذي جاء ذكره عند النابلسي، ونسبه إلى نَخْل طغى عليه فأصبح يُعرف بالنَخْلاوي، وهو جد النَخْلاوية الحاليين القاطنين في نَخْل.

والقبة المدفن مستطيلة التخطيط طول أضلاعها من الخارج: الشمالي الذي به الواجهة الرئيسة ٤,٨٥م، والجنوبي ٥,٣٢م، والشرقي ٤,٢٠م، والغربي ٤,٢٣م، وهي مغطاة بقبة هرمية الشكل مركبة مباشرة على القاعدة المربعة دون منطقة انتقال سواء من المثلثات الكروية المقلوبة أو من الحطات المُقَرْنَصة كما هو مألوف في عمارة القباب، وبابها يفتح في الناحية الشمالية اتساعه ٨٨سم وارتفاعه ١,٦٠م، يعلوه نقش إنشائي تذكاري من عهد والي مصر إسماعيل باشا ومأمور تعمير القلاع الحجازية خورشيد بك مهدي الذي شغل هذا المنصب في الفترة من شعبان ١٢٨١هـ/ يناير ١٨٦٥م حتى ذي القعدة ١٢٨٢هـ/ أبريل ١٨٦٦م، وتاريخ النقش هو شهر ذي القعدة سنة ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٦م بعد فراغه من تعمير القلاع الحجازية خاصة قلعة المُوَيْلَح التي يوجد بها نقش تجديدي يشير إلى ذلك، والنقش نُفذ على واجهة من الحجر الجيري تم تركيبها على القبة ويبلغ ارتفاعها ثمانية مداميك ٢,٦٠م، تنتهي بمدماك شُكل على هيئة كورنيش، والنص التذكاري يتكون من خمسة أسطر بخط الثلث البارز غير المنسوب وغير متقن، الأسطر الثلاثة الأولى إطارها على هيئة عقد نصف دائري مقاساتها من أعلى إلى أسفل ٤٠ × ١٢سم، ٥٠,٥ × ٦,٥سم، ٥٠,٥ × ١١سم، ثم سطرين مستطيلين مقاساتها ١٠١ × ١٠,٥سم، ١٠٢ × ١١,٥سم، يحيط بالنقش إطار من الميمات المربعة والمستطيلة، ويقرأ النص:

١- لما شوهدة صداقة

٢- سعادة خورشيد بك مهدي تعين

٣- مأمور تعمير القلاع الحجازية من شعبان سنة ١٢٨١ لغاية القعدة سنة ١٢٨٢

٤- يـا من أسراره فاقة في المـلا

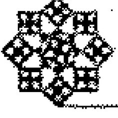
ونفحـــاته متــهطلا

٥- أنى بك استـجير من حَـرها

في غد يوم الحساب الأكبر.[٢٤٢]

وأهم ما في النقش وظيفة: 'مأمور تعمير القلاع الحجازية'، والقلاع الحجازية هي: 'نَخْل والعَقَبَة والمُوَيْلَح وضبا والْوَجْهِ' على درب الحَاجِّ المصري، والمعروفة في ديوان الرُوزنَامة الذي تتبعه هذه القلاع باسم 'القلاع الحجازية' أو 'القلاع المعدة لتخزين مؤن الحُجاج'.

كما يوجد داخل القبة نقش شاهدي من العصر العثماني لأحد المتوفين في عهد السلطان أحمد الثالث، وغير مثبت على قبر بعينه، وهو من الحجر الجيري الأصفر، مؤرخ في سنة ١١٣٨هـ/ ١٧٢٥-١٧٢٦م، ارتفاعه ٥٨سم، وعرضه ٣١,٥سم، وسمكه ١٠سم، ينتهي



برأس مثلثية يشغلها زخرفة نباتية، كُتب عليه بخط الثلث البسيط والمُعجم الحروف وباللغة العربية والتركية القديمة معاً، ويتكون من أربعة أسطر تقرأ:

١- هذا قبر المرحوم رشوان جربجي.[٢٤٣]

٢- هجان باشي[٢٤٤] تفحكيان ابن حسين أفندي.

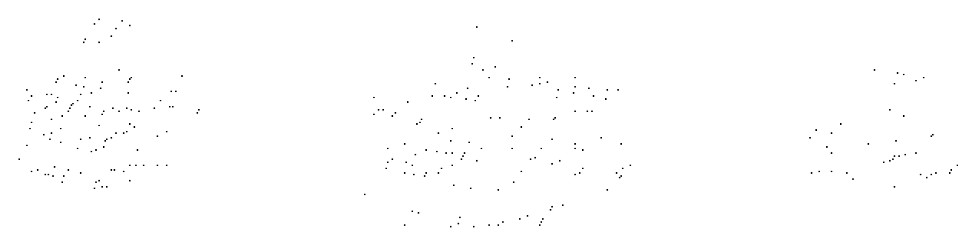
٣- باش اختيار شكحيان توفا.

٤- سنة ١١٣٨[٢٤٥].

أما بقية مقابر نَخْل فقد وردت عنها العديد من الإشارات التاريخية التي تؤكد وجودها، وقد دفن فيها بعض من الشخصيات المعروفة في ذهابها وعودتها من الحج،[٢٤٦] وتقع المقابر شمال غرب القلعة بعد مجرى وادي أبو طريفية مباشرة، ولا توجد بها نقوش شاهدية.

الخاتمة وأهم النتائج

وبعد كانت هذه دراسة تاريخية حضارية - آثارية معمارية لمَنْهَل نَخْل وآبارها وبرَكها وبُرْجها وقلعتها الخَان، فتم تفسير وضبط اسم نَخْل اصطلاحاً ولغةً لأول مرة بمنهج علمي، وأدلة لغوية وتاريخية وأدبية مصدرية أصيلة، كما تم تحقيق موقع وموضع نَخْل بشكل غير مسبوق من خلال المصادر الجغرافية التاريخية والأدبية وكتب المناسك، كما يمكن القول أن دروب الحجيج بصفة خاصة كانت تحظى بالعناية تبعاً لمقر الخلافة الإسلامية أي العاصمة السياسية والطريق الواصل بينها وبين بلاد الحَرَمين الشريفَيْن، ولهذا ازدهر درب الحَاجّ المصري معمارياً بصفة خاصة في العصر المملوكي وهذا انعكس على عمران نَخْل في هذا العصر، ساهمت عدة شخصيات إسلامية في عمارة نَخْل على درب الحَاجّ المصري من هذه الشخصيات: سلاطين المماليك الذين ساهموا في ازدهار نَخْل عمرانياً ومنهم المنصور سيف الدين قلاوون، والناصر محمد بن قلاوون، والناصر حسن، وأخيراً قَانِصَوْه الغَوري، ومن سلاطين العثمانيين سليمان القانوني، ومراد الثالث، وأحمد الرابع، ومن الأمراء المماليك: حسام الدين طرنطاي، وسَلاّر، وآل مَلَك الجوكندار، وخَاير بك المعمار، ومن ولاة مصر محمد علي، ومحمد رامي، وفي العصر الحديث محمد علي باشا، وعباس حلمي الأول، والخديوي إسماعيل باشا، كما تمت دراسة نَخْل وقلعتها على درب الحَاجّ المصري من خلال تكامل المنهج العلمي بين ما جاء بالمصادر التاريخية الأصيلة والآثار المادية والحفائر الآثارية وذلك لأول مرة، حيث قام الباحث بأول أعمال حفائر آثارية علمية منظمة ولستة مواسم خلال عشر سنوات في قلعة نَخْل كان هدفها كتابة التاريخ المعماري لهذا المَنْهَل من خلال تكامل المنهج العلمي بين ما جاء في نصوص المصادر التاريخية المختلفة وما تم العثور عليه من آثار مختلفة، استطعت من خلال المصادر التاريخية والنقوش الآثارية التعرُّف على بعض الوظائف الهامة التي كانت لها علاقة مباشرة بدرب الحَاجّ المصري وعمارة قلاعه ومنشآته المائية المختلفة وهي: وظيفة **'خولي السواقي السلطانية'** - كان يقابلها في العصر العباسي وظيفة متولي المصانع على درب زُبيْدَة بين الكوفة ومكة المكرمة - وهو المسؤول عن عمارة السواقي وملء البرَك بالمياه عند ذهاب وعودة الحَاجّ كل عام وكان له دور رئيسي في توسعة قلعة نَخْل في عهد السلطان سليمان القانوني، وتم التعرف أيضاً على وظيفة **'مأمور تعمير القلاع الحجازية'** وهو المنوط به مسؤولية تعمير وترميم القلاع التي توجد على طول درب الحَاجّ المصري في سَيْناء والعَقَبَة وفي بلاد الحجاز حيث قلاع المُوَيْلح وضبا والوجه؛ تم تحقيق المُنشآت المعمارية على أرض الواقع بمَنْهَل نَخْل لأول مرة بما يتناسب مع مُنشئ هذه العمائر وما ورد عنها في المصادر التاريخية والرحلات حيث تم نسب كل مُنشأة إلى مُشيدها.



الحواشي

١ منها على سبيل المثال لا الحصر فيما يتعلق بدرب الحَاجّ المصري نقش السلطان زَيْن الدّين كَتْبُغَا الذي اكتشفته بمنطقة آبيار العلائي في سيناء، حيث لم يرد في المصادر التاريخية المعاصرة ما يشير إلى قيامه بعمارة على درب الحَاجّ المصري، كما أنها ساعدت في تأكيد ما جاء في المصادر التاريخية منها عمارة الأمير عثمان بن أزدمر باشا لبئر سنة ٩٦٧هـ/ ١٥٦٠م ببلدة المُوَيْلَح، انظر: غَبَّان، علي بن إبراهيم بن علي حامد، نقش غير منشور ببلدة المُويلح مؤرخ بسنة ٩٦٧هـ/ ١٥٦٠م، في دراسات في الآثار، الكتاب (١) إشراف عبدالرحمن الطيب الأنصاري وآخرون، قسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود (الرياض، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢)، ٣٠٥-٣٣٠؛ شمال غرب المملكة العربية السعودية - بحوث في التاريخ والآثار، الكتاب (١)، ط١ (الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ١٠١-١٣٦، شمال غرب المملكة العربية السعودية - الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، الكتاب (٢)، ط١ (الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ٢٣٥-٢٣٦.
S. Ş. Abd al-Mālik, 'Une inscription du sultan mamelouk Kituğā découverte à al-Qurrayş (Sinaï central)', in J.-M. Mouton (éd.), *Le Sinaï de la conquête arabe à nos jours*, *CAI* 21 (Cairo, 2001), 51-58, figs 1-4.

٢ مَناهِل: جمع ومفردها المَنْهَل، والمَنْهَل هو المشرب ثم كثر ذلك حتى سُميت مَنازل السُّفَّار على المياه مَناهِل. وقال ثعلب: المَنْهَل الموضع الذي فيه المشرَب. وقال أبو مالك المَنازل والمَناهل واحد، وهي المَنازل على الماء. قال خالد بن جنبة وغيره: المَنْهَل كل ما يَطَؤه الطريق مثل الرَّحِيل والحِفير، قال: وما بين المَناهِل مَراحِل، والمَنْهَل من المياه: كلّ ما يَطَؤه الطريق، وما كان على غير الطريق لا يُدْعَى مَنْهَلاً، ولكن يضاف إلى موضعه أو إلى من هو مختص به فيقال: مَنْهَل بني فلان أي مشربهم وموضع نَهَلهم. والجوهري: المَنْهَل المورد وهو عين ماء ترده الإبل في المراعي، وتسمى المنازل التي في المَفاوز على طريق السُّفَّار مَناهِل لأن فيها ماءً، ويفسرها الجزيري فيما يتعلق بدروب الحَاجّ فقال: أما أن تكون مَناهَل الأرباع وهي المحطات الكبرى، وتارة تكون عبارة عن موارد المياه بالطريق وهي دون ذلك، ويمكنني القول بأنها المحطات الرئيسة الكبيرة التي يمكن للحجاج الإقامة فيها والتزود بالمياه وشراء بعض الحاجيات من الأسواق التي تعقد بها، ومن مَناهِل الربع الأول بِرْكَة الحَاج، عَجْرُود، نخْل، العَقَبَة، للمزيد انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين مكرم، لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط (بيروت، د. ت)، مج٢، ٤٩٧، دار الحديث (القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)؛ ج ٨، ٧٢٣-٧٢٤؛ الجزيري، عبدالقادر محمد بن عبدالقادر بن إبراهيم الأنصاري، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحَاجّ وطريق مكة المعظمة، أعدها للنشر محب الدين الخطيب (القاهرة، بدون تاريخ)، ٣٢٣، ٤٧٦.

٣ بدأت الحفائر الآثارية في القلعة منذ موسم شهور مارس - مايو ١٩٩٤م، وذلك لعدة مواسم متتالية ولم تنته بعد، ومواسم الحفائر التي أجريت بالقلعة حتى الآن ستة مواسم هي: موسم مارس - مايو ١٩٩٤م، موسم أبريل- يونيه ١٩٩٥م، موسم مايو- يونيه ١٩٩٨م، موسم فبراير - أبريل ٢٠٠٠م، موسم فبراير - أبريل ٢٠٠٢م، فبراير - مارس ٢٠٠٣م.

٤ كبريت، محمد بن عبدالله الحسيني الموسوي، رحلة الشتاء والصيف، تحقيق محمد سعيد الطنطاوي، ط٢ (بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م)، ٢٢؛ الجزيري، الدرر، ٤٨٩، طبع هذا الكتاب طبعة ثانية أعدها حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، في ٣ج، ومن هنا فصاعداً الصفحات التي تُذكر غير مسبوقة بأجزاء من طبعة القاهرة، والمسبوقة بأجزاء طبعة الرياض، ج ٢، ١٢٣٥، ١٣٢٧؛ بكر، سيد عبدالمجيد، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ط١، الكتاب الجامعي (٦)، تهامة (جدة، ١٩٨١م)، ١١٠؛ الأحيوي، راشد بن حمدان، مواضع سَيناءُ في النصوص القديمة وتحديدها في عصرنا (٣)، مجلة العرب، س١٢، ج ١١ (الرياض، الجمادیان ١٤١١هـ/ ديسمبر- يناير ١٩٩٠-١٩٩١م)، ٧٦٠، ٧٦١.

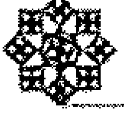
٥ ابن العطار، مُحِبّ الدين محمد بن شمس الدين محمد بن أحمد البكري الوفائي، كتاب منازل الحج الشريف، مخطوط مكتبة الأمير سلمان بن عبدالعزيز المركزية، جامعة الملك سعود، الرياض، رقم المخطوط ٥٦٠٢، رقم عام ٣٨,٣٨/ ٩١٥/ م.ع، ميكروفيلم رقم ١٦٣٨ ف، لوحة ٣، ٤، الجزيري، الدرر، ٤٨٩؛ ج٢، ١٣٢٧.

٦ القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج ١٤(القاهرة، بدون تاريخ)، ٣٨٦.

٧ قَطْيا: وتقال قَطْيَة، بالفتح، ثم السكون، وياء مفتوحة، أظنه من تقطيت على القوم إذا تطلبتهم حتى تأخذ منهم شيئاً، وهي قرية في وسط الرمل قرب الفرما، وكان بها جامعاً ومارستاناً، وبها والي طبلخاناه مقيم لأخذ العشر من التجار، وبها قاض وناظر وشهود ومباشرون، لا يمكن أحد من الجواز من مصر إلى الشام وبالعكس إلا بجواز مرور، وظلت المكوس تجبى بها للصرف على قلعتي العريش والطينة حتى ألغيت في سنة ١١١٨هـ/ ١٧٠٦م، أجريت فيها حفائر منذ عام ١٩٨١م وحتى عام ١٩٩٣م، وقد قائم الباحث برئاسة بعثة للحفائر الآثارية والترميم بقَطْيا في الفترة من شهر ديسمبر ٢٠٠٢م إلى فبراير ٢٠٠٣م، كان من أهم نتائجها إعادة اكتشاف جامع السلطان بَيْبَرْسْ البُنْدُقْدَارِيّ، والباحث يعد بحثاً خاصاً بها مزودا بجميع المعلومات المصدرية الخاصة بها عنوانه: مدينة قَطْيَا مركز مكوس بوابة مصر الشرقية 'دراسة في التاريخ والآثار في ضوء الحفائر الآثارية' 'قيد النشر'، وانظر:
Abd al-Mālik, in D. Valbelle et Ch. Bonnet (éds), *Les mosquées du Sinaï au Moyen Age, Le Sinaï durant l' antiquitié et le Moyen Age* (Paris, 1998), 171.

٨ ابن العطار، كتاب منازل الحج الشريف، لوحة ٣، ٤، العياشي، عبدالله بن محمد أبي سالم، الرحلة العياشية ماء الموائد، وضع فهارسها محمد حجي، سلسلة الرحلات (١) (الرباط، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ج ١، ١٦٣؛ مقتطفات من رحلة العياشي 'ماء الموائد'، عرض وتلخيص حمد الجاسر، ط١ (الرياض، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ١٩؛ الزبَادي، أبو محمد عبدالمجيد بن علي بن محمد المؤذن المنالي، بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام، ميكروفيلم مكتبة معهد البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ميكروفيلم رقم خاص ٢٧٤، رقم الفيلم ١٠٢٣ تاريخ، ٥٨، الزياني، أبو القاسم أحمد، الترجمانة الكبرى التي جمعت أخبار المعمورة براً وبحراً المسمى ترجمان المغرب عن دول المشرق والمغرب، المكتبة المركزية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ميكروفيلم ٢٦٨٥، ١١٠؛ الورثيلاني، الحسين بن محمد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثلانية، ط٢ (بيروت، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م)، ٣٣٢؛ صادق، محمد بك، مشعل المحمل، ط (القاهرة، ١٢٩٧هـ)، ٩؛ دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج، ط١ (بولاق، ١٣١٣هـ/ ١٨٩٦م)، ١٠؛ الرحلات الحجازية، إعداد محمد همام فكري، ط١ (بيروت، ١٩٩٩)، ٧٩، ٢٦٧؛ الجاسر، في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج (١١)، مجلة العرب، س١٢، ع١-٢ (الرياض، رجب وشعبان ١٣٩٧هـ/ يوليو- أغسطس ١٩٧٧م)، ٧٠؛ في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات (١٣) الرحلة الناصرية، مجلة العرب، س١٢، ع٥-٦ (الرياض، ذو القعدة والحجة ١٣٩٧هـ/ نوفمبر - ديسمبر ١٩٧٧م)، ٤٢٨؛ في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات (١٥) رحلة المنالي الزيادي (١)، مجلة العرب، س١٢، ع٧-٨ (الرياض، محرم وصفر ١٣٩٨هـ/ يناير- فبراير ١٩٧٨م)، ٥٣٠؛ في رحاب الحرمين (١٦)، مجلة العرب، س١٢، ج ١١-١٢(الرياض، جماديان ١٣٩٨هـ/ مايو- يونيو ١٩٧٨م)، ٨٤٠.

٩ عُرف هذا الدرب قبل العصر الإسلامي منذ العصور القديمة وخلال العصرين الروماني والبيزنطي، فقد كان هناك طريق يصل العَقَبَة والسُّوَيْس عليه أربع منازل وهي: أَيْلَة، فارا، ميديا، كليزما، وقد استخدمه الأنباط



في تجارتهم عبر صحراء سيناء، كما كانت تستخدمه القوافل القادمة من الجزيرة العربية إلى مصر والعكس منذ أقدم العصور التاريخية، انظر: عمار، عباس مصطفى، المدخل الشرقي لمصر وأهمية شبه جزيرة سيناء كطريق للمواصلات ومعبر للموجات البشرية، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية المصرية، مج٢٦ (القاهرة، ١٩٤٥)، ٦٩-٧١، خارطة (٥)؛ عبدالرحمن الطيب الأنصاري وآخرون، المواصلات والاتصالات في المملكة العربية السعودية خلال مائة عام 'دراسة توثيقية' (الرياض، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، مج١، ٨، ١٤، خارطة (٢/ ١).

R. Weill, *La presque île du Sinaï* (Paris, 1908), 116; A. Kammerer, *Pétra et la Nabatène* (Paris, 1929), 56-57.

١٠ يبدأ من غزة مروراً بعين القديرات وعين قديس إلى نَخْل قاطعاً هضبة التيه والعجمة وصولاً إلى دير سانت كاترين، ثم مدينة الطور، انظر: مبَاشر، عبده - توفيق، إسلام، سيناء الموقع والتاريخ (القاهرة، ١٩٧٨)، ٨١، خارطة رقم (٩٣، ١٦٢).

Weill, *La presque île*, 119; Eckenstein, *A History of Sinai* (London, 1921), 2; H. P. M. Prescott, *Once to Sinai* (London, 1957), 64; Sh. Tamari, 'Darb al-hajj in Sinai an historical-archaeological Study', *AANL* 8/25 (Roma, 1982), 468.

١١ الأصفهاني، أبو عبدالله محمد بن صفي الدين بن فرج، البرق الشامي، تحقيق فالح صالح حسين، ط١ (عَمّان، ١٩٨٧)، ج٥، ١٤٢، أبو المكارم، المؤتمن سعدالله بن جرجس بن مسعود، تاريخ الكنائس والأديرة، إعداد صموئيل السرياني، ج ٣ (القاهرة، ١٩٨٤م)، ٠؛ ابن الأثير، أبي الحسن علي بن محمد بن الكريم، الكامل في التاريخ (ليدن، ١٩٥٣م)، ج ١١، ٣٢٦، ٤٩٥-٤٩٦؛ البنداري، الفتح بن علي بن محمد، سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية النبراوي (القاهرة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م)، ١٨٢، ١٨٣، ١٩٥؛ أبو شامة، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي، الروضتين في أخبار الدولتين، مؤسسة الرسالة، تحقيق إبراهيم الزيبق (بيروت، ١٩٩٨)، ج ٢، ٦٩-٧٠، ٣٤٠، ج ٣، ٢١، ٦٦، ٩٦، ١٠٥؛ ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال (القاهرة، ١٩٥٧)، ج ٢، ١٨-١٩، المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالقادر، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة (القاهرة، ١٩٣٤)، ج ١، ق١، ٥٨، ٨٠؛ شقير، نعوم بك، تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها (أثينا، ١٩٨١)، ٢٦٥؛ سعداوي، التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي (القاهرة، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧)، ٥٧؛ عبدالمنعم عبدالعال الشامي، الطرق والمسالك الشرقية لمصر في العصر الوسيط، سلسلة علمية تصدر عن وحدة البحث والترجمة، قسم الجغرافيا بجامعة الكويت، الجمعية الجغرافية الكويتية (الكويت، ١٩٩٩م)، ٢٤٤-٢٦٣؛ سامي صالح عبدالمالك، التحصينات الحربية الباقية بشبه جزيرة سيناء من العصر الأيوبي 'دراسة أثرية - معمارية'، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة (القاهرة، ٢٠٠٢)، ٥٦-٧٢.

Ch. Clermont-Ganneau, 'La marche de Saladin du Caire à Damas avec démonstration sur Kérak', *RevBibl* 3 (1906), 464-471; R. Hartmann, 'Die Straße von Damaskus nach Kairo', *ZDMG* 64 (1910), 681-683; G. Wiet, *Les inscriptions de la Qal'ah Guindi*, Syria 3 (Damas, 1922), 145-152; Mouton, Abd al-Mālik, O. Joubert, C. Piaton, *La route de Saladin au sinaï (tariq Ṣadr wa Ayla)*, *AnIsl* 30 (1996), 41-70.

١٢ المَحْمِل: عبارة عن صندوق خشبي مربع وأعلاه هرمي الشكل، يغطى بكسوة معينة في الاحتفالات الرسمية بالمدن، وأخرى طوال سيرة على درب الحَاجّ، أهمها وأقدمها كسوة السلطان الغَوري المحفوظة في متحف طوب قابي سراي باستانبول، وهو يرمز لخروج قافلة الحج بصحبة كسوة الكعبة المشرفة، للمزيد انظر: صادق، مشعل المحمل، ٥-٦٠، كوكب الحج في سفر المحمل بحرا وسيره براً، ط١، (القاهرة، ١٣٠٣هـ)، ٢-٧٣؛ أحمد، يوسف، المحمل والحج، ج١ (القاهرة، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م)؛ عبدالله عقيل عنقاوي، المحمل المصري: نشأته وآراء المؤرخين فيه، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، س٢، ع١٠ (جامعة الرياض، ١٣٩١-١٣٩٢هـ/ ١٩٧١-١٩٧٢م)، ٢٢٣-٣٣٨؛ عبدالعزيز مؤذن، كسوة الكعبة وطرزها الفنية منذ العصر العثماني، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٠-١٤٠١هـ/ ١٩٨٠-١٩٨١)، ١٢٩، ١٣١، ٤١٦-٤١٧، ٤٣٥-٤٣٦، ٤٤٢-٤٤٤؛ السيد محمد الدقن، كسوة الكعبة المعظمة عبر التاريخ (القاهرة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ١٧٩-٢٠٢؛ عبدالكريم علي الباز، المحمل اليمني في عهد بني رسول، مجلة العصور، مج٧، ج ١ (لندن، ١٤١٢هـ)، ٧-١٨؛ إبراهيم حلمي، المحمل (القاهرة، ١٩٩٣م)؛ عبدالناصر ياسين، وسائل السفر عند المسلمين تاريخها وآثارها 'دراسة عن الهودج وشاكلاته في ضوء المصادر المكتوبة والأثرية'، ط١ (القاهرة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ق١، ٣٠٥-٣٢٩؛ عبدالمالك، مَحْمِل السلطان قَانِصَوْه الغَوري 'دراسة تاريخية - آثارية جديدة' 'قيد النشر'.

A. Robinson, *The Mahmal of the Moslem Pilgrimage* (London, 1931), 117-126; J. Jomier, 'Le Mahmal', *Revue la femme nouvelle* (1951), 40-51; *Le Mahmal et la caravane égyptienne des pèlerins de la Mecque (XIIIe-XXe Siécles)*, Recherches d'Archéologie de Philologie et d'Histoire, 20 (1953); *Le Mahmal du sultan Qānṣūh al-Ghūrī (début XVI siècle)*, *AnIsl* 11 (Cairo, 1972), 183-188; G. Canova, 'Nota sulle raffigurzioni popolari del Pelleg-rinaggio in Egitto', *AFLLSF* 14/3 (1975), 83-94, pl. 8; Fr. Buhl, 'Mahmal', *Enc. Is.* VI (Leiden-Paris, 1991), 43-44; D. Behrens-Abouseif, *The Mahmal Legend and the Pilgrimage of the Ladies of the Mamluk Court* (Chicago, 1997), 87-96.

١٣ من هذه الآراء ما ورد عند شقير فقال: 'أنها مأخوذة عن نخل مصرايم الاسم الذي أطلقه العبرانيون على وادي العريش'. وهذه الرواية غير مقبولة لانقضاء فترة زمنية طويلة على مرور العبرانيين بسيناء، فكان خروجهم سنة ١٤٩١ق. م أي منذ أكثر من ٣٤٧٠ سنة، وكان وادي العريش أحق بهذا الاسم من نَخْل، وغيرها مما تم تصويبه في موضعه، انظر: أشعيا، ع (١٢)، ٢٣؛ الجزيري، الدرر، ١٨٩؛ شقير، تاريخ سيناء، ١٥؛ صادق، مشعل المحمل، ٩؛ دليل الحج، ١٠؛ الرحلات، ٧٩، ٢٦٧؛ علي باشا مبارك، الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة (القاهرة، ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٧م)، ج ١، ٢٥؛ سعاد محمد ماهر، مُحافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها الباقية في العصر الإسلامي، الكتاب (٤) (القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، ٢٢٠؛ بكر، دروب الحجيج، ١١٠؛ فؤاد الماوي، العلاقات الاقتصادية والمالية بين مصر والحجاز من الفتح العثماني حتى الاحتلال الفرنسي، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، الاصدرات الخاصة (٢) (الكويت، ١٩٨٠)، ٣٨؛ سميرة فهمي علي عمر، إمارة الحج في مصر العثمانية، سلسلة تاريخ المصريين، ع ٢٠١ (القاهرة، ٢٠٠١)، ٢٥٠-٢٩٢.

An Atlas of Ancient Egypt, Egypt Exploration Fund (London, 1894), 19; Tamari, *Darb Al-Hajj*, 472.

١٤ كُثَيِّر عَزة: نسب كُثَيِّر إلى عَزَّة الضمرية، وهي عَزَة بنت حميل وقيل جُميل بن وقاص، وهي صاحبة كُثَيِّر، وبها عرف فقيل كُثَيِّر عَزّة، للمزيد انظر: الأصفهاني، كتاب الأغاني، تحقيق لجنة التأليف والنشر (بيروت، د. ت)، ج ٩، ٣-٣٩؛ إحسان عباس، ديوان كُثَيِّر عَزَّة (بيروت، ١٩٧١)، ٣٣-٣٤.

١٥ الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج٩، ٣-٣٩؛ عباس، ديوان كُثَيِّر عَزَّة، ٣٣-٣٤؛ الأحيوي، مواضع سيناء في النصوص القديمة وتحديدها

في عصرنا (١)، مجلة العرب، س٢٥، ج ١١-١٢، الجماديان ١٤١١هـ/ ديسمبر - يناير ١٩٩٠-١٩٩١م، ٧٦٠-٧٦١.

١٦ المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة المنسوب إلى الإمام أبو إسحاق الحربي قام بتحقيقه حمد الجاسر، ثم أعيد نشره بنفس المحقق وإشراف عبدالله الوهيبي تحت مسمى الطريق لابن وكيع، انظر: الحربي، المناسك، ٦٥٩؛ ابن وكيع، الطريق، ٣٩٩.

١٧ القُرَّيْص: بضم القاف، وتشديد الراء مفتوحة، بعدها ياء مثناه تحتية ساكنة، ثم صاد مهملة؛ انظر: النابلسي، الحقيقة، ٣٠٤؛ عبدالمالك، الحفائر الآثارية بآبيار العَلائي على درب الحَاجّ المصري في سيناء 'دراسة آثارية- معمارية' 'قيد النشر'.

١٨ الأصفهاني، الأغاني (القاهرة، ١٩٧٠)، ج ١٧، ٦٣٤٣؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله بن عبدالله الرومي البغدادي، معجم البلدان، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، ط١ (بيروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ج ٥، ٣٢٠؛ رمزي بك، أحمد، خروج المتنبي من مصر (٣)، مجلة الرسالة، س٢٠، ع٩٩٦، القاهرة، ٤ أغسطس ١٩٥٢م، ٨٥٧، الشامي، مدن مصر وقراها عند ياقوت الحموي، ط١ (الكويت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ٦٠، الطرق، ٢٣١.

١٩ نَخِر: بفتح النون وكسر الخاء المُعجمة بعدها راء، كأنه مأخوذ من قولهم ما بالدار ناخر أي أحد، أو من العظام النخرة إذا دخل فيها الرياح لكثرة تهابها، انظر: البكري، أبي عُبيد عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي، الممالك والمسالك، مخطوط المكتبة العامة بفينا، رقم المخطوط MIXT ١٥٦أ ،779؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٨، ٤٩٣-٤٩٤؛ الجزيري، الدرر، ج ٢، ١٣٢٧؛ كبريت، رحلة الشتاء والصيف، ٢٢؛ شقير، تاريخ سيناء، ١٥٣، ١٥٧؛ الجاسر، من ذكريات الرحلات: بين ميونخ وفينا (٢)، مجلة العرب، س٢٣، ج ١-٢ (الرياض، رجب وشعبان ١٤٠٧هـ/ مارس - أبريل ١٩٨٨م)، ٦، ٩.

٢٠ فقد جاء عند ابن مَنظُور في تفسير كلمة نَخْل ما نصه: 'نَخَل الشيءَ صَفَّاه واختاره، .. والنَّخل تَنْخيلُك الدقيق بالمُنْخُل لِتَعْزِل نخالته عن لُبابه، .. ونَخْلُ الدقيق: غَرْبَلتُه، .. ونَخْل ماءٌ معروف'، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٨، ٤٩٧-٤٩٨.

٢١ ورد ذكرها 'بطن نجد' في بعض النسخ عند البكري، وصحتها ما أثبتناه، انظر: البكري، الممالك والمسالك، ١٥٦؛ الجزيري، الدرر، ج٢، ١٢٣٥، ١٣٢٧؛ كبريت، رحلة الشتاء والصيف، ٢٢؛ عبدالله الوهيبي، الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب، مجلة كلية الآداب، س١، مج١، جامعة الرياض، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ٦٩، ٧٠، الجاسر، بين ميونخ وفينا (٢)، ٦، ٩؛ الشامي، الطرق، ٢٣٠؛ الأحيوي، مواضع سيناء (٣)، ٧٦٠، ٧٦١، غَبَّان، نقشان من شبه جزيرة سيناء يؤرخان لعمارة السلطان المملوكي قانصوه الغَوري لطريق الحج المصري والأماكن المقدسة في الحجاز، ط١، مركز البحوث، جامعة الملك سعود (الرياض، ١٩٩١)، ٧٦.

٢٢ أبو شامة، الروضتين، ج ٣، ٦٩-٧١؛ البنداري، سنا البرق، ١٨٣.

٢٣ النَّخلة: شجرة التمر، الجمع نَخْلَ ونَخِيل، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٨، ٤٩٧، ٤٩٨.

٢٤ ياقوت الحموي، مُعجم البلدان، ج ٥، ٣٢٠.

٢٥ الجزيري، الدرر، ج ٢، ١٣٢٧؛ شقير، تاريخ سينا، ١٥٣، ١٥٧.

٢٦ كبريت، رحلة الشتاء والصيف، ٢٢.

٢٧ شقير، تاريخ سينا، ١٥٣، ١٥٧.

٢٨ الجزيري، الدرر، ج ٢، ١٢٩٣؛ الجاسر، الشعر في وصف منازل الحج، مجلة العرب، س٣، ج ٤ (الرياض، شوال ١٣٨٨هـ / يناير ١٩٦٩)، ٣٠٤-٣٤٤؛ موسى بن مصطفى العبيدان، الشعر على طريق الحاج المصري والشامي، ط١، من إصدارات النادي الأدبي بتبوك (تبوك، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ٤٩.

٢٩ الجزيري، الدرر، ج ٢، ١٢٩٦.

٣٠ ابن الجيعان، بدر الدين أبو البقاء شرف الدين محمد بن يحيى بن شاكر بن عبدالغني، المجموع الظريف في حجة المقام الشريف الملك الأشرف أبي النصر قايتباي، دراسة وتحقيق سامي صالح عبدالمالك، مخطوط دار الكتب المصرية، رقم المخطوط ٨٤٥ جغرافيا، ميكروفيلم رقم ١٨٦٨٩، المخطوط، لوحات ٢٨، ٩٤، ٣٤، ١٨٦ 'قيد النشر'؛ عبدالمالك، رحلة حج السلطان المملوكي قايتباي في ضوء ما جاء برحلة ابن الجيعان والمصادر المعاصرة وأثرها على العمران بمكة المكرمة، بحث ألقى باللقاء العلمي الثامن للجمعية التاريخية السعودية بمكة المكرمة، في ٩-١١ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ/ ١٧-١٩ مايو ٢٠٠٥م 'قيد النشر'.

٣١ الجزيري، الدرر، ج ٢، ١٣٢٧.

٣٢ كبريت، رحلة الشتاء والصيف، ٢٢.

٣٣ النابلسي، عبدالغني بن إسماعيل، الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد أحمد عبدالمجيد هريدي (القاهرة، ١٩٨٦)، ٣٠٢.

٣٤ صادق، مشعل المحمل، ٦، ٩؛ دليل الحج، ٧، ١٠؛ الرحلات، ٧٥، ٧٩، ٢٦٤-٢٦٥، ٢٦٧.

٣٥ العبدري، أبو عبدالله محمد بن محمد بن علي بن أحمد الحيحي، رحلة العبدري، تحقيق علي إبراهيم الكردي، ط١ (دمشق، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩)، ٣٣٦؛ الجزيري، الدرر، ٥٠٠، ج ٢، ١٣٢٧؛ كبريت، رحلة الشتاء والصيف، ٢٢؛ حاجي خليفة، جيهان نامة، ٥٤١، صادق، مشعل المحمل، ٩؛ دليل الحج، ١٠؛ الرحلات، ٧٩، ٢٦٧.

٣٦ زكي الدين أبو محمد عبدالعظيم عبدالقوي المنذري، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، ط٢ (بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، مج٢، ١٩٧؛ كبريت، رحلة الشتاء والصيف، ٢٢.

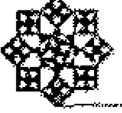
٣٧ البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، ط٣ (بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣)، ١٥٧؛ الجزيري، الدرر، ٤٨٩، ج ٢، ١٢٣٥، ١٣٢٧، حاجي خليفة، جيهان نامة، ٥٤١، مبارك، الخطط، ج ١٤، ٩.

٣٨ وردت تحت صفة مُنْهَل في نقش تذكاري لعمارة درب الحَاجّ المصري للسلطان الغَوري بعَراقيبَ البغلة على بُعد ٨٦ كم إلى الشرق من نَخْل، وفيها قبل مطار وقرية رأس النقب إلى الغرب بمسافة ٢٥كم، وانظر: الجزيري، الدرر، ج ٢، ١٠٠٤؛ عبدالمالك، النقش التذكاري لعمارة درب الحَاجّ المصري بعَراقِيبَ البَغْل في سيناء 'دراسة آثارية - تأريخية جديدة' 'قيد النشر'؛ نقوش عمارة الطرق في الحضارة الإسلامية 'دراسة تاريخية - آثارية'، بحث ألقى في المنتدى الدولي الثاني للنقوش والخطوط والكتابات في العالم عبر العصور، مركز الخطوط، مكتبة الإسكندرية، الفترة ٢٤-٢٦ إبريل ٢٠٠٥م، ٧، والبحث كاملاً 'قيد النشر'.

٣٩ الجزيري، الدرر، ٥٠٠؛ شقير، تاريخ سينا، ١٥٠؛ رفعت الجوهري، سيناءْ أرض القمر (القاهرة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٦٤)، ٨٦.

٤٠ الجزيري، الدرر، ١٨٩؛ ج ٢، ١٢٣٥، ١٣٢٧؛ كبريت، رحلة الشتاء والصيف، ٢٢؛ مبارك، الخطط، ج ١، ٢٥؛ البتنوني، الرحلة، ١١٠.

٤١ كبريت، رحلة الشتاء والصيف، ٢٢، الزَبّادي، بلوغ المرام، ٥٧، النابلسي، الحقيقة، ٣٠٢؛ عبدالرحمن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار (القاهرة، د. ت)، ج١، ٣٢٣، صادق، مشعل المحمل، ٨، دليل الحج، ٩، الرحلات، ٧٧، ٢٦٦، صبري باشا، أيوب، مرآت جزيرة العرب، معارف نظارت جليلة سنك رخصت وستاريشيك، مطبعة سنده طبع ارلنمشدر، بحرية، إستانبول، ١٣٠٦هـ، ٢٤٧، شقير، تاريخ سينا، ١٥٠، عمار، المدخل، ٥٩، الجوهري، مشاهدات في الصحراء الشرقية وسيناء 'دروبها ومسالكها الخفية، آثارها وتاريخها'، نشرت باللغة العربية بجريدة الأهرام بصفحة السيارات، ونشرت باللغة الفرنسية بمجلة نادي السيارات الملكي المصري (القاهرة، ١٩٣٧م)، ١١١، زكي، عبدالرحمن، قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة، مكتبة نهضة مصر (القاهرة، ١٩٦٠م)،



١٣٣-١٤٣، الجاسر، في رحاب الحرمين (١٥)، ٥٣٠، عُجيمي، هشام محمد علي حسن، قلاع الأزنم والوجه وضبا شمال غرب المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ١٩.

٤٢ بَنْدَرُ: البَنادِرَةُ، دخيل: وهم التجار الذين يلزمون المعادن، والبَنْدَرُ: كلمة فارسية بمعنى ميناء التجارة، كما تعني قصبة، ومركز المحافظة، ومقر التجارة والصيرفة، ومرسى، مقر التجار من المدن البحرية، وهي الآن تطلق على البلد الكبير الذي يتبعه بعض القرى، عن معنى وذكر نَخْل كَبَنْدَرُ انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١، ٥١٤؛ محمد علي الأنسي، الدراري اللامعات في منتخبات اللغات 'قاموس في اللغة العثمانية'، د. ت، ١١١، أحمد عطية الله، القاموس الإسلامي، ط١ (القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦)، ج ١، ٣٦٩؛ إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ط٢ (القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م)، ج ١، ٧٠.

٤٣ العياشي، ماء الموائد، ج١، ١٦٣، مقتطفات، ١٩؛ الزَبادي، بلوغ المرام، ٥٧؛ الورثيلاني، الرحلة، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢؛ الزياني، الترجمانة، ١١٠؛ نجاح القابسي، رحلة العياشي- تحقيق ودراسة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس (القاهرة، ١٩٧١)، ١٩٦؛ الجاسر، في رحاب الحرمين (١١)، ٧١؛ في رحاب الحرمين (١٣)، ٤٢٨؛ في رحاب الحرمين (١٥)، ٥٣٠؛ رحلة الوزير الإسحاقي المغربي إلى الحج سنة ١١٤٣هـ (١)، مجلة العرب، س١٩، ج ١١-١٢ (الرياض، جماديان ١٤٠٥هـ/ فبراير - مارس ١٩٨٥م)، ٧٤١.

٤٤ أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالقادر الفقيه الفاسي، الرحلة إلى الأراضي الحجازية، دراسة وتحقيق سامي صالح عبدالمالك، ٧١ '.

٤٥ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ٣٢٠؛ رمزي بك، خروج المتنبي (٣)، ٨٥٧؛ الشامي، مدن مصر، ٦٠.

٤٦ أبو القاسم عبيد الله ابن عبد الله ابن خرداذبة، المسالك والممالك (ليدن، ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م)، ١٤٩؛ الحربي، المناسك، ٦٤٩؛ ابن وكيع، الطريق، ٣٩٩؛ البغدادي، أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب، نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة (ليدن، ١٣٠٦هـ/ ١٣٨٩م)، ١٩٠، المنزلة الخامسة من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، تحقيق طلال جميل رفاعي، ط١ (مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ٢٩٩؛ ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر، الأعلاق النفيسة (ليدن، ١٨٩١)، مج٧، ١٨؛ الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الحمودي الحُسني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج١ (القاهرة، د. ت)، ٣٤٥.

٤٧ ما ورد من تفسير وتحديد موضع القُرَّيْص عند كل من عمار وتاماري 'Tamari' يتفق مع الوضع القائم بعد القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي لا قبل ذلك على أي حال من الأحوال، انظر: عمار، المدخل، ٦٩.
Tamari, 'The Itinerary of the Pilgrims in Sinai: Al-Quraiṣ', *AANL* 8/28, fasc. 7-12, Accadmia Nazionale dei Lincei (Roma, 1974), 793-794; *Darb al-Hajj*, 492-493; The *Qalat at Nakhil*, in New Researches in Sinai (ed.) B. Rothenberg (Oxford, 1968); Mouton, Abd al-Mālik *et al*., *La route de Saladin*, 47; Mouton, *Le Sinaï médiéval un espace stratégique de l' islam* (Paris, 2000), 156.

٤٨ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ٣٤٨.

٤٩ النابلسي، الحقيقة، ٣٠٤.

٥٠ الجزيري، الدرر، ج ٢، ١٢٣٥.

٥١ جراول: وهي المنزل الواقع ما بين الثَمَد ونَخْل، ولا يمكن تحديد موضعها بشكل قاطع، ولكن يمكن اقتراح مكانها اليوم آبيار العلائي 'بئر أبو محمد - بئر أم عباس'، أو ربما تكون في القُرَّيْص ما بين آبيار العلاي ونَخْل، انظر:
Mouton, Abd al-Mālik *et al*., *La route de Saladin*, 47.

٥٢ روض الجمل: تقع إلى الغرب من نَخْل على مسافة ٢٥كم، وذلك في المسافة ما بين قلعة صَدْر 'الجندي' بالقرب من جبل المنيدرة الكبير في الغرب ونَخْل في الشرق، ولا تزال تحتفظ باسمها حتى اليوم، يوجد بها صهاريج مقطوعة في الصخر لتخزين المياه، تُعرف عند أهل سيناء باسم الهرابات، وكانت من منازل طريق صلاح الدين الحربي بوسط سيناء فيما قبل قلعة صَدْر، وسمي بروض الجمل نظراً إلى راحة الجمال من مشقة الوعر وصعوبة المَحْجَر، والمشي على شقيف الجبال، والصعود والهبوط، وارتاض بمشيه في طريق مستقيمة، وسلوكه في هذه الباحة العظيمة، انظر: الجزيري، الدرر، ج ٢، ١٣٢٦؛ كبريت، رحلة الشتاء والصيف، ٢٣؛ صبري، موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب، ترجمة ماجدة مخلوف وآخرون، ط١ (القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، ج ٥، ١٧٧.
Mouton, Abd al-Mālik *et al*., *La route de Saladin*, 48.

٥٣ ابن رشيد، أبي عبدالله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، تحقيق محمد الحبيب ابن خوجة، ج ٥، ط١(بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ٢٨٠، ٢٨١؛ الجاسر، الحجاز في القرن السابع الهجري على ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي، مجلة العرب، س٤، ج ٢ (الرياض، شعبان ١٣٨٩هـ/ أكتوبر ١٩٦٩)، ١١٧.

٥٤ ابن العطار، كتاب منازل الحج الشريف، لوحات ١-٣، ١-٥؛ الجزيري، الدرر، ٤٧٧-٤٧٨؛ ج ٢، ١٣٠٣-١٣٠٤؛ الجاسر، كُتب المنازل من روافد الدراسات عن جغرافية جزيرة العرب، مجلة العرب، س١٢، ع٥-٦ (الرياض، ذو القعدة والحجة ١٣٩٧هـ/ نوفمبر - ديسمبر ١٩٧٧م)، ٣٣٥-٣٣٦.

٥٥ للمزيد انظر: الجزيري، الدرر، ٤٧٧؛ ج ٢، ١٣٠٣؛ الجاسر، كُتب المنازل من روافد الدراسات عن جغرافية جزيرة العرب، في دراسات تاريخ الجزيرة العربية، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب (١)، ج ١، إشراف عبدالرحمن الطيب الأنصاري، كلية الآداب، جامعة الرياض 'الملك سعود'، (الرياض، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، كُتب المنازل، ٣٣٥-٣٣٦.

٥٦ المنكاب: آلة كانت تستعمل في تقدير وقياس الزمن، انظر: الجزيري، الدرر، ج ٢، ١٣٠٤، حاشية (١).

٥٧ ابن العطار، كتاب منازل الحج الشريف، لوحة ١، ١.

٥٨ الجزيري، الدرر، ٤٧٧-٤٧٨؛ ج ٢، ١٣٠٥.

٥٩ النابلسي، الحقيقة، ٣٠٢.

٦٠ ابن الجيعان، المجموع الظريف، ٢٢-٢٨، ٩٤-٩٥، ٤٣-٥٤، ١٨٦-١٨٩؛ الجزيري، الدرر، ج ٢، ٩٩٠، ١٢٣٥، ١٣٢٧.

٦١ شقير، تاريخ سينا، ١٥٠.

٦٢ صادق، مشعل المحمل، ٨-٩؛ دليل الحج، ٩؛ الرحلات، ٧٧-٧٨، ٢٦٧؛ شقير، تاريخ سينا، ١٥٠؛ زكي، قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية، ١٣٣؛ بكر، دروب الحجيج، ١٠٩-١١٠، آمنة حسين محمد علي جلال، طرق ومرافق الحج في الحجاز في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ)، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى (مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ٣٩-٤٠؛ خريطة قلعة النخل، مقياس الرسم ١: ٢٥٠,٠٠٠، رسمت وطبعت بإدارة المساحة العسكرية ١٩٧١م وأعيدت طباعتها سنة ١٩٨٩م.
H. Awad, *La Cartographie et la Morphologie de la Peninsule du Sinai* (Cairo, 1951), 21ff.

٦٣ خارطة سيناء، مقياس ١: ٧٥٠,٠٠٠، مصلحة المساحة المصرية (القاهرة، ١٩١٣)، خارطة قلعة نَخْل، مقياس رسم ١: ٢٥,٠٠٠، إدارة المساحة العسكرية، القاهرة، رُسمت وطبعت سنة ١٩٨٠م، وأعيدت طباعتها سنة ١٩٨٩م، خارطة شكل (١، ٢) من الملاحق.

٦٤ زكي، قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية، ١٣٣؛ عبداللطيف إبراهيم، دراسات تاريخية وأثرية في وثائق من عصر الغَوري (القاهرة، ١٩٥٦)،

١٠٣-١٠٤؛ الفعر، محمد بن فهد عبدالله، الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني من القرن الثامن الهجري حتى القرن الثاني عشر الهجري (١٤-١٨م)، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى (مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ٢٨٢.

٦٥ جمال حمدان، شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان، ج ١(القاهرة، ١٩٨٠)، سيناء، ع٥١١، القاهرة، محرم ١٤١٤هـ/ يوليو ١٩٩٣م.

٦٦ أنشأ الإنجليز سكة حديد ما بين مصر وفلسطين لتعزيز احتلالهم، ويبدأ الخط من مدينة القنطرة شرق حالياً وينتهي في فلسطين، وقد قام الجيش الإسرائيلي بتدمير معظم الخط أثناء احتلالهم لسيناء سنة ١٩٦٧م، ولا تزال محطاته وأجزاء من قضبانه باقية حتى اليوم.

٦٧ الجزيري، الدرر، ٤٩٠؛ ج ٢، ١٣٣٠؛ ابن مليح، أبو عبدالله محمد بن أحمد القيسي الشهير بالسراج، انس الساري السارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب، تحقيق محمد الفاسي، سلسلة الرحلات (٥)، حجازية (٢)، المملكة المغربية، الرباط، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ٧١؛ أحمد اللكوشي، رحلة إلى الحرمين الشريفين، جامعة الملك سعود، الرياض، ميكروفيلم رقم ٥٥٩/ ٥، ١٣.

J. L. Burckhardt, *Travels in Syria and the Holy Land* (London, 1822), 455.

٦٨ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ٣٤٨.

٦٩ المِشارَج: جمع ومفردها مِسْرَجَةٌ بالكسر والفتح وهي التي فيها الفتيل أو التي توضع فيها الفتيل والدهن، والمَسْرَجَةُ بالفتح التي يجعل عليها المِسْرَجَةُ، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ٥٤٨-٥٤٩، وانظر لوحة (٤٩) من ملاحق البحث.

٧٠ الأمير حسام الدين طرنطاي: تولى نيابة السلطنة للسلطان المنصور قلاوون سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م، وظل نائبا للسلطنة طوال فترة قلاوون وبعد وفاته قبض عليه الملك الأشرف خليل سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م وهي سنة وفاته، وقد شيد العديد من المنشآت المعمارية منها مدرسة بناحية درب سعادة، ودار بشارع الحمزاوي، وكان له فندق، وكلها اندثرت، وبئر بسطر على طريق البريد من القاهرة إلى غزة وذلك في المسافة التي بعد رفح، ثم ترك ونقل المركز إلى السلقة 'خان يونس'، للمزيد انظر: العُمَريّ، شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين (بيروت، ١٩٨٨)، ٢٤٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ٣٧٨؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة، ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م)، ج ٧، ٣٨٤، ٣٨٥؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروفة بالخطط المقريزية، ج ٢ (بيروت، د. ت)، ٣٨٦؛ السلوك، ج١، ق٣، ٧٥٧، المنصوري، بيبرس، مختار الأخبار، تحقيق عبدالحميد صالح حمدان (القاهرة، ١٩٩٣)، ٨٥-٨٨، ٩١؛ محمد عبدالغني الأشقر، نائب السلطنة المملوكية في مصر، سلسلة تاريخ المصريين، ع ١٥٨(القاهرة، ١٩٩٩)، ٣٠٠-٣٠٤، ٣١٢، ٣٢٥-٣٢٦، ٣٢٨.

٧١ العيني، بدر الدين أبي محمد محمود بن موسى بن أحمد، عقد الجمان في أهل الزمان، ج ٢، تحقيق محمد محمد أمين (القاهرة، ١٩٨٨)، ٣٢٩.

٧٢ العبدري، الرحلة، ٣٣٥؛ الجاسر، في رحاب الحرمين من خلال كتب الرحلات إلى الحج (٩) 'رحلة العَبْدَري'، مجلة العرب، س١٠، ع ٩-١٠ (الرياض، الربيعان ١٣٩٦هـ/ مارس - أبريل ١٩٧٦م)، ٧١٩.

٧٣ مَصْنَع: أو مصنعة مفرد وجمعها مَصَانع، قيل هي المباني من القصور والآبار، وقيل هي مكان كالحوض أو الصهاريج يجمع فيه ماء المطر، أو الأحواض الشبيهة بالصهاريج، وقيل إنها مساكات لماء السماء يحتفرها الناس فيملؤها ماء السماء ويشربونها، أو الحياض التي تسوى لماء السماء ولا تطوى بالآجر فهي الأصناع، وأحدها صِنْع، وعادة ما تبنى على حواف الطرق الصحراوية حيث يعز الماء من المصادر الطبيعية، للمزيد انظر: الفيومي، المصباح المنير، ٣٤٨؛ الزبيدي، تاج العروس، ج٥، ٤٢٢؛ ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار المعروفة برحلة ابن جبير (بيروت، د. ت)، ١٥٥-١٦٠؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ٤٠٠؛ ج ٥، ٤١٨-٤١٩؛ ابن بطوطة، أبو عبدا لله محمد بن عبدالله بن إبراهيم اللواتي الطنجي، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج ١، ط٣ (بيروت، ١٤٠١٨هـ/ ١٩٨١م)، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد محمد أمين وآخرون (القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ج ٢٩، ٦٧؛ المقريزي، الخطط، ج ١، ١٨٣؛ السلوك، ج ١، ق١، ١٥؛ العيني، عقد الجمان، ج ٢، ٣٢٩؛ ابن تغري بردي النجوم، ج ٦، ١٨٢؛ ابن فهد، محمد بن محمد بن محمد بن محمد عمر، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق محمد فهيم شلتوت وآخرون، ج٢، ط١، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، (مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، ٢٢٧؛ السيوطي، جلال الدين، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج ٢ (القاهرة، د. ت)، ١٨٥؛ الجزيري، الدرر، ج ٢، ١٢٤٩، ١٢٧٨، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢؛ رفعت باشا، مرآة الحرمين، ج ١، ٢١٤-٢١٥؛ طلال جميل عبدالعاطي الرفاعي، نظام البريد في الدولة العباسية حتى منتصف القرن الخامس الهجري، رسالة دكتوراه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٦-١٤٠٧هـ/ ١٩٨٥-١٩٨٦م، ج ١، ٢٢٩-٢٣٠؛ الفعر، تطور الكتابات، ٢٣٨، ٣٠٣-٣٢٣، شكلي (١٩، ٢٠)، لوحات (٥٧-٥٩)؛ محمد محمد أمين، ليلى علي إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ط١ (القاهرة، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، ١٠٨، عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية (القاهرة، ٢٠٠٠)، ٢٨٨؛ سعد عبدالعزيز سعد الراشد وآخرون، آثار منطقة مكة المكرمة، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، الكتاب (٢)، وكالة الآثار والمتاحف، الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ١٢٨-١٣٢.

٧٤ ابن رشيد، ملء العيبه، ج٥، ٢٨١؛ الجاسر، الحجاز في القرن السابع الهجري، ١١٧.

٧٥ غَبّان، نقشان، ٧٧.

٧٦ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ٤٣١.

٧٧ العُمَريّ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، معهد تاريخ العلوم العربية، فرانكفورت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، السفر الثاني، ٣٣١؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ١٨٥؛ الجزيري، الدرر، ج ٢، ١٢٤٩.

٧٨ العبدري، الرحلة، ٣٣٦-٣٣٧؛ الجاسر، في رحاب الحرمين (٩)، ٧٢٠-٧٢١.

٧٩ أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل محمد بن عمر، تقويم البلدان، تحقيق رينود ماك كوين ديسلان (باريس، ١٨٤٠م)، ٨٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ٣٤٧ ح (١)، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٣، ٤٤٤؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ٢٨٥؛ الجزيري، الدرر، ج ٢، ١٢٣٧-١٣٤٤؛ يوسف درويش غوانمة، التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي، ط٢ (عمان، ١٩٨٢)، ١٨، ٢٣٢؛ سعد محمد المومني، القلاع الإسلامية في الفترة الأيوبية المملوكية 'دراسة تاريخية أثرية استراتيجية'، ط١ (عمان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨مـ)، ٢٩٥، ٣٤٣؛ غبان، نقشان، ٨٧؛ عبدالمالك، التحصينات، ٢٢-٢٢٧.

٨٠ ROL, III (Paris, 1895), 227; Jomier, *Le Mahmal et la caravane*, 184.

٨١ العُمَريّ، مسالك الأبصار، السفر الثاني، ٣٣١؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ١٨٥؛ الجزيري، الدرر، ٤٤٩، ج ٢، ١٢٤٩.

٨٢ أشار تاماري إلى وجود هذا النقش في بحثه عن درب الحَاج المصري في سيناء، والحفائر أمدتنا بقطعة صغيرة من الرخام الأبيض عليها حروف من كلمات بخط الثلث المركب المملوكي الجميل، مما يؤكد الاقتراح السابق بشأن نقل هذه الكتابة من نَخْل إلى النقب، ويوجد هذا النقش بمجموعة موشي



ديان ولذا يجب أن يعود النقش إلى مصر لكونه أخذ من سيناء، وانظر:
Tamari, *Darb al-Hajj*, 473, no. 19.

٨٣ سورة النمل، رقم (٢٧)، الآية (٨٩).

٨٤ ابن العطار، كتاب منازل الحج الشريف، لوحة ٣، ٤.

٨٥ الجزيري، الدرر، ٤٨٩، ج ٢، ١٣٢٩.

٨٦ العياشي، رحلة العياشي، ١٩٦؛ ماء الموائد، ج ١، ١٦٣؛ الورثيلاني، الرحلة، ٤٢٧؛ الجاسر، في رحاب الحرمين (١١)، ٧١؛ في رحاب الحرمين (١٣)، ٤٢٨؛ في رحاب الحرمين (١٥)، ٥٣٠.

٨٧ العياشي، رحلة العياشي، ١٩٦؛ ماء الموائد، ج ١، ١٦٣.

٨٨ كبريت، رحلة الشتاء والصيف، ٢٢.

٨٩ اللكوشي، رحلة إلى الحرمين، ١٣.

٩٠ الفاسي، الرحلة، ٧٠.

٩١ بيركهارت، جوهان لودفيج، رحلات بيركهارت - في سوريا الجنوبية، ترجمة أنور عارف (عَمان، ١٩٦٩)، ج ٢، ١٧٥؛ فالين، جورج أوغست 'عبدالمولى'، صور من شمالي جزيرة العرب في القرن التاسع عشر، ترجمة سمير شلبي (بيروت، ١٩٧١)، ١١.

٩٢ صادق، مشعل المحمل، ٨-٩؛ دليل الحج، ٩؛ الرحلات، ٧٨، ٢٦٧.

٩٣ بيركهارت، رحلات، ج ٢، ١٧٥؛ فالين، صور من شمالي جزيرة العرب، ١١، شقير، تاريخ سينا، ١٥٦.

٩٤ صادق، مشعل المحمل، ٩؛ دليل الحج، ٩؛ الرحلات، ٧٨، ٢٦٧؛ شقير، تاريخ سينا، ١٥٦؛ زكي، قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية، مخطط ١٣٥.

٩٥ هذه البئر لم يتم اكتشافها حتى الآن، وإن كان قد تم تحديد موضعها بالحديقة، انظر: شقير، تاريخ سينا، ١٥٦، زكي، قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية، مخطط ١٣٥.

٩٦ اكتشفت أثناء الحفائر في شهر مارس ٢٠٠٢م، وأخص بالذكر والشكر هنا الشيخ عبدالله النخلاوي والشيخ عدنان شهاب النخلاوي، فقد تحدثت معهما بشأن قلعة نَخْل وحكيا لي تفاصيلها بالكامل وحضر لي الشيخ عبدالله أثناء العمل وحدد لي موقع البئر، وانظر لوحة (٣٧) من ملاحق البحث.

٩٧ ابن رشيد، ملء الغيبة، ج ٥، ٢٨١، حاشية (٩٢٨)؛ الجاسر، الحجاز في القرن السابع الهجري، ١١٧.

٩٨ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١٤، ٤٣١.

٩٩ العُمَرِيّ، مسالك الأبصار، السفر الثاني، ٣٣١.

١٠٠ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ١٨٥.

١٠١ الجزيري، الدرر، ٤٩٤، ج ٢، ١٢٤٩.

١٠٢ العمري، مسالك الأبصار، السفر الثاني، ٣٣١؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ١٨٥؛ الجزيري، الدرر، ٤٩٤، ج ٢، ١٢٤٩؛ علي بن حسين السليمان، علاقات مصر بالحجاز زمن سلاطين المماليك، الشركة العربية (القاهرة، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، ٧٣-٧٤.

١٠٣ الأَزْلَم: بفتح الهمزة وسكون الزاي وفتح اللام وأخره ميم، وتعرف أيضاً تحت مسمى الأَزْنَم، وهي المنزل السادس عشر على الربع الثاني من أرباع درب الحَاجّ المصري، وتعتبر منتصف المسافة ما بين القاهرة ومكة، بنى بها الناصر محمد بن قلاوون خاناً خُرب فتمت إعادة بنائه في عهد الغَوري وذلك سنة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م، وتقع الأَزْلَم بقرب خط الطول ٣٦°، وخط عرض ٢٧°، انظر: ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، ط١ (القاهرة، ١٤٠٢-١٤٠٤هـ/ ١٩٨٢-١٩٨٤م)، ج ٤، ١٥٢، ج ٥، ٩٥؛ الجزيري، الدرر، ٥٢٠، ج ٢، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠-١٣٩١، ١٣٩٣؛ العياشي، ماء الموائد، ج ١، ١٧٣؛ مقتطفات، ٢٩؛ ابن ناصر الدرعي، أحمد بن محمد، الرحلة الناصرية مكتبة معهد البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ميكروفيلم ج ١ رقم خاص ١٩٣٠ تاريخ وتراجم، المصدر دار الكتب الوطنية بتونس - الصادقية، ج ١، رقم ٤٤٨٦/ ١٠٠٣١، ج ١، ١٦٧؛ ابن عبدالسلام الدرعي، ملخص رحلتي ابن عبدالسلام الدرعي، عرض وتلخيص حمد الجاسر، سلسلة أشهر رحلات الحج (١)، دار الرفاعي، الرياض، ١٣٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ٧٧؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، ج ٢، ٣٨٩-٣٩٠؛ صادق، مشعل المحمل، ١٨؛ دليل الحج، ١٦؛ الرحلات، ٨٧، ٢٧٧؛ الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، مجلة العرب، س١٠، ع١١-١٢ (الرياض، جماديان ١٣٩٦هـ/ مايو- يونيو ١٩٧٦م)، ٩٣٤-٩٤٥؛ في رحاب الحرمين (١٣)، ٤٣٩-٤٤٠؛ في رحاب الحرمين (١٥)، ٥٣٥؛ رحلة الوزير الشرقي الإسحاقي (١)، ٧٤٣ ؛ مايكل انجراهام وآخرون، التقرير المبدئي عن مسح المنطقة الشمالية الغربية، أطلال، ع٥، إدارة الآثار والمتاحف، الرياض، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ٧٣، لوحة (٧٦، ٩٥ب)؛ عبدالمنعم عبدالعزيز رسلان، الأزنم: خاناً وبرجاً، مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠١هـ ع٤، ٣٦٧-٤٠١، أشكال (١-٣)؛ الفعر، الكتابات والنقوش، ٢٨٢، ٢٨٩-٢٩٠، لوحة (٦٠)؛ عُجيمي، قلاع الأزنم والوجه وضبا، ٣٥-٥٤؛ غَبّان، نقشان، ٩١، الآثار الإسلامية (٢)، ٢٤١-٢٤٤؛ الأنصاري وآخرون، المواصلات، مج١، ٣١؛ الراشد وآخرون، آثار منطقة تبوك، سلسلة آثار المملكة العربية السعودية، الكتاب (٧)، وكالة الآثار والمتاحف، الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ١٧٨، ١٧٩.

A. I. H. Ghabban, *Introduction à l' etude archéologique des deux routes Syrienne Egyptienne de Pèlerinage au nord oust de l' Arabie Saoudite,* These doctorat, Centre d'Aix, Faculte des Lettres, Universite de Provence Aix Marseille I, 1988, 211, 565-571, 616, pls 91 a-b, 92, 271.

١٠٤ الأمير سَلاّر هو نائب السلطنة في عهد الناصر محمد بن قلاوون، ابن العطار، كتاب منازل الحج الشريف، لوحة ٣، ٤.

١٠٥ وهي بِرْكَة الخرابة 'بيسان' على درب الحَاجّ العراقي البصري، مثل فريد في بلاد الجزيرة العربية، للمزيد انظر: الراشد، الربذة صُورة للحضارة العربية الإسلامية المبكرة في المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ٦٣، لوحة (٧١)، درب زُبَيْدَةُ 'طريق الحج من الكوفة إلى مكة المكرمة - دراسة تاريخية وحضارية أثرية'، ط١ (الرياض، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ٢٧٩-٢٨١.

S. A. S. Al-Rashid, *Darb Zubaydah: The Pilgrim Road from Kufa to Mecca* (Riyadh, 1980), 104-105, pls XXXVI, no. 2, XXXVII, no. 1-2.

١٠٦ الجزيري، الدرر، ٤٩٠، ج ٢، ١٣٢٩.

١٠٧ ابن كثير، البداية والنهاية (القاهرة، ١٣٥١هـ)، ج ١٤، ٢٩؛ الفاسي، الحافظ أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق أيمن فؤاد سيد ومصطفى محمد الذهبي، ج٢، ط٢ (مكة المكرمة، ١٩٩٩م)، ٤١٠-٤١١؛ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد عبدالقادر أحمد عطا، ، ج ٤، ط١ (بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ٢٢٩-٢٣٠؛ المقريزي، السلوك، ج ١، ق٣، ٩٥٤، ج ٢، ق١، ص٥؛ ابن فهد، إتحاف الورى، ج ٣، ١٣٨-١٣٩؛ الجزيري، الدرر، ٢٩٢، ٦٩٤، ج ١، ٦١٦-٦١٧؛ ج ٣، ١٧٣٨؛ محمد محمد التهامي، الإصلاحات المملوكية في الأراضي الحجازية، مجلة الدارة، س١١، ع١، شوال ١٤٠٥هـ/ يونيو ١٩٨٥م، ٩٠؛ الأشقر، سَلاّر الأمير التتري المسلم نائب السلطنة المملوكية (٦٦٠-٧١٠هـ/ ١٢٦٠-١٣١٠م)، ط١ (القاهرة، ٢٠٠٠).

١٠٨ كبريت، رحلة الشتاء والصيف، ٢٢.

١٠٩ العياشي، ماء الموائد، ج ١، ١٦٣-١٦٤؛ مقتطفات، ١٩؛ الجاسر، في رحاب الحرمين (١١)، ٧١؛ في رحاب الحرمين (١٥)، ٥٣٠.

١١٠ الزبَادي، بلوغ المرام، ٥٨؛ الورثيلاني، الرحلة، ٣٢٧؛ ابن ناصر الدرعي، الرحلة، ج ١، ١٥٥؛ الجاسر، في رحاب الحرمين (١٣)، ٤٢٨.

١١١ ابن عبدالسلام الدرعي، رحلتي، ٦٢.

١١٢ قيسوني: أي ارتوازي فلا ينقطع ماءها مهما نُزحت، وانظر: صادق، الرحلات، ٧٩، حاشية (٦).

١١٣ صادق، مشعل المحمل، ٨-٩؛ دليل الحج، ٩-١٠؛ الرحلات، ٧٨-٧٩، ٢٦٧؛ البتنوني، الرحلة، ١١٠؛ الدمرداش محمد، من سير الرحلات (بولاق، ١٩٤٤)، ٦٦-٦٧.

١١٤ شقير، تاريخ سينا، ١٥٦.

١١٥ تم اكتشاف هذه البِرْكَة أثناء موسم حفائر مارس- مايو ٢٠٠٠م، وانظر لوحات أرقام (٢٦، ٣٨) من ملاحق البحث.

١١٦ تتم الآن بالقلعة أعمال دراسات تمهيداً للترميم المعماري التي سيتم بها، وقد طلب مني مدير عام آثار شمال سيناء نظراً لتفرغي الآن التوجه برفقته لإبداء رأيي في مشروع الترميم وذلك في الأسبوع الأول من شهر يناير ٢٠٠٥م، وأكدت له أنه لابد من انتهاء الحفائر لأن هناك منشآت ما تزال لم تكتشف وأرشدته إلى الدلائل التي لم يتم الكشف عنها حتى الآن ومنها طرف هذه البركة.

١١٧ اكتشفت أثناء موسم حفائر مارس - مايو ٢٠٠٠م.

١١٨ تم اكتشاف أجزاء منها في موسم حفائر أبريل- يونيه سنة ١٩٩٥م، وتم استكمال اكتشافها خلال موسم فبراير- مارس ٢٠٠٣م.

١١٩ لوحات أرقام (٣٩، ٤٠) من ملاحق البحث.

١٢٠ ابن خرداذبة، المسالك، ١٤٩-١٥٠؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، مج١، ٣٤٥؛ العبدري، الرحلة، ٢٣٥؛ الجزيري، الدرر، ٤٨٥، ٤٨٧، ج ٢، ١٣٢١، ١٣٢٤؛ شقير، تاريخ سينا، ٧٨؛ عمار، المدخل، ٦٠؛ زكي، سيناء أرض المعارك (القاهرة، ١٩٥٧)، ٢١؛ أحمد رمضان أحمد، شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى (القاهرة، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ١٦٢؛ عبدالمالك، درب الحج المصري دليل على التواصل الحضاري 'دراسة أثرية في ضوء الاكتشافات الحديثة'، كتاب أعمال الندوة العلمية الأولى لجمعية الآثاريين العرب (القاهرة، ١٩٩٩)، ٤٥٧-٤٥٨.

Jomier, *Le Mahmal et la caravane*, 182-183; Tamari, *Darb al-hajj*, 447, no. 2, 3, 448, no. 4; Mouton, *Abd al-Mālik et al., La route de Saladin*, 48-55; Mouton, *Le Sinaï*, 156.

١٢١ القُبَاب: منزل على درب الحَاجّ المصري في أوله مما يلي عَجْرُود والنواطير برمل المنصرف داخل سيناء، ونظراً لأنني أعددت بحث عنها فلا داعي لوضع المصادر والاكتشافات التي تمت بهذا المنزل على درب الحَاجّ المصري في سيناء، وعنوان البحث: القُبَاب مَنْزل على درب الحَاجّ المصري في سيناء 'دراسة تاريخية - آثارية' 'قيد النشر'، وانظر موقعها خارطة شكل (١) من ملاحق البحث.

١٢٢ لوحة (٣٩) من ملاحق البحث.

١٢٣ لوحة (٣٩) من ملاحق البحث.

١٢٤ شكلي (٢، ٤)، لوحات (٤١-٤٤) من ملاحق البحث.

١٢٥ صادق، مشعل المحمل، ٨؛ دليل الحج، ٩؛ الرحلات الحجازية، ٧٩، ٢٦٧-٢٦٨.

١٢٦ شكلي (٢، ٤)، لوحات (٤١، ٤٥) من ملاحق البحث.

١٢٧ شكلي (٢، ٤)، لوحات (٤١، ٤٦) من ملاحق البحث.

١٢٨ عن خراب البركة الكبيرة والبركتين الصغيرتين انظر: صادق، مشعل المحمل، ٨، دليل الحج، ٩، الرحلات، ٧٩، ٢٦٧-٢٦٨، وعن سعت تلك البرك مجتمعة انظر: البتنوني، الرحلة، ١١٠.

١٢٩ العبدري، الرحلة، ٣٣٦-٣٣٧؛ ابن الفرات، تاريخ بن الفرات، مج٩، ج ١، ٢٣٤؛ الجاسر، في رحاب الحرمين (٩)، ٧٢٠.

١٣٠ الدِّلاء: جمع ومفردها الدَّلْوُ التي يستقى بها الماء من البئر، تذكر وتؤنث، وهو حاوية من الصاج أو الحديد تُدلى في البئر لجلب المياه ومن طريقة جلب المياه بها جاء اسمُها، وهي أنواع مختلفة منها ذو الحبل الواحد، وذو الحبلين، وذو الأربعة حبال، انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ٤٠٤-٤٠٦؛ أحمد يوسف الحسن، آلات رفع الماء عند العرب، حولية عاديات حلب، ك٢، معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب (حلب، ١٩٧٦)، ٣٢-٣٣؛ السيد ادي شير، مُعجم الألفاظ الفارسية المعربة (بيروت، ١٩٨٠)، ٦٦.

١٣١ العُمَريّ، مسالك الإبصار، السفر الثاني، ٣٣١؛ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ١٨٥؛ الجزيري، الدرر، ٤٤٩، ج ٢، ١٣٢٩؛ العياشي، رحلة العياشي، ١٩٦؛ النابلسي، الحقيقة، ٣٠٢؛ الورثيلاني، الرحلة، ٣٢٧، صادق، دليل الحج، ٩، مشعل المحمل، ١٠؛ الرحلات، ٧٨، ٢٦٧؛ البتنوني، الرحلة، ١١٠؛ شقير، تاريخ سينا، ١٥٦.

Jomier, *Le Mahmal et la caravane*, 184-185.

١٣٢ ابن رشيد، ملء الغيبة، ج ٥، ٢٨١، حاشية (٩٢٨)؛ الجاسر، الحجاز في القرن السابع الهجري، ١١٧.

١٣٣ العُمَريّ، مسالك الأبصار، السفر الثاني، ٣٣١.

١٣٤ السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ١٨٥؛ البتنوني، الرحلة، ١١٠.

١٣٥ ابن العطار، كتاب منازل الحج، لوحة ٣، ٤.

١٣٦ الدَّوَادَار: وتأتي بصيغة دُوَيدَار، وهي وظيفة مركبة من كلمتين، الدواة في العربية من أدوات الكتابة، ودار فارسية بمعنى ممسك، فتكون وظيفة صاحبها ممسك الدواة، أو كاتب الملك، وهي وظيفة عسكرية أنشأها السلاجقة، للمزيد انظر: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية (القاهرة، ١٩٦٥)، ج ٢، ٥١٩؛ أحمد السعيد سليمان، تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل (القاهرة، ١٩٧٩)، ١٠٩-١١٢؛ شير، مُعجم الألفاظ الفارسية، ٦٨؛ سيد أحمد سند عبدالفتاح، البريد في عصر دولة المماليك البحرية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ٩٧-٩٨.

١٣٧ إبراهيم، دراسات تاريخية وأثرية، ١١٧؛ السليمان، علاقات، ٧٥.

١٣٨ الجزيري، الدرر، ٤٤٩، ج ٢، ١٣٢٩.

١٣٩ النابلسي، الحقيقة، ٣٠٢.

١٤٠ الفاسي، الرحلة، ٧٠.

١٤١ فالين، صور من شمالي جزيرة العرب، ١١.

١٤٢ وثيقة معية عربي، دفتر ٦٤، مسلسلة ٦٤٠، ١٠٠٨؛ البتنوني، الرحلة، ١١٠.

١٤٣ صادق، مشعل المحمل، ٨-٩؛ دليل الحج، ص٩؛ الرحلات، ٧٨، ٢٦٧.

١٤٤ شقير، تاريخ سينا، ١٥٦.

١٤٥ تم العثور على هذه القواديس المصنوعة من الفخار الأحمر خلال موسم حفائر مارس - مايو ١٩٩٤م، منها نموذجين كاملين تم العثور عليهما أمام باب القلعة وذلك بالركن الشرقي، وقد تم تسجيلهما في سجل الآثار بالمنطقة، لوحة (٤٧) من ملاحق البحث.

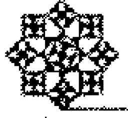
١٤٦ ابن دقماق، الانتصار، ج ٤، ٨٩.

١٤٧ إبراهيم، دراسات تاريخية وأثرية، ١٣٨؛ الفعر، الكتابات والنقوش، ٢٩٤.

١٤٨ محمد علي فهيم بيومي، وثائق الحرمين الشريفين في مصر في القرن ١٢هـ/ ١٨م من واقع سجلات الديوان العالي (ج ٢)، مجلة الدارة، س٢٨، ع٤ (الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، ١٤٨-١٤٩.

١٤٩ استيف، النظام المالي والاداري في مصر العثمانية، في كتاب وصف مصر، ترجمة زُهير الشايب (القاهرة، ١٩٧٨)، مج٥، ٢٤٢؛ عمر، إمارة الحج، ٢٥٠.

١٥٠ البارة: مفرد والجمع بارات، وهي عُملة فضية صغيرة، كانت تساوي النصف فضة، وكان القرش يساوي ٤٠ بارة، والبارة تساوي أربع أقجات وقد شاع استخدام البارة منذ أواخر القرن السابع عشر الميلادي، للمزيد



انظر: الأب انستاس الكرملي، النقود العربية والإسلامية وعلم النميات، ط٢ (القاهرة، د. ت)، ١٠٦، ١٧٩، ١٨٢-١٨٣، ١٩١، ٢١١-٢١٣؛ سليمان، تأصيل، ١٢٢؛ ليلى عبداللطيف أحمد، الإدارة في مصر في العصر العثماني (القاهرة، ١٩٧٨)، ٤٤٠.

١٥١ عمر، إمارة الحج، ٢٥٠-٢٥١.

Shaw, *The Financial and Administrative Organization and Development of Ottoman Egypt '1517-1798'* (Princeton, 1962), 235.

١٥٢ هناك منْ أشار خطأً إلى أن القلعة من بناء السلطان العثماني سليم الأول أو الأتراك مثل: عمار، المدخل، ٦٨.

C. S. Jarvis, *Desert and Delta* (London, 1938), 303.

١٥٣ تم العثور خلال الحفائر الآثارية على أساسات مبان طينية أسفل بقايا البُرْج الشرقي من القلعة، وتم العثور بها على مسارج فخارية تؤرخ بأواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجريين/ السابع- الثامن الهجريين، وفيما يتعلق بالحصن كأحد المنازل على درب الحَاج المصري أعتقد أنها ربما تكون الحصى التي هي الآن الثَّمَد، وكانت تُعرف باسم ثمد الحصى، وانظر: البغدادي، الخراج، ١٩٠.

١٥٤ ابن العطار، كتاب منازل الحج الشريف، لوحة ٣، ٤.

١٥٥ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ١٣٣، ١٦٣؛ كبريت، رحلة الشتاء والصيف، ٢٢؛ صبري، مرآة جزيرة العرب، ٢٤٧؛ إبراهيم، وثائق الوقف على الأماكن المقدسة، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب (١)، ج ٢، جامعة الرياض، الرياض، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ٢٥٤؛ عُجيمي، قلاع الأزنم والوجه وضبا، ١٩؛ الفعر، الكتابات والنقوش، ٢٨٢.

١٥٦ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ١٥٢.

١٥٧ الجزيري، الدرر، ٤٨٩، ج ٢، ١٣٢٧؛ إبراهيم، وثائق الوقف على الأماكن المقدسة، ٢٥٣-٢٥٤.

١٥٨ يرجع أقدم الرنوك الكتابية المعروفة حتى الآن إلى أيام السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وليس كما ذكر البعض من أن أقدمها من عصر السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، ثم يلي ذلك الرنوك التي ترجع إلى أيام الناصر حسن، وهي التي توجد على مشكاواته، ولكن يلاحظ أن اسمه لم يُكتب عليها، واكتفى الفنان بكتابة عبارة:'عز لمولانا السلطان الملك'، واستمر ظهور الرنوك الكتابية طوال العصر المملوكي وبداية العثماني، انظر: محمد مصطفى، الرنوك في عصر المماليك، مجلة الرسالة، س٩، ع٤٠٠، القاهرة، ٥ صفر ١٣٦٠هـ/ ٣ مارس ١٩٤١م، ٢٦٨-٢٧١؛ جمال محرز، الرنوك المملوكية، مجلة المقتطف، مج ٩٨، ع٥ (القاهرة، مايو ١٩٤١م)، ٤٦١-٤٦٨؛ زكي، الأعلام وشارات الملك في وادي النيل (القاهرة، ١٩٤٨)، ٧٦-٧٩؛ أبو الفرج العش، الشعارات الموجودة على الأواني الفخارية، مجلة الحوليات الأثرية السورية، مج١٠ (دمشق، ١٩٦٠)؛ إبراهيم علي طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة (١٣٨٢-١٥١٧م) (القاهرة، ١٩٦٠)، ٣٢٤-٣٣٩؛ أحمد عبدالرازق أحمد، الرنوك على عصر سلاطين المماليك، المجلة التاريخية المصرية، مج٢١ (القاهرة، ١٩٧٤)، ٦٧-١١٧؛ الرنوك الإسلامية، ط (القاهرة، ٢٠٠١)؛ محمد كامل فارس، الرنوك المملوكية في المملكة الحلبية، حولية عاديات حلب، الكتاب ٢، معهد التراث العلمي العربي (جامعة حلب، ١٩٧٦)، ٢١٩-٢٦٠؛ عبدالغني محمد عبدالله، الشعارات المملوكية الإسلامية، مجلة الوعي الإسلامي، س١٣، ع ١٤٩(الكويت، جمادي الأولى ١٣٩٧هـ/ مايو ١٩٧٧)، ٨٣-٨٩؛ الرنك الفن القديم المتجدد، مجلة الفيصل، ع ٩٤ (الرياض، ربيع الثاني ١٤٠٥هـ/ يناير ١٩٨٥م)، ١٠٧-١١٦؛ مايسة محمود داود، الرنوك الإسلامية، مجلة الدارة، س٧، ع٣، الرياض، ربيع الثاني ١٤٠٢هـ/ فبراير ١٩٨٢م، ٢٦-٣٩؛ خوليا تزجان، أستار الحرمين الشريفين، ترجمة تحسين عمر طه أوغلي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، منظمة المؤتمر الإسلامي، استانبول، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ٨٩، ٩٤، ١١٨، لوحات (٢٨)، (٣١)، (٤٧)؛ رزق، معجم مصطلحات العمارة، ١٢٤، ١٦٤.

Y. Artin, *Contribution à l' etude du Baslon en Orient*, (London, 1902); Mayer, 'Saracenic Heraldry, 34-40; Une enigme du blason Musulman', *BIE* 21 (Le Caire, 1939), 34-35.

١٥٩ تم العثور عليه وقد تعرض للطمس في العصر العثماني، كما أنَّ شقير ومن نقل عنه لم يستطيعوا سوى قراءة بعض الكلمات من الرنك مثل: 'مولانا السلطان .. .. نصره'، عن ذلك انظر: شقير، تاريخ سينا، ١٥٠، زكي، قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية، ١٣٣، إبراهيم، دراسات تاريخية وأثرية، ١٠٣-١٠٤، وانظر لوحات (١، ٣، ٤، ٥، ٩، ١٢) من ملاحق البحث.

١٦٠ غَبَّان، نقشان، ٢٣، السطر(٢).

Tamari, *An inscription al-Ġūrī*, 183; *Darb al-Hajj*, 512.

١٦١ عن وصف بُرْج عَجْرُود انظر: عبدالمالك، درب الحَاجّ المصري همزة وصل غرب العالم الإسلامي بالحرمين الشريفين 'دراسة تاريخية - آثارية'، بحث أعد بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية عام ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، دَرب الحَاجّ المصري في سَيْناء وحدودها 'دراسة تاريخية آثارية معمارية في ضوء الاكتشافات الحديثة'، بحث تم أعداده ليُنشر عن طريق المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم 'ايسيسكو'، الرباط - المغرب.

١٦٢ كانت أول حفائر بقلعة نخل خلال شهور مارس- مايو ١٩٩٤م، وانظر أشكال (٢، ٣، ٤)، لوحات (٢-٩، ١٥-١٨، ٢٥-٢٨) من ملاحق البحث.

١٦٣ تم اكتشاف هذه الأساسات خلال موسم فبراير - أبريل ٢٠٠٠م.

١٦٤ الجزيري، الدرر، ج ١، ١٠٤.

١٦٥ زين الدين بن شهاب: كان أبوه شهاب وعمه جمال الدين رأس الخولة بالسواقي السلطانية، ونشأ زين الدين على الفقر والفاقة، وتقتير كثير، وكان مبعداً من أقاربه، فلما مات عمه جمال الدين، وطعن أبوه في السن احتاج إلى مساعدته، فساعده بهمة وعزم وحسن سيرة، واشتهر ذكره بعد أن كان خاملاً، وتقرب من السلطنة، وخدم الأعيان، وقصد الزراعة، وتولي السواقي السلطانية بعَجْرُود ونَخْل على درب الحَاج المصري فترة طويلة حيث كان يخرج قبل موسم الحج لعمارة السواقي وملء البرَك استعداداً لخروج الحَاجّ في الذهاب والعودة، ويعود مع قافلة الحَاجّ في العودة، ونظراً لمعرفته لمشايخ عُربان الدرك فقد لعب دوراً كبيراً في تهدئتهم في كثير من الأوقات، انظر: الجزيري، الدرر، ج ٢، ٩١٠، ٩٥٩، ١٠٠٥، ١٠٢٦، ١٠٢٩، ١٣٢٨-١٣٢٩، ج ٣، ١٨٥٥-١٨٦٢.

١٦٦ الجزيري، الدرر، ٤٨٩، ج ٢، ١٣٢٧-١٣٢٨؛ كبريت، رحلة الشتاء والصيف، ٢٢؛ صبري باشا، موسوعة مرآة الحرمين، ج٥، ١٧٧؛ ماهر، محافظات، ٢٢٦؛ الفعر، الكتابات والنقوش، ٣٢٦-٣٢٧؛ غَبَّان، نقشان، ٨٠؛ عمر، إمارة الحج، ٢٥١.

١٦٧ الجزيري، الدرر، ٤٨٩، ج ٢، ١٣٢٧-١٣٢٨.

١٦٨ كبريت، رحلة الشتاء والصيف، ٢٢.

١٦٩ لوحات (١، ٣، ٤، ٥، ٩، ١٣).

١٧٠ قرأ شقير الرنك قبل تدمير القلعة وهو في موضعه أعلى عقد الباب، فقرأ كلمة:'السلطان' بدلاً من 'للسطان' كما في الرنك، ولم يستطع قراءة تاريخ الرنك وذكر كلمة 'سنة' كاملة في حين الموجود ربما السين منها فقط كما هو مألوف في العملات العثمانية، وقد وقع في نفس الخطأ من نقل عنه، انظر: شقير، تاريخ سينا،١٥١؛ شفيق باشا، ذكريات، ٣٠؛ زكي، قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية، ١٣٤؛ أحمد، شبه جزيرة سيناء، ١٥٦.

Chefik, *Mémoires*, 30; Tamari, *Darb al-Hajj*, 479, no. 47.

١٧١ يلاحظ أن ظاهرة كتابة التاريخ دون المئات أو الألوف معروفة في العصر

العثماني، منها على سبيل المثال: حزام من أحزمة كسوة الحجرة النبوية بالمدينة المنورة يحمل توقيع السلطان محمود الثاني ومكتوب على التوقيع تاريخ السنة دون ذكر الألوف وذلك على النحو التالي: 'كتبه الغازي محمود بن عبدالحميد خان ٢٢٩' والحزام تاريخه سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م، وهو محفوظ في متحف قصر طوب قابي باستانبول تحت رقم سجل (٨٦/ ٢٤)، عن هذا الحزام انظر: تزجان، أستار الحرمين، ١٦٠، لوحة (٦٦)، وقد أخطأ تاماري عندما اقترح تاريخ عمارته لقلعة نَخْل سنة ١٠٠٤هـ/ ١٥٩٥م، في حين أن الرنك يحمل تاريخ سنة ٩٨٩هـ/ ١٥٨١م.

١٧٢ قرأ شقير اسم الوالي في النقش: 'راجي محمد باشا' والصحيح ما تم إثباته، ووقع في نفس الخطأ كل من نقل عنه، عن ذلك انظر: شقير، تاريخ سيناء، ١٥١؛ شفيق باشا، يوميات، ٣٠؛ زكي، قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية، ١٣٤؛ الجوهري، مشاهدات في الصحراء، ٩٨؛ أحمد، شبه جزيرة سيناء، ١٦٥؛ غالي، سيناء، ٨٣.

Chefik, *Mémoires*, 30; Tamari, *Darb al-Hajj*, 479, no. 47.

١٧٣ أرشيف الشهر العقاري، سجل ديوان عالي (١)، مادة (٥٦١)، ٢٦٧.

١٧٤ أرشيف الشهر العقاري، سجل ديوان عالي (١)، مادة (٥٩٩)، ٢٨٧، الملحق رقم (١١).

١٧٥ الجوقدار: في الفارسية جوخا بالجيم المشربة وألف بعد الخاء رداء قصير، وقد ترد بالقاف خاصة في الفارسية القديمة، وهي وظيفة مركبة تتكون من الجوخ قماش معروف ودار أي صاحب في الفارسية، وهي هنا موظف غير عسكري يناط به النظر في شئون ملابس السلطان في العصر العثماني، وهو مثل الجامدار في العصرين السلجوقي والمملوكي، ويطلق على الحاجب الذي يفتح الستارة ويغلقها على باب الوزير أو الأمير، وهي البرد دار في العصر المملوكي، وأطلق أيضاً على السعاة الذين يؤدون أعمالاً رسمية خارج مباني الدواوين الرسمية، للمزيد انظر: سليمان، تأصيل، ٢٨-٢٩، ٧١.

١٧٦ أرشيف الشهر العقاري، سجل ديوان عالي (١)، مادة (٥٩٩)، ٢٨٧.

١٧٧ شفيق باشا، ذكريات، ٣٠.

Jomier, *La Mahmal et la caravane*, 185; Chefik, *Mémoires*, 30.

١٧٨ عن أعمال محمد علي باشا بقلعة نَخْل انظر: دار الوثائق القومية، القاهرة، محفظة ٢٥٠ عابدين، صورة الكشف العربي رقم ٤٥٦ بتاريخ ١٧ ذي القعدة سنة ١٢٥٠هـ، بوركهارت، رحلات، ١٧٥، مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة عبدالله الصالح العثيمين، ط٢ (الرياض، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣)، ١١٠؛ شارل ديديه، رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ١٨٥٤م، ترجمها محمد خير البقاعي (الرياض، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١)، ٢٤٩، حاشية (١)؛ شقير، تاريخ سينا، ٥٦١-٥٦٤.

Eckenstein, *Sinai*, 185.

١٧٩ كان السلطان عبدالعزيز بن محمود (١٢٧٧-١٢٩٣هـ/ ١٨٦١-١٨٧٦م) في مصر في هذه السنة، وحضر حفل خروج المحمل إلى بلاد الحجاز، وهو السلطان الوحيد الذي قام بذلك بعد السلطان سليم الأول بعد فتحه مصر سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، انظر: دار الوثائق القومية، دفتر معية تركي، قسم ثاني، رقم ٥٢٥، مادة (٤٤)، ٢٧؛ الأيوبي، إلياس، تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا من سنة ١٨٦٣م إلى سنة ١٨٧٩م(القاهرة، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣)، مج١، ٤٣-٤٤.

١٨٠ المأمور: وهو أحد رجال الإدارة في الدولة، وبالتالي يكون هنا في نَخْل هو المسؤول عن إدارة مجموعة القلاع التي تقع على درب الحاجّ المصري، وهي المعروفة بالقلاع الحجازية، جمعة، أمل محفوظ أحمد، العمائر الحربية في عصر محمد علي بمدينة القاهرة (١٢٢٠-١٢٦٤هـ/ ١٨٠٥-١٨٤٨م)، رسالة ماجستير، كلية الآثار (جامعة القاهرة، ١٩٩٩)، ٤١٩.

١٨١ قلعة المُوَيْلح: تقع في إمارة تبوك شمال غرب المملكة العربية السعودية الآن، ويوجد حجر تجديد القلعة لدى الشيخ معلا عبدالمطلب الوكيل ببلدة المُويلح، وقد نُفذ النقش على حجر رملي مساحته ٥٢ × ٣٦سم، له إطار داخلي محفور حفرا بارزا مساحته ٤٥ × ٣١سم، والنقش يتكون من أربعة أسطر بخط النسخ البدائي وغير المتقن أو منسوب، ويقرأ: 'نسيل الله المولى العظيم/ ينصر أفندينا إسماعيل باشا إبراهيم/ جدد قلعة المُويلح خورشيد، سنة ١٢٨١ بيك مهدي'، ويلاحظ أن عُجيمي جعل اسم القائم على العمل خورشيد، والذي قام بعمل الخط بيك مهدي على أساس وجود التاريخ ما بين شطري الاسم، وقد استنتج أن لقب بيك أصبح يمنح للخطاطين، في حين أن اسم خورشيد بيك مهدي كما جاء في نقش قبة النخلاوي بنَخْل هو اسم واحد للشخص الذي تولى وظيفة مأمور تعمير القلاع الحجازية كما رأينا، عن قلعة المُوَيْلح والنقش انظر: عُجيمي، قلعة المُويلح 'دراسة معمارية حضارية'، رسالة ماجستير، قسم الحضارة والنظم الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى (مكة المكرمة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣)، ١١٣-١١٤، لوحة (١١١)، قلاع الأزنم والوجه وضبا، ٢١؛ غبّان، بحوث في التاريخ والآثار (١)، ١٠١-١٣٦؛ الآثار الإسلامية (٢)، ٢٣٣-٢٣٨.

Ghabban, *Deux routes Syrienne Egyptienne*, 295-299, pls 86-87.

١٨٢ جاء ذكر ترميم القلعة سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م في وثيقة أصلها محفوظ بدار الوثائق القومية بالقاهرة وتوجد صورة منها بمعهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، عن هذه الوثيقة انظر: مجلس مخصوص، دفتر رقم (٥٢) قديم، س ١١/ ١/ ١٦، معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، رقم ١٥/ ١٢٧/ و ح ج.

١٨٣ وارد تحريرات محافظة العريش، سجل ٤١، ٨٦ وارد من الروزنامة، وثائق أرقام ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، بتاريخ ٢٥ ذو الحجة ١٣٠١هـ/ ١٧ أكتوبر ١٨٨٤م؛ صادق، الرحلات، ٢٦٣؛ عمار، المدخل، ٥٨؛ السباعي، تاريخ مكة، ط٧، مطبوعات نادي مكة الثقافي (٦)، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ج ١، ٢٤٧، ٣٣٥، ٣٣٧؛ بيومي، وثائق الحرمين، ١٥٥؛ بكر، دروب الحجيج، ٨٠؛ الدقن، سكة حديد الحجاز الحميدية دراسة وثائقية، ط١ (القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ٤٦؛ الشامي، الطرق، ٢١١، ٢١٣؛ الأنصاري وآخرون، المواصلات، ٣١، ٥١.

١٨٤ الجوهري، مشاهدات في الصحراء، ٩٩؛ عمار، المدخل، ٥٨-٥٩؛ حلمي، المحمل، ١٣٦.

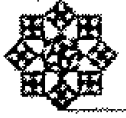
١٨٥ ناظر القلعة: وهو الشخص الموكل إليه النظر في شؤون القلعة وحاميتها، وهي وظيفة عسكرية تعادل في العصور الوسطى نائب القلعة، انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ١٨٤-١٨٥، ج ١١، ٩٢، ج ١٣، ٣٠، ٣٠٩؛ البقلي، التعريف، ٣٤١-٣٤٥.

١٨٦ شقير، تاريخ سينا، ١٥١؛ زكي، قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية، ١٣٣.

١٨٧ توجد صورتان للقلعة ترجعا إلى سنة ١٩١٦م يظهر فيهما مكان التدمير، وانظر: زكي، قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية، ١٣٤.

١٨٨ الجوهري، سَيناءُ أرض القمر، ٨٨؛ محمد مصطفى نجيب، تنظيم الجيش المملوكي في عهد السلطان الغَوري ٩٠٦-٩٢٢هـ/ ١٥٠١-١٥١٦م، مجلة كلية الآثار، ع٣، جامعة القاهرة (القاهرة، ١٩٨٩)، لوحة (٢٥).

١٨٩ أقدم رسم باليد 'اسكتش' للقلعة كان سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م عن طريق رحالة فرنسي يسمى لاجرانج 'Lagrange'، ثم صورتان في كتاب شقير سنة ١٩٠٦م، ثم صورتان للقلعة سنة ١٩١٦م، وصورة ترجع إلى سنة ١٩٢٦م في المتحف الحربي القومي بالقلعة بالقاهرة، وصورتان أخذتا للقلعة قُبيل سنة ١٩٥٦م، وصورتان من فترة الستينيات من طرف الحاج عدنان شهاب النخلاوي أثناء ترميم القلعة بعد تدميرها في سنة ١٩٥٦م، انظر: شقير، تاريخ سينا، ١٣٥، ١٥٦؛ زكي، قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية، ١٣٤؛ الجوهري، سَيناءُ أرض القمر، ٨٨؛ نجيب، تنظيم الجيش



المملوكي، لوحة (٢٥)، وانظر شكل (٥)، اللوحات أرقام (١-٥، ٩، ٢٣، ٣٥) من ملاحق هذا البحث.

Fr. M. J. Lagrange, 'Chronique du Sinaï à Nahel', *RevBib* 6, 1ere série (Paris, 1897), 612; Jarvis, *Yesterday and Today in Sinai*, 204; B. Rothenberg, *et al. God's Wilderness 'Discoveries in Sinai'*, (New York-Toronto, 1962), 72, 73, 77, 78; Rothenberg, *Taglioth*, 158-159, 192- fig. 33.

١٩٠ يعتبر وصف الرحالة النابلسي هو أقدم وصف للقلعة خاصة فيما يتعلق بذكر وجود مسجد في القلعة، ثم يأتي بعده وصف بيركهارت، ثم وصف صادق باشا وهو أدق وصف للقلعة نظراً لأنه أخذ مقاسات لها سنة ١٨٨٠م، ثم يأتي بعد ذلك وصف شقير سنة ١٩٠٦م، وقد كرر بعض المحدثين وصف شقير دون القيام بالدراسة الميدانية، انظر: النابلسي، الحقيقة، ٣٠٢؛ بيركهارت، رحلات، ج ٢، ١٧٥؛ صادق، مشعل المحمل، ٨؛ دليل الحج، ٩؛ الرحلات، ٧٧-٧٨، ٢٦٧؛ شقير، تاريخ سيناء، ١٥٠-١٥١؛ زكي، قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية، ١٣٣-١٣٤؛ أحمد، تاريخ شبه جزيرة سيناء، ١٥٦-١٦٠؛ عُجيمي، قلاع الأزنم والوجه وضبا، ١٩.

١٩١ للمزيد عن عمارة القلعة وإعادة تصور ما كانت عليه ينظر فيما بعد رسالتي للدكتوراه التي أوشكت على الانتهاء منها وموضوعها: القلاع الحربية بشبه جزيرة سيناء وحدودها في العصرين المملوكي والعثماني 'دراسة آثارية - معمارية'.

١٩٢ جاءت مقاسات أضلاع القلعة عند صادق ٢٨م، وعند شقير من ٣٧: ٣٩ياردة، وارتفاع جدرانها عند صادق٥٠, ٧م، وعند شقير ٢١ : ٢٥ قدماً، وسمك الجدران ثلاثة أقدام، انظر: صادق، مشعل المحمل، ٨؛ دليل الحج، ٩؛ الرحلات، ٧٧-٧٨، ٢٦٧؛ شقير، تاريخ سيناء، ١٥١؛ زكي، قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية، ١٣٣؛ بكر، دروب الحجيج، ١٠٩-١١٠.

١٩٣ أشكال (٢-٥)، لوحات (١-٩، ١٤-٢٦) من ملاحق البحث.

١٩٤ الأحجار المسنمة: في المصطلح الآثاري المعماري هي من طراز حلية البناء، كانت الأحجار فيه غير مصقولة وعلى شكل سنام البعير، وهو أيضاً الحجر المنقور السطح الذي تظهر عليه كتل صغيرة بارزة، وقد شاع استخدامه في عمائر العصرين الفاطمي والأيوبي مثلما نجده في أسوار القاهرة وقلعة الجبل، وسمي حينذاك بالحجر المبوص، ويسمى في المصادر التاريخية المعاصرة باسم الحجر الفص النحيت، وقد استمر استعمال هذا النوع من الحجارة خلال العصر المملوكي، انظر: ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق١، ٤٤٩؛ رزق، معجم مصطلحات العمارة، ٧٧.

١٩٥ كوابيل: مفردها كابُولي، وهو حجر مثبت من أحد طرفيه في جدار يوظف لحمل سلم أو شرفة أو مشربية، أو بروز يطل من الجدار، لتقبل حِمل ثقيل كحائط شرفة أو نحو ذلك، للمزيد انظر: غالب، عبدالرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، ط١، جروس برس (بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨)، ٣٢٢؛ أحمد محمد عيسى-محمود محمد الطوخي، مُصطلحات الفن الإسلامي 'معجم مشروح مصور' (إستانبول، ١٩٩٤)، ٣٦، ٥٣، ٥٤؛ رزق، مُعجم مصطلحات العمارة، ٢٤٨-٢٥٢، أشكال ١٩٤/١-١٢.

١٩٦ التصفيح: هو تثبيت صفيحة معدنية على الخشب لحفظه وزخرفته، ويستخدم التصفيح في أبواب القلاع للمساعدة في عدم احتراقها عند تعرض هذه الأبواب للحرق من العدو المحاصر، للمزيد انظر: عمارة، طه عبدالقادر، الأبواب المصفحة في عهد السلطان حسن في القاهرة - دراسة أثرية، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٠٤١هـ/ ١٩٨١م، ٣؛ رزق، معجم مصطلحات العمارة، ٥١-٥٢.

١٩٧ مخطط شكل (٢-٤)، لوحات (١-١١) من ملاحق البحث.

١٩٨ عن المداخل المنكسرة بالعمارة بصفة عامة وقلاع درب الحَاجّ المصري والشامي انظر: الريحاوي، عبدالقادر، قلعة دمشق 'تاريخ القلعة وأثارها وفنونها المعمارية' (دمشق، ١٩٧٩)، ٢٤٤-٢٤٧؛ عُجيمي، قلعة المُويلح، ٣٣، ٣٩-٤٠، ٧١، شكل (٢)، لوحة (١)؛ عثمان عثمان إسماعيل، أبواب الموحدين الأثرية برباط الفتح، مجلة المتحف العربي، س٢، ع٢ (الكويت، جمادى الأولى - رجب ١٤٠٧هـ/ يناير - مارس ١٩٨٧)، ١٢٢-١٢٩؛ غَبّان، الآثار الإسلامية (٢)، ١٥٢، ٢٣٨، ٢٤١-٢٤٢، أشكال (٥٨، ١٠٦، ١٠٨)؛ شوقي شعث، قلعة حلب 'تاريخها ومعالمها الأثرية'، ط١(حلب، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦)، ١٠٧-١٠٩؛ أسامة طلعت عبدالنعيم، أسوار صلاح الدين وآثارها في امتداد القاهرة حتى عصر المماليك، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢، ج ١، ٢١٩-٢٢٤؛ عبدالمالك، التحصينات، ٤٥٧-٤٩٤.

Ghabban, *Deux routes Syrienne Egyptienne*, 303-304, pl. 97.

١٩٩ أُكتشف البئر خلال موسم حفائر يناير - أبريل ٢٠٠٢م، وانظر: شكل (٢-٤)، لوحات (٢٩-٣٤، ٣٧) من ملاحق البحث.

٢٠٠ النابلسي، الحقيقة، ٣٠٢.

Abd al-Mālik, *Les mosquées*, 171.

٢٠١ المُقَرْنَص 'Staiactites': حلية معمارية تستخدم كعنصر معماري وظيفي وزخرفي، انظر: غالب، موسوعة العمارة، ٣٩٧-٤٠٤، عيسى- الطوخي، مُصطلحات الفن الإسلامي، ١١٣، ١٦٦؛ رزق، معجم مصطلحات العمارة، ٢٩٣-٢٩٧، وانظر لوحة (٣٥، ٣٦) من الملاحق بهذا البحث.

٢٠٢ Rothenberg, *Taglioth Sinai*, 158-159, 192, fig. 33.

٢٠٣ الشُّبُك وهو الخاص بالدخان ويُعرف بالغليون، وانظر عن المنقولات: لوحات (٤٧-٥٠) من ملاحق البحث.

٢٠٤ عن نظام البدل بصفة عامة وفي قلاع درب الحَاجّ المصري انظر: الخياري، إبراهيم بن عبدالرحمن (ت ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م)، تحفة الأدباء وسلوة الغرباء 'رحلة الخياري'، تحقيق رجاء محمود السامرائي (بغداد، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠)، ج ٣، ١٧٩؛ العياشي، ماء الموائد، ج ١، ١٥٩-١٦٠؛ مقتطفات، ١٧؛ ابن عبدالسلام الدرعي، رحلتي، ٥٣؛ النابلسي، الحقيقة، ٢٩٨؛ البتنوني، الرحلة، ١٠٩؛ عبدالمالك، التحصينات، ٢٤٩.

٢٠٥ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ١٥٢؛ محمد رزق سليم، الأشرف قانصوه الغَوري، سلسلة أعلام العرب (٥٢) (القاهرة، د. ت)، ٩٥؛ الفعر، الكتابات والنقوش، ٢٨٢، ٢٨٩-٢٩٠.

٢٠٦ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ٤، ١٥٢.

٢٠٧ العياشي، ماء الموائد، ج ١، ١٦٠؛ مقتطفات، ١٧؛ الزبَادي، بلوغ المرام، ٥٥؛ ابن عبدالسلام الدرعي، رحلتي، ٥٣.

٢٠٨ الجزيري، الدرر، ١٨٩، ج ٢، ١٣٢٧.

٢٠٩ بيركهارت، رحلات، ج ٢، ١٧٥.

٢١٠ الرُوزنَامة: وهي كلمة غير عربية تتكون من مقطعين رُوز بمعنى يوم، ونَامة بمعنى كتاب، ويكون المعنى الكلي دفتر أو كتاب اليومية، وهي دفتر خاص بتسجيلات الإيرادات والمصروفات اليومية، والقائم عليه يسمى الرُوزنَامجي، وهو رئيس طائفة الأفندية، انظر: الدارندلي، عزت حسين أفندي، ضيانامة 'ترجم بعنوان: الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني'، ترجمة جمال سعيد عبدالغني (القاهرة، ١٩٩٩)، ٤٧٤؛ شير، مُعجم الألفاظ الفارسية، ٧٥؛ سليمان، تأصيل، ٢١، ١١٧-١١٨.

٢١١ نقش القبة المدفن في نَخْل به وظيفة مأمور تعمير القلاع الحجازية، دار الوثائق القومية، معية سنية عربي، دفتر ١٩٠٧ قديم، س١/١/٢٤، معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، ٥٤٢/١١٧/ وح ج؛ صبري أحمد العدل، شبه جزيرة سيناء (١٨٦٩-١٩١٧) 'دراسة سياسية، اقتصادية، اجتماعية'، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، بنها، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ٥٩.

٢١٢ يراعى أن والي مصر محمد سعيد باشا زار المدينة المنورة في هذه السنة من ميناء السويس، ثم بحراً إلى ميناء الوجه، ثم براً إلى المدينة المنورة، وربما يكون

ذلك هو السبب في اتخاذه أمراً بذهاب المحمل عن طريق البحر وإلغاء قلاع درب الحاج المصري، عن زيارة محمد سعيد باشا للمدينة انظر: صادق، مشعل المحمل، ٤٨، الرحلات، ١٣٢؛ أحمد زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام من زمن النبي ﷺ إلى وقتنا هذا، ط١، مصر، ١٣٠٥هـ، ٣٢٣-٣٢٤؛ زكي، أعلام الجيش والبحرية في مصر أثناء القرن التاسع عشر (القاهرة، ١٩٤٧)، مج١، ١٦٠، ميرزا، معراج بن نواب - شاووش، عبدالله بن صالح، الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة، ط١، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، ٥٨، ٦١.

٢١٣ معية سنية تركي، دفتر ١٨٩٤ قديم، مسلسل ١١٧، معهد خادم الحرمين الشريفين لأبحاث الحج، رقم ٥٤٧/ ١١٧/ وح ج.

٢١٤ دار المحفوظات، ملفات الخدمة، ملف رقم ١٦٢، عين ٤، دولاب ٧.

٢١٥ محافظ القلعة: وهو المسؤول عن القلعة والكفيل بحفظها وصيانتها، للمزيد انظر: جمعة، العمائر الحربية، ٣٨٨.

٢١٦ يوزباشي: أو بكباشي رئيس البلوك وهو لقب لوظيفة عسكرية في العصر العثماني وتعني رئيس مائة، وعلامته هلال من الفضة مفتوح إلى أعلى ونجمة فضية، وكان يُلقب بلقب أغا، ويساوي نقيب في العصر الحديث، للمزيد انظر: صلاح الدين عمر شكري، العلامات والشعارات بزي القوات المسلحة المصرية في عهد محمد علي باشا الكبير حتى عصر الثورة، ع ٩ (القاهرة، ١٩٧٩)، ٦-٩؛ سليمان، تأصيل، ٢١؛ جمعة، العمائر الحربية، ٣٩٨.

٢١٧ بلوكباشي: رئيس لألف عسكري، وهو رئيس الأورطة، وهو لقب لوظيفة عسكرية في العصر العثماني، وعلامة رتبته هلال من الذهب مفتوح إلى أعلى داخله نجمة من الذهب، وكان يُلقب بلقب أفندي، ويساوي في العصر الحديث مقدم، للمزيد انظر: شكري، العلامات والشعارات، ٦-٩؛ سليمان، تأصيل، ٢١؛ جمعة، العمائر الحربية، ٣٩٨.

٢١٨ بندق بشطفة: هذا النوع من البنادق تُعرف لدى العامة باسم عرابي، وهي لا تعمل أتوماتيكياً وإنما يتم وضع الذخيرة فيها.

٢١٩ طوبجية: هم العساكر المتخصصين في العمل على المدافع، ويسمون الآن عساكر المدفعية أو المدفعجي نسبة إلى المدفع، أي يعمل على المدفع، وعادة ما يكون لهم حكمدار يسمى حكمدار الطوبجية، وكان رمز عساكر أو جنود الطوبجية عبارة عن هلال بداخله سيفان متقطعان عند نقطة تقاطعهما عجلة مدفع، للمزيد انظر: مؤلف مجهول، مُلخص فن الطوبجية، مخطوط بمكتبة المتحف الحربي، القاهرة، مؤرخ في سنة ١٨٤٩م، ١؛ أحمد بك عبيد، قانون نامة القلاع والحصون والقشلاقات العسكرية، كتاب مؤرخ بسنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م، ٤٠-٤٦؛ شكري، العلامات والشعارات، ٩؛ جمعة، العمائر الحربية، ٤٠٠.

٢٢٠ صادق، مشعل المحمل، ٩؛ دليل الحج، ١٠؛ الرحلات، ٧٨، ٢٦٧.

٢٢١ نظارة المالية، ميزانية الحكومة المصرية سنة ١٨٨٠م، المطبعة الأميرية (بولاق، ١٨٧٩م)، ١١٥، ميزانية الحكومة المصرية سنة ١٨٨١م، المطبعة الأميرية (بولاق، ١٨٨٠م)، ١١١، ميزانية الحكومة المصرية سنة ١٨٨٣م، المطبعة الأميرية (بولاق، ١٨٨٢م)، ١١٩، ميزانية الحكومة المصرية سنة ١٨٨٤م، المطبعة الأميرية (بولاق، ١٨٨٣م)، ٦٢، العدل، شبه جزيرة سيناء، ٦٠.

٢٢٢ نظارة المالية، ميزانية الحكومة المصرية سنة ١٨٨٠م، المطبعة الأميرية (بولاق، ١٨٧٩)، ١١٥، وسنة ١٨٨٤م، المطبعة الأميرية (بولاق، ١٨٨٣)، ٦٢؛ العدل، شبه جزيرة سيناء، ٦١.

٢٢٣ وارد تحريرات محافظة العريش، سجل ٤١، ٨٦ وارد من الرَوزنَامة، وثائق أرقام ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧ بتاريخ ٢٥ ذو الحجة ١٣٠١هـ/ ١٧ أكتوبر ١٨٨٤م.

٢٢٤ التياها: قبيلة من قبائل شبه جزيرة سيناء، وتوجد الآن بوسط سيناء مركز مدينة الحسنة بعين القديرات، وبمركز مدينة نخل وتوابعها، وهضبة العجمة، للمزيد انظر: مباشر-توفيق، سيناء، ٢٢-٢٣، شقير، تاريخ سيناء، ١١٥؛ محمد سليمان الطيب الأنصاري، موسوعة القبائل العربية، ط١ (القاهرة، ١٩٩٦)، ٥٦٥؛ الأحيوي، التياها نسبهم وفروعهم، مجلة العرب، س٣١، ج ٣-٤ (الرياض، رمضان - شوال ١٤١٦هـ/ فبراير- مارس ١٩٩٦م)، ٢٢٤-٢٤١.

٢٢٥ شقير، تاريخ سيناء، ٥٦٣.

٢٢٦ نظارة المالية، ميزانية الحكومة المصرية سنة ١٨٨٣م (بولاق، ١٨٨٢)، ١١٩، وميزانية الحكومة المصرية سنة ١٨٨٤م (بولاق، ١٨٨٣)، ٦٢.

٢٢٧ شقير، تاريخ سيناء، ٥٦٣.

٢٢٨ هذه الوثيقة تم الإطلاع عليها وتصويرها طرف الشيخ صباح حسن عُبيد عبدالله عبدالغني مصطفى شيخ النخلاوية بمدينة نَخْل.

٢٢٩ شقير، تاريخ سيناء، ٥٦٣.

٢٣٠ نظارة المالية، ميزانية الحكومة المصرية سنة ١٨٩٠م (بولاق، ١٨٨٩)، ٢٣٠، وميزانية الحكومة المصرية سنة ١٨٩١م (بولاق، ١٨٩٠)، ٢٢٨.

٢٣١ هذه الوثيقة ضمن مجموعة خاصة من الوثائق لدى أسرة المُويلحي في مدينة المُويلح بالمملكة العربية السعودية، عن هذه الوثيقة انظر: عُجيمي، قلاع الأزْنم والوجه وضبا، ٣١٨-٣١٩، وتم نشر صورة الوثيقة ٣٢٠.

٢٣٢ شقير، تاريخ سيناء، ٥٦٣.

٢٣٣ نظارة المالية، ميزانية الحكومة المصرية سنة١٨٩٣م، ٢٢٣.

٢٣٤ نظارة المالية، ميزانية الحكومة المصرية سنة ١٩٠٢م (بولاق، ١٩٠١)، ٢٢٤.

٢٣٥ نظارة المالية، ميزانية الحكومة المصرية سنة ١٩٠٨م (بولاق، ١٩٠٧)، ١٥٦؛ شقير، تاريخ سيناء، ٢٨٧، ٥٦٧-٥٦٩؛ العدل، شبه جزيرة سيناء، ٦٨.

٢٣٦ القائمقام: هو وكيل الباشا أو الكتخدا في العصر العثماني، وهو المنصب الذي يلي الباشا، فهو كتخدا الباشا أي وكيله، وهو كتخدا أحد الوجاقات مثل كتخدا عزبان وكيل الفرقة العسكرية التي تسمى عزبان، وهو ينوب عن الميرالاي أي القائد أو العميد، وعلامة رتبته هلال من الذهب ونجمة من الذهب مرصعة بالماس، وهو يساوي رتبة العقيد في الجيش المصري في العصر الحديث، انظر: سليمان، تأصيل، ٣٦-٣٧، ١٩٤-١٩٥؛ جمعة، العمائر الحربية، ٣٩٧.

٢٣٧ عمار، المدخل، ٥٩.

Jarvis, *Yesterday and Today in Sinai*, 204.

٢٣٨ وارد تحريرات محافظة العريش، ١٢، وارد من الرَوزنَامة، وثيقة ٦٠٢، بتاريخ غاية جمادى الآخر ١٣٠٠هـ/ ٧ مايو ١٨٨٣م.

٢٣٩ مبارك باشا، الخطط، ج ٩، ٢٥؛ شقير، تاريخ سيناء، ٢٦٠، فرج، منطقة قنال السُوَيْس (القاهرة، د. ت)، ج ٢، ، ٤٤-٤٥؛ الجوهري، مشاهدات في الصحراء، ٨٦، ٩٨؛ لوحة (٢) من ملاحق البحث.

Jarvis, *Desert and Delta* (London, 1938), 302; Jomier, *La Mahmal et la caravane*, 185; Tamari, *Darb Al-Hajj*, 482.

٢٤٠ النابلسي، الحقيقة، ٣٠٢؛ حلمي، المحمل، ١٣٦.

٢٤١ صادق، مشعل المحمل، ٩؛ دليل الحج، ١٠؛ الرحلات، ٧٩، ٢٦٧.

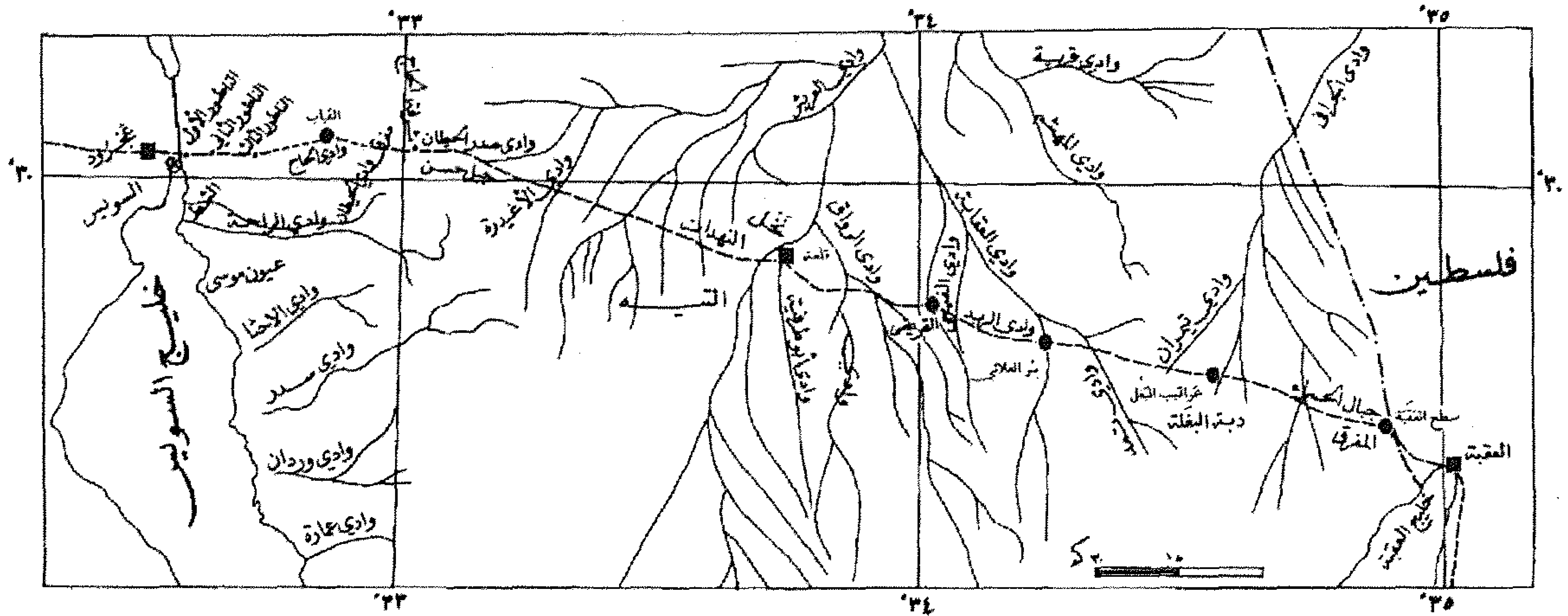
٢٤٢ شقير، تاريخ سيناء، ١٥٤، وانظر لوحة (٥١) من ملاحق البحث.

٢٤٣ جربجي: تركية من الأصل الفارسي، وهو ضابط أنكشاري يعادل اليوزباشي، وكان يشرف على مراجل المرق، انظر: سليمان، تأصيل، ٦٦.

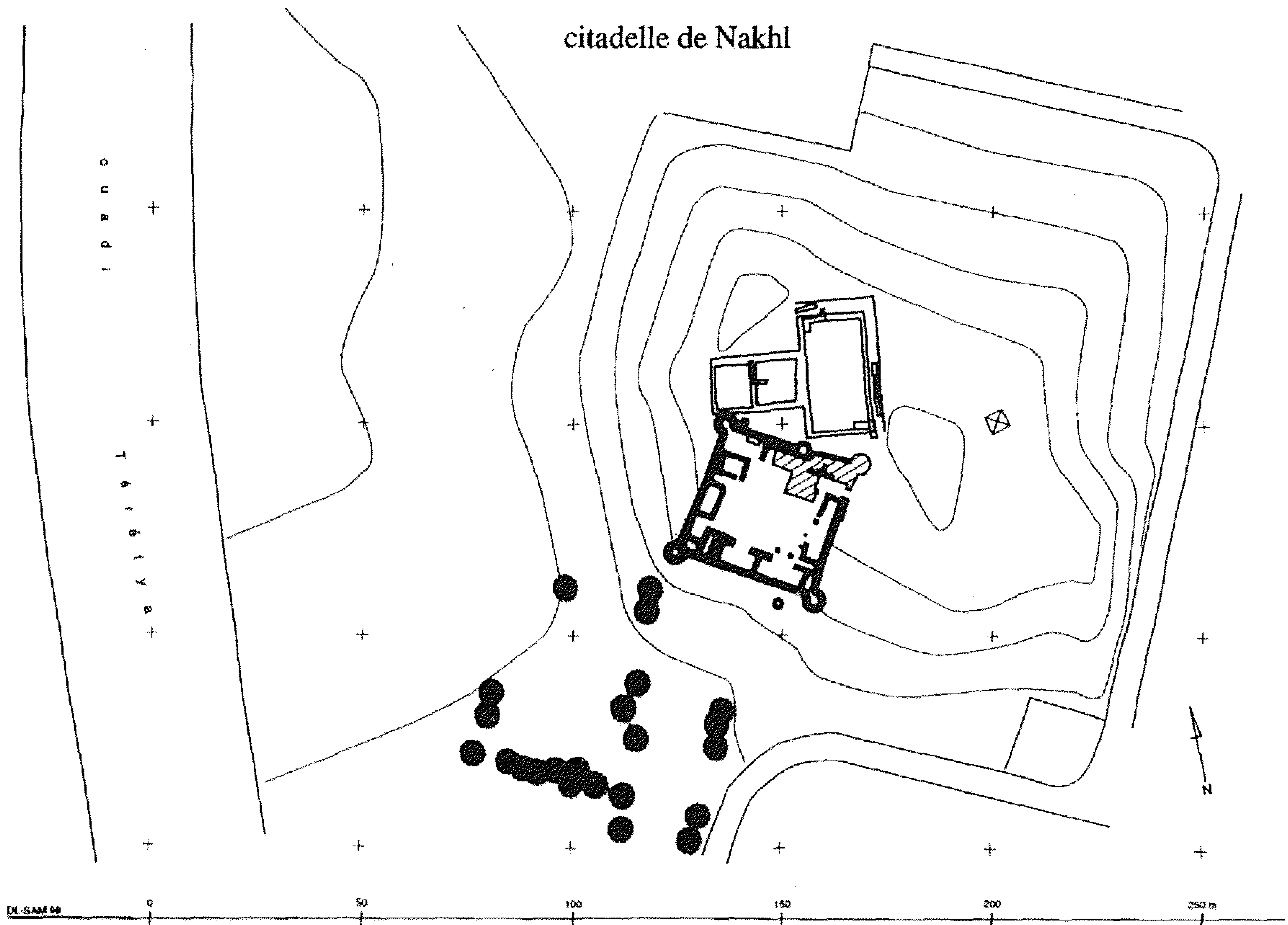
٢٤٤ باشي: الباش من التركيا يعني الرأس، وتستعمل بمعنى الرئيس وذلك قبل الصنعة أو الوظيفة، انظر: سليمان، تأصيل، ٣٦.

٢٤٥ أخطا شقير في قراءة هذا التاريخ فقرأه سنة ١١٤٨هـ/ ١٧٣٥م، انظر: شقير، تاريخ سيناء، ١٥٤، لوحة (٥٢) من ملاحق البحث.

٢٤٦ المقريزي، السلوك، ج ٢، ق٢، ٣٦٤؛ ابن تغرى بردى، النجوم، ج ٩، ٣٠٠؛ ابن إياس، بدائع الزهور، ج ١، ق١، ٤٦٤، ٤٦٧؛ شقير، تاريخ سيناء، ١٥٣-١٥٤.

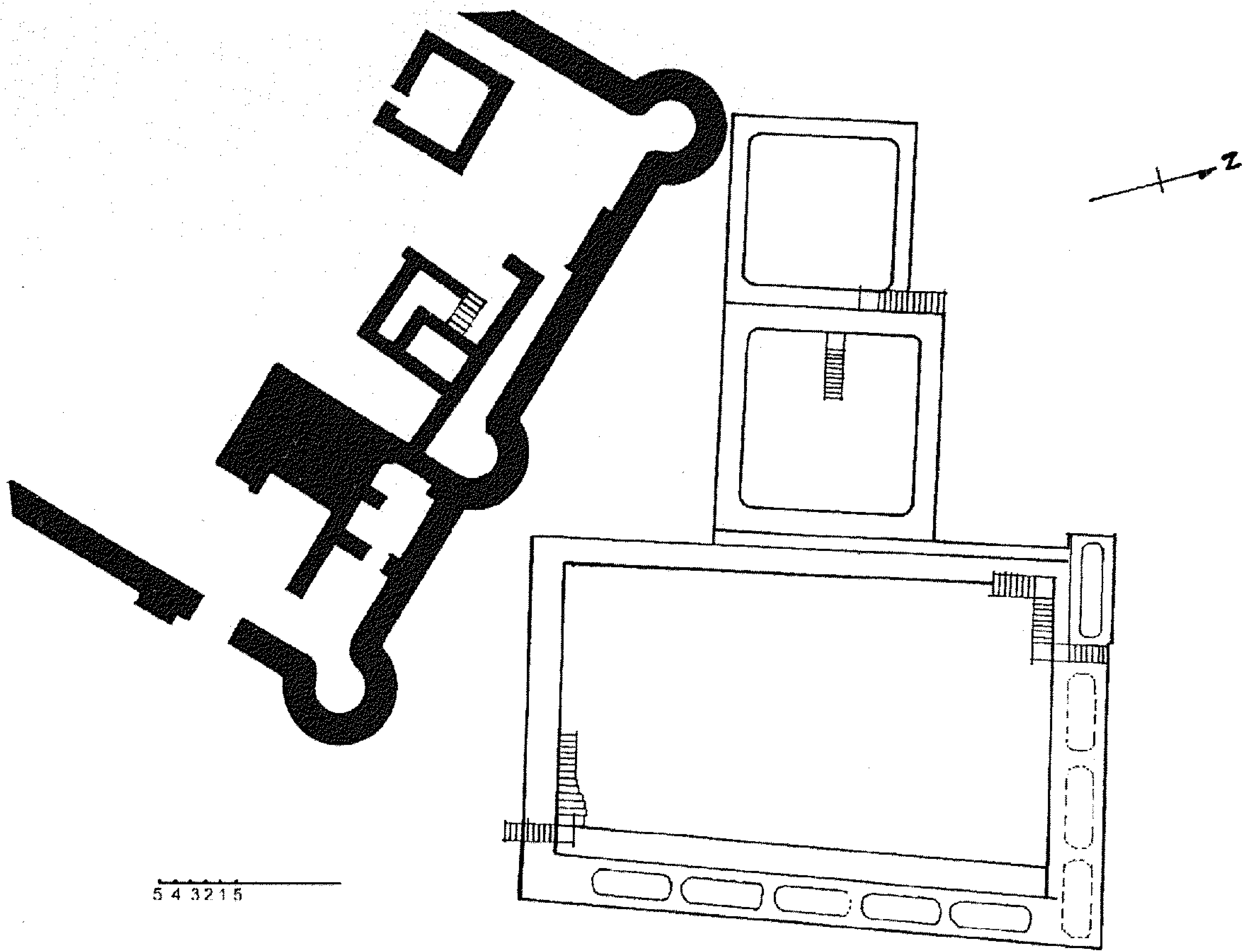


شكل ١. خارطة درب الحاج المصرى فى سيناء ما بين عجرود فى الغرب والعقبة فى الشرق موقع عليه قلعة نخل. أصل الخارطة عن: شقير، تاريخ سيناء بكر؛ دروب الحجيج، ص ١٠٩.

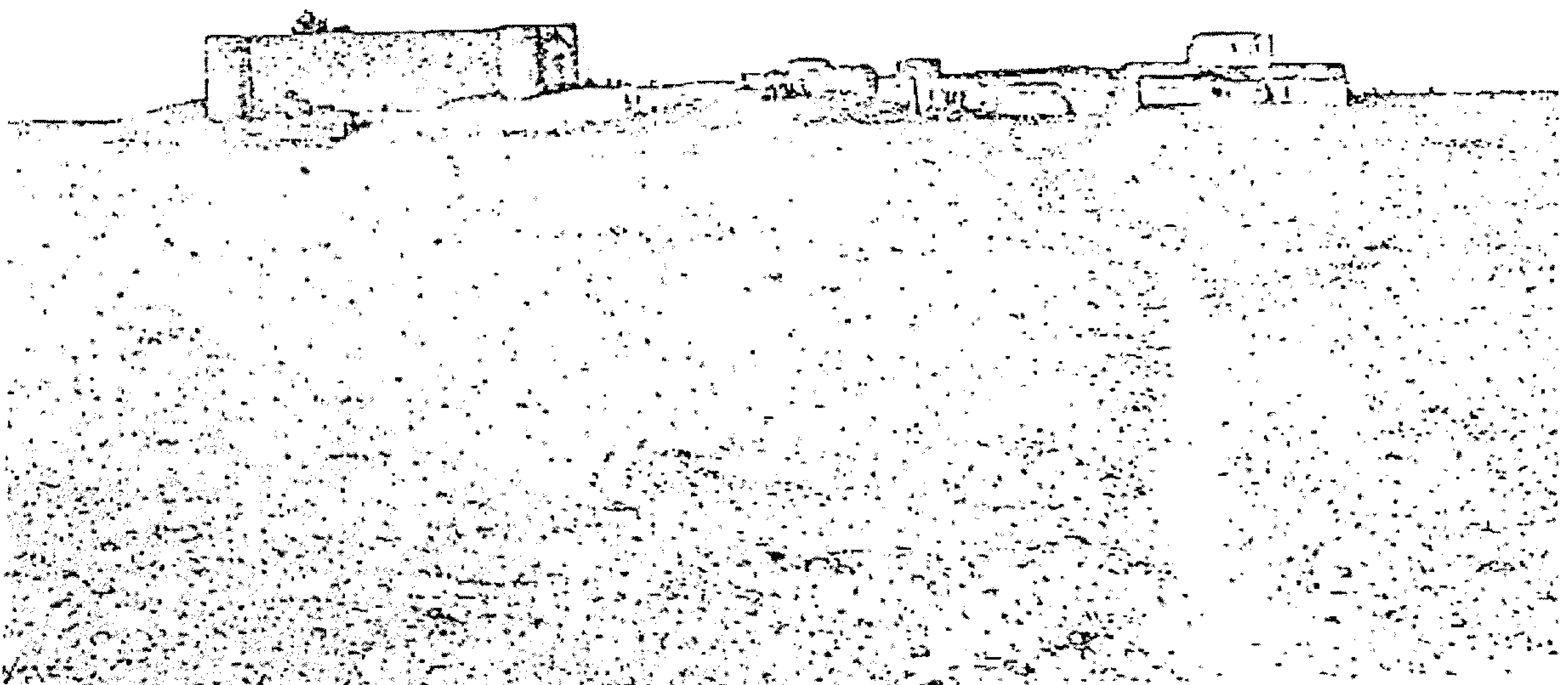


شكل ٢. خارطة مساحية موقع عليها قلعة نَخْل حتى موسم حفائر سنة ١٩٩٨م، قام بالرفع المساحي المهندس دميان لينسي "Damien Laisney" المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية.

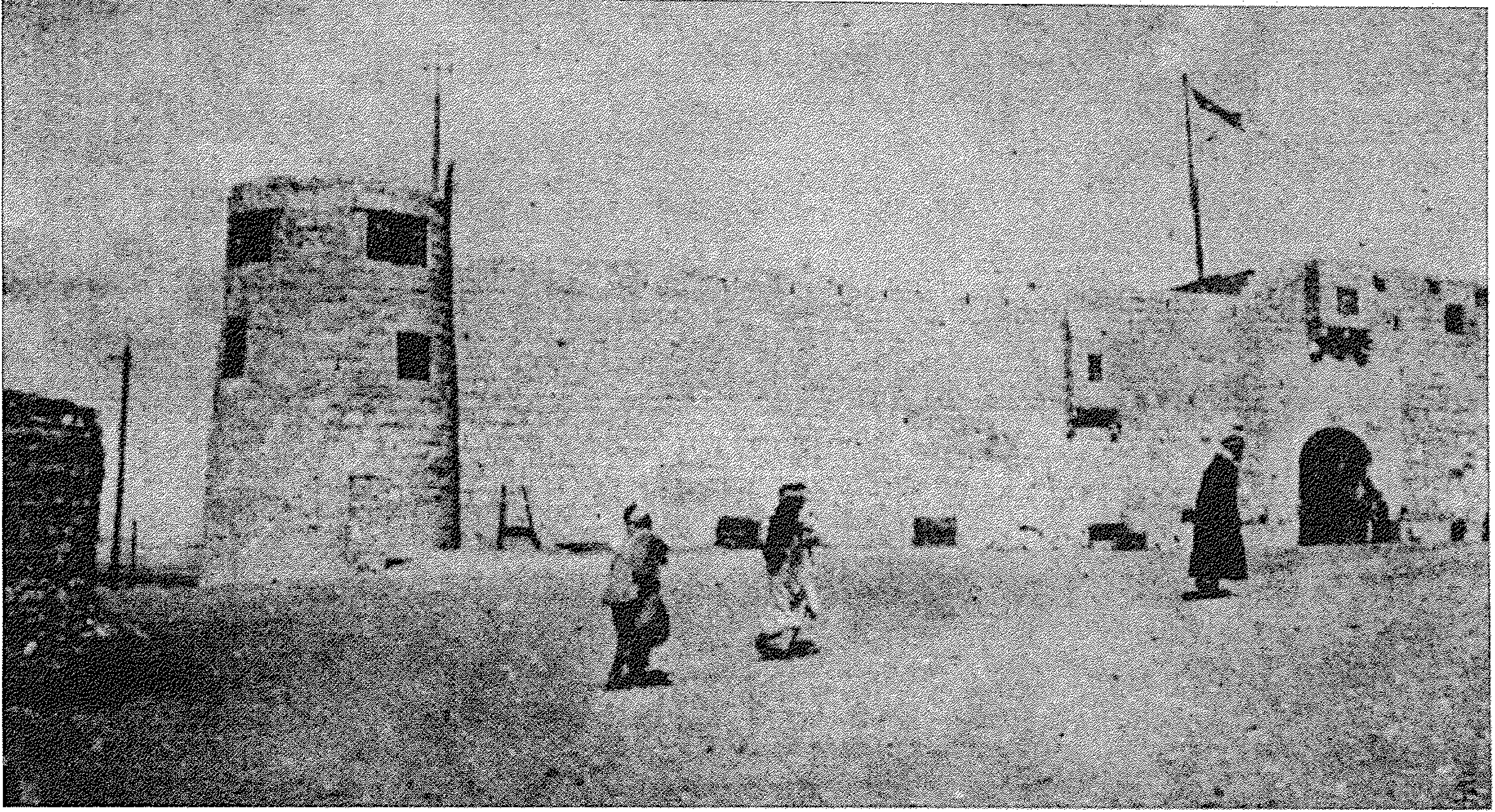
شكل ٣. تخطيط قلعة نَخْل حتى موسم حفائر سنة ٢٠٠٣م، رفع مهندس محمد رشدي بإشراف الباحث تنشر علمياً لأول مرة.



شكل ٤. تخطيط البرك الثلاث الكبيرة بنخل بعد الحفائر الآثارية، رفع مهندس محمد رشدى بإشراف الباحث، وتنشر لأول مرة.



شكل ٥. أقدم رسم لقلعة نخل من رسم الرحالة لاجرانج 'Lagrange' ويرجع إلى سنة ١٣١١هـ/١٨٩٣م، وهو من الناحية الجنوبية للقلعة، عن: Lagrange، Chronique 'Du Sinai à Nahel'، 612



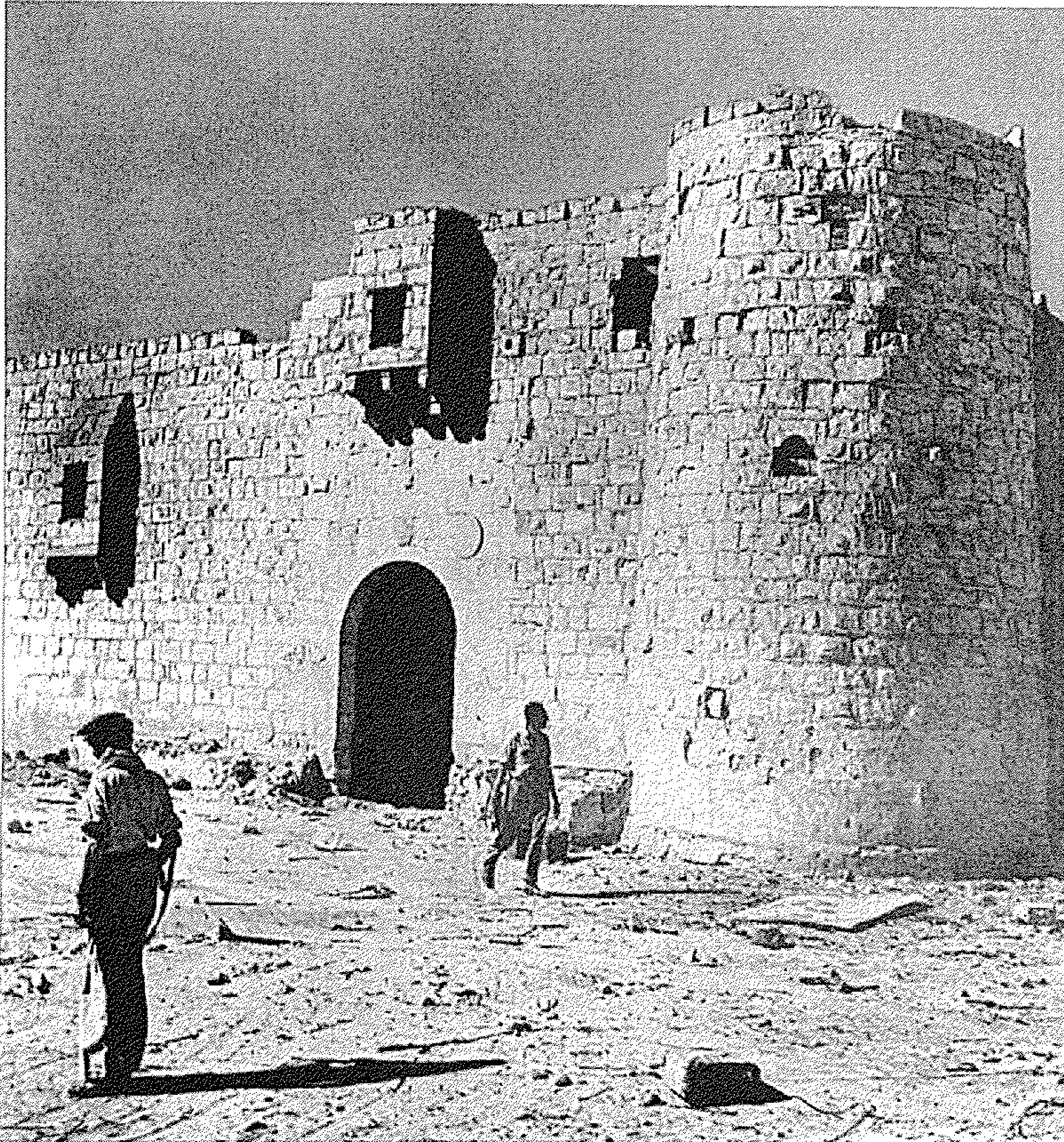
لوحة ١ . قلعة نخل فى سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م، عن: شقير، تاريخ سيناء، ١٣٥.



لوحة ٢. صورة نادرة لقلعة نخل فى سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٦م بعد تدميرها أثناء الحرب العالمية الأولى سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٤م.



لوحة ٣. صورة نادرة لقلعة نخل فى سنة ١٩٥٦م بعد تدمير قسم كبير منها أثناء العدوان الثلاثى على مصر.



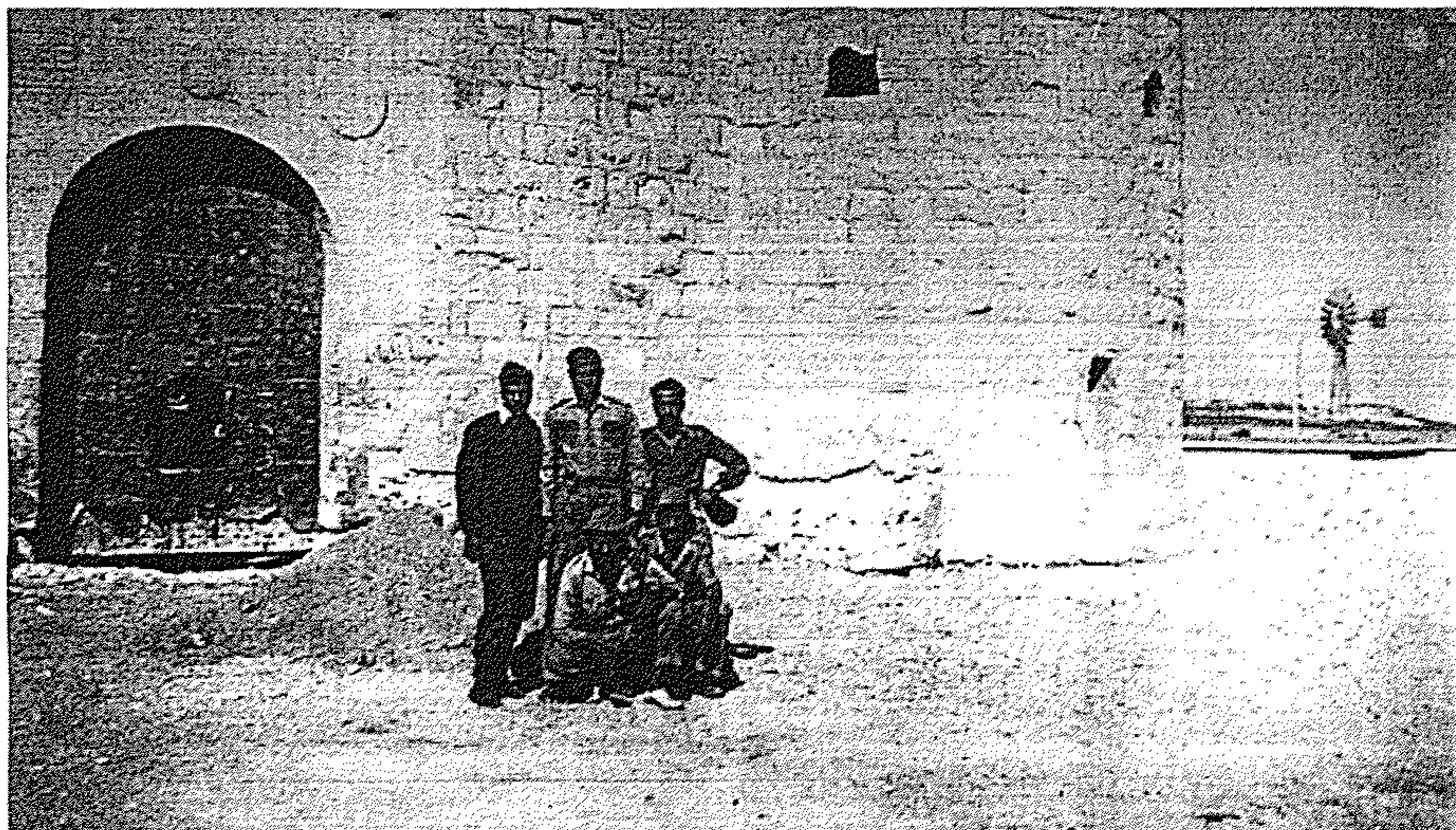
لوحة ٤. صورة نادرة لقلعة نخل فى سنة ١٩٥٦م بعد تدمير قسم كبير منها أثناء العدوان الثلاثى على مصر ويلاحظ أن الركن الشرقي منها لايزال بحالة جيدة.



لوحة ٧. قلعة نخل بعد الحفائر من الناحية الجنوبية الشرقية الرئيسية.



لوحة ٨. قلعة نخل بعد الحفائر من الناحية الجنوبية بعد الحفائر الآثارية، تصوير المهندس المعمارى جابى توما.



لوحة ٩. صورة نادرة لبوابة قلعة نخل والبرج الشرقى سنة ١٩٥٦، وهى من مجموعة الباحث الخاصة.



لوحة ١٠. بوابة ودهليز مدخل قلعة نخل قبيل الحفائر الآثارية.



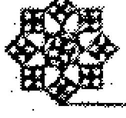
لوحة ١١. بوابة ودهليز مدخل قلعة نخل بعد الحفائر الآثارية.



لوحة ٥. صورة نادرة لقلعة نخل أثناء أعمال الترميم بعد تدميرها سنة ١٩٥٦م، وهى من مجموعة الباحث الخاصة.



لوحة ٦. قلعة نخل من الناحية الجنوبية بعد تدميرها وقبيل إجراء الحفائر الآثارية بها سنة ١٩٩٣م.





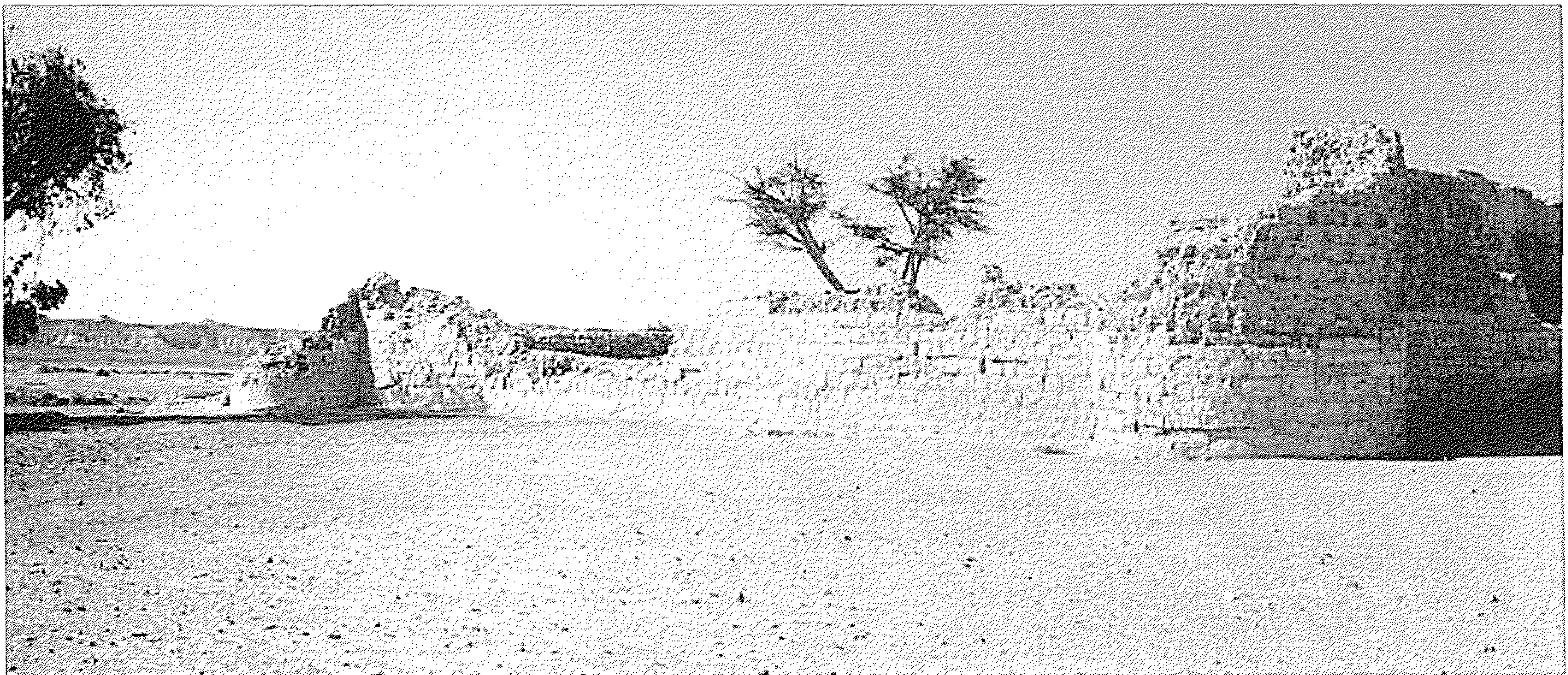
لوحة ١٢. رنك السلطان قانصوه الغورى تم إكتشافه أثناء الحفائر الآثارية بقلعة نخل.



لوحة ١٣. رنك السلطان مراد الثالث وهو مؤرخ فى سنة ٩٨٩هـ/١٥٨٠-١٥٨١م تم إكتشافه أثناء الحفائر الآثارية بقلعة نخل.



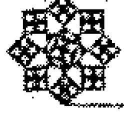
لوحة ١٤. البرج الغربى وجزء من السور الجنوبى الغربى من قلعة نخل قبل الحفائر الآثارية.



لوحة ١٥. قلعة نخل من الناحية الجنوبية حيث البرجين الجنوبى والغربى وبينهما السور بعد الحفائر الآثارية التى قام بها الباحث.



لوحة ١٦ . البرج الجنوبى من قلعة نخل بعد الحفائر الآثارية.

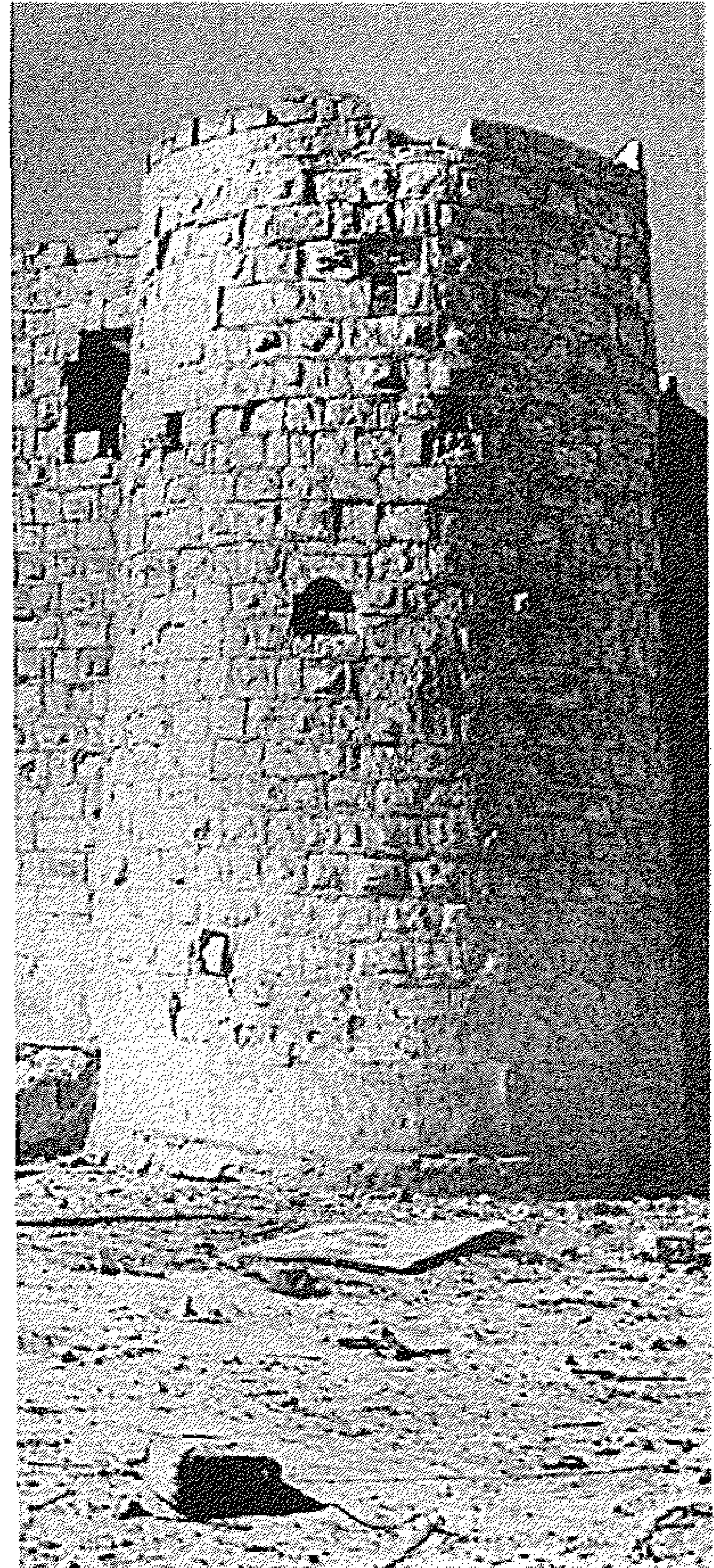




لوحة ١٧. البرجان الشرقى والشمالى الشرقى والسور الشمالى الشرقى من قلعة نخل قبيل الحفائر الآثارية.



لوحة ١٨ أ. شرفة حجرية بالسور الجنوبي الشرقي بالقرب من البوابة الرئيسية قبل تدمير القلعة.





١٨ ب. البرج الشرقى من قلعة نخل قبل التدمير وبقاياه بعد التدمير، وتوجد أساسات بالطوب اللبن قبل تشييد القلعة تم إكتشافها أثناء الحفائر الآثارية.



لوحة ١٩. السور الشمالى الغربى والبرج الشمالى من قلعة نخل قبل الحفائر الآثارية.



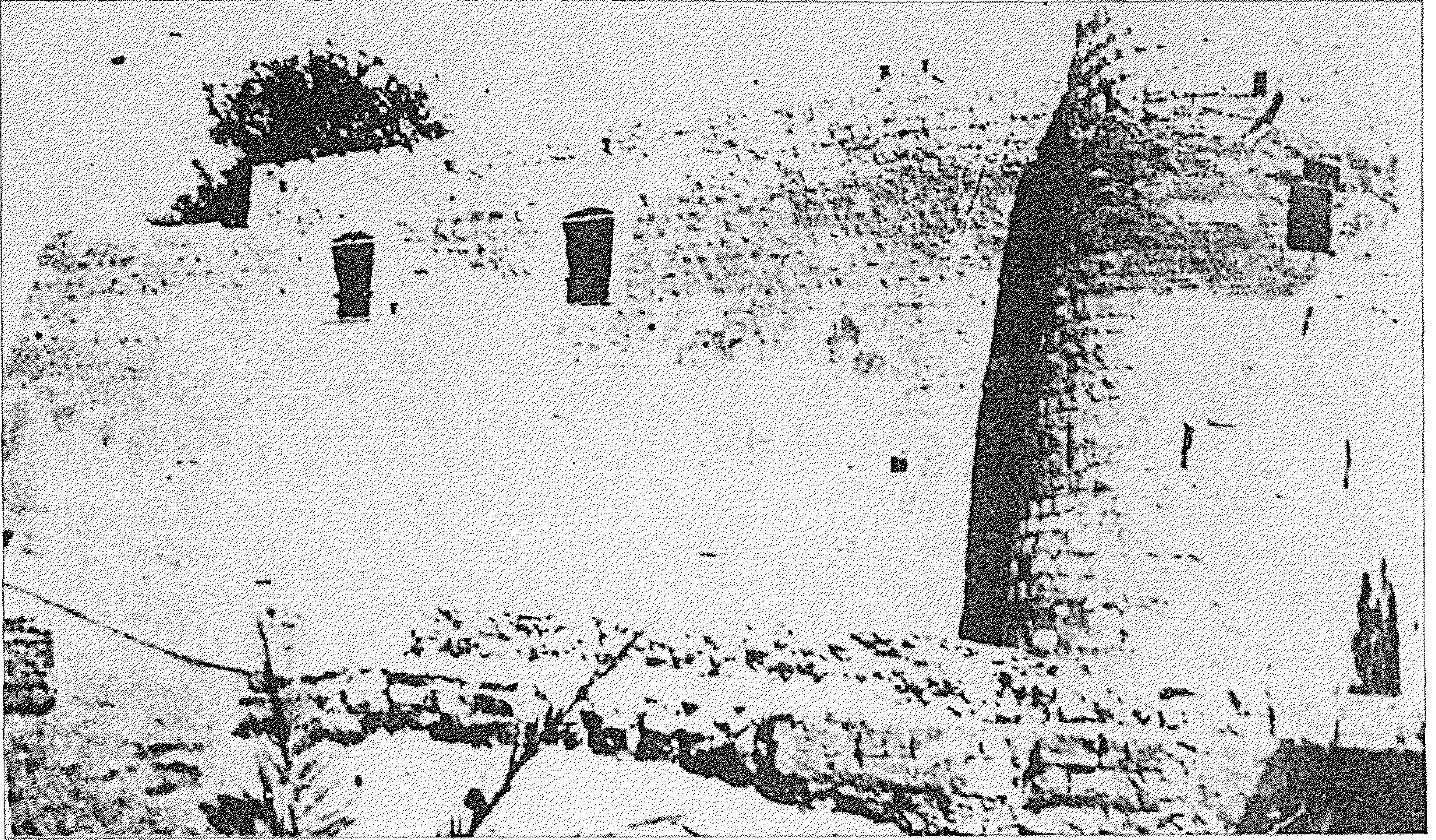
لوحة ٢٠. البرج الشمالى بقلعة نخل من الخارج بعد الحفائر الآثارية.



لوحة ٢١. البرج الشمالى بقلعة نخل من الداخل بعد الحفائر وأعمال النظافة.



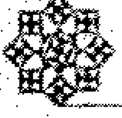
لوحة ٢٢. البرج الشمالى الشرقى بقلعة نخل، وهو برج حراسة برك المياه، وبه ترميم شاذ تم حديثاً.



لوحة ٢٣. صورة نادرة للبرج الغربى والسور الشمالى الغربى من قلعة نخل سنة ١٩٢٦م، ويلاحظ كان عليها تعليق خطأ ينسب بناء القلعة للسلطان العثمانى سليم الأول.



لوحة ٢٤. بقايا السور الشمالى الغربى والبرج الغربى من قلعة نخل قبيل الحفائر الآثارية.




لوحة ٢٥. السور الشمالى الغربى والبرج الغربى من قلعة نخل بعد أعمال الحفائر الآثارية.


لوحة ٢٦. السور الشمالى الغربى وبقايا أساسات برج وبركة وقنوات مياه بعد الحفائر الآثارية بقلعة نخل.



لوحة ٢٧. بقايا أساسات برج بالسور الشمالى الغربى من قلعة نخل والبداية للكشف عن برج قانصوه الغورى بنخل.



لوحه ٢٨. بقايا عنصر معمارى دائرى ربما يكون جزء من البرج الذى خارج السور أو بئر؟ مزيد من الحفائر لتأكيد الهوية.


لوحة ٢٩. الركن الجنوبى والغربى من داخل قلعة نخل قبيل الحفائر الآثارية.


لوحة ٣٠. الركن الجنوبى والغربى من داخل قلعة نخل بعد الحفائر وإزالة الطبقة الأولى من داخل القلعة.



لوحة ٣١. قلعة نخل من الداخل وذلك من الشمال إلى الجنوب بعد الحفائر الآثارية.



لوحة ٣٢. قلعة نخل من الداخل وذلك من الناحية الشمالية بعد رفع الطبقة الأولى من داخل القلعة عن طريق الحفائر الآثارية ويرى أنه لايزال موقع البئر فى مقدم الصورة قبيل عملية إكتشافه.



لوحة ٣٤. الركن الجنوبى من داخل قلعة نخل بعد إجراء الحفائر الآثارية بها.



لوحة ٣٣. الركن الشمالى الشرقى من داخل قلعة نخل قبيل إجراء الحفائر الآثارية بها.



لوحة ٣٥. صورة نادرة لفتحة شباك كانت توجد فى قلعة نخل قبل تدميرها سنة ١٩٥٦م.



لوحة ٣٦. فتحة شباك بالجدار الشمالى الغربى من قلعة نخل تم إكتشافها أثناء الحفائر الآثارية.



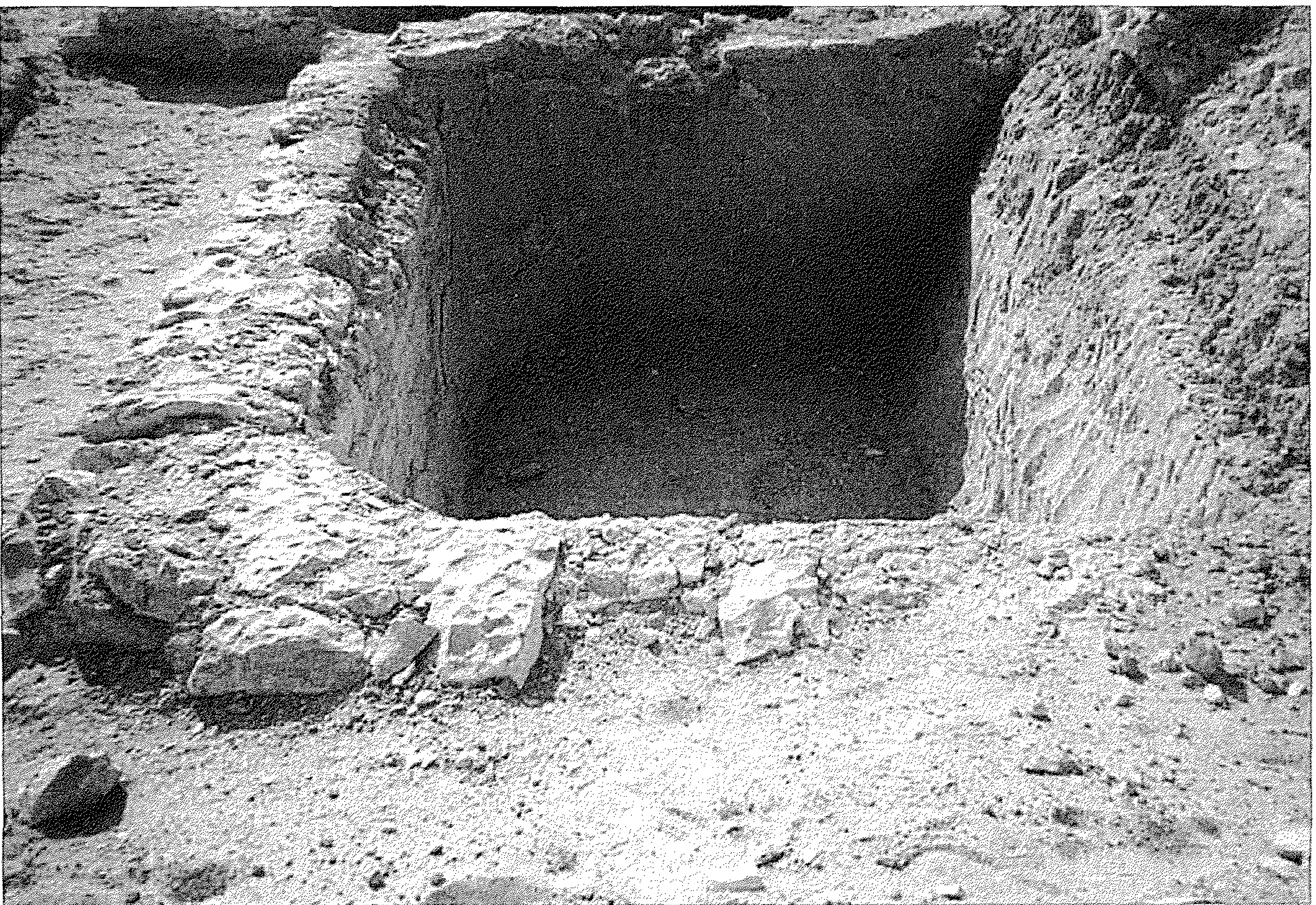
لوحة ٣٧. أحد آبار نخل الآثارية التى تم إكتشافها دخل القلعة ويحتمل أن يكون بئر حسام الدين طرنطاى.



لوحة ٣٨. ربما تكون بركة الأمير سلار وبقية بركة أخرى مملوكية، وهى أقدم البرك التى شُيدت فى نخل تم إكتشافها من خلال الحفائر الآثارية.



لوحة ٣٩. ثلاث برك للمياه فى نخل من بناء الأمير الحاج آل ملك الجوكندار فى عهد الناصر محمد بن قلاون تم اكتشافها من خلال الحفائر الآثارية.



لوحة ٤٠. إحدى برك الأمير الحاج آل ملك الجوكندار فى نخل بعد اكتشافها عن طريق الحفائر الأثارية.


لوحة ٤١. برك نخل وخلفها القلعة من الناحية الشمالية الشرقية، تصوير المهندس المعمارى جابى توما.

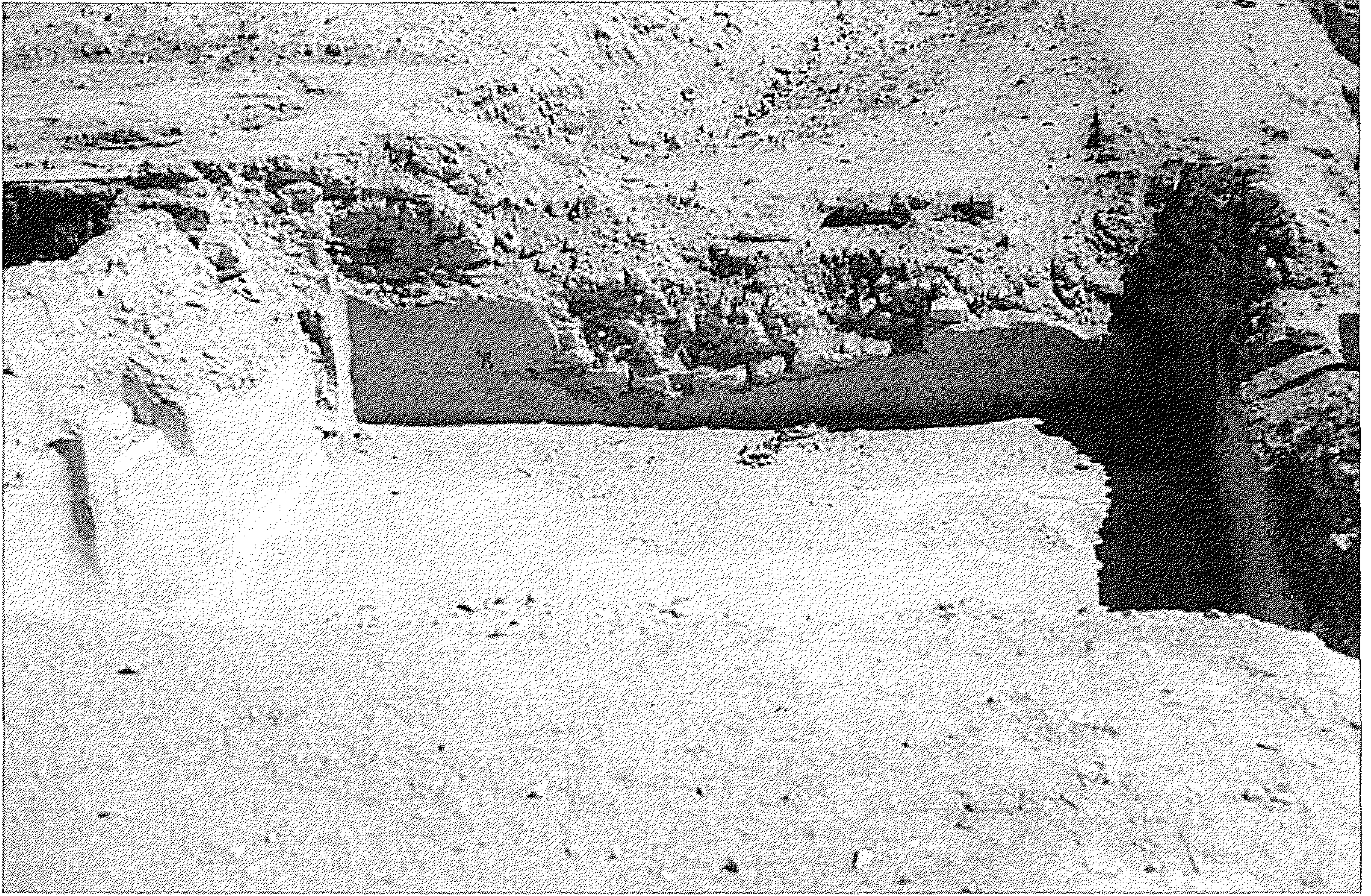

لوحة ٤٢. البركة الأولى الجنوبية الكبيرة فى نخل قبيل الحفائر الآثارية.



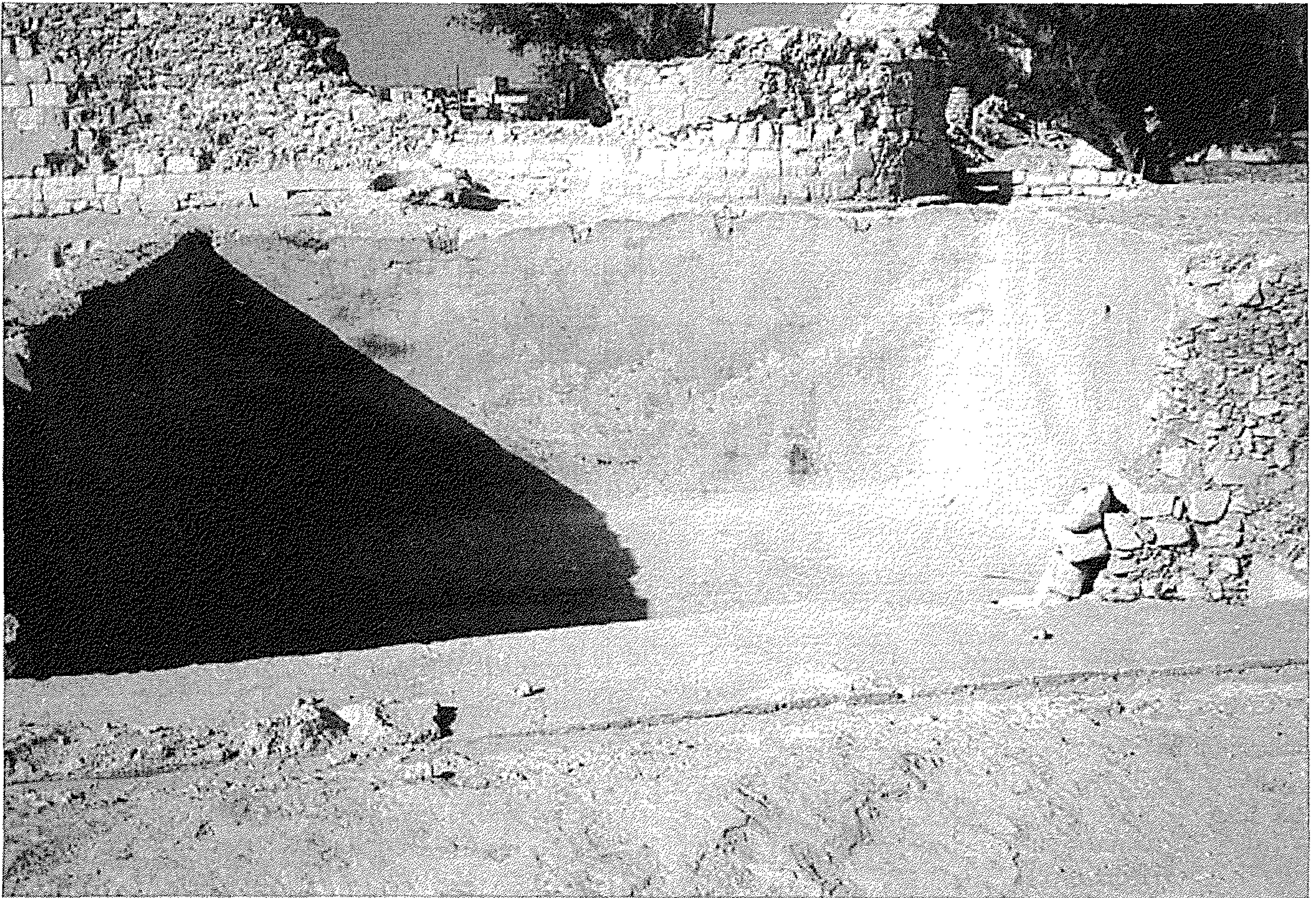
لوحة ٤٣. البركة الأولى الجنوبية الكبيرة فى نخل فى نهاية الحفائر الآثارية بها.



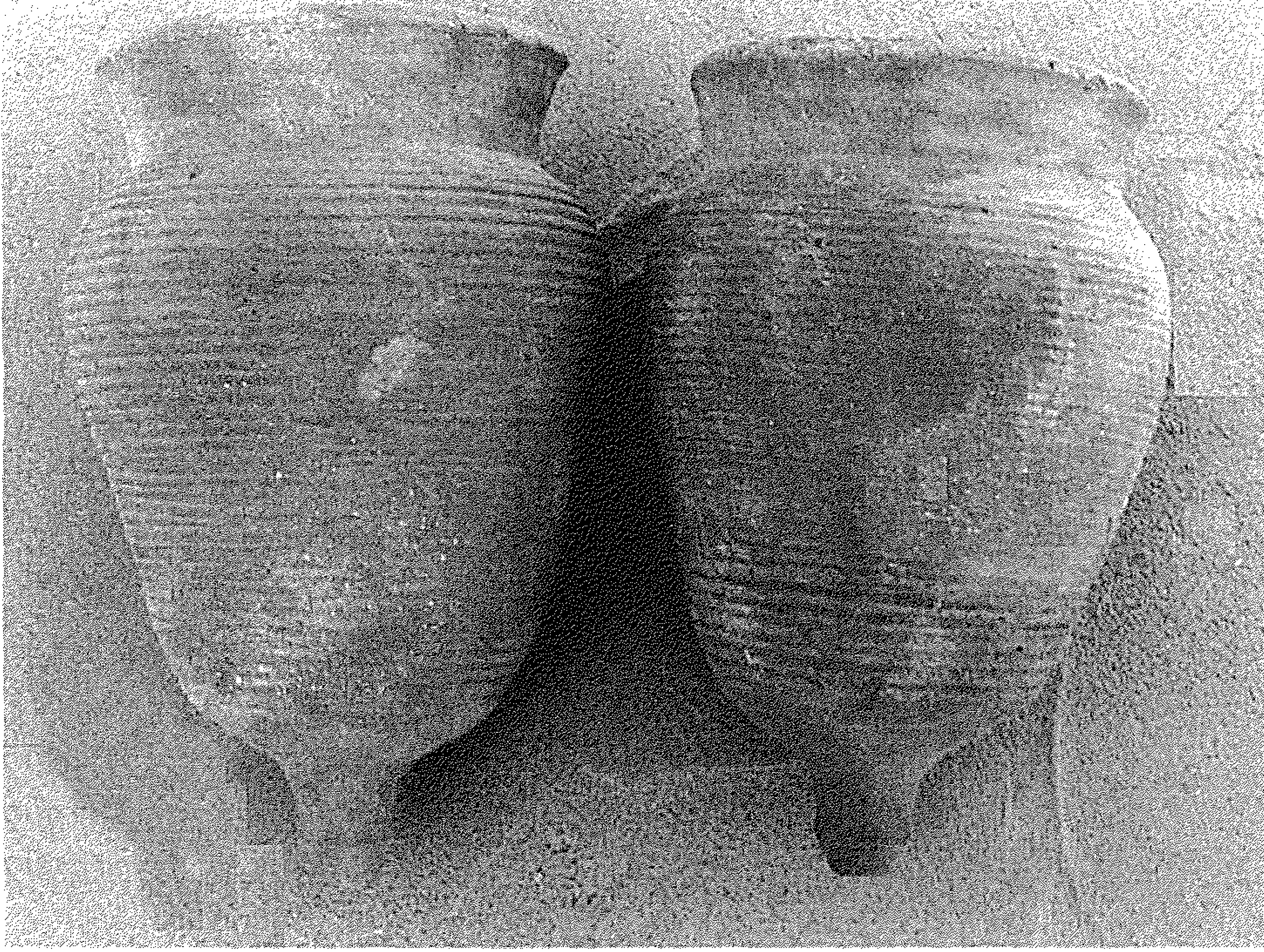
لوحة ٤٤. أحواض الدواب بالجدار الشرقى من
البركة الأولى الجنوبية الكبيرة بقلعة نخل.



لوحة ٤٥. البركة الثانية الوسطى الصغيرة من برك نخل بعد الحفائر الآثارية.



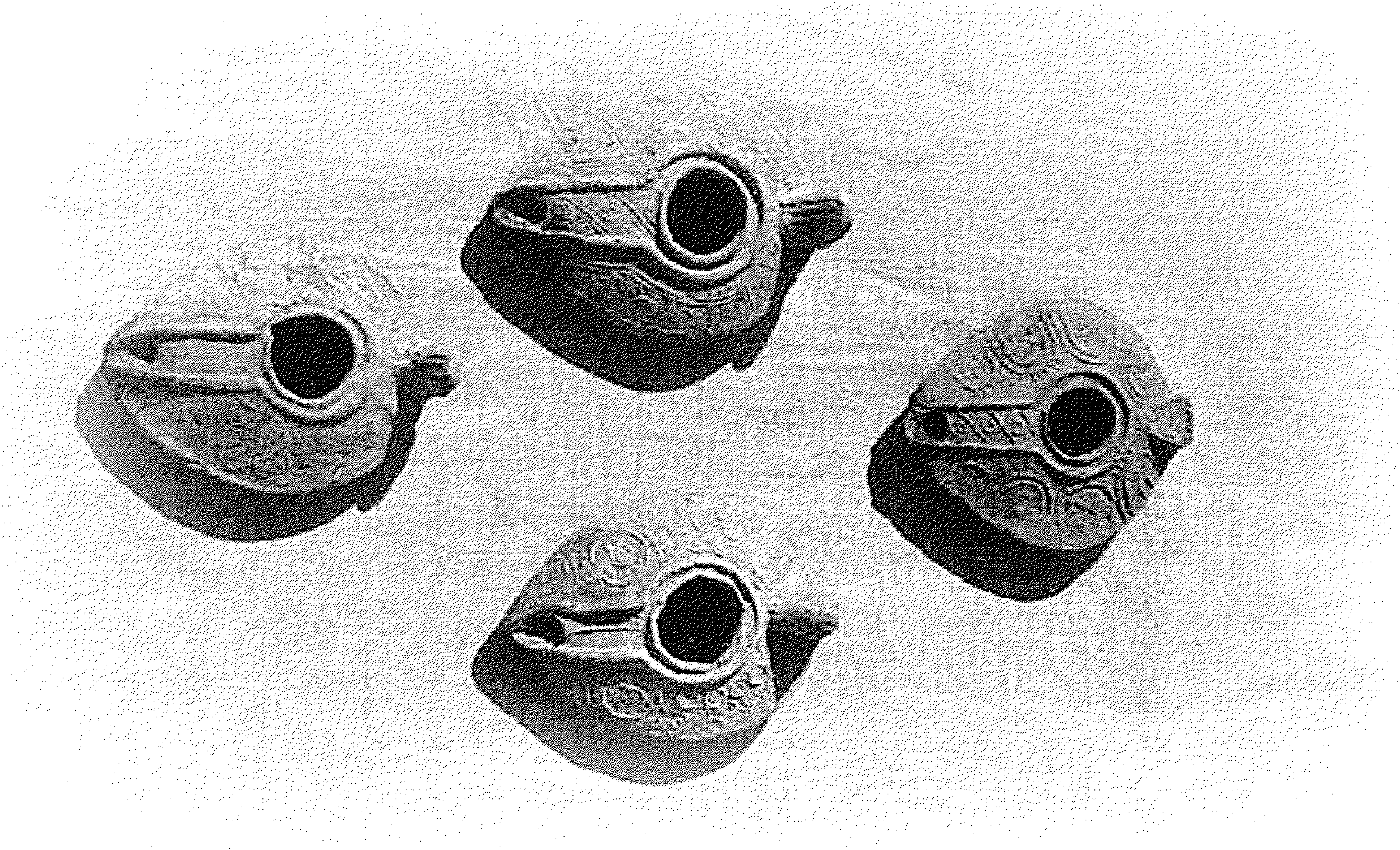
لوحة ٤٦. البركة الثالثة الشمالية من برك نخل بعد الحفائر الآثارية.



لوحة ٤٧. قادوسان من الفخار الأحمر عثر عليهما أثناء الحفائر فى قلعة نخل، وكانت تستخدم فى السواقى لرفع المياه من الآبار.



لوحة ٤٨. فناجين من الخزف الإسلامى عليها توقيعات رمزية أسفل القاعدة من حفائر الباحث.

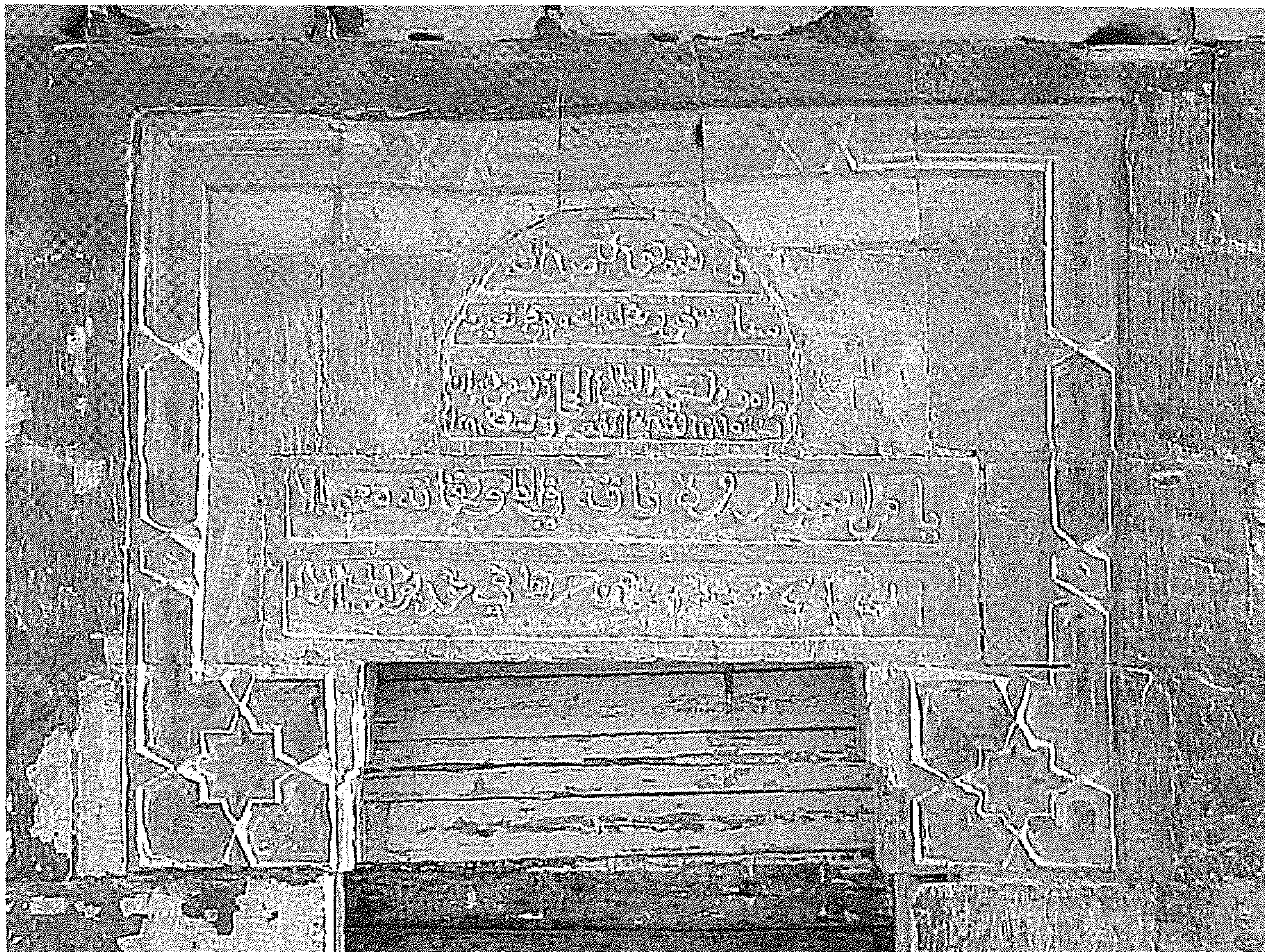


لوحة ٤٩. مسارج فخارية مختلفة الزخارف من حفائر الباحث بقلعة نخل.

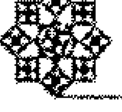




لوحة ٥٠. شبك 'غليون' مجمرته من الفخار والمبسم من الخشب، تم العثور على كميات كبيرة منها فى حفائر الباحث بقلعة نخل.



لوحة ٥١ . النقش التذكارى لمأمور تعمير القلاع الحجازية فى عهد الخديوى إسماعيل بواجهة قبة النخلاوى بنخل.
تصوير المهندس المعمارى جابى تومى.





لوحة ٥٢. نقش شاهدي من نخل مؤرخة
في سنة ١١٣٨هـ/ ١٧٢٥-١٧٢٦م.

متحف الفن الإسلامي بالقاهرة

خالد محمد عزب

تنفرد الفنون الإسلامية عن غيرها من الفنون بأنها ذات طابع عالمي، ويعتبر متحف الفن الإسلامى بالقاهرة خير شاهد حى على هذه العالمية، حيث نرى فى مقتنياته التى ترجع إلى أوائل العصر الإسلامى تأثيرات من فنون أخرى كالفن الساسانى والفن البيزنطى والفن الهلينستى والفن القبطى وهذه الفنون ما لبثت أن استوعبها المسلمون ليعيدوا صياغتها وفق منظور إسلامى ومع هذه الصياغة قدموا لنا العديد من الابتكارات الفنية التى تميز الفنون الإسلامية عن غيرها.

إنشاء المتحف

فى سنة ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م بدأت الحكومة المصرية فى جمع التحف الفنية، التى كانت توجد فى المساجد والمبانى الأثرية، وحفظتها فى الإيوان الشرقى من جامع الحاكم، ثم عرضت هذه التحف فى متحف صغير بنى من أجل ذلك فى صحن الجامع المذكور، وأطلق عليه اسم 'دار الآثار العربية' وهناك كتب المهندس 'هرتس بك' أول دليل لمحتويات المتحف فى سنة ١٨٩٥م، وبقيت التحف فى هذا المكان من جامع الحاكم حتى بنى المبنى الحالى، فى ميدان باب الخلق فنقلت إليه، وكان إفتتاح المتحف الحالى فى ٩ من شوال سنة ١٣٢١هـ/ ٢٨ من ديسمبر سنة ١٩٠٣م.

فى سنة ١٩٥٢م تغير اسم المتحف من 'دار الآثار العربية' إلى 'متحف الفن الإسلامى' لأنه يحوى تحفا فنية صنعت فى البلاد العربية والبلاد الإسلامية مثل إيران وتركيا وبلاد وسط آسيا والهند والأندلس.

يختلف تاريخ صنع هذه التحف بين بداية العصر الإسلامى (أوائل القرن ٧هـ) ونهاية القرن الثالث عشر الهجرى (أواخر القرن التاسع عشر الميلادى).

تكوين مجموعات المتحف

تكونت المجموعات الفنية بالمتحف نتيجة للحفائر التى قام بها المتحف فى المناطق المحيطة بالقاهرة، فقد كشفت عن جزء من مدينة الفسطاط ظهر فيه تخطيط بعض طرقاته وبيوته، كما كشفت عن بيت من العصر الطولونى على جدرانه زخارف جصية جميلة توجد لها نماذج معروضة بالمتحف، وبالقرب من هذا البيت عثر على حمام من العصر الفاطمى جدرانه مزينة بصور بديعة مرسومة بالألوان المائية على الجص.

عادت هذه الحفائر على المتحف بعدد وفير جداً من التحف مختلفة العصور، تمثل أنواع الصناعات الفنية المتنوعة من خزف وزجاج وأخشاب ومنسوجات ومعادن وغير ذلك، مما هو معروض فى قاعات المتحف إلى جانب ما اقتنى من تحف عن طريق الشراء أو الإهداء.



زخارف جدارية من حمام يعود إلى العصر الفاطمي.


نموذج من شبابيك القلل يعود إلى العصر الفاطمي.

هكذا نمت مجموعات متحف الفن الإسلامى نمواً هائلا وسريعاً، حتى أصبح بعض هذه المجموعات لانظير له فى العالم، مثل مجموعات المشكاوات من الزجاج المموه بالمينا والخزف المصرى، وشبابيك القلل، والأخشاب، والمنسوجات، والأحجار ذات الكتابات.

وقد صارت بعض مجموعات المتحف من أغنى المجموعات فى العالم، مثل مجموعات الخزف الإيرانى والتركى، ومجموعة التحف المعدنية بعد أن اشترى المتحف فى سنة ١٩٤٥م المجموعة النفيسة التي كان يملكها المستر (رالف هرارى) ومجموعة السجاجيد التى تضاعفت بعد اقتناء جانب كبير من مجموعة الدكتور على باشا إبراهيم فى سنة ١٩٤٩م.

نستطيع أن نتصور مدى هذا النمو الهائل فى مجموعات المتحف إذا علمنا أن عدد التحف بسجله كان ٧٠٢٨ تحفة فقط عند افتتاح المتحف الحالى، وأن هذا الرقم قد بلغ حوالى ٧٨٠٠٠ تحفة مقيدة فى سنة ١٩٧٨م، وقد بلغت الآن فى ١٩٩٢م ٨٥٠٠٠ تحفة تقريباً.

أبرز مقتنيات المتحف

يضم المتحف مجموعات عديدة من القطع الفنية النادرة أبرزها شاهد قبر من الحجر (رقم ١٥٠٨/٢٠) عليه تاريخ سنة ٣١هـ/ ٦٥٢م، أى بعد الفتح الإسلامى لمصر بأثنى عشر عاماً.

من هذه الكنوز تحفة رائعة تعد من أثمن ممتلكاته، ونقصد بها أبريقاً عثر عليه بمصر ويعرف باسم إبريق مروان بن محمد (سجل رقم ٩٢٨١)، والأبريق من البرونز، ويبلغ ارتفاعه ٤١سم وقطره ٢٨سم، وهو يتألف من بدن منتفخ متكور يرتكز فى أسفله على قاعدة مناسبة، ويخرج من أعلاه رقبة أسطوانية الشكل تنتهى بفوهة مخرمة، وللأبريق مقبض فخم وصنبور جميل، ويتسم الأبريق فى حد ذاته بجلال الشكل وجمال النسب، والتناسق التام بين الأجزاء.


إبريق مروان بن محمد - العصر الأموي.

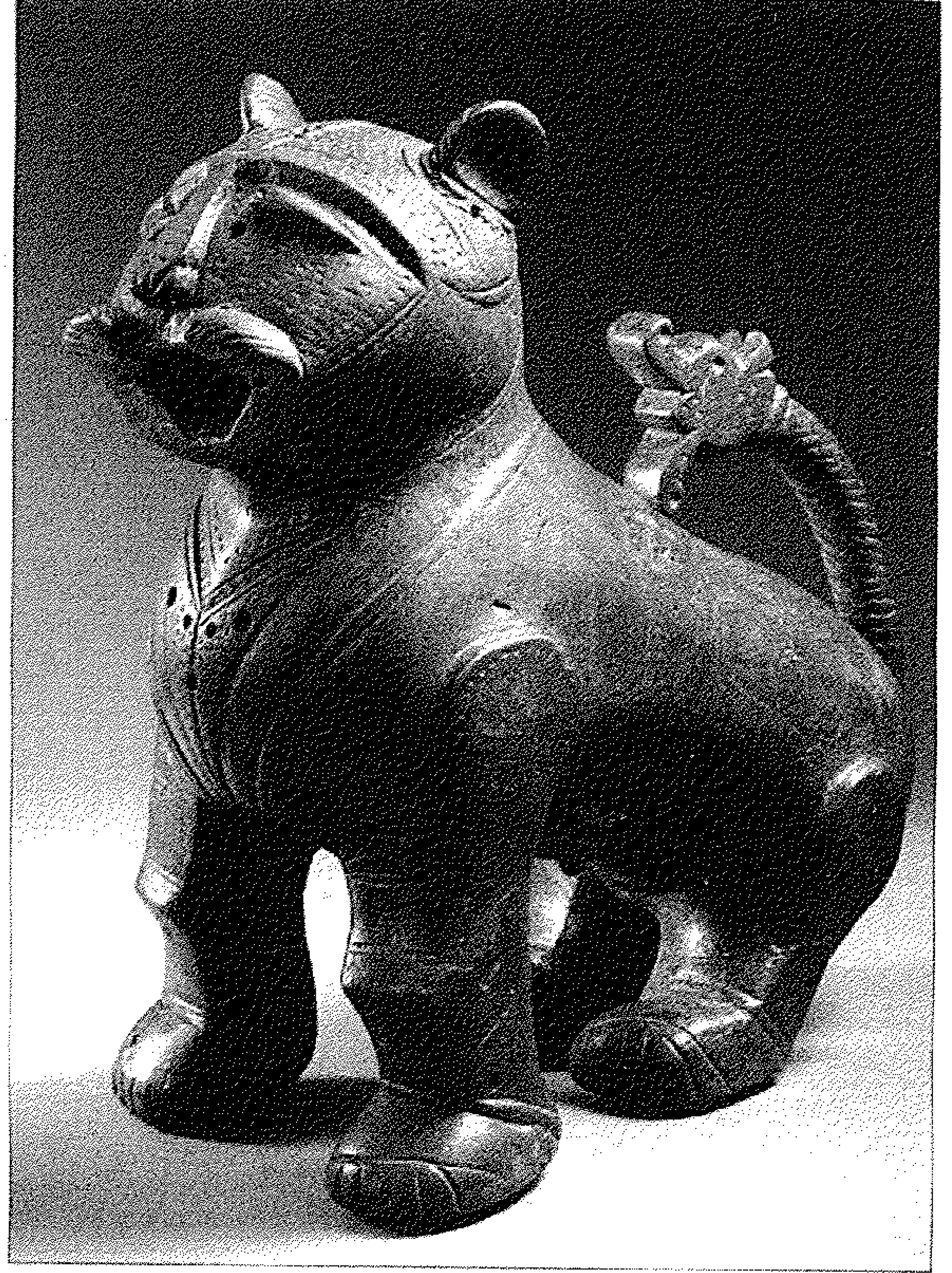
المعادن الفاطمية

يوجد بالمتحف عدد كبير من التحف المعدنية الفاطمية ومنها قطع من الحلى أبرزها خاتم من الذهب خال من الزخارف، يزينه فى موضع الفص معين عليه ثلاثة أسطر من كتابة كوفية نصها (حسبى الله كفا) وتعلو الكتابة نجمة مسدسة، وفى أسفلها رسم على شكل رقم ٨.

وبالمتحف أيضا خاتم من الذهب تغطيه زخارف نباتية مورقة من أسلاك من الذهب بزخارف الأرابيسك، وفى باطن الخاتم رسم زهرة مفرغة ذات خمس وريقات.

ويحتفظ المتحف بمشبك صدر أو دلاية فى هيئة هلال، وجهه مزخرف بزوج من الطيور متقابلين، صيغا من المينا المحجزة الملونة على


مبخرة من النحاس المكفت بالفضة من مجموعة هراري تعود إلى العصر المملوكي.



تمثال معدني عبارة عن أسد رابض يعود إلى العصر الفاطمي.

خلفية من زخارف نباتية مورقة من أسلاك متشابكة ويحيط بكلا الجانبين مساحة ذات سطح محبب وطرف المشبك مزين بتعاريج ذات زخارف محببة.

نشاهد ظبياً فى قاعة الفنون الفاطمية وهو عبارة عن تمثال مصبوب من البرونز، طويل الأذنين، تبدو على رأسه بقايا قرنين مبتورين، وعلى جبهته وكل من خديه جامة مستديرة تضم ورقة نباتية. أما جسمه فتغطيه أفرع نباتية



تمثال من البرونز عبارة عن ظبي يعود إلى العصر الفاطمي.

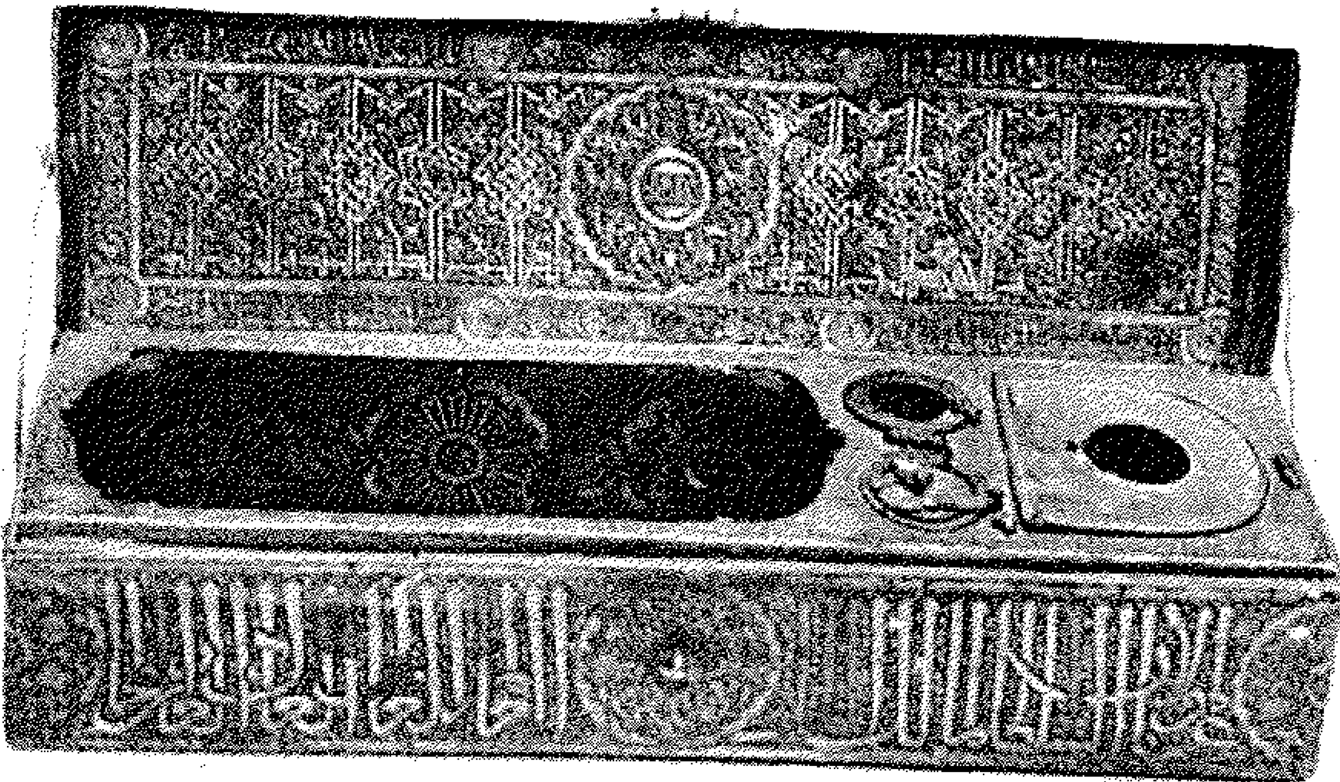
محفورة، تضم ما يشبه ثمار الرمان، وعلى الجزء الأعلى من ساقى الظبى الأماميتين زخرفة على شكل لوزة بداخلها شجرة مورقة.

المعادن المملوكية

كان الإقبال على المنتجات المعدنية كبيراً فى عصر المماليك، وقد وصلت إلينا من هذا العصر ثريات لإضاءة المساجد أبرزها بالمتحف ثريا من البرونز مثمنة الأضلاع تتألف من ثلاث طبقات يتصل بكل منها حامل قناديل متعددة ويعلوها شكل قبة تحمل حلية كروية، والطبقتان العليا والسفلى تزينهما أطباق نجمية بزخارف مفرغة، وعلى الطبقة الوسطى كتابة محفورة بين شريطين ضيقين من الزخارف النباتية المفرغة والمصابيح نفسها محمولة على أربعة درابزينات بارزة أو حاملات قناديل تفصل بين كل طبقة وأخرى. وللثريا ثمانية أرجل يمكن أن تقف عليها يفصل بينها عقود سداسية الفصوص والكتابة على الثريا باسم السلطان حسن حيث جلبت من مدرسته المنشأة فى سنة ٧٦٤هـ ١٣٦٢م-١٣٦٣م.

ثريا تعود إلى العصر المملوكي.

معروض بالمتحف مقلمة فخمة الزخارف مكفتة بالذهب والفضة مزخرفة الداخل والخارج، يحمل خارج الغطاء نقشاً بخط الثلث يتضمن اسم السلطان المنصور محمد المتوفى ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م.



مقلمة من النحاس المكفت بالذهب والفضة تنسب إلى المنصور محمد - العصر المملوكي.

ومن التحف المملوكية المعروضة شمعدان أوقفه السلطان قايتباى على الحجرة النبوية بتاريخ ٨٨٧هـ/ ١٤٨٨م حروف كتابته فى هيئة ألسنة اللهيب وهى متقاطعة فى القمة ويحتفظ المتحف بالعديد من التحف المعدنية التى صنعت فى الموصل وإيران واليمن وغيرها من بلاد العالم الإسلامى.



إبريق من النحاس المكفت بالذهب والفضة يعود إلى العصر المملوكي.



رقبة شمعدان من النحاس المكفت بالذهب والفضة صنع للسلطان زين الدين كتبغا -العصر المملوكى.



شمعدان من النحاس المكفت بالفضة عمل محمد بن حسن الموصلي - العصر المملوكي.

الخزف

شهد العالم الإسلامي إزدهاراً في صناعة الخزف منذ وقت مبكر فاشتهر العراق بالخزف ذي الزخارف البارزة بالضغط ثم الخزف العباسي ذي البريق المعدني، ومن نماذج هذا النوع من الخزف العراقي بالمتحف صحن يجمع بين العناصر الزخرفية المختلفة المألوفة في الخزف ذي البريق المعدني بسامراء مثل الوريقات المحورة والأشكال المخروطية ذات المناطق الممتلئة بالتسهيم ومن الدوائر البيضاء ذات النقط، والصحن يرجع للقرن الثالث الهجري/ التاسع-العاشر الميلادي ورقمه في سجل المتحف ١٦٠٠٠.

بالمتحف نماذج من الخزف ذي البريق المعدني الإيراني منها صحن عليه كتابة بالخط الكوفي تقرأ (يمن لصحابه) ورقمه في سجل المتحف ١٥٩٧٢. وهو يرجع لنفس الفترة السابقة. ويضم المتحف عدداً من الصحون الأندلسية وهي من الخزف ذي البريق المعدني أيضاً.



طبق من الخزف المزجج يعود إلى العصر المملوكي

عبر قاعات المتحف نرى أنواعاً مختلفة من الخزف الإيراني مثل خزف اللقبي وجبري وتقليد البورسلين الصيني الإيرني، ونرى كذلك تطور صناعة الخزف في مصر وبلاد الشام من خلال القطع المعروضة، فنرى الفخار المطلى بالمينا من انتاج شرف الأبواني، ولعل أهم ما نراه من الخزف المملوكي تقليد قطع الخزف الصيني ونخص بالذكر أواني السيلادون، وكذلك تقليدات الخزف الصيني ذي الزخارف الزرقاء على أرضية بيضاء، ومنها بالمتحف بلاطة قاشاني مربعة، تتوسطها مساحة وسطى بها نص مكرر مكتوب بخط عدة مرات طرداً وعكساً، وهو محجوز بالأبيض على أرضية زرقاء، ويمكن قراءة النص 'توكل على خير معين' أو 'توكلت على خالقي' وحول هذه المساحة الوسطى اطار عريض به نص قرآني مكتوب بخط كوفي، ويشغل أركان هذا الاطار أربعة مربعات صغيرة، يحتوى الاثنان العلويان منها على عبارة بالخط الكوفي المربع بها اسم الخزاف (عمل غيبي بن).

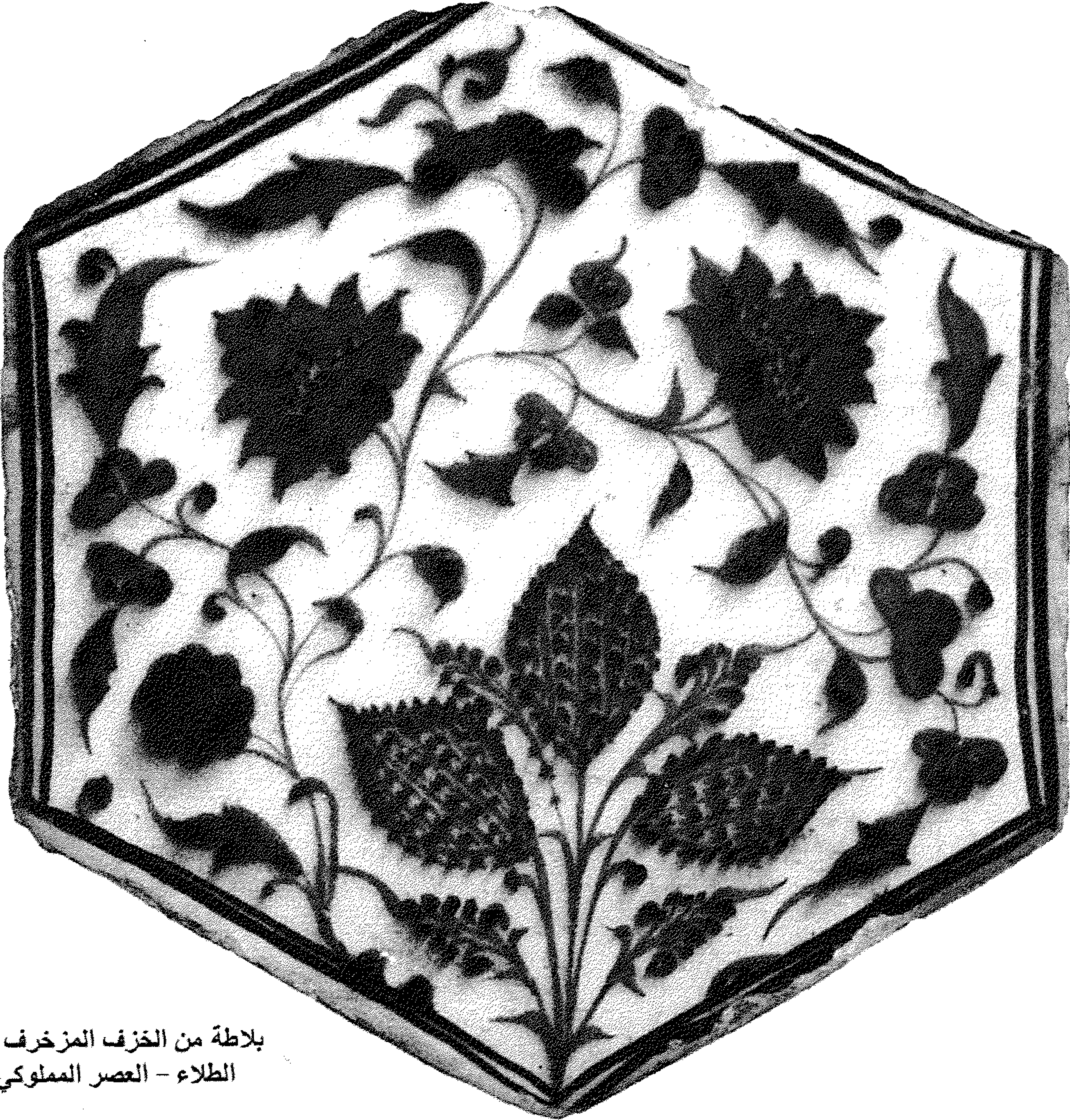


بلاطة من الخزف عمل الصانع غيبي بن التوريزي - العصر المملوكي.

فى المربعين السفليين تكملة العبارة (التوريزى) أى التبريزى، ويحتفظ المتحف بالعديد من القطع الخزفية العثمانية التى صنعت فى مدن تركية كأزنيق وكوتاهية والتى نشاهد فيها وضوح العناصر الزخرفية النباتية كزهرة اللالا وزهرة القرنفل وزهرة السوسن التى تميز بها الخزف العثمانى. وكذلك يحتفظ المتحف بالعديد من بلاطات القاشانى أبرزها لوح من بلاطات القاشانى عليه رسم المسجد الحرام بمكة المكرمة وبعض الأماكن المحيطة به، وفى ركنه السفلى إلى اليسار عبارة 'عمل الفقير إلى الله تعالى محمد الشامى الدمشقى سنة ١١٣٩هـ'.



إناء من الخزف يعود إلى العصر الفاطمي.



بلاطة من الخزف المزخرف تحت الطلاء - العصر المملوكي.

الخشب

إزدهرت صناعة التحف الخشبية فى العصور الإسلامية المختلفة، وقد إزادات دقة المسلمين فى الحفر على الخشب تدريجياً حتى وصل إلى قمته فى العصر الفاطمى، فنرى الزخارف تحفر على مستويين مختلفين وهو إسلوب يدل على مقدرة الفنان ومهارته نراه فى حشوات عثر عليها فى مجموعة السلطان المنصور قلاوون كانت بالقصر الفاطمى الغربى، وهى محفوظة فى المتحف تحت رقم ٥٥٤، وفى أواخر العصر الفاطمى نرى ميلاً إلى استخدام الاشكال الهندسية فى زخرفة الأخشاب فنجد الأشكال النجمية والمربعات والمعينات، وكان سبيل الوصول إلى هذه الأشكال هو استخدام حشوات صغيرة من الخشب يجمع بعضها بجانب بعض للوصول إلى الشكل المطلوب، ومثال ذلك زخارف المحراب الذى كان بمشهد السيدة رقية والمحفوظ حاليا بالمتحف.

نرى بالمتحف العديد من النماذج المملوكية والعثمانية التى طعمت بالعاج والعظم والصدف، ومن أمثلة ذلك تحفتان رائعتان هما صندوق مصحف وكرسى بديع كانا محفوظين فى جامع أم السلطان شعبان وهما محفوظان حالياً فى المتحف.



حشوة من الخشب المزخرف بالحفر وجدت في بيمارستان قلاوون - العصر الفاطمي.

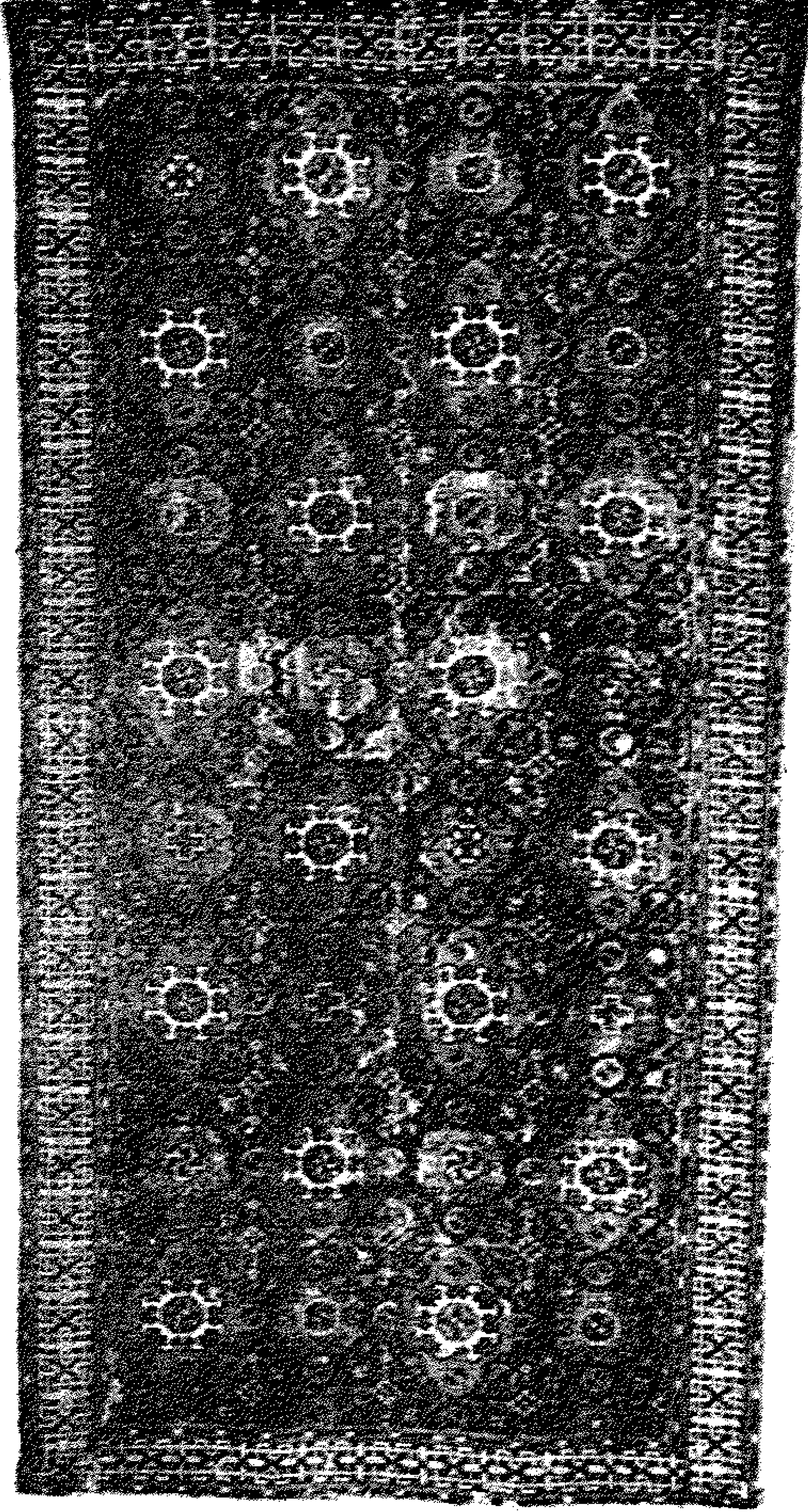


صندوق مصحف من الخشب المصفح بالنحاس المكفت بالفضة - العصر المملوكي.

السجاد

يحتفظ المتحف بأكبر مجموعة من السجاجيد الإسلامية من حيث الثراء والتنوع فى العالم، ومنها سجادة تنسب إلى تبريز لأن صوفها وطريقة نسجه يشبهان ما يصنع اليوم فى تبريز، وتمتاز هذه السجادة بأن إطارها يتألف من ثلاثة أشرطة أعرضها هو الأوسط الذى يضم بحوراً بها كتابات عبارة عن أبيات من الشعر الفارسى مكتوبة بخط صغير.

بالمتحف أيضا مجموعة كبيرة من السجاجيد التركية المصنوعة فى مدن عديدة ومن أنواع السجاجيد التركية به، السجاجيد المنسوبة إلى هولباين وسجاجيد عشاق وجورديز وقولا ولاذق وترانسلفانيا وبرغمه، ومزارلك.


سجادة من نوع هولباين.

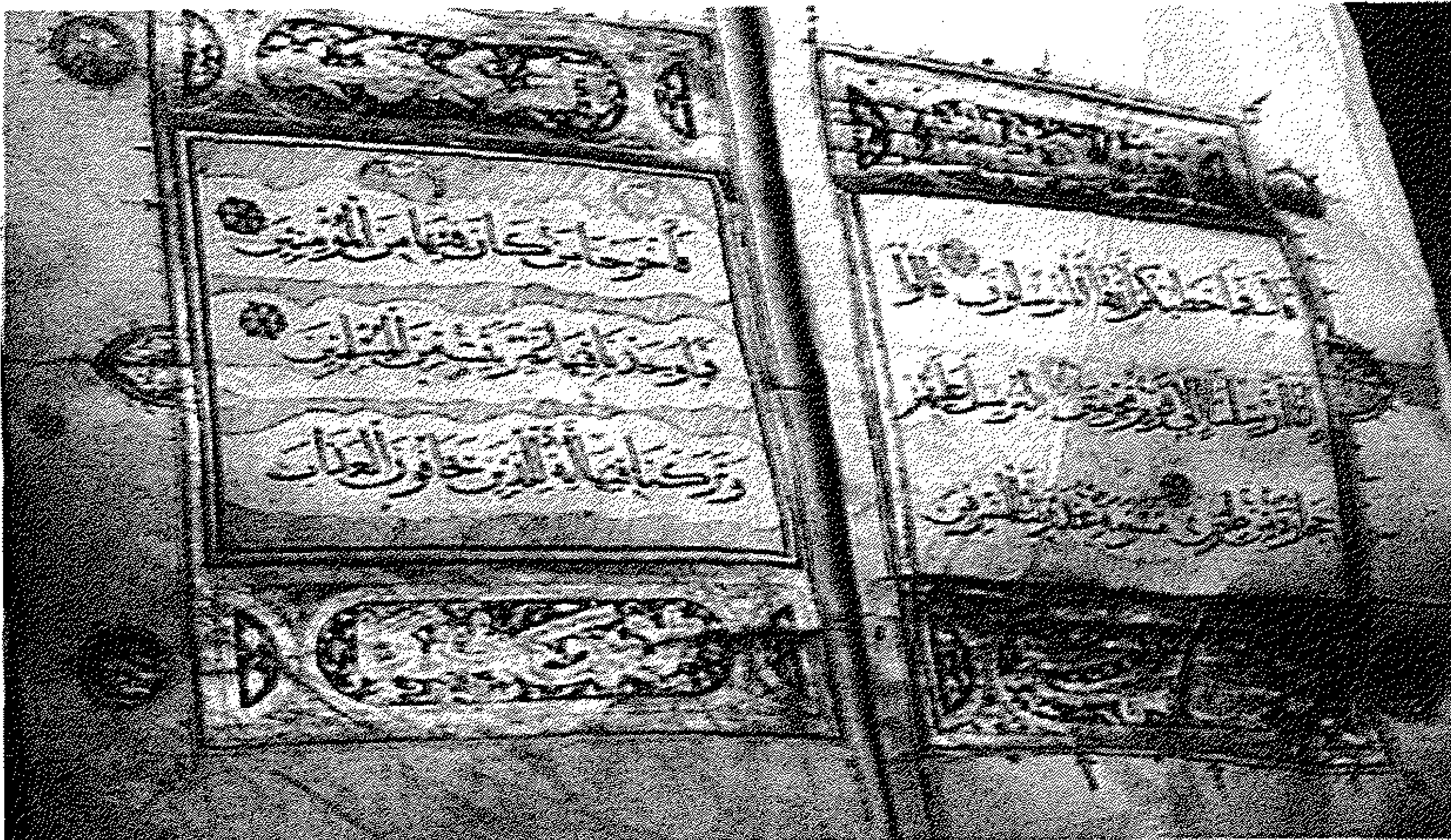
المشكاوات

خصصت القاعة (٢١) بالمتحف لمجموعة المشكاوات المملوكية التى يتميز بها المتحف عن غيره من المتاحف العالمية، ويتجاوز عدد هذه المشكاوات الخمسين، والمشكاوات هى مصابيح من الزجاج المموه بالمينا تستخدم فى إضاءة المساجد، والمشكاة عبارة عن إناء يوضع فيه مصباح النار لحفظه من هبات الهواء ولتوزيع الإضاءة فى المكان، وكان المصباح يثبت فى داخل المشكاة بواسطة سلوك تربط بحافتها، وتشبه المشكاه فى شكلها العام إناء الزهور فهى ذات بدن منتفخ ينساب إلى أسفل وينتهى بقاعدة لها رقبة على هيئة قمع متسع، ألوانها بين الأحمر والأخضر والأبيض والوردى.

أقدم المشكاوات التى يحتفظ بها المتحف التى ترجع لعصر الأشرف خليل بن قلاوون، وصاحب أكبر عدد من المشكاوات بالمتحف هو السلطان الناصر حسن بن قلاوون ويبلغ عددها حوالى ١٩ مشكاة على بعضها كتابات باسمه، وبالإضافة إلى مشكاوات السلاطين يوجد بالقاعة أيضا عدد من مشكاوات الأمراء مثل مشكاة الأمير الماس الحاجب ومشكاة الأمير شيخو الناصرى.

المصاحف

يوجد بالمتحف قاعة خصصت للمصاحف، والمعروض منها أغلبه يرجع إلى العصر العثمانى، وهى مزخرفة بالتذهيب وبخاصة الصفحات الأولى منها، وعلى بعض هذه المصاحف توقيعات للخطاطين، ونشاهد على أحدها فى أول صفحتين رسمين أحدهما يمثل المسجد النبوى والآخر يمثل المسجد الحرام.


مصحف مذهب يعد من روائع المصاحف بالمتحف.

مشكاة زجاجية مموهة بالميناء الخضراء والزرقاء والصفراء والحمراء والبيضاء - العصر المملوكي.

من الجدير بالذكر أن بالمتحف مجموعة من المخطوطات العلمية والأدوات الطبية مثل المشارط والمقصات وخيوط الجراحة، والأدوات الفلكية مثل مجموعة الأسطرلابات التى صنعت فى مصر وإيران، والكرة السماوية، ومرصد فلكى، والمزاول الرخامية.

المسكوكات

وخصصت بالمتحف قاعة لعرض المسكوكات مثل الأختام والمكاييل، التى صنعت من الزجاج، بالإضافة إلى بعض النياشين والأنواط التى كانت تمنح فى مجالات اجتماعية واقتصادية وسياسية وكلها ترجع لعصر أسرة محمد علي.

وأبرز ما فى هذه القاعة مجموعة العملات الإسلامية وأقدمها دينار أموى يرجع لسنة ٧٧هـ، ودينار آخر أموى ضرب فى الحجاز، وقد رتبت العملات بحيث تعطى الزائر فكرة عامة عن تطور كتابات وزخارف الدنانير الذهبية والدراهم الفضية فى العالم الإسلامى كله حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى. وقد صاحب هذا التسلسل الزمنى للعرض، خريطة لأهم مدن ضرب العملات فى العالم الإسلامى كالقاهرة ودمشق وبغداد ونيسابور وخوارزم وفاس...الخ

تلك كانت جولة داخل قاعات متحف الفن الإسلامى بالقاهرة، الذى تحتاج مقتنياته لصفحات حتى نوفيها حقها من العرض والتعريف، وهو أعظم متاحف الفن الإسلامى فى العالم، فهو يمثل صورة صادقة لحضارة المسلمين المتميزة عبر أربعة عشر قرناً.

المراجع

زكى محمد حسن، اطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية.
محمد مصطفى، متحف الفن الإسلامى، ودليل موجز ١٩٧٨م.
عبد الرؤف على يوسف وآخرون، معرض الفن الإسلامى (القاهرة، ١٩٦٩).
حسن الباشا وآخرون، القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها (القاهرة، ١٩٦٩)

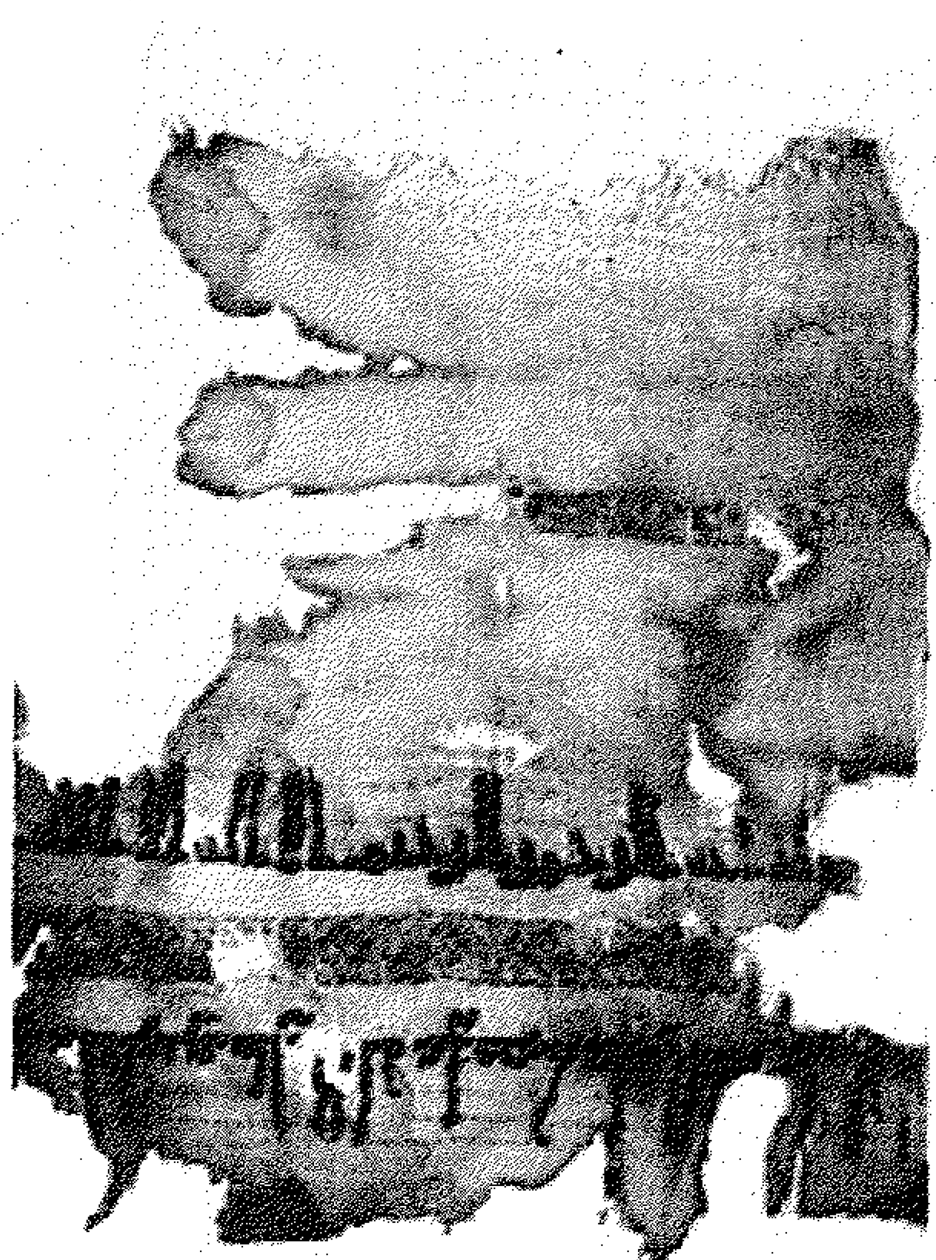


مجموعة من الدنانير الفاطمية.

نماذج من مقتنيات المتحف



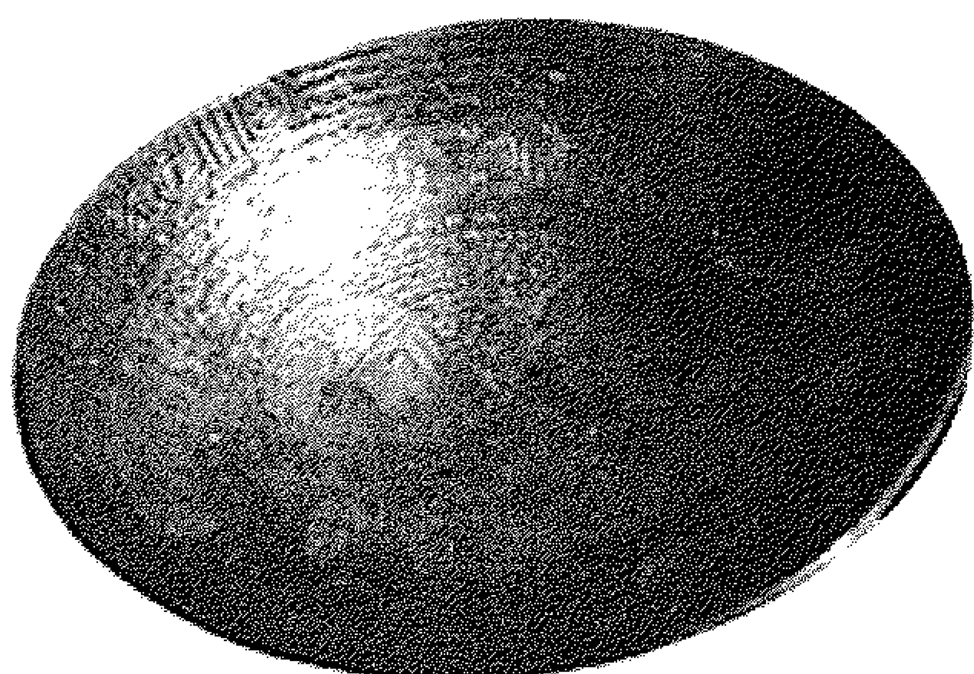
عقد ذهبي القرن السابع الهجري.



قطعة نسيج - العصر العباسي.



شباك قلة - العصر الفاطمي.



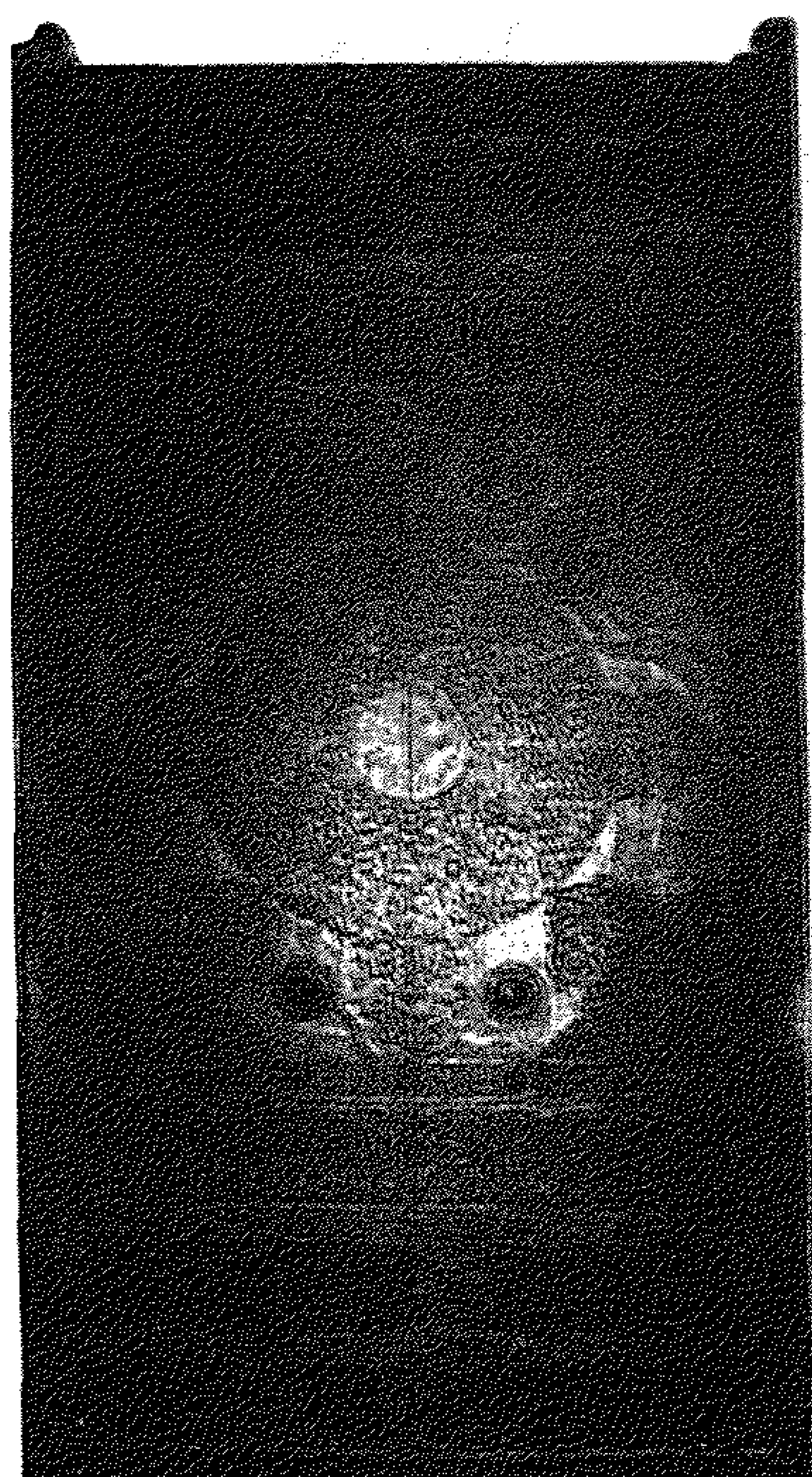
طاسة نحاسية - العصر الأيوبي.



طبق خزفي - العصر الفاطمي.



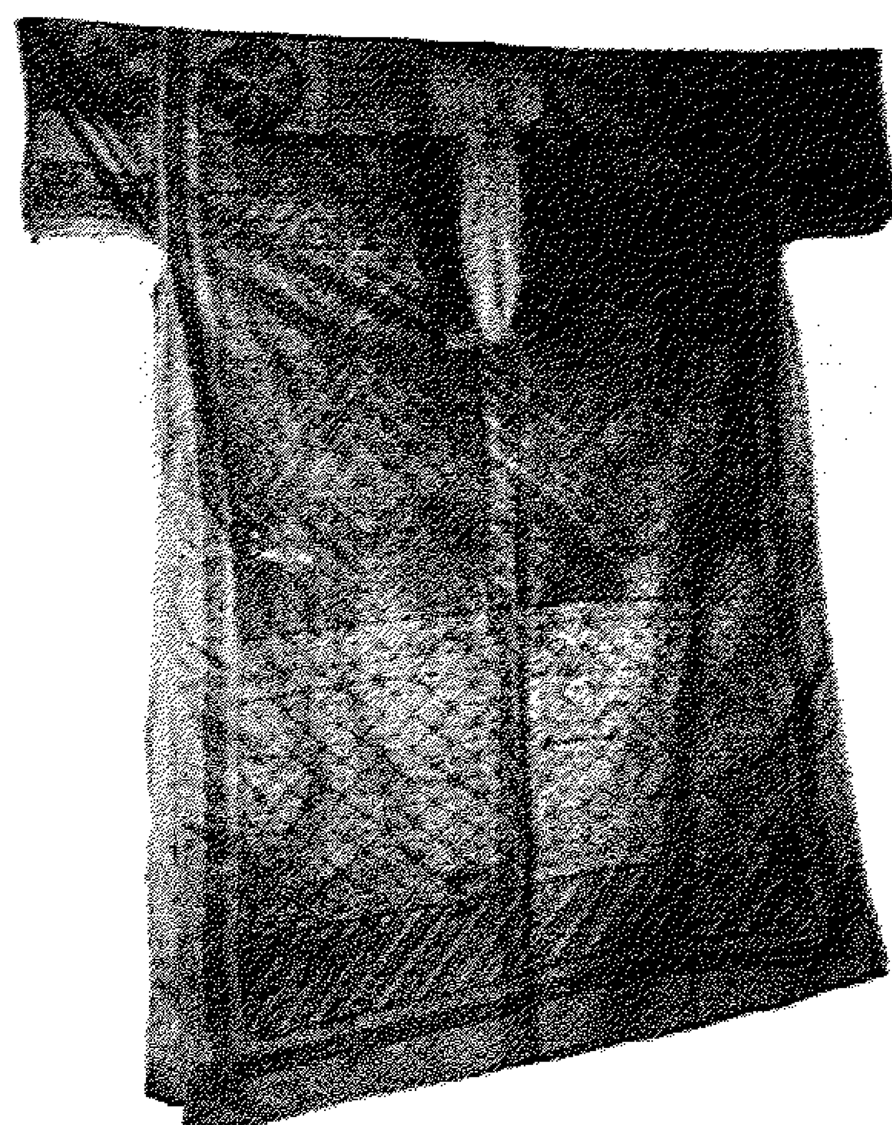
حشوة خشبية - العصر الأيوبي.


محراب خشبي - العصر المملوكي.


باب خشبي مصفح بالنحاس
- العصر المملوكي.


كرسي عشاء-العصر المملوكي.

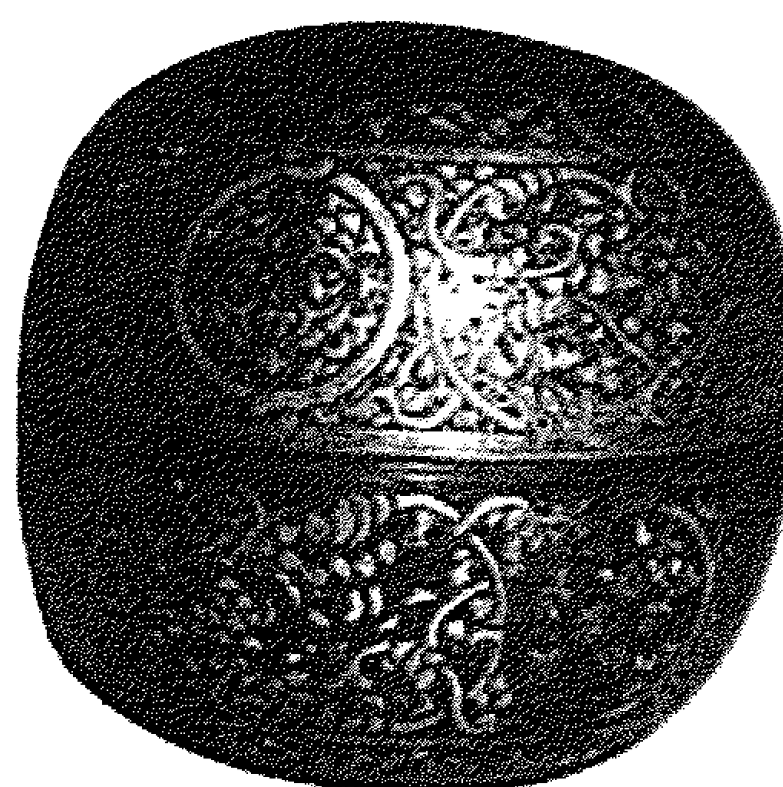

محراب خشبي - العصر الفاطمي.



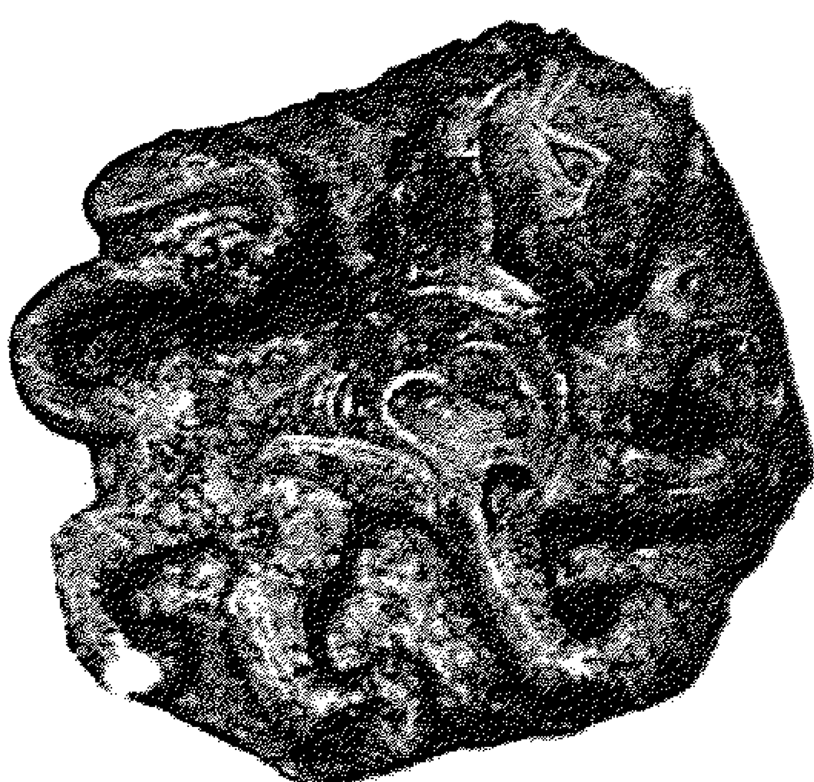
سروال من القطن.



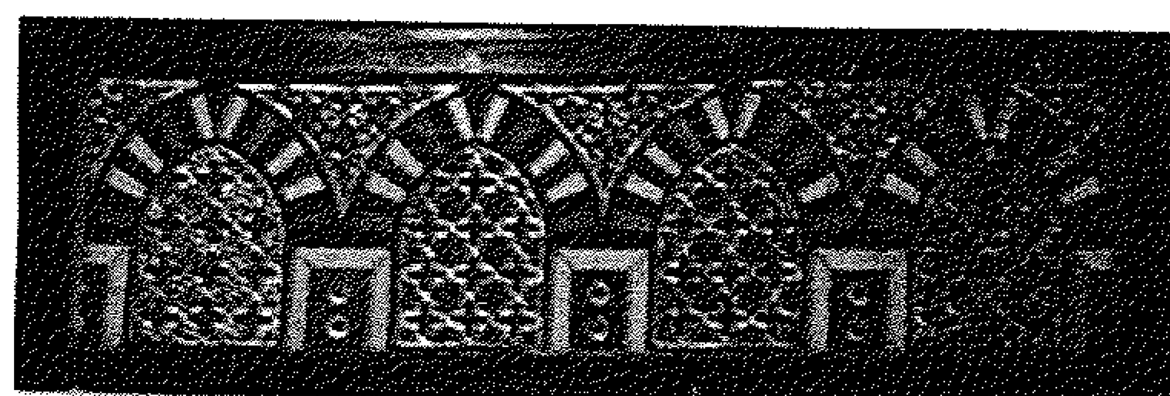
رنك الكاش محفور على الرخام - العصر المملوكي.



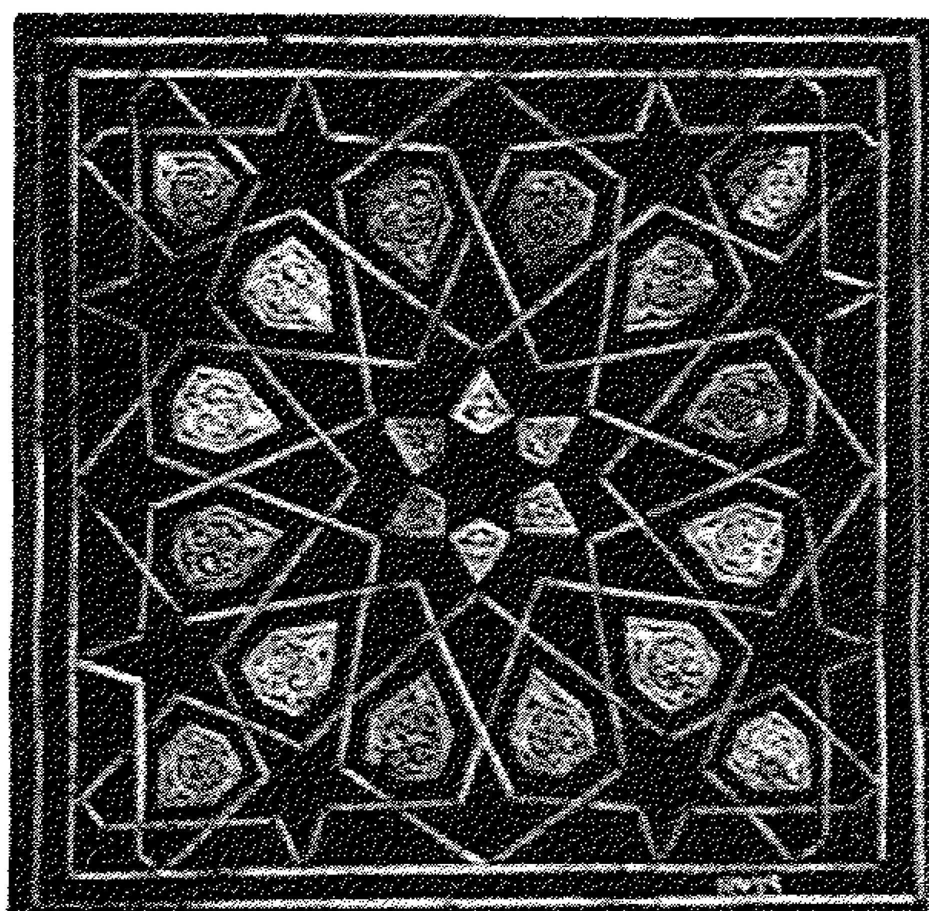
دفاية يد - العصر المملوكي.



رنك الأسد محفور على الرخام -
العصر المملوكي.

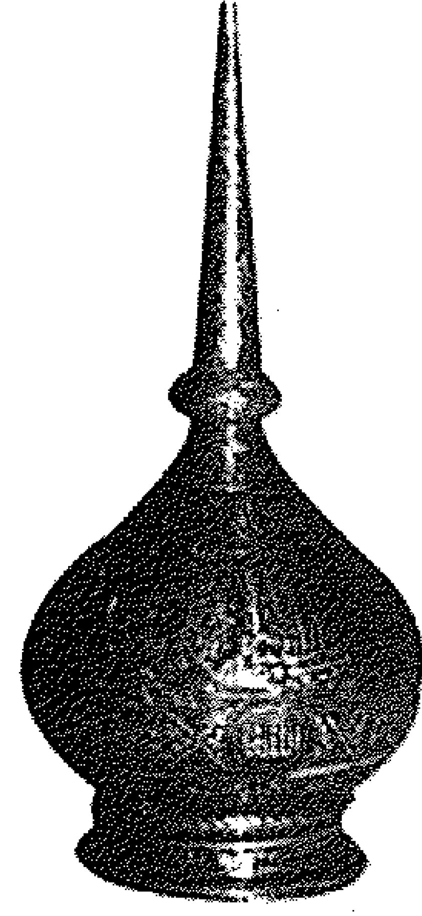


بائكة من الرخام الخردة - العصر المملوكي.

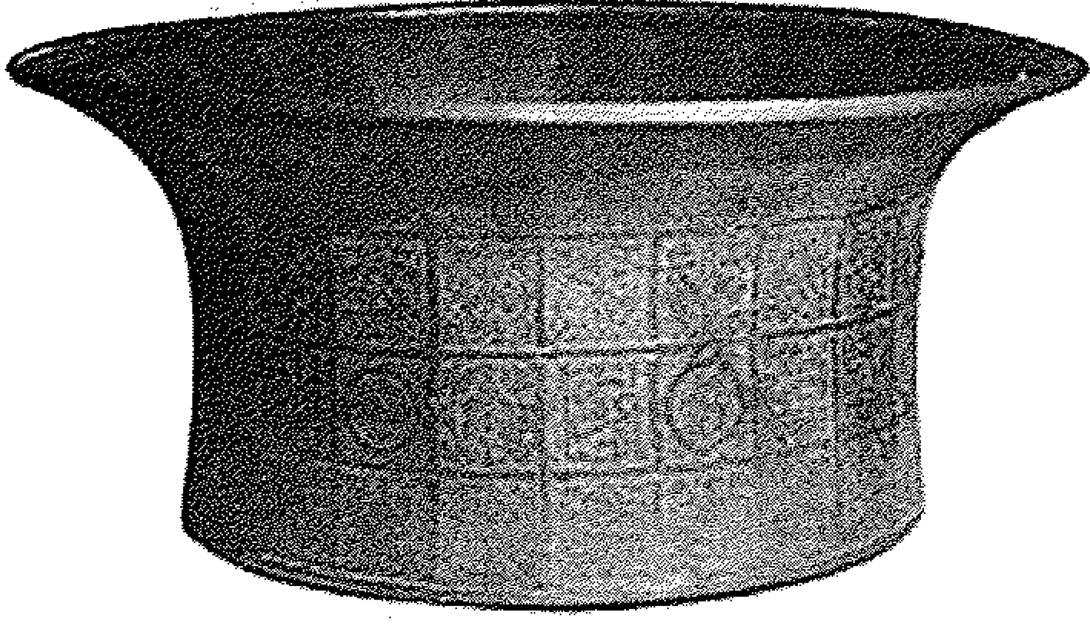


حشوة خشبية - العصر المملوكي.





قنينة ماء ورد
- العصر المملوكي.



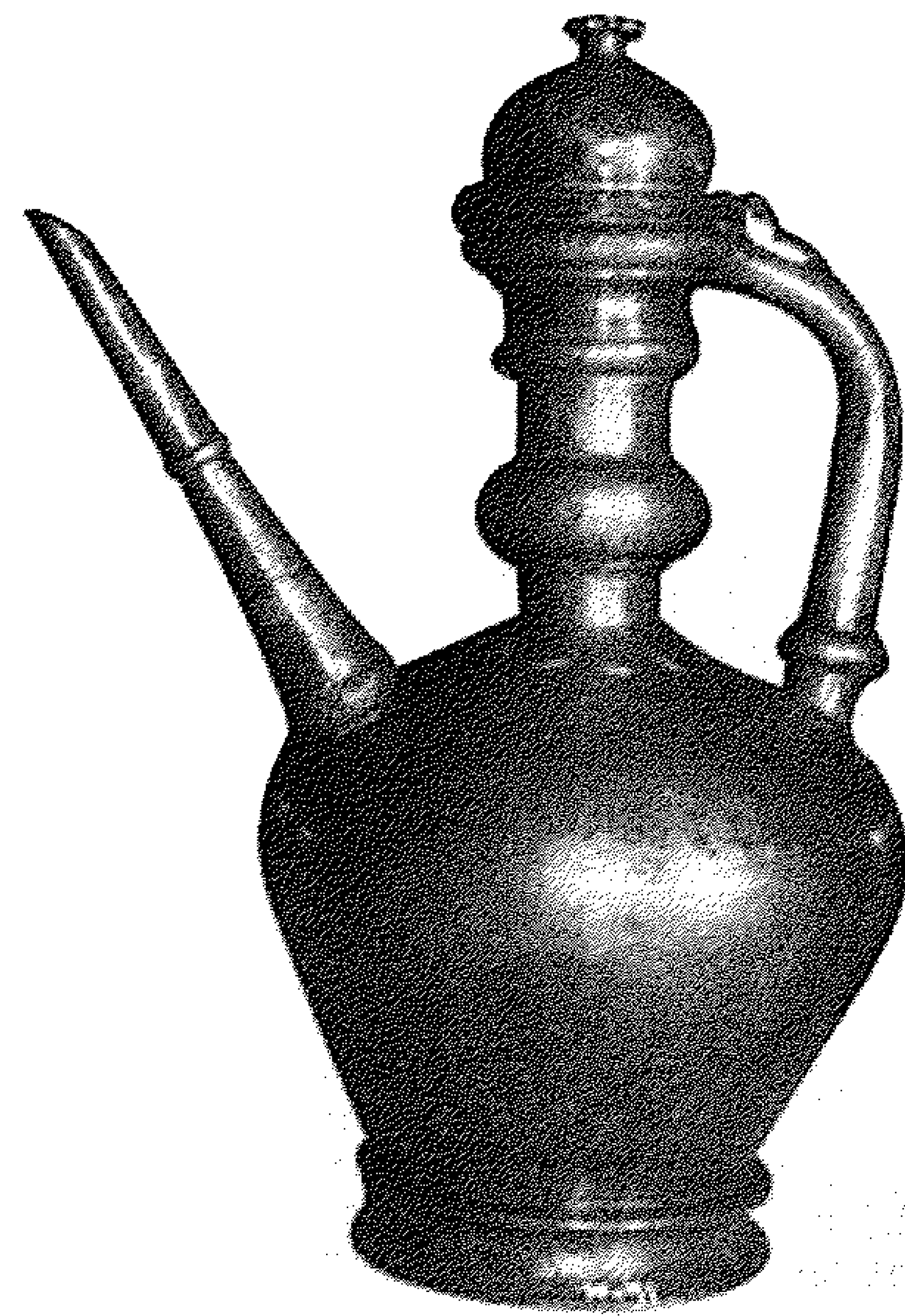
حوض من عصر السلطان قايتباي
- العصر المملوكي.



قنينة ماء ورد مكفتة بالذهب والفضة -
العصر المملوكي.



حوض من النحاس المكفت بالذهب والفضة -
العصر المملوكي.



إبريق من النحاس - العصر المملوكي.



صينية من النحاس - العصر المملوكي.





فازة من الخزف -من الأندلس.



مشكاة مطعمة بالذهب والفضة - العصر المملوكي.



قشة زجاجية مموهة بالميناء الحمراء والسوداء - العصر المملوكي.



مقلمة نحاسيةمكفتة بالذهب والفضة والنحاس صنعت للسلطان عماد الدين أبو الفضل إسماعيل - العصر المملوكي.

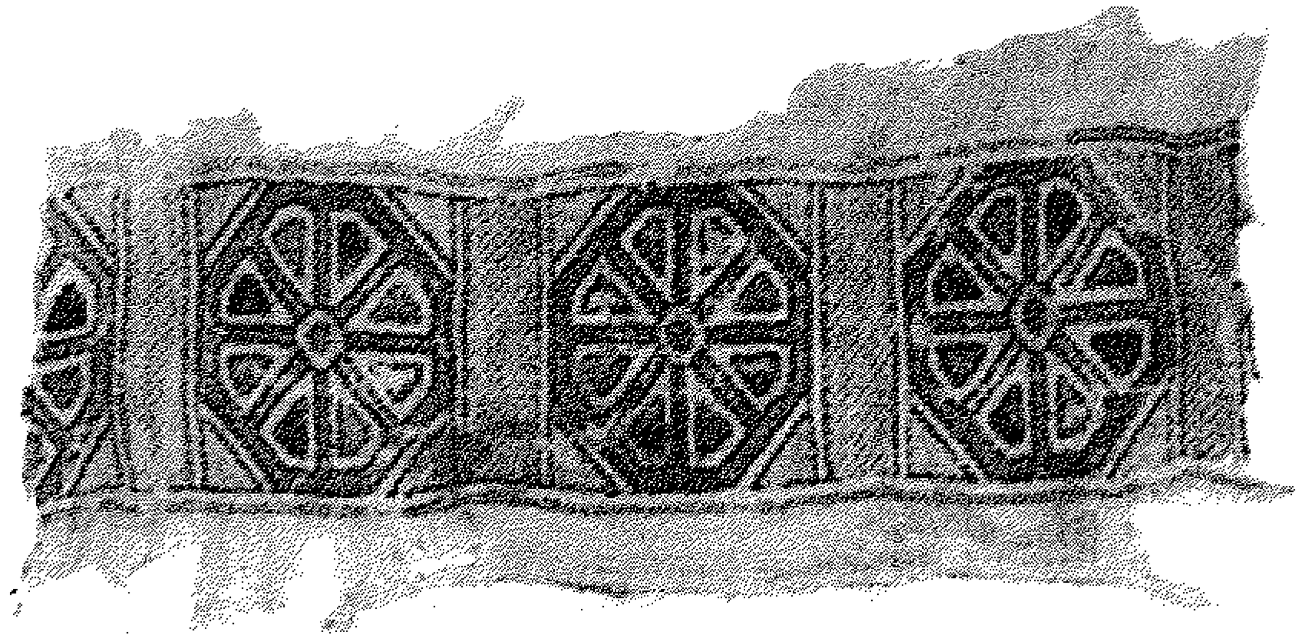




حشوة خشبية زخرفة بالحفر البارز - العصر المملوكي.



طاقية محراب من الرخام المحفور - العصر المملوكي.



قطعة نسيج حريرية - العصر المملوكي.



قطعة نسيج حريرية - العصر المملوكي.



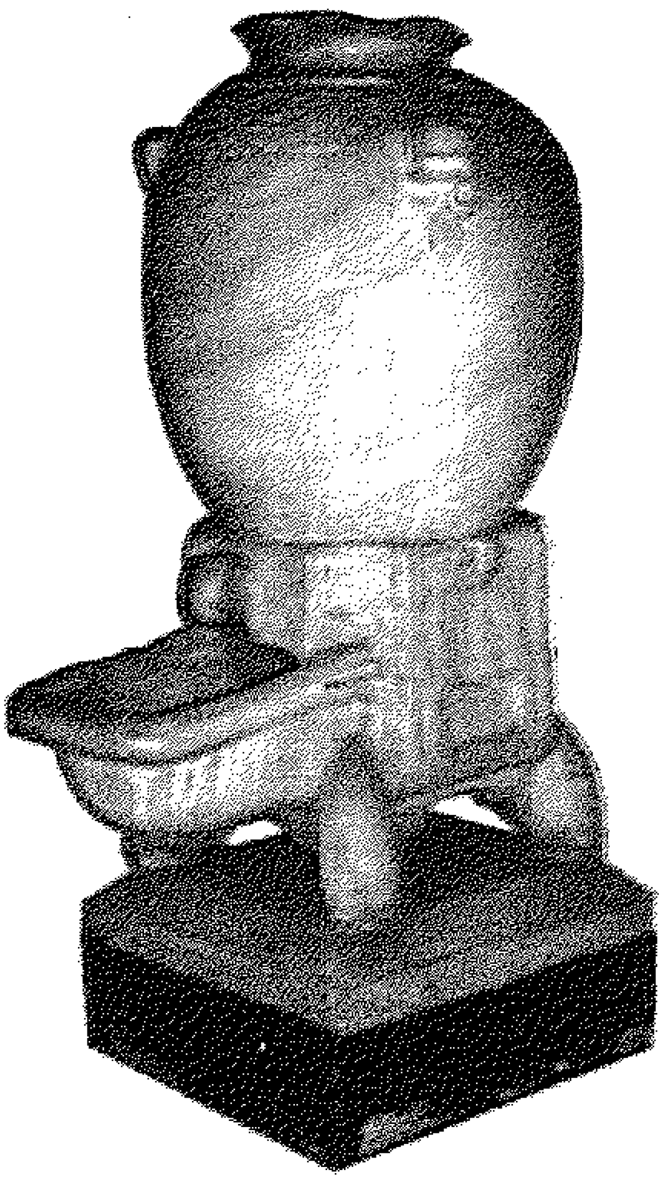
قطعة خزف - العصر المملوكى.



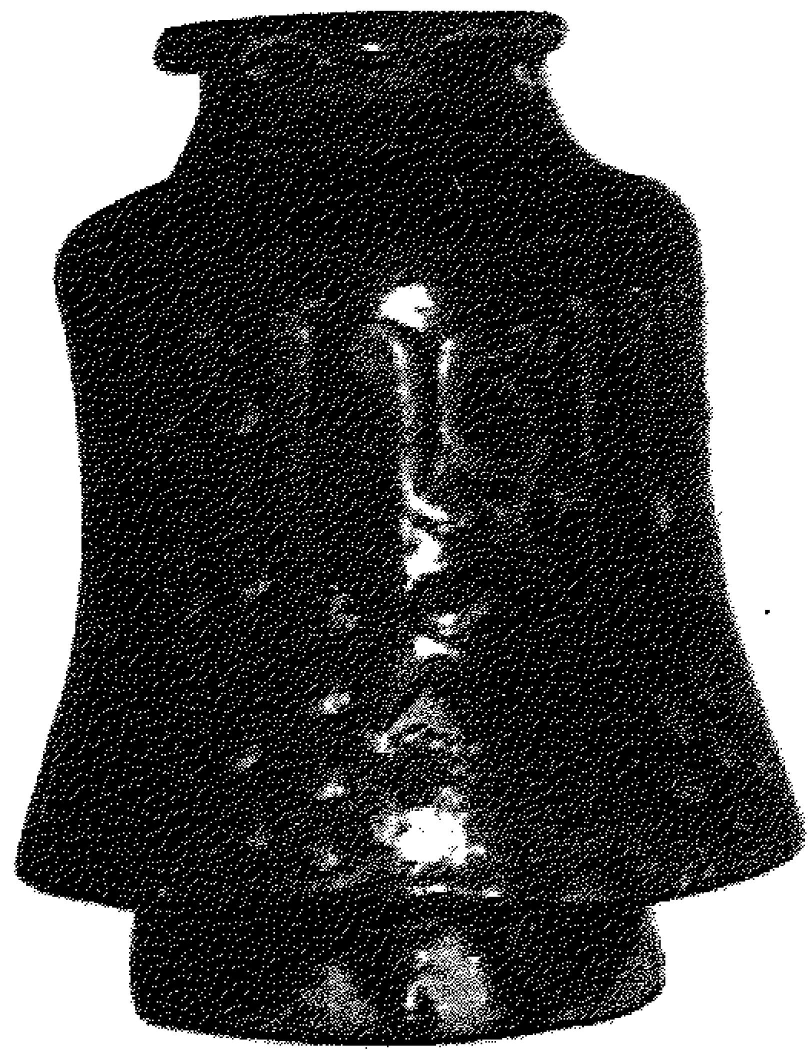
كوب زجاجي.



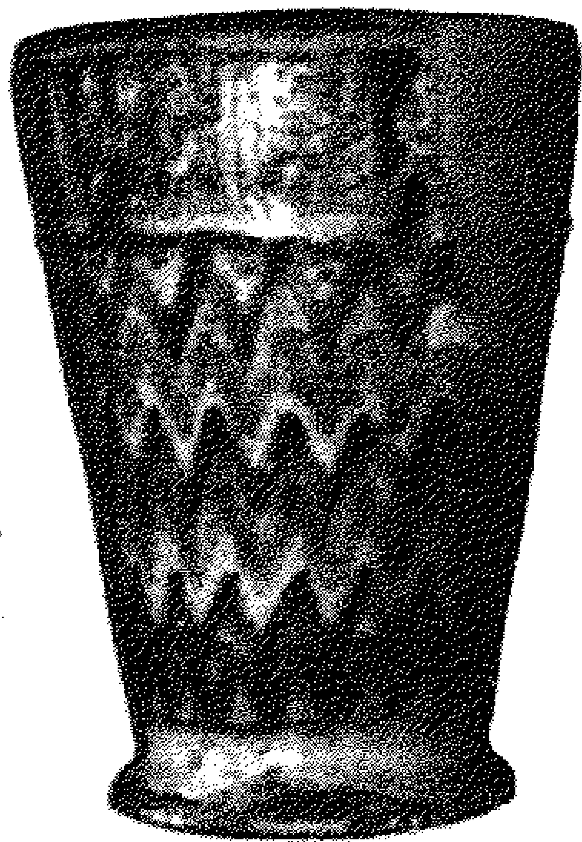
طبق من الخزف الإيراني.



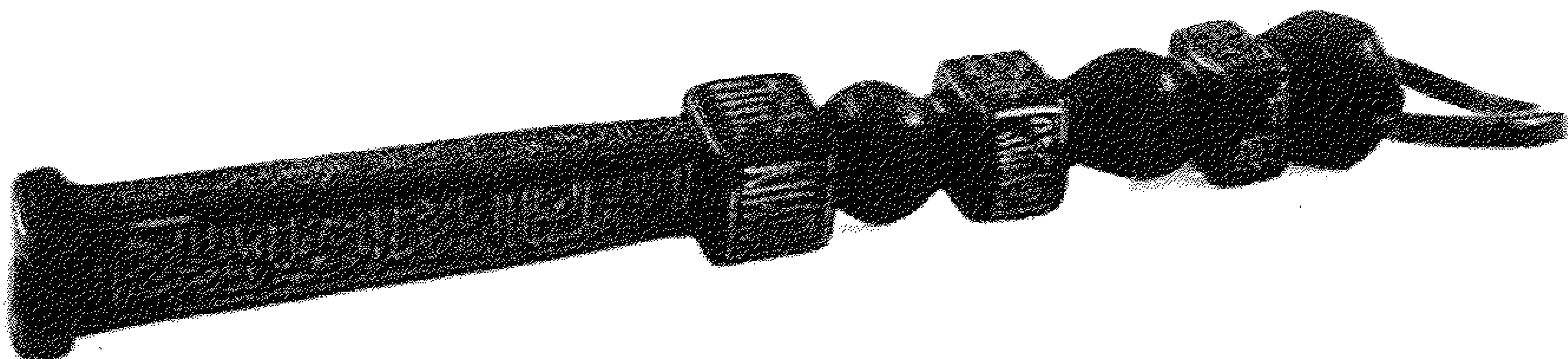
زير من الرخام - العصر المملوكي.



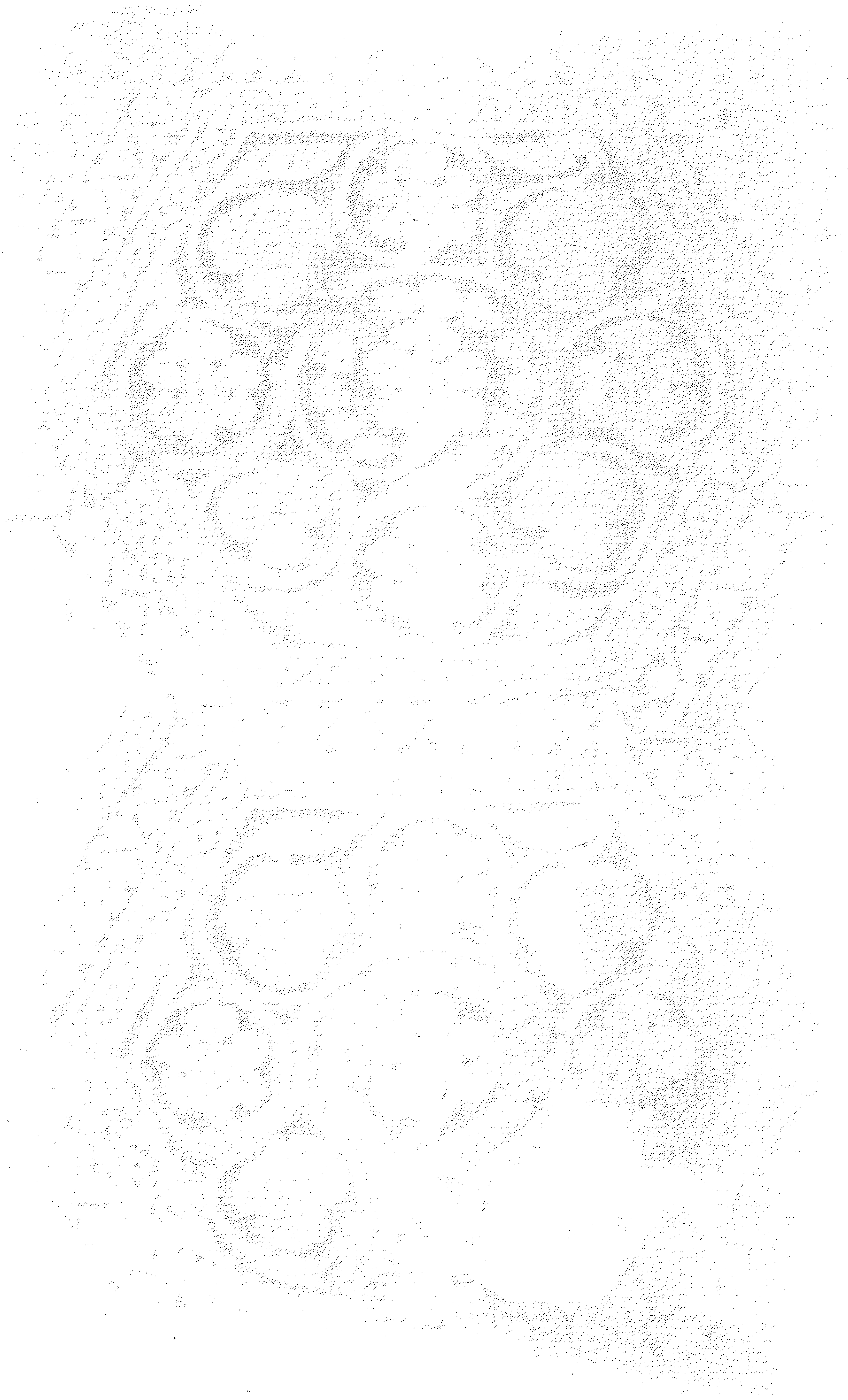
إناء خزفي - العصر المملوكي.



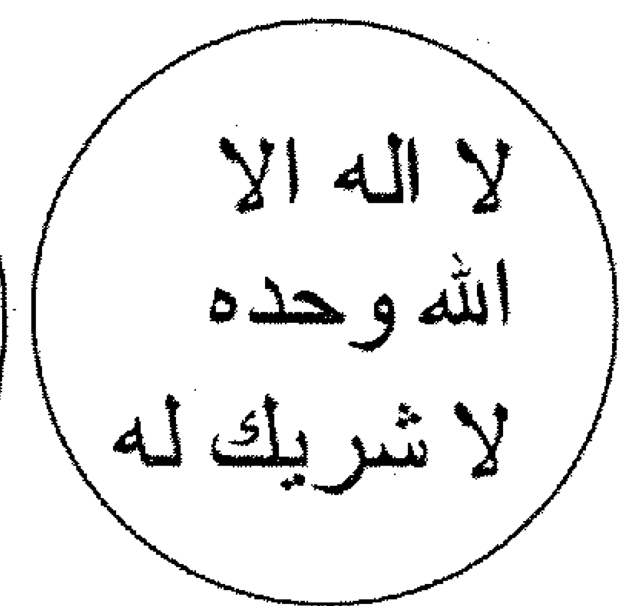
كأس خزفي - العصر المملوكي.



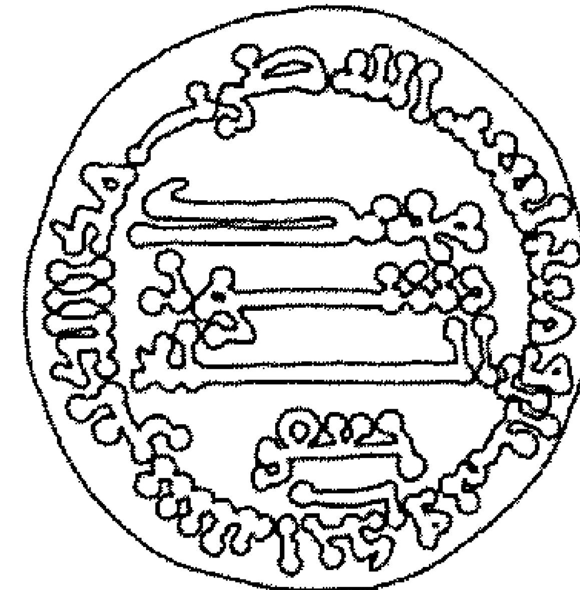
مفتاح للكعبة مكفت بالفضة من عصر السلطان شعبان الثاني - العصر المملوكي.



RC-K6

محمد رسول الله ارسله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله




بسم الله ضرب هذا الدينر سنة احدى و ثمنين و مئة

RGW-K1

مما امر به الامير عبيد الله بن المهدي اكرمه الله مثقال





RGW-K2

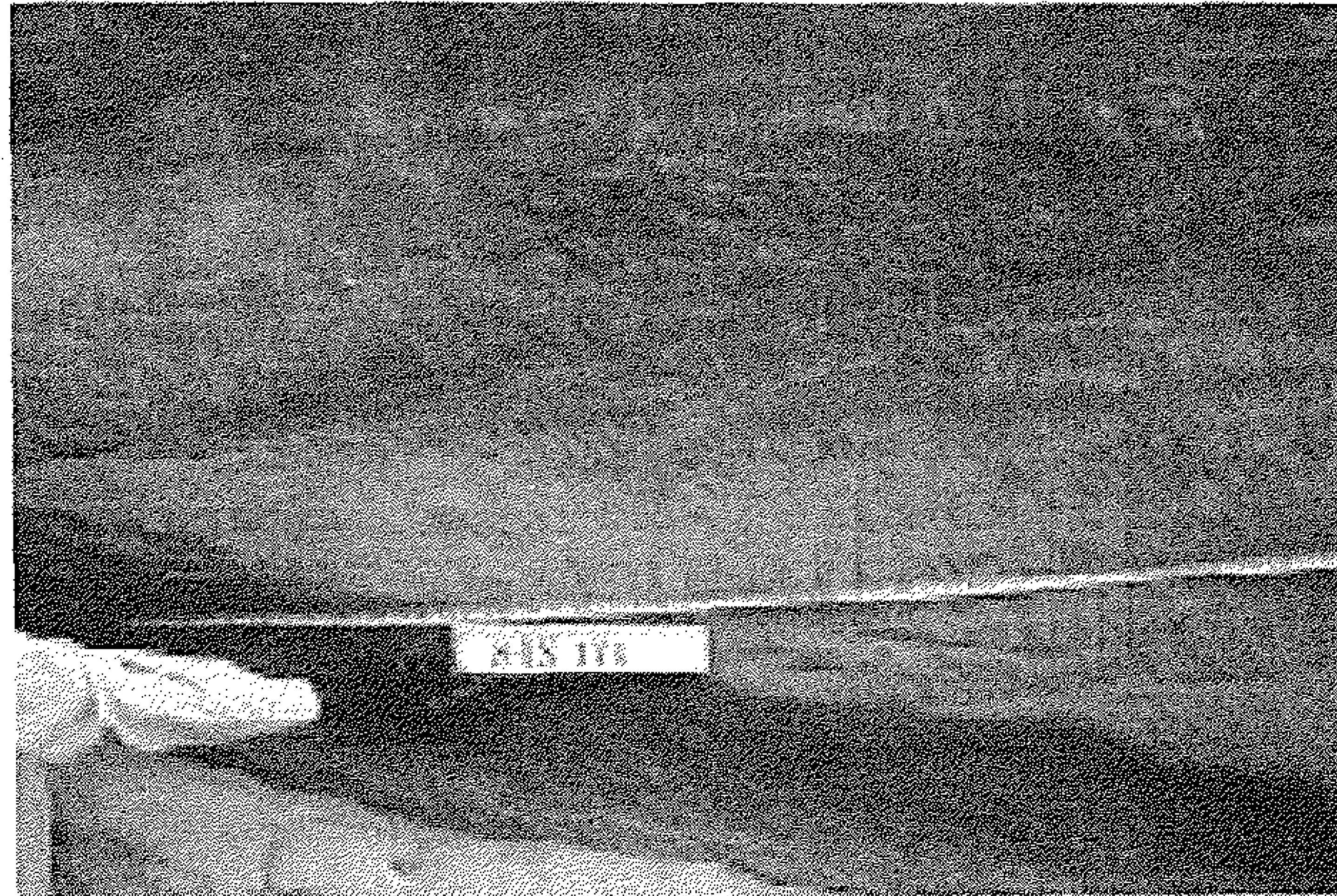


RGW-K6

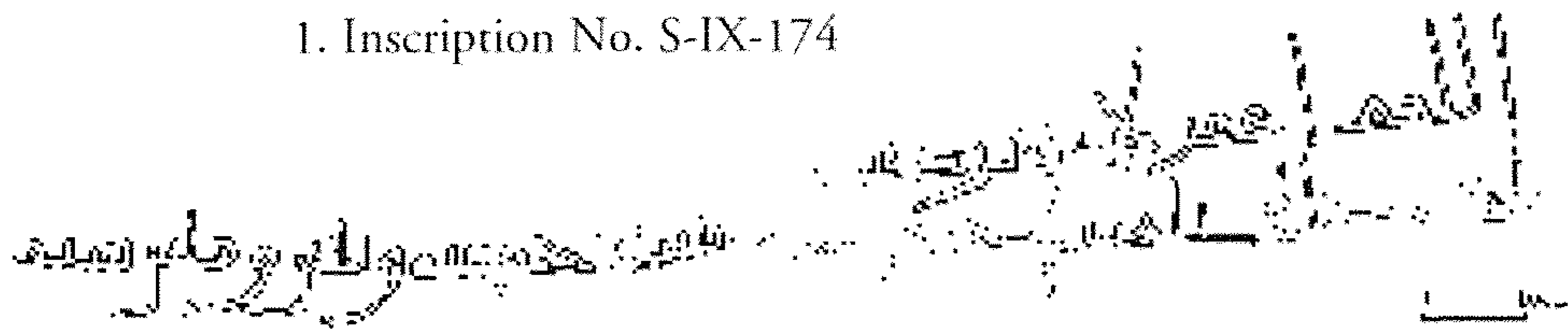




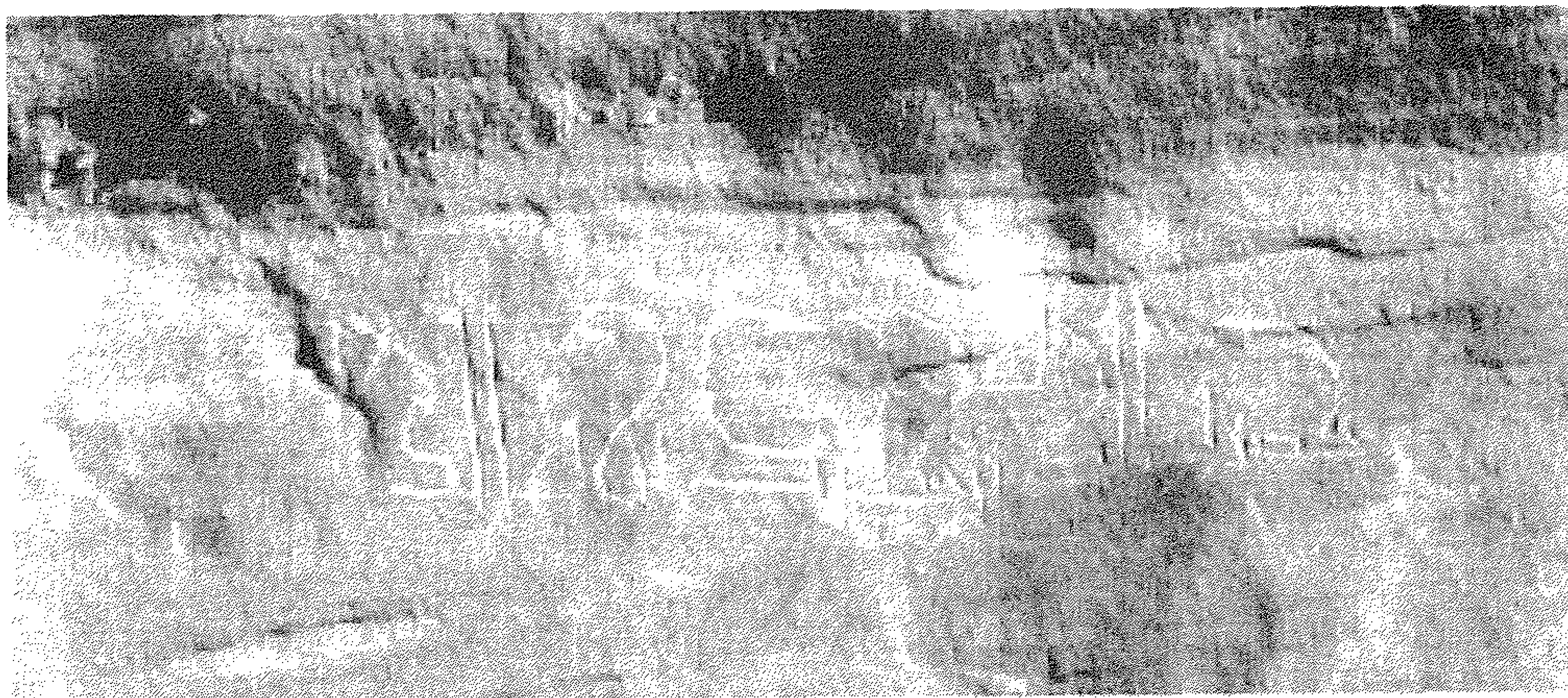
Pl. 40



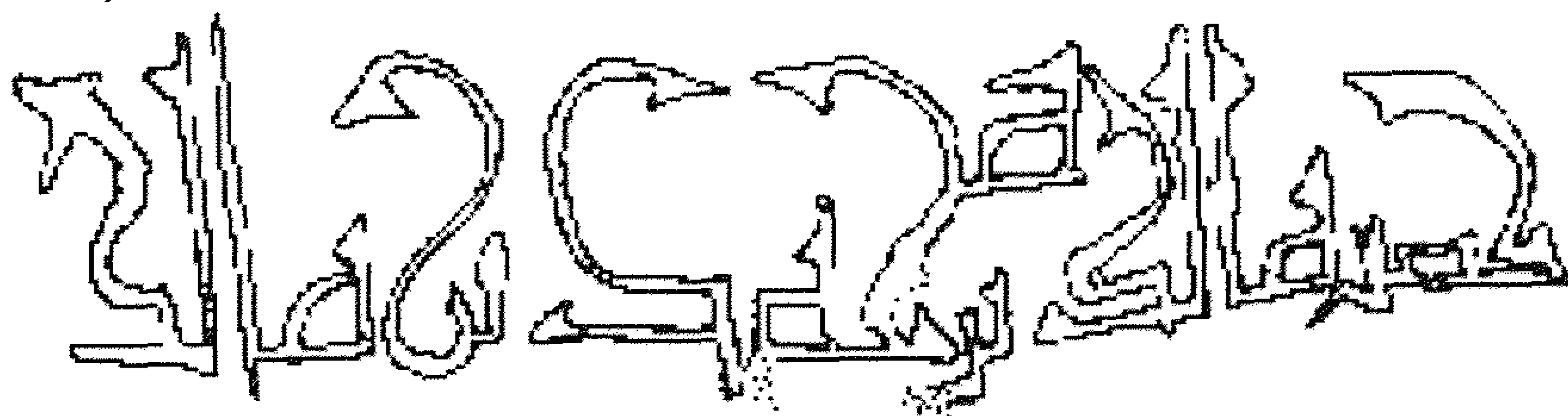
1. Inscription No. S-IX-174



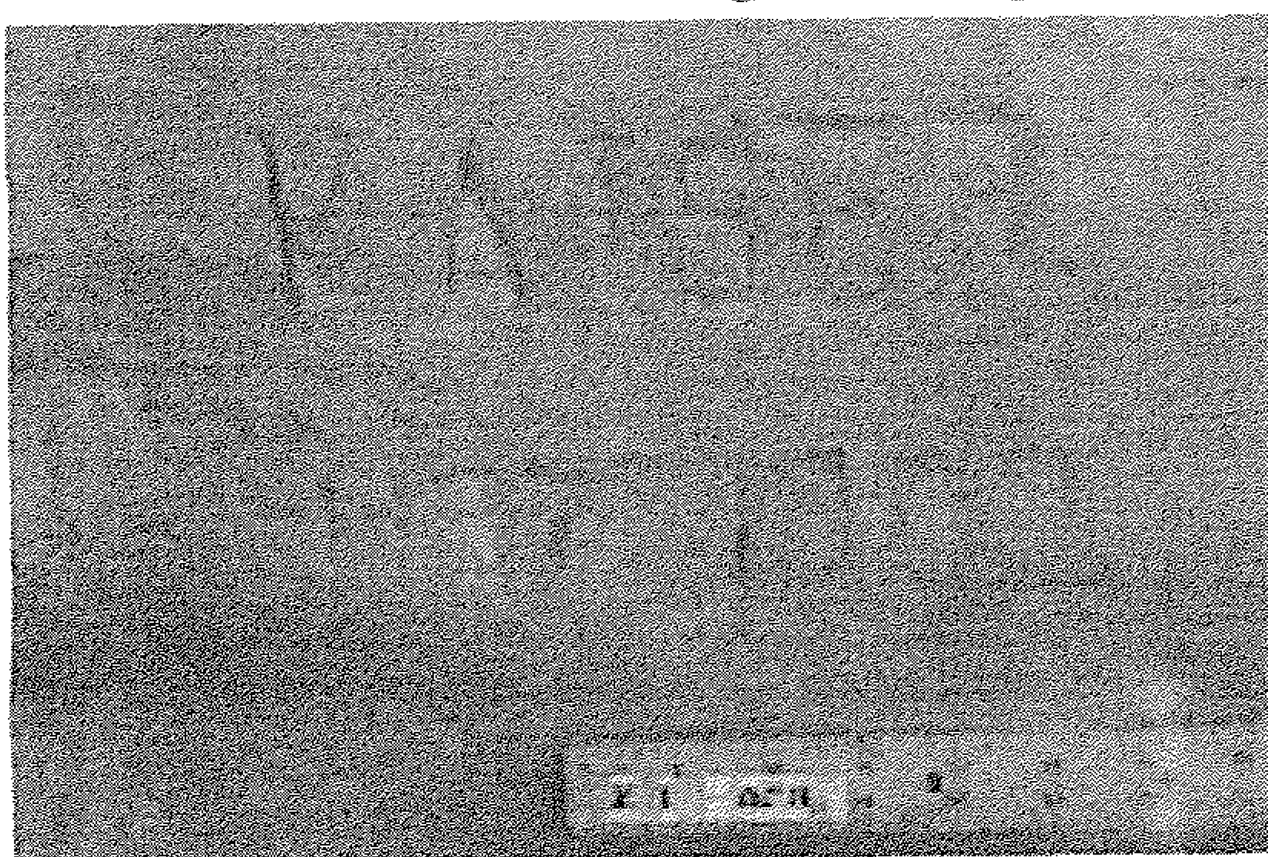
2. Traced Drawing of Inscription No. S-IX-174



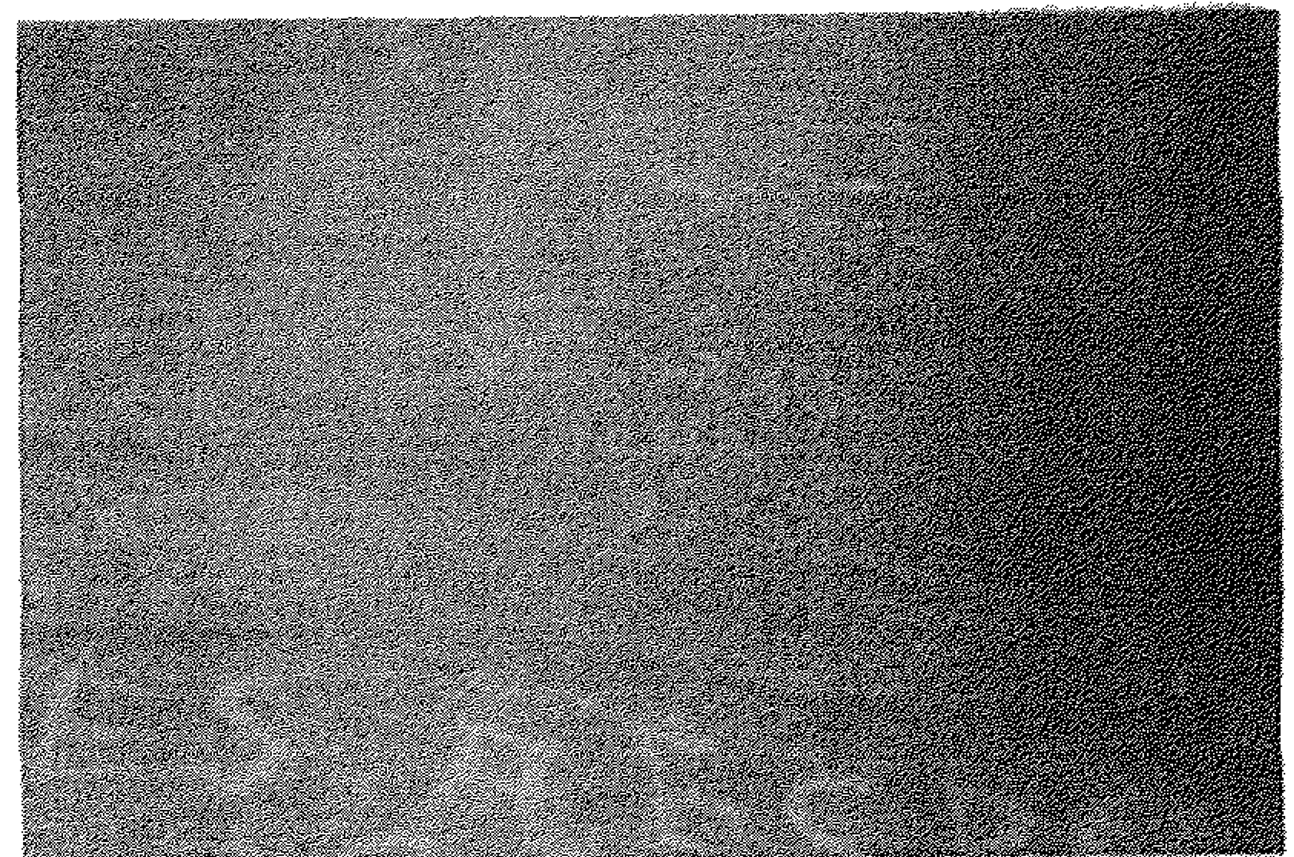
3. Inscription No. N-IV-073



4. Traced Drawing of Inscription No. N-IV-073



5. Inscription No. M-I-059

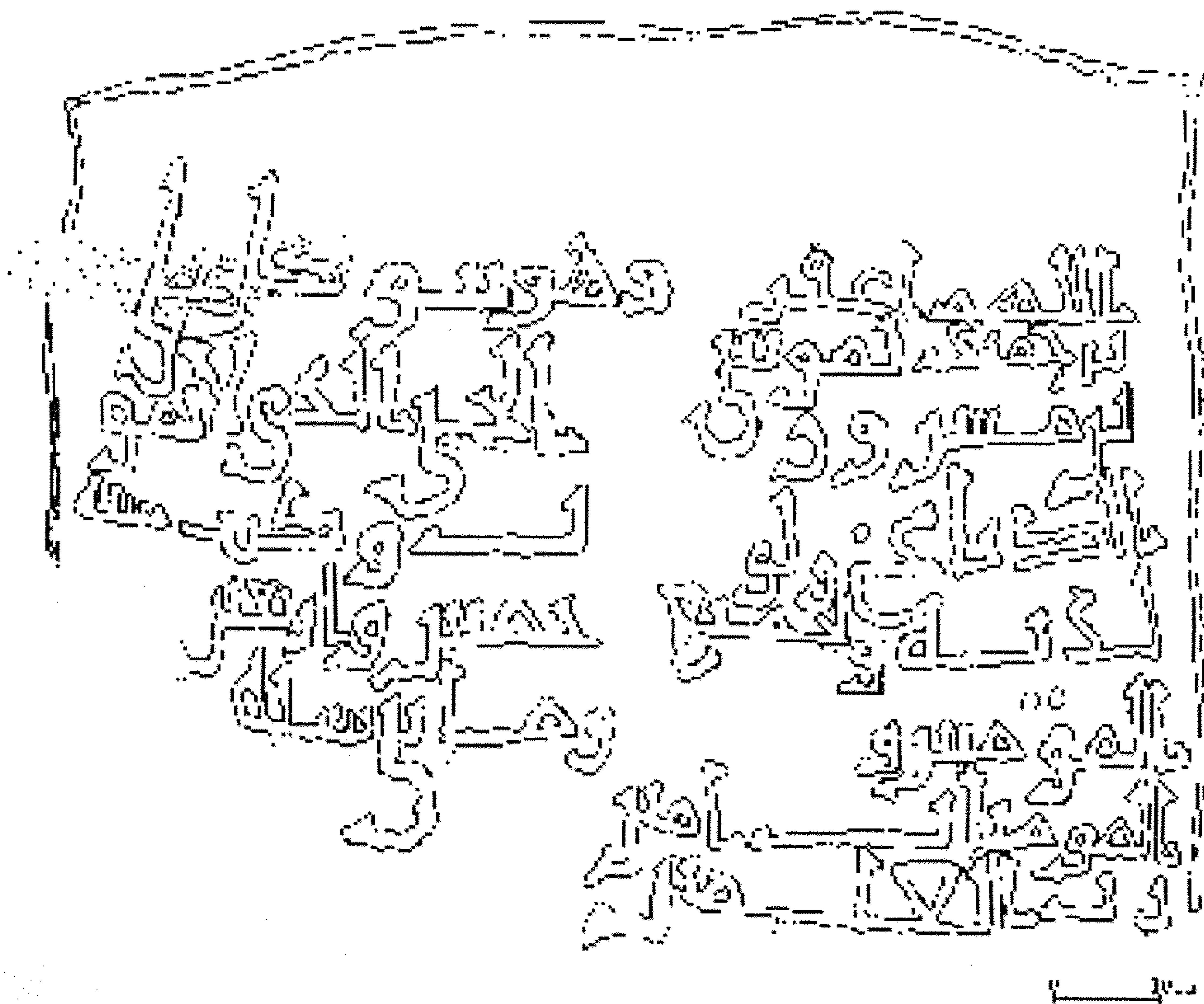


6. Inscription No. N-IV-004

Pl. 39



1. Inscription No. S-XII-053



2. Traced Drawing of Inscription No. S-XII-053



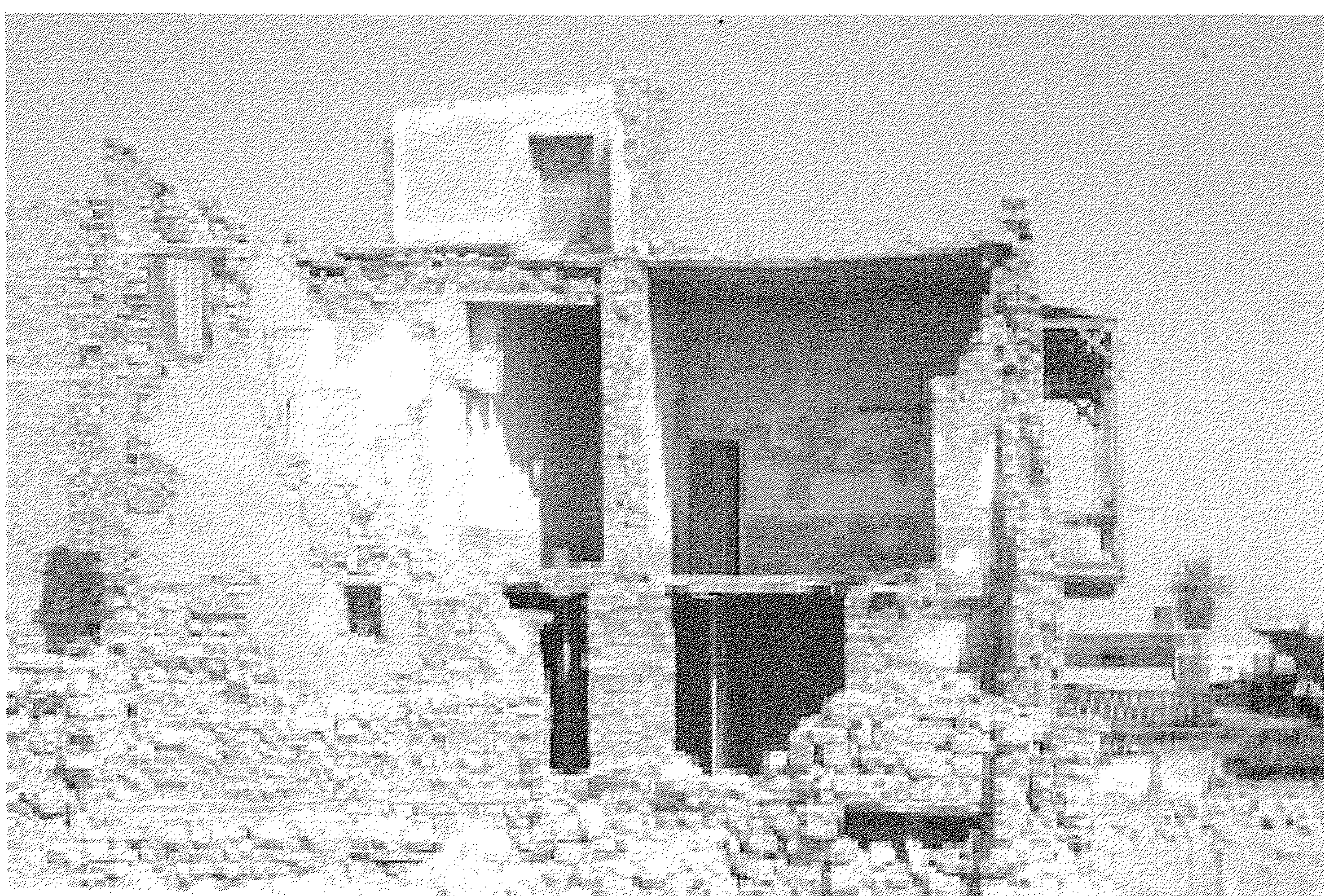
Pl. 38



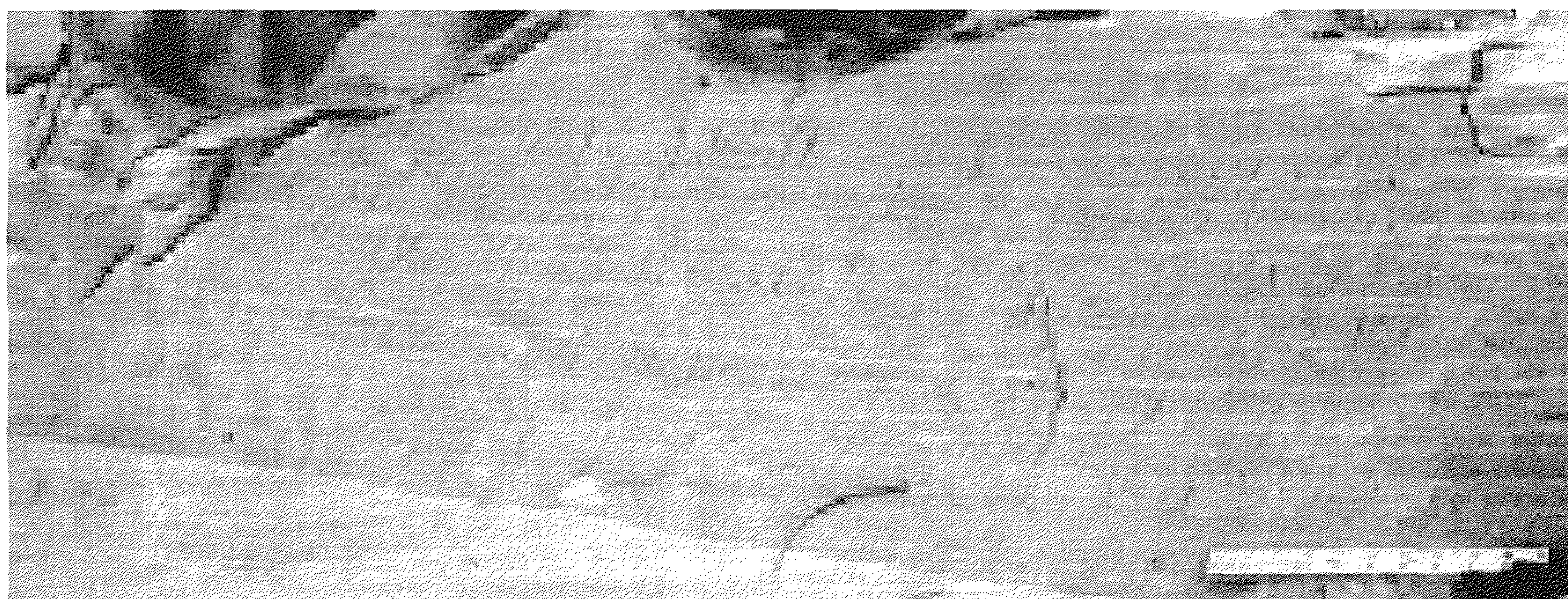
1. East Wall of Modern House No. 31
(before restoration)



2. East Wall of Modern House No. 31
(after restoration)

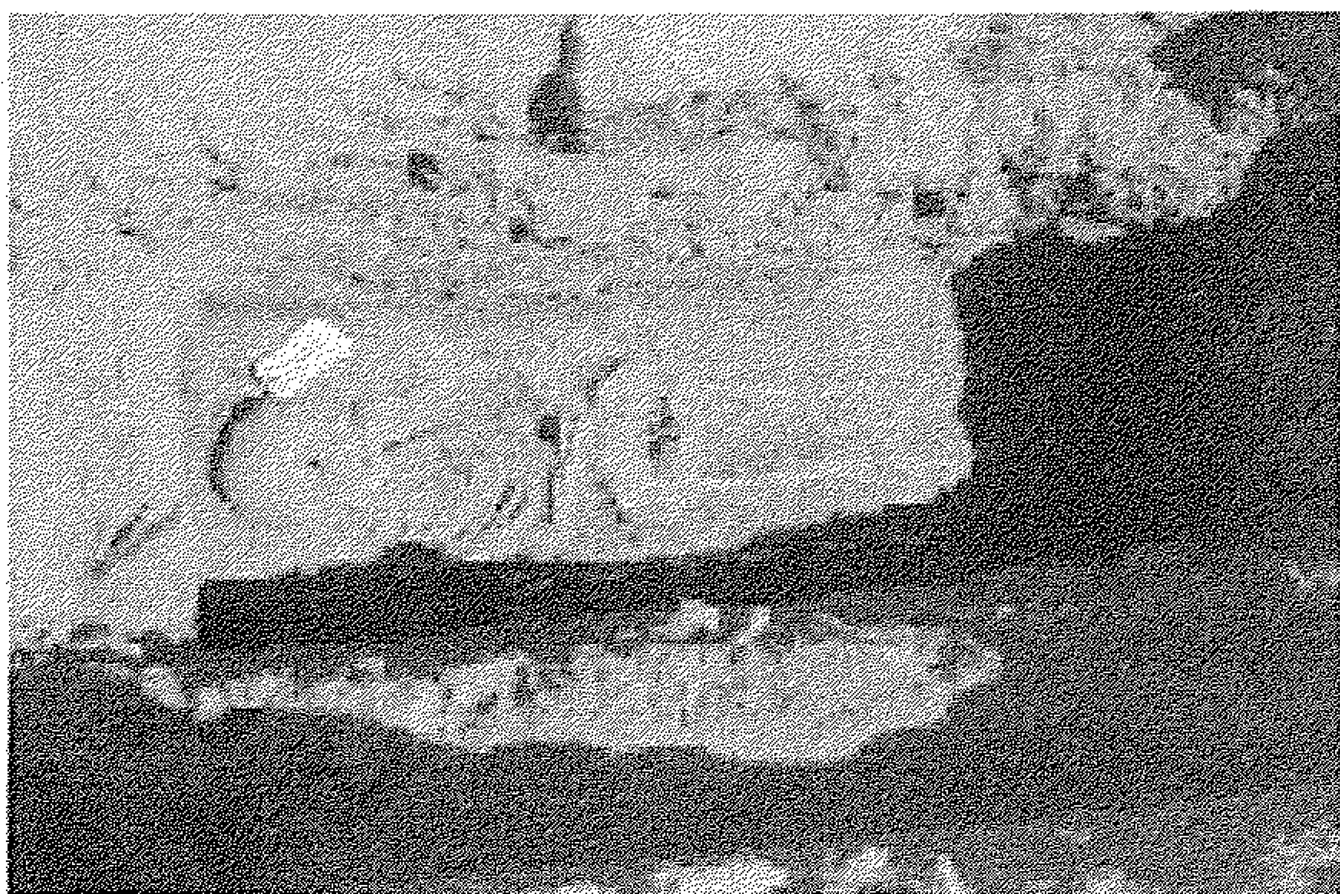


3. West Part of Modern House No. 32

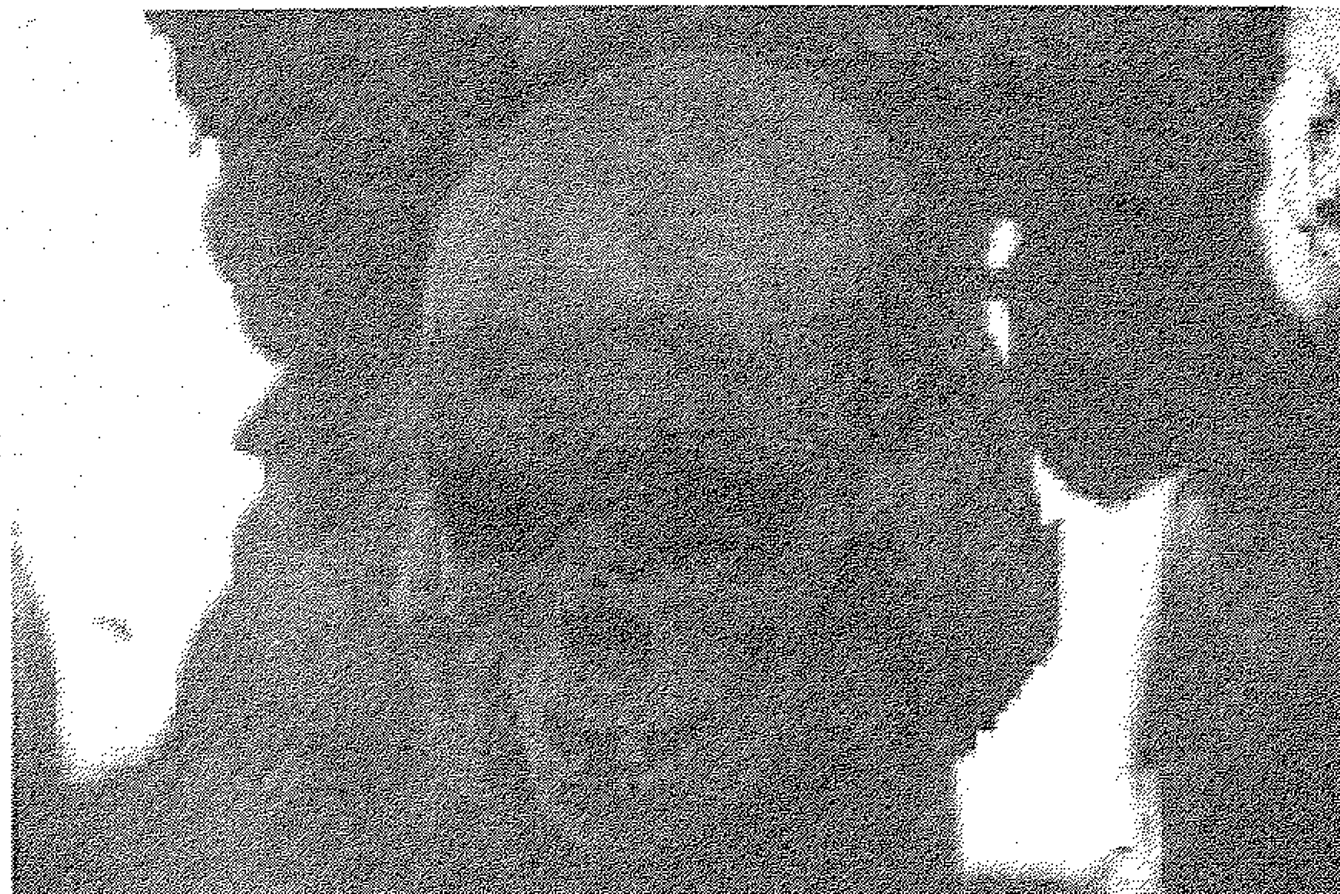


4. Inscriptions No. S-XIV-004 and 005

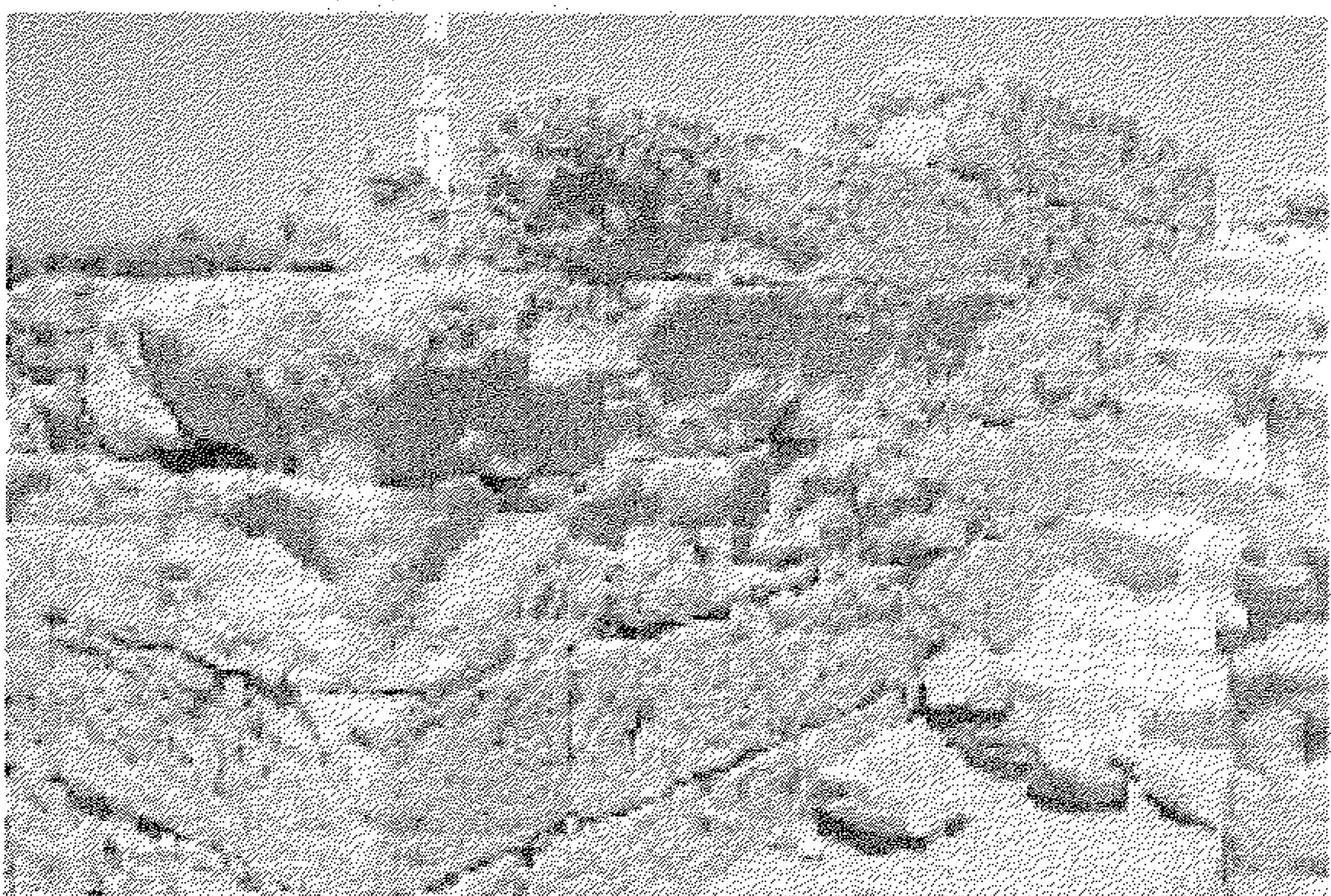
Pl. 37



1. Human Remains Buried under the Floor of the Apse



2. Skull Wrapped in Good Quality Bandage



3. Staircase 2 (before restoration, from the south)



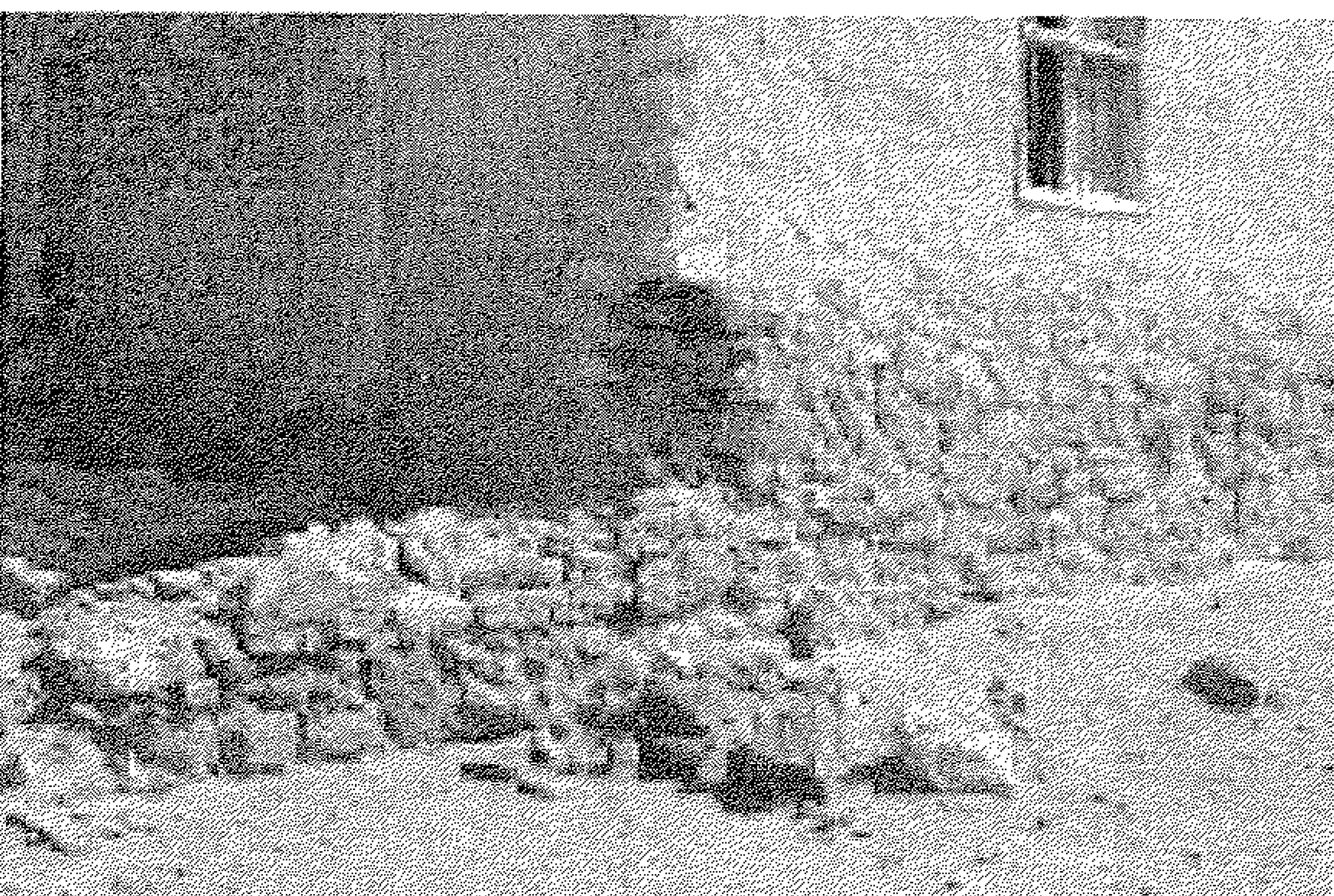
4. Staircase 2 (after restoration, from the south)



5. Severely Damaged Outer Face of North Wall of Refectory and Staircase 5 (from the east)



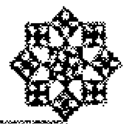
6. Modern House No. 1 (from the west)



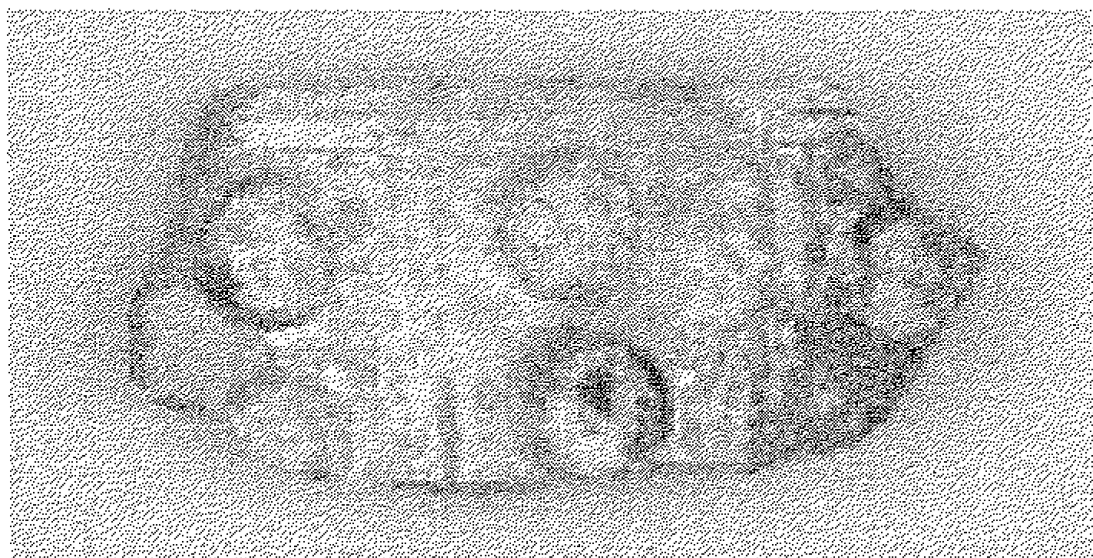
7. Northwest Corner of Modern House No. 1 (before restoration)

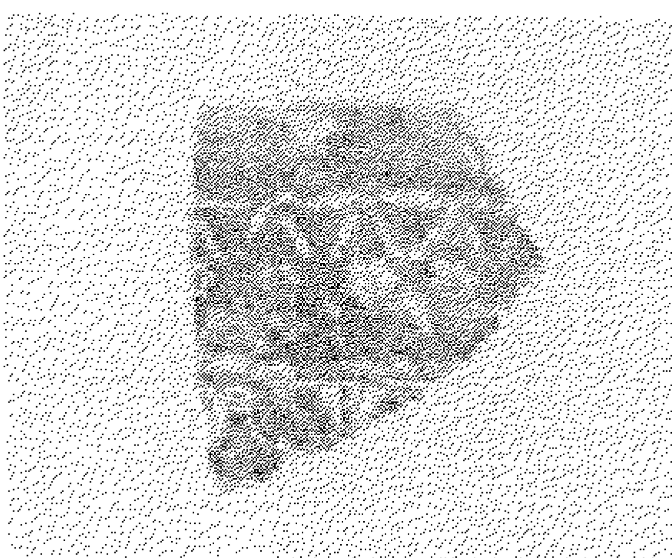


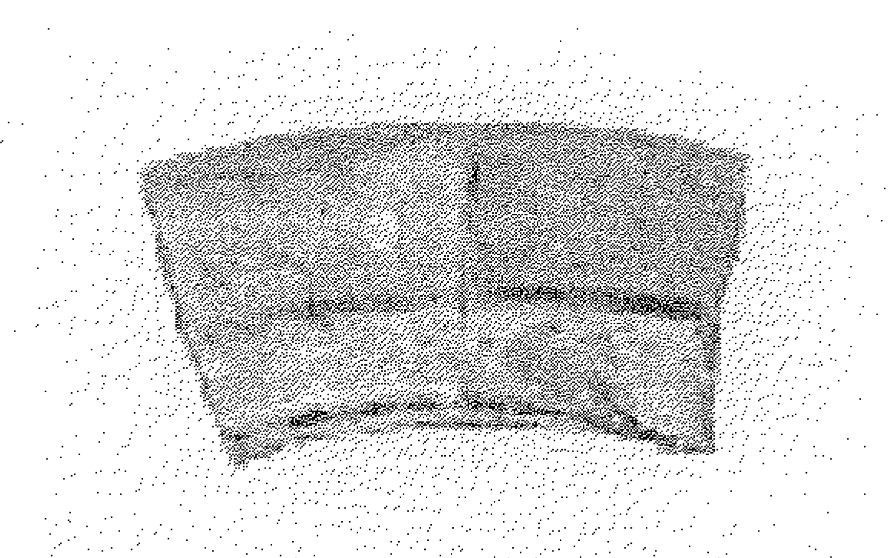
8. Northwest Corner of Modern House No. 1 (after restoration)

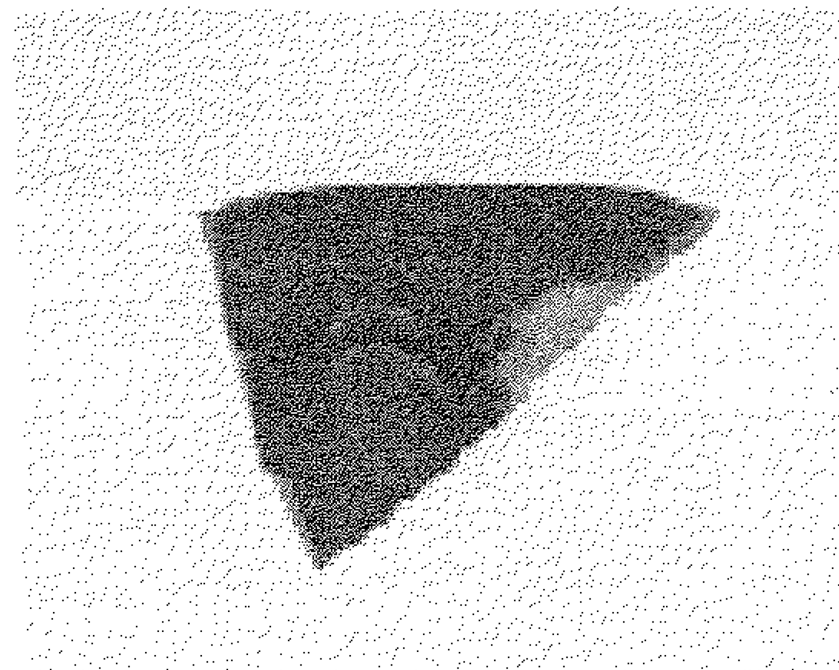


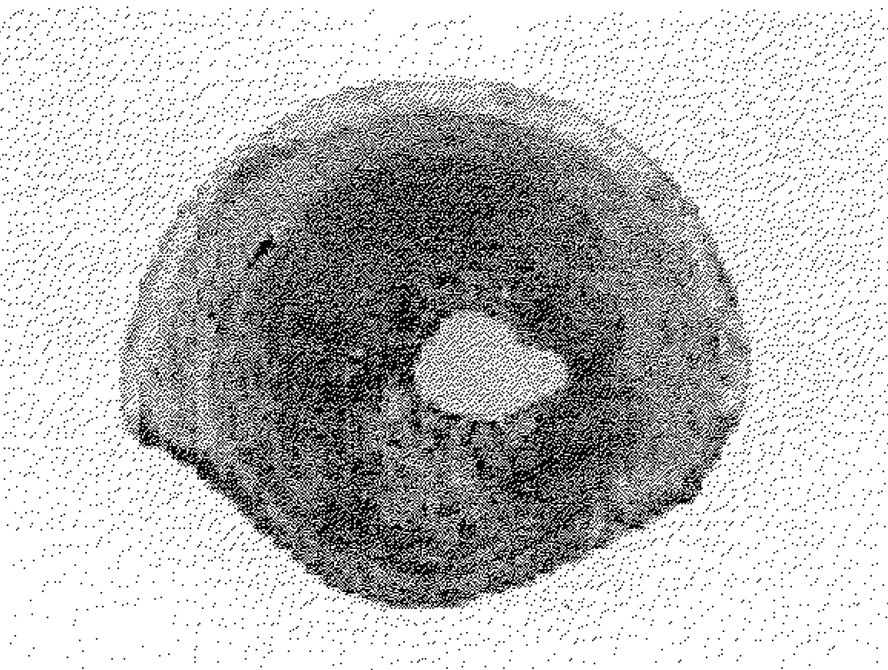
Pl. 36

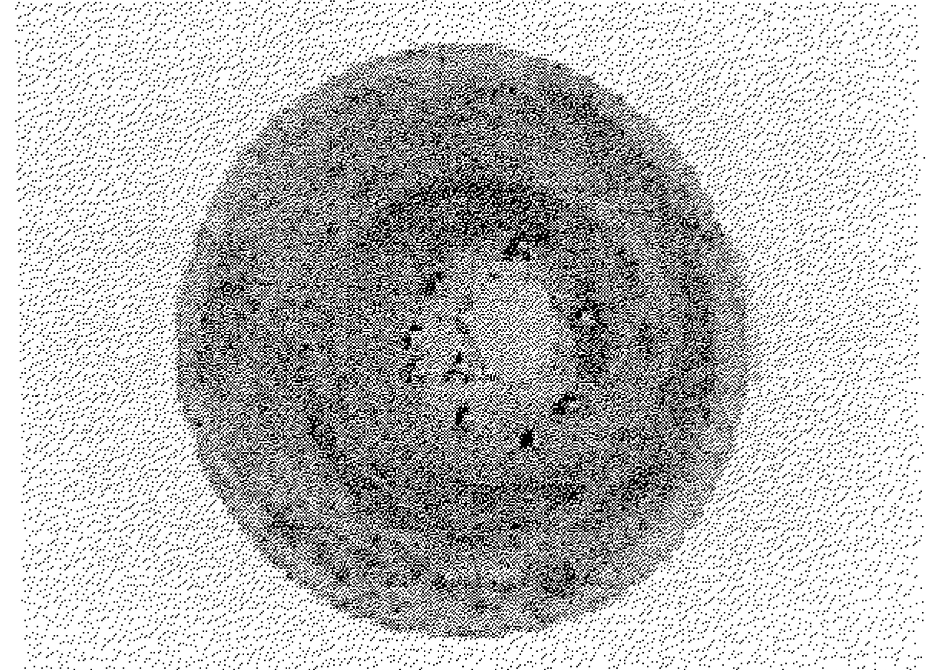

1. RP-K60

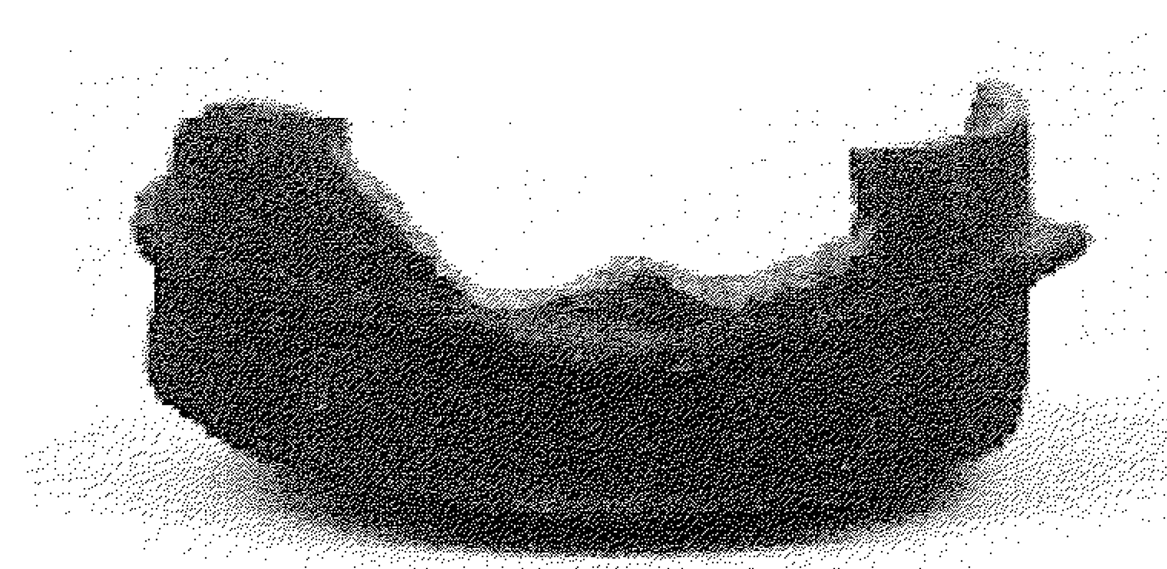

2. RP-K10

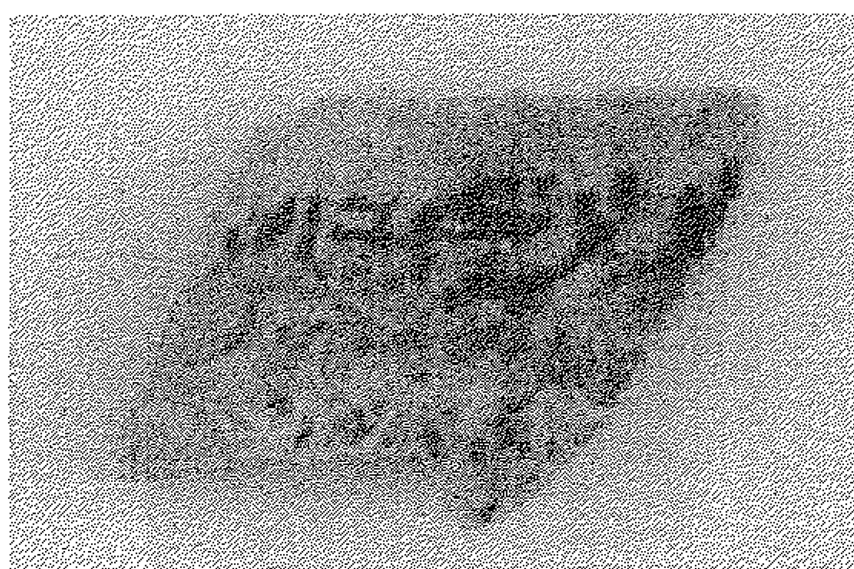

3. RP-K3+7

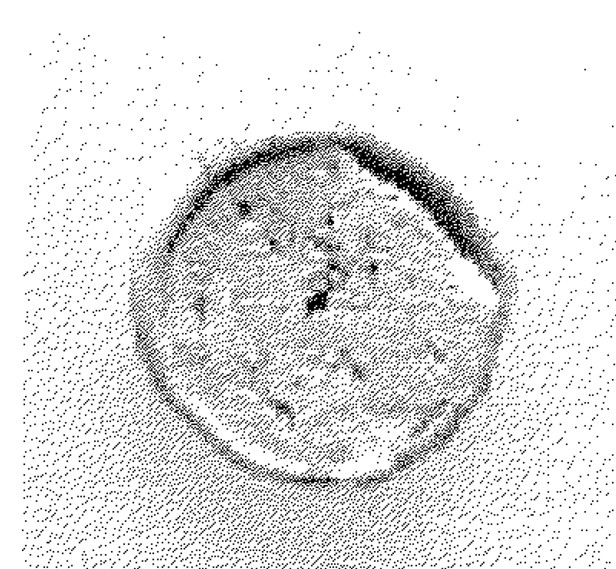

4. RCW-K1

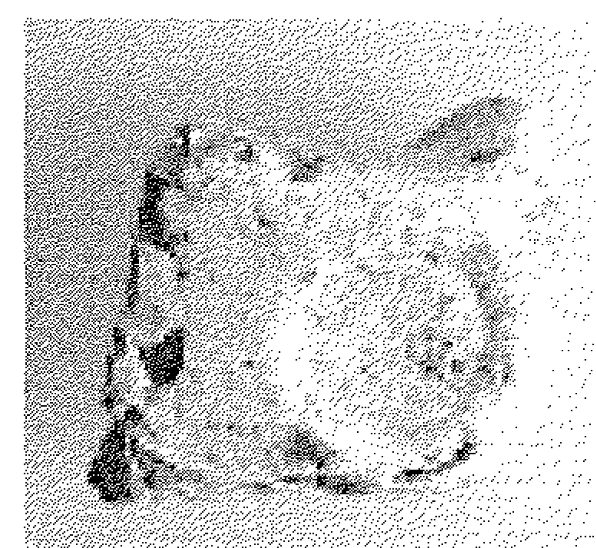

5. RF-K3

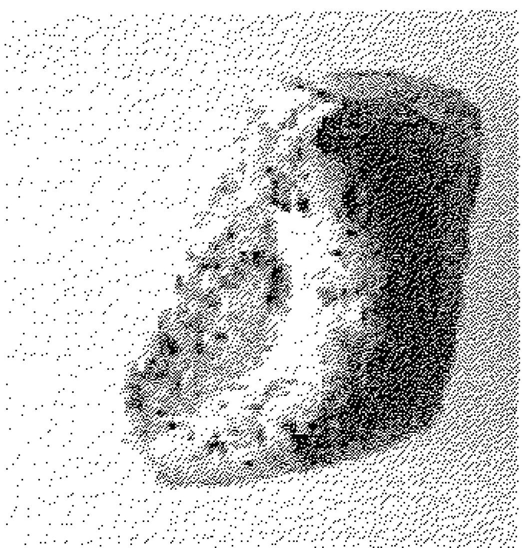

6. RF-K12

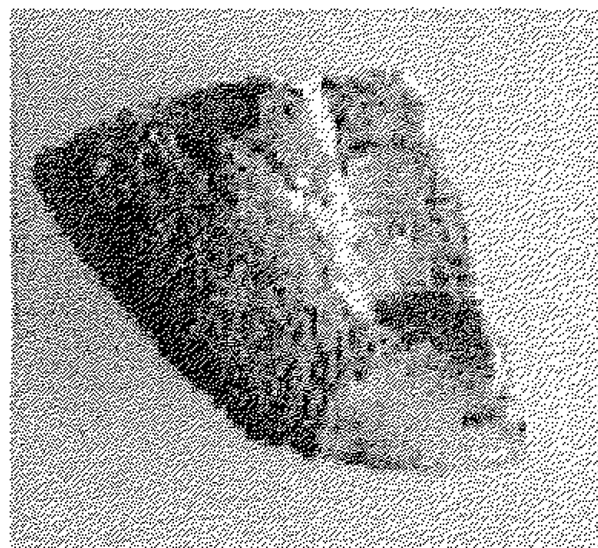

7. RT-K292


8. RM-K2

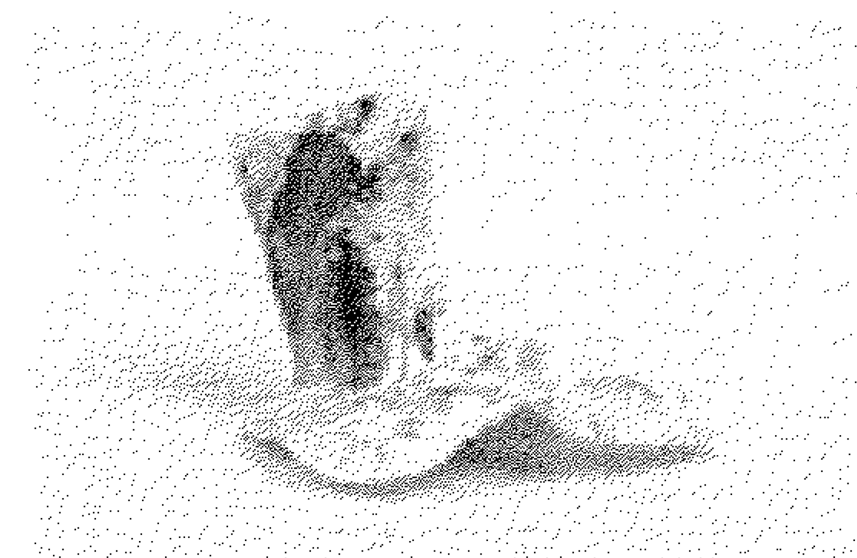

9. RGW-K1

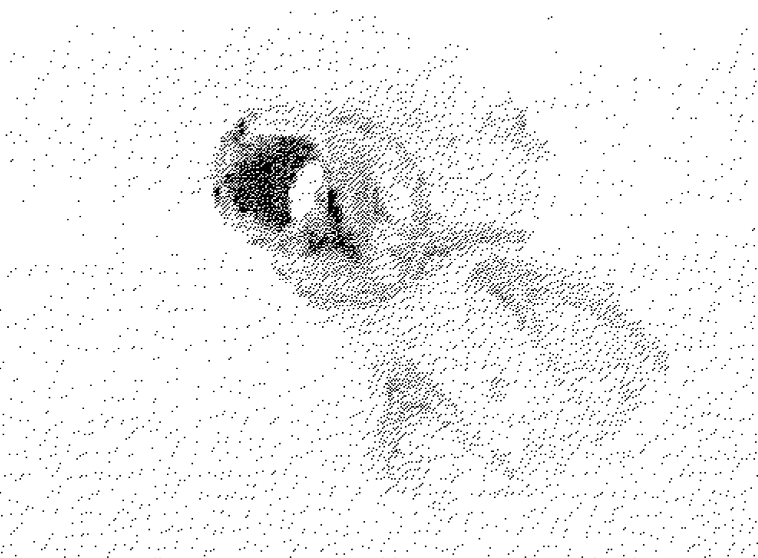

10. RGW-K4 (1)


11. RGW-K4 (2)

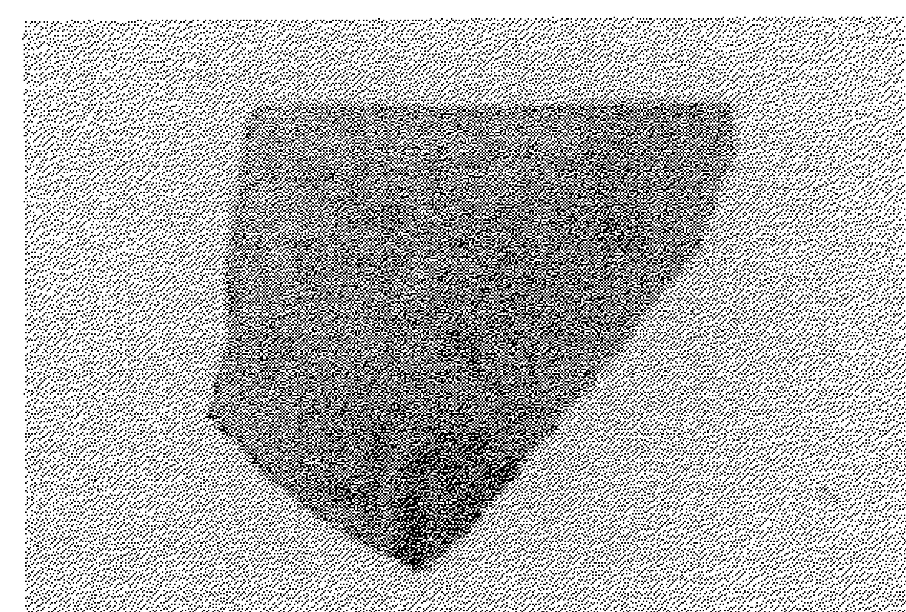

12. RGW-K2

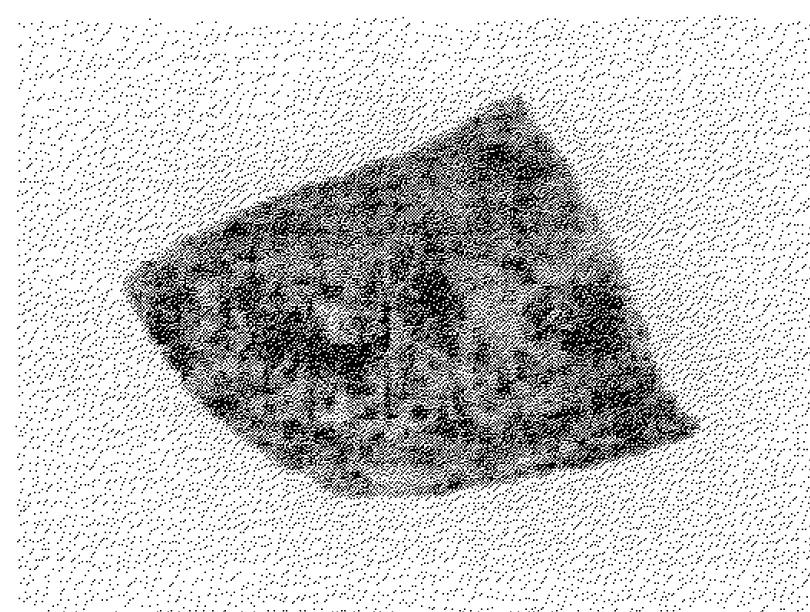

13. RGW-K5


14. RG-K123 (1)


15. RG-K123 (2)


16. RG-K26+32


17. RG-K31


18. RG-K471

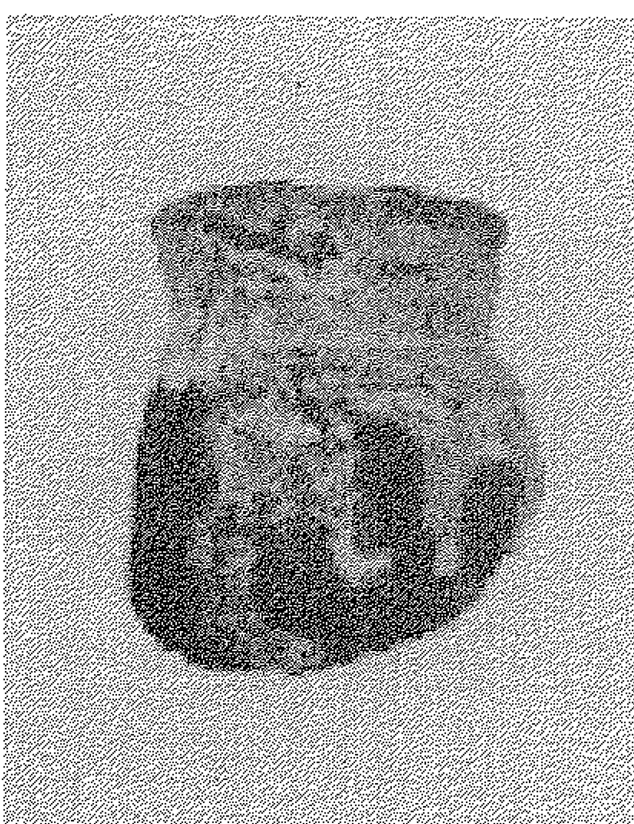

19. RG-K877

Pl. 35

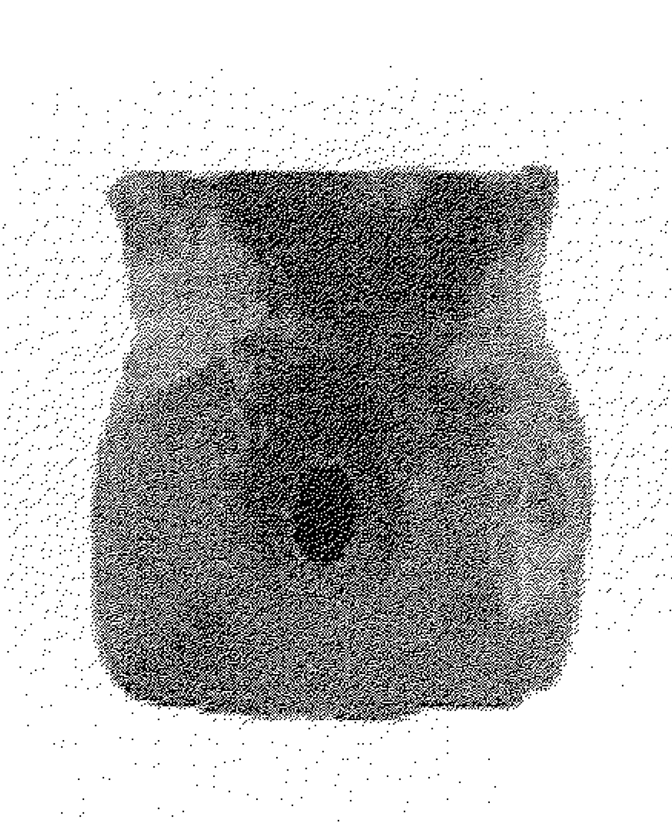

1. RE-K740

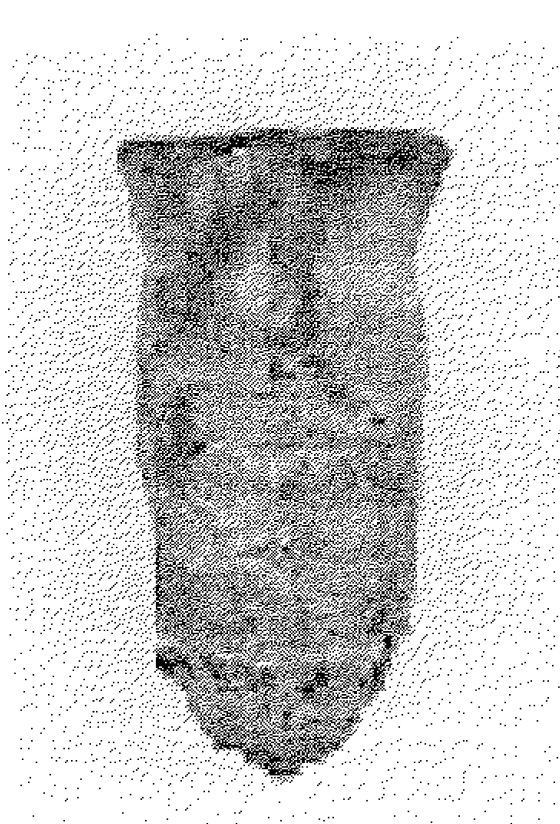

2. RE-K1445

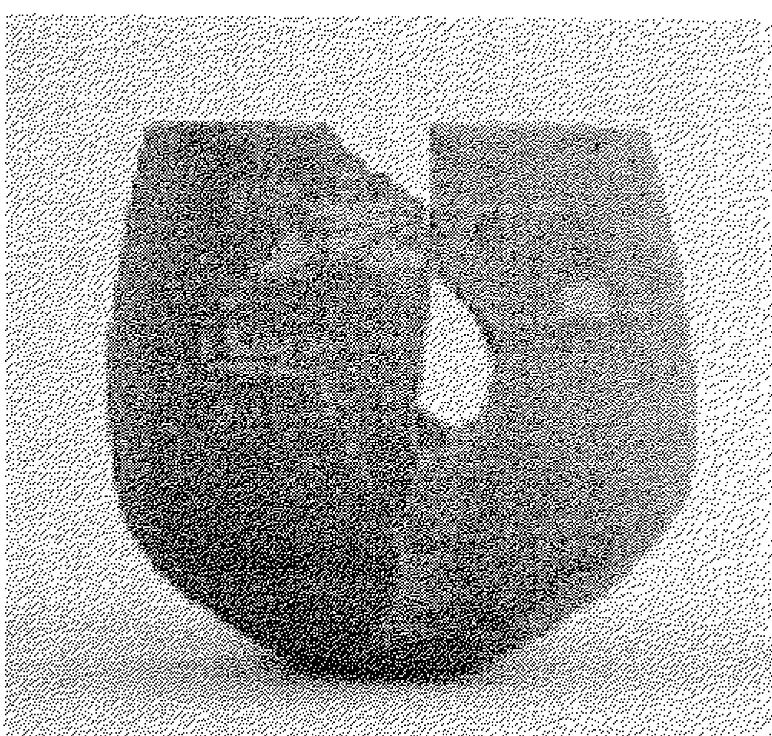

3. RE-K65


4. RE-K217


5. RE-K294


6. RE-K679

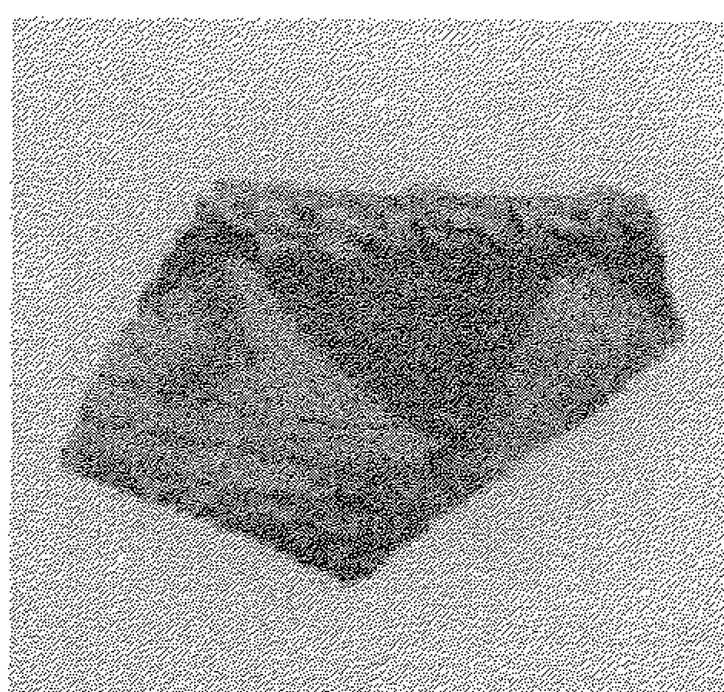

7. RE-K191

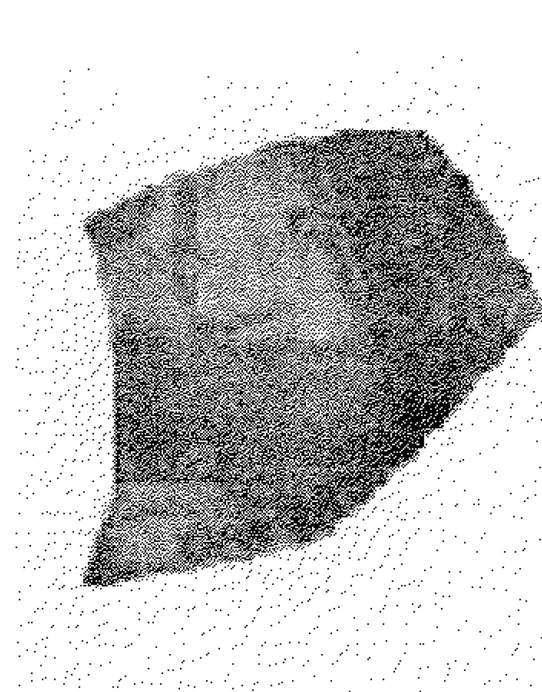

8. RE-K245+251

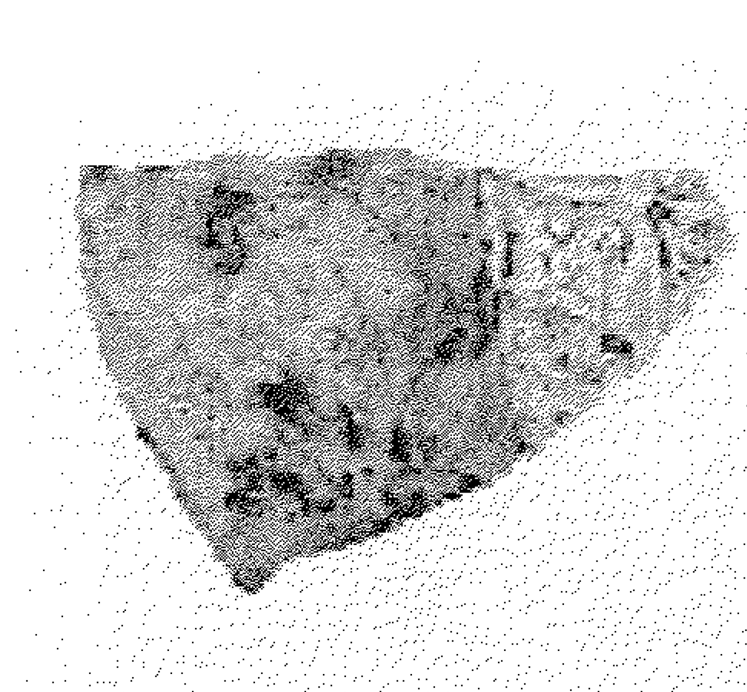

9. RE-K155


10. RE-K1906


11. RE-K7


12. RE-K156

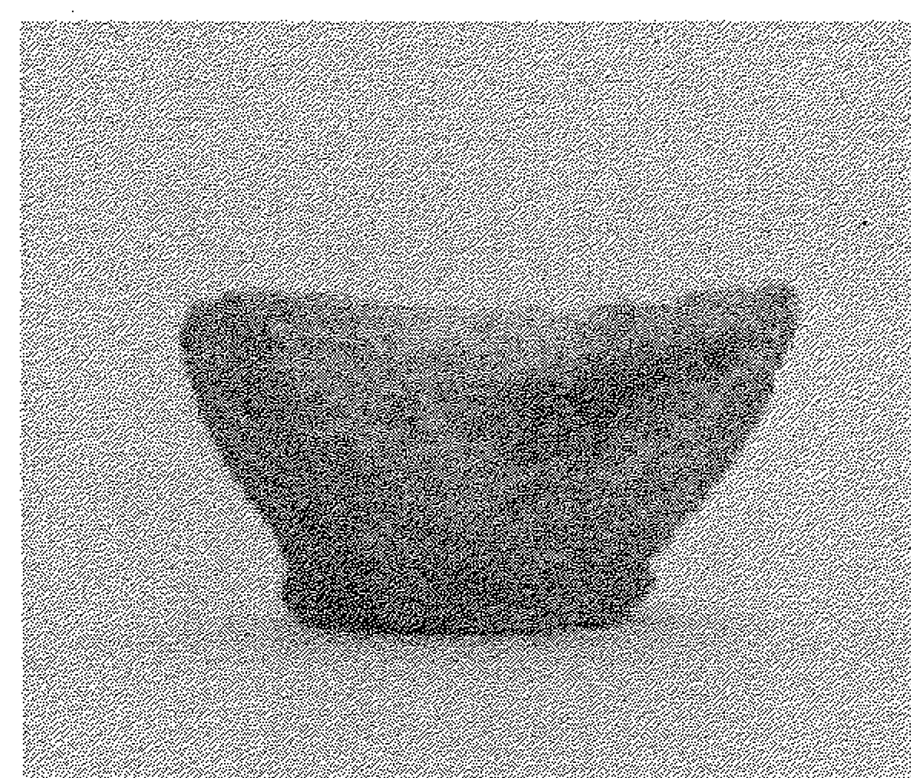

13. RE-K1636

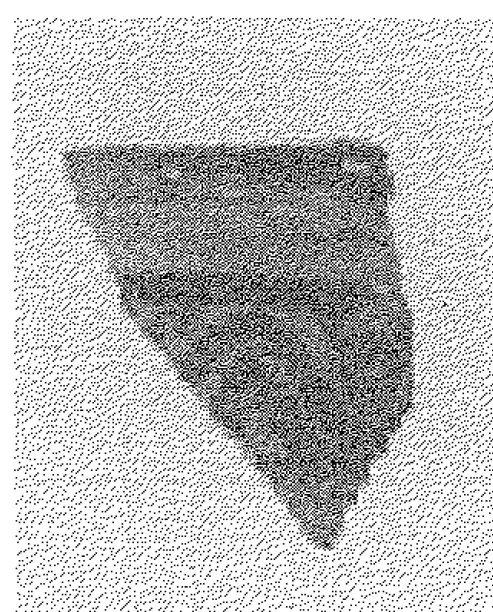

14. RE-K2006

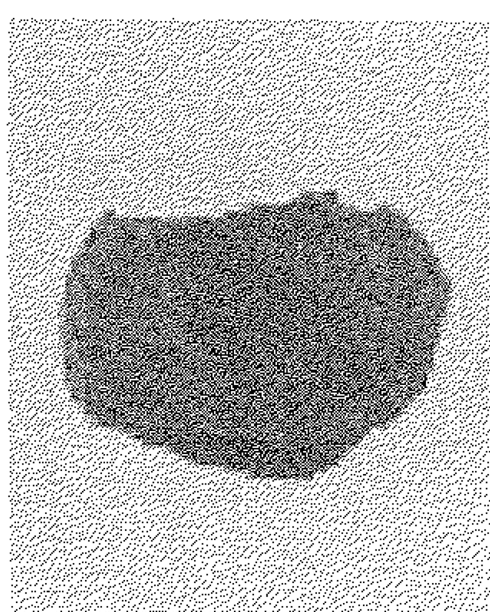


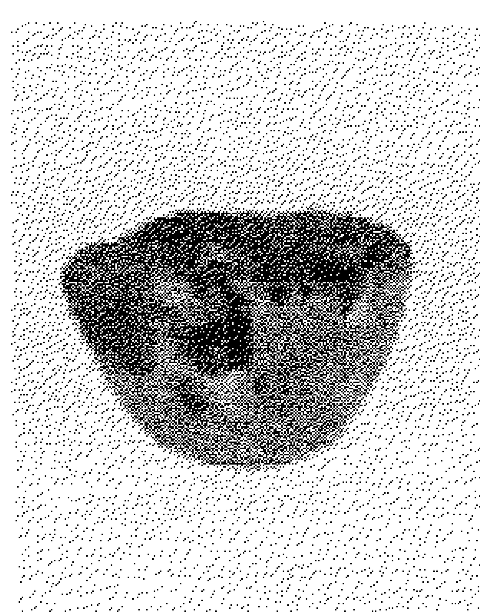

1. RE3268

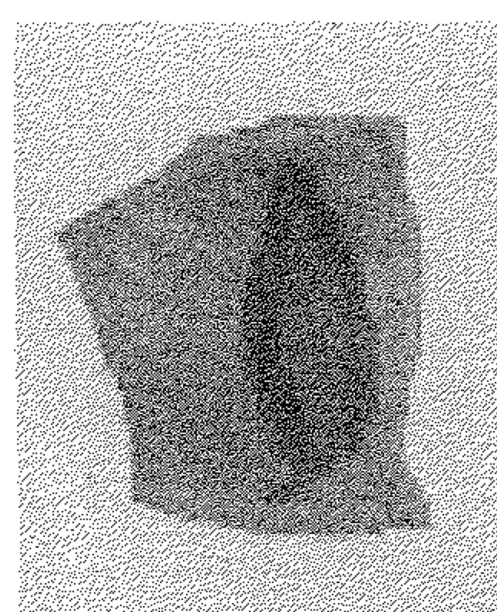

2. RE3267

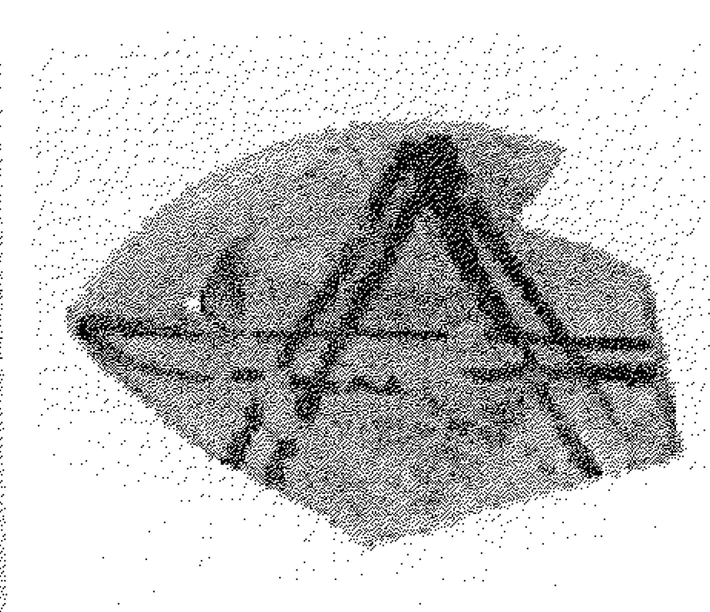

3. RE3241

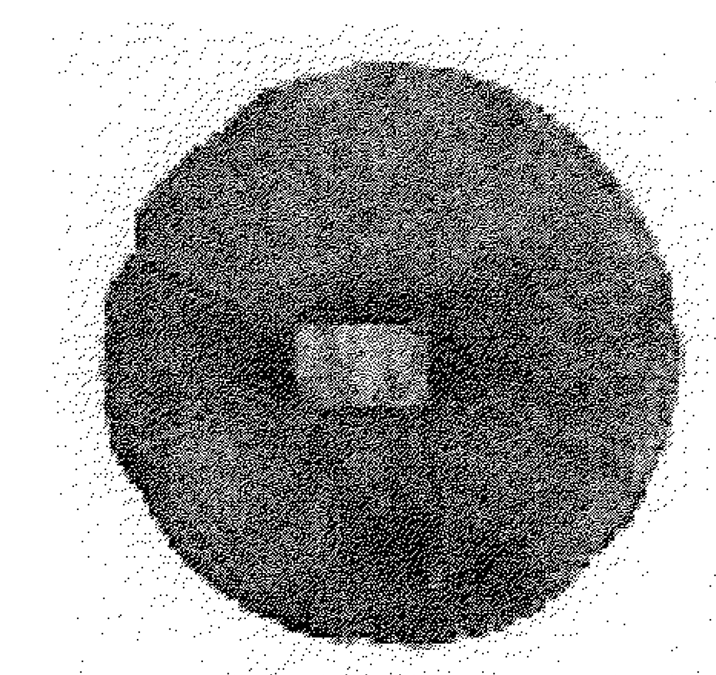

4. RE3215

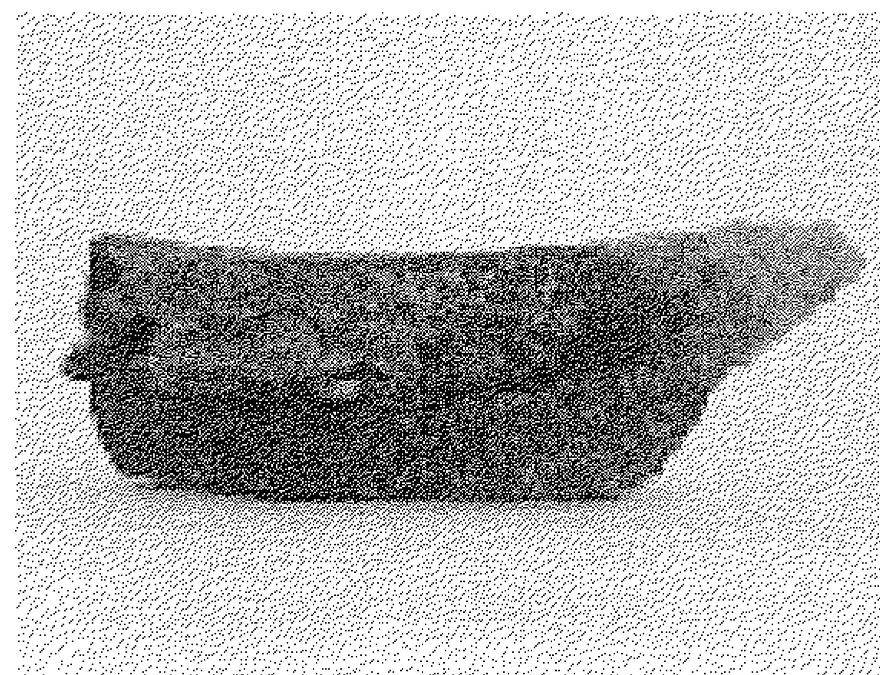

5. RE3224

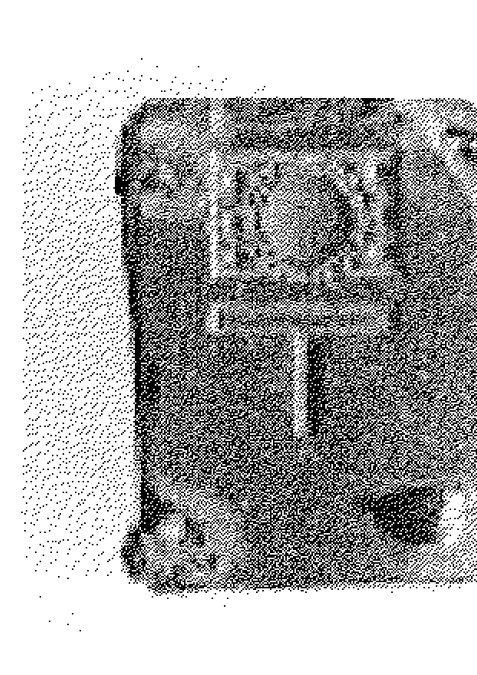

6. RP16639

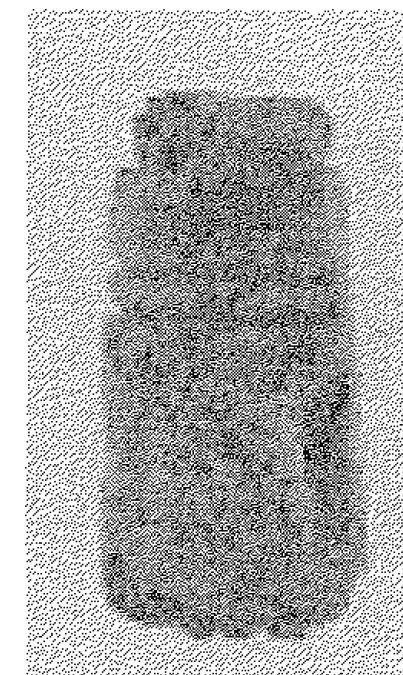

7. RP16344

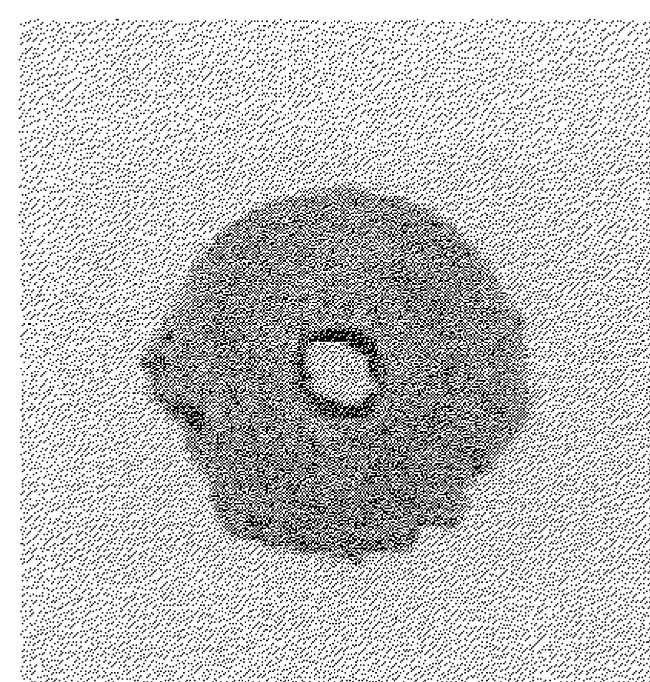

8. RP16657

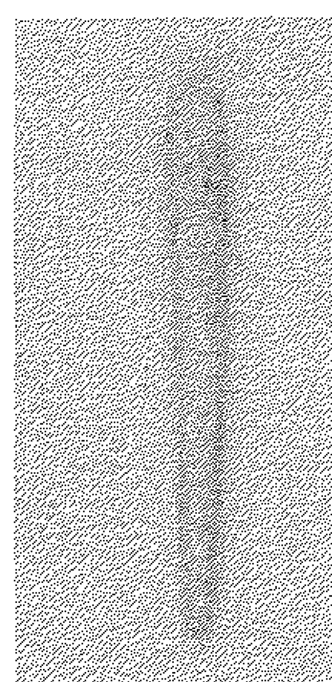

9. RT9805

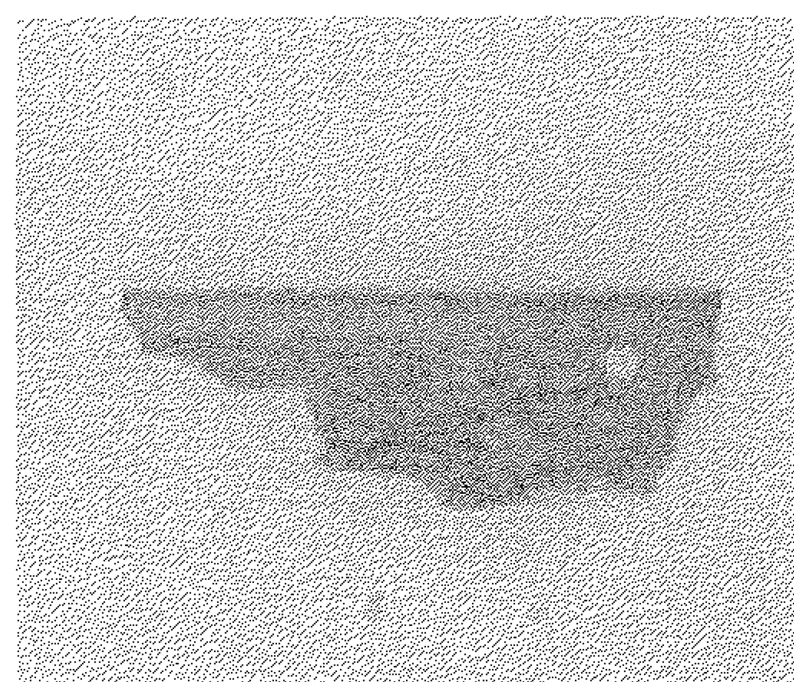

10. RT9962

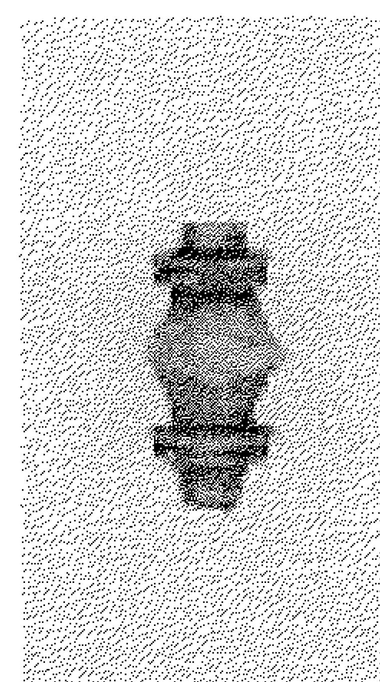

11. RT9933

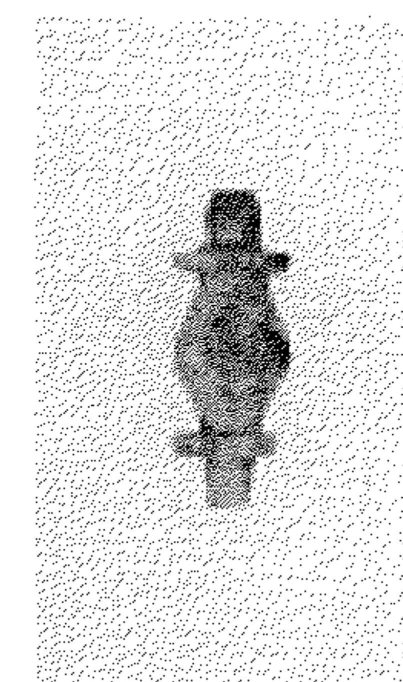

12. RT9868

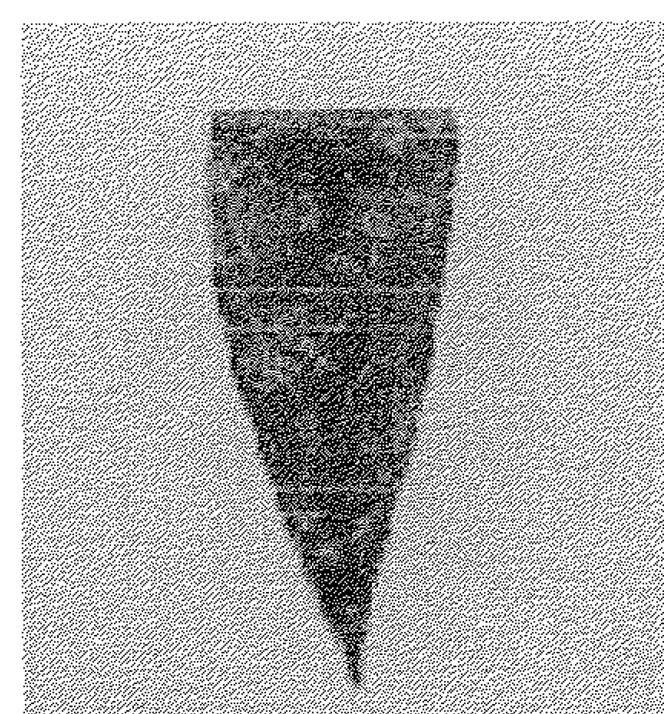

13. RT9934

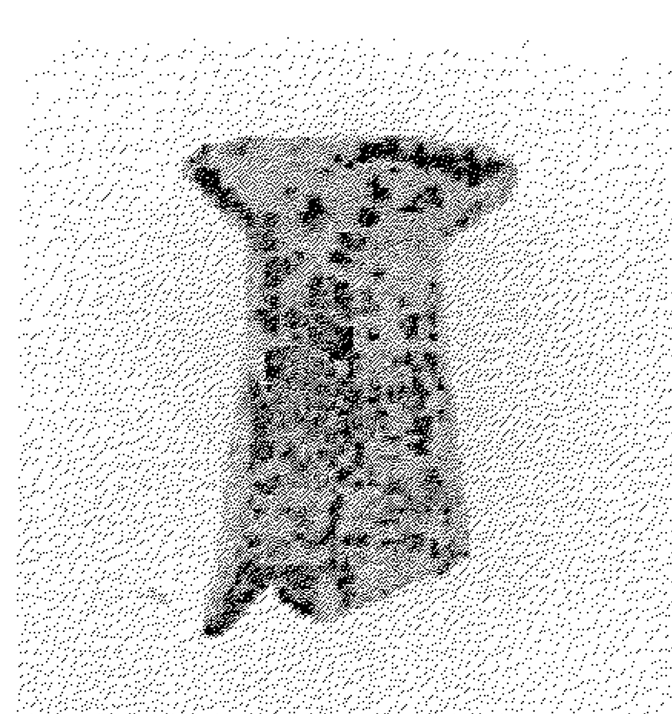

14. RO7994

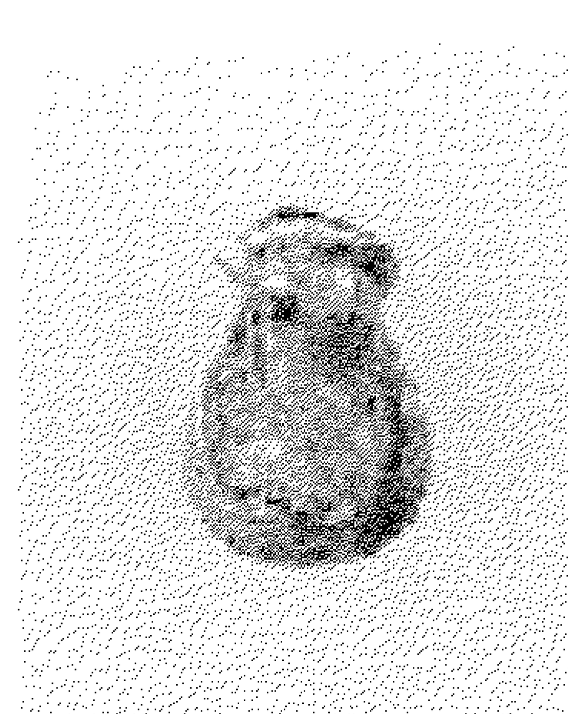

15. RO8121


16. RB1042


17. RB1043


18. RG11903


19. RG11876

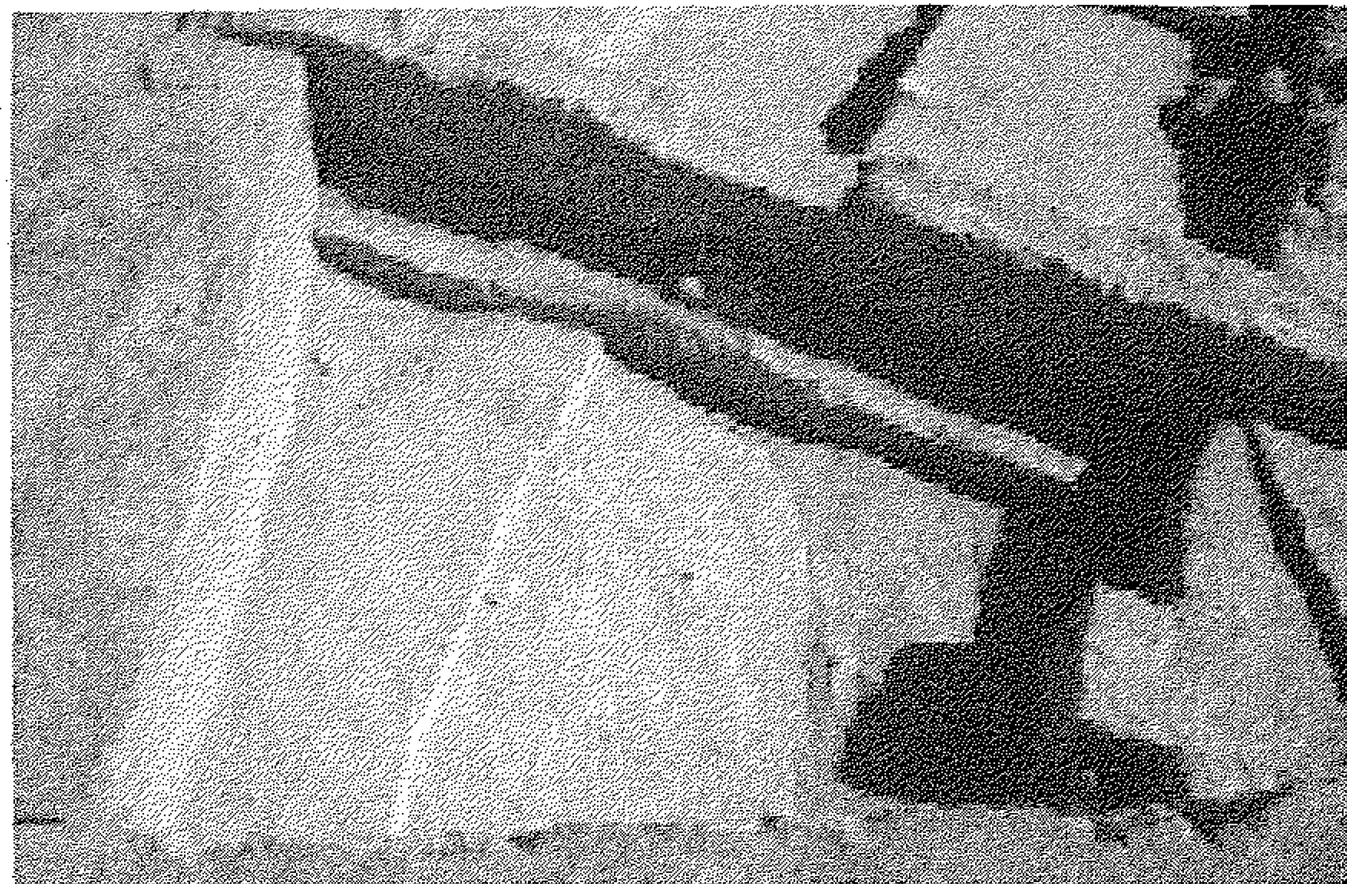

20. RG12129


21. RG12013

Pl. 33



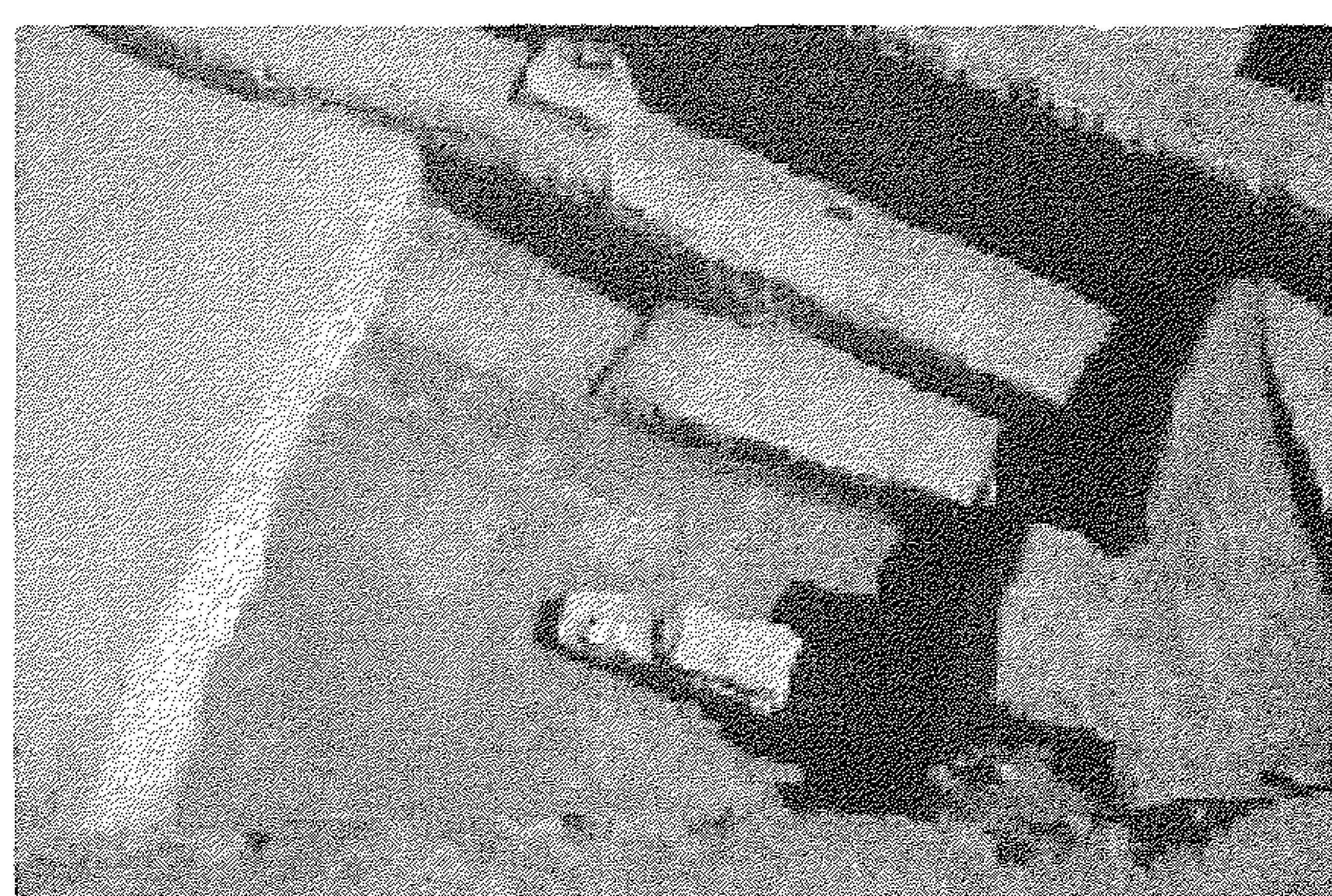
1. *Dakka* and Pit in the Southeast Part of Room No. K2-4



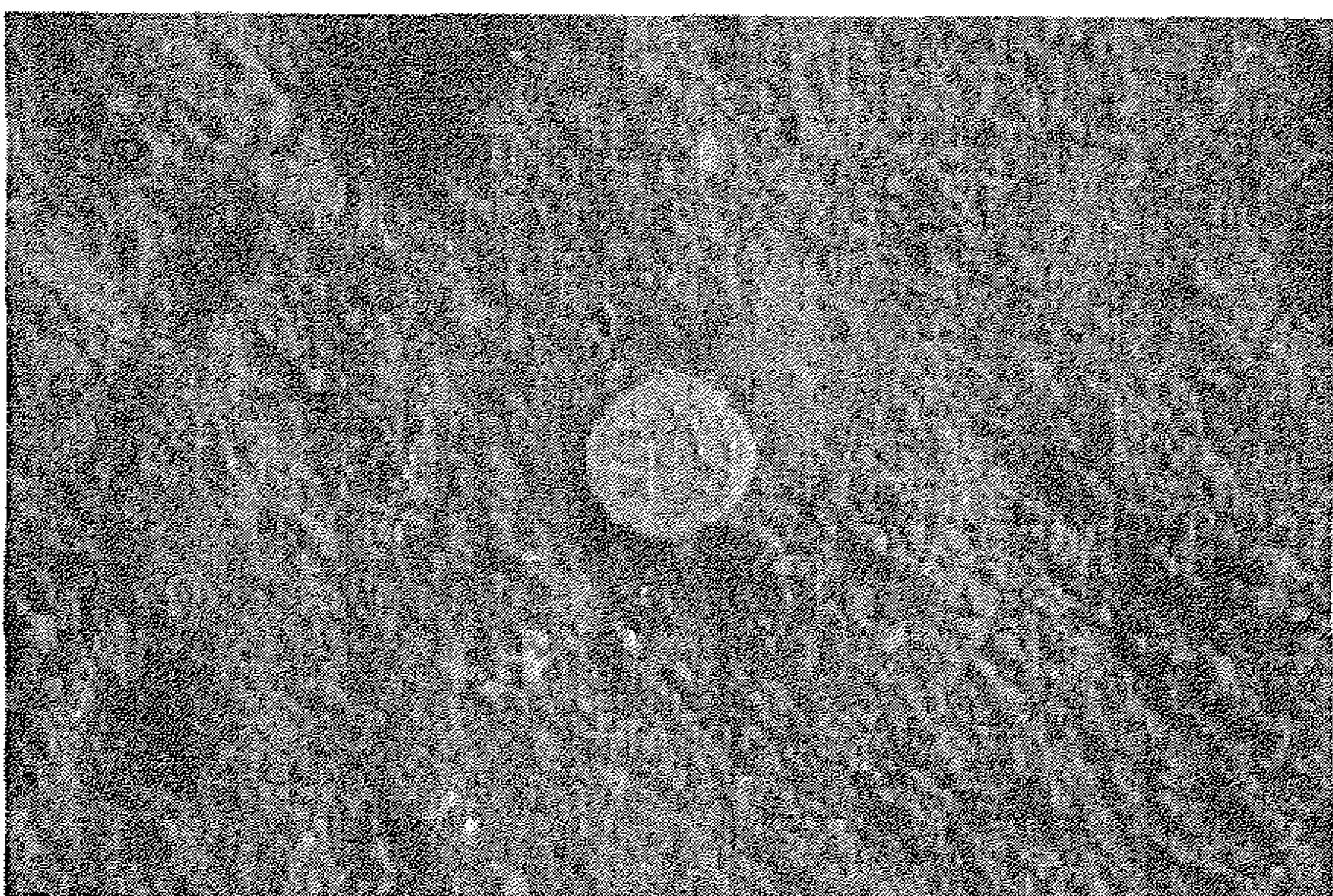
2. Natural White Sand Layer Outside the South Outer Wall of Room No. K1-8 (from above)



3. Section of Natural White Sand Layer Outside the South Outer Wall of Room No. K1-8



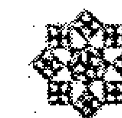
4. Natural White Sand Layer and Wall of Sun-dried Bricks of the Older Phase outside the South Outer Wall of Room No. K1-8 (from above)



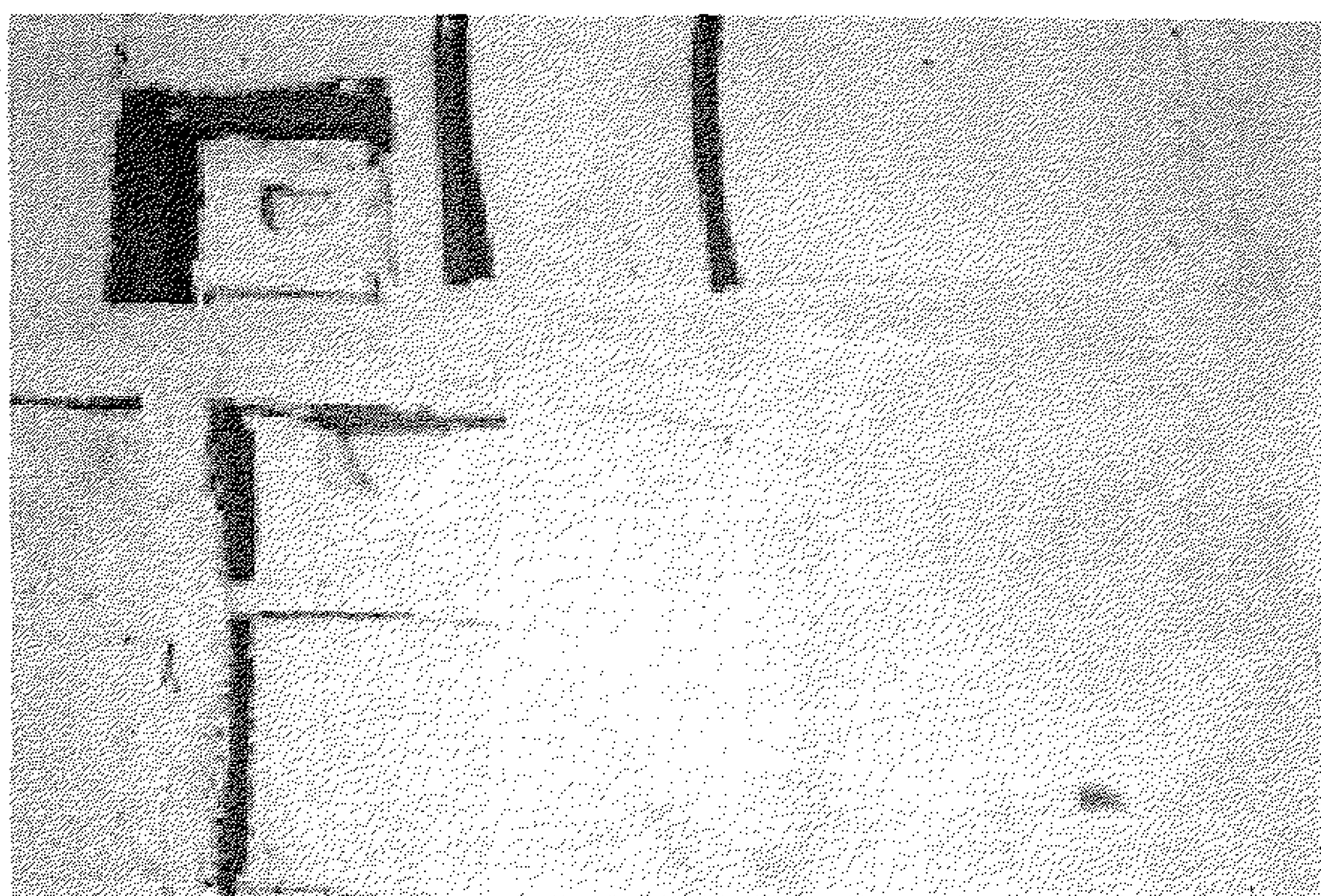
5. Excavated Gold Coin (RC-K6)



6. Excavated Disc Weight (RGW-K6)



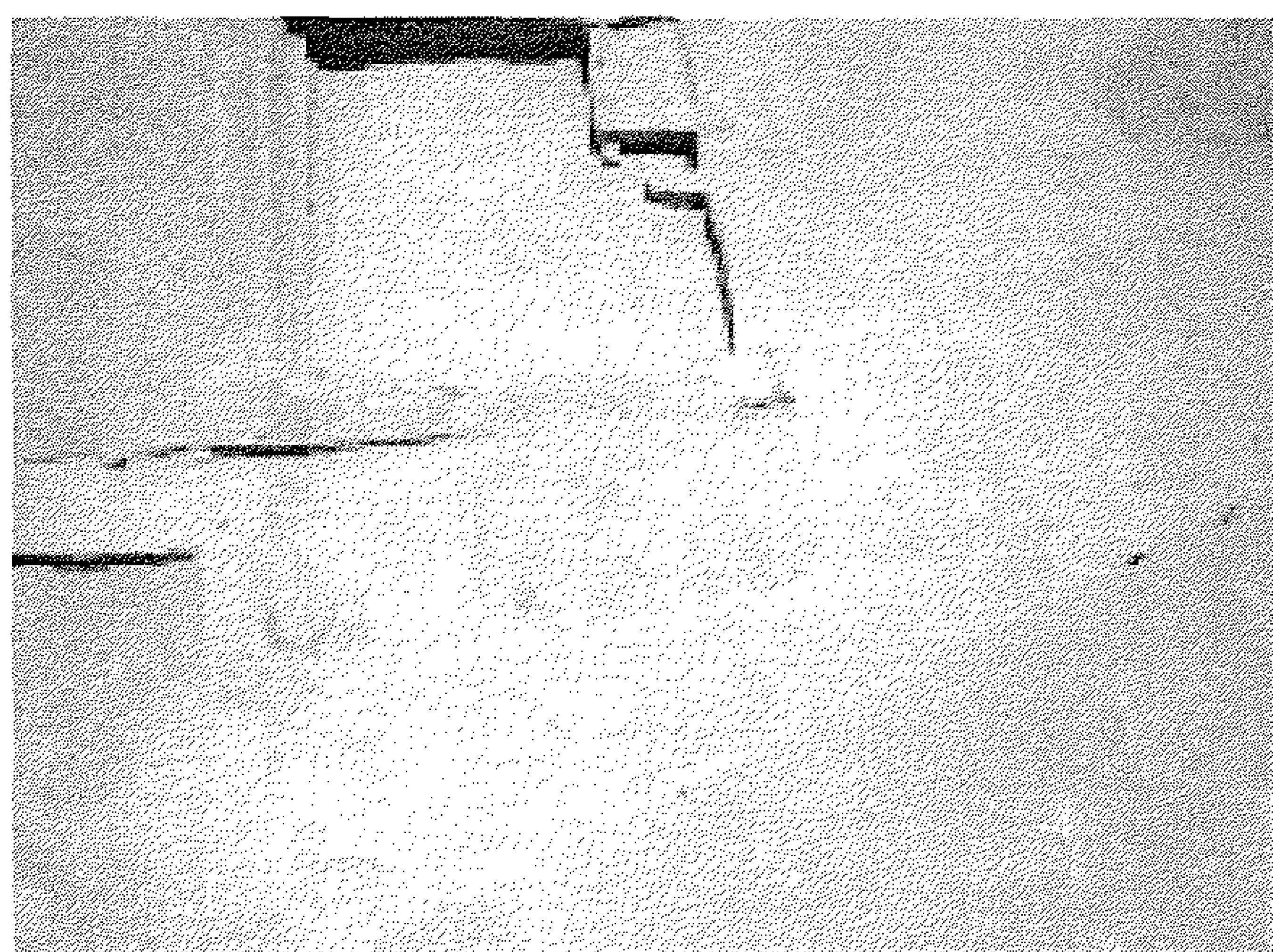
Pl. 32



1. Double Wall



2. Street on the East Side of the Excavated Area (from above)



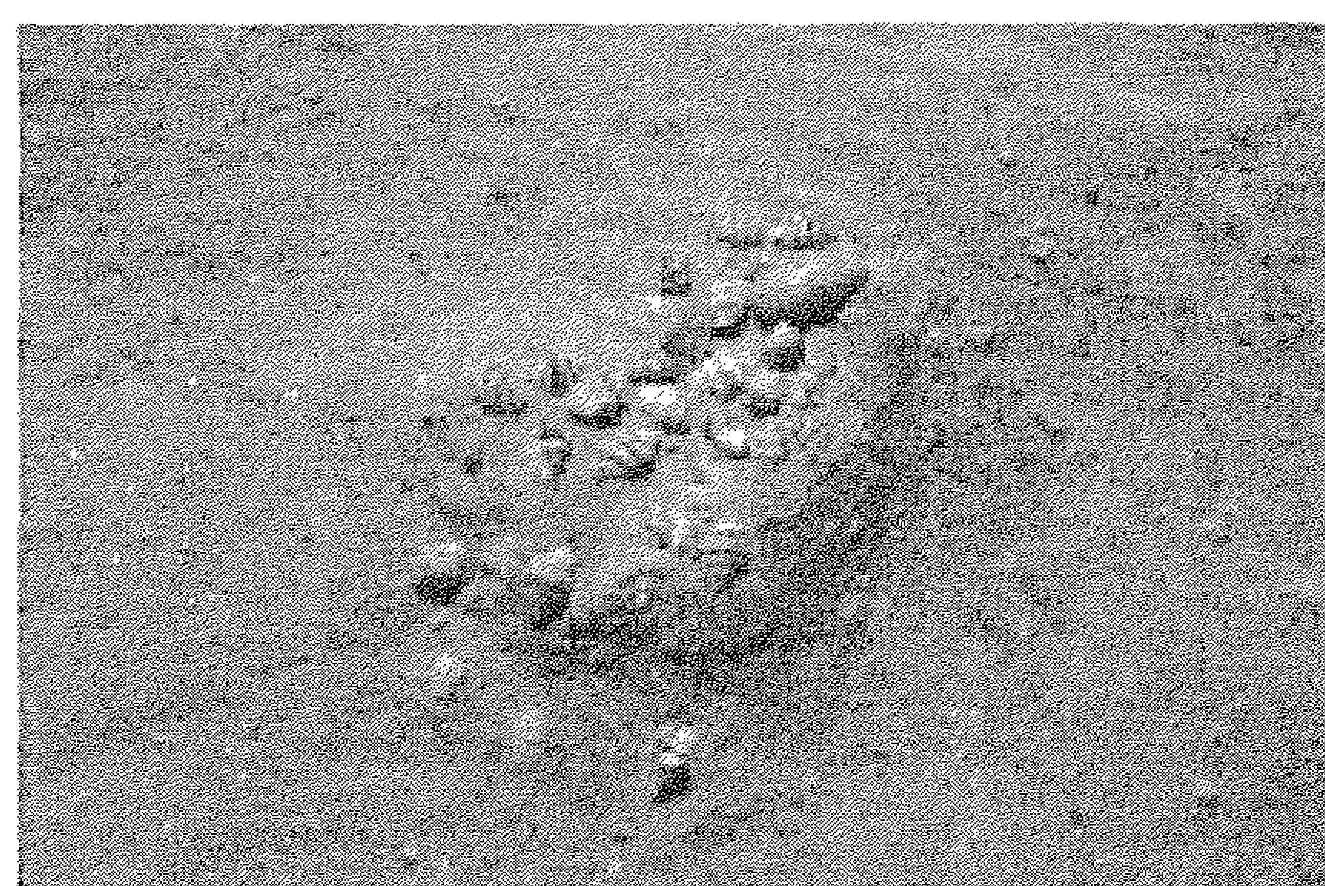
3. Street on the West Side of the Excavated Area (from above)



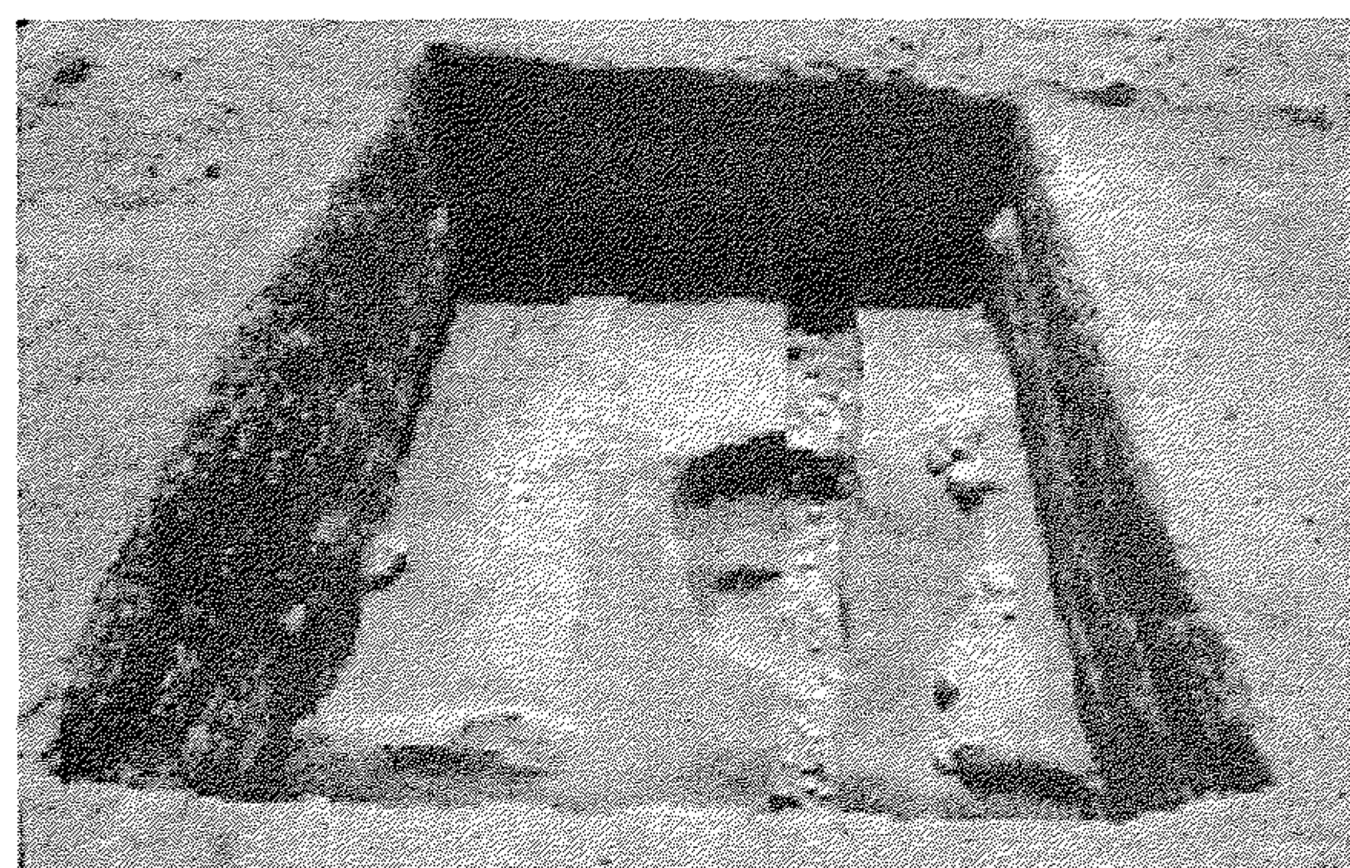
4. Tandoor Oven



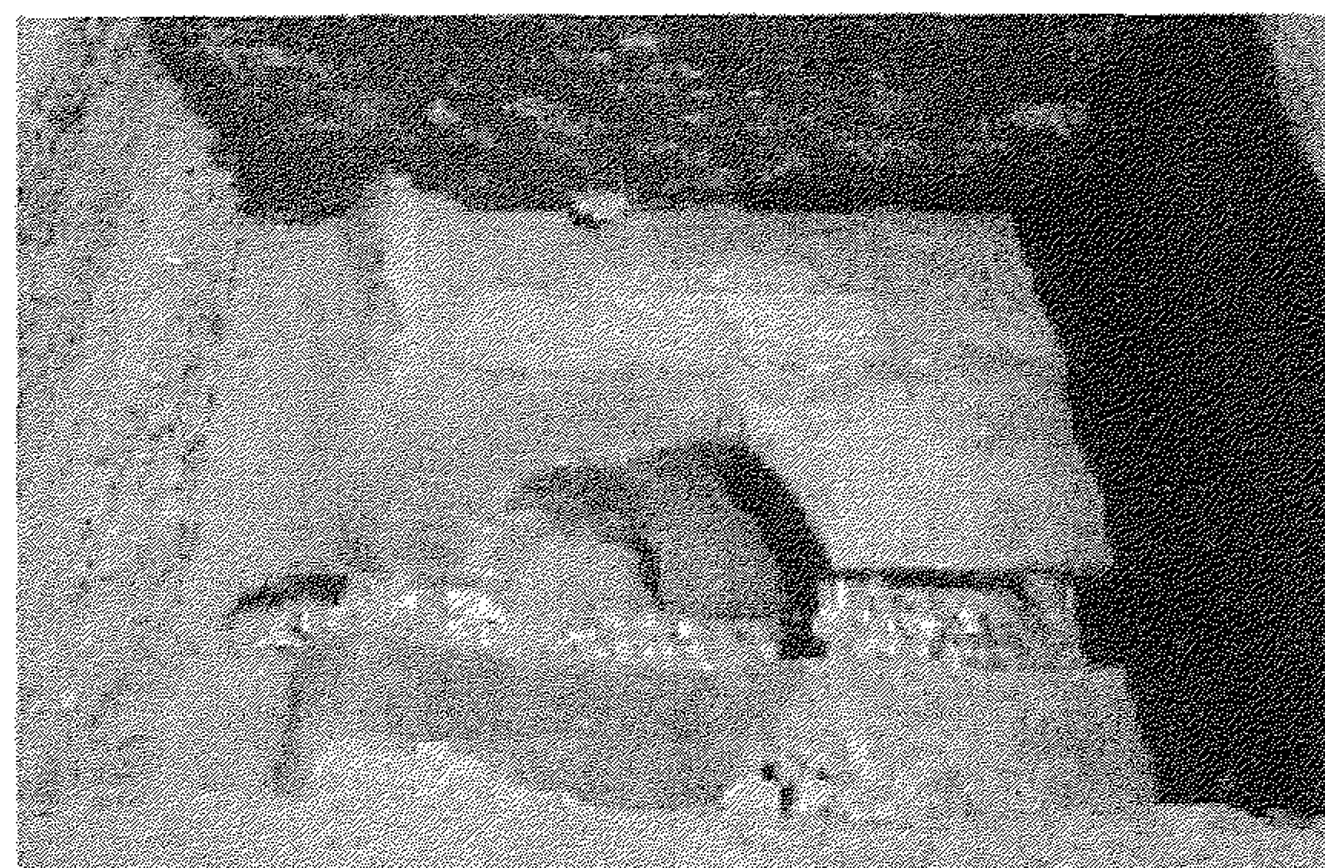
5. Triple *Kānūn*, or Oven, on the East Wall of Room No. K3-1



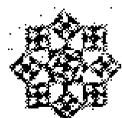
6. Concentration of Spiral Shells



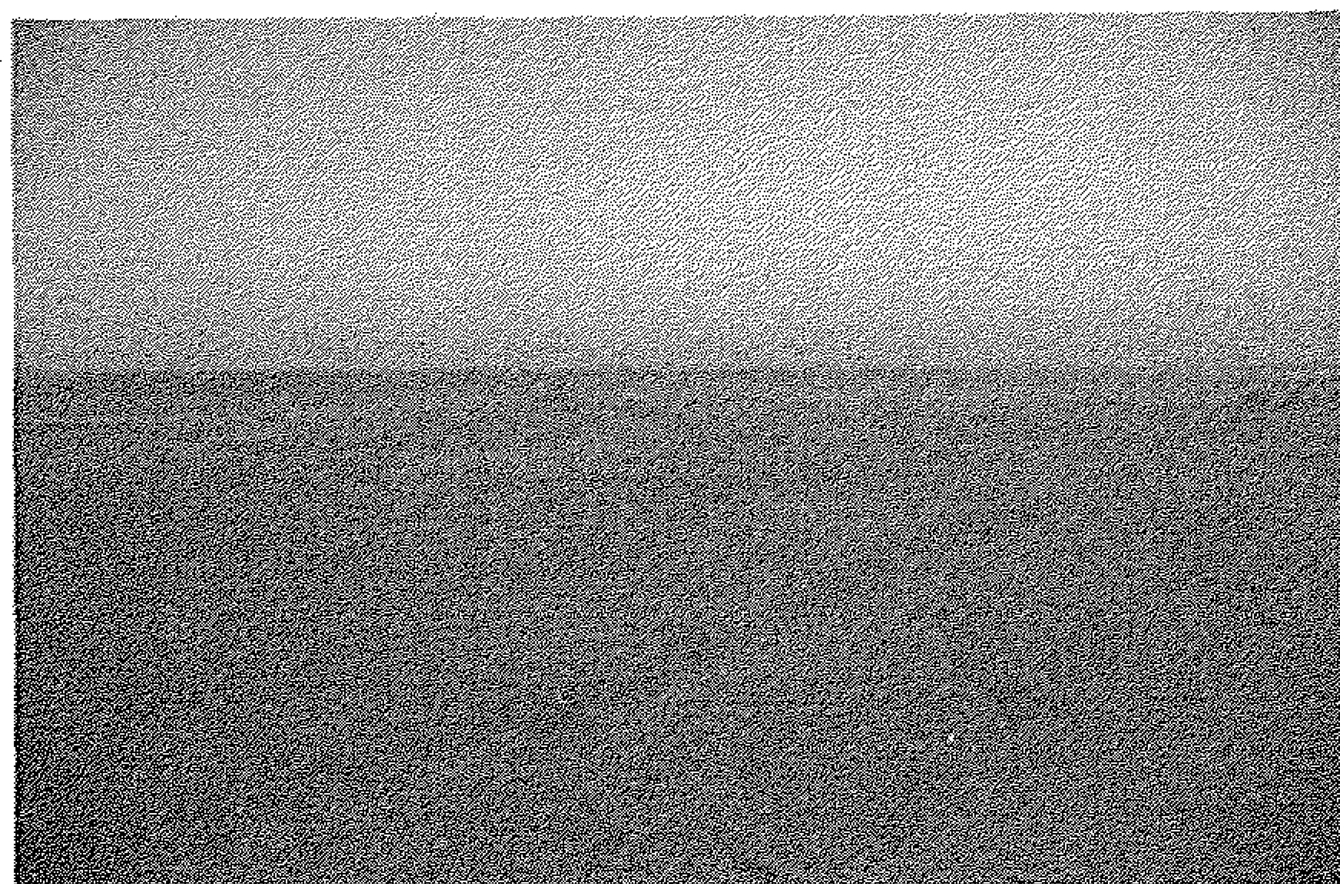
7. Lowest *Dakka* of Room No. K1-7 and Earlier Construction Below (from the west)



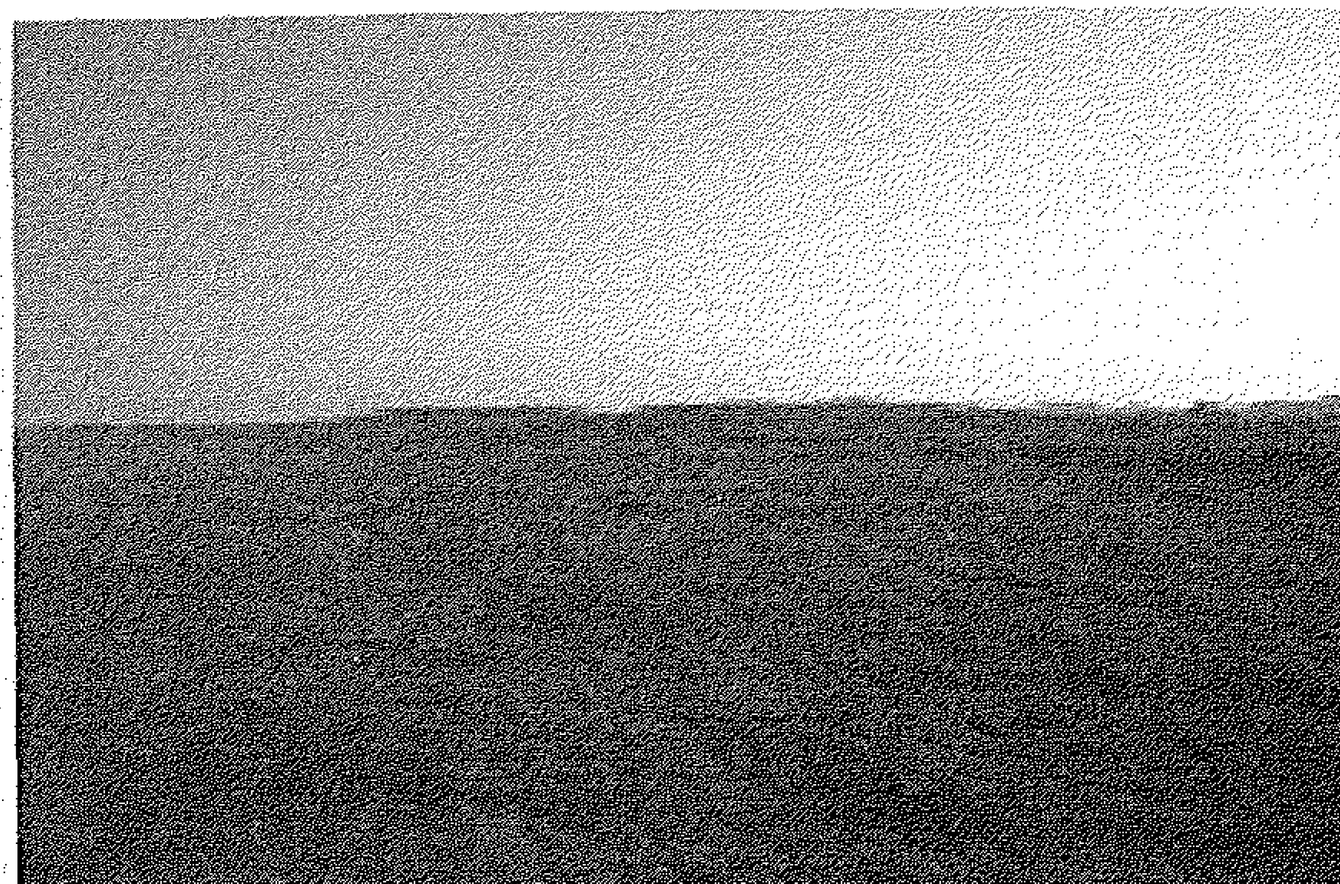
8. Lowest *Dakka* of Room No. K1-7 and Earlier Construction Below (from the south)



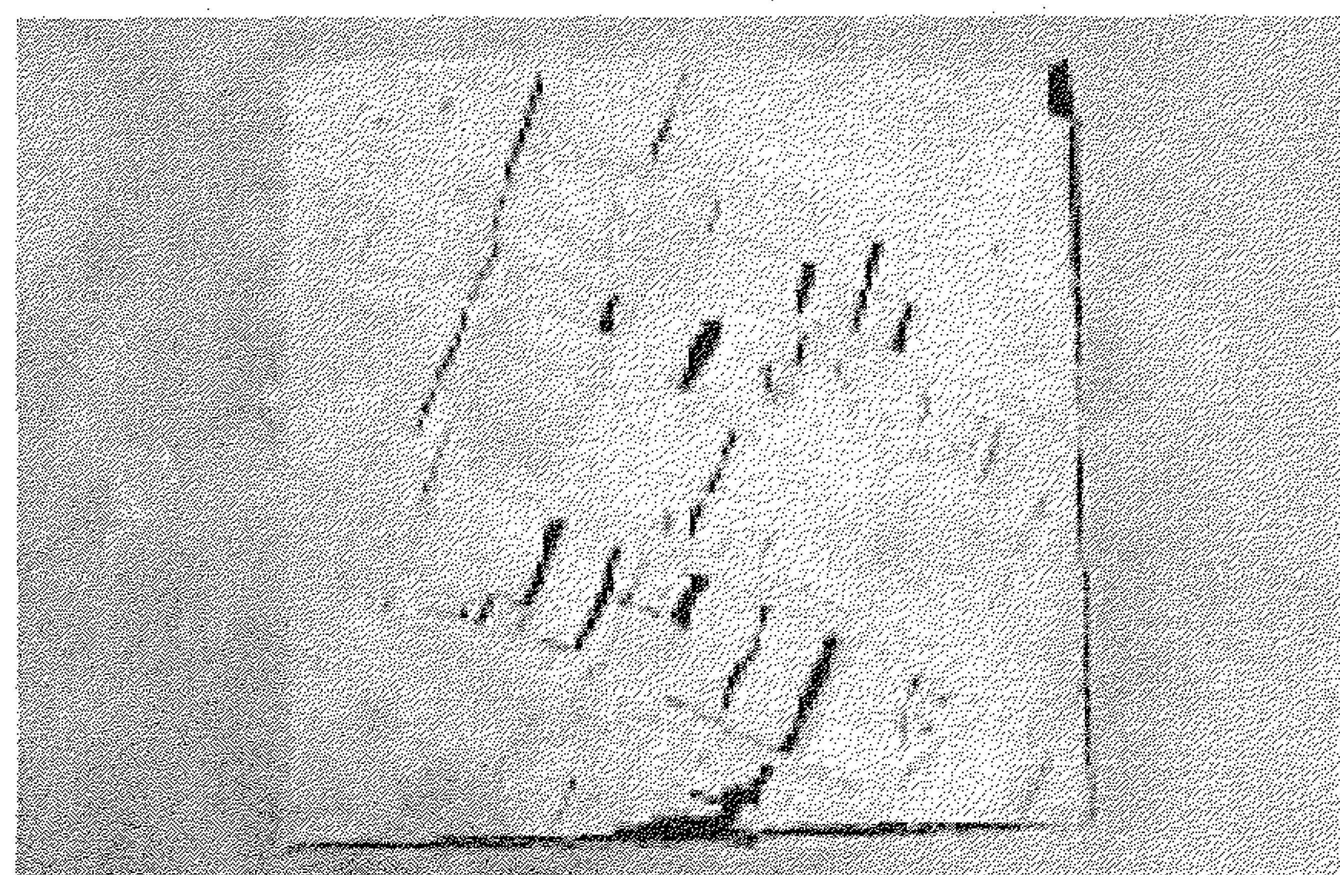
Pl. 31



1. Residential Quarter Before Excavation (from the north)



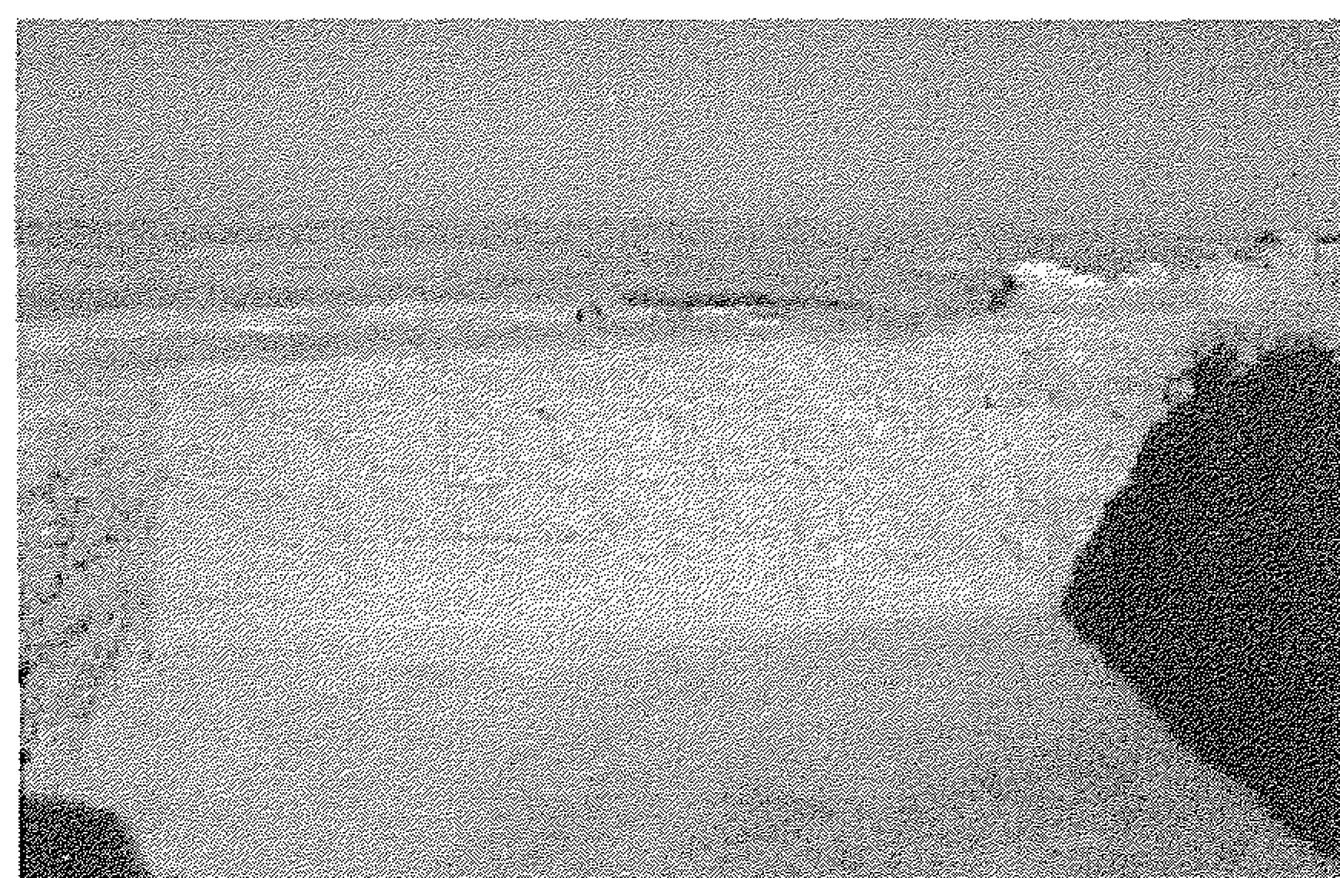
2. Residential Quarter Before Excavation (from the south)



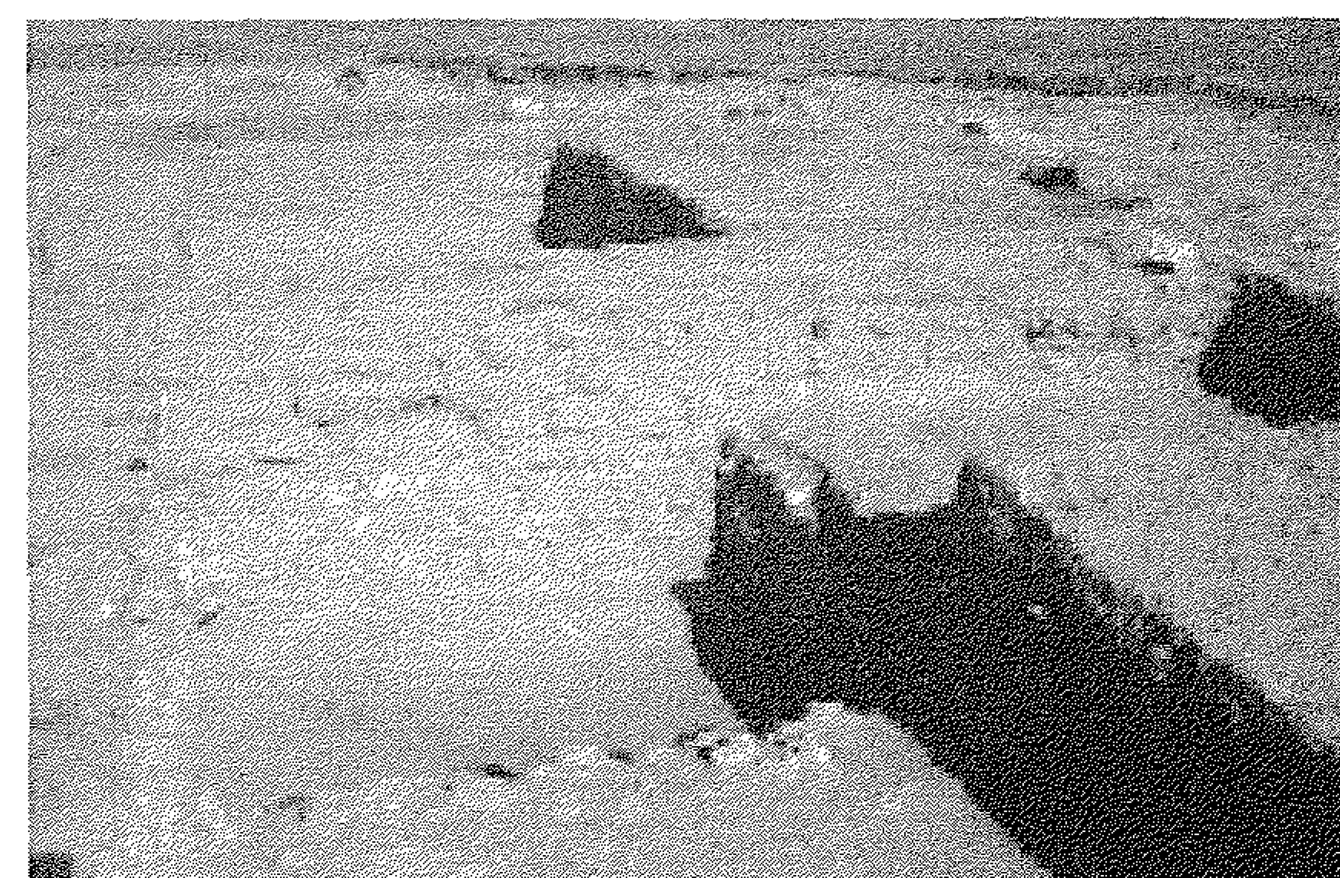
3. Full View of the Excavated Area of the Residential Quarter (from above)



4. Wall of Coral Blocks



5. Wall of Sun-dried Bricks



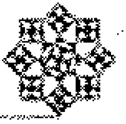
6. Wall of Coral Blocks (lower part) and Sun-dried Bricks (upper part)



7. Row of Square and Triangular Bricks Outside the North Wall of Room No. K2-8



8. Row of Square Bricks on the West Side of Room No. K3-1



Pl. 30



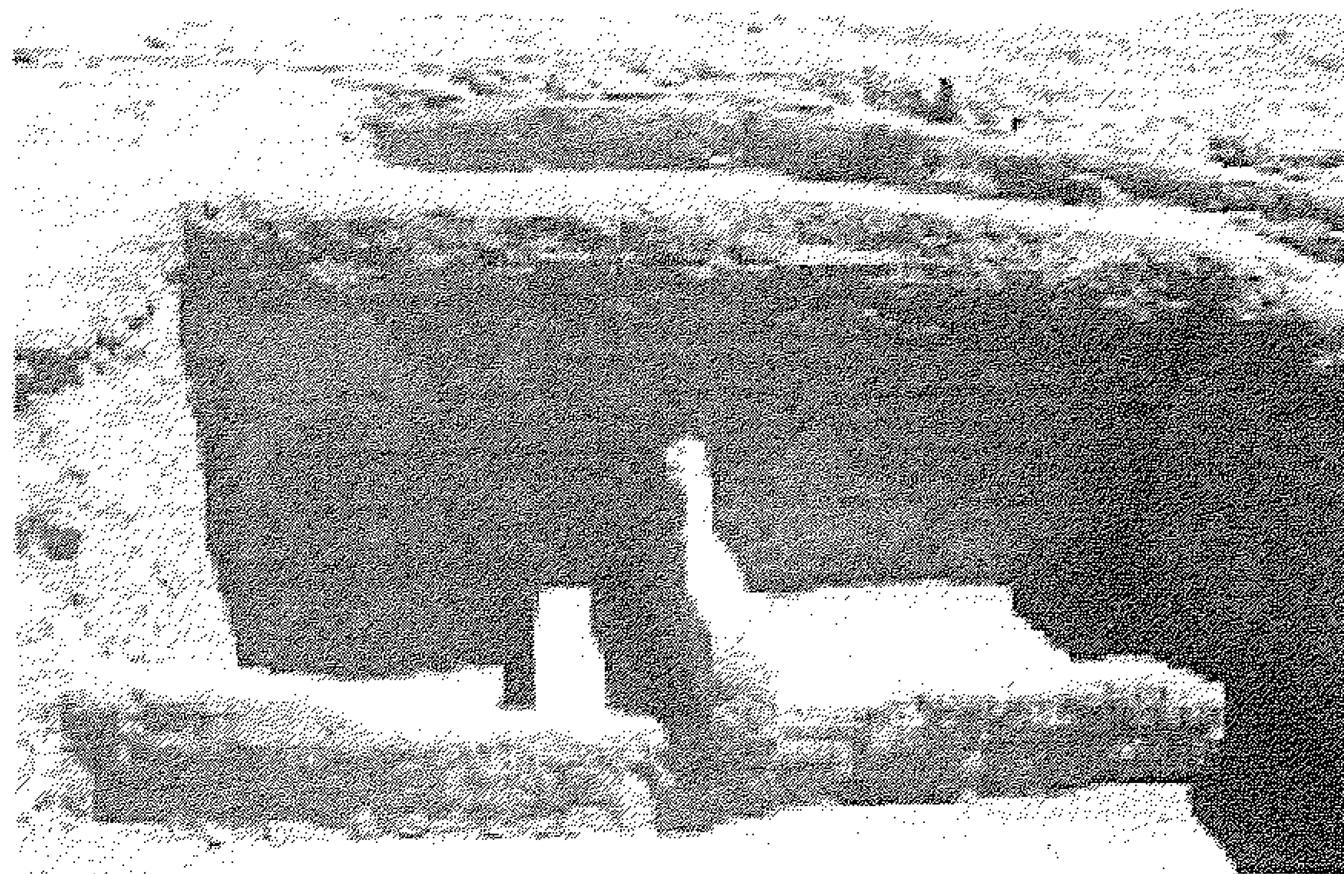
1. Full View of the Central Street in Front of the Mosque (from the south)

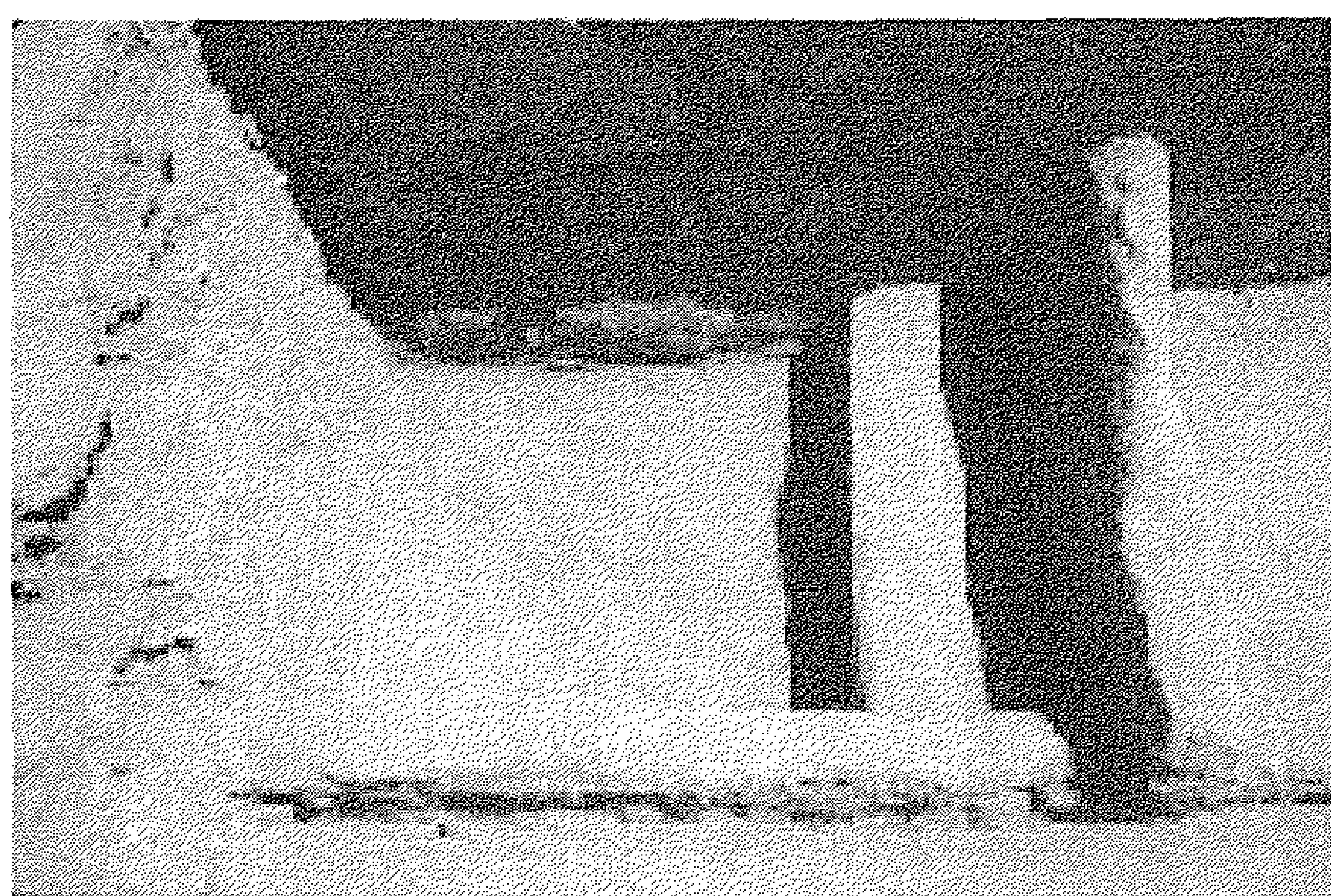


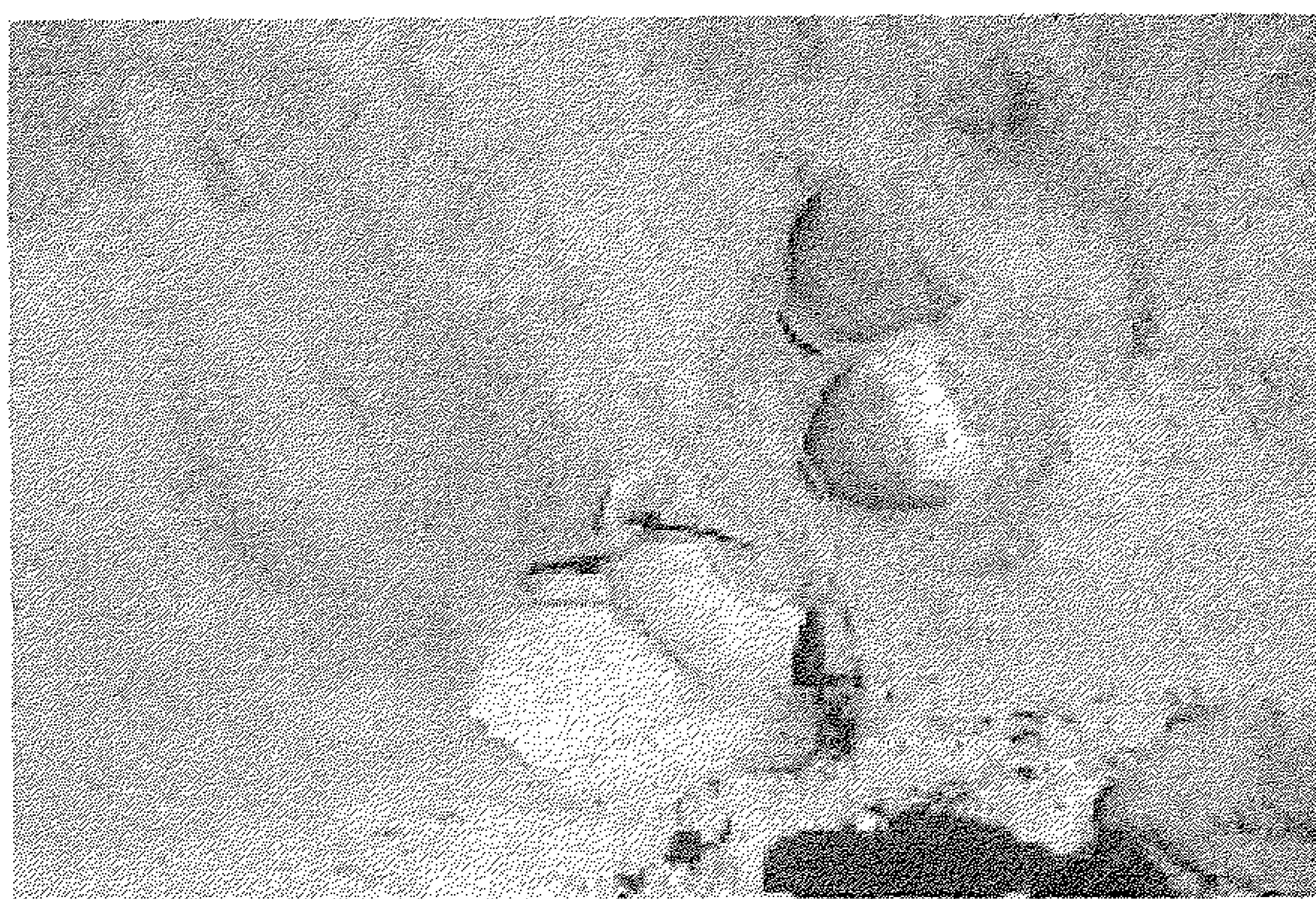
2. Full View of the Excavated Area of the Fort in 2003 (from the southwest)

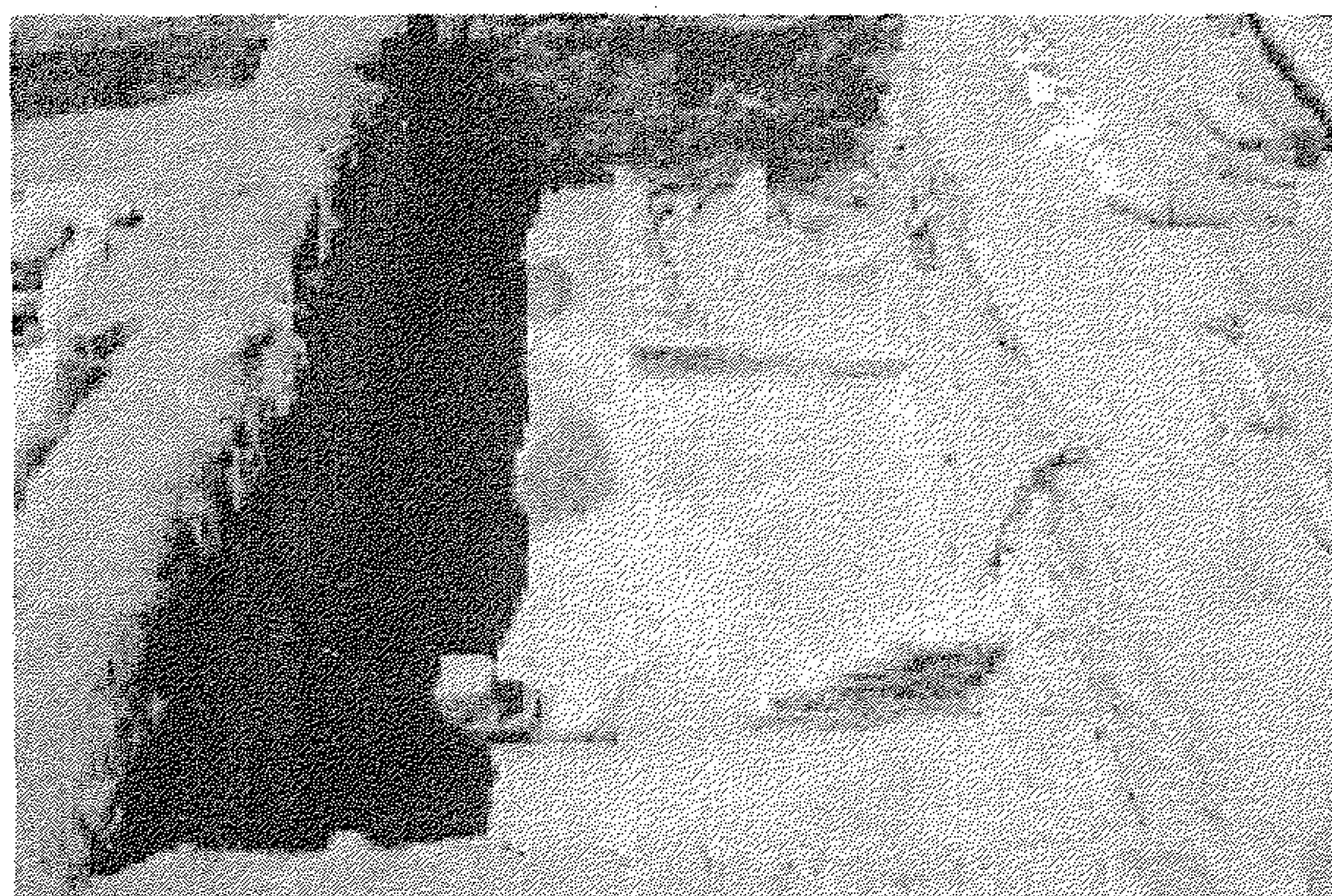
Pl. 29


1. Full View of Room No. 3-1 (from above)


2. Partitioning Wall of Room No. 3-1 (from the southwest)


3. Bench-like Structure in Room No. 3-1C

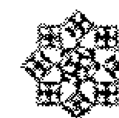

4. Earthenware in situ in Room No. 3-1


5. Full View of Room No. 3-7 (from the northeast)

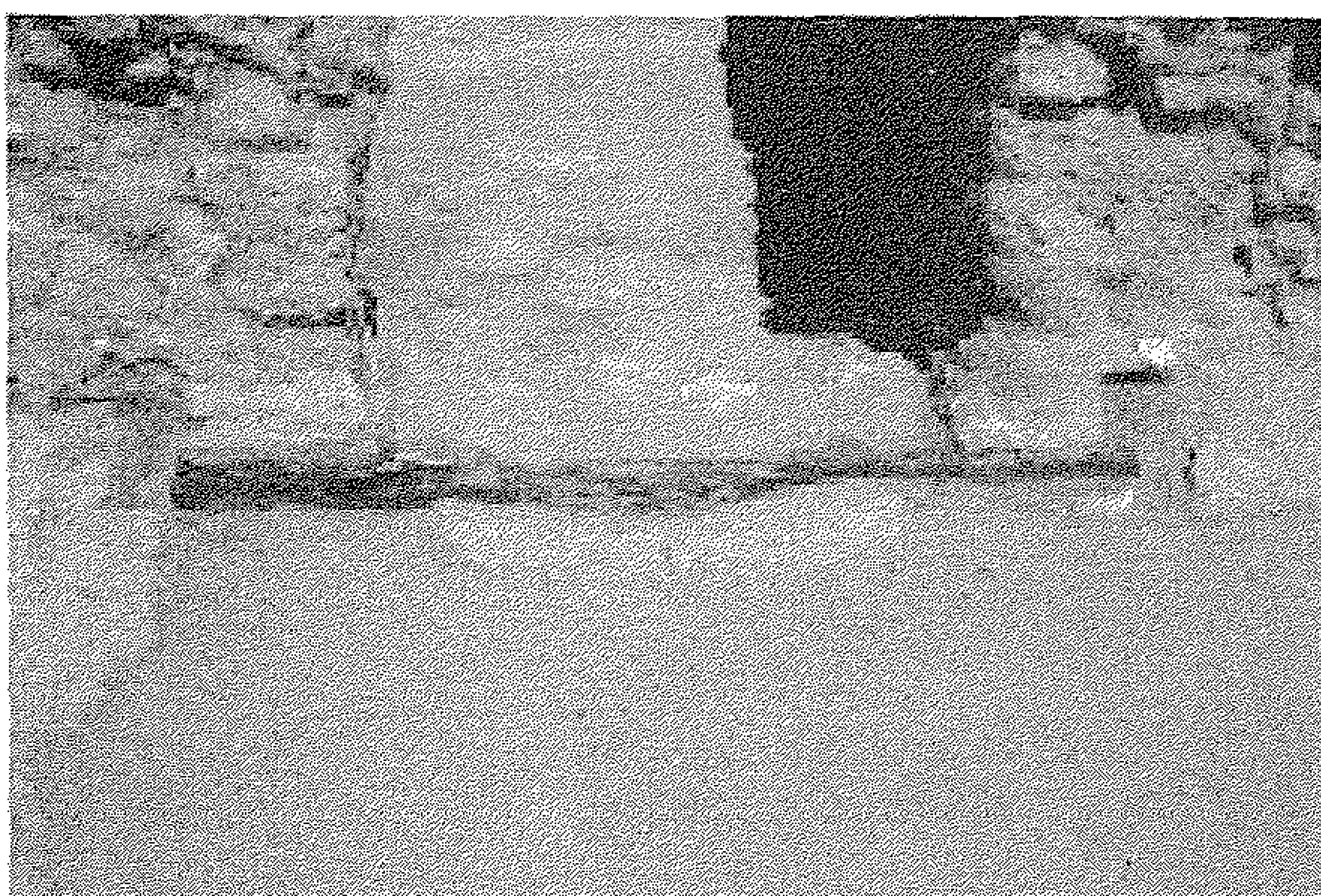

6. Tandoor Oven in the West Corner of Room No. 3-7


7. Southeast Wall of Room No. 3-7 with Niche

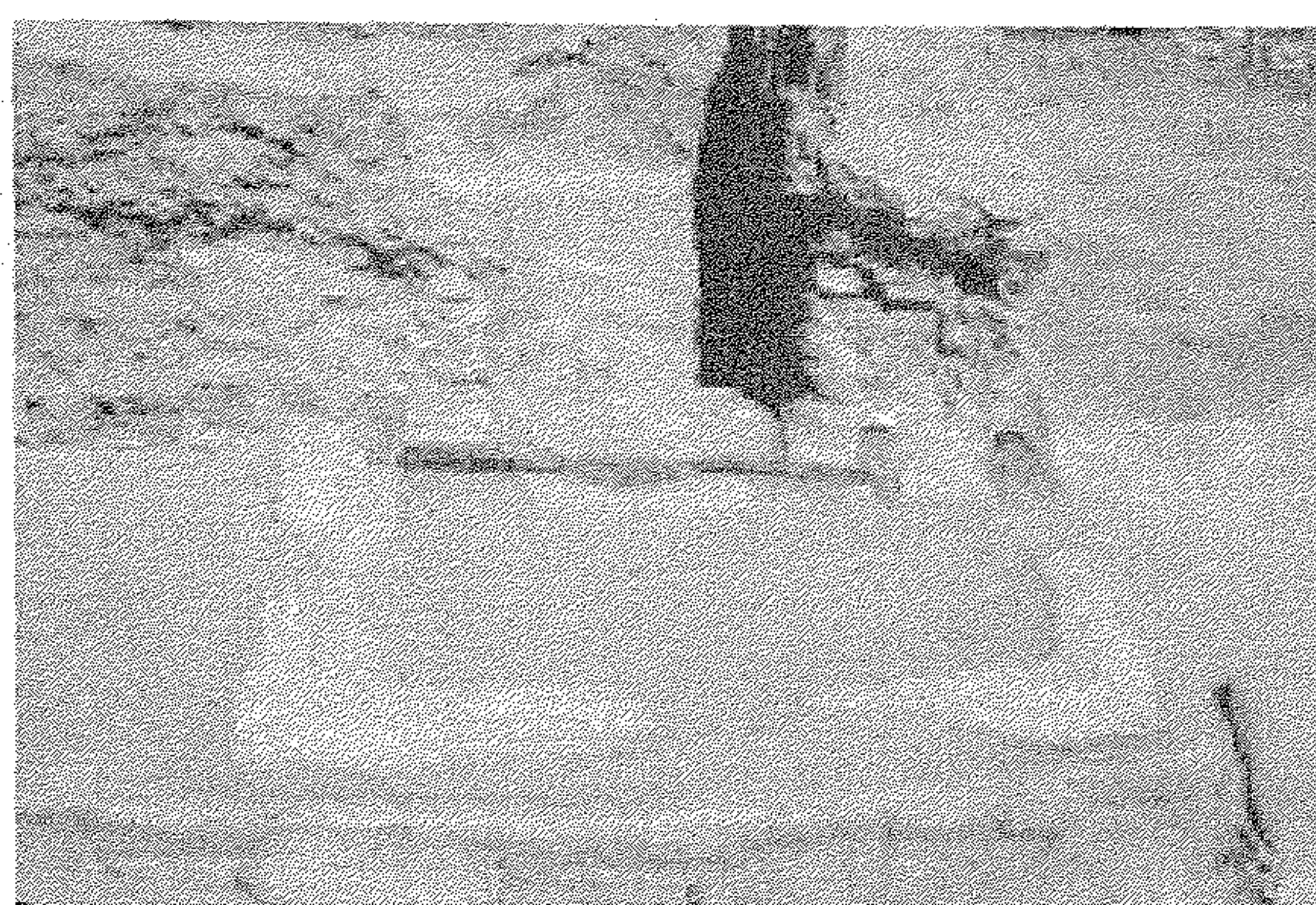

8. Full View of the Central Street in Front of the Mosque (from the east)



Pl. 28



1. Threshold Wood and Bricks of Room No. 10-1



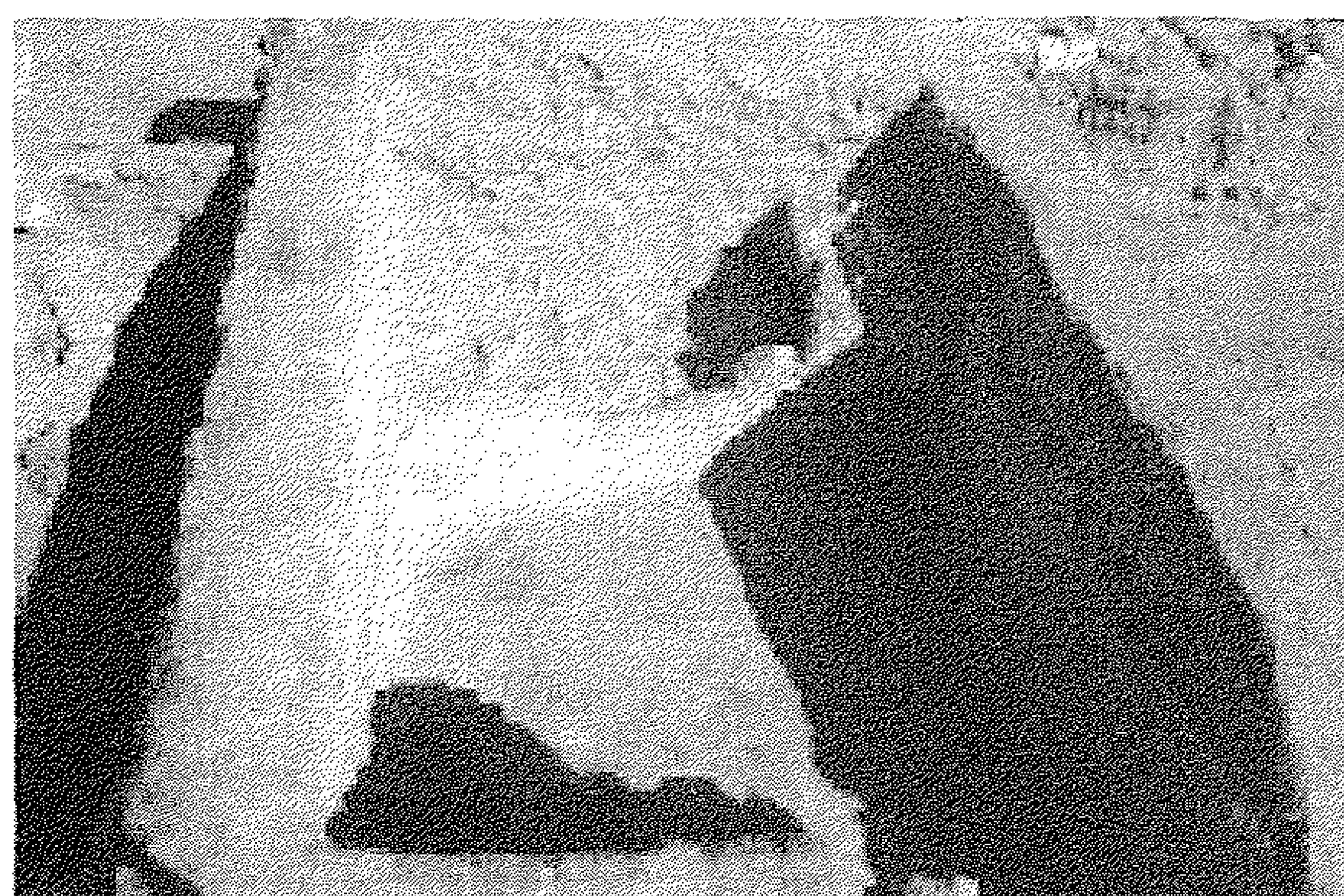
2. Portico of Room No. 10-1



3. Gate Post of Room No. 10-1



4. Excavated Painted Plaster of Room No. 10-1



5. Floor and Remains of Sun-dried Brickwork of Room No. 10-1



6. Full View of Room No. 3-2 (from above)



7. Scattered Roofing Material of Room No. 3-2 (from above)

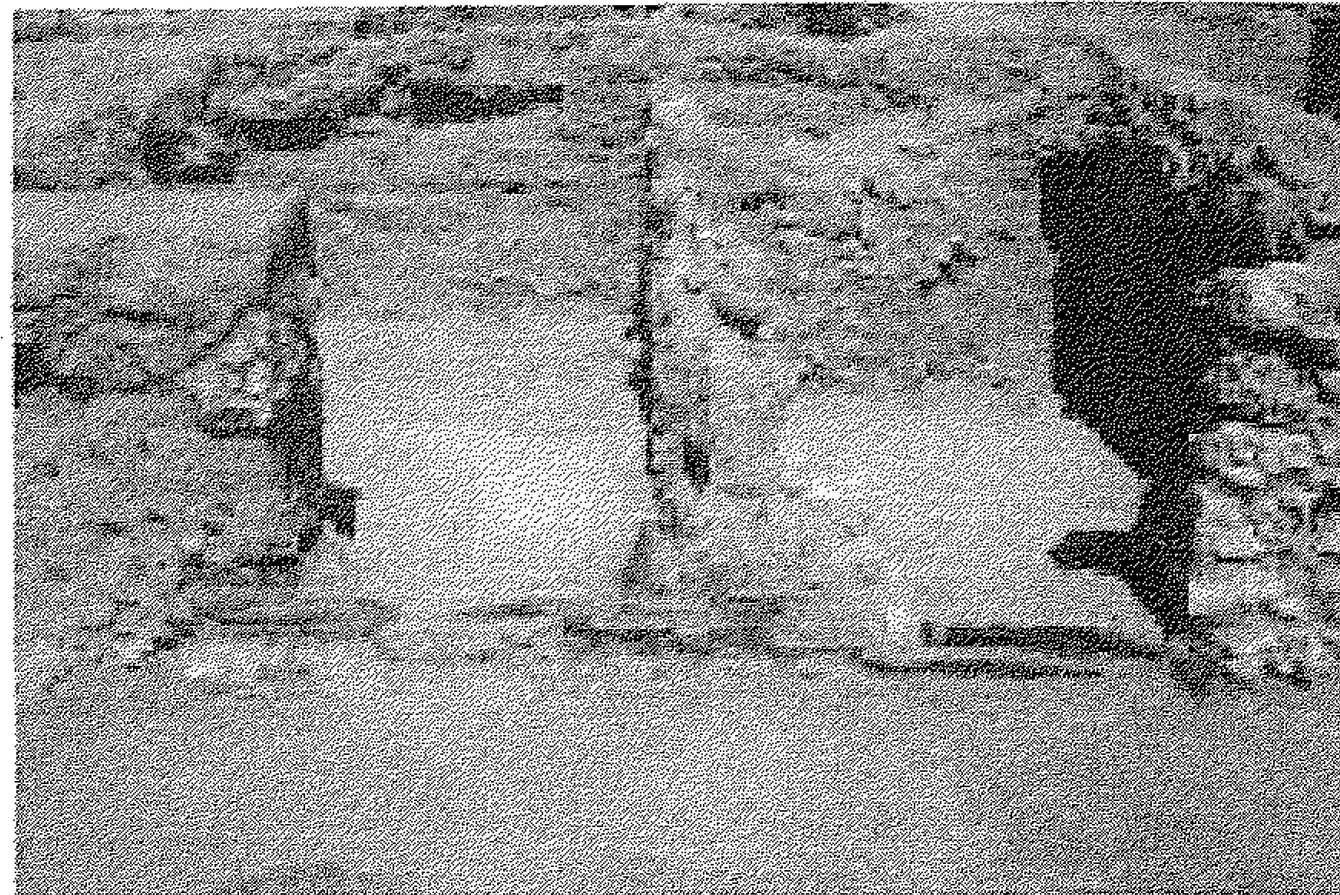


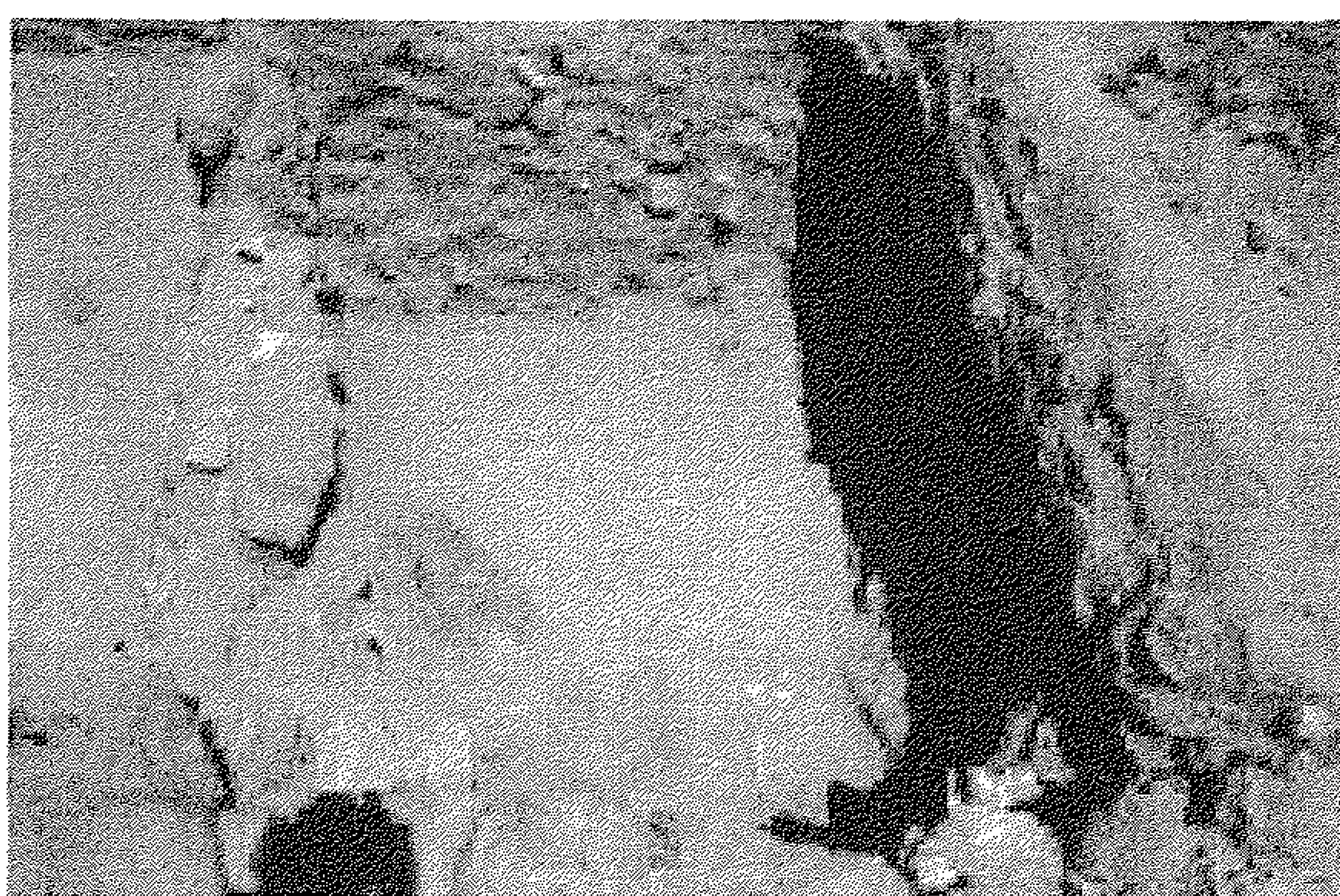
8. Traces of Pallet on the Undercoating of the Northwest Wall of Room No. 3-2

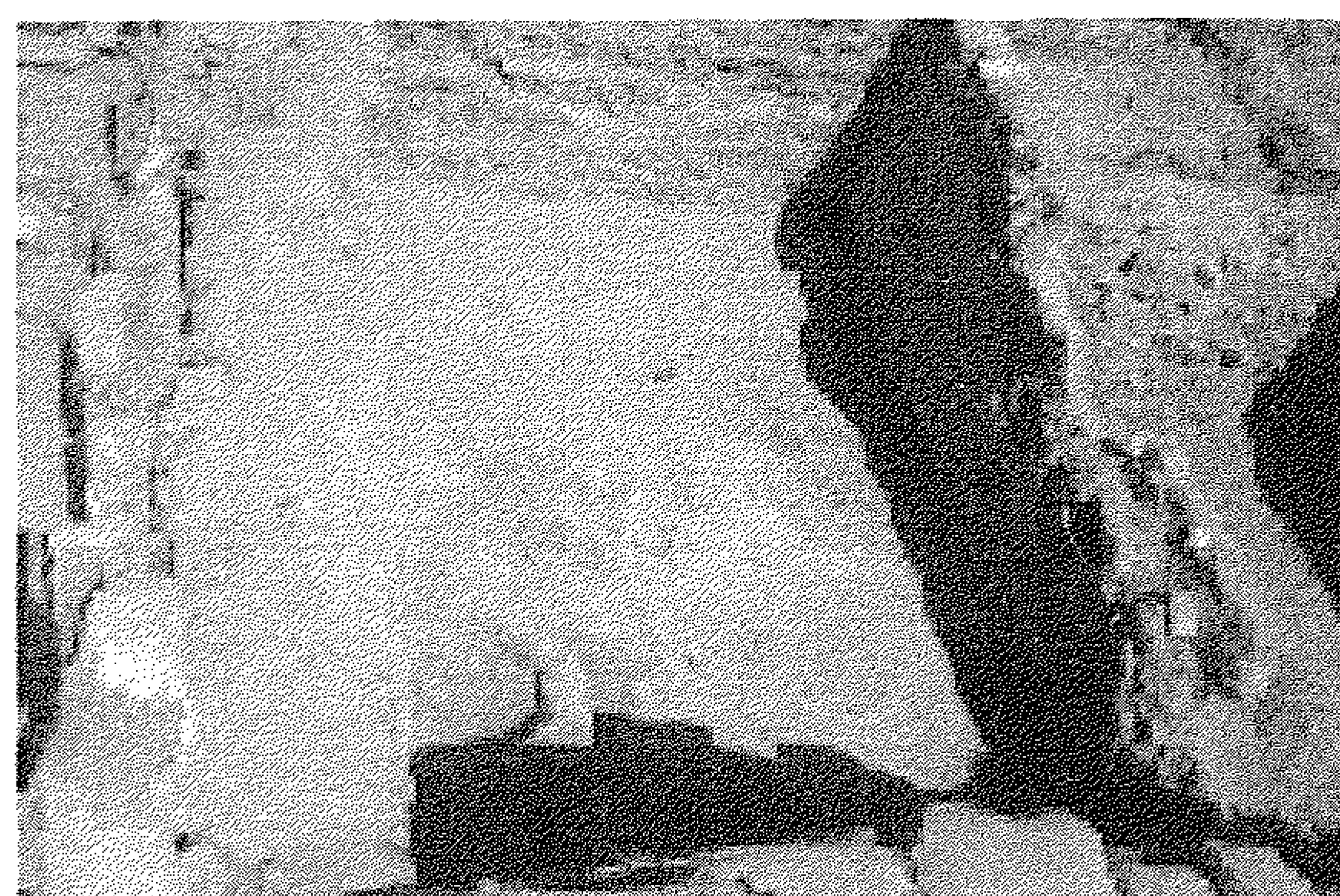


Pl. 27

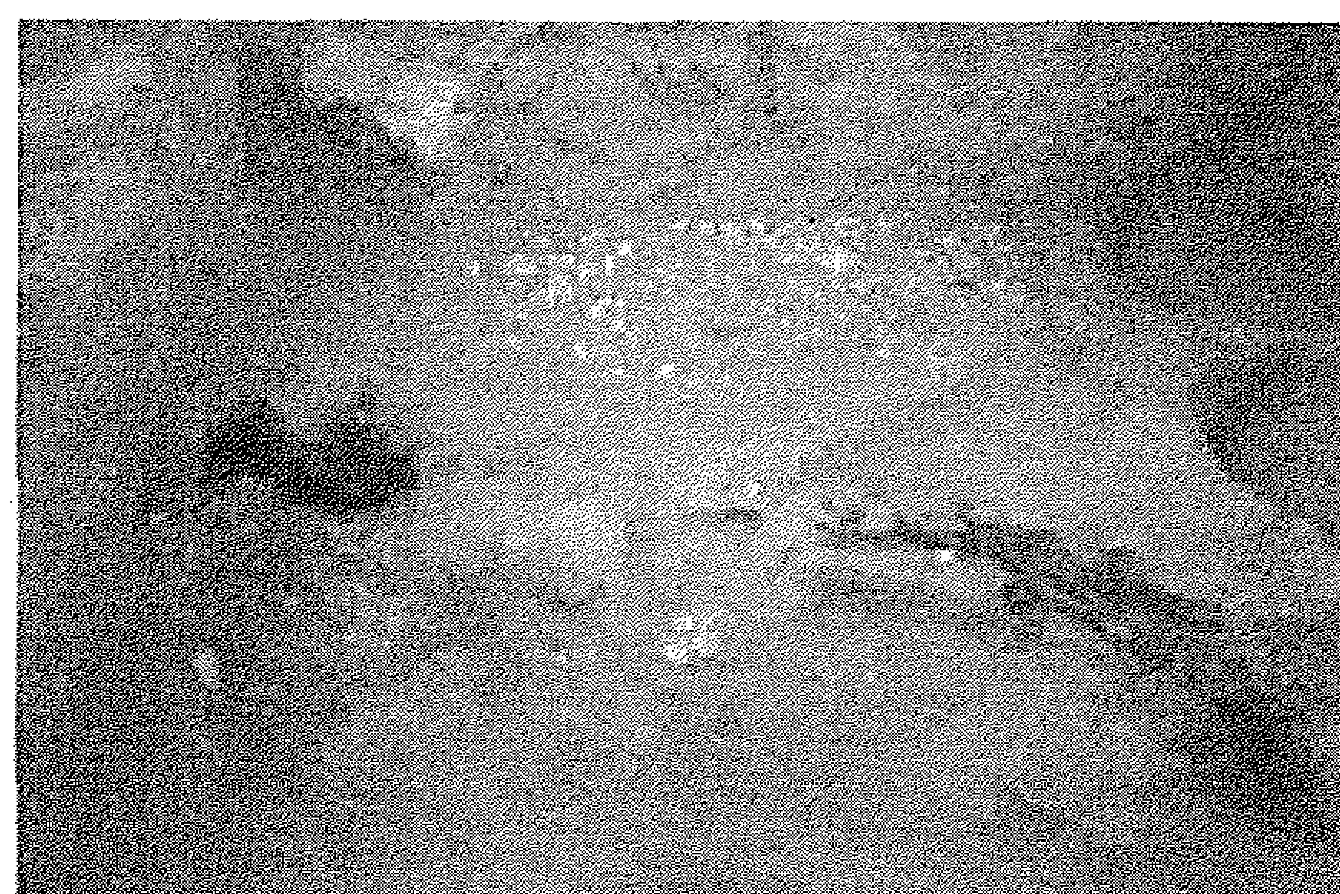

1. Portico of Room No. 3-9

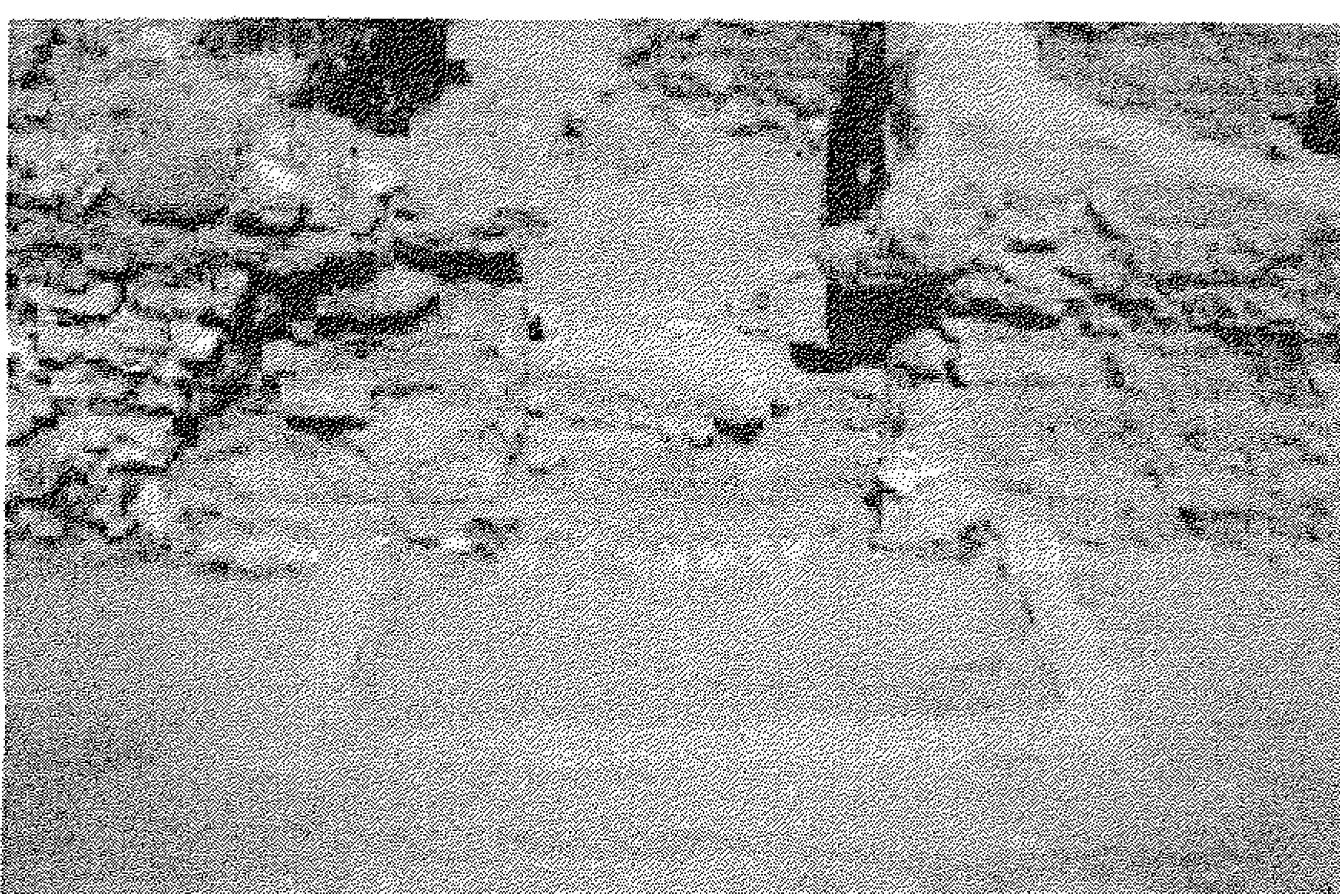

2. Threshold Wood of Room No. 3-8A


3. Floor of Room No. 3-8A

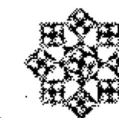

4. Floor of Room No. 3-8B


5. Double Cooking Oven in the South Corner of Room No. 3-8B

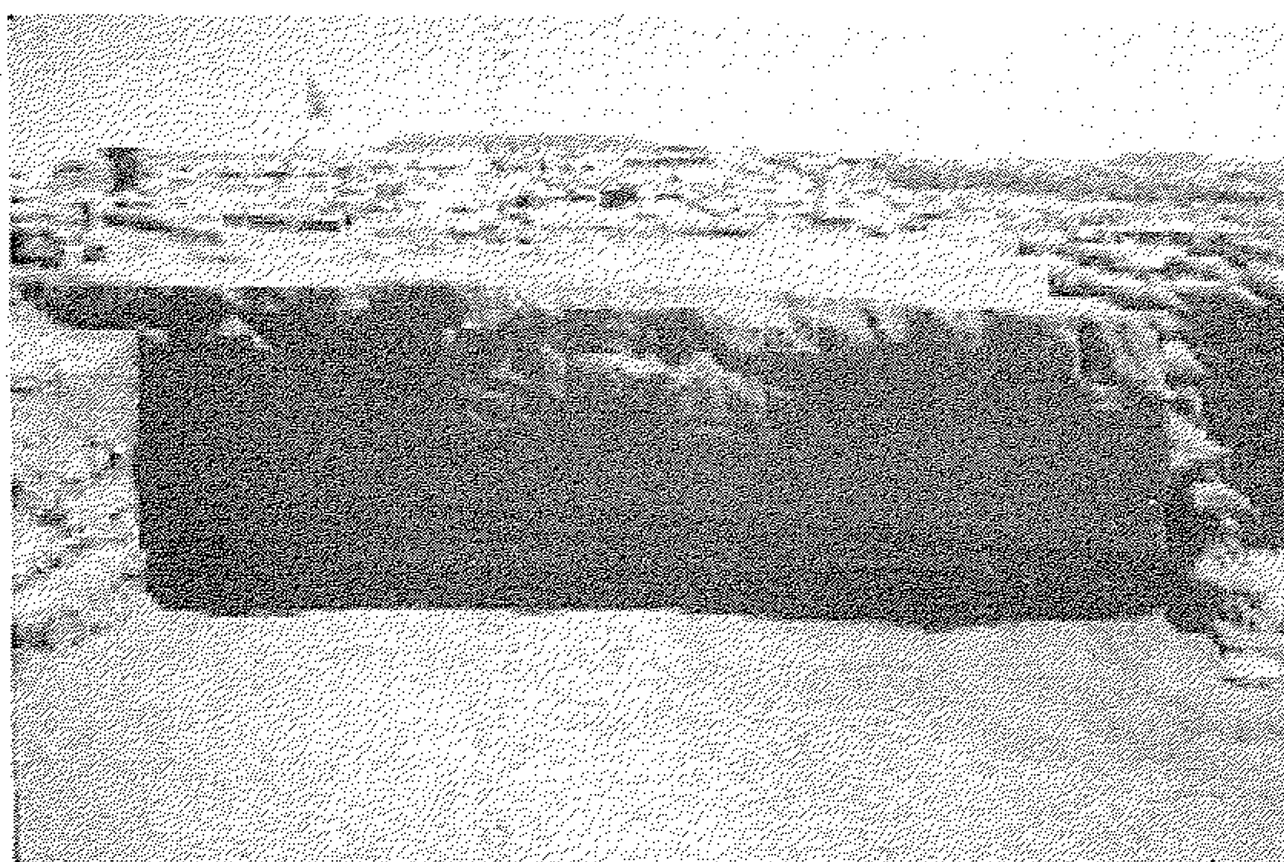

6. Plaster Fragments Excavated in Room No. 3-8B


7. Portico of Room No. 3-12


8. Concentration of Painted Plaster in the East Corner of Room No. 3-12A



Pl. 26



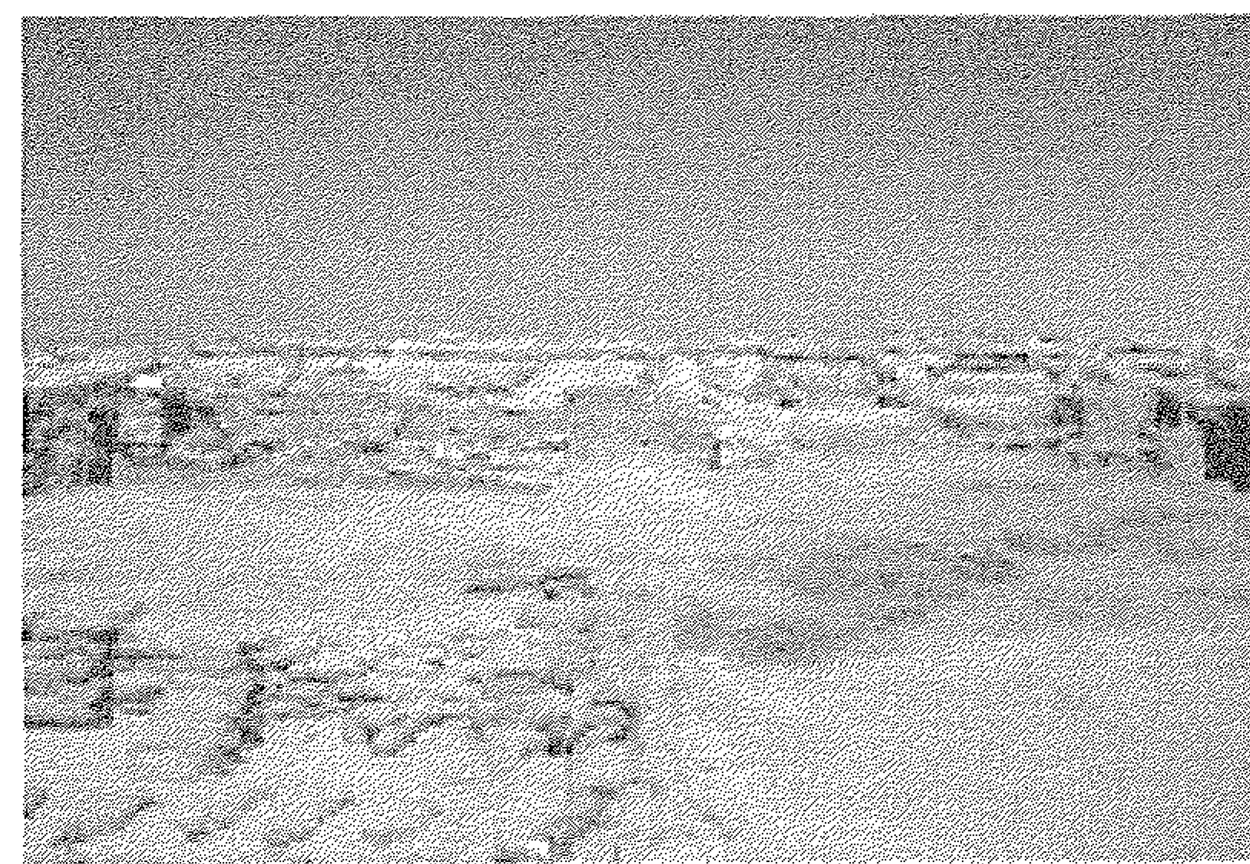
1. Section between Square-like Spaces 1 & 2



2. Ash Layer and Concentrated Goat Droppings in Square-like Space 2



3. Street 6



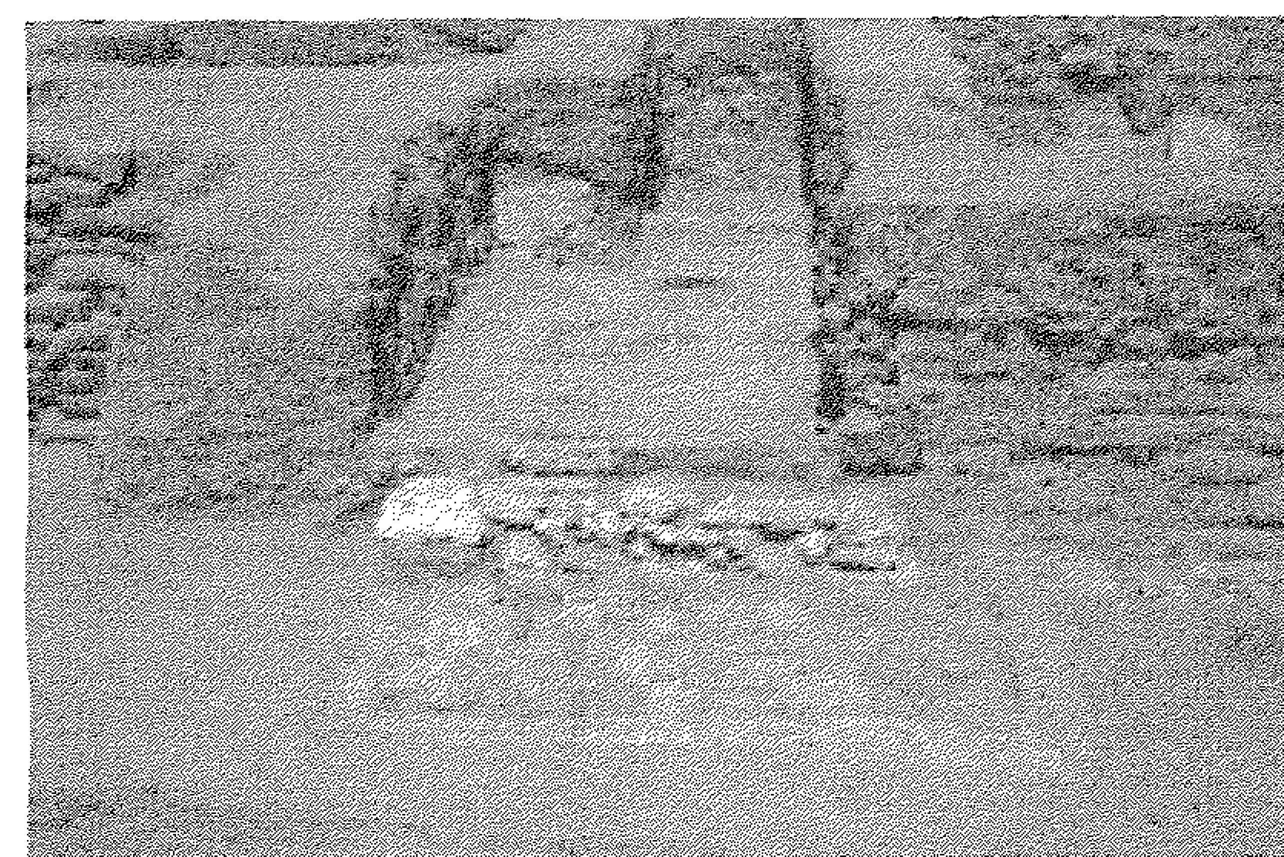
4. Square-like Spaces 1 and 2 (elevation of the northwest edge)



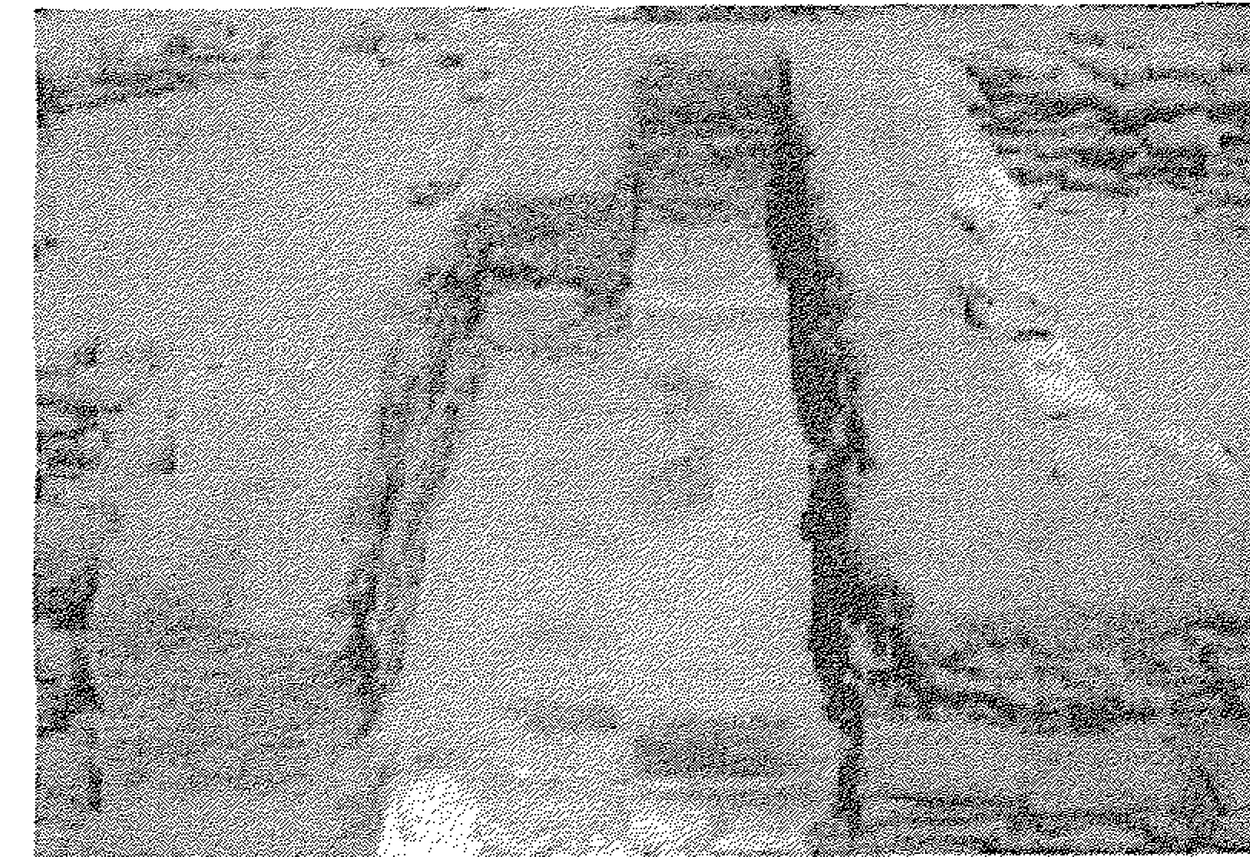
5. Section of Street 7



6. Excavated Threshold Wood and Marble Plinth of Room No. 3-10A

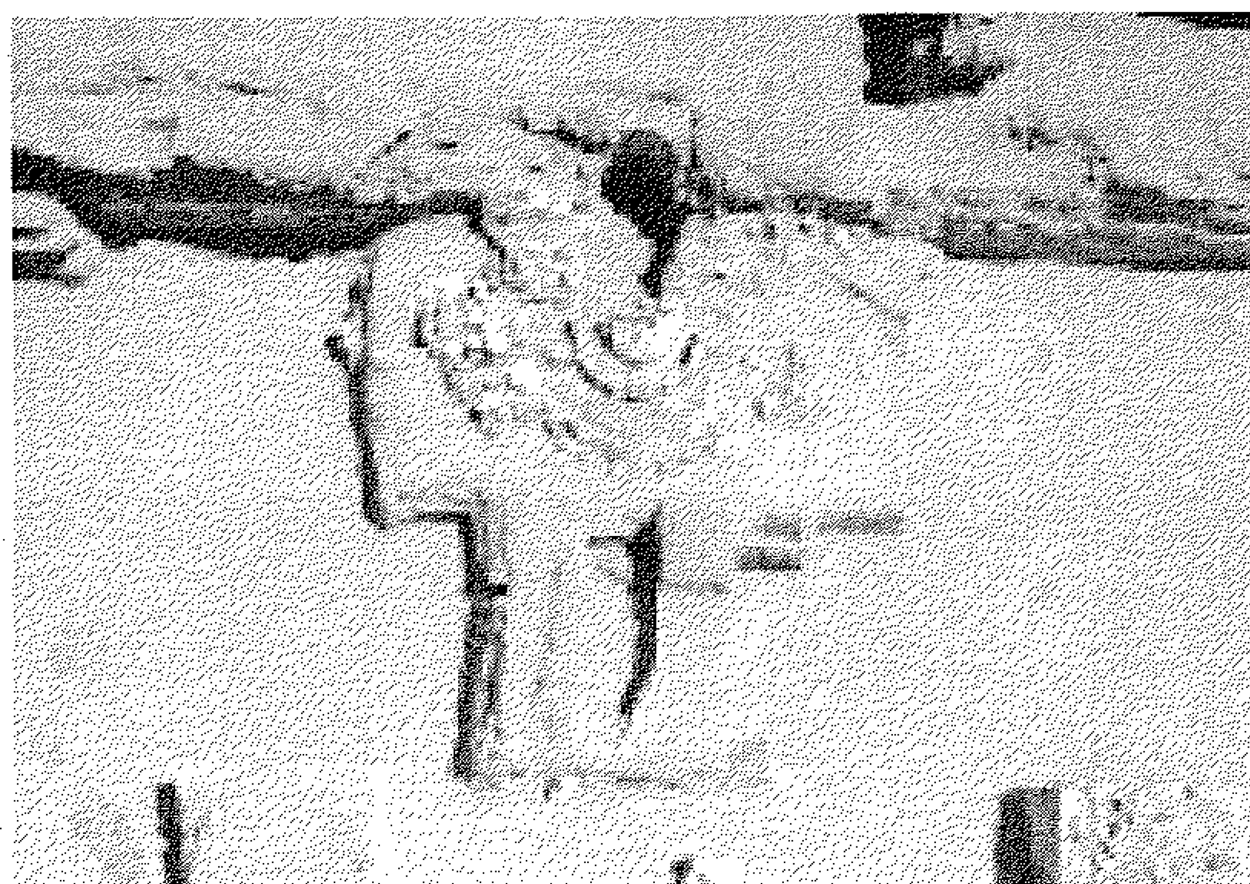


7. Portico of Room No. 3-10

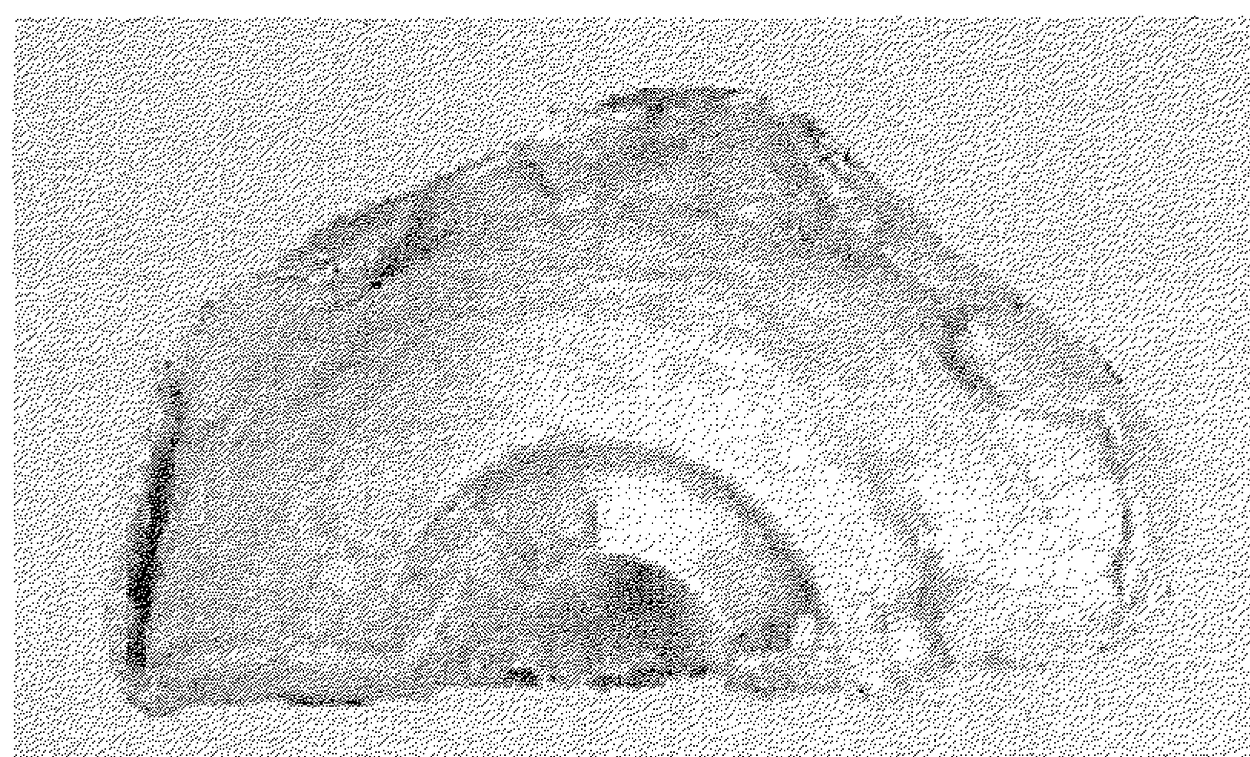


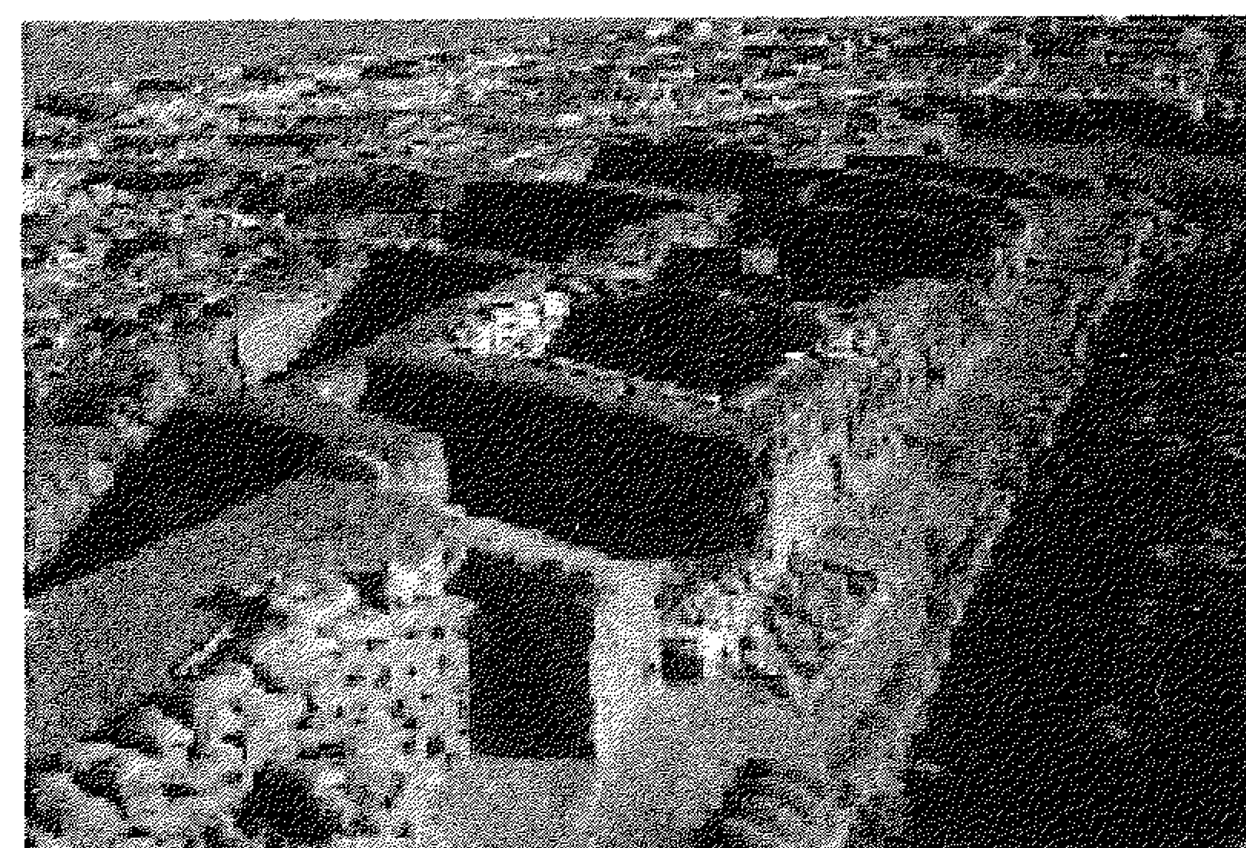
8. Full View of Room No. 3-10

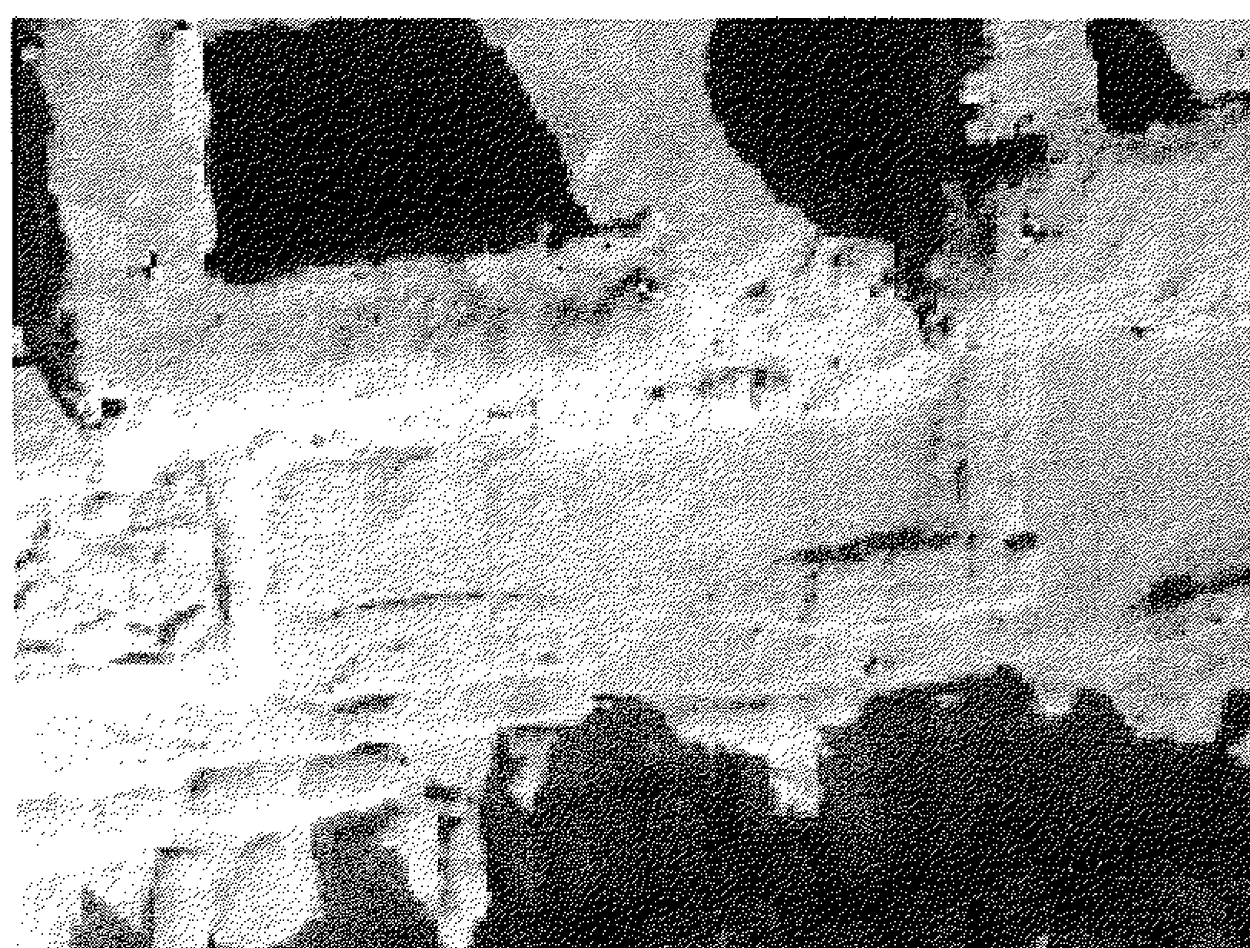
Pl. 25


1. *Miḥrāb* After Excavation (from above)

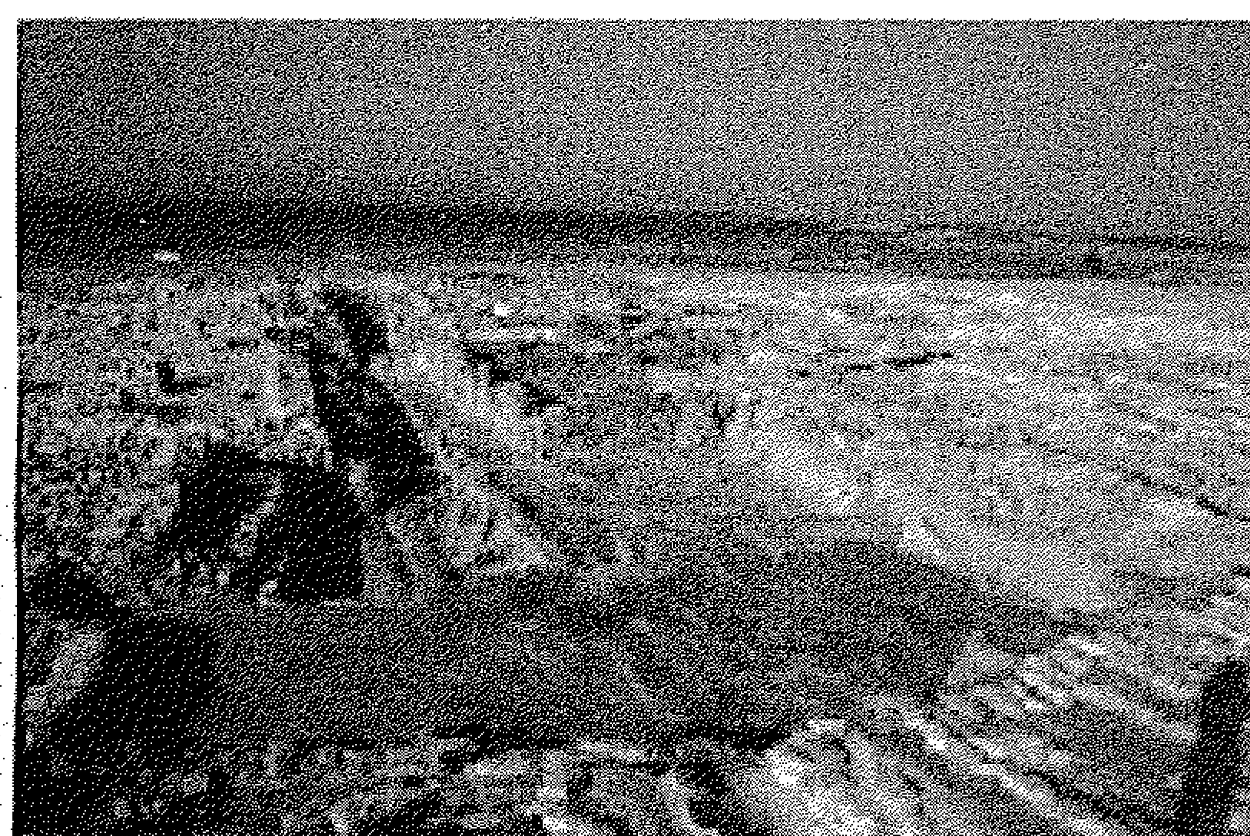

2. Lower Part of *Miḥrāb*

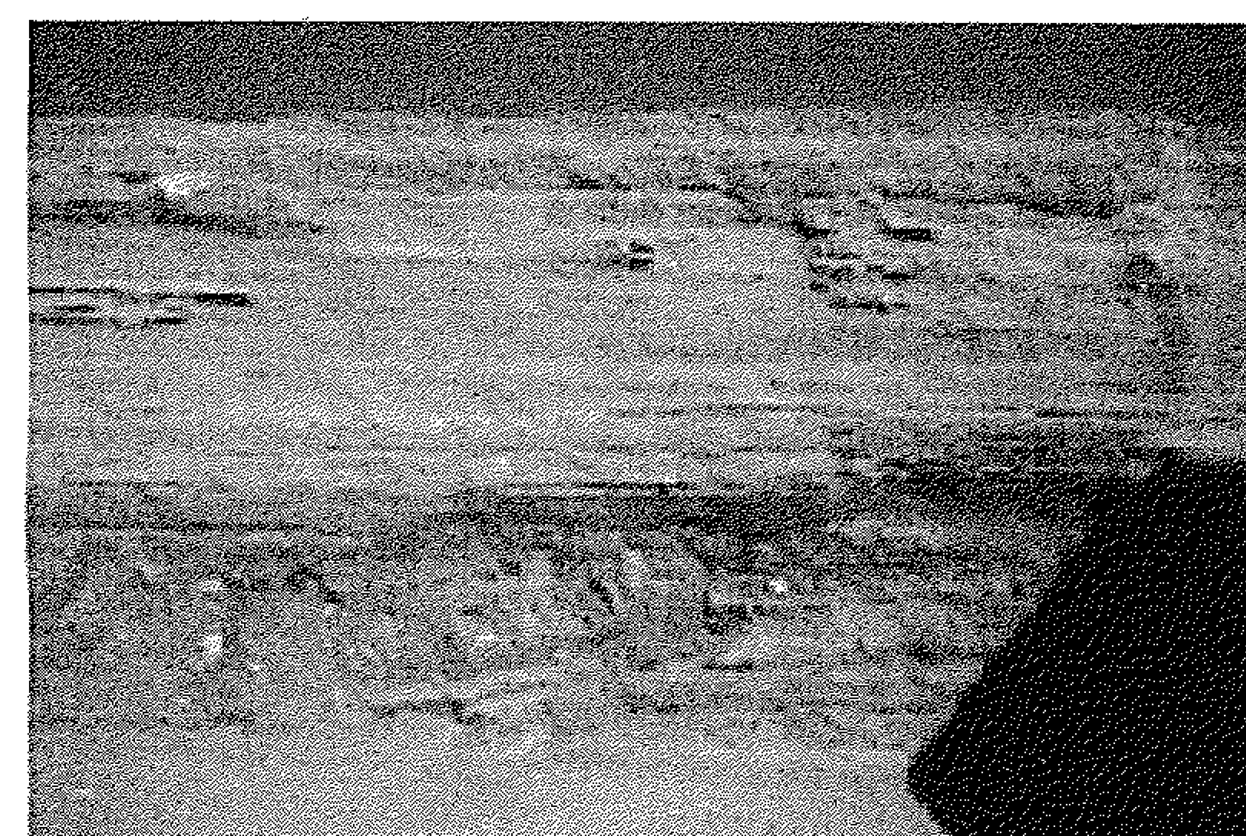

3. Upper Part of *Miḥrāb* After Restoration

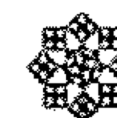

4. Full View of Building Block 3 (from the south)


5. Portico of Room No. 3-9 (from above)

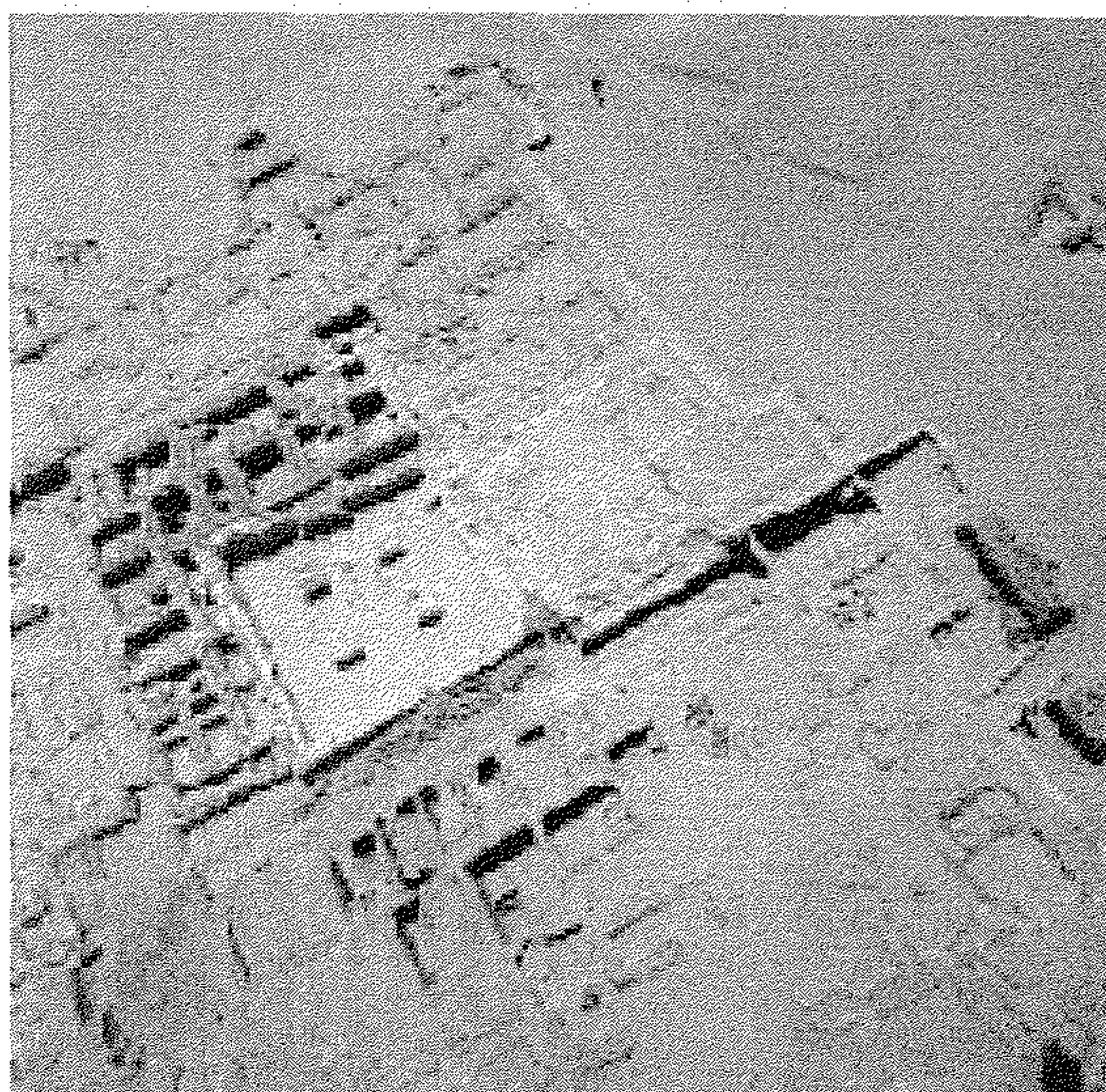

6. Square-like Spaces 1 & 2 (from the south)


7. Square-like Space and Building Block 3 (from the northeast)


8. Vertical Section of the Central Street



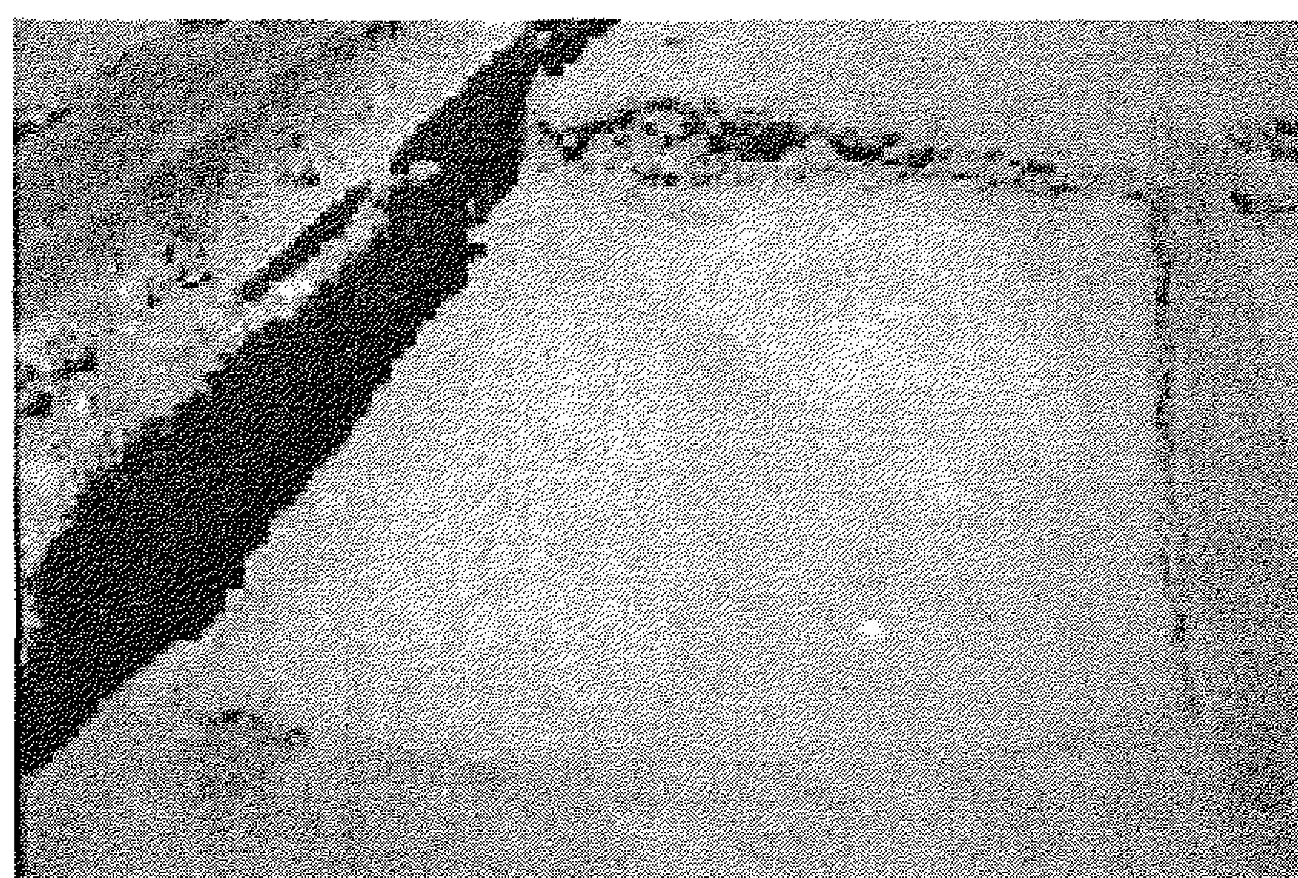
Pl. 24



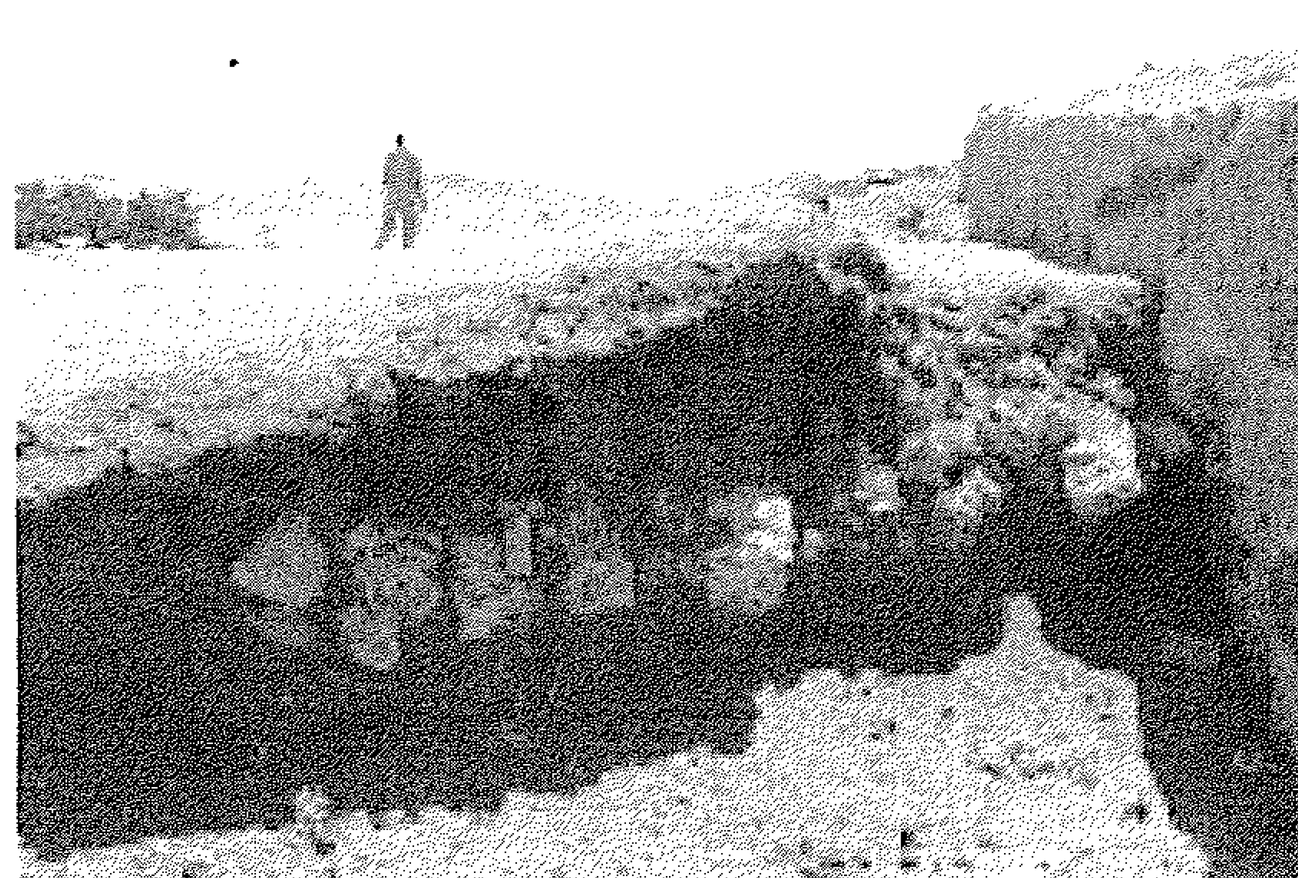
1. South Part of the Fort (from above)



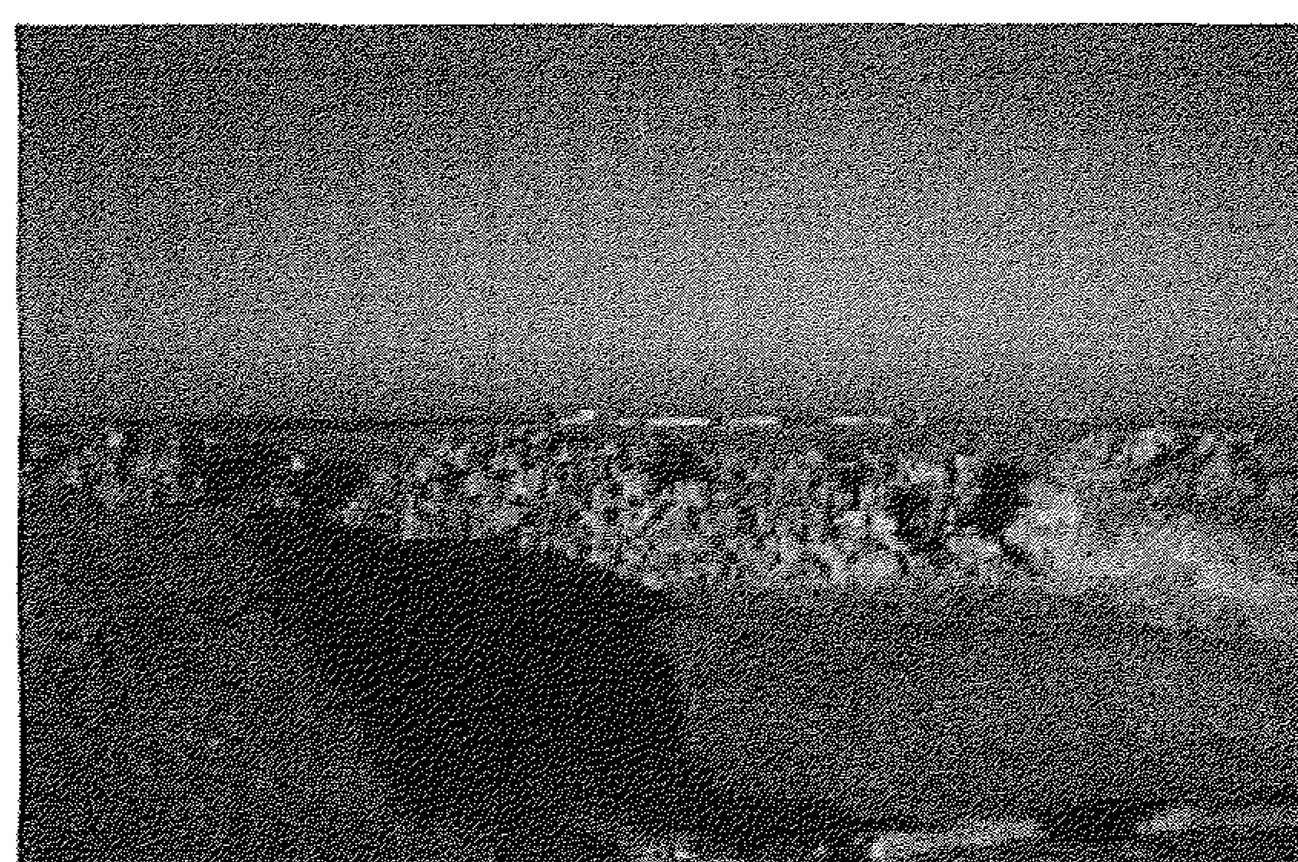
2. Excavated Area of 2003 from the Mosque (southeast)



3. Collapsed Outer Wall of the Fort Outside Rooms No. 17-3 & 4 (from the southeast)



4. Collapsed Outer Wall at Tower 4 (from the northwest)



5. Northeast Outer Wall of the Fort (from outside)



6. Full View of the Fort (from the sea)

Pl. 23

1200
1050
900
600
750
900
0
150m

Jabal Nāqūs

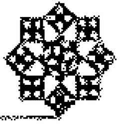
North Area

Middle Area

South Area

Wādī 'Araba

Location Map of Rock Inscriptions of Jabal Nāqūs



Pl. 22

al-Ṭūr Monastery

Sea

Shipyard

al-Kīlānī Mosque

Sea

MECCJ Research Facilities in al-Ṭūr

(Number enclosed in a circle shows the Modern House No.)

0 50 100m

Plan of the al-Kīlānī Site in al-Ṭūr

Pl. 21

○ Skull
△ Pelvis

Apse

Iconostasis

85 80 75 70 65

45 40 35

0 10m

Plan of the Burials under the Nave



Pl. 20

Plan of the Wādī al-Ṭūr Monastery

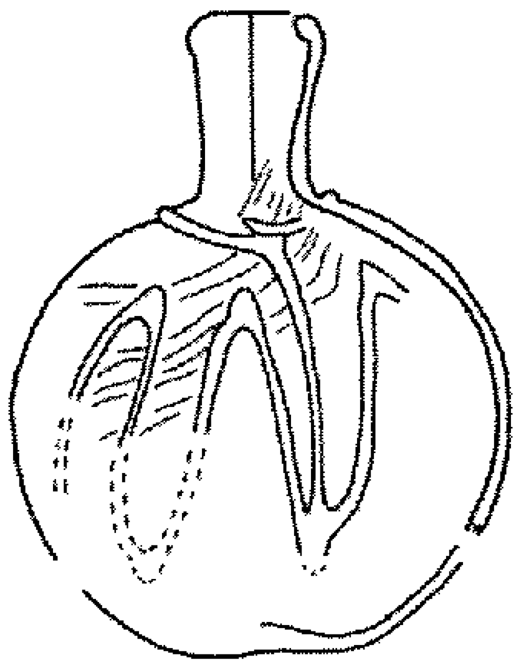
Pl. 19

Artifacts from the Residential Quarter

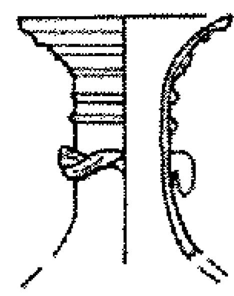
Pl. No.	Reg. No	No. /Grid	Stratum	Depth (m)	Artifacts
14-1, 35-1	RE-K740	I8H5	sand layer	3.497 m	jar
14-2, 35-2	RE-K1445	J1H6	sand layer	4.566 m	jar
14-3, 35-3	RE-K65	K1-2	sand layer, concentration of earthenware 1	4.158 m	water jar
14-4	RE-K1243	J0H6	sand layer	4.138 m	jug
14-5, 35-4	RE-K217	K2-4	sand layer	4.409 m	small jar
14-6, 35-5	RE-K294	K2-4	concentration of earthenware 1	4.115 m	small jar
14-7, 35-6	RE-K679	K2-4	concentration of earthenware 1	4.394 m	small jar
14-8	RE-K984	J2H5	sand layer (limestone)	4.483 m	round-bottomed jar
14-9, 35-8	RE-K245	I9H4	sand layer	3.870 m	red-polished earthenware
	RE-K251	I9H4	sand layer	3.873 m	red-polished earthenware
14-10, 35-7	RE-K191	K1-2	right above dakka 1	3.811 m	jar
15-1, 35-9	RE-K155	K2-4	sand layer	4.476 m	painted earthenware
15-2, 35-10	RE-K1906	K1-11	sandy soil (limestone)	3.602 m	painted earthenware
15-3, 35-11	RE-K7	J1H4	sand layer	4.593 m	painted earthenware
15-4, 35-12	RE-K156	K2-4	sand layer	4.469 m	painted earthenware
15-5, 35-13	RE-K1636	K3-1	sandlayer (limestone)	3.889 m	painted earthenware
15-6, 35-14	RE-K2006	K1-13	sandy soil (limestone and ash)	4.118 m	earthenware with incised and stamped decoration
15-7, 36-1	RP-K60	J1H6	sand layer	4.271 m	glazed pottery with molded decoration, yellow and brown
15-8, 36-2	RP-K10	K1-1	sand layer	3.709 m	glazed pottery with molded decoration, brown
15-9, 36-3	RP-K3	J2H4	sand layer	4.755 m	glazed pottery, white, green and dark purple
	RP-K4	J2H4	sand layer	4.766 m	glazed pottery, white, green and dark purple
	RP-K7	J2H4	sand layer	4.720 m	glazed pottery, white, green and dark purple
15-10, 36-4	RCW-K1	surface	-	3.625 m	Chinese celadon
16-1	RT-K919	K1-13	sandy soil (limestone and ash)	4.132 m	stone pan
16-2	RT-K96	K2-4	sand layer	4.407 m	lid of the stone vessel
16-3	RT-K598	J1H6	sand layer	4.330 m	stone pan with handles
16-4, 36-7	RT-K292	K2-4	eastern concentration of earthenware 2	4.417 m	stone pan with handles
16-5	RT-K175	K1-5	sand layer	3.862 m	stone pan with handles
16-6	RT-K92	K2-4	sand layer	4.476 m	stone pan with handles
16-7	RT-K151	K1-8	sand layer	3.660 m	stone vessel
17-1	RT-K750	K1-10	right above dakka 1	3.646 m	stone pan
17-2, 36-9	RGW-K1	K1-7	sand layer	4.050 m	glass weight
17-3, 36-12	RGW-K2	K1-8	sand layer	3.562 m	disk weight
17-4, color pl. 3-3	RGW-K6	K1-8	sand layer right under dakka 1	3.645 m	disk weight
17-5, 36-10,11	RGW-K4	K1-8	sand layer	3.639 m	ring weight
17-6, 36-13	RGW-K5	J1H6	sand layer	4.364 m	disk weight
18-1, 36-14,15	RG-K123	K1-1	sand layer	3.781 m	small glass bottle with threaded decoration, pale green
18-2	RG-K615	Space 2	sandlayer (limestone)	4.171 m	small glass bottle with threaded decoration, brown
18-3	RG-K83	K1-3	sand layer	4.554 m	glass bottle with pinched decoration, pale bluish green
18-4	RG-K51	J2H4	sand layer	4.799 m	glass beaker with impressed decoration, pale brown
18-5, 36-16	RG-K26	J1H4	sand layer	4.697 m	glass beaker with impressed decoration, pale bluish green
	RG-K32	J1H4	sand layer	4.654 m	glass beaker with impressed decoration, pale bluish green
18-6	RG-K44	J2H4	sand layer	4.890 m	glass beaker with impressed decoration, pale bluish green
18-7	RG-K19	J1H4	sand layer	4.772 m	glass beaker with impressed decoration, pale bluish green
18-8, 36-17	RG-K31	J1H4	sand layer	4.290 m	glass beaker with impressed decoration, pale bluish green
18-9	RG-K24	J1H4	sand layer	4.750 m	glass beaker with incised decoration, dark green
18-10	RG-K166	K1-4	sand layer	4.133 m	glass jar with incised decoration, pale purple
18-11, 36-18	RG-K471	I9H5	sand layer	4.031 m	mosaic glass, vermilion, black and white on yellow
18-12	RG-K209	K1-8	sand layer	3.639 m	glass bottle, pale bluish green
18-13, 36-19	RG-K877	J1H6	sand layer	4.270 m	glass beaker
color pl. 3-1,2	RC-K6	I8H4	sand layer	3.210 m	*dinār* (gold coin)
36-5	RF-K3	K2-4	eastern concentration of earthenware 1	4.399 m	water-jug filter
36-6	RF-K12	I8H5	sand layer	3.204 m	water-jug filter
36-8	RM-K2	I8H2	sand layer	3.420 - 3.415 m	ostracon



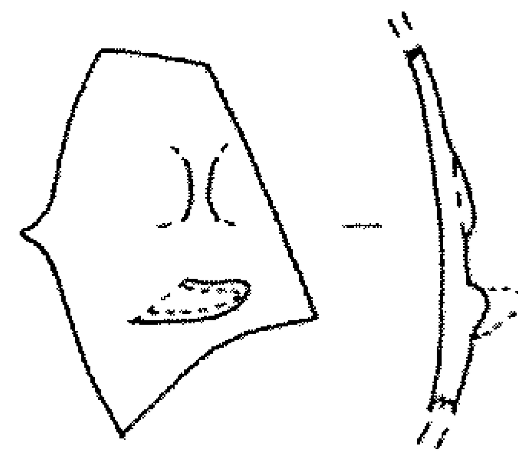
Pl. 18



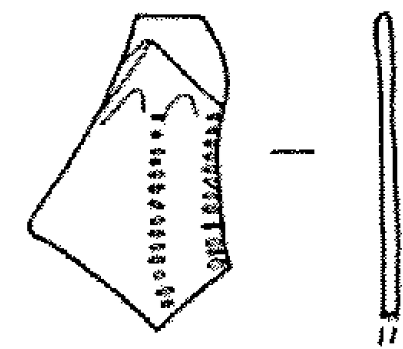
1. RG-K123



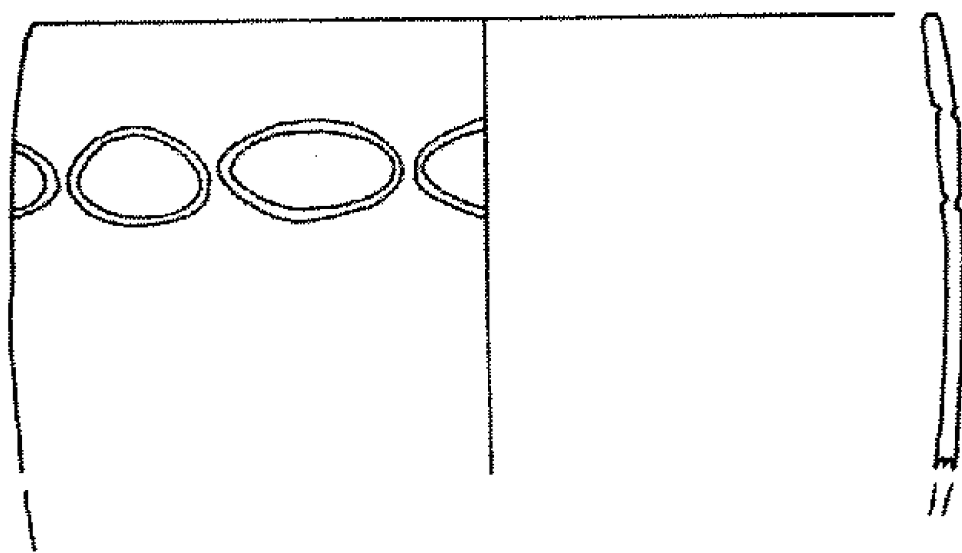
2. RG-K615



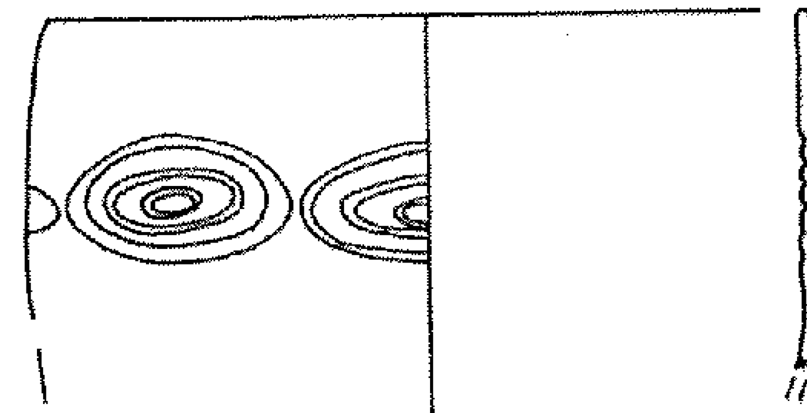
3. RG-K83



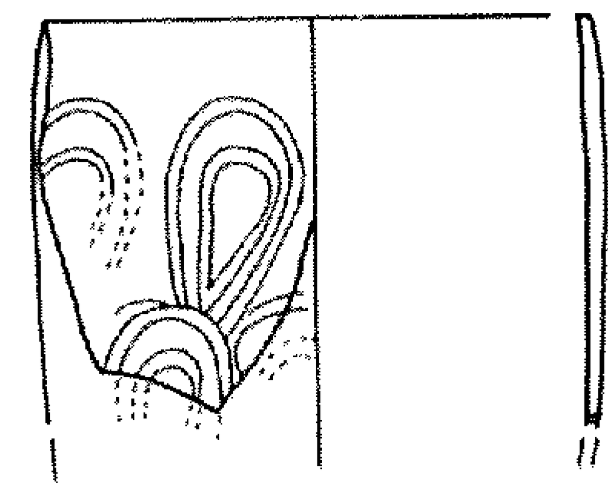
4. RG-K51



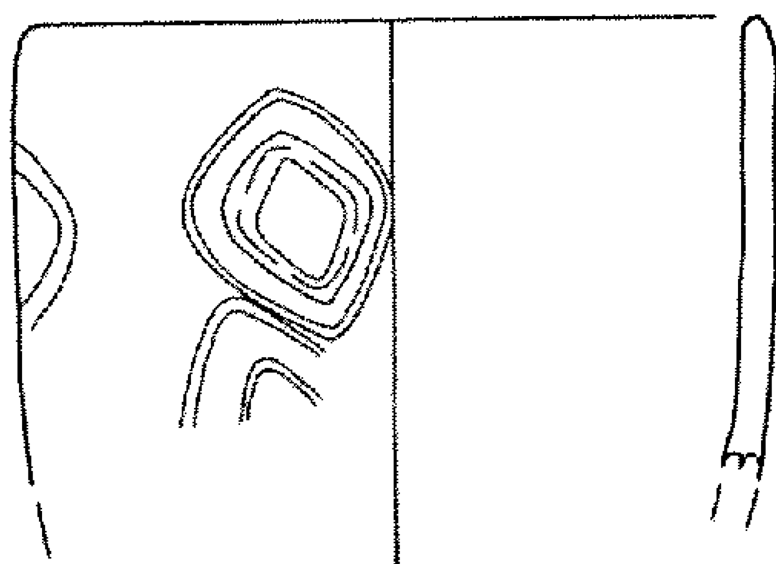
5. RG-K26+32



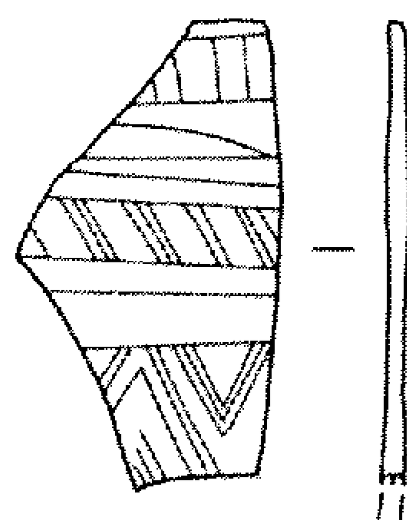
6. RG-K44



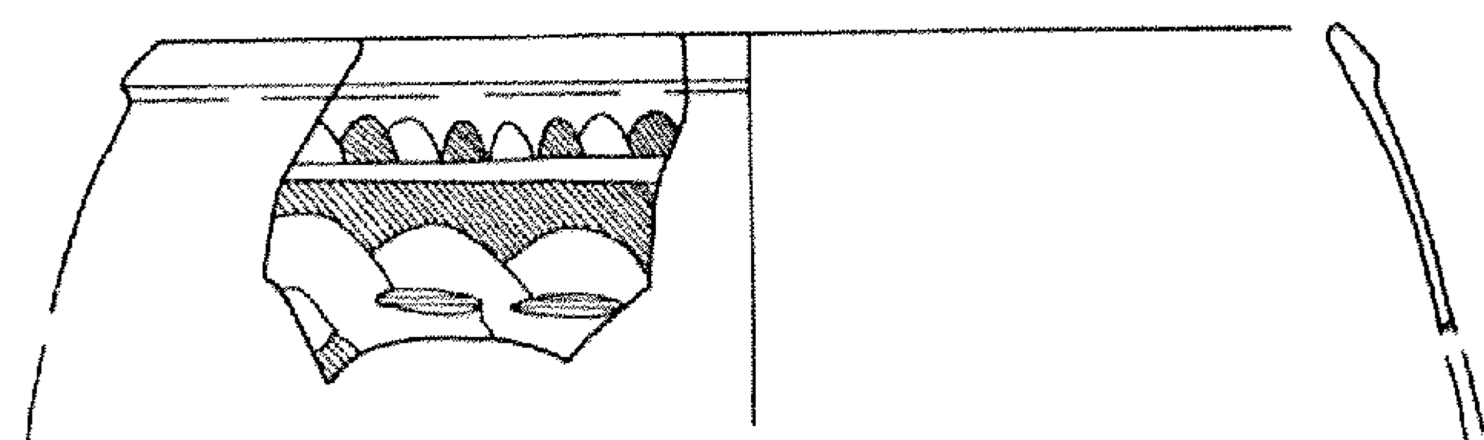
7. RG-K19



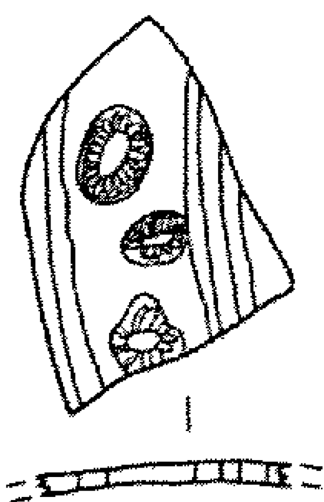
8. RG-K31



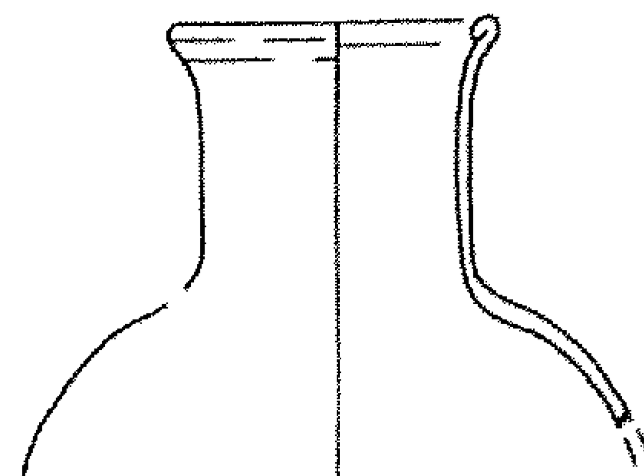
9. RG-K24



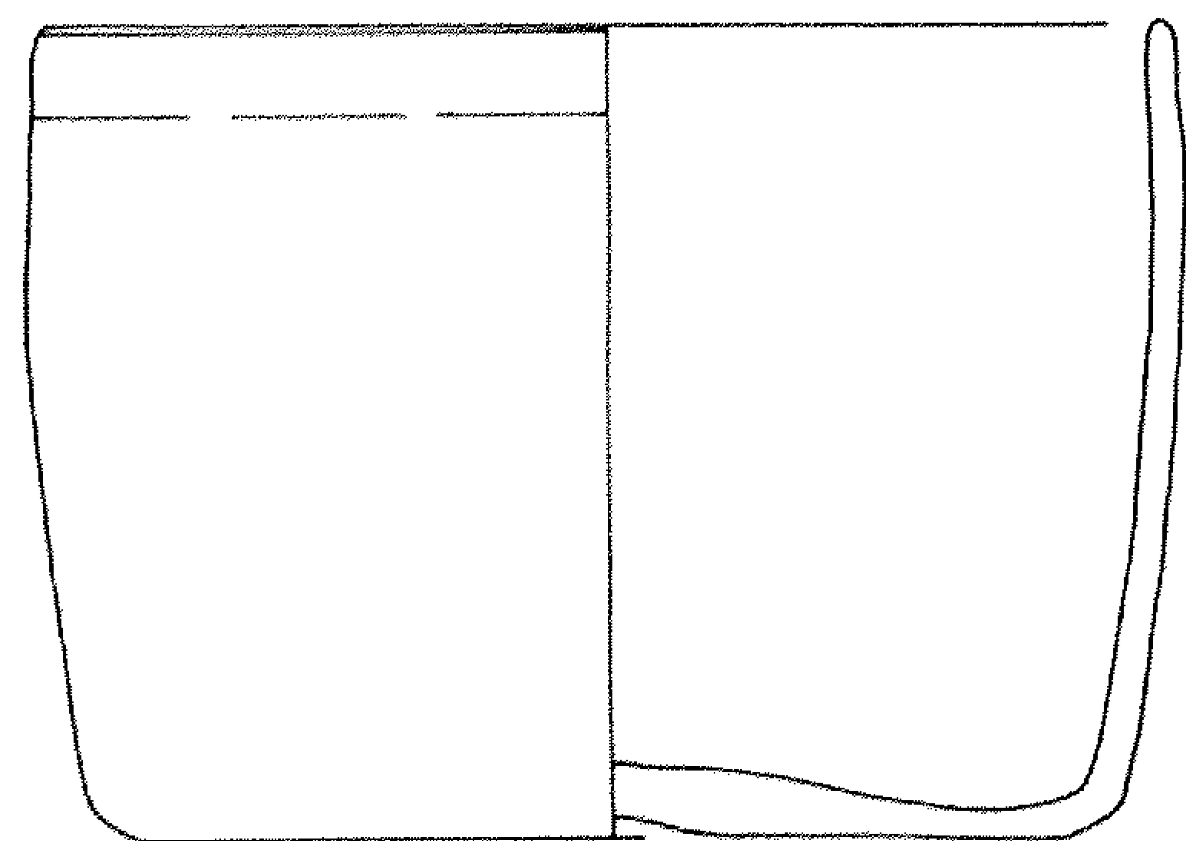
10. RG-K166



11. RG-K471



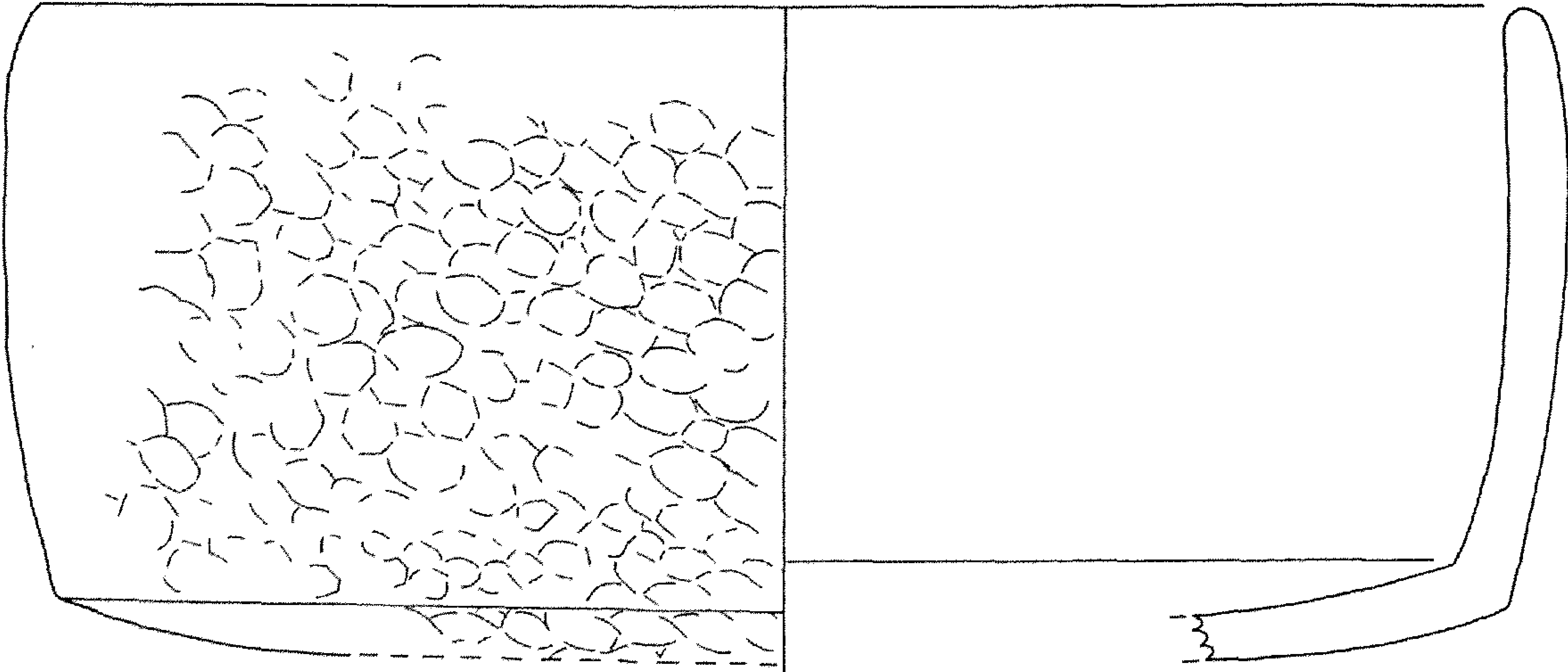
12. RG-K209



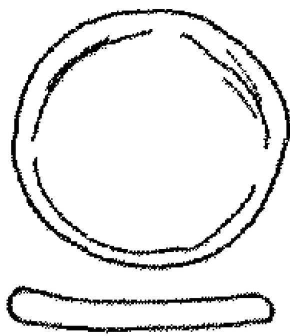
13. RG-K877

0 5cm

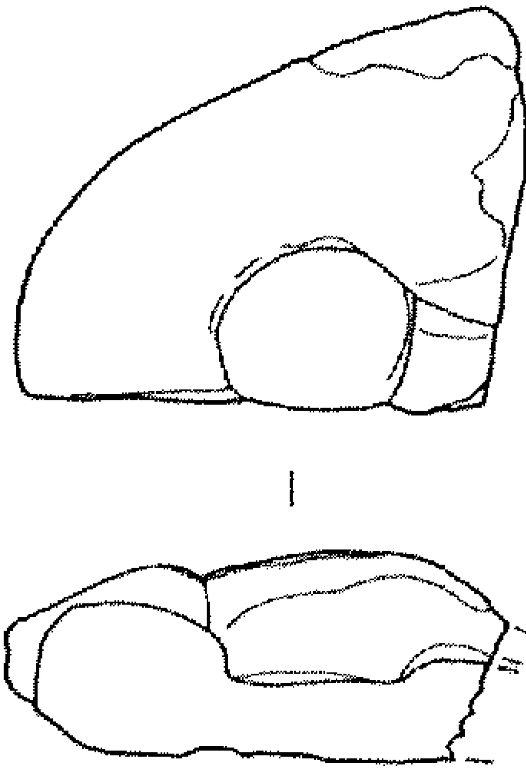
Pl. 17



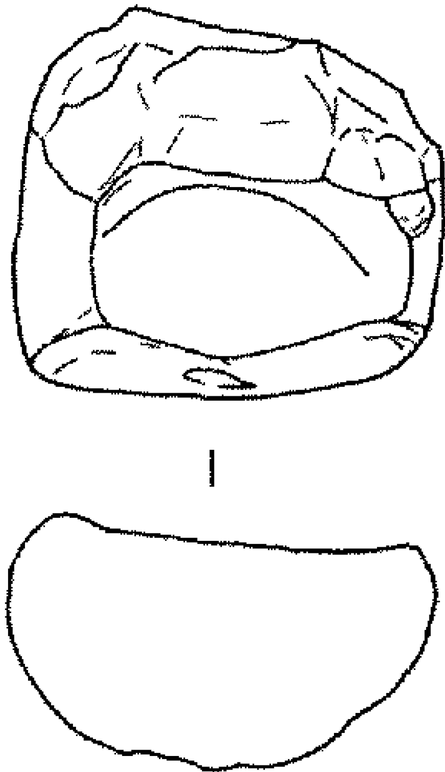
1. RT-K750



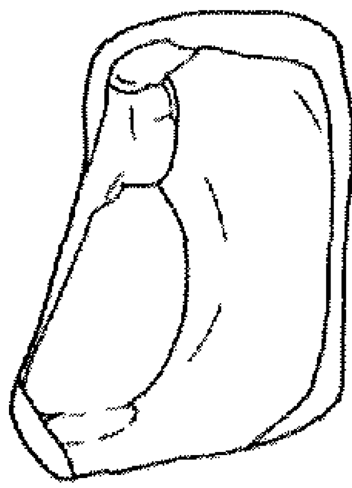
2. RGW-K1

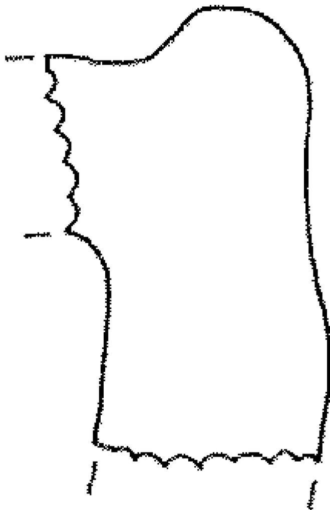


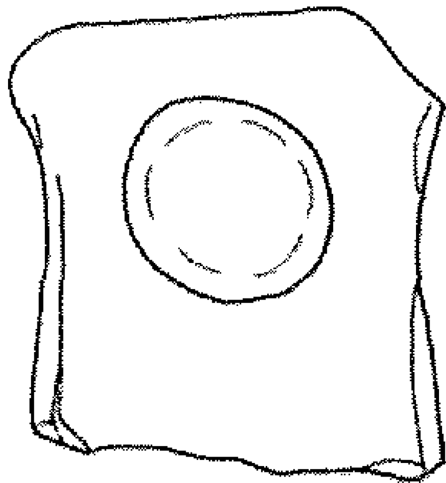
3. RGW-K2



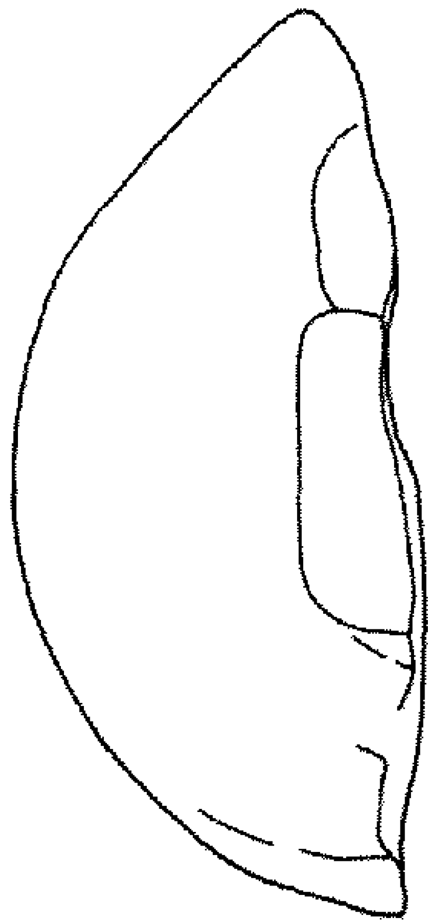
4. RGW-K6







5. RGW-K4



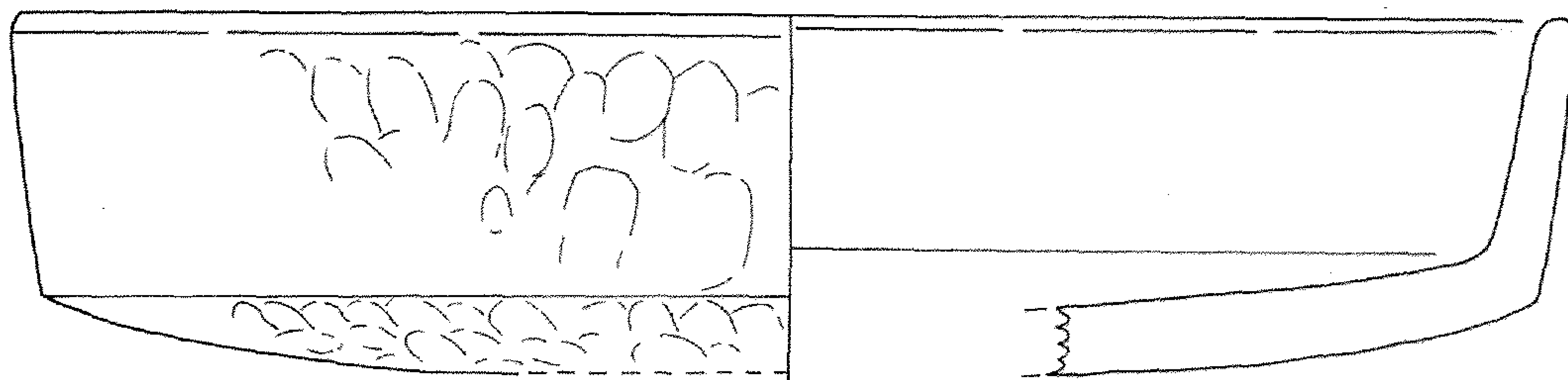


6. RGW-K5

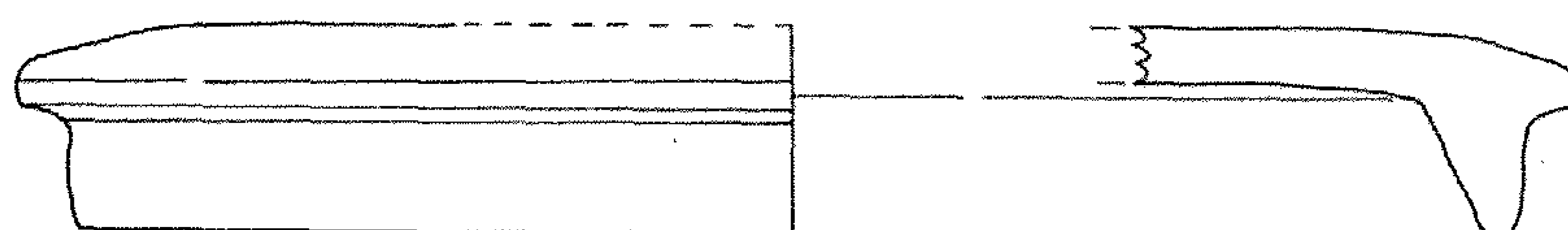
0 5cm



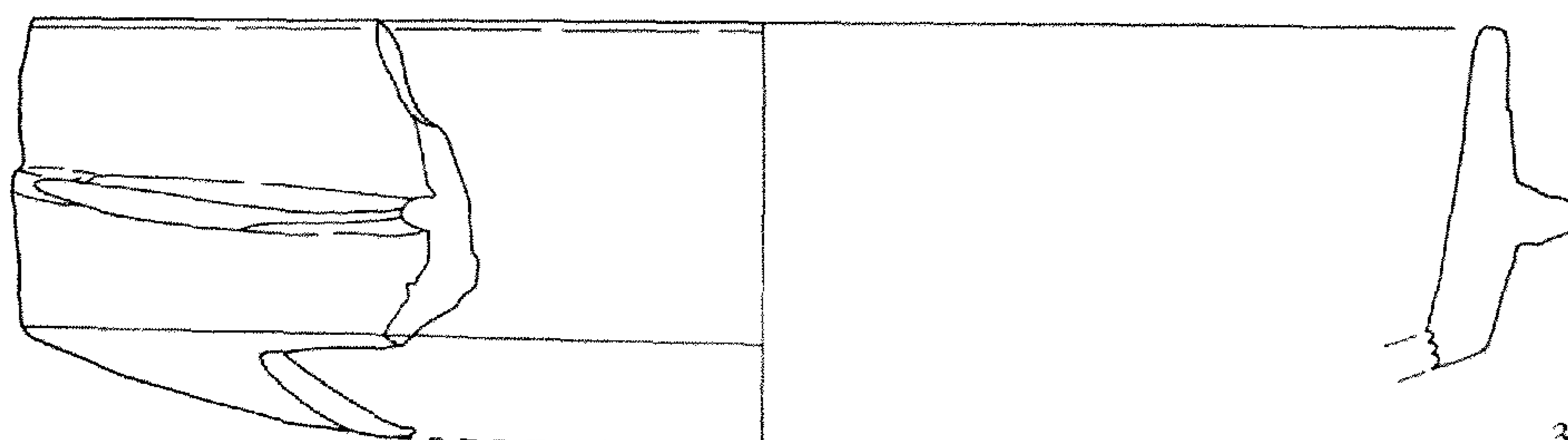
Pl. 16



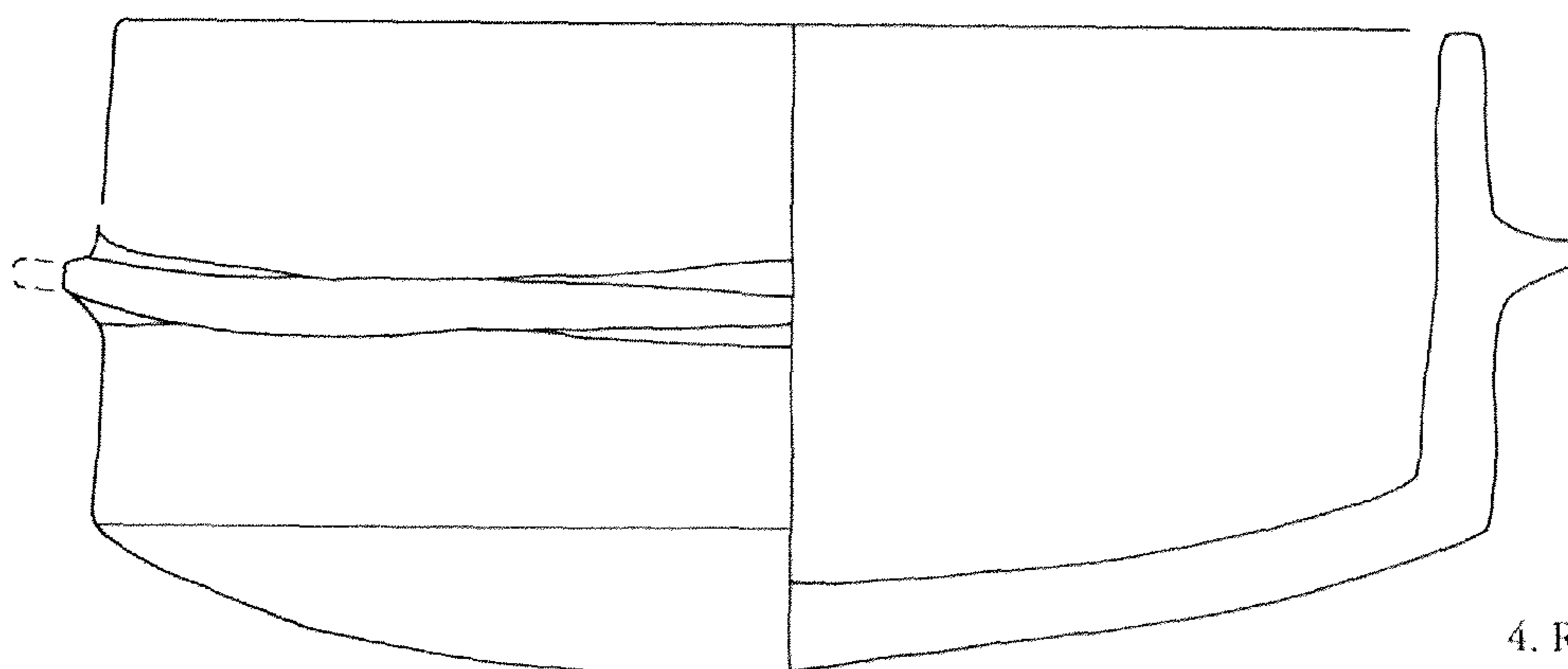
1. RT-K919



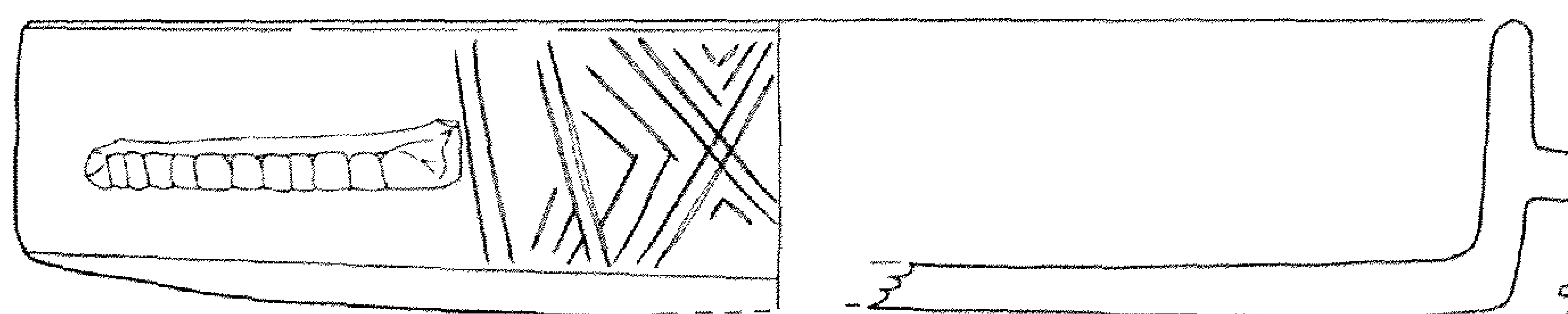
2. RT-K96



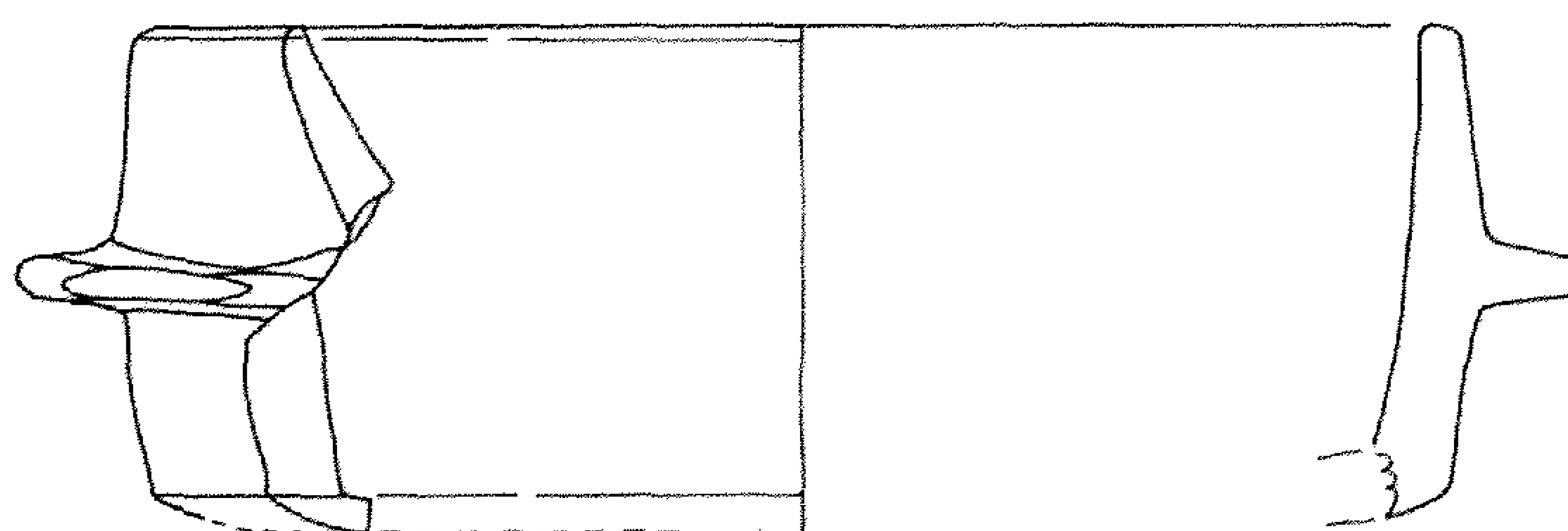
3. RT-K598



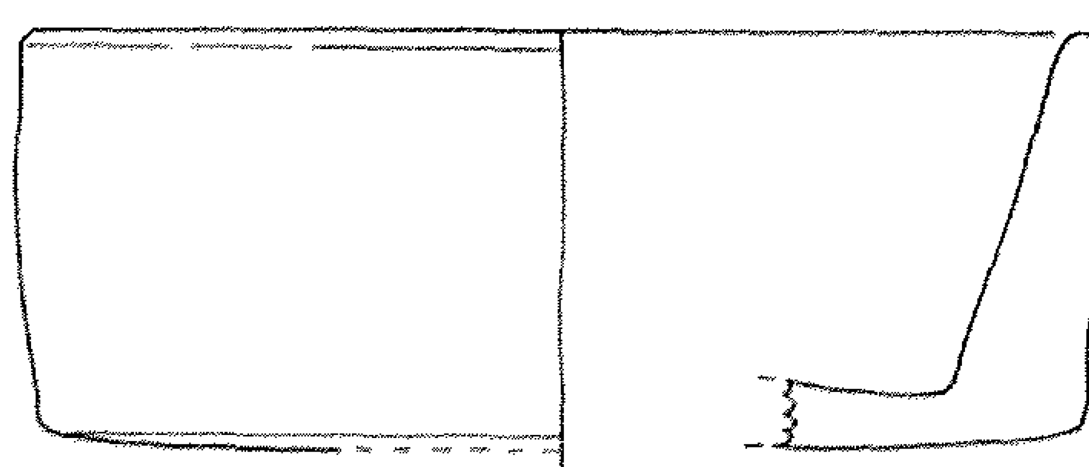
4. RT-K292



5. RT-K175



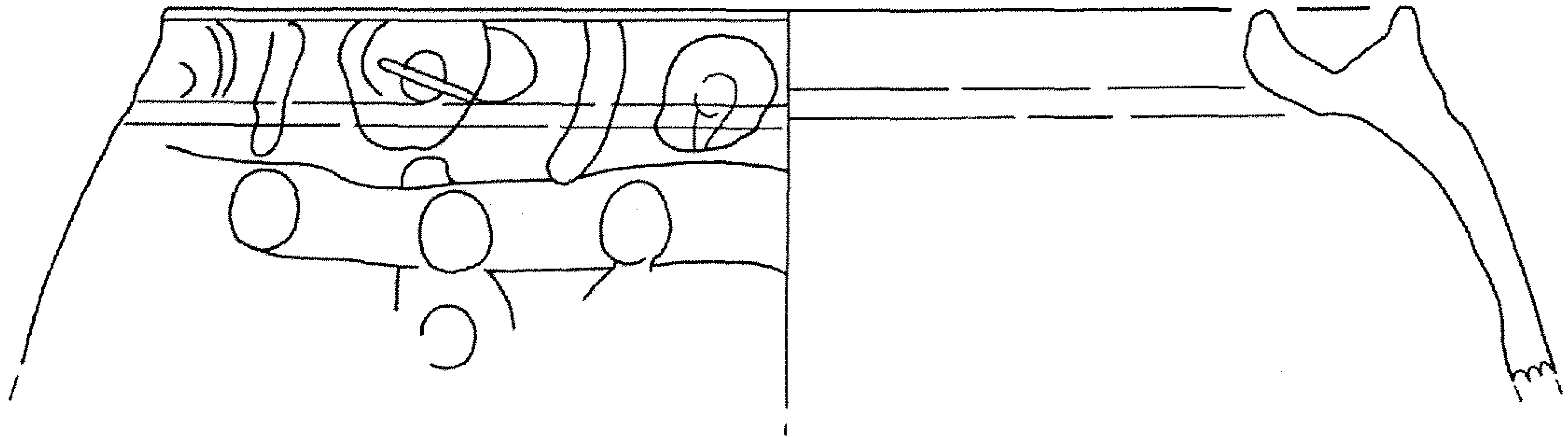
6. RT-K92



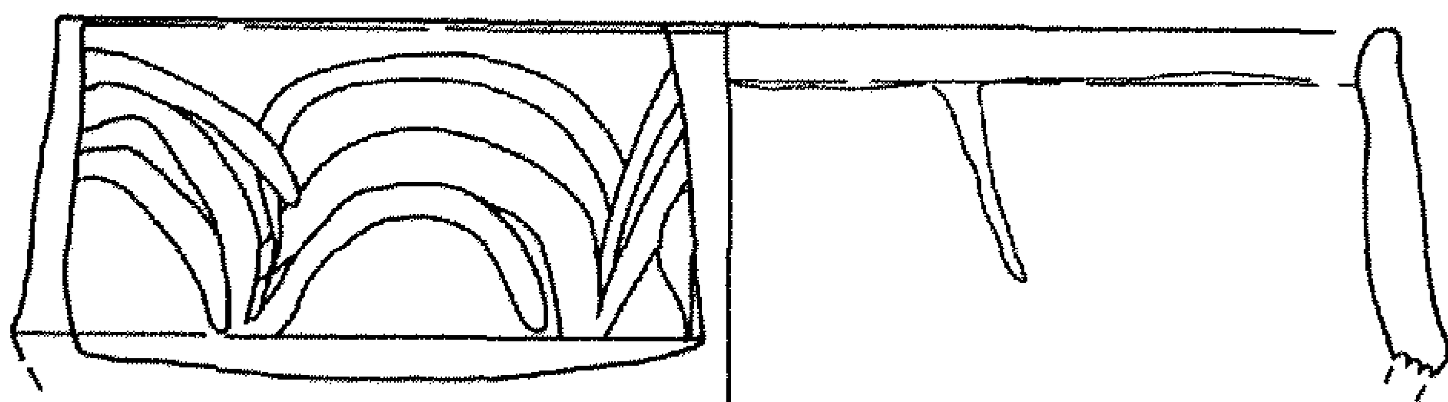
7. RT-K151

0 5cm

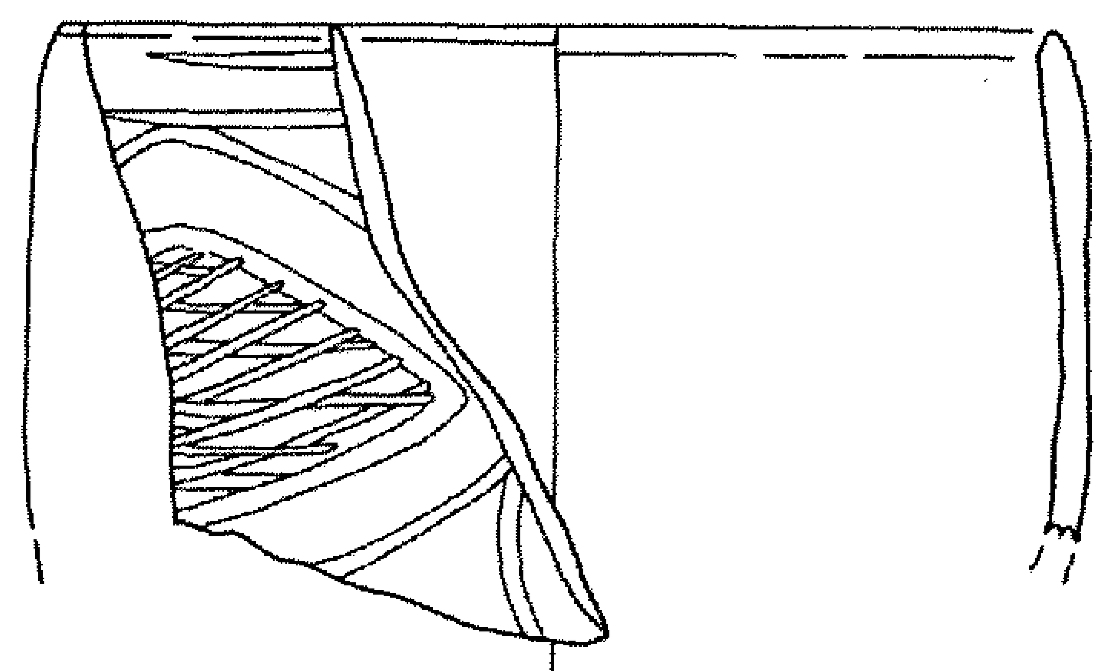
Pl. 15



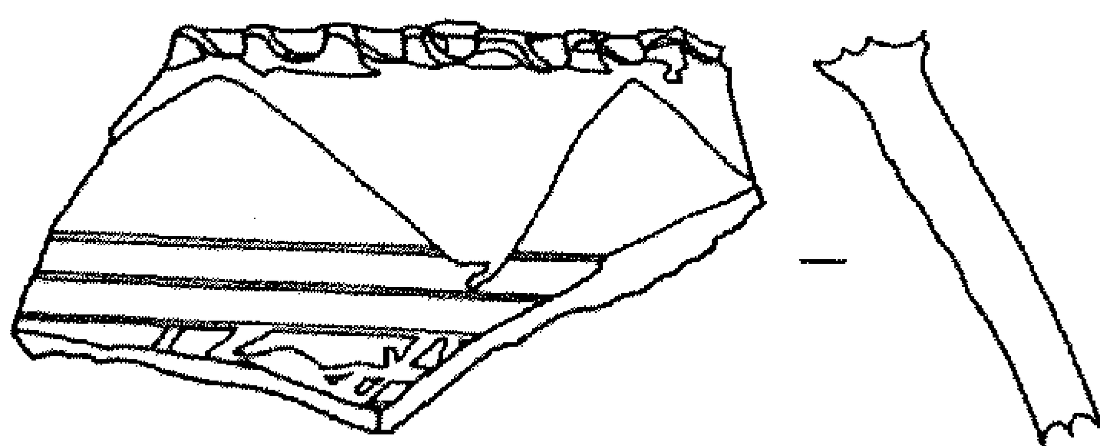
1. RE-K155



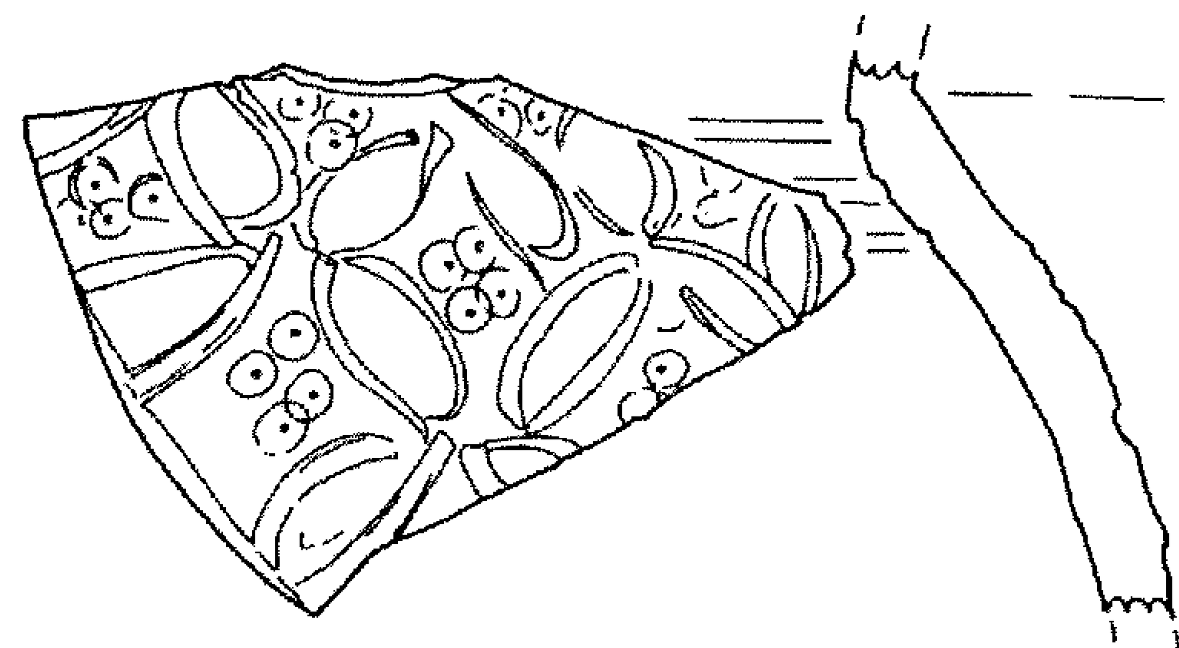
2. RE-K1906



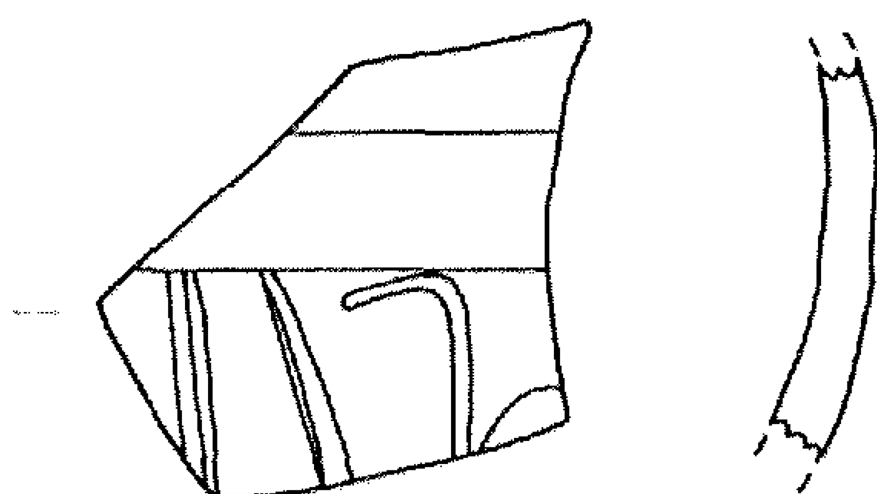
3. RE-K7



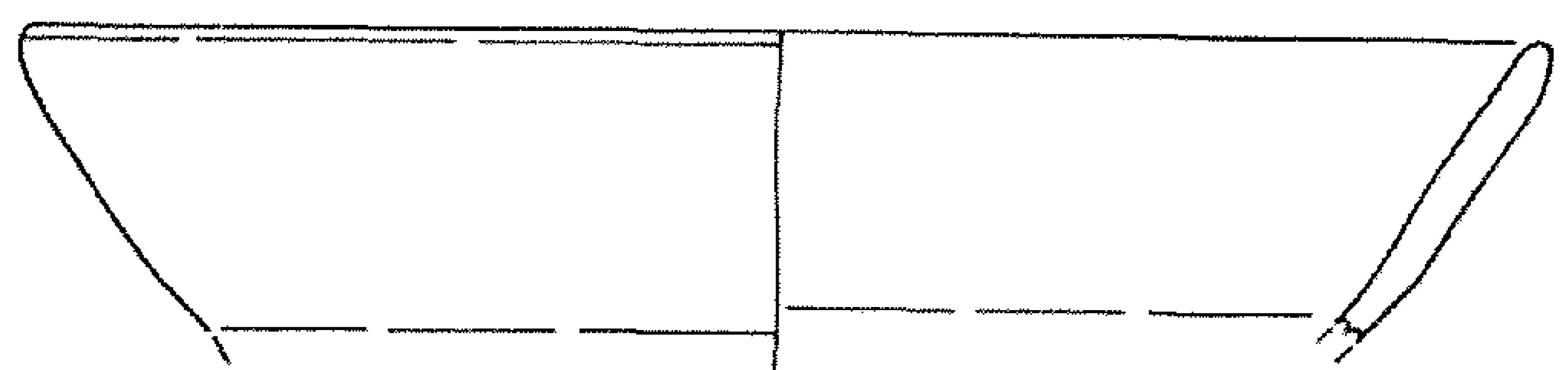
4. RE-K156



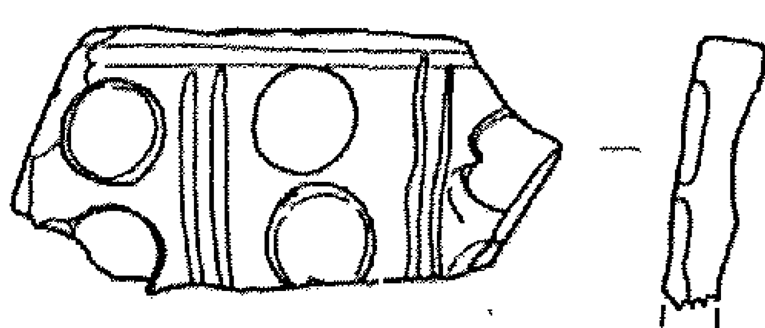
6. RE-K2006



5. RE-K1636



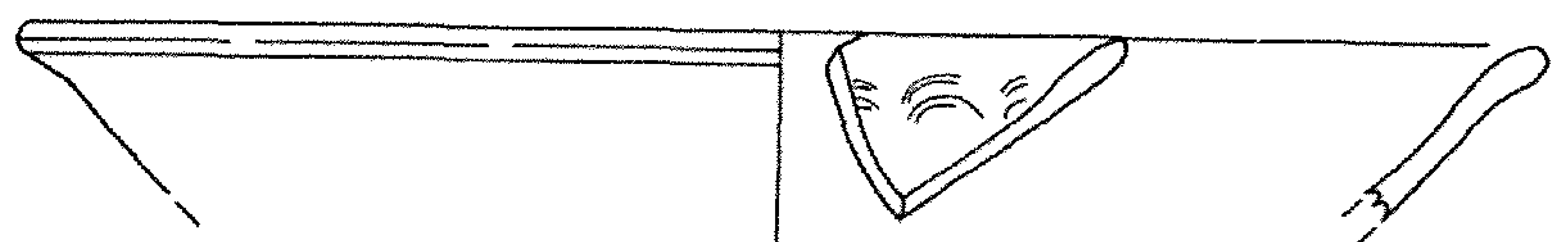
9. RP-K3+4+7



7. RP-K60

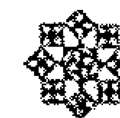


8. RP-K10

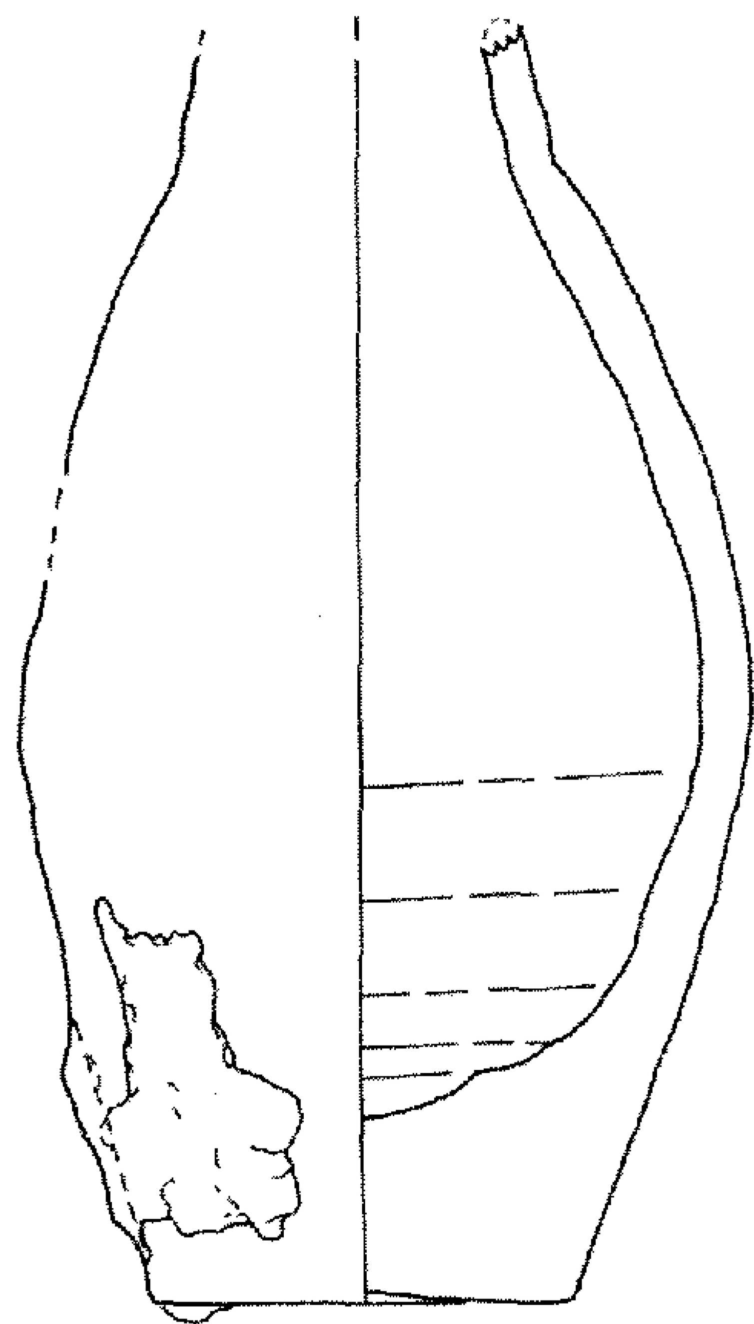


10. RCW-K1

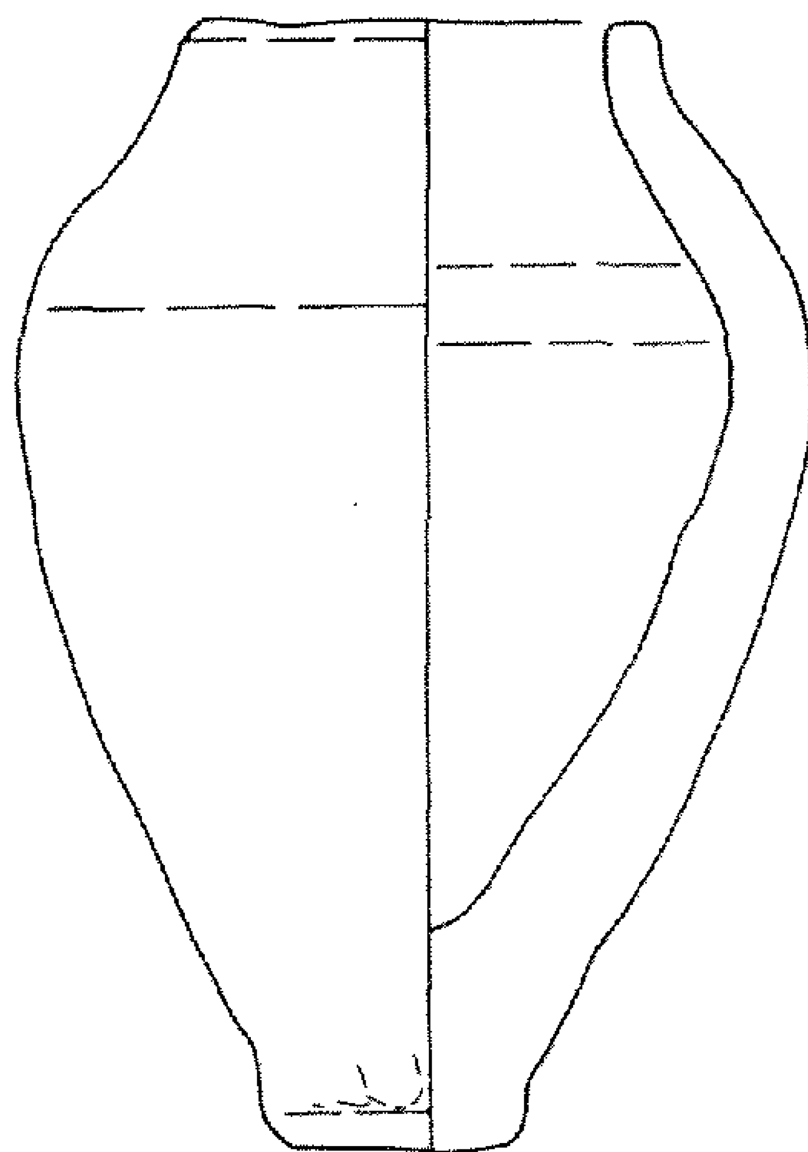
0 5cm



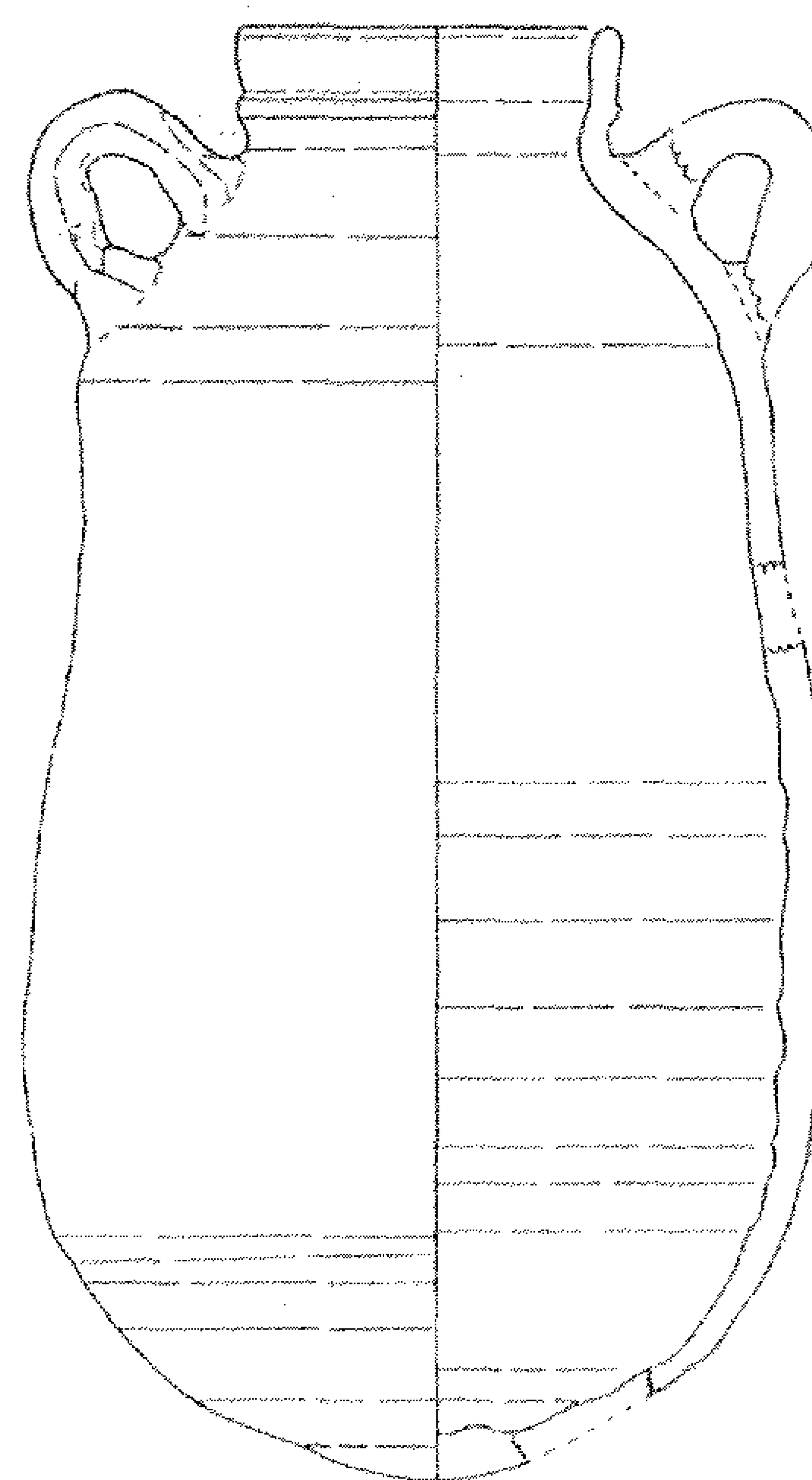
Pl. 14



1. RE-K740



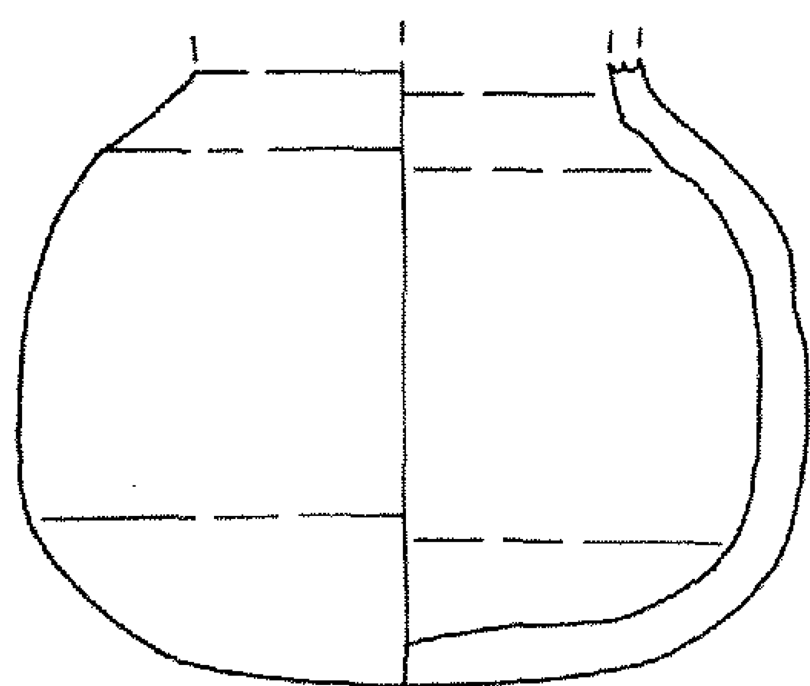
2. RE-K1445



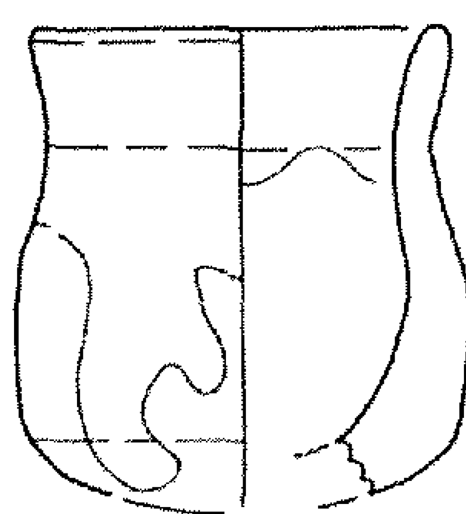
3. RE-K65

0 5cm

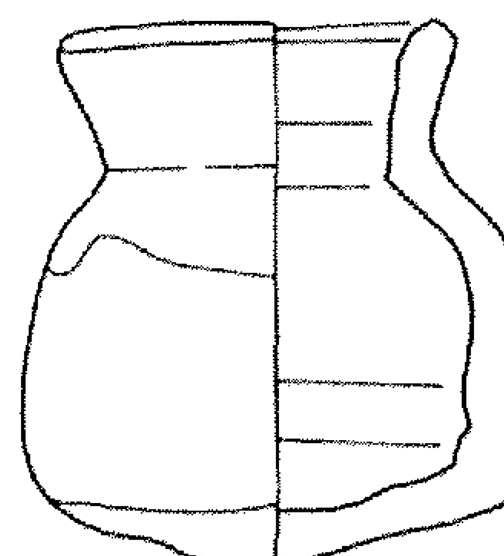
0 5cm



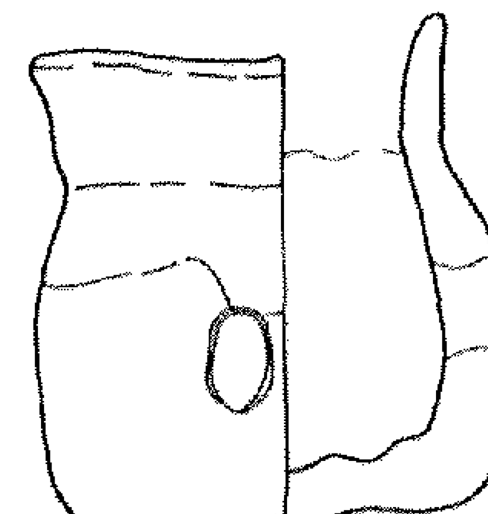
4. RE-K1243



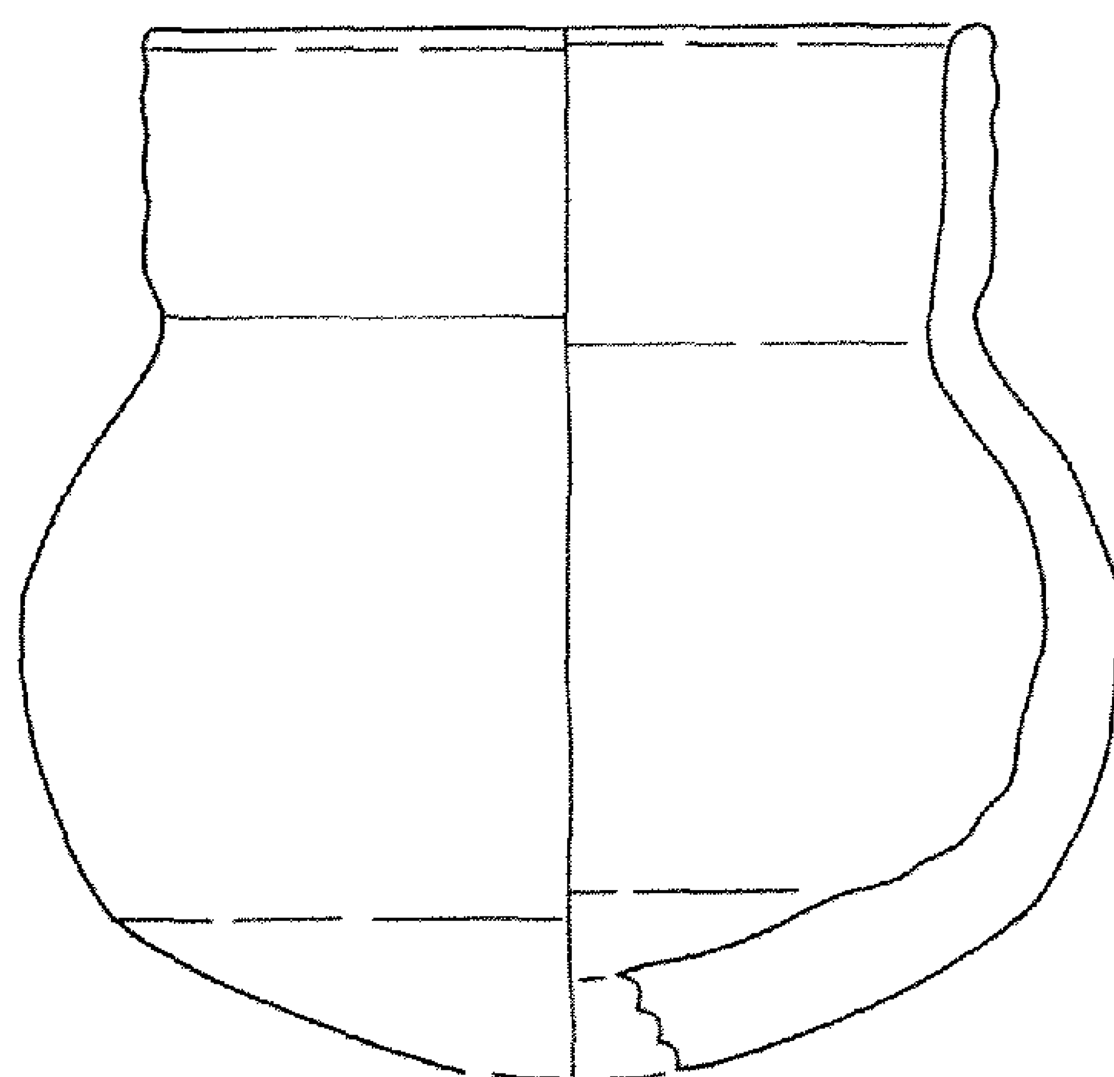
5. RE-K217



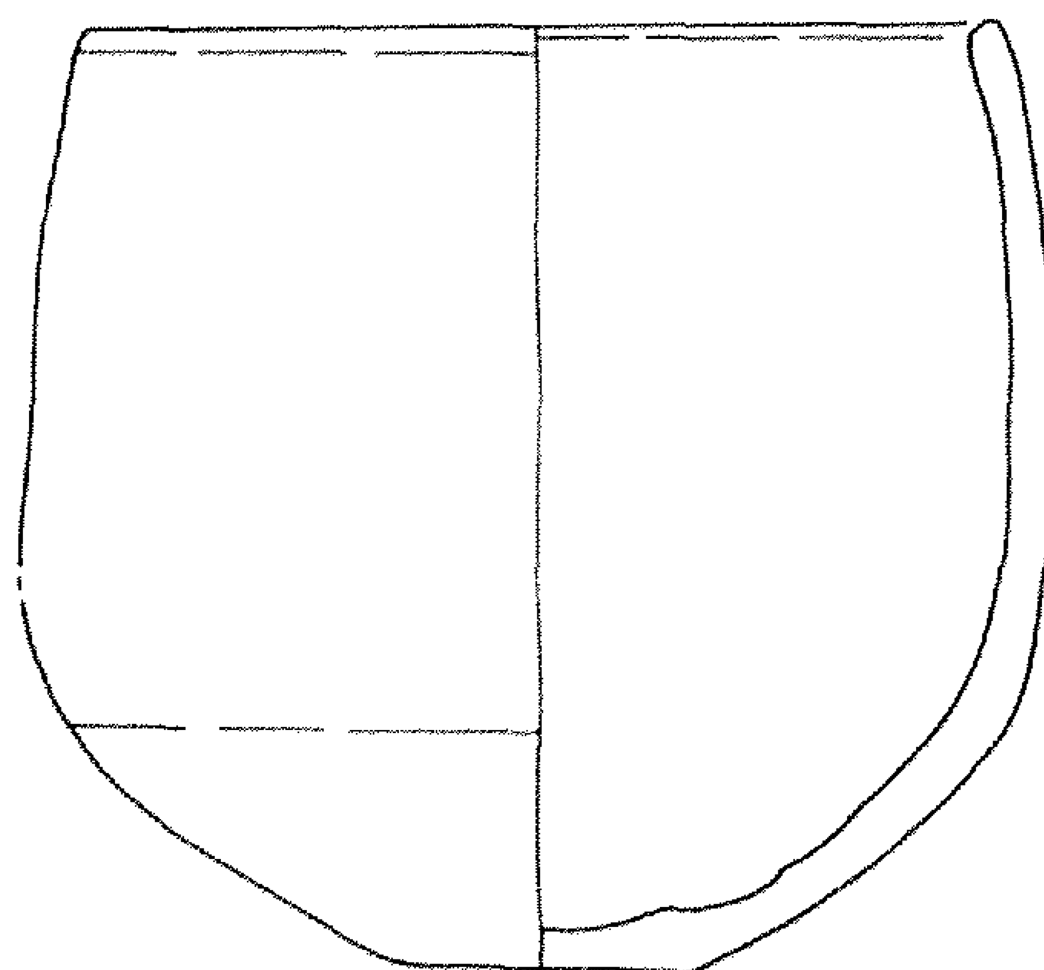
6. RE-K294



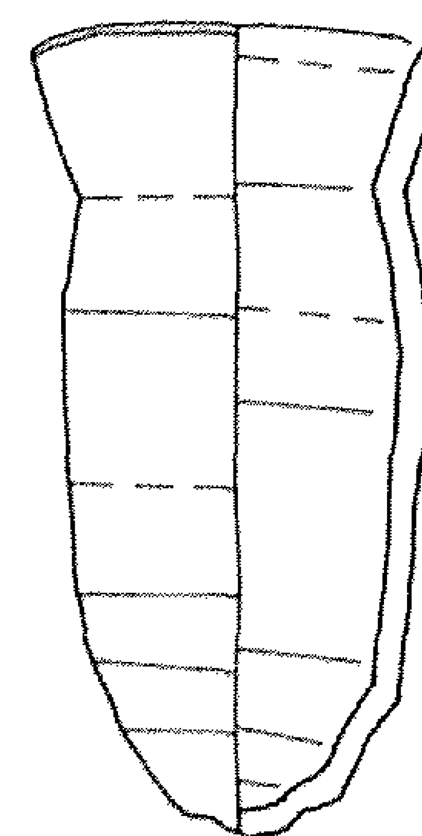
7. RE-K679



8. RE-K984



9. RE-K245+251

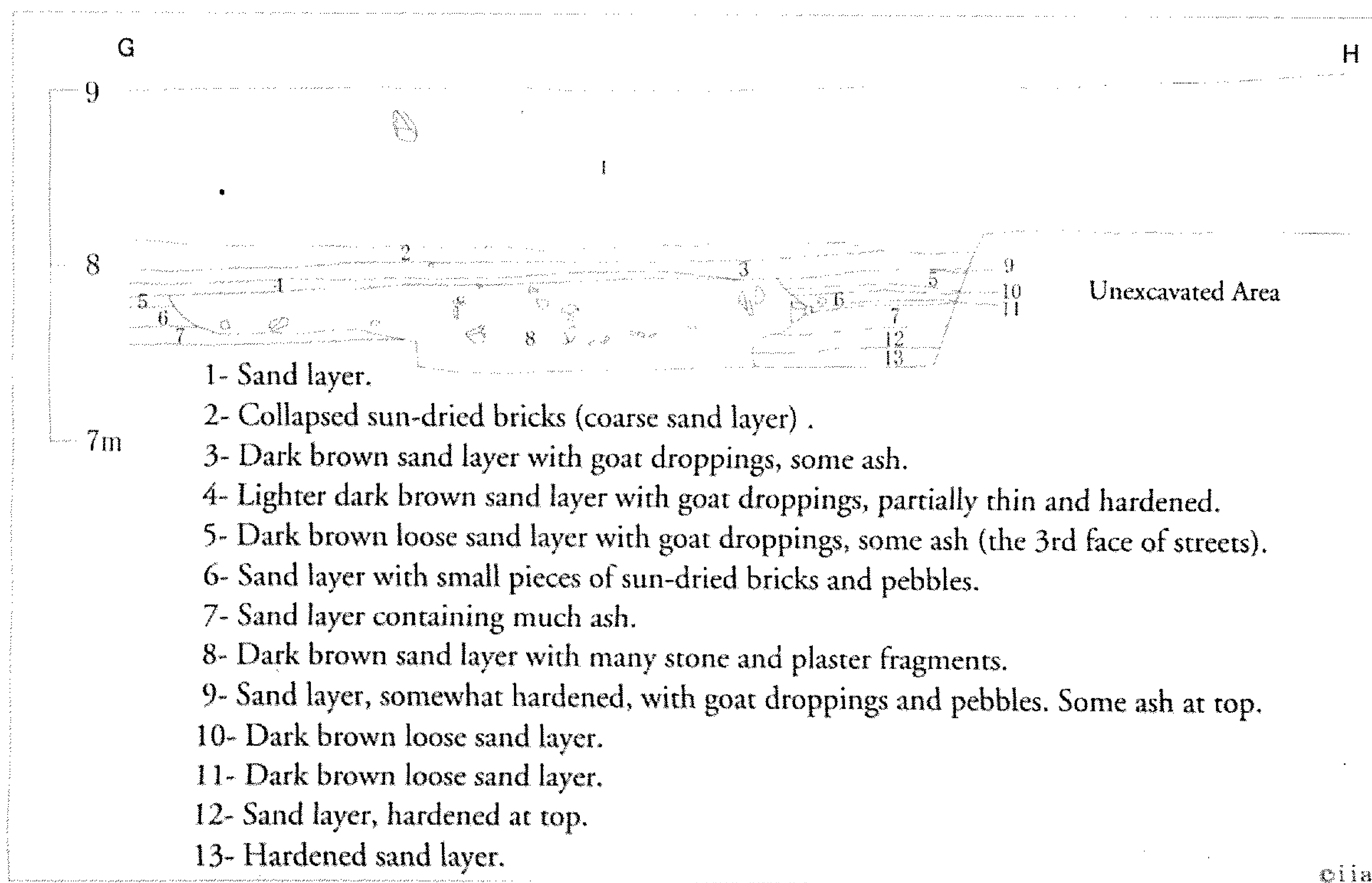


10. RE-K191

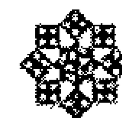
0 5cm

Pl. 13 Artifacts from the Fort

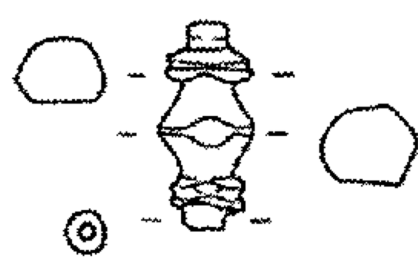
Pl. No.	Reg. No	Room No.	Stratum	Depth (m)	Artifacts
11-1, 34-1	RE 3268	3-1	sand layer, mixed in ash	7.843 m	*qullah* (samll water-jug)
11-2, 34-2	RE 3267	3-1	sand layer, mixed in ash	7.852 m	jar
11-3, 34-4	RE 3215	3-2	sand layer	9.706 m	painted earthenware
11-4, 34-5	RE 3224	3-1	sand layer	8.114 m	miniature earthenware
11-5, 34-6	RP 16639	3-12A	sand layer	7.941 m	miniature glazed pottery, brown
11-6	RP 16314	3-7	sand layer	8.646 m	glazed pottery, green
11-7, 34-7	RP 16344	3-1	sand layer	8.959 m	glazed pottery, green and dark purple
11-8, 34-8	RP 16657	Space 2	sand layer	8.744 m	glazed pottery, green and dark purple
11-9, 34-9	RT 9805	3-8B	sand layer	8.302 m	stone lid with slashed design
11-10, 34-10	RT 9962	3-7	sand layer	8.048 m	stone pan
11-11	RT 10088	3-1	sand layer	7.793 m	stone pan
12-1, 34-16	RB 1042	3-1	sand layer	7.732 m	a piece of bone *mashrabīya*
12-2, 34-17	RB 1043	Space 2	sand layer	8.349 m	a piece of bone *mashrabīya*
12-3, 34-15	RO 8121	10-6, southeast	sand layer	8.182 m	small bone plate with carved decoration
12-4	RT 9887	3-7	sand layer	8.568 m	stone vessel (alabaster)
12-5, 34-11	RT 9933	3-1	sand layer	7.988 m	stone mold
12-6, 34-13	RT 9934	3-1	sand layer	7.935 m	wood spindle whirl
12-7, 34-18	RG11903	10-6, southeast	sand layer	8.972 m	glass beaker with incised decoration, deep blue
12-8	RG 12035	3-1	sand layer	7.875 m	glass bottle with incised decoration, colorless
12-9	RG 12092	3-1	sand layer	7.735 m	small glass bottle with incised decoration, colorless
12-10	RG 12169	3-1C	-	7.753 m	glass beaker with incised decoration, pale bluish green
12-11, 34-19	RG 11876	3-1	sand layer	8.286 m	long necked glass bottle with cut decoration, colorless
12-12, 34-20	RG 12129	Space 1	sand layer	8.100 m	small glass jar, colorless
12-13, 34-21	RG 12013	3-12A	sand layer	8.111 m	small glass bottle, colorless
12-14, 34-14	RO 7994	10-1	sand layer	8.177 m	kohl stick of slate-pencil urchin
34-3	RE 3241	3-1	sand layer	7.945 m	earthenware
34-12	RT 9868	10-1	sand layer	7.910 m	handle of stone incense burner



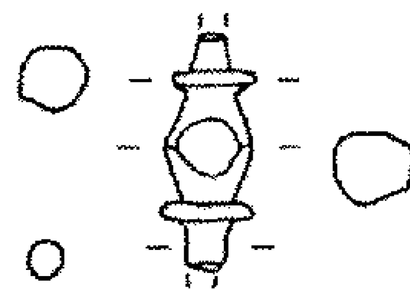
Section of the Central Street



Pl. 12



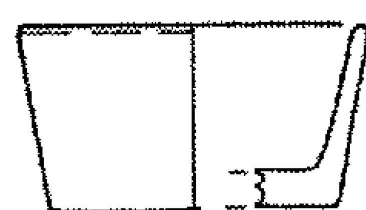
1. RB1042



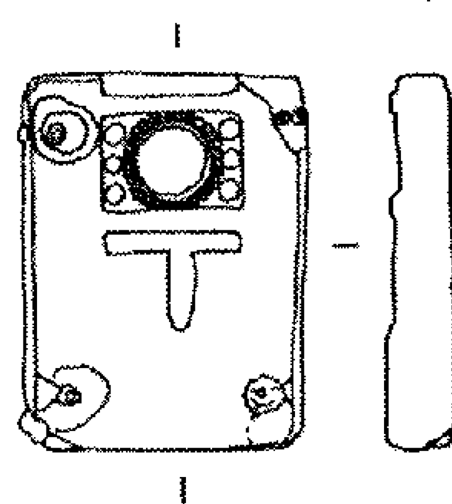
2. RB1043



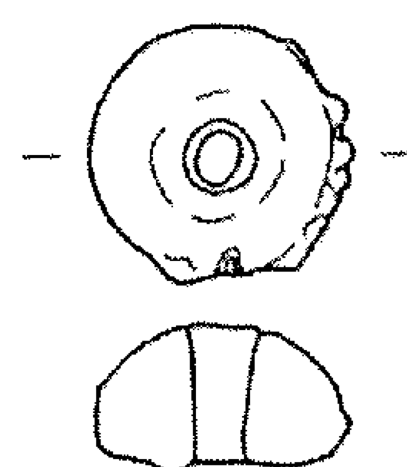
3. RO8121



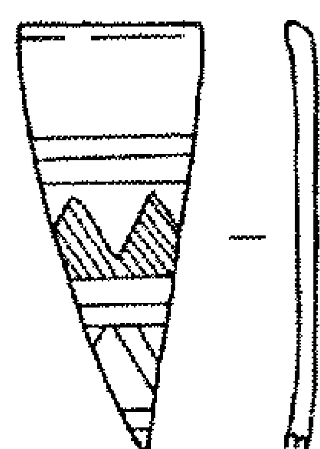
4. RT9887



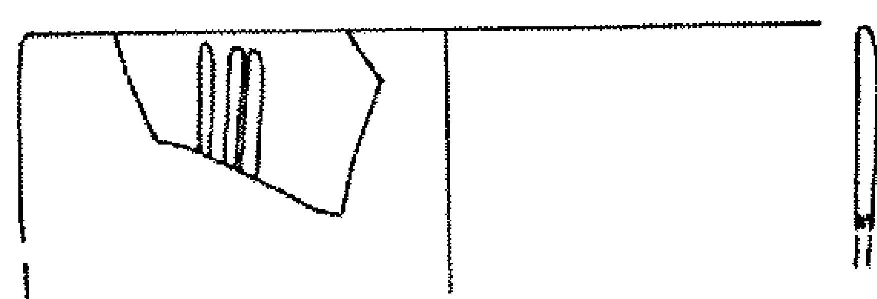
5. RT9933



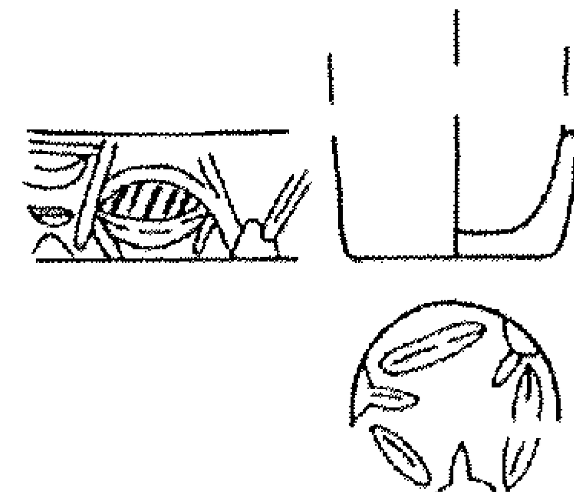
6. RT9934



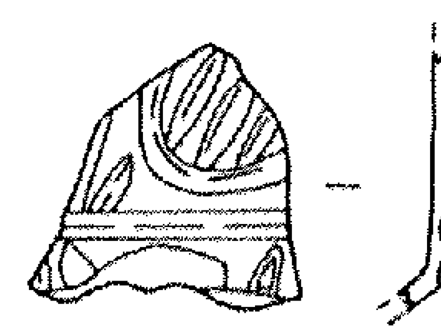
7. RG11903



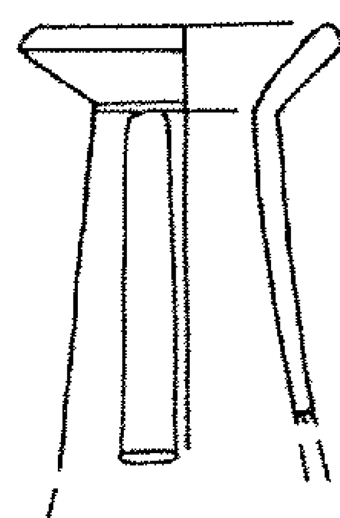
8. RG12035



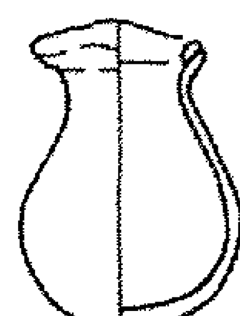
9. RG12092



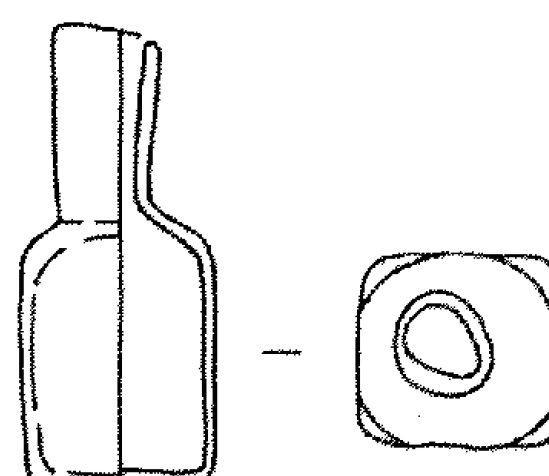
10. RG12169



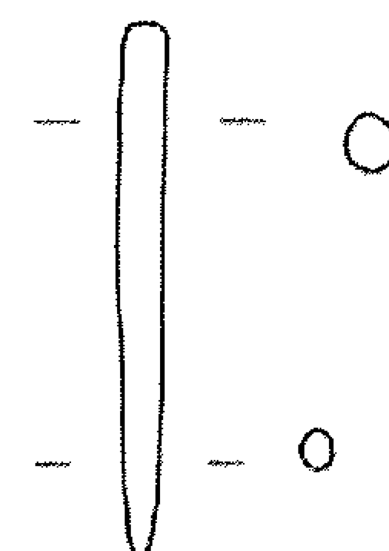
11. RG11876



12. RG12129



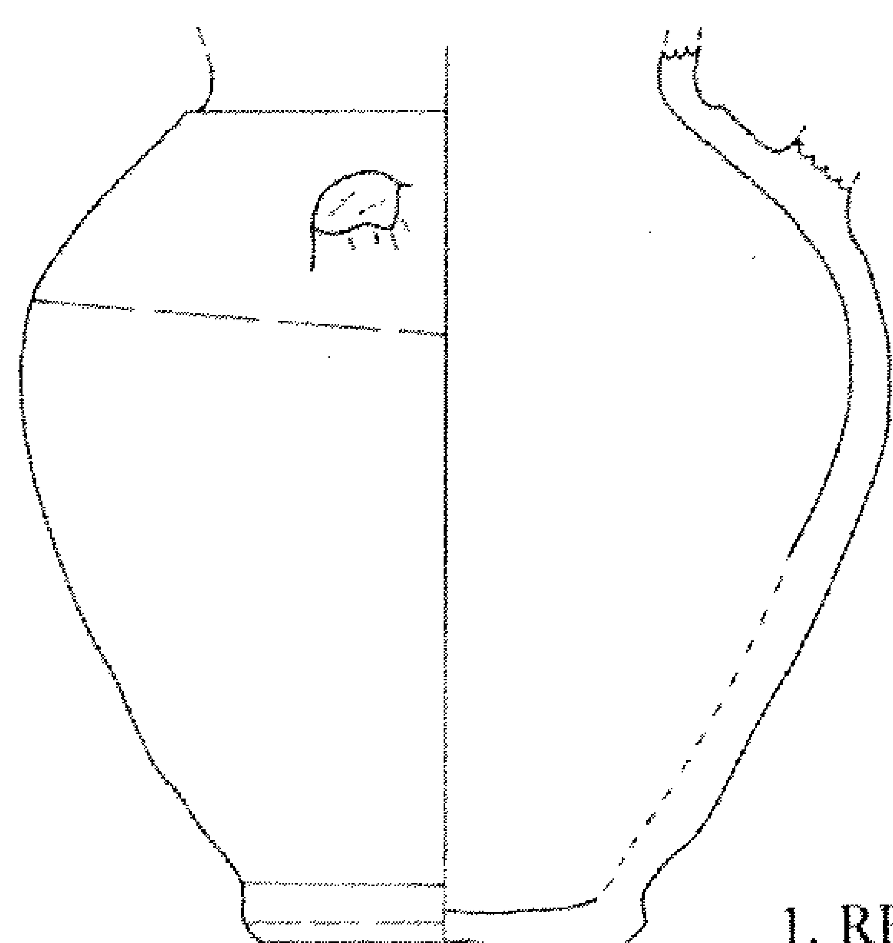
13. RG12013

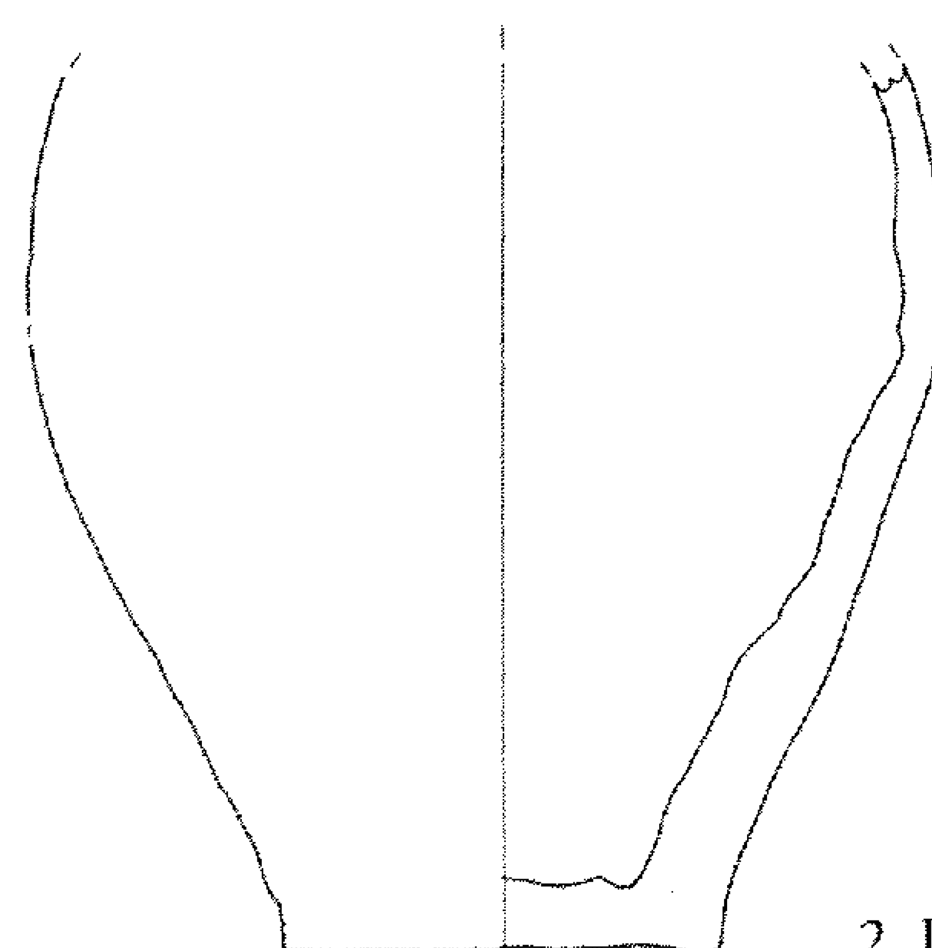


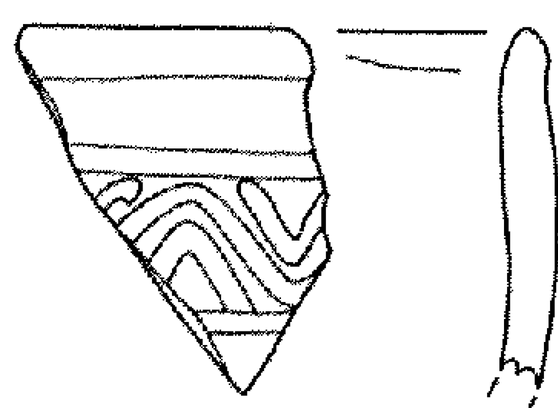
14. RO7994

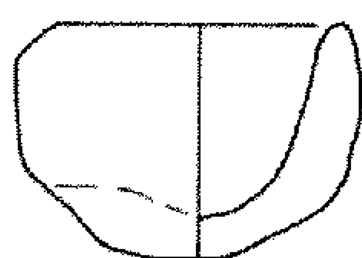
0 5cm

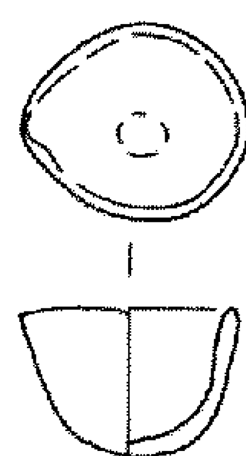
Pl. 11

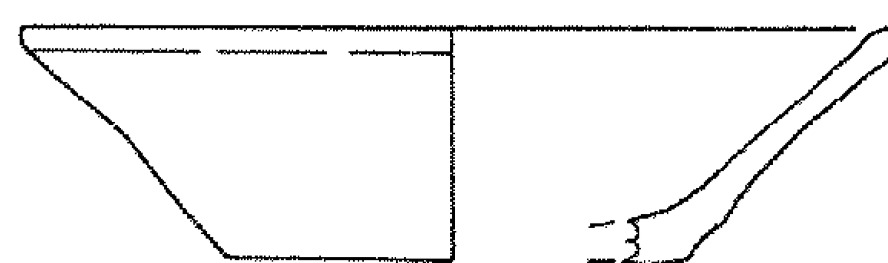

1. RE3268


2. RE3267

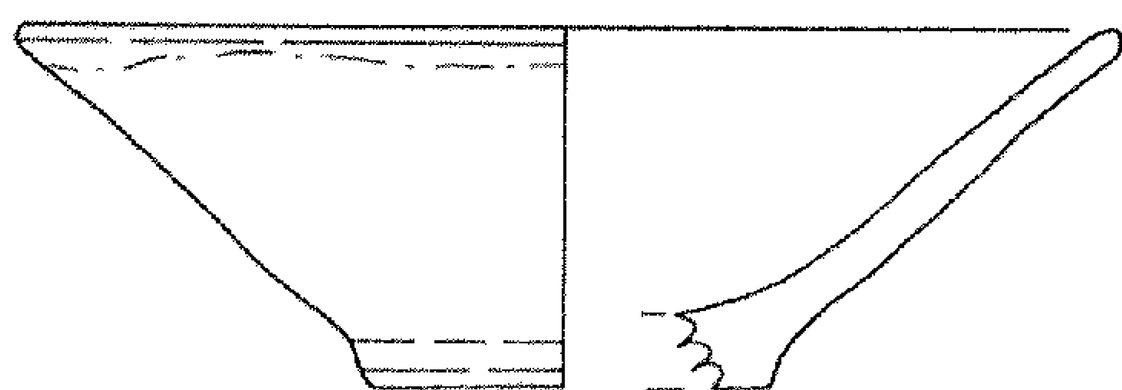

3. RE3215

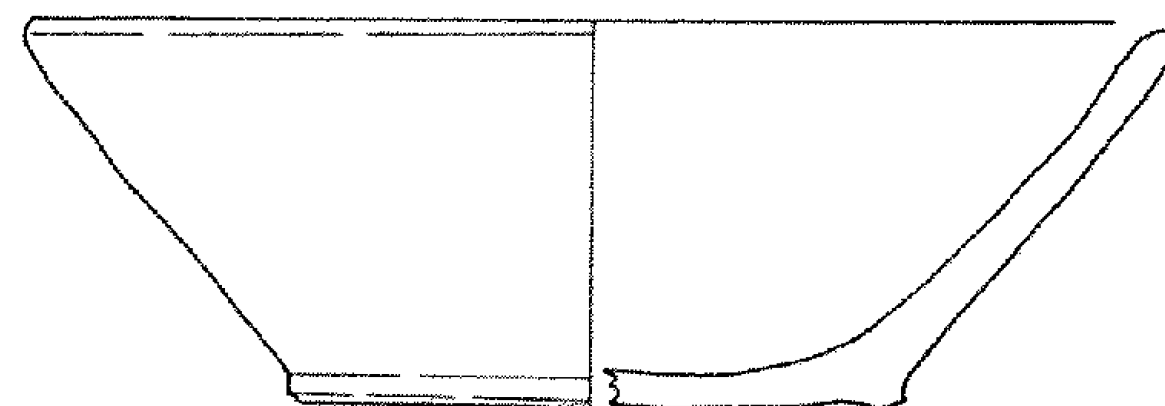

4. RE3224

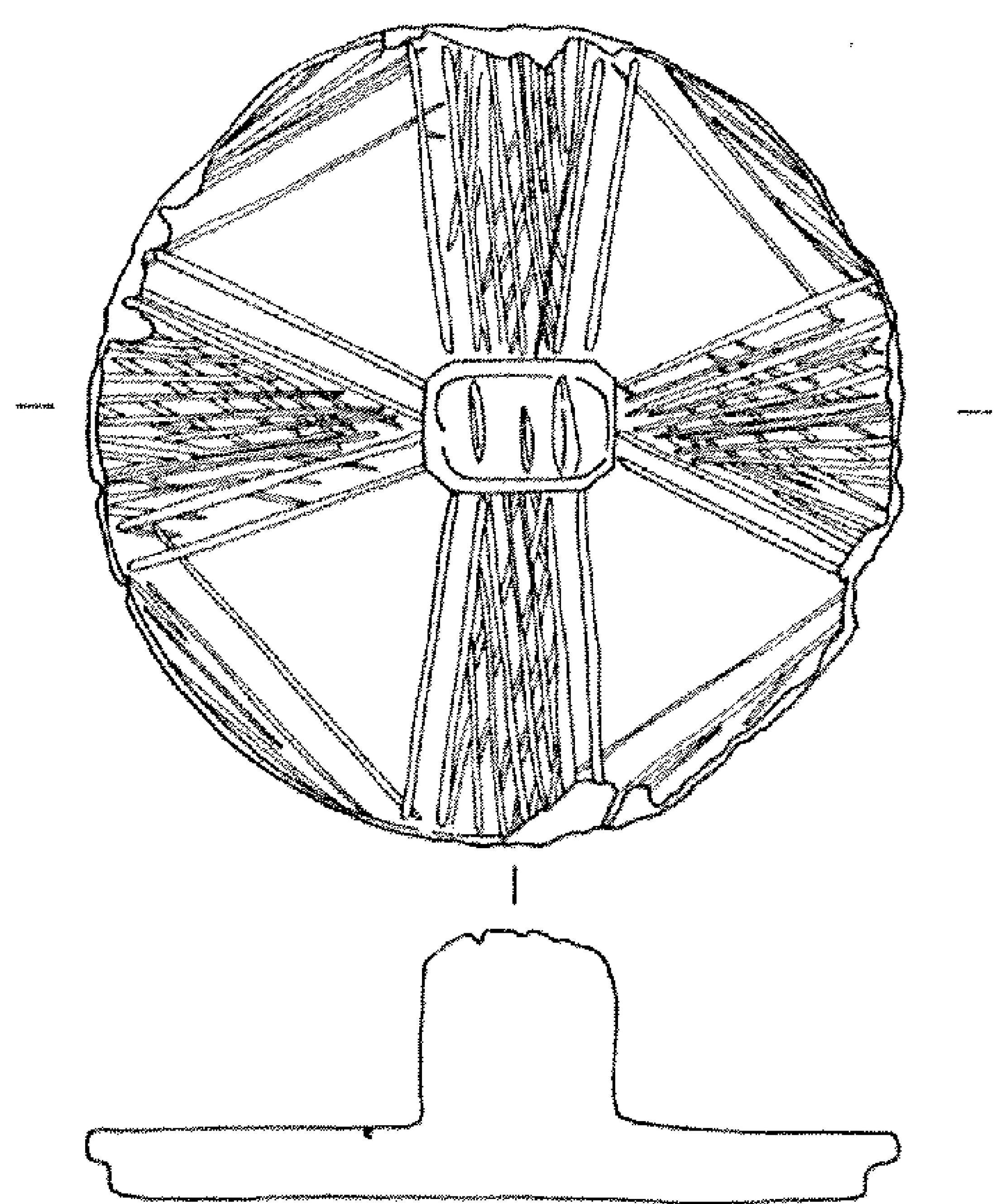

5. RP16639

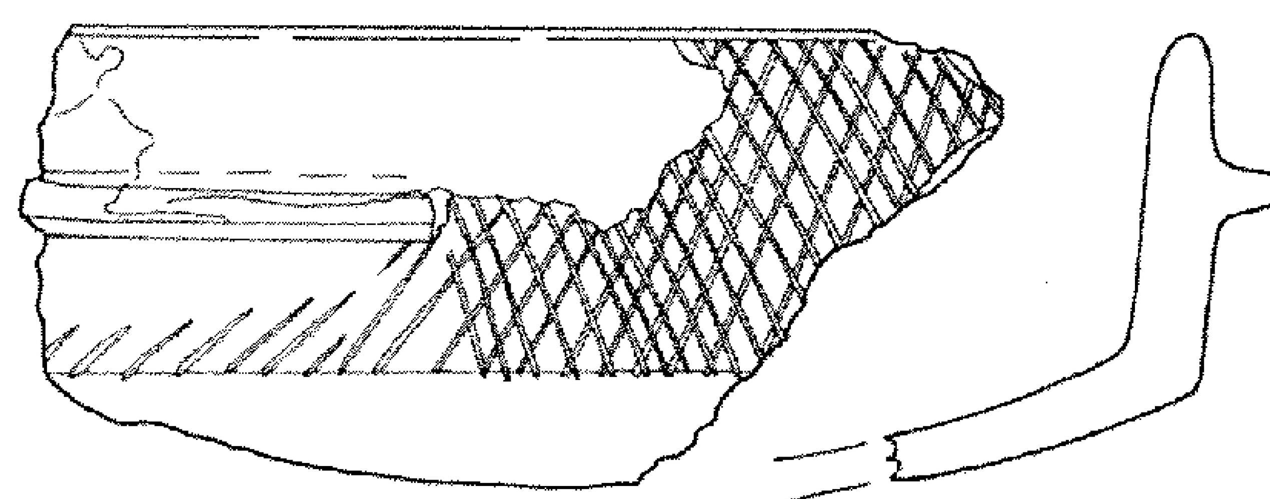

6. RP16314

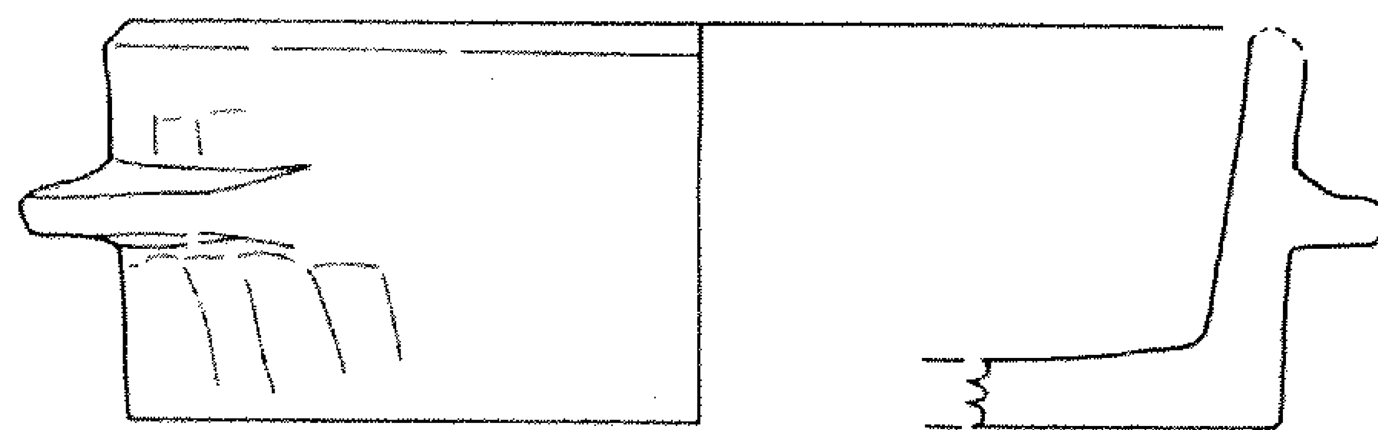
0 5cm


7. RP16344

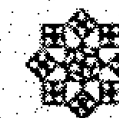

8. RP16657


9. RT9805


10. RT9962


11. RT10088

0 5cm



Pl. 10

465 J3

460 J2

455 J1

450 J0

445 I9

440 I8

2-5
2-9
2-8
2-7B
2-7A
2-1
2-2
3-1
2-3
2-4
2-6
1-1
1-2
1-3
1-14
1-13
1-12
1-4
1-15
1-5
1-11
1-6
1-10
1-7
1-8
1-9
4-1

©iia

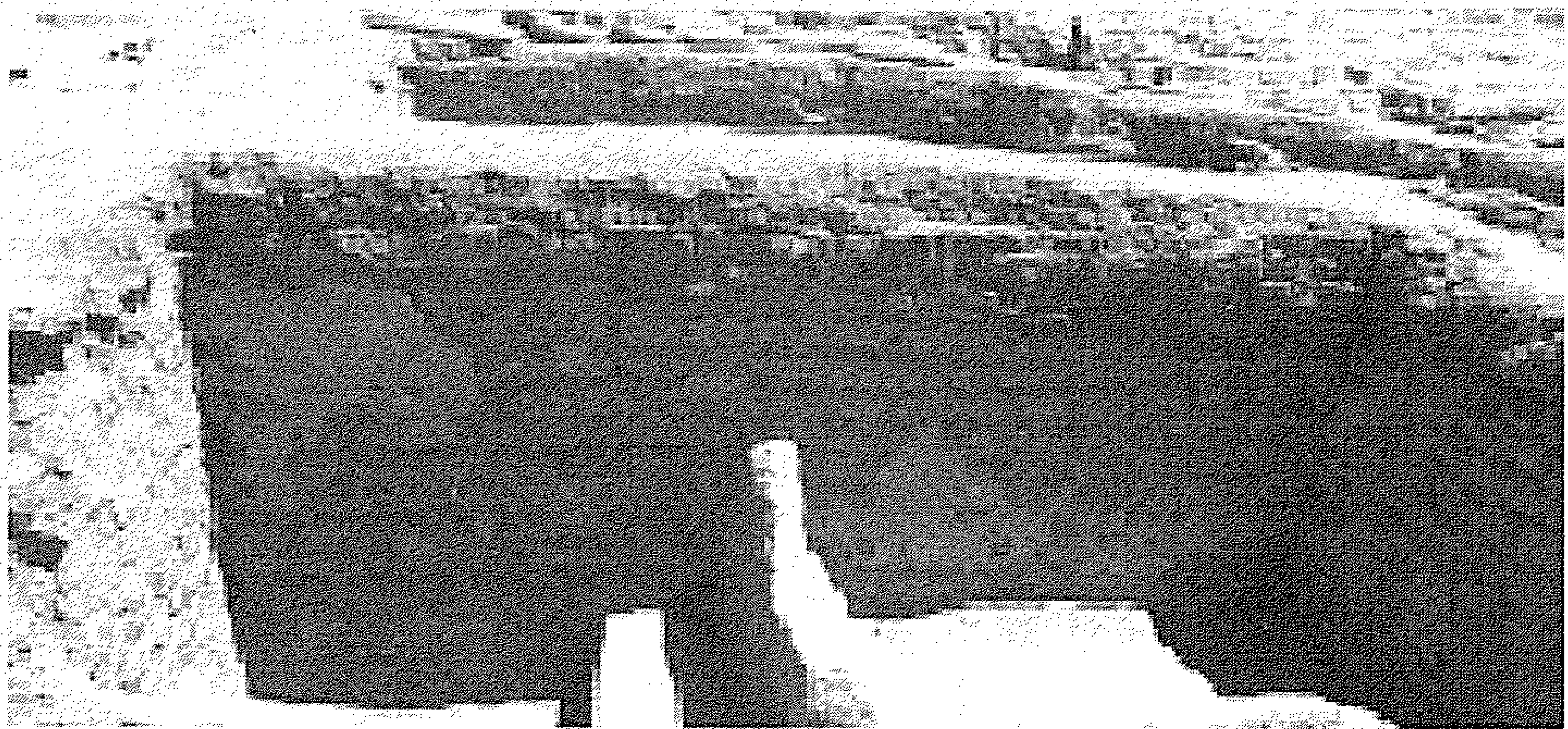
360 H2 | 365 H3 | 370 H4 | 375 H5 | 380 H6 | 385 H7

0 10m

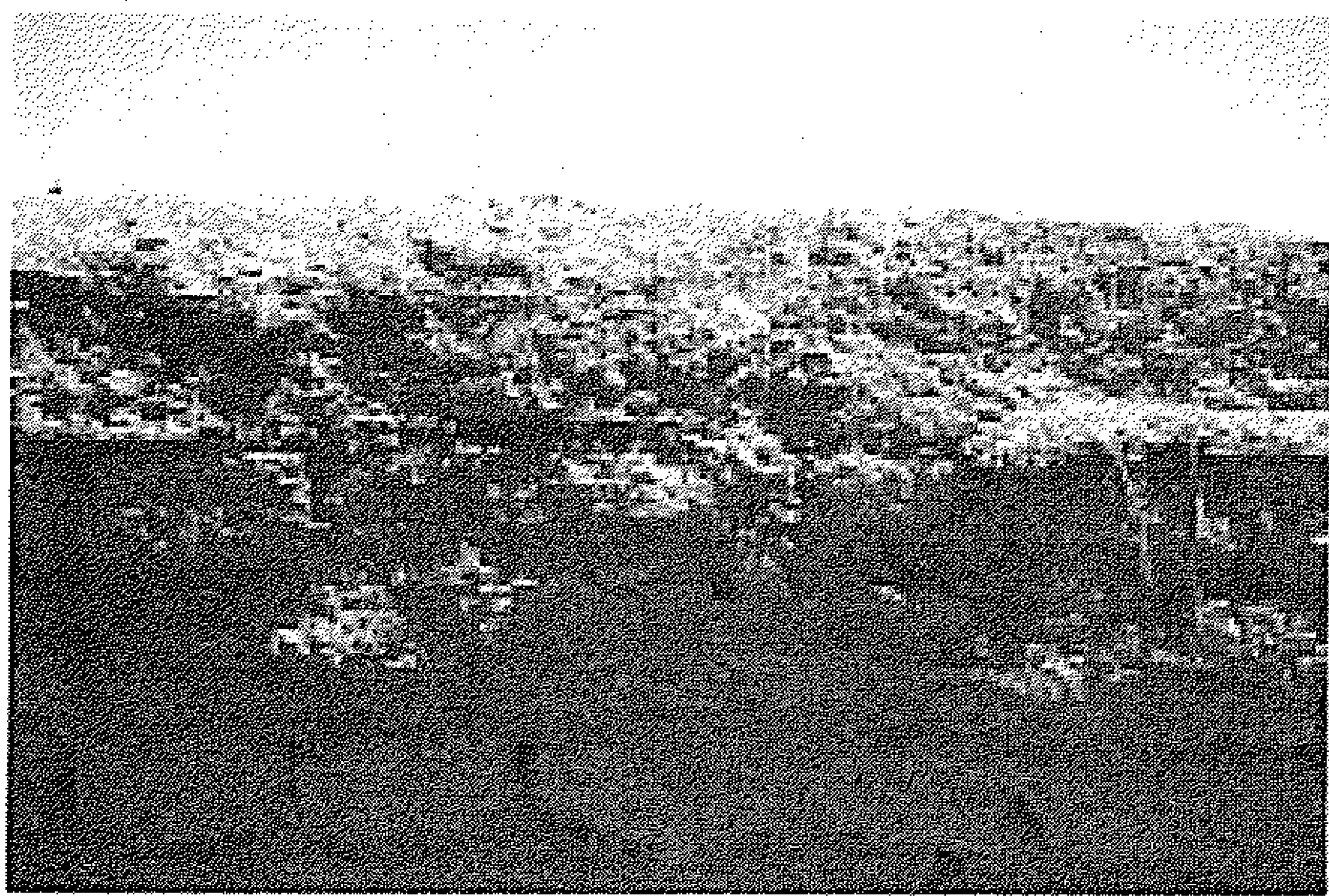
(K is omitted in the indication of Room No. in this plan.)

Plan of the Excavated Area of the Residential Quarter in 2003

Pl. 9



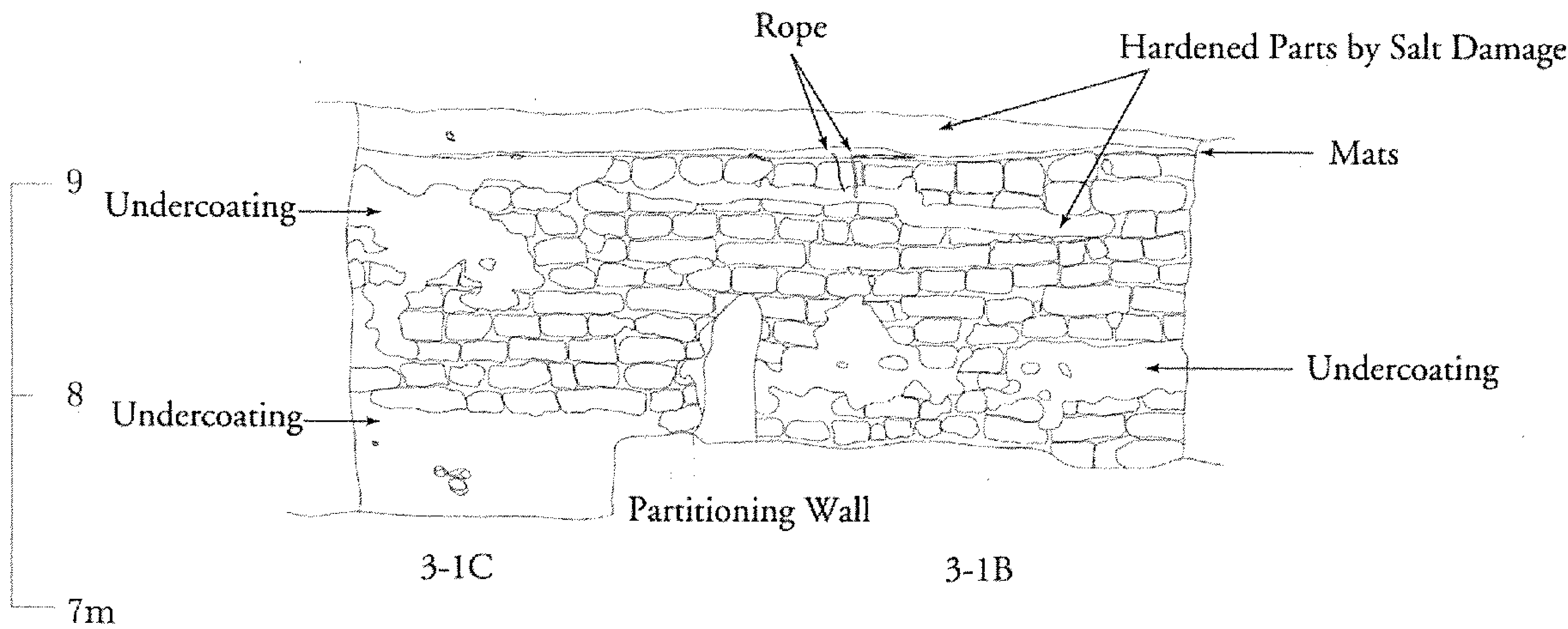
1. Room Nos. 3-1B and 3-1C (from the southwest)



2. Remains of the Roof in the Northeast Wall of Room No. 3-1B



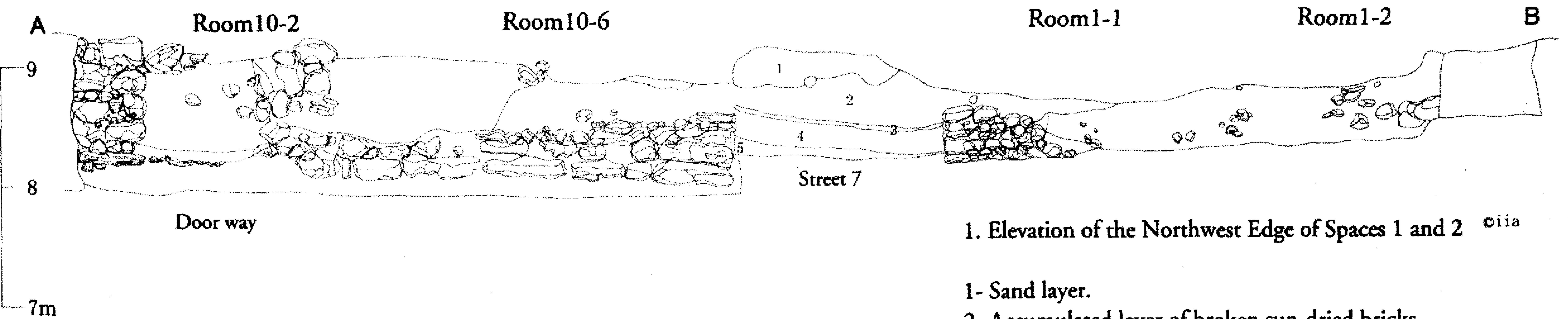
3. Remains of the Roof in the Northeast Wall of Rooms No. 3-1B and 3-1C



4. Elevation of the Northeast Wall of Room No. 3-1

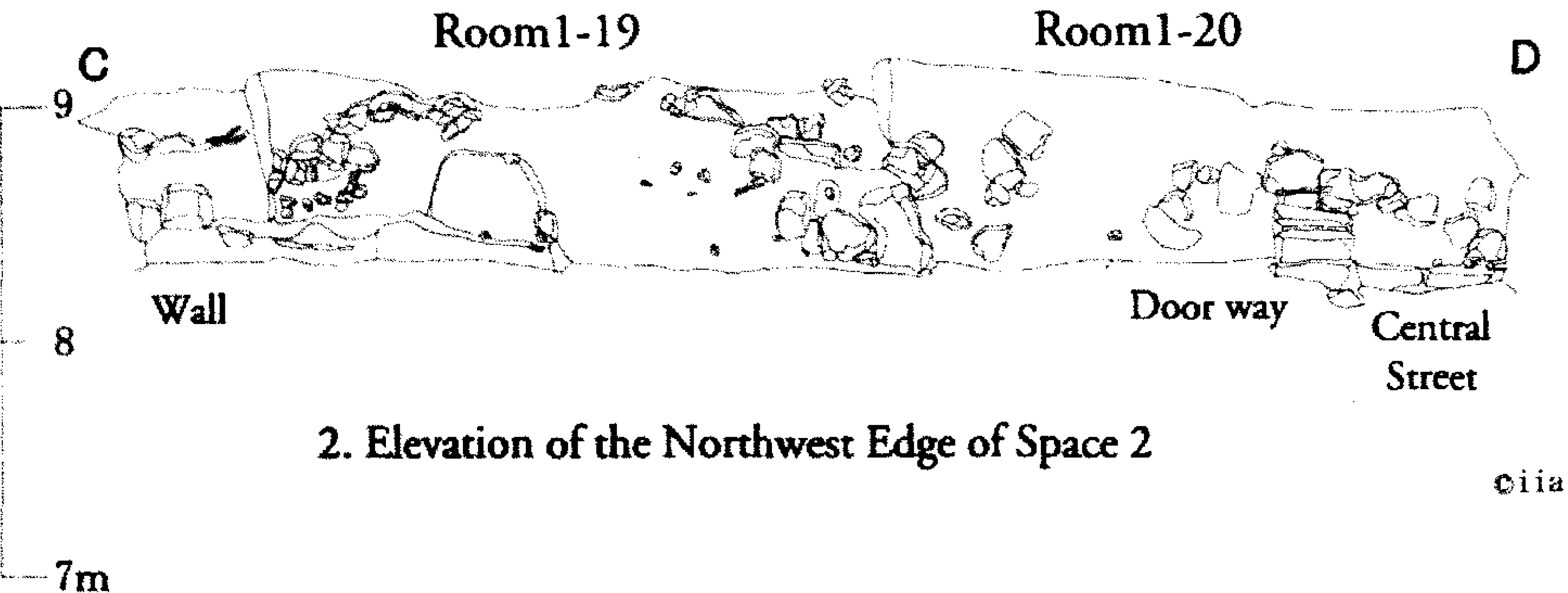


Pl. 8

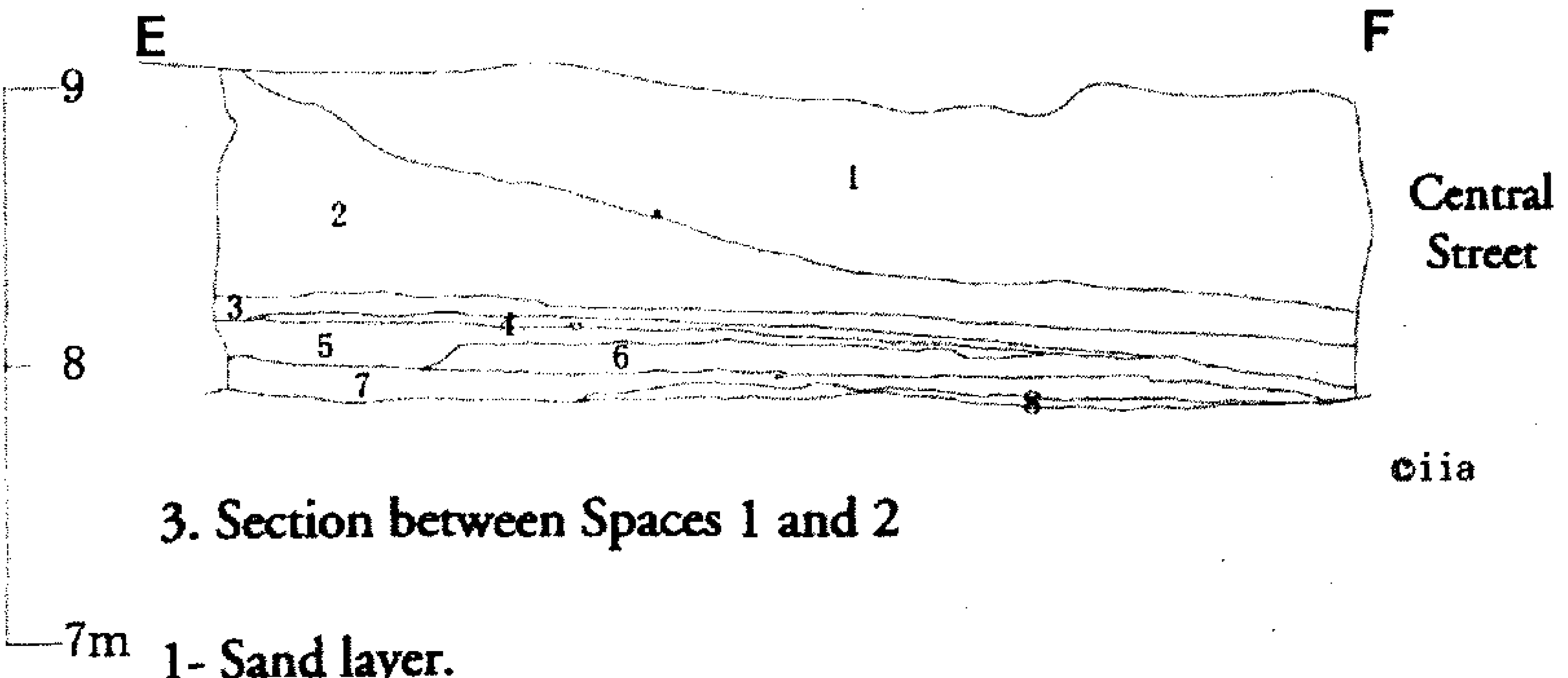


1. Elevation of the Northwest Edge of Spaces 1 and 2

1- Sand layer.
2- Accumulated layer of broken sun-dried bricks.
3- Mixed layer of hardened sand and soil.
4- Loose sand layer with mat fragments and pebbles.
5- Mixed layer of sand and soil with pebbles.



2. Elevation of the Northwest Edge of Space 2



3. Section between Spaces 1 and 2

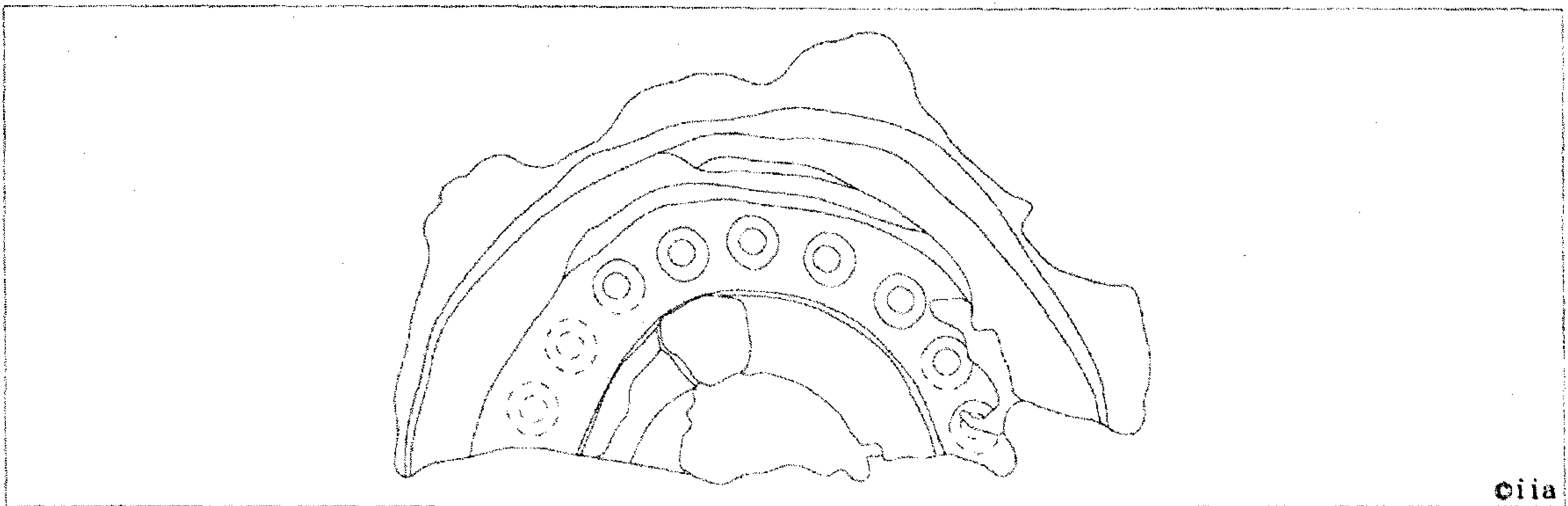
1- Sand layer.
2- Darker sand layer with many mat fragments and carbide.
3- Dark brown sand layer with many goat droppings.
4- Mixed layer of hardened sand and soil with goat droppings.
5- Brown sand layer with many goat droppings.
6- Accumulated layer of broken sun-dried bricks with goat droppings.
7- Dark brown sand layer with many goat droppings.
8- Accumulated layer of hardened broken sun-dried bricks.

Pl. 7

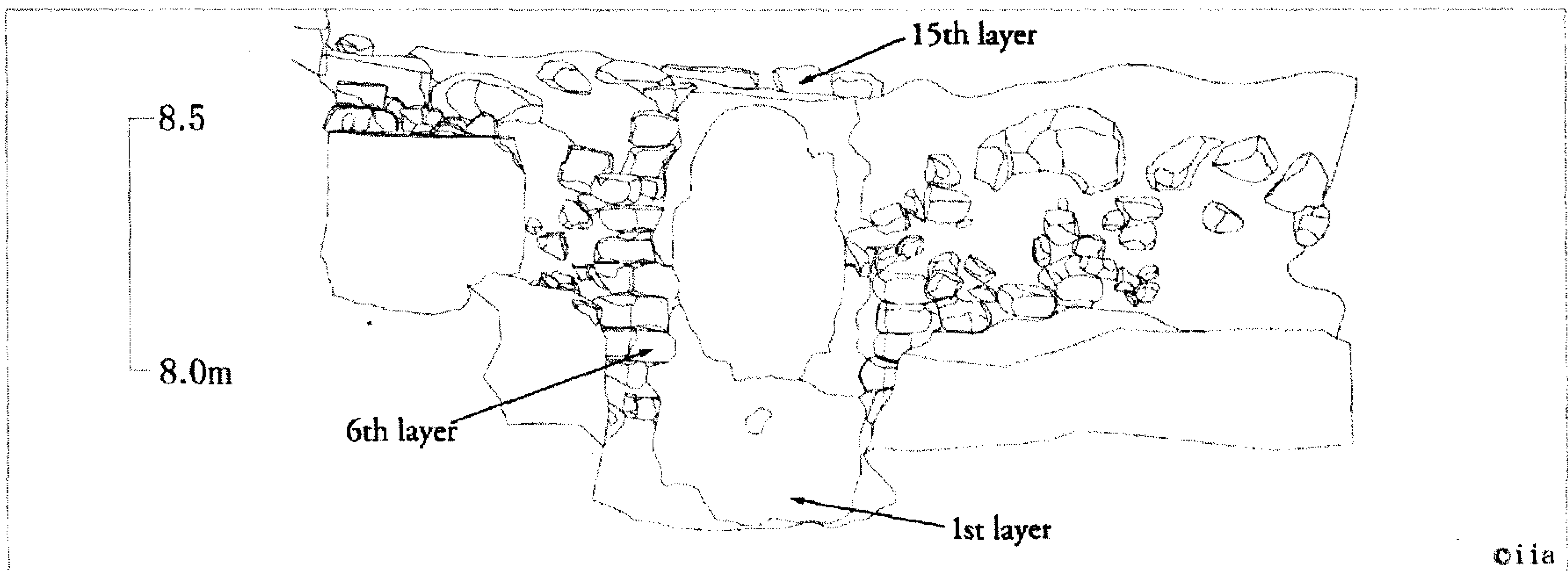
Plan of the Excavated Area of the Fort in 2003



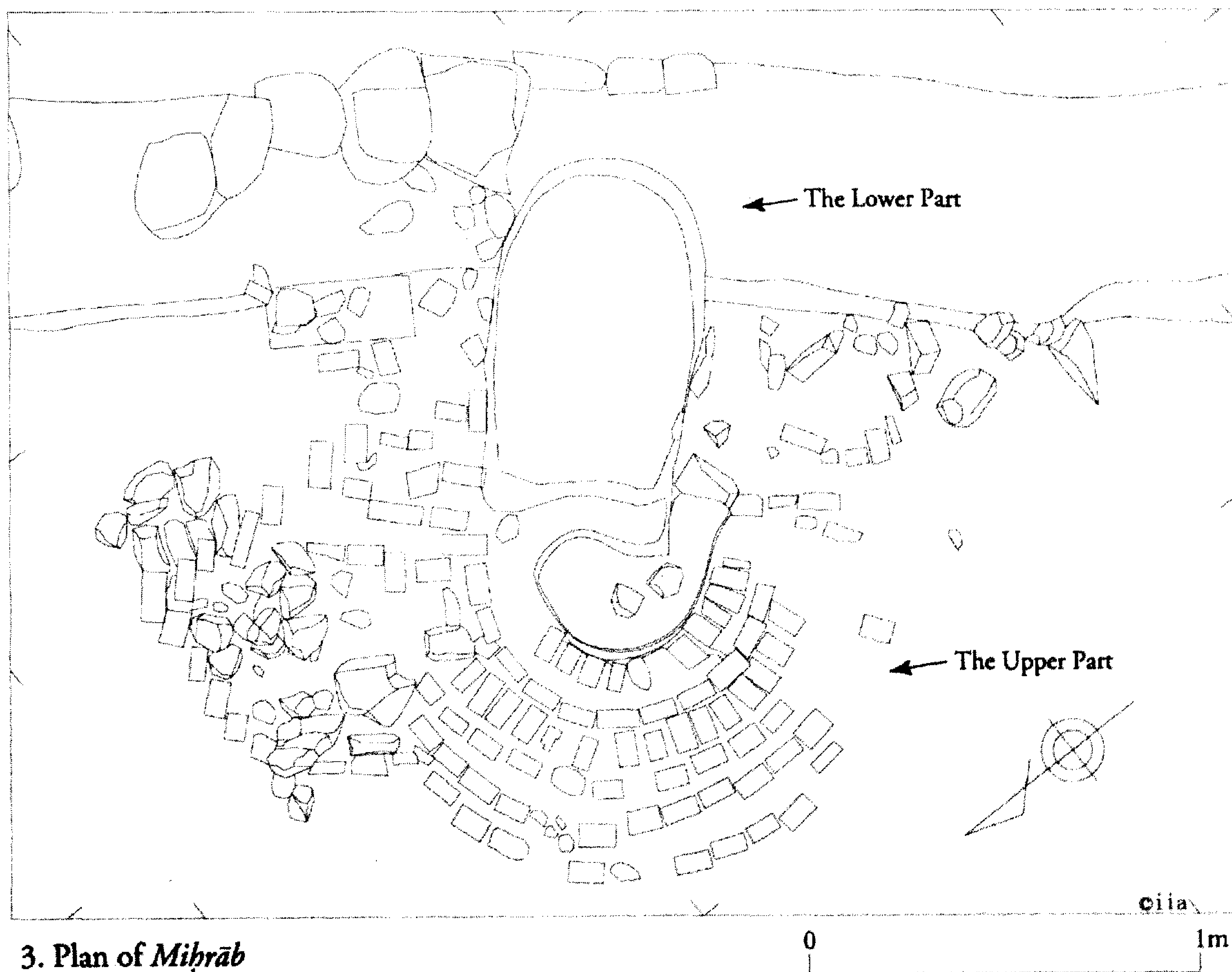
l. 6



1. Elevation of the Upper Part of *Miḥrāb*



2. Elevation of the Lower Part of *Miḥrāb*



3. Plan of *Miḥrāb*

Pl. 5

Room17-3

Room17-4

935 930 925 920

655 650

0 5m

Collapsed Outer Wall of the Fort

Pl. 4

SE
NE
SW
NW

Street 5
Building Block 18
Building Block 20
Street 1
Building Block 15
East Gate
Street 4
Mosque
Main Gate
Central Street
Building Block 12
Street 3
Building Block 7
Street 2
Building Block 1
Space
Street 7
Building Block 10
Building Block 3
Street 6
Tower 1
Tower 2
Tower 3
Tower 4
Tower 5
Tower 6
Tower 8
Tower 9
©iia
0
20m
900 560
860
600
820
680
820
640

Plan of the Rāya Fort

Pl. 3

Fort

Group of Public Buildings

Rāya Inlet

Excavated Area in 2003

Residential Quarter

0 300m

Contour Map of the Rāya Site



Pl. 2

Ra's al-Ghūb
J.Nāqūs
Ra's Abū Ṣuwayra
Bi'r Abū Ṣuwayra
J.Hammām
Sayydnā Mūsā
Warm Spring
Dayr Wādī al-Ṭūr
al-Kīlānī Site
Well
Well
al-Ṭūr City
Jubayl
Rāya Site
Ra's Rāya

Wādī
Paved Road
Feeder Road
Camel Road

0 5km

©iia .

Map of the Rāya/al-Ṭūr Area

Pl. 1

Nuwayba'
Dahab
Sharm al-Shaykh
Ra's Muḥammad
Abū Zuḥayma
Abū Rudays
Inscription Site
Jabal Nāqūs
Abū Ṣuwayra
al-Ṭūr
Rāya

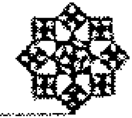
① Sānt Katarīna Monastery
② Wādī Firān
③ Wādī Ḥibrān
④ Wādī al-Ṭūr Monastery
⑤ Wādī Islā

0 50km

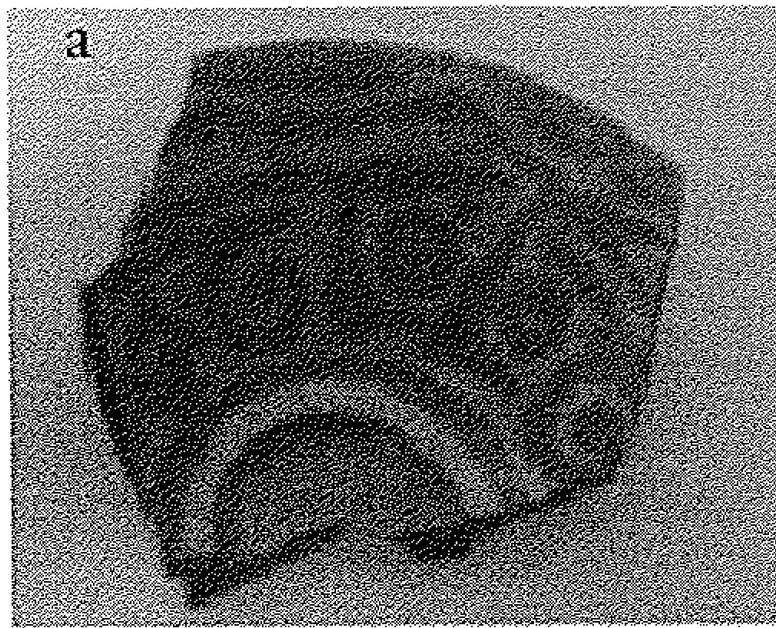
29°
28°
33°
34°

ciia

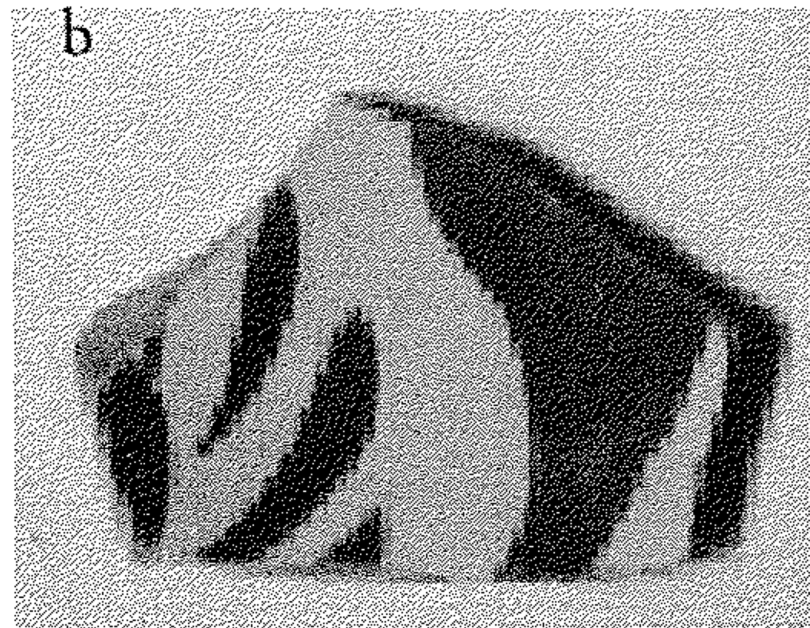
Map of South Sinai



Color Pl. 4



a. Luster-painted pottery (From Rāya)



b. Iraqi luster painted pottery (From Fusṭāṭ)



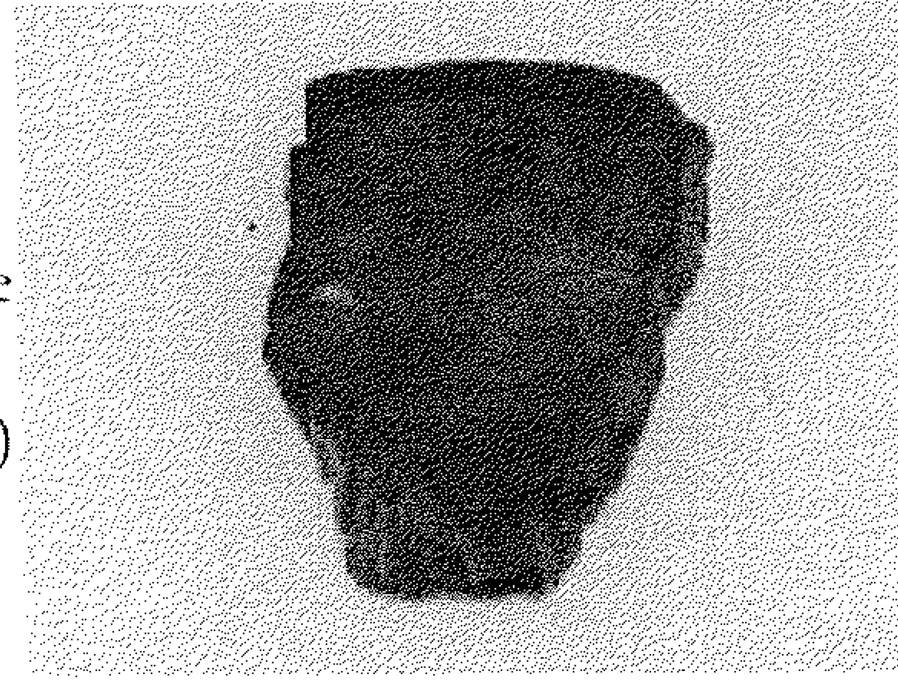
c. Fatimid luster-painted pottery (From Fusṭāṭ)

1. (a,b,c) Examples of luster potteries analyzed

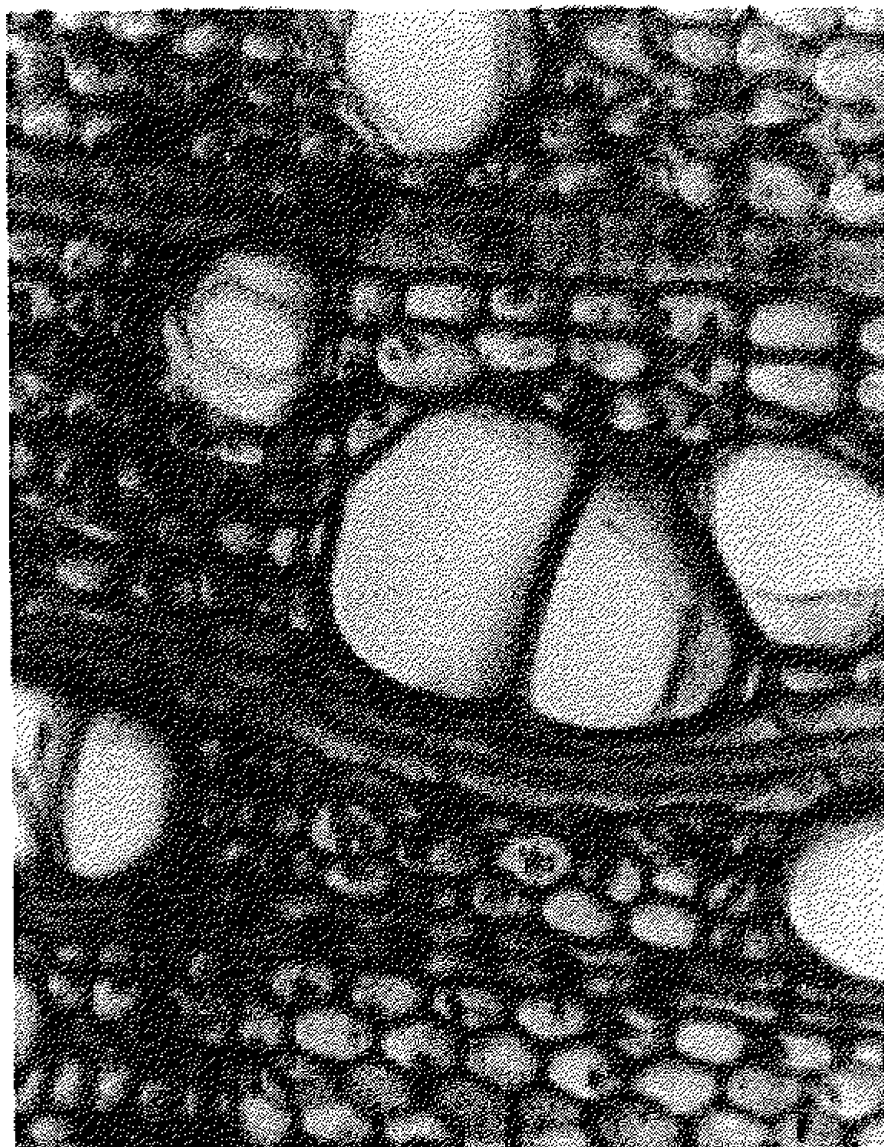


2

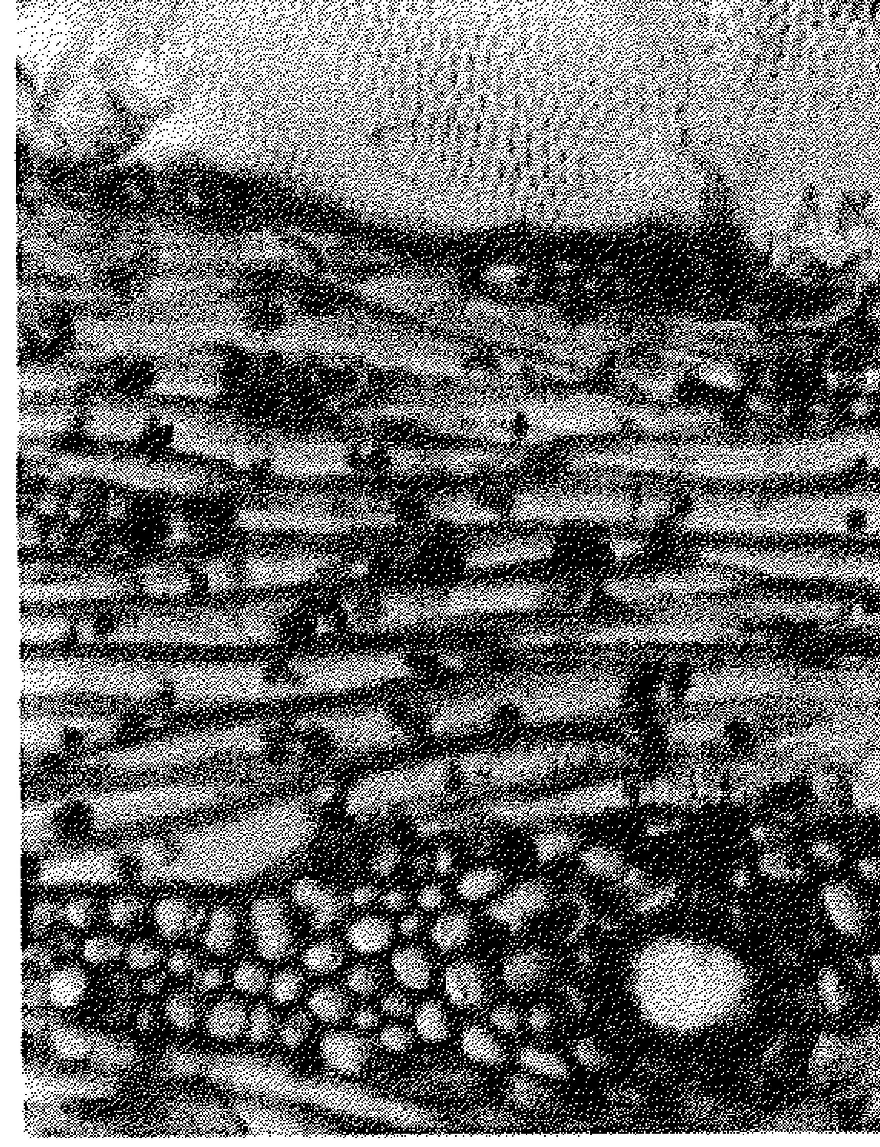
2, 3. One of the archaeological finds (RT6122)



3



4

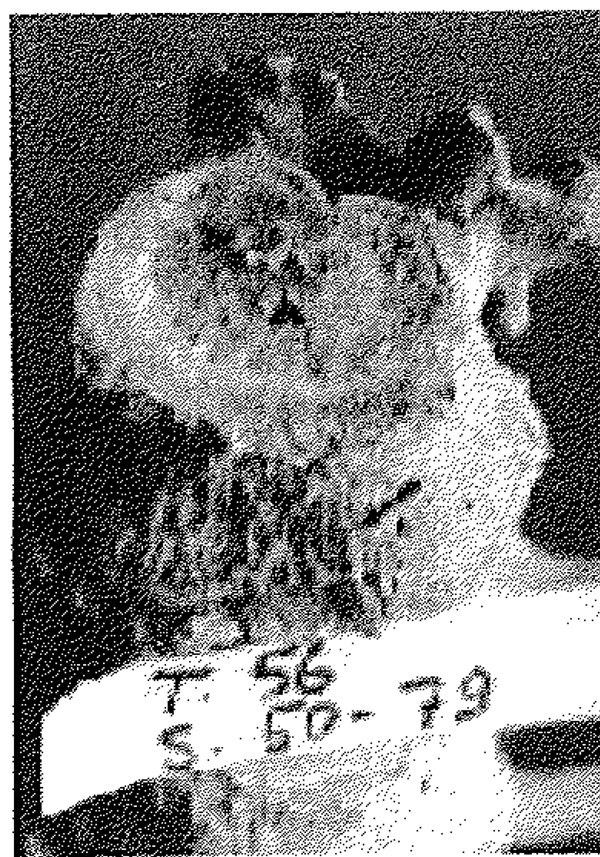


5

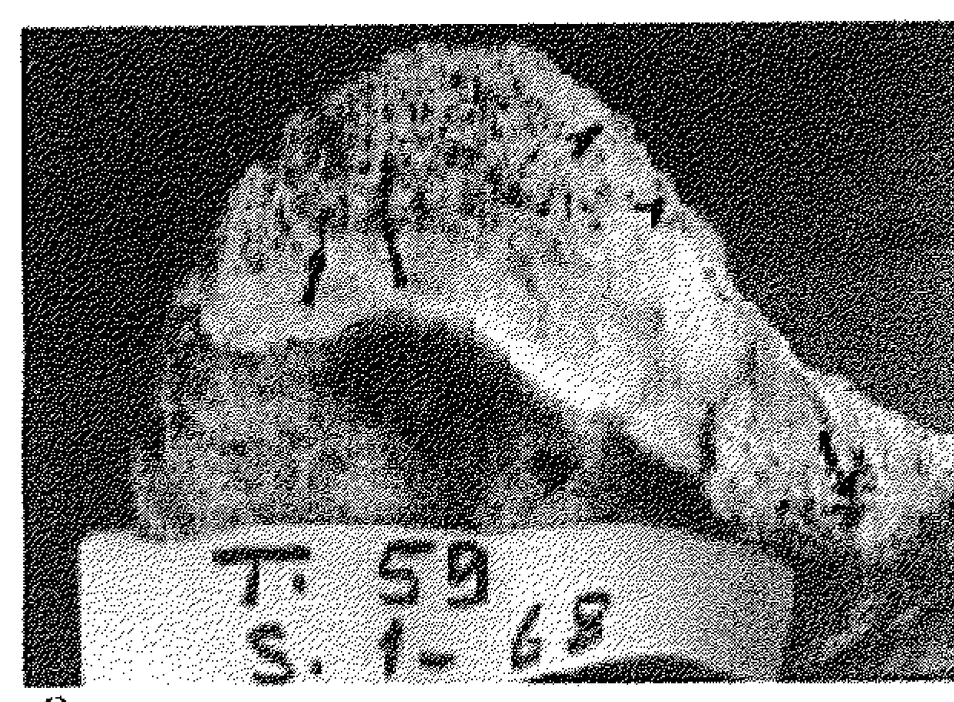
2-5. Worked wood fragments made of Commiphora opobalsamum



6



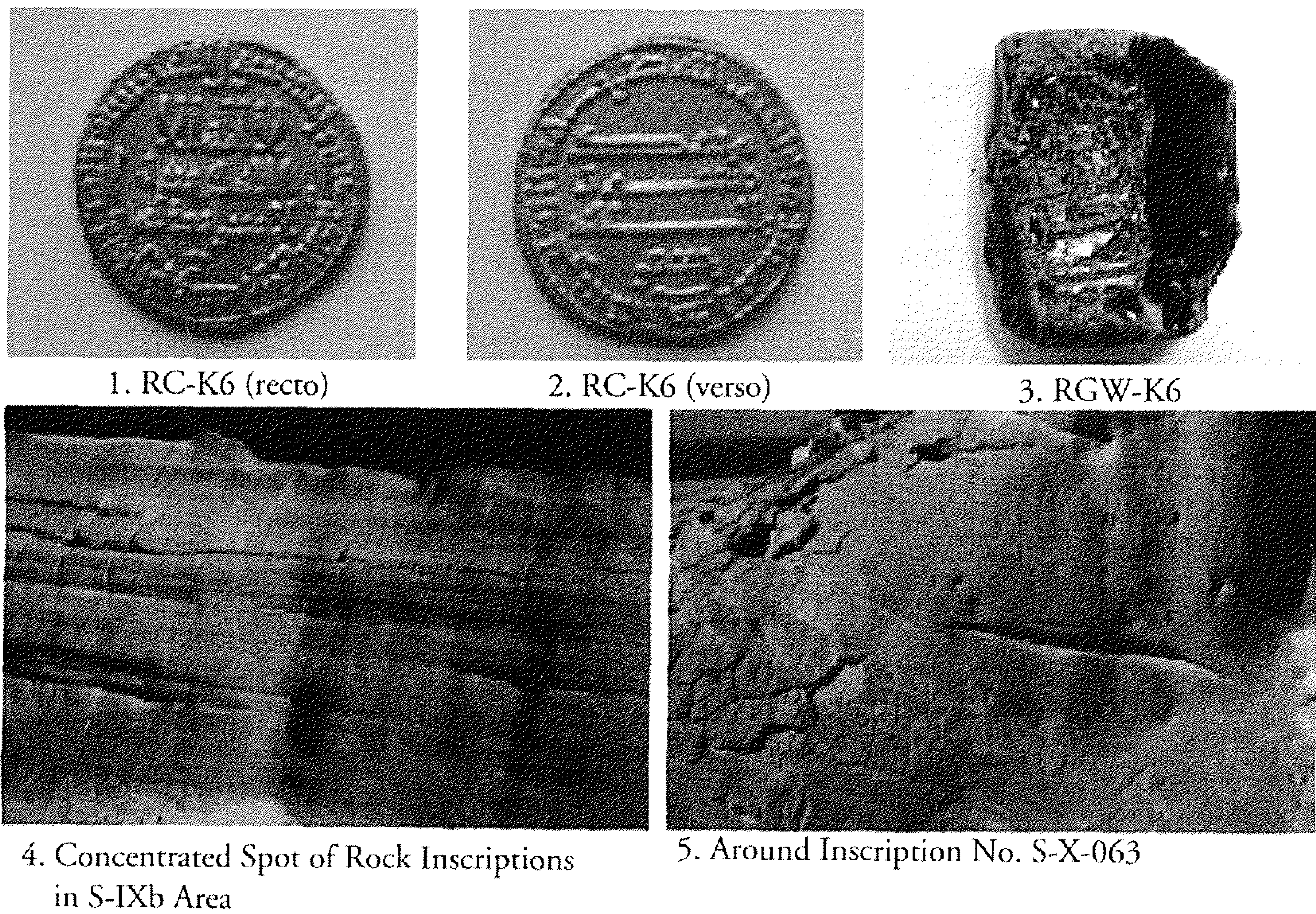
7



8

6. 5th and 6th cervical vertebrae belonging to an old adult male over 60 years of age (T.56; S. 50-79 A). The surfaces of the bodies of both vertebrae show degenerative changes in the form of pitting and roughness (arrows).
7. The upper surface of the body of a lumbar vertebra belonging to an old adult male over 60 years of age (T.56; S. 50-79 A). Notice the irregular bony projections (arrowheads) and the trabeculations of the anterior surface of the body (arrow).
8. The auricular surface of a sacrum belonging to an old adult female over 60 years of age (T. 59; S. 1-68). The articular surface is markedly degenerated showing marked roughness and pitting (arrows) with irregular margins (arrowheads).

Color Pl. 3



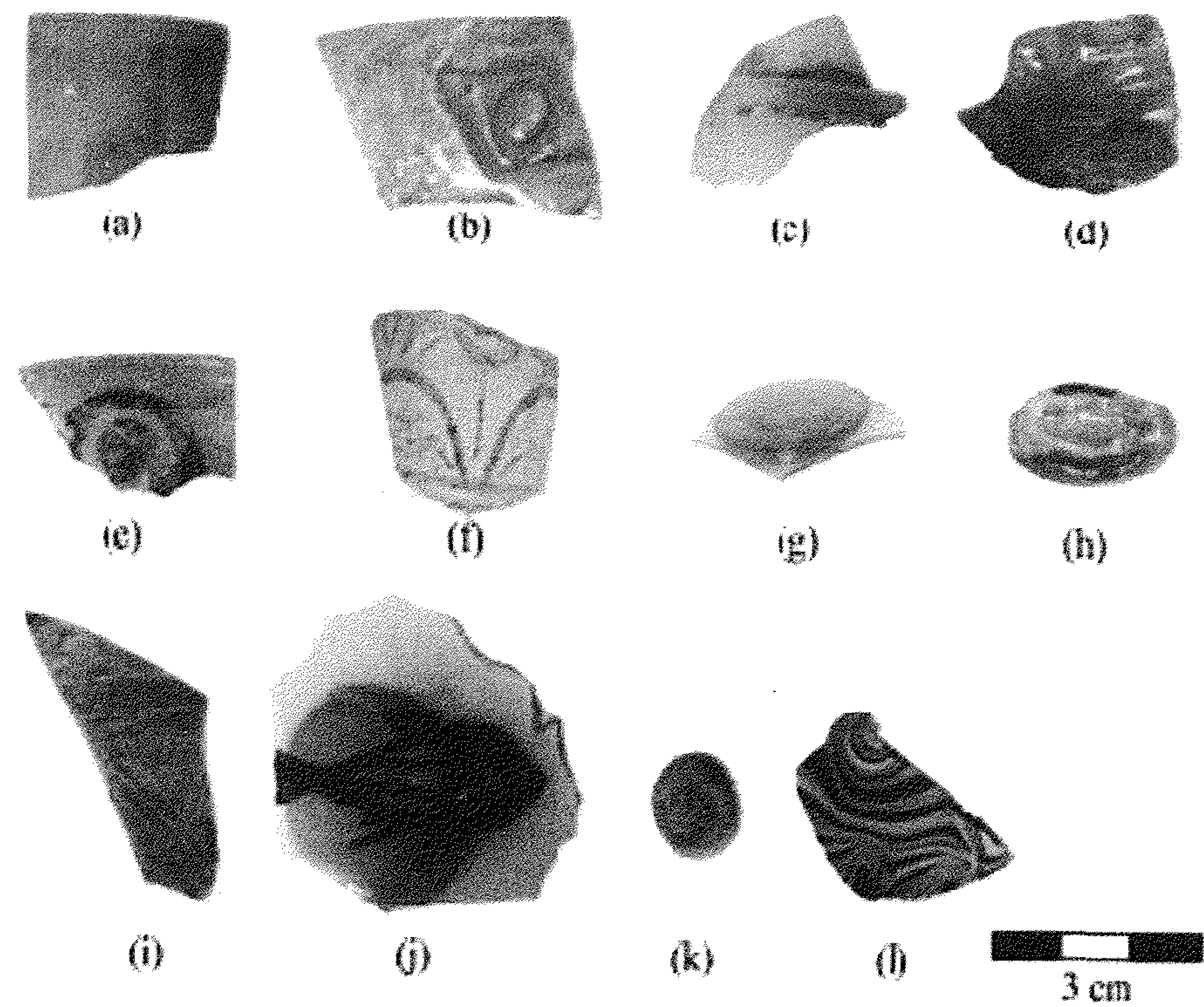
1. RC-K6 (recto)

2. RC-K6 (verso)

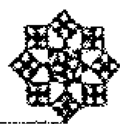
3. RGW-K6

4. Concentrated Spot of Rock Inscriptions in S-IXb Area

5. Around Inscription No. S-X-063



6. Examples of glass samples excavated in Egypt: (a) nondecorated, (b) impressed, (c) pinched, (d) molded, (e) black painted, (f) cut, (g) appliqued, (h) stamped, (i) incised, (j) luster-stained, (k) glass weight, (l) other decoration e.g., marbled.



Color Pl. 2

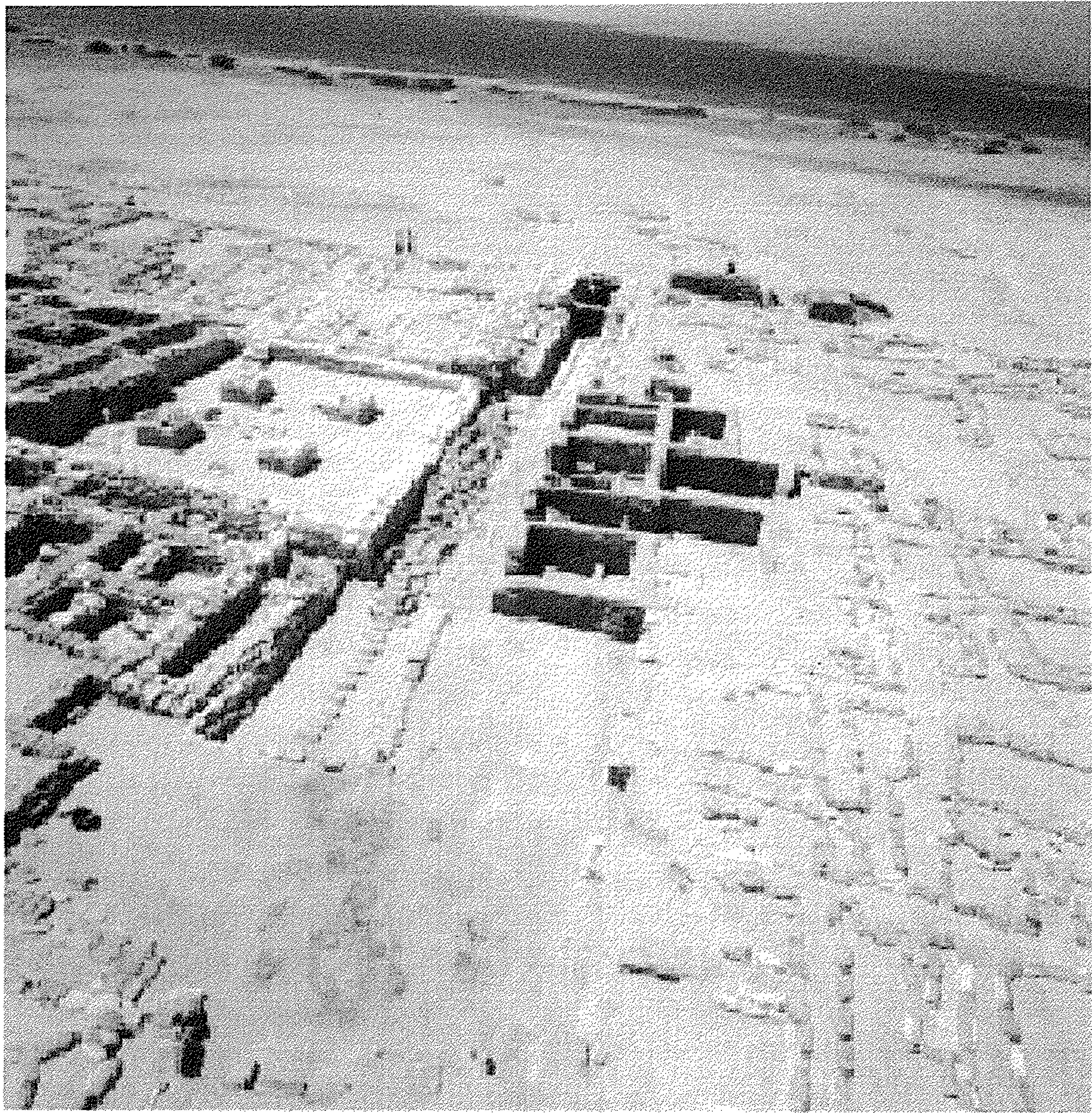




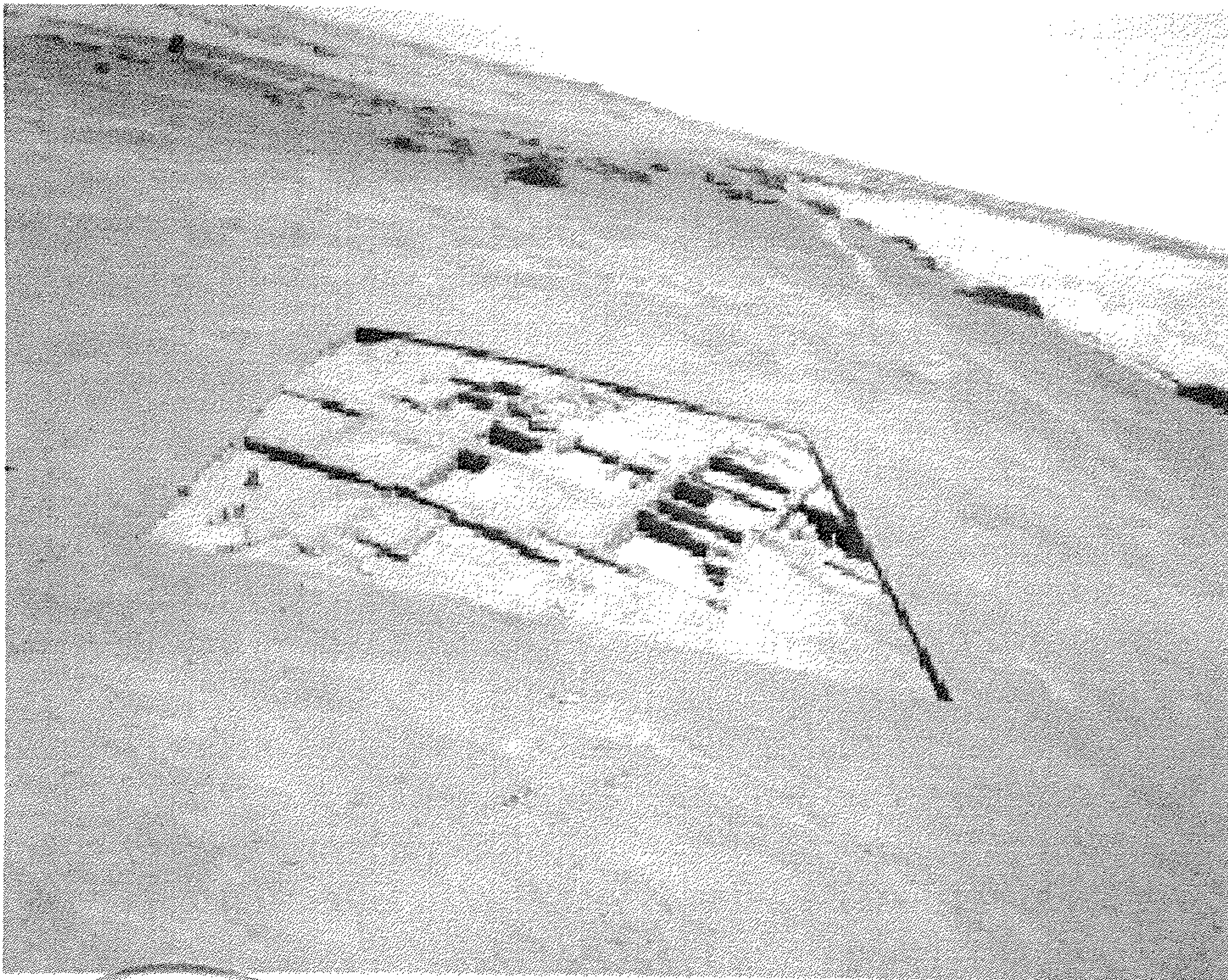
Magnified view of the proposed restored image of the decorative painting on the east side of the mosque *qibla* wall (Produced by T. Endo)



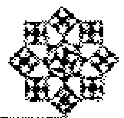
Color Pl. 1



1. General View of the Excavated Area in the Fort (from the north)



2. General View of the Excavated Area in the Residential Quarter (from the west)



a red circle in the center, and alternate black and white lines around it, and is further edged with black circles. It is made of glass cane consisting of colors whose section appears flower-like. Then, the sliced glass cane is set in the mould. Examples made in this technique are very few in Islamic glass. However, this floral pattern was used in glass bracelets after the thirteenth century, which shows that the technique was taken over for small-sized accessories like beads or bracelets after it had been discontinued for vessels.

Beakers occupy a high percentage of the undecorated glass in the residential quarter as well as in the fort (Pls 18-13, 36-19). Also there are examples with rims turned inward which are in good condition (Pl. 18-12).

Yoko Shindo

Endnotes

1 Y. Shindo, 'Islamic Glass from Raya', M. Kawatoko (ed.) *Study of the Relations between the Regional History and world History in the Port Cities: Archaeological, Historical and Anthropological Studies at the Raya, al-Tur and Suez Port* (Tokyo, 2002), 65-76; Shindo, 'The Early Islamic Glass from al-Fustat, Egypt', Annales du 14e Congrès de l'Association Internationale pour l'Histoire du Verre (A.I.H.V.) (2000), 233-237; Shindo, 'Islamic Glass Finds from Raya, Southern Sinai', Annales du 15e de Congrès de A.I.H.V. (New York – Corning, 2001), (Nottingham, 2003), 180-184.

2 Shindo, 'The Development and Change of Islamic Glass in the Red Sea Area', *Orient* 46 (2004).

3 Most of the brown luster-stained glass in the fort belongs to Group A in composition; only one piece belongs to Group B. This piece is decolored colorless glass and is in a style of the latter half of the tenth century A.D. and later. Judging from the find spots in the fort, there is the possibility that the brown luster-stained glass continued to be made into the tenth century A.D.. Despite the fact that the residential quarter belongs to the ninth century A.D. and earlier, there are only a few pieces of brown luster-stained glass. This has a bearing on the chronology of the luster-stained glass.

4 The term 'impressed decoration' has recently been used instead of 'pincer decoration'.

2. Glass from the Residential Quarter

We started the excavation this season in the residential quarter, where we found 1,111 glass fragments. It is a distinguishing feature that most examples belong to Group A (before the ninth century) in composition, and few objects of Group B were excavated from the upper layers of the fort. Consequently, among the unearthed decorated examples there is no type that is typical of Group B, such as glass with wheel-cut decoration and with orange luster-stain. Also, among the glass in Group A, there were only three pieces of the monochrome luster-stained glass.[3]

Threaded decoration was one of the decorative techniques often used in late Roman glass, and it was used in the early Islamic period. Two pieces found in the residential quarter appear to be parts of small bottles with a thin wall and a spherical body (Pls 18-1 and 2, 36-14 and 15). Plate 18-1 is a reconstruction drawn by joining some fragments in comparison with some similar examples. The rim is slightly inturned and the neck is short and cylindrical. The body is spherical. The base is presumed to be slightly convex. A thin thread the same color as the body encircles below the neck and continues in a zigzag way around the upper part of the body. A white stripe appears on the body, but it is probably attributable to impurities and not an intentional embedded decoration, but this point is under consideration. Plate 18-2 is a neck of a small bottle which flares outward. In addition to the thin thread, a thick wavy brown thread encircles the neck. The thick wavy thread decoration was used in Roman glass. Pl. 18-3 is a small fragment with impressed and projected decoration, characteristic of late Roman glass. These three fragments can be regarded as products of the early Islamic period which have lost the techniques of the previous period.

Pl. 18-4 to 18-8 (Pls 36-16 and 17) are glass with impressed decoration, the so-called pincer decoration. The term 'pincer decoration' is derived from the technique of applying the patterns on the glass. The glass wall is pinched by a pincer, an instrument like large tweezers used for shaping and modeling glass. In fact, other instruments were used for adding patterns.[4] The dents are made by pressing an instrument both inside and outside the vessel wall and then pinching. The dents are characteristic of this technique. This type has the most examples among the excavated glassware from Rāya. Products with a combination of simple patterns were unearthed in the residential quarter. The patterns are composed of inverted angles, vertical broken lines (Pls 18-8, 16-17), ellipses (Pls 18-5, 36-16): triple ellipses (Pl. 18-6), double inverted drops (Pl. 18-7), double diamonds (Pls 18-8, 36-17), etc. All are cylindrical beakers. As for color, only plate 18-4 is pale brown, while the others are pale bluish-green, which is the most popular type of glassware at Rāya.

There are products with a complicated combination of vertical, horizontal, and oblique lines in the glass with impressed decoration. Pl. 18-9 is part of the rim of a dark green beaker. Plate 18-10 is a bowl of pale purple. The surface is weathered hard. A series of semicircles are formed below the rim, while they are alternately filled with oblique lines. A braid pattern was added below the semicircles. Thin, oblique lines surround the braid pattern. This exquisite pattern appears on bowls unearthed from Nīshāpūr and the Famen Temple in China showing it belongs to those of the highest quality.

Mosaic glass in opaque colors was also found (Pls 18-11, 36-18). The mosaic technique flourished in the Hellenistic period. It declined after that because it required such great skill, but it was revived with the appearance of Islamic glass in the ninth century. The object is a fragment of a rare vessel with linear and floral patterns on a yellow ground. The flower pattern has

Glassware from the Rāya Site

1. Glass from the Fort (Pls 12-7 to 12-13, 34-18-34-21)

We found more than ten thousand pieces of glass in the excavations in the fort from the first through the sixth season. Observation of these, mainly the decorated glass, indicates that most are obviously dated between the ninth and the tenth centuries.[1] This is the transitional period from the traditional techniques of Roman glass to Islamic glass in the regions of Egypt, Palestine, and Syria. Glass from Rāya shows the nature of the changes in respect to composition, technique, decoration, and so on.

As for the composition, as mentioned in a later chapter, there is both Group A whose composition, is natron used in Roman glass, and Group B, the so-called Islamic glass composition using plant ash. The transition from Group A to Group B is supported by the context of the strata, because objects of the former group were unearthed from lower layers while those of the latter were from upper layers.

As for the relationship between the decoration and the composition, it was clarified through the previous studies that the majority of glass with incised, brown luster-stained, impressed and moulded decoration belongs to Group A, and the glass with wheel-cut, orange or polychrome luster-stained decoration belongs to Group B.[2] This shows the different date of the decorated glass and, at the same time, the different production sites from which the glassware was exported to Rāya. It is presumed that the pale bluish-green glass, making up the majority of the Rāya glass including undecorated glass, was a local production in places not distant from Rāya. The decorated glass in Group A, except for the glass with incised decoration on a colored background, is mainly made of natron. Whereas, the colorless glass with wheel-cut decoration that is completely discolored by the use of manganese might be manufactured in Egypt or Iraq. These products are regarded as high-quality imported goods. The fact that colorless glass with wheel-cut decoration was found in the fort shows that high quality products were brought to the most powerful or richest person in the city. However, as for the low quality pale green or pale bluish-green glass, even if it has wheel-cut decoration, it can be thought of as a local product.

In this season, 486 glass fragments were found in the fort. The number of pieces of decorated glass of Group A or glass with luster-stained, impressed, or incised decoration (Pls 12-7, 34-18), is very small. A fragment with wheel-cut decoration of good quality was found in room no. 3-1 (Pls 12-8 to 12-11, 34-19). Pl. 12-8 is part of a round rim of a colorless cylindrical beaker, which has shallow, vertical-cut decoration. Pls 12-9 and 10 are parts of small bottles with a cylindrical body or cup. Both have deep-cut decoration and complicated geometrical patterns. No. 9 is colorless and no. 10 is pale blue. Pl. 12-11 is a bottle with an outward-curved rim, and the body is presumed to be cylindrical. It is colorless and has vertical rectangular facet cut decoration on the neck.

We found two intact small bottles. One of them is 3.5cm in height and colorless. The rim is folded inward, and the body is rounded (Pls 12-12, 34-20). Another one is a small bottle typical of the ninth and tenth centuries (Pls 12-13, 36-14~19). The body is rectangular parallelepiped, and the neck is cylindrical, which shows a slight warp. The rim was reheated to make it round. The base is flat. The glass is colorless, and the chemical analysis of its composition reveals that it belongs to Group B.

The former was a natural scientist. He lived in al-Ṭūr for over ten years during 1886-1898 and conducted his scientific research. His research facilities with accommodations are introduced in a traveler's guidebook in those days as 'the research facilities with accommodation in al-Ṭūr'. Verworn is the only researcher who recognized the groups of rock inscriptions on Jabal Nāqūs as groups of Arabic inscriptions, which he did in 1896,[9] and he made a survey of several inscriptions. Besides these inscriptions there are many by Europeans in the 1800s. These are valuable records by the Europeans who visited the Sinai Peninsula with various interests and who spread the 'buried church' legend.[10]

Mutsuo Kawatoko

Endnotes

1 Besides this, the same sentence is written in Chapter 48, Section 28 and Chapter 61 and Section 9 of the Koran. According to the translation by Richard Bell, 'He it is who hath sent His messenger with the guidance and the religion of truth, in order that he may set it above all (other) religion, though averse are the polytheists.' The Qur'ān, Edinburgh, (1937), 177.

2 The same coin is in the William Kazan Collection. Bank of Beirut (ed.), *The Coinage of Islam* (Beirut, 1983), 221-222.

3 A. H. Morton, *A Catalogue of Early Islamic Glass Stamps in the British Museum* (London, 1985), nos 340, 122 and pl. 17; P. Balog, *Umayyad Abbasid and Tulunid Glass Weights and Vessel Stamps* (New York, 1976), 201 and 212.

4 Balog, *Umayyad Abbasid and Tulunid Glass Weights and Vessel Stamps*, 226-227 (no. 636), pl. XXXVIII.

5 Balog, *Umayyad Abbasid and Tulunid Glass Weights and Vessel Stamps*, 187; Morton, *A Catalogue of Early Islamic Glass Stamps*, 113 (no. 310), pl. 15.

6 In some examples the wood fragments are attached.

7 Refer to the article by the present writer, 'On the Arabic Rock Inscriptions on Jabal Naqus of the Sinai Peninsula—Centering on the Inscriptions of A. H. 35 and A. H. 45—', Festschrift for H.I.H. Prince Takahito Mikasa on the Occasion of His Eighty-eighth Birthday, (in Japanese).

8 Refer to footnote 7.

9 Stickel and Verworn, 'Arabische Felseninscheriften bei Tôr', Zeitschrift der Deutschen *MorgenlŠndischen* Gesellschaft, Bd. 50 (Leipzig, 1896), 84-96.

10 Refer to footnote 7.1. Glass from the Fort (Pls 12-7 to 12-13, 34-18-34-21).

done on the parts which required emergency treatment. Until 2002 we had thought of preserving the seven buildings, House nos 1, 26-28, 30-32, but reevaluation led us to conclude that the damage to House nos 27 and 28 was extreme and preservation would be impossible. Therefore, we decided to remove these two houses after making a photographic record, surveying them and excavating to reveal the construction methods of the foundations. Consequently, we decided to restore House nos 1 (Pl. 37-6), 26, 30, 31, and 32 at the present time (Pl. 22).

Then, we carried out emergency repairs on the extremely damaged parts: the northwest corner and the center of the north outer wall of House no. 1 (Pl. 37-7 and 8), the northeast corner and the eastern part of the north outer wall of House no. 25, the center of the eastern outer wall (Pl. 38-1 and 2) and the south part of House no. 31, and the western part of House no. 32 (Pl. 38-3).

Survey of the Rock Inscriptions on Jabal (Mt.) Nāqūs

Following the survey in 2002, surveys of the rock inscriptions on Jabal Nāqūs were conducted twice, first from August 30 until September 4, 2003, and then from December 29, 2003 until January 10, 2004. In these surveys we reexamined and measured the groups of rock inscriptions. The purpose of this work is to compile a corpus of rock inscriptions. In 2002 we started from the South Area where the inscriptions are concentrated and completed the South-I Area to the greater part of the South-IX Area by January 2003.

In the summer of 2003, we started from the South-IXc Area and extended the work to the South-X, XI, XII, XIII, and XIV Areas. Therefore, we have finished all the inscriptions of the South Area. In the winter season, we completed all the inscriptions of the Middle Area. Consequently, the examination and recording work was done on the 925 inscriptions of the South Area and the 482 inscriptions of the Middle Area, thus settling the number of inscriptions of the two areas.

The details of 925 inscriptions of the South Area follow: 9 in S-I, 0 in S-II, 5 in S-III, 5 in S-IV, 21 in S-V, 12 in S-VI, 1 in S-VII, 4 in S-VIII, 259 in S-IX, 138 in S-IXa, 60 in S-IXb (color Pl. 3-3), 56 in S-IXc, 58 in S-IXd, 20 in S-IXd.add., 19 in S-IXe, 5 in S-IXf, 76 in S-X (pl. 3-4), 52 in S-XI, 21 in S-XIa, 92 in S-XII, 1 in S-XIII, and 11 in S-XIV.

The details of the 482 inscriptions in the Middle Area follow: 226 in M-I, 5 in M-Ia, 53 in M-II, and 198 in M-III. Two hundred and eighty inscriptions of the North Area are left unfinished.

The rock inscriptions on Jabal Nāqūs consist mainly of prayers. Most of them are short sentences within 1m in length, but some are more than 2-3m long. The longest one of the inscriptions in the South and Middle Areas is S-XIV-004, which is 305cm x 55cm, and the second longest is S-XIV-005, which is 300cm x 50cm (Pl. 38-4).

I would like to comment on some of the remarkable inscriptions. S-XII-053 on Pl. 39 attracted our attention in the summer of 2003 when it was rediscovered after it had been forgotten for more than 100 years. It was the clue to the full-scale survey. It is inscribed this way: 'May Allāh forgive the sins of Mūsā bin Masrūr al-Dabbāgh, his parents and all the Muslims and Muslimas by your mercy! I believe in the owner of the whole world. He (*Mūsā*) trusts the one who lives an eternal life. I wrote in 245'.

Pl. 40-1 and 2, S-IX-017 was written in A. H. 235. It will be the key to the problem of the genuineness of the inscription S-IXa-132 written in A. H. 35.[7]

Pl. 40-3 and 4 are inscriptions in the North Area. They are in Kufic style and the writing is a beautiful ornamental style.[8] They are also the key to the judgment of the genuineness of the inscription written in A. H. 45 (N-IV-102).

Pl. 40-5 and 6 are inscriptions by Alfred Kaiser (M-I-050) and Verworn (N-IV-004).

Comment

This is the standard of 1 raṭl and it is called a disc weight. 1 raṭl in the Abbasid period was 395g.

Wāḍih served as Egyptian governor for four months in A. H. 162 (A. D. 779) during the reign of al-Mahdī, an Abbasid caliph, (r. A. H. 158-169 / A. D. 775-785).[5]

Archaeological Survey and Preservation and Restoration of the Monastery of Wādī al-Ṭūr Site

In 2003 we conducted a detailed excavation and anthropological survey of the main church and took measurements work and did preservation and restoration work in the monastery (Pl. 20).

The excavation in 2002 of human remains under the floor of the nave in the main church (Pl. 21) was followed by work this year, allowing us to complete the excavation in the east part of the nave. Consequently, additional human remains were unearthed. Complete skeletons are few, and in some cases the coffins are badly damaged, which shows that the cemetery was reused.

We have, therefore, finished surveying the human skeletal material in the upper layers. In general, for this layer, it was often the case that more than one individual were buried in one coffin. Bones of men and women of all ages exist; bones of infants and fetuses make up a high percentage; the bones of old women who had had many children exist. Furthermore, the building features revealed that the stone foundation of the iconostasis which divides the nave from the apse, was cut at three points for the purpose of making space for coffins. This fact shows that human burials were started in the upper layers after the main church had ceased to be used. We noticed some damage in the floor in the southwest part of the apse and conducted an excavation there. The remains of one individual were found in this spot (Pl. 37-1). There is no example of buried bones under the floor of an apse in Eastern churches. That is to say, these bones were interred after the church was no longer in use.

We carefully examined the interior of the tomb of stone blocks in the southeast part of the nave where the bones of many infants and fetuses were found. As a result, the skull of an adult man was discovered. It had been wrapped in a delicately made cloth bandage, so it is probable that he had been a special person (Pl. 37-2).

One hundred and twenty registered artifacts and many objects identified by grid and layer were recovered in the monastery site. The details of the registered artifacts are as follows: 2 pieces of building material (tile); 8 pieces of earthenware; 17 pieces of glassware; 9 accessories; 2 pieces of glazed pottery; 4 fabrics; 65 tools; and, with the exception of human bones 13 natural objects (shells, animal bones, fish bones, rosin, etc.) A striking fact is that among these artifacts grave goods are extremely few. Fifty-seven iron nails[6] that were thought to have been used for wooden coffins were unearthed, together with four fragments of wood coffins. Rosin, which quite likely was used in liturgy, was found.

Measurements taken were focused on the streets inside the groups of cells adjoining the outer walls. The width of the streets in the east, which were the first to be constructed, is in the range of 1.7m, and the width of the streets in the west, which were added later, is in the range of 2.2m. Particulars will be stated in the complete report due out later.

Preservation and restoration work was done on the circumference of Tower 3 and Cells 8-11, Cells 28-32 between Tower 5 and Tower 6, Staircases 1, 2 (Pl. 37-3 and 4), 3, 5 and the eastern part of the outer face of the north wall of the refectory (Pl. 37-5).

Preservation and Restoration of the Modern Buildings at the al-Kīlānī Site

We made the final devision in 2003 concerning the modern buildings which should be preserved, and some restoration was

residential quarter and whose dates could be determined:

[RC-K6] (color Pl. 3-1)
Weight: 4.223g; diameter: 17.73mm /17.90mm; gold content: 99.9 %
[recto, inside the circle]
Lā ilāh illā/ Allāh wahdahu/ lā sharīk lahu
(in three lines, 'There is no God except Allāh. He is alone. There is no partner to him'.)
[recto, circle]
Muhammad Rasūl Allāh arsalahu bi-al-hudā wa dīn al-ḥaqq li-yuẓhirahu alā al-Dīn kullihi (Chapter 9, Section 33 of Koran).[1]
'Muhammad is the prophet of Allāh. He sent him with the guidance and the religion of truth in order that he might cause it to be bright over the (already existing) religion, all of it'.
[verso, inside the circle]
Muhammad / Rasūl/ Allāh / Ja'far
(in four lines, 'Muhammad is the prophet of Allāh. Jafar'.)
[verso, circle]
Bismi Allāh ḍuriba hādhā al-dīnār sana ihdā wa thamānīn wa mi'a
('In the name of Allāh, this *dīnār* was struck in 181'.)

Comment

This gold coin[2] was minted in A. H. 181 (A. D. 797/8) by the name of Ja'far bin Yahyā al-Barmakī. He came from a distinguished family, Barmakī, who was the vizier, or the prime minister of Hārūn al-Rashīd (r. A. H. 170-193 / A. D. 786-809), the fifth caliph of the Abbasid dynasty.

[RGW-K1] (Pls 17-2, 36-9)
Natron Glass / green / weathering in white
Diameter: 28-29cm
[recto, circle]
Mimmā amara bihi al-amīr Ubayd Allāh bin al-Mahdī akramahu Allāh mithqāl
[recto, inside the circle]
Dinār wā/ alā yadī Ṣālih bin Muslim
(in three lines, 'Governor Ubayd Allāh May Allāh be generous to him! ordered to make the right weight of 1 *dīnār* and it was done by hands of Sālih bin Muslim'.)
[verso]
Alā yadī/ Hāshim bin Sālim
(in two lines, 'Made by hands of Hāshim bin Sālim'.)

Comment

Ubayd Allāh served as Egyptian governor in A. H. 179 (A. D. 795) and A. H. 180 (A. D. 796). Sālih was the finance commissioner sometime during A. H. 171 and 189 (A. D. 787-804).[3] Hāshim on the verso was the finance commissioner in A. H. 171-172 (A. D. 787-788), or A. H. 175-176 (A. D. 791-792), or A. H. 179-180 (A. D. 795-796).

[RGW-K2] (Pls 17-3, 36-12)
Natron Glass / green / weathering in white
[inside the circle]
Alā yadī/ Abd Allāh/ bin 'Īsā
(in three lines, 'Made by the hands of Abd Allah bin Isa'.)

Comment

The third line is not clear, but it closely resembles no. 636 of Balog's catalogue. Abd Allāh served as the finance commissioner under Egyptian Governor Mālik bin Dalham (in office: A. H. 192-193/ A. D. 808) and Egyptian Governor al-Ḥasan bin al-Baḥbāḥ (in office: A. H. 193-194/ A. D. 808-810).[4]

[RGW-K6] (color Pl. 3-3, Pl. 17-4)
Natron Glass / deep green
[inside the circle]
Bismi Allāh/ amara al-amīr Wāḍiḥ/ mawlā amīr al-mu'/ minīn raṭl w/ āf
(in five lines, 'In the name of Allāh. Governor Wāḍih, *mawlā* (ward) of head of the faithful (caliph) ordered to make the right weight of 1 *raṭl*'.)

Artifacts

Several tens of thousands of objects were taken up by grid and layer, and 6,989 registered objects were individually taken up after 3-dimensional data recording. The registered objects of the fort are 2,426. They consist of 370 pieces of earthenware, 528 pieces of glazed pottery, 427 tools, 368 cosmetic sets and accessories, 486 pieces of glassware, 81 pieces of building material, two coins, two water-jug filters, one piece of stoneware, 11 fabrics, 14 documents, eight oil lamps, 110 pieces of metalware, seven pieces of Chinese ware, and 11 natural objects.

The registered objects of the residential quarter are 4,563. They consist of 2,115 pieces of earthenware, 92 pieces of glazed pottery, 978 tools, 50 cosmetic sets and accessories, 1,111 pieces of glassware, six glass weights, 10 pieces of building material, nine coins, 11 water-jug filters, 11 fabrics, eight documents, four oil lamps, 65 pieces of metalware, one piece of Chinese ware, and 92 natural objects.

It is noteworthy concerning the artifacts from the fort that the registered number of earthenware (Pls 11-1 to 11-4 and 34-1 to 34-5) is larger than that of glazed pottery (Pls 11-5 to 11-8 and 34-6 to 34-8). Beads constitute 340 among the 368 cosmetic sets and accessories. Other artifacts are 48 hand-turning millstones, 154 steatite vessels, and 136 iron nails.

Among these artifacts, the following are mentioned as particularly significant: a *Yüeh* celadon of the 10^{th} -11^{th} centuries, a steatite vessel and lid (Pls 11-9, 10 and 11, 34-9 and 10), some parts of bone furniture or parts of *mashrabīya* (Pls 12-1 and 2, 34-16 and 17), a bone decorative plate (Pls 12-3, 34-15), a stone mould (Pls 12-5, 34-11), two glass perfume bottles (Pls 12-12 and 13, 34-20 and 21), an alabaster stone vessel (Pl. 12-4), a handle of a stone incense burner (Pl. 34-12), a wood spindle whirl (Pls 12-6, 34-13), and a kohl stick made of slate-pencil urchin (Pls 12-14, 34-14), etc.

It should be noted concerning the artifacts from the residential quarter that the number of glazed pottery is 92 (Pls 15-7 to 15-9, 36-1 to 36-3), whereas the number of earthenware pieces is 2,115 (Pls 14-1 to 15-6, 35-1 to 35-14). Otherwise, there are 1, 111 pieces of glassware concentrated in the ninth and tenth centuries. Thirty-five hand-turning millstones, *raḥāya*, 464 steatite vessels, and 378 iron nails were unearthed.

The excavated earthenware in the residential quarter is different from that in the fort. It is characteristic of the artifacts from this quarter that the large-size pots (Pls 14-1 to 14-3, 35-1 to 35-3), miniature pots (Pls 14-5 to 14-8, 35-4 to 35-7), red-polished earthenware (Pls 14-9, 35-8), and painted earthenware (Pls 15-1 to 15-5, 35-9 to 35-13) were unearthed in large quantity. In addition to these were earthenware with moulded and incised decoration (Pls 15-6, 35-14) and convex water-jug filters (Pl. 36-5 and 6).

Besides these objects, the moulded glazed pottery of the eighth century (Pls 15-7 and 8, 36-1 and 2), the Abbasid glazed pottery with pale green and purple colors (Pls 15-9, 36-3), the *Lung-chüan* celadon (Pls 15-10, 36-4), various kinds of steatite vessels (Pls 16-1 to 17-1, 36-7), and an ostracon with ink writing in the Kufic style reading 'bin Majīdī' (Pl. 36-8) are important objects.

Some objects whose dates can be determined were unearthed from the residential quarter. RGW-K6 is a disc weight made in 779, RGW-K1 is a glass weight made in 795 or 796, and RC-K6 is a gold coin minted in 797/8 in Iraq.

About the glassware, please refer to the report by Y. Shindo (33-35, Pls 12-7 to 12-13, 15-1 to 15-10, 18-1 to 18-13, 34-18 to 34-21, 36-14 to 36-19).

Gold Coins and Glass Weights

The following are the details of one gold coin, one glass weight, and two disc weights, which were excavated from the

and north walls of room no. K1-7, the west wall of room no. K1-10 and the east, south, and north walls of room no. K1-11.

-The proportion of length to width of the bricks is generally 2 to 1, but irregular-shaped bricks were found in the north outer wall of Building Block K1 and the south outer wall and the west outer wall of Building Block K2. Their sizes are 45cm x 32cm and 43cm x 30cm, etc. As for the length, bricks ranging between 40 and 49cm, centering on 43cm, were the most, but examples of 38cm and 54cm were also noted.

-The wall in the northeast corner of the excavated area was composed of tile-shaped sun-dried bricks and triangular sun-dried bricks. The wall increases in thickness toward the north.

-Walls of tile-shaped sun-dried bricks were found in the northwest corner of the area. This type of brick was used in the Byzantine period, and examples were found at the Monastery of Wādī al-Ṭūr site.

-Baked bricks of 22cm x 9cm were excavated in room no. K1-9, but they were not parts of buildings.

-Five double walls were found. Particularly for room nos. K1-2 to K1-6, and K1-13 to K1-15 in the central part of the excavated area, the north, west, and south sides are enclosed with double walls (Pl. 32-1), while the east side facing the street is a single wall. In this way, the space enclosed with double walls is thought to constitute one residential unit.

-Based on the presence of double walls, more than six residential units existed in the excavated area.

-Two streets were discerned on the east and west sides of the excavated area. The east street K1 runs east of room no. K1-9 and is 1.6m-3.2m in width (Pl. 32-2). The west street K2 runs west of K1-11 and its width is 1.85m (Pl. 32-3).

-15 tandoor ovens (Pl. 32-4) and one triple oven (*qānūn*, Pl. 32-5) were discovered in the excavated area, along with many spots of fireplace debris and ash accumulation. The number of fireplaces and the ash accumulation spots are evidence that cooking was frequently done inside and outside of the rooms. In the above-mentioned residential unit K1, for example, four tandoor ovens remained in a space of 75.

-Numerous seashells were unearthed in all of the excavated area. In particular, a concentration of spiral shells was found in room no. K1-2 and bivalves in room no. K1-7(Pl. 32-6). This shows that shells were frequently gathered for food and the lids as raw material for incense.

-Digging more deeply in room nos. K1-7 (Pl. 32-7 and 8) and no. K2-4 (Pl. 33-1) revealed that other buildings had existed under the excavated residences (Pl. 33-2, 3 and 4).

-Coins, glass weights, and disc weights dating from the latter half to the end of the eighth century A.D. were unearthed from the excavated area. The oldest item among the dated artifacts from the fort is A. H. 198 (A. D. 813/4). A gold coin of the Abbasid period (color Pl. 3-1 and 2, Pl. 33-5) minted in A. H. 181 (A.D. 797/8), a disc weight (color Pl. 3-3, Pl. 33-6) manufactured in A. H. 162 (A. D. 779) and a glass weight (Pls 17-2 and 36-9) manufactured in A. H. 179 or 180 (A. D. 795 or 796) were found in the residential quarter.

-Among the artifacts were 2,115 pieces of earthenware and 92 pieces of glazed pottery. In the fort, the earthenware was 370 and the glazed pottery was 528. The proportion of earthenware to glazed pottery is 23:1 in the residential quarter and 0.7:1 in the fort. This is clear evidence that the residential quarter functioned as living space.

-A large quantity of earthenware characteristic of the pre-Islamic periods was also excavated.

Our future excavations will reveal the aspects of the residential quarter more precisely and depict the complete picture of the port city of Rāya as it is at full-length.

northeast wall and the northeast part of the southeast wall. It is considered to be possibly an awning. Palm-tree branches were inserted in the walls at regular intervals and mats woven of palm tree leaves were laid on them. The height slopes from north (1.69m) to south (1.50m). Judging from the declination, it may be satisfactory to regard it as a shed roof of the partition rather than the roof (Pl. 9-1 to 9-4).

Room no. 3-7 is a long and narrow room of 4.05/4.06m x 2.31/2.26m (Pl. 29-5). There is a doorway 95cm wide in the southeast part of the southwest wall. A partitioned space of 1.20m x 1.35m is just by the northwest side of the doorway. On the west corner of this space is a structure, which is quarter of a hemisphere in shape about 75cm in the inside diameter. It is quite possibly a tandoor oven (Pl. 29-6). There is a partitioning wall 83/98cm deep in the northeast part. The thickness of the wall is half a brick, and the center part is missing. The masonry of this room is good. A niche for placing things was made in the southeast wall. The bottom of this niche is 52cm from the floor; it is 20cm wide, 25cm high, and 23cm deep. The top is arch-shaped (Pl. 29-7).

The finishing coat on the walls remains in most parts of this room. Cement-mortar was applied for the undercoating and mud-mortar used to cover it.

Through examination of the excavation data, it is clear that the masonry in the rooms facing the central street is coarse and that in the rooms to the northwest of the rooms along the central street is good. It was also clarified that the porticos were constructed on the third face of the central street. In addition, it revealed that the poorly-made walls of the rooms facing the central street were added later to the southeast walls of room nos 3-2, 3-1, and 3-7.

Judging from this examination it is believed that the rooms facing the central street did not exist when the mosque was constructed, and there was a square about 9m in front of the mosque and another square of about 12.5m x 11.5m was connected beyond it (Pls 29-8, 30-1). We found that the broad space in front of the mosque was taken over and inferior buildings were constructed there later. They were in use at the time of the destruction of the mosque or afterward (Pl. 30-2).

Preservation work was done to the southeast side of the outer walls of the fort including the east gate, the foundation of the gatepost and the threshold board of room no. 3-10, and the gatepost of room no. 10-1, etc.

The Residential Quarter

We selected an excavation area 600m southwest of the fort in the residential quarter (Pls 3, 31-1 and 2). We dug 5 x 5 grids (1 grid is 5m x 5m), or 25 grids of 625m^2 (Pls 10, 31-3). As a result, we found that the features of this area are different from those of the fort. The following are the facts accumulated from this season's excavation, and I intend to either confirm or correct them, and also to add to them according to the progress of further excavations.

-The building materials are coral blocks and sun-dried bricks. There are three types of masonry: (1) coral blocks only; (2) sun-dried bricks only; (3) coral blocks in the lower parts and sun-dried bricks in the upper parts. Taking Building Block K1 for example, type (1) constitutes the south and west walls of room no. K1-3, the east and north walls of room no. K1-4, the east wall of room no. K1-5, the west wall of room no. K1-6, the east wall of room no. K1-7, the north, south, east and west walls of room no. K1-8 and the west wall of room no. K1-11; type (2) constitutes the north, south, east and west walls of room no. K1-2, the north wall of room no. K1-3, the south wall of room no. K1-4, the north and south walls of room no. K1-5, the east, south, and north walls of room no. K1-6 and the east, south, and north walls of room No. K1-10; type (3) constitutes the east, west and north walls of room no. K1-1, the west

northeast part of the southeast wall. There is a portico of 3.28m x 1.08m. The masonry of the walls is generally coarse, a feature particularly true of the masonry of the northeast and southeast walls (Pl. 27-1).

Room no. 3-8 is divided in two: A (3.55/3.56m x 1.65/1.69m) and B (2.16/2.15m x 3.30m). A has a doorway 1.00m wide in the southwest part of the southeast wall, and B has a doorway 1.07m wide in the northeast part of the southeast wall. Both have threshold boards, but no porticos were found (Pl. 27-2). The masonry of the partitioning wall between these two rooms and that of the southeast walls was extremely poor (Pl. 27-3 and 4). The remains of a double oven was discovered in the south corner of room no. 3-8B (Pl. 27-5). In addition, a large quantity of painted plaster was found in room no. 3-8B (Pl. 27-6). In the restoration work of *qibla* wall (southeast wall), we noticed that the plaster of room no. 3-8B could be matched with the plaster excavated inside the mosque. That is to say, it is clear that the plaster on the wall of the mosque was torn off and discarded in this room.

Room no. 3-12 is 4.26/4.17m x 2.13/2.23m and partitioned in two toward the back, A and B, by a wall of half a brick in thickness. The doorway was built in the northeast part of the southeast wall, a wall of coarse masonry. A portico of 2.29m x 1.51/1.42m was found outside (Pl. 27-7). Both the southwest and northeast walls were added later. Also, near the doorway of this room, a large quantity of plaster was discovered (Pl. 27-8).

Room no. 10-1 is 3.40/3.34m x 2.55/2.47m and has a doorway with a threshold board in the northeast part of the southeast wall (Pl. 28-1). There is a portico of 2.19m x 1.51/1.42 m outside. A gatepost of a date palm tree with a diameter of 22 cm was erected on the north end (Pl. 28-2 and 3). The masonry of this room is better than that of other rooms fronting the central street (room nos 3-8, 9, 10 and 12). The southwest and northeast walls were added later. A large quantity of plaster was also found in this room (Pl. 28-4). There was a building feature of sun-dried bricks 90cm deep at the back of this room (Pl. 28-5), but it was not examined in 2003.

Room no. 3-2 is to the northwest of room no. 3-12 and the two rooms are connected without a partitioning wall. Room no. 3-2 is a misshaped room of 3.84/3.43m x 3.57/3.40m (Pl. 28-6), and there is no partition between this and the other room. The doorway to this room is located on the southeast side. When this room was reconstructed, the room apparently took this shape. Ceiling beams and roofing material, such as palm tree branches and mats woven of palm tree leaves, were excavated in a state of collapse (Pl. 28-7). The final coating and undercoating on the northeast part of the northwest wall and southeast part of the southwest wall were recognized. The undercoating has traces of a rough press by pallet (Pl. 28-8). There seems to have been a method whereby the final coating was made to adhere to the undercoating.

Room no. 3-1 is to the northwest of room no. 3-8. Room no. 3-1 is a misshaped room of 3.33/3.36m x 3.71/4.28m (Pl. 29-1). There is a partition of half a brick in thickness at the one-third point of the eastern part of the room (Pl. 29-2). It was further divided in two at the center of the partition. A bench-like structure 39cm deep existed in the space of 1.12m x 1.74/1.67m in the northwest part. The structure is in contact with the partitioning wall at the southeast (Pl. 29-3). A rich trove of 808 registered items of artifacts was unearthed in this room (Pl. 29-4). This is 33 percent of the registered artifacts in the fort.

The masonry of this room is good. A doorway was located in the northwest part of the southwest wall. Coral blocks were used for the foundation in the north corner of this room (room no. 3-1C). Parts of the roofing material were found in situ at the

ing Blocks 10, 1, 22, 18, and 20, is a space of 12.4m x 11.5m (Pl. 25-7). This shows that a square was formed adjacent to the mosque.

The sequence of layers in this space is almost the same as that of the central street (Pls 13 and 25-8). The first layer is thick sand, the third and lower layers are level accumulations (Pls 8-3 and 26-1). We found that goat droppings and ground fireplaces were concentrated in the third and lower layers, which allows the presumption that many people gathered in this space (Pl. 26-2).

Streets 6 and 7

Streets 6 and 7 were discovered in the process of excavating the central street and the square-like space adjoining it. Plate 7 shows that Street 6 was on the southwest of room no. 3-10 and that Street 7 was between room nos 10-6 and no. 1-1.

While closely examining the central street, we dug a trench of 2m x 2.5m along the southwest wall of room nos 3-10 and no. 3-7. We had already confirmed that the southeast wall of room no. 3-10, or the outer wall on the side of the central street, did not extend toward the southwest, so it was to confirm whether the wall separating those two rooms extended to the southwest. As a result, only the wall running from southeast to northwest was found at the southwest end of the trench. No wall running from northeast to southwest was found. The distance between the southwest wall of room nos 3-10 and 3-7 and the southwest wall inside the trench was 2.03m. So, to judge by this distance and the layout of the walls which we had exposed by removing the surface soil in the first season, we supposed that this had been a street and would have crossed the central street at right angles, so we named it Street 6 (Pl. 26-3).

During the process of excavation to locate the rooms on the northwest side of the central street, an accumulation of thick sand was encountered on the northeast of room no. 10-1. This sand layer had already been recognized in the vertical section of the central street. It was wider than expected and formed an area of 12.4m x 5.7m without buildings. The diligent examination of this space revealed that the northeast wall of room no. 10-6 and southeast wall of room no. 1-1 were built of coral blocks and were 1.76m apart (Pls 8-1 and 26-4). It was established that the layers of this area had been level accumulations and were comparatively thin. Based on these facts we supposed that this part would have been a street and have crossed the central street at right angles, so we named it Street 7 (Pl. 26-5).

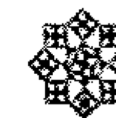
As a result of this, we found that Streets 4 and 6 and Streets 5 and 7 respectively formed crossings with the central street, although they were not aligned with each other.

Building Blocks 3 and 10

In 2003 we excavated and meticulously observed room nos 3-8, 3-9, 3-10, 3-12, 10-1 which face the mosque with the central street between, and room nos 3-1, 3-2, and 3-7 which are located at the back of the above-described rooms.

Room no. 3-10 has a portico fronting the central street. The entrance is 1.51m in width. An alabaster plinth was set at the southwestern part of the entrance and an alabaster column 23cm in diameter was erected on it (Pl. 26-6). A foundation built of limestone nubs is the evidence that the same plinth had also existed on the northeast side, but it was missing at the time of our excavation. The southwest wall of the room was destroyed. Traces showed that a doorway to room no. 3-9 had been made and blocked later. A small room of 81/82cm x 0.90/1.00m was made at the back of this room (Pl. 26-7 and 8).

Room no. 3-9 has a portico on the central street side. This room is 2.55/2.54m x 3.27/3.21m. It has a doorway 1.00m wide in the



which the mosque fronts. Then, in 2002, we carefully examined the main gate and the central street, Building Blocks 15 and 18, and Streets 1, 4, and 5 in order to reveal how the quarter, including the mosque, was constructed (Pls 4, 24-1).

In 2003 we carefully examined a part of Building Blocks 3 and 10 opposite the mosque confronting the central street (Pls 7 and 24-2). This was for the purpose of clarifying the character of the portico-like extension, which narrowed the central street, found in the survey of 2002, and the nature of the space in front of the mosque. Moreover, in the fort, we remeasured the fallen part of the northeast outer wall that we had excavated in order to gauge the height of this outer wall.

The Outer Walls

When we laid out trenches to check the scale of the fort and made methodical excavations in 1998, the collapsed outer walls were excavated outside the northeast wall of the fort. Above all, the collapsed wall (Pl. 24-3) outside room nos 17-3 and 17-4, situated between Tower 4 and Tower 6, can be taken as an example because it was in a good state of preservation as well as the wall excavated at Tower 4. The excavated plane seemed like a pavement of sun-dried bricks, and thick layers of coral blocks were found under it (Pl. 24-4). It is confirmed from the remaining outer walls of the fort that the lower structure consists of coral blocks, and the upper structure consists of sun-dried bricks inside and coral blocks outside. Therefore, it is clear that the excavated collapsed wall was the outer wall of the fort.

Figure 5 is the plan of the collapsed wall outside room nos 17-3 and 17-4. It shows that the height of the wall was about 4.5m. Since Building Block 17 is the unexcavated area, we measured the height from the floor to the top of the remaining outer wall of room no. 7 of Building Block 7, which had already been excavated. It is almost 2.1m, so it suggests that the wall stood higher than 6.5m on the northeast side of the fort (Pl. 24-5). As this fort is located on an elevation of 7m, it is thought to have offered a grand view of the sea (Pl. 24-6).

We started this work as part of the restoration study of the *qibla* wall of the mosque (Pl. 6) which has script, plant, and geometric decoration, but it is unfinished. In this connection, the *mihrāb* is 48.7cm in width and 31.8cm in depth. The remaining brickwork is composed of 15 layers and is 86.5cm in height. The direction showed by the *mihrāb* is 41°18′49″ southward along the east-west axis (Pl. 25-1, 2 and 3).

The Central Street and the Square-like Space (Pls 7 and 8)

The central street is 2.18m in width at the second door of the main gate, its starting point, and widens to 4.47m at the mosque. The survey in 2002 revealed that the central street at Building Blocks 20 and 18 becomes shaped like a square. It also revealed that there was a portico-like extension in front of room nos 3-10, 3-12 and 10-1 on the third face of the central street (Pl. 13). Each projects 1.12m, 0.99m and 1.51m respectively. Also, an incomplete portico extended 1.08m in front of room no. 3-9 (Pl. 25-4).

We continued the close examination in 2003 and, as a result, the southwest part of the portico of room no. 3-9 was found. But the bricks of the southwest part were worn down to several centimeters and were partially missing (Pl. 25-5).

We also excavated the area on the opposite side of Building Blocks 20 and 18 with the central street between them. As a result of this, an open space covered with layers consisting mainly of sand was discovered to the northeast of room no. 10-1 (Pl. 25-6). The space is so wide that its area is 12.4m x 5.7m. In dimensions, the central street and another space facing Building Blocks 18 and 20, or, the space enclosed by Build-

Acknowledgement

This archeological survey would like to thank people and institutions. I would like to express my sincere gratitude to Dr. Zahi Hawas, Secretary General of the Supreme Council of Antiquities (SCA), Ministry of Culture; and to Mr. Abd al-Lah Attar, Chief of Islamic and Coptic Archaeology Department of the SCA, and other staff members. They dealt with the complicated paperwork effciently in order to secure the permission from the Ministry of Defense and the Ministry of the Interior in advance of granting a permit for the survey.

Moreover, I would like to tender my heartfelt thanks to the following people for their kind cooperation: Mr. Abd al-Hafiz Mansour Diyab, Chief of the Archaeological Office of North Egypt and Sinai of the SCA; Mr. Tariq Muhammad al-Naggar, Chief of the South Sinai Office of the SCA; Mr. Muhammad Fahmi Ahmed, Chief of the Archaeological Office of the Suez Bay Area, and other officials in charge of the Rāya/al-Ṭūr area.

Above all, Mr. Muhammad Ahmad Umrān (Chief of the Archaeological Office of al-Ṭūr District); Mr. Mahmoud Muhammad Muhammad Idris (Chief of the Archaeological Office of Dahab District); Mr. Abd al-Qadir Ibrahim Wahba (Assistant Inspector); and Mr. Sami Gawda Ismael (Assistant Inspector) always accompanied the mission and assisted us. I would like to express my deep appreciation to them.

I would also like to extend my deepest gratitude to H. E. Mr. Kazuyoshi Urabe, Ambassador Extraordinary and Plenipotentiary; Mr. Yasufumi Kobayashi, Minister; Mr. Yasufumi Kotake, former Director of the Information and Culture Center; Mr. Tamon Mochida, present Director of the Information and Culture Center; and other staff members of the Japanese Embassy in Egypt who provided us with the facilities essential for the expedition.

Moreover, this survey was funded by grants from the Nippon Foundation, Grants-in-Aid for the Scientific Research of Japan Society for the Promotion of Science, and the Foundation for Cultural Heritage, in addition to support from the section of the Cultural Heritage of Fuji Techno Co., Ltd. and Teikei Co., Ltd. I would like to tender my sincere appreciation to all of them.

Excavation at the Rāya Port City Site

We conducted an excavation of the fort and the residential quarter (color Pl. 1-1 and 2). The former is an area of 85 square meters which has been dug since the 1st expedition in 1997. Excavations until the 6th expedition in 2002 revealed the outline of the fort and the characteristics of the artifacts. Through the previous excavations it was thought that the fort itself was constructed around the sixth century A.D., but the excavated objects are concentrated in the period after the ninth century A.D.

We started the excavation in the residential quarter, which extends along the sea to the west of the Rāya site. It is quite possible that earlier artifacts were discarded when the fort was Islamized, but artifacts in the residential quarter remain. Excavation in the residential quarter is important in order to clarify the reason for these chronological differences and the characteristics of this site (Pls 1-3).

The Fort

From the time we discovered the mosque in 1999, one of our purposes has been to reveal the time of its construction and the history and features of the space where it was built. In 2000 we took up the fallen *mihrāb* (Pls 6-1 and 3) without destroying it and closely examined Building Block 20 adjoining the northeast and southeast walls. In 2001 we closely examined Building Block 12, which is situated in the innermost recesses (northeast end) of the central street, and the main gate at the southwest end in order to understand the characteristics of the central street on

ARCHAEOLOGICAL SURVEY OF THE RĀYA/AL-ṬUR AREA ON THE SINAI PENINSULA, EGYPT 2003

Mutsuo KAWATOKO
Yoko SHINDO

Foreword

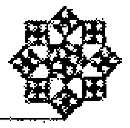
We have conducted excavations at the sites of al-Fusṭāṭ, al-Kilānī, Rāya, Aydhāb (Egypt) and Bāḍi (Sudan) since 1978. The main themes of our archaeological surveys are the following: Empirical Study of the Maritime History between the East and the West, Study of Material Culture in Egypt and the Red Sea Area, and Study of Islamic Urban Life.

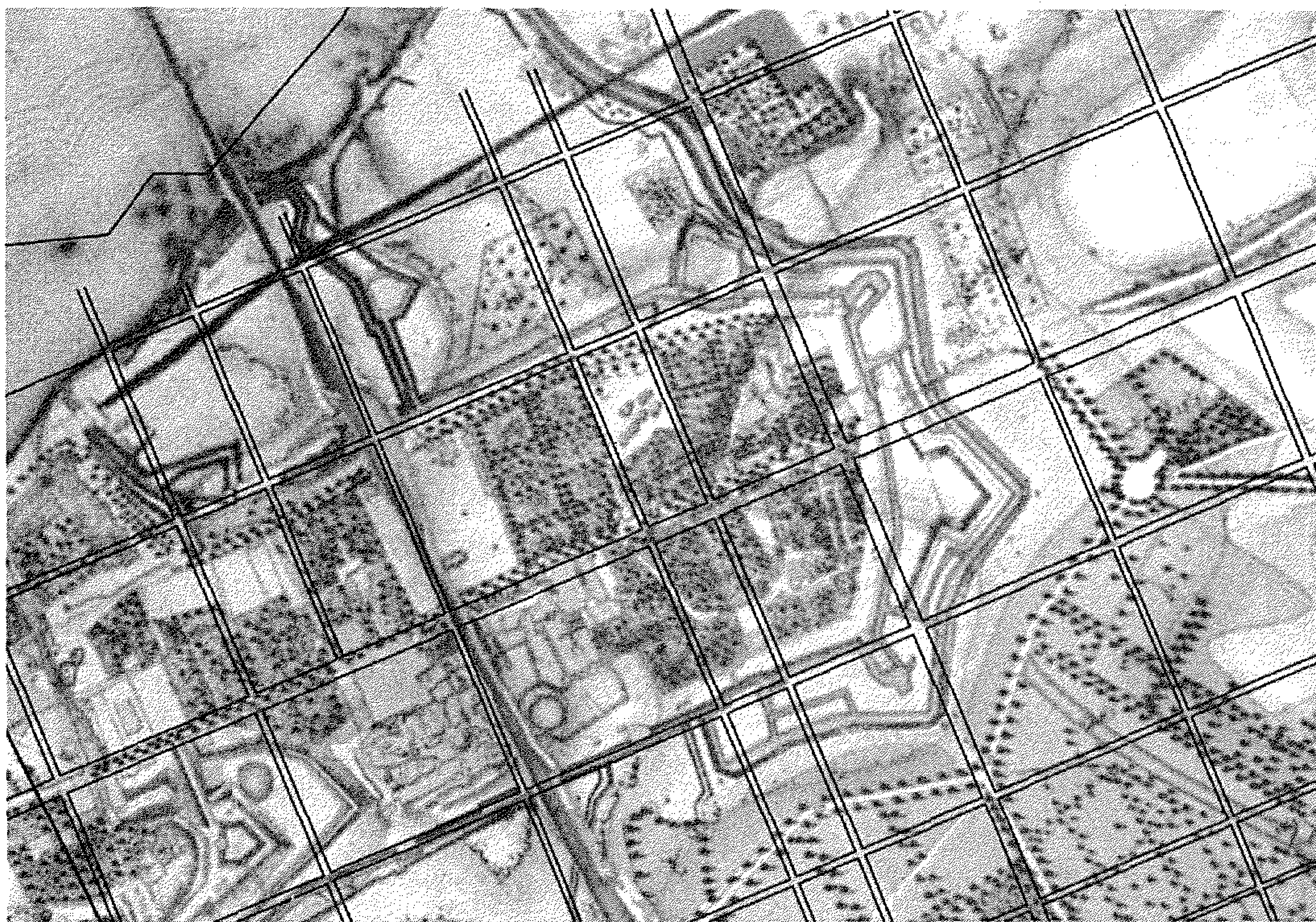
The purpose of our survey in 2003, as in 2002, was to accumulate material to lead to an empirical study of the organic relations between the 'Sea Network' and the 'Land Network' in East-West maritime relations, and to investigate the mechanisms by which the port facilities shifted from one to the other.

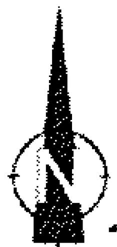
In order to achieve this purpose, we conducted the 23rd archaeological survey in the Rāya/al-Ṭūr area from July 19 until September 16, 2003 and from December 29 until January 10, 2004. This work consisted of excavation at the Rāya port city site (the 7th expedition), a detailed excavation and physical anthropological study at the Monastery of Wādi al-Ṭūr (the 4th expedition), preservation and restoration of these two sites, planning for emergency preservation and restoration of the modern buildings on the al-Kilani port city site that had been suspended after the end of the 16th expedition, selection of the excavated area for 2004, survey of the group of rock inscriptions on Jabal (Mt.) Nāqūs, classification and study of the artifacts, and restoration work of the *qibla* wall of the mosque. At the same time, chemical composition analyses of glass, coins, glazed pottery, and pigments of the wall paintings were conducted by using a portable X-ray fluorescence spectrometer. In addition, identification, analyses, and study of wood products and wood were done.

At the Rāya site, we began excavation in the residential quarter as well as continuing the excavation of the fort. In the fort, we concentrated on digging Building Block 3, which faces the central street in order to gather information on how the central street and mosque related.

Since 1987 we have recorded the strata, the precise location of all artifacts and their distribution throughout the site on a 3-D coordinate axis, and have made modeling plans by computer graphics so as to facilitate the daily excavations. Then we have recorded the plans and elevations of the buildings as well as photographed and drawn their features and the artifacts. The data provide material for future generations not only regarding the artifacts but also the actual conditions observed during the process of digging.







0 m 200 m 400 m 800 m

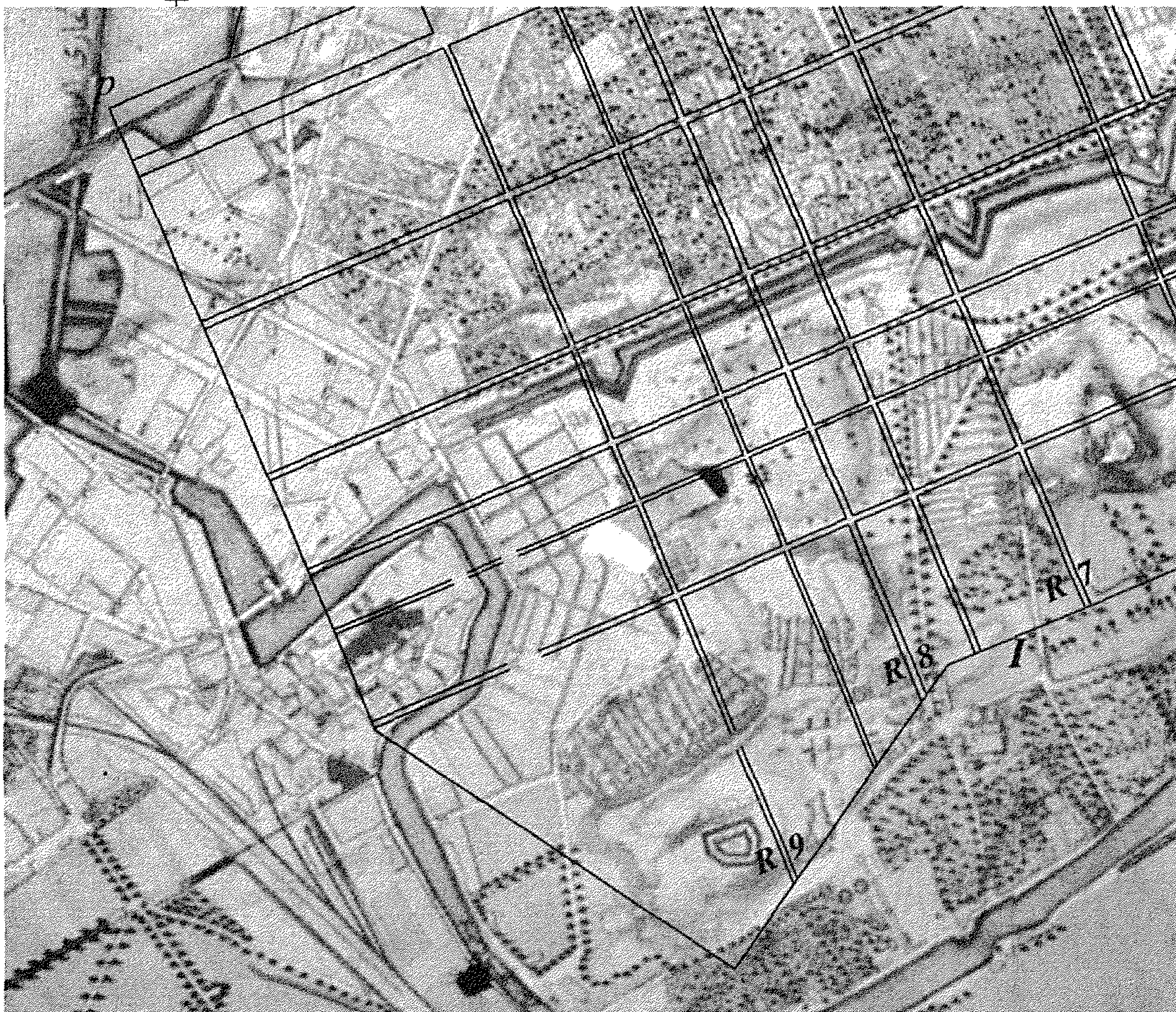


Fig. 3. Permanence du cadastre et du réseau viaire dans la partie orientale de la ville, du côté de la porte de Rosette.

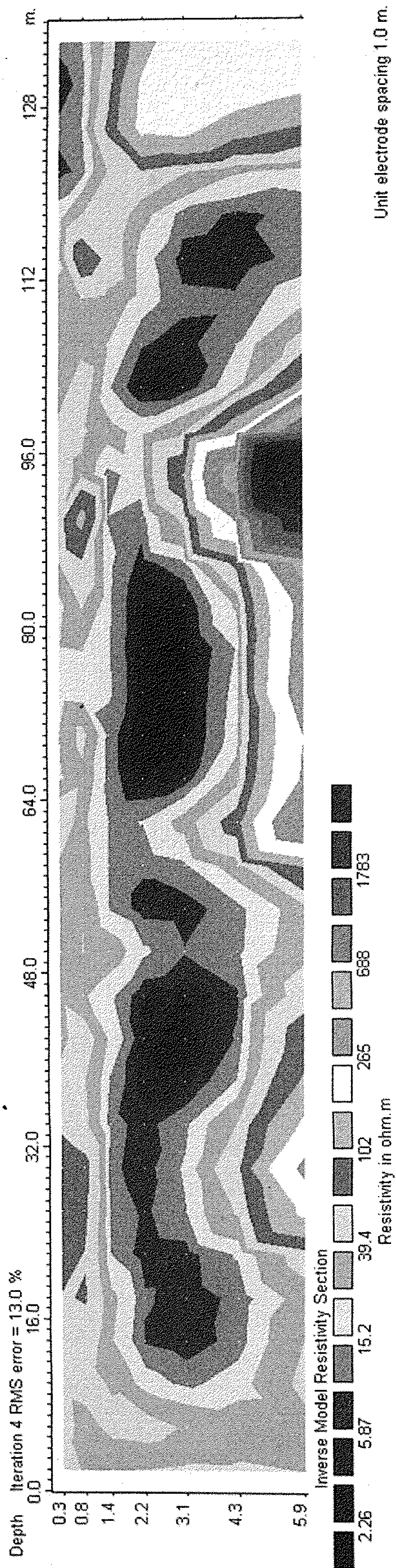


Fig. 2. Profil électrostatique obtenu sur l'une des rues prospectées. On reconnaît bien l'anomalie résistante (en rouge et foncé) située à environ 4 m de profondeur

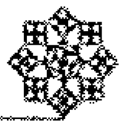
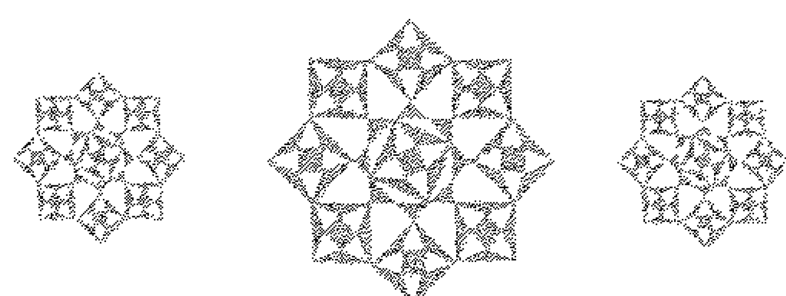


Fig. 1. Carte de l'Alexandrie moderne par Mahmoud el-Falaki, 1865. Nous y avons ajouté l'emplacement des restes des murailles.

ainsi que la voie rapide, construite il y a quelques années, à l'Est de la tour. Là aussi les prospections devront être amorcées par le Sud, à proximité du sondage G de Mahmoud Bey pour remonter ensuite le plus possible vers le Cap Lochias.

Pour la partie occidentale, les prospections débuteront à proximité du sondage I puis s'étendront vers l'Ouest afin de préciser si la muraille contourne ou non la colline de Kôm el Chougafa. Elles seront prolongées aussi loin que possible, mais le creusement du Mahmoudieh au XIXe siècle a là aussi profondément modifié la configuration du terrain. Dans tous les cas, nous tenterons de saisir l'orientation que prend la muraille et vérifier si elle fait un retour vers le Nord (dans la direction du segment occidental de la fortification arabe) ou si au contraire elle se prolonge encore vers l'Ouest, englobant le secteur où est supposé passer le canal navigable cité par Strabon. ■



Endnotes

* Directeur du Centre d'Études Alexandrines

1 Les études menées en 1997 sur la recherche du tracé de l'Heptastade, sous la direction d'Albert Hesse, a déjà montré tout l'intérêt et l'efficacité de ces méthodes. Voir A. Hesse, P. Andrieux, M. Atya, C. Benech, C. Camerlynck, M. Dabas, C. Féchant, A. Jolivet, C. Kuntz, P. Mechler, C. Panissod, L. Pastor, A. Tabbagh, J. Tabbagh, 'L'Heptastade d'Alexandrie', *Etudes Alexandrines* 6 (2002), IFAO, 191-273.

2 Il faut cependant noter que la planche de la Description de l'Egypte est le seul plan topographiquement fiable qui nous permet de recaler l'ensemble de la vieille muraille arabe, avant les travaux engagés par Mohemed Ali. Sur les autres plans, les lignes de fortification qui suivaient le front de mer et fermaient la ville à l'Ouest, ont déjà été détruites.

3 Voir Arculfe dans O. V. Volkoff, *Alexandrie vue par les voyageurs du passé*, 10, 303 pages, inédit.

4 Voir supra les observations de Mahmoud Bey, Vaujany et Botti.

basé seulement sur des témoignages oraux. Le sondage E, le plus oriental qu'ait réalisé Mahmoud Bey, ne permet pas de reconnaître si la muraille passait sur les hauteurs ou en contrebas; d'un point de vue défensif, cette dernière option n'est certainement pas la meilleure.

Quelle que soit sa position exacte, la question est maintenant de savoir si cette limite orientale fut celle de l'enceinte primitive d'Alexandrie. Les éléments dont nous disposons permettent d'en douter. Nous avons vu que ce secteur était occupé par les nécropoles orientales. Botti précise même avoir suivi les fondations de la muraille, 'reposant sur d'anciennes hypogées'. De plus, Botti comme Breccia jugent, d'après les matériaux de construction, ces fondations de muraille comme romaines. Quelle était la limite de la ville à l'époque de Strabon? Ce dernier ne nous donne aucun indice nous permettant de l'apprécier; il ne mentionne pas les nécropoles orientales et indique seulement qu'après la porte canopique, se trouvent l'hippodrome ainsi que d'autres constructions. La longueur de trente stades qu'il donne pour la voie canopique indiquerait, si elle est correcte, que l'extension de la ville a déjà été réalisée lors de son passage. Toutefois, il est certain que nous devons rechercher la limite orientale primitive plus à l'Ouest.

Perspectives de recherches

Ces résultats montrent combien d'incertitudes existent encore sur le tracé des murailles et, en même temps, le problème posé par les différentes phases de développement, ou de récession, de la ville. Le travail de prospection à accomplir pour compléter les travaux de Mahmoud Bey est important. Le choix stratégique des zones de prospections est donc essentiel, et devra aussi tenir compte des perturbations qu'a connues le sous-sol de la ville depuis le XIXe siècle. Cette recherche va donc être développée en plusieurs étapes, avec dans un premier temps, la validation de la méthode électrostatique pour la recherche qui nous intéresse; ceci consiste à identifier la 'signature géophysique' de la muraille ou, en d'autres termes, reconnaître la réponse géophysique d'une fondation de 5 m de large, située à 3 ou 4m de profondeur dans ce milieu très perturbé. Si, par endroits, tous les blocs, jusqu'aux fondations, ont été récupérés au cours des siècles, il sera plus difficile de repérer les tranchées d'épierrement. Les fouilles de Mahmoud Bey nous ont toutefois montré que certaines fondations devraient encore exister, si les remaniements du XXe siècle n'ont pas achevé de les détruire. Les prospections géophysiques débuteront par conséquent au Sud, à proximité des cinq sondages réalisés par Mahmoud Bey, afin de bien retrouver le tracé des remparts en un endroit où il est relativement bien connu. Ceci nous permettra de poursuivre les sondages électrostatiques dans les secteurs moins bien documentés, notamment la partie orientale. Deux réponses importantes concernent cette partie de la ville. En premier lieu, il s'agit de localiser l'extension maximale de l'Alexandrie antique et définir si cette limite se situe sur la ligne de relief à l'Est comme nous le pensons, ou alors en contrebas de ces même reliefs, selon la proposition de Mahmoud Bey. Ce secteur a été extrêmement perturbé par les nombreuses fortifications élevées à cet endroit par les Français au début du XIXe siècle et les prospections risquent de ne pas restituer un signal clair des fondations antiques. C'est pourquoi il sera nécessaire d'aborder cette zone par le Sud, à partir du sondage E de Mahmoud Bey, et de voir à quel endroit se situe le retour de la muraille. Le deuxième objectif est de repérer la limite primitive de la ville qui, comme nous l'avons vu, devrait se situer à la hauteur de la tour de Shalalat. Le voisinage de la tour a lui aussi été extrêmement perturbée par les fortifications de Mehemet Ali à cet endroit au XIXe siècle

La restitution du tracé des murailles arabes ne pose pas de problème majeur. Le recalage du plan de la *Description de l'Égypte,* nous permet de la repositionner dans le cadastre moderne. Ce résultat est corroboré par les autres superpositions de cartes, présentées en début de cet article.[2]

Hypothèses de tracé pour la muraille antique

L'étude la plus complète dont nous disposons est bien entendu celle de Mahmoud Bey, malgré les incertitudes qu'elle contient. Ce dernier a recherché à reconnaître le périmètre de la ville dans son extension maximale, sans envisager une évolution en plusieurs phases de sa superficie. La partie la plus sûre de son hypothèse concerne la muraille sud; ses résultats sont corroborés par Le Père, qui fixe une limite de la ville basée sur ses observations sur le terrain:

La superposition de la carte de la *Description de l'Égypte* avec le plan de l'Alexandrie antique de Mahmoud Bey la superposition de la carte montre qu'elles sont extrêmemnt proche l'une de L'autre. Le Père n'étend pas aussi loin à l'Est la limite orientale que Mahmoud Bey, mais le sondage réalisé au point E montre bien que la muraille continuait encore plus à l'Est. Nous pouvons donc considérer que ce tracé est bien attesté dans ses grandes lignes par la représentation qu'en a donnée Mahmoud Bey. La muraille méridionale avait-elle ce tracé dès la fondation de la ville? La configuration naturelle des lieux ainsi que les différentes constructions de la ville que nous connaissons semblent aller dans ce sens: étendre la ville sur toute la largeur de la ville constituait un élément important du point de vue défensif. Une attaque ne pouvait se mener que sur les fronts oriental et occidental, obligeant de surcroît l'armée à se scinder en deux. La position du Serapeum, bâti par Ptolémée Ier, devait nécessairement se trouver à l'intérieur de la ville. C'est là aussi que se situe la plus grande modification de tracé entre la muraille antique (du moins Bas-Empire) et la muraille arabe. Le rétrécissement de la ville dans sa partie méridionale date certainement du IXe siècle. Arculfe, qui visita Alexandrie en 670, décrit la ville en ces termes: 'Elle est entourée de murailles, fortifiées par de nombreuses tours construites le long de la rivière et le courbe du rivage'. [3] Au VIIe siècle, la muraille longe donc encore le canal d'Alexandrie.

Le tracé de la muraille qui longeait le front de mer n'a peut-être pas considérablement été modifié, malgré l'érosion naturelle de la côte. Nous avons vu que tout le tracé de la muraille arabe, de la porte occidentale à la tour des Romains, reprenait probablement le tracé antique. Plusieurs voyageurs évoquent les colonnes en granit rouge jetées dans la mer en avant des murailles pour protéger celles-ci de l'érosion marine. Ce procédé est peut-être antérieur à la conquête arabe; dès le IVe siècle, il est possible que les matériaux provenant des parties abandonnées de la ville aient connu le même sort. Toute la zone de quais qui bordait le Grand Port a probablement été engloutie lors de raz-de-marée, mais les murailles, plus en arrière, ont été conservées. A l'Est de la tour des romains, jusqu'au-delà du Cap Lochias, nombreux sont ceux qui ont remarqué en bord de mer les fondations de ce qu'ils pensaient être la muraille.[4] St Génis et Vaujany notamment, pensent même avoir vu le retour de son tracé vers le Sud-Est sur les hauteurs où furent ensuite installées les lignes de défense françaises.

Ce retour marquerait donc la limite orientale de la ville antique, dans son extension maximale. Les observations de St Génis et Vaujany se rapprochent des hypothèses de Mahmoud Bey, qui fait passer la muraille un peu plus à l'Est, en contrebas des hauteurs. Rappelons toutefois que ce tracé n'est certifié par aucune fouille et

RAPPORT SUR LES RECHERCHES SUR LES TRACÉS DES MURAILLES ANTIQUES D'ALEXANDRIE 2002

*Jean-Yves Empereur**

Depuis les travaux qu'a réalisés Mahmoud Bey en 1864 sur la recherche du tracé des murailles antiques d'Alexandrie, aucune découverte archéologique n'est venue corroborer, ou du moins préciser la restitution qu'il nous en a laissée. Le développement urbain de la ville a rendu les fouilles difficiles et n'offre plus aujourd'hui la marge de manœuvre dont il a bénéficié dans le choix de l'implantation de ses sondages. Aussi pourquoi reprendre maintenant cette étude à laquelle tous les archéologues du XXe siècle se sont heurtés, faute de données nouvelles? Cette démarche s'appuie sur le développement de techniques nouvelles qui, dans le domaine de la géophysique, constituent un apport majeur dans la prospection en milieu urbain.[1]

L'archéologie en milieu urbain est certainement l'une des plus difficiles qui soient. L'archéologue doit mener des fouilles d'urgence dans des délais toujours trop brefs, au gré des destructions et des reconstructions que connaît la ville. Il n'est pas envisageable de traiter une problématique telle que la recherche du tracé de la muraille antique par les seules méthodes traditionnelles. La géophysique appliquée à l'archéologie apporte, par ses méthodes non destructrices, une information archéologique dans des zones inaccessibles en fouille et évite les inconvénients liés aux travaux de sondages longs et difficiles. L'étude des murailles d'Alexandrie s'intègre dans cette stratégie de prospection urbaine.

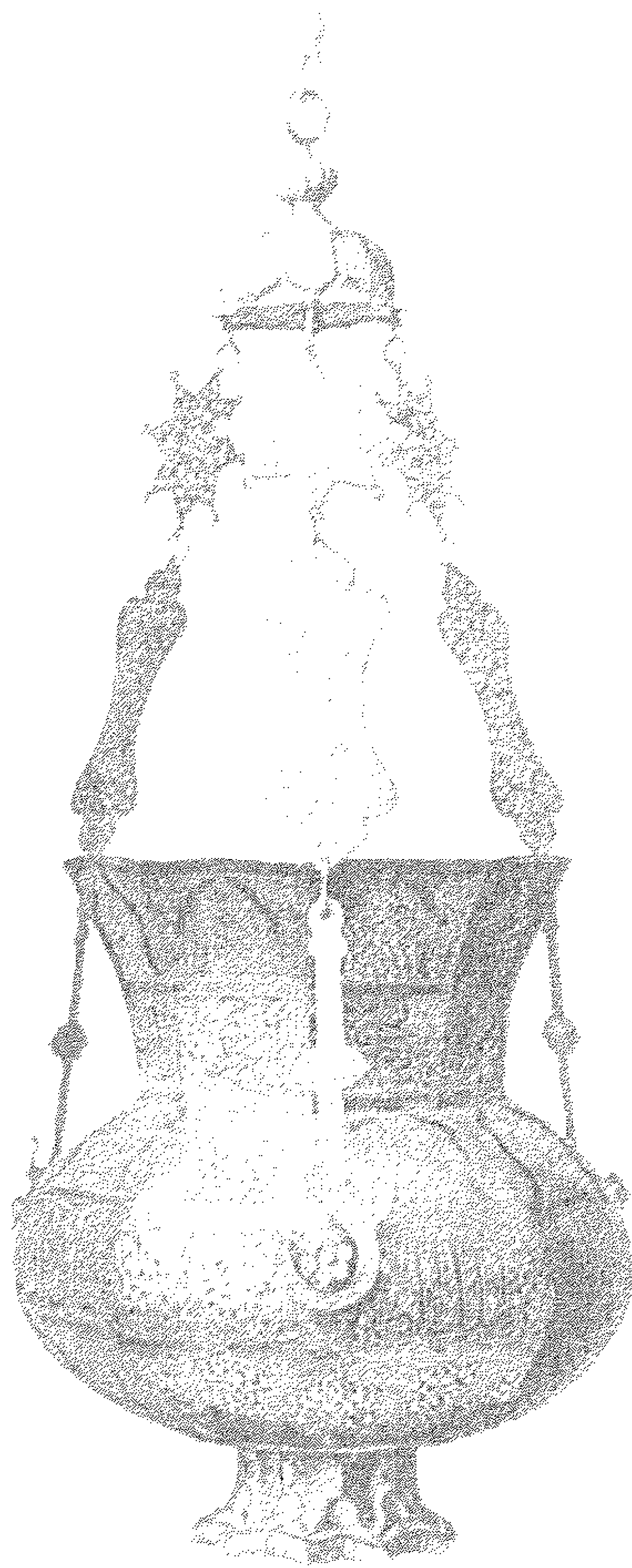
Les murailles d'Alexandrie

Combien de murailles, ou plutôt combien de modifications de tracé ont connu les fortifications d'Alexandrie? Quatre phases importantes semblent se dégager:

. Une enceinte hellénistique construite au moment de la fondation de la ville
. Une enceinte romaine qui marque une extension vers l'Est de la ville, englobant notamment les nécropoles orientales.
. Une enceinte Bas-Empire, construite après la destruction du Brouchion par Aurélien.
. Une enceinte arabe, construite par Ibn Touloun au IXe siècle, et dont la modification de tracé la plus certaine concerne la partie méridionale de la ville.

La muraille arabe

La construction de la muraille arabe est attribuée au gouverneur d'Égypte, Ahmed Ibn Tulun, à la fin du IXe siècle. Ce dernier fit abattre les anciennes murailles devenues trop vastes pour la faible population d'Alexandrie à cette époque, et fit construire une nouvelle enceinte, plus petite, qui n'englobait donc qu'une partie de la ville antique. Cette enceinte connut plusieurs remaniements au cours des siècles suivants, mais son tracé n'en fut pas fondamentalement modifié. Les murailles perdurèrent jusqu'au XIXe siècle, époque où Mehemet Ali décida de les restaurer, mais le projet fut rapidement abandonné après la mort de ce dernier. Elles furent enfin détruites à la fin du XIXe siècle afin de permettre l'extension de la ville moderne.



EDITORIAL FOREWORD

With the publication of the first issue of *Mishkah: Egyptian Journal of Islamic Archaeology*, we are entering into a new era in the history of the Supreme Council of Antiquities (SCA). The SCA is now firmly established as a scholarly institution that contributes to promoting the discipline of archaeology in Egypt and the Arab world.

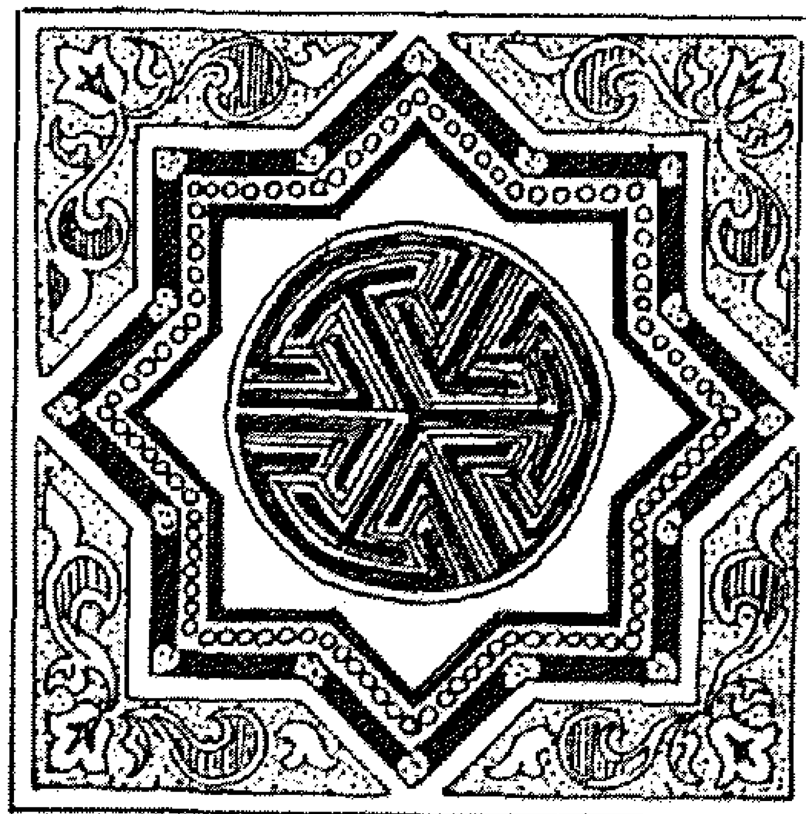
We have decided to call this journal *Mishkah* in order to disseminate archaeological, historical, and artistic knowledge just as the lamp disseminates light and illuminates its surroundings. With this issue, we celebrate the 100th anniversary of the Islamic Museum of Art. Contributions to the journal were received from Egyptian, Arab, and other foreign scholars. Reports on excavations at Islamic sites will finally see the light of day after having been left unpublished for so long. Thus, the journal will fill a void in an area where scientific publications are seriously lacking.

In this journal, the subject of Islamic archaeology will be dealt with in its broad extent, including architecture, art, painting, inscriptions, methodology, the use of technology in the documentation and study of Islamic monuments, and excavations. The goal of this publication is to disseminate knowledge, preserve cultural heritage, and encourage the interaction between field archaeologists and scholars all over the world.

This volume is dedicated to the great scholar Abd el-Raouf Ali Yousef who is an eminent figure in the field of Islamic art, specifically ceramics. Yousef was appointed Director of the Islamic Art Museum and worked as the Acting Chairman of the Egyptian Antiquities Organization. His courteousness, scholarship, and modesty make him an example. On the international level, he is a consultant to several museums, especially those that contain collections of Islamic art.

Zahi Hawass
Secretary-General
Supreme Council of Antiquities

TABLE OF CONTENTS



and photographs should be kept to a minimum and the final decision on the quantity of images to be included with any article will be that of the Editor-in-Chief.

Photographs will all be reproduced in black and white or colour and should be of good quality.

Line-drawings. These must be supplied at least twice as large as they are likely to be reproduced and inked appropriately. Any internal labelling should either be already in position, in type, or letterset (not hand-written) or should be supplied separately on disk for placing by the typesetter and a clearly labelled mock-up must then also be provided. If artwork consists of a copy of something published previously (see further under 'copyright' below) then the copy must be of a very good quality. Photocopies are not acceptable.

Digital images. Increasingly authors are submitting digital images. The following guidelines are intended to help. If in doubt, please consult the SCA Scientific Publication Department before scanning the images. High-quality print-outs must also be submitted of all digital images.

Photographs. These should be scanned at 300 dpi for reproduction at the same size. If they are likely to be reproduced at a larger scale, then they should be scanned at a proportionately-higher resolution (e.g. an image likely to be reproduced at twice its size, should be scanned at 600 dpi). The images should be saved as CMYK TIFF files (JPEGs are rarely adequate). If the file is saved as a TIFF then LZW compression can be used (as it does not degrade the quality) to keep the file size to a minimum. High-quality print-outs must also be submitted of all digital images. All image files must be submitted on a CD. Please do not e-mail images to the SCA publication department or to the Editors without prior consultation.

Line-drawings. These should be scanned as 'line-art' at no less than 600 dpi and saved as TIFF files (see above for compression).

Copyright. Responsibility for obtaining permission to use copyright material rests with the author. This includes photographs of previously-published material.

Manuscripts which do not conform to these conventions, or are otherwise unsatisfactory, will be rejected.

Manuscripts (hard copy, and electronic versions) for consideration should be submitted to:

The Editor-in-Chief:
Scientific Publication Department,
Supreme Council of Antiquities
3 Adel Abu Bakr Street,
Zamalek, Cairo 11561,
Egypt.
e-mail: inu@liv.ac.uk
publication_department2004@yahoo.co.uk

A reliable means of contacting the authors, preferably by e-mail, must be provided with the manuscript.



capital letter is given to the article *al* but to the word it determines, except at the beginning of a sentence where the article also must have a capital letter: *al-Gabarti.*

- Arabic diacritics are not transcribed: *laylat al qadr*, and not *laylatu l-qadri.*

- The *tā' marbuta* is written as *a*, but if followed by a genetive it should be written as *at*: *al-madina, madinat al-Qahira.*

- For transliteration of plural in Arabic words use any of the following options:

Arabic singular: waqf

Arabic plural: awqaf

Arabic singular followed by *s* in Roman letters: *waqf-s.*

CITATIONS should take the form:

Article in a journal

J. D. Ray, 'The Voice of Authority: Papyrus Leiden I 382', *JEA* 85 (1999), 190.
Cite subsequently as: Ray, *JEA* 85, 190.

Article or chapter in a multiauthors book

S. Ş. Abd al-Mālik, 'Une inscription du sultan mamelouk Kituġā découverte à al-Qurrayş (Sinaï central)', in J.- M. Mouton (ed.), *Le Sinaï de la conquête arabe à nos jours, CAI* 21 (Cairo, 2001), 51-58.
Cite subsequently as: Abd al-Mālik, in Mouton (ed.), *Le Sinaï de la conquête arabe à nos jours, CAI* 21, 51-58.

Monographs

K . A . C. Creswell, *A short Account of Early Muslim Architecture* (Cairo, 1989), 316 - 320 .
Cite subsequently as: Creswell, *A short Account of Early Muslim Architecture*, 316 - 320 .

Series publication

W. M. F. Petrie, *Hyksos and Israelite Cities, BSAE* 12 (London, 1906), 37, pl. 38. A, no. 26.
Cite subsequently as: Petrie, *Hyksos and Israelite Cities*, 37, pl. 38. A, no. 26.

Dissertations

Josef W. Wegner, *The Mortuary Complex of Senwosret III: A Study of Middle Kingdom State Activity and the Cult of Osiris at Abydos* (Ph. D. diss., University of Pennsylvania, 1996), 45-55.
Cite subsequently as: Wegner, *The Mortuary Complex of Senwosret III*, 45-55.

Electronic media

Cite preferentially to a hard-copy edition of material posted on a website. If material is available solely in electronic form, provide sufficient information to enable users to correctly access the sources. However, a citation such as www.mfa.org/artemis/fullrecord.asp?oid=36525&did=200. might be more elegantly, if less directly, expressed textually: See, for example, acc. 19.162, illustrated at www.mfa.org/artemis. The http://protocol may be omitted in citations to sources posted on the World Wide Web (e.g., www.mfa.org/giza, rather than http://www.mfa.org/giza); it should be retained in other instances (e.g., http://aaupnet.org; or http://w3.arizona.edu/~egypt/

For citations to electronic journals, CD-ROM, and similar media, see the relevant chapter in the *Chicago Manual of Style.*

Authors' initials and publication details, including full article title and/or series name and volume number should be provided on first citation; surname alone, and an abbreviated title should be used subsequently. The use of ibid, op. cit. and loc. cit. should be avoided. Precise page references should be given, not the entire article run.

CAPTIONS for figures with appropriate credit should be provided, double-spaced, on a separate sheet, and in an electronic form on the disk with the final version of the article.

Artwork and photographs for publication should have the contributor's name and a figure/plate reference written clearly on the back, or on the CD. All artwork will be returned to the author on publication of the volume. The number of text figures

THE SCIENTIFIC PUBLICATION DEPARTMENT
SUPREME COUNCIL OF ANTIQUITIES
GUIDELINES FOR CONTRIBUTORS

INTRODUCTION

The Scientific Publication Department, Supreme Council of Antiquities publishes the *Egyptian Journal of Islamic Archaeology*. This publication focuses on archaeological fieldwork reports, objects and textual analysis, conservation studies, and various aspects of Islamic culture.

INITIAL SUBMISSION FOR REFEREEING

Prospective contributors must submit three copies of their manuscript for refereeing purposes. The *EJIA* follows the *Chicago Manual of Style*, with some modifications as cited below. Manuscripts should conform to this style with the modifications cited in these guidelines.

FINAL SUBMISSION

The final text (after making any changes recommended by the editor or referees) must be supplied on disk preferably PC, using MS Word, composed in 12-point font, and in hard copy printed clearly on A4 or standard American paper, on one side only, double-spaced throughout and with ample margins. Please do not justify the right-hand margin or employ multiple typeface styles or sizes.
Please observe the following:

- The *EJIA* does not use titles such as 'Dr', or 'Prof.' in text, notes or for authors.
- Brackets should be all 'round', e.g. (......)
- Use single quotation marks throughout.
- Avoid Arabic diacritics. Only use in quotes.
- The '-' between dates, page references, etc (1901-2, 133-210) is an n-rule not a hyphen.

FONTS. Contributors must check with the editor, in advance, if the text employs any non-standard fonts (e.g. transliterations, Greek, Coptic, etc) and may be asked to supply these on a disk with the text.

FOOTNOTES. The *EJIA* does not employ the 'Harvard-system' of referencing. Citations must be on separate pages appended as endnotes, double-spaced. Footnote numbers should be placed above the line (superscript) after punctuation, without brackets. The title of the article must not include a footnote reference. If a note is needed for 'acknowledgement' this should be done by means of an asterisk in the title and an asterisked note before footnote 1.

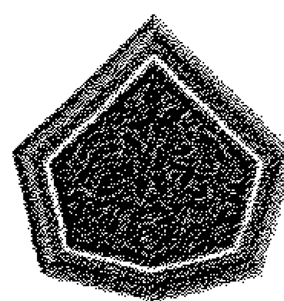
ABSTRACT. An abstract in English (maximum 150 words) must be provided at the beginning of the article. The abstract will be used for indexing and information retrieval. It should therefore be written so that it can be understood independently of the body of the article.

ABBREVIATIONS for periodical and series should be those in Bernard Mathieu, *Abréviations des périodiques et collections en usage à l'IFAO*, 4ème éd. (Cairo, 2004). Available online at www.ifao.egnet.net. *Ad hoc* abbreviations, after complete full reference, may be used for titles cited frequently in individual articles.

TRANSCRIPTION OF ARABIC WORDS

- The initial *hamza* is not transcribed: *amāna, ka-usra*.

- The article *al* should be connected with the word it determines through a hyphen, avoiding what is known in Arabic as 'solar' *al*, i.e. it should be written whether pronounced or not: *al-šams, al-qamar*. No





Editor-in-Chief
Hawass, Zahi

Managing Editor
Daoud, Khaled
SCA and Cairo University
E-mail: inu@liv.ac.uk

Editor
Azab, Khaled
E-mail: khaled.
azaB66@hotmail.com

Assistant Editor
Abd el-Fatah, Sawsan (SCA)

Editorial assistants
Aziz, Wafaa
Flentye, Laurel
Massaoud, Roqaya

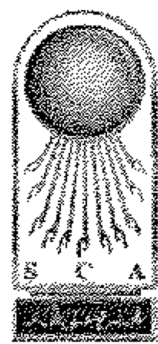
Graphic Designer
Ezz el-Din, Magdy

Director of SCA Press
Safwat, Amal

Printed in Egypt by SCA Press 2006

TO
ABD EL-RAOUF ALI YOUSEF

DAR EL KUTUB NO. 10486/2006 ISBN. 977-305-910-3 ISSN. 1687-5613



MISHKAH

Egyptian Journal of Islamic Archaeology

1

CAIRO 2006

Cover Illustration:
Polychrome-enameled Mishkah (lantern), Mameluk Period.

MISHKAH

EGYPTIAN JOURNAL OF ISLAMIC ARCHAEOLOGY



EGYPTIAN JOURNAL OF ISLAMIC ARCHAEOLOGY



MISHKAH

1